نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

بسم الله الرحمن الرحيم

أُنزّه اللهَ وأُسبِّحه ، وأسأله [1] التوفيقَ وأستَمْنِحه .

حامداً له تعالى بأسمائه ، على جلائل آلائِه ودقائقِ نَعمائه .

حمداً تتعطر مَجارى الأنفاسِ بنفحةٍ من نفَحاتِه ، وتتدفّق بِحارُ الأفكار برَشْحةٍ من رَشَحاتِه .

وأُصلِّ ذلك ـ مادمتُ أنطق بكلام ـ بصِلاتِ صَلاةٍ وأتمِّ سلام ، على مَن أبْدعَ مُنْشِئُ الوجودِ إنْشاءه على أحْسنِ فِطْرةٍ وأجملِها ، ونظَم به عِقْدَ الدِّين بعد نَثْرِه فدعا لأتمِّ مِلّةٍ وأكْملِها .

الذى أُوتِىَ جوامعَ الكَلِم ، ولم ينطِقْ عن الهوَى ، فاقْتفى أثرَه عِصابةٌ ماضلَّ أحدٌ منهم باتِّباعه ولا غوَى [2] .

المبعوثِ فى زمنٍ هتَفتْ فيه مَصاقِعُ العربِ على منابرِ البلاغة ، وقيَّدتْ شواردَ المعانى فى [3] الأسماعِ بسلاسِلِ الذهبِ فلم يبْلُغْ أحدٌ بلاغَه .

فأبطل سحرَها المُبين ، متمسكا بحبلِ الله المتين ، وجاءها بالعِقد الذى تحلَّى به الزمانُ العاطِل ، والحقِّ الذى لا يأْتيه من بيْنِ يديه ولا من خلفِه الباطِل .

والرَّوضِ الذى تتفجّر عيونُ البلاغة عن أُصول مَعانيه ، وتتدفّق مِياهُ البراعة عن فُصول مَبانيه .

ونزّه أسماعَها فى حديقةٍ حُمِيت بشَوْكةِ الإعجاز ، فلم تلْمَس وُرودَها أيادِى [4] إيادٍ [5] ولا أنامِلُ [5] الحجاز [6] .

---

(١) فى ج : « وأستنيله » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ج : « هوى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٤) فى ج : « أيدى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٥) فى ب ، ج : « وأنامل » ، والمثبت فى : ا . (٦) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

فلله وبالله ذلك المفحِمُ المعجِز ، الذى أعْيَى على الواصف المُطْنِب والموجِز .

لا برِحَتْ الصلواتُ النّاميـاتُ فى كل أوان ، تحيّى مَرقدَه الشريف ماتعاقب المَلَوان .

ثم أحيّى آله الكرام ، وأصحابَه ذوى الاحترام ، بما يُناسب رُتْبَتَهم[1] السّامية ، من هذه التحية الزكيّة النامية ، وعليهم رحمةُ الله وبركاته .

وبعد :

فإنى مِن[2] منذ ألقيتُ الألواح ، وميّزتُ بين الصّباح والمِصباح .

جعلتُ الأدبَ لناظرِى مَلْمَحا ، واتّخذتُه لفكْرِى من بين المعارف مَطْمَحا .

وكنتُ أعُدّه لصحائف الشّمائل عنوانا ، وأرتّب ابيْت قصيدِه فى بدائع المآثر ديوانا .

وأشِيم من آفاقِه بوارقَ السِّحْر ، وأشمّ من أرْدانِه روائحَ الشِّحْر[3] .

فأرتَشِف[4] منه ماهو أشفَى من الماء فى زُجاجه ، وأشْتَفّ ماهو ألذّ من الرّحيق فى مِزاجه .

وأنا من الابتِهاج به[5] كما التقَى الغديرُ بالزَّهْرة ، ومن التّملّى به كما تقابلت الثُّريّا بالزُّهَرة .

فطالَما وردتُ منه ماصفَى من الأمْواه ، وبسَطتُ حِجْرى لالْتِقاط دُرره من الأفْواه .

وعكَف طَرْفى فى محاريب دفاتره ، ورَشَف[6] يَرَاعِى ماءَ الحياة من ظلُمات محابِره .

---

(١) فى ب : « رتبهم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) الشحر ، بكسر أوله وسكون ثانيه : الشط ، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان ، وهو يعنى العنبر الشحرى ، الذى ينسب إلى هذا المكان. انظر معجم البلدان ٣ / ٢٦٣ .

(٤) فى ا : « فارتشفت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٦) فى ج : « وشف » ، والمثبت فى : ا ، ب .

هذا وغُصْن شبابى غَضٌّ وَرِيق [١] ، وتَحايا مُدامِى عَضٌّ وَرِيق .

وأنا أجْرى فى طَلَق الصِّبا [٢] طَلْق الصِّبا [٢] ، وأذهب فى نَيْل البُغْيةِ مذْهبًا مذهبًا .

فكم ليلةٍ نادمتُ فيها الأمانى ، ووَفَى لى فى جُنْحِها بالضَّمان زمانى .

فتناولتُ أحاديثَ كالأرْياق [٣] ، نظَمْتُها كالعقود تلُوح من الأرْياق [٤] .

وذلك فى مَسْقِط رَاسِى ، ومُشتعَل ذُؤابةِ نبْراسِى .

خِطَّة السُّرور والفرَح ، وحِلَّة القِدْح [٥] والقَدَح .

ومُنَى الأمانى ، ومَغْنَى الأغانى .

وقِبْلة القَبول ، وشَمْأَلة الشَّمول .

البلدة الفَيْحاء دِمَشْق ، الطَّيِّبة [٦] العَرْف والنَّشْق .

لا زال خَفَّاق النَّسيم يلعب بعذَبات فيها ، وهَطَّال السحاب يُراوِح دِمْنَتَها ويُغادِيها .

وحَيَّى الله أعِزّاها الذين بهم التَّقيت ، ونجومَ أُفْقِها الذين بصُحبتِهم ارْتقيتُ .

أيديهم يَهُزُّ له الأدب عِطْفه ، وآرائهم يمُدُّ به [٧] النَّدَى بِساطَ عواطفِه .

يَرْمُون عند هَدْر الشَّقاشِق [٨] فى [٩] حَدَق البَيان ، ويُصيبون بالكَلِم الرَّواشِق غرَضَ التَّبْيان .

ويتنافسُون من السِّحْر فى المناظِم ، وما يتصرَّفون فيه إلَّا على ذائقة الأعاظم .

---

(١) شجرة وريقة : كثيرة الورق . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) الأرياق : جمع الريق ، بكسر الراء ، وهو الرضاب وماء الفم .

(٤) ريق القميص ، بالكسر : ما أحاط بالعنق منه .

(٥) القدح ، بالكسر : اسم السهم قبل أن يراش ويركب نصاله .

(٦) فى ج : « طيبة » . والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ج : « له » . والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) الشقشقة ، بكسر الشين : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه .

(٩) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

من بدائعَ لو عثرَ عليها سَحَرةُ موسى لتابُوا ، وروائعَ لو اطَّلع عليها المصوِّرون لعدَلوا عن نَهْجِهم وأنابُوا .

وما منهم إلا مَن بطَش فيما انتَحى بباعٍ بَسِيط ، ولم يزَل عن موقفِ الصَّواب مِقْدارَ فَسِيط[1] .

وكان بَقِيَ للشِّعر خَصاصَة[2] فاستظْهروا على سَدِّها ، وأُنْشوطَة[3] استَنْهضُوا هِمَمَهم لشَدِّها .

صَنِيعُهم[4] صَيَّر الزمانَ من تقْصيرِه في وَجَل ، وأظنُّه أطْلَع الوردَ في خدِّ الربيعِ إشارةً لما عنده من الخجَل[5] .

فوسَمْتُ[6] في بحارِهم السَّفائن ، واستخرجتُ من محاسنِهم الدَّفائن .

واجْتنَيْتُ من ثَمراتِ خواطرِهم كلَّ يانعٍ مُسْتَطاب ، وحشَوْتُ صَدفةَ أُذْنِي من تلك اللآلِئ الرِّطاب .

وملأتُ السمعَ منهم كلِماً يحسُد القلبُ عليه الأذُنا

لكنِّي لم أقْضِ من رُؤْيتِهم مَطْمَعاً ، حتى غرَبوا هُم وشمسُ الفضلِ معاً .

فعايَنْتُ الوجودَ دونَهم كالنَّهار بلا شَمْس ، وعايَنْتُ الأمْرَ ولا هُمْ كالراحة بلا خَمْس .

وفقَدتُ بهم الوَطرَ الذي شايَمْتُه ، والأمَلَ[7] الذي على الوفاء والرِّعْيِ للذِّمَم بايَعْتُه .

(١) الفسيط : المقروف ، وقلامة الظفر . القاموس (ف س ط) .

(٢) فى ج : « خصاصته » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) الأنشوطة : عقدة يسهل انحلالها ، كعقد التكة . القاموس (ن ش ط) .

(٤) فى ج : « صغيرهم » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٥) فى ج : « خجل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٦) فى ا : « فرست » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٧) فى ج : « والأمر » ، والمثبت فى : ا ، ب .

فلم أَلْبَثْ حتى كَرِهتُ الثَّوَى ، وتحرَّكتْ عَزِيمتى لِدَاعِى النَّوَى .
فأنضَيْتُ لجهة الرُّوم العَزْم ، وأدخلتُ على حَرْفِ العِلَّة عاملَ الجَزْم .
«فِعْلَ امرئٍ جَدَّ جِدُّه ، وما رأيُه إلّا فى مَفْخَرٍ يستجِدُّه[1]» .
فإنّ فى الانْتِقال تَنْوِيهاً لخامِلِ الأقدار ، ولَوْلاه لم يَكْسُ البدرُ خِلْعَةَ الأبْدار .

وكذا الدُّرُّ ضائِعُ الحسنِ فى البَحْـ ـرِ فإنْ بانَ عنه راقَ جَمالَا[2]
ومِياهُ البِحارِ مِلْحٌ فمهما حَمَلتْها السَّحابُ عُذْنَ زُلالَا[3]

فدخلتُ أُمَّهاتِ بلادِها دورَ الخِلافة ، واستقرَيْتُ آخِراً بِقُسْطَنْطِينِيَّتِها ، لا زالت مَصُونةً مِن كلِّ آفة .
والدَّولةُ إذ ذاك بالكلمةِ الغالِبة تنْطِق ، والدُّنيا تتَوشَّح بتلك الحِمايةِ وتَنْتَطِق .
والأيامُ مُقْسِطة ، والأنامُ مُنْبسِطة .
والزمانُ كلُّه نَهار ، والمدارسُ كلُّها أزهار .
ومِلكُ الزَّمان السلطان محمد ، ختَم اللهُ بتأمينه ، مُذ صافحتْ آفاقَها أسِرَّةُ جَبِينه .
حدَّثتْ عن الحياةِ الخضِرةِ جَنَباتُها ، واستحال زُمُرُّداً وزَبَرْجداً نباتُها .

(١) يشير بهذا إلى قول الباخرزى ، فى مقدمة دمية القصر ١/٨ : «فعل امرئ جد فى طلب العلم جده ،
وما رأيُه فى عَسْجدٍ يستفيدُه ولكنّه فى مفْخَرٍ يستجِدُّه»
والباخرزى أخذ قوله هذا من أبى الطيب ، حيث قال :
وما رغْبتى فى عسجدٍ أستفيدُه ولكنها فى مَفْخَرٍ أستجِدُّه
ديوان المتنبى ٥٥٤ .
(٢) فى ب : « أحسن الدر » ، وفى ج : « أحسن البدر » ، والمثبت فى ا .
(٣) فى ب ، ج : « صرن زلالا » ، والمثبت فى ا .

والأفئدةُ بطاعته تَدِين ، وقد تَهَنَّى بمكانه الدُّنيا والدِّين .

ورأيتُ أستاذيَ الشيخ محمد بن لُطْف الله[1] الذي توجَّهت بكُلِّيَّتِي إليه ، وأوقفتُ أملِي مُذ أنا يافعٌ عليه .

وهو مَقْصِدُ الواصِفِ والمادِح ، ومُلْهِجُ لسانِ النَّاطِقِ والصَّادِح .

وقد استوفَى من الصَّدارةِ تمامَ العِزَّة ، وأوفى[2] شرفُه على[3] كلِّ الأعِزَّة .

وكان للأدب ممن[4] تلاقَى ذَماه[5] ، ورَوَى ببِشْره ظَمَاه .

فأصبحت حسَناتُ الدهر به مَوْفُورة ، وسيِّآتُه بوجودِه مغْفورَة .

ونَفَضتْ لديه عَلائِقُ التَّرحال[6] ، ورَفْرفَتْ عليه آمالُ الرِّجال .

من كلِّ مَن اتَّخذ الأدبَ مَفْخراً يُرغِم به أنوف[7] الفاخرين ، والثناء الجميل مُدَّخَراً ، وهو لسانُ صِدْقٍ في الآخِرين .

فحَاسَيْتُهم بحَضْرته كُئُوسَ مَوَدَّة أصْفَى من الماء ، وتلقَّيْتُ منهم كلَّ نادرةٍ تفضح نجْمَ السَّماء .

ثم لمَّا قضى الله موتَ الأستاذ ، برَّد الله حُفْرتَه ، ونوَّر بنُورِ الغُفْرانِ غُرَّتَه .

قضاءً منه سبَق في بريَّتِه ، وسوَّى فيه بين آدمَ وذُرِّيَّتِه .

---

(١) محمد بن لطف الله بن زكريا ، الشهير بشيخ محمد العزتي .

ولد في صفر ، سنة تسع وثلاثين وألف ، وكفله عمه شيخ الإسلام يحيى بعد وفاة والده ، واعتنى به ، فقدمه إلى علماء عصره ليقرأ عليهم .

اشتغل بالتدريس والقضاء ، واستقر في الذروة العالية من قضاء العسكر ، ورئاسة العلماء ، وجمع من الكتب مالا يدخل تحت حصر حاصر .

توفي ثالث عشر شوال ، سنة اثنتين وتسعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/ ١٣١ – ١٤٢ .

(٢) في ا : « ووافى » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

(٤) في ب ، ج : « من » ، والمثبت في : ا .

(٥) في ا « ذماه » ، وفي ب : « ذمامه » ، والمثبت في : ج ، وجاء مسهلا ليوافق الفاصلة الآتية . والذماء : بقية الروح . (٦) في ا : « الرحال » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٧) في ا : « أنف » ، والمثبت في : ب ، ج .

رأيتُ الدهرَ قد عاندنى فى الدّيار والأحباب ، وكسانى المَشيبَ[١] قبل أن أعرفَ مقدارَ حقّ الشّباب[٢] .

وقد وَلَّتنى الثلاثون أذنابَها ، وصبّت علىّ المصائبُ ذنابَها .

وغاب هلالُ الصِّبا فى مغاربه ، وألقيتُ حبلَ الصِّبا على غاربه .

بعد ما كان ذَرْعى عن هموم الأمر خاليا ، وحالِى بِبَرْدِ العيشِ حالِيًا .

فرمَيتُ الشّامَ بعزْمةِ المُنْتاب[٣] ، وقد رَضيتُ من الغنيمةِ بالإياب .

فخلّيتُها فى عصرٍ ذهب زُواؤه ، وفرَغ من المعارف إناؤه .

وعَضُد[٤] الأدب هَيِض[٥] ، وثَمَدُه[٦] بعد هُنَيْئة غَيِض .

حتى تقلّصتْ ذيولُ ظلالِه ، وبكتْ عيونُ المُنى على أطلاله .

والناسُ إمّا ساكتٌ ألفًا ، أو ناطقٌ خَلْفًا .

ولزمتُ كِسْرَ البيت ، وسكنتُ سُكونَ المَيْت .

مُتكفِّفًا بما فى يدى ، ومستدفِعًا ليومى وغدى .

وأنا فى الدنيا الموصوفةِ بالنّضارة ، من حماة النَّظّارة .

أرمُقها يَمْنَةً ويَسْرَة ، فلا أرى إلا همًّا وحَسْرة .

ولا أرانِى إلا كاسِفًا مُعَنّى ، وكأنّنى لفظٌ بلا مَعْنى .

فزمانُ فرَحى أقصرُ من التِفاتِ الحبيب ، وتلفُّتى للسّرّاء تلفُّتَ المريضِ للطّبيب .

فى أوقات أثقلُ من الحديث المُعاد ، وأطولُ من عُمْرِ الانتظار لوقت الميعاد .

لا سَمِيرَ لى أُوانِسُه ، ولا جليسَ عندى أجانِسُه .

---

(١) فى ج : « الشيب » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) المنتاب : المتاد المراوح ، والمنتاب أيضاً : الزائر . تاج العروس ١/٤٩٦ .

(٤) فى ج : « وعصر » ، وفى ب : « وعضو » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : « منيض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وهيض : مريض مكسور . (٦) الثمد : الماء القليل المتجمع ، أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر .

سوى أوراقٍ مزّقتها الرّيح ، وفرّقتْ شَملَها التّباريح .

ألتقطتُها كلَّ واحدةٍ من بُقْعة ، وجمعْتُها مِن كلِّ رَقٍّ رُقْعة .

أكثرُ مافيها أشعارٌ لأهْل العصر ، الذين ضاق عن الإحاطة بمفاخرهم نِطاقُ الحصْر .

مِمَّن رأيتُه فكانت رُؤيتُه لعَيْنِي جِلَاء ، أو سمِعتُ به فكانت أخبارُه لسَمْعِي حُلِي .

وكان كتاب « الرّيحانة » للشِّهاب[1] ، الذى أغنى عن الشمس والقمر ، وأطلع الكلام ألذّ مِن طيب المُدام والسَّمَر .

وناهيكَ بمَن استخْدَم الألفاظَ حتى قيل : إنّها له مِلْك ، ونظَمها فى أجْيادِ الطُّروس كأنَّها جواهِر لها كل سَطْر من سطورها[2] سِلْك .

لم يزَلْ من عَهْدِ صِباىَ ، قبل نَوْمِ سيارتى[3] شَمولى وصَباى .

أمْنِيَّةَ رَجائى الحائم ، وبُغْيةَ قلبى الهائم .

وشَمَّامتى التى أشْتَمّ ، ومَسْلاتى[4] متى أهْتَمّ .

وزَمْزَمةَ لِسانى ، وعَقِيلةَ استِحسانى .

حتى أودُّ لو كانت أعضاىَ كلُّها نواظِرَ تُبصِرُه ، بحيث لا تَمَلُّ لَحظًا ، وخواطِرَ تتذكّرُه ، على ألّا تَسأمَ حِفْظًا ، وألسِنة تُكرِّرُه ، بشَرْطِ ألّا تقْنَع لفظًا .

فخطر لى أن أقْدَح فى تذْييله زَنْدِى ، وآتِىَ فى محاكاته بما أجْتمع من تلك الأشْعار عندى .

---

(١) يعنى أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى ، شهاب الدين ، أديب عصره ، وصاحب التصانيف فى اللغة والأدب ، ترقى فى مناصب القضاء ، حتى أصبح قاضى القضاة ، رحل إلى بلاد الروم والشام ، واستقر آخرا بمصر على قضاء يتعيش منه إلى أن توفى سنة ١٠٦٩ هـ

خلاصة الأثر ١/ ٣٣١ ، صفوة من انتشر ١٢٨ ، وانظر مقدمة ريحانة الألبا ، تحقيق .

(٢) فى ب ، ج : « سطوره » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ب : « سيارتى » ، والمثبت فى : ا ، ج

(٤) فى ا : « وسلوتى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وقَصْدِى بذلك إشْغالُ الفِكْر ، لا الانْضِمام إلى مَن فاز بأَلى الذِّكْر .
وإلَّا ، فمَن أنا حتَّى يُقال ، أو إذا عثَرتُ عثْرةً تُقال .
سِيَّما إذا قُرِنتُ بمَن جاريْته فى مَيْدان الكلام ، أو ضُمِمْتُ إلى مَن باريْته وأنا لستُ له بارِىَ أقْلام[1] .

وإنِّى لو تطاولْتُ إلى الفلك ، وتناولتُ عن المَلَك .
واتخذتُ الدَّرارِىَ عُقودا ، وزَهْرَ المَجرَّة لفظًا منقودًا .
ما بلغتُ مكانَه ، ولا أمْكنتْ[2] من أمرِ البَراعة[3] إمْكانَه .
فأقدمتُ سائلًا من الله أن يجْعلَه سهلًا ، وأنا أستغفِرُه لتطلُّعِى لما لستُ له أهْلا .
وسوَّدتُ أعْيانًا بيَّضتُ بهم وَجْهَ الطُّروس ، وأحييْتُ لهم أبياتَ أشعارٍ كادت تُشارِفُ الدُّرُوس .

من كل لفظٍ أرقَّ من نَفْحة الزَّهْر فى الرَّوض لِلنَّاشِق ، وأحسنَ مَوقعًا من تَبسُّمِ المعشوقِ فى وَجْه العاشِق .

وأتيتُ فيهم بفصُولٍ تشهدُ لهم بالتَّفْضيل ، وتَقْضِى بأنَّ كلَّ وَصْفٍ فيهم فضُول ، بالإجمال والتَّفْصيل .

وإنِّى مُحاسِب لقَلَمِى إذا مال ، ولِلسانى إذا قال .
لا أمدحُ إلَّا مَمدوحًا ، ولا أقْدَح إلا مَقْدوحًا .
ولا يستفِزُّنى رَعْدُ كلِّ سَحابة ، ولا يستخِفُّنى طَنينُ كلِّ ذُبابة .
ورَقَمتُ من الكلام المُصرَّع ، والإنْشاء السَّاس المُرصَّع .
ما اسْتَنْبطتُه[4] من ذواتِ الصَّدْر ، وأَلْمَمْتُ به كالقمرِ ليلةَ البَدْر .

---

(١) فى ا : « الأقلام » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « مكنت » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ج : « البلاغة » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ا : «أستنبطه» ، والمثبت فى : ب ، ج .

فقراً ابتدعتُها وسجعتُها ، ومعانىَ آدابٍ اخترعتُها وألمعتُها .

تطرّزها الأقلام ، وترقّم بها أردية الكلام .

ولم أودع إلا ما حَسُن إيداعُه ، ولطُف مساغُه وإبداعُه .

وأقنعُ من القول بطرفه ، وأستجلب منه بدائع طُرَفه .

إذ لا فخر للاقط ، تناول كلِّ ساقط .

ولا فضلَ لمتخيِّر ، هو فى لمّ شعثِ ما يأتى به متحيّر .

فكم من بيتٍ إذا أخذ الإذنَ على الأذن تتجرّعه ولا تكاد تُسيغه ، وكم من معنى إذ حاول ناظمه لم يتأتَّ له كيف يصوغه .

وكنتُ عزمتُ على ألا أترجمَ أحداً ممّن ترجمه ، ثم عدلتُ : لأنى رأيت ألسنةَ النقّاد عن زيفِ بعض تراجمه مترجمة .

فإنه وإن نوّه بحزب ، إلا أنه قصّر فى الإطراء بشعارهم ، وإن أطنب فى آخرين : إلا أنه لم يذكر عيونَ أشعارهم .

على أنه ـ نوّر الله مزارَه ، وخفّف من صحيفته يومَ العرض أوزارَه ـ أغفل من القوم حزباً بقايا ، وكأنه أومأ إلى قولهم : فى الزوايا خبايا[1] .

فذكرتُ من أغفله ذكراً شافياً ، وأعدتُ مما فوّته[2] قدراً كافياً .

ومن نظر بعين الإنصاف ، واتّصف من المعدلة[3] بأحسن الأوصاف .

علم بأنى أتيتُ بما يُرضى فى الجملة ، ولم[4] يقصر كلَّ التقصير فى الحملة .

فإنّ من أحسن قبلى وقبِل كلامُه ، وقلّ فى مثل هذا الغرض ملامُه ، إنما أحسن والدنيا شابّة ، وريحُ القبولِ هابّة .

---

(١) فى ا ، ب : « بقايا » ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ا : « فوقه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب ، ج : « العدالة » ، والمثبت فى : ا . والمعدلة ، بكسر الدال وفتحها : العدل .

(٤) فى ب ، ج : « ولا » ، والمثبت فى : ا .

والأيّامُ مُساعِفَة ، والأوْقاتُ مُساعِدَة .

والسُّعود قائِمَة ، والنُّحوس نائِمَة .

وأنا قد وُجِدتُ في زَمانٍ هَرِمتْ فيه البُلْغة ، وفَتَرت الدَّعوة وكَسَدت السِّلعة ، وبطَلَت الصَّنْعة .

وأعظمُ شيء في الوجودِ تَمنُّعًا   نِتاجُ مُرامٍ من عقيمِ زَمانِ

وقد رتّبتُ الكتابَ على ثمانية أبواب :

البـاب الأول : في محاسن شعراء دمشق ونواحيها .

الباب الثـاني : في نوادِر أدباء حلب .

الباب الثـالث : في نوابغ بُلغاء الرُّوم .

البـاب الرابع : في ظرائِف ظُرفاء العراق والبَحْرَيْن .

الباب الخامس : في لطائف لطفاء اليمن .

الباب السادس : في عجائب [(١)] نبهاء الحجاز .

البـاب السابع : في غرائب نبهاء مصر .

البـاب الثامن : في تحائِف أذْكياء المغرب .

وسمّيتُه « نَفْحة الرَّيحانة ، ورَشْحة طِلاء الحانة » .

واللهُ سبحانه مُوفِّقي لما أردْتُه ، ومُسدِّدِي فيما أوْرَدتُه .

ولما شارَفْتُ فيه التَّمام ، ووقفْتُ في التَّبْييض على طَرَف الثُّمام .

نظرتُ فرأيتُ بَقِيَ عليَّ مِن أشْعار أهل الحِجاز واليمن حِصَّةٌ يَسِيرة ، كانت عليَّ في التَّحْصيل عَسِيرة .

فحِين مَنَّ اللهُ عليَّ ، وله المِنَّةُ ، والمِنْحة التي لا يَشُوبُها كَدَرُ المِحْنة .

---

(١) في ج : « تحائف » ، والمثبت في : ا ، ب .

بالحجّ والمجاورة فى بيته المحترم ، وبسمتْ لى من أهله ثغورُ الفضل والكرم .

حصّلتُ على ضالّتى التى أنْشد ، ووُقفتُ إلى مَن يُوصّل إليها ويُرشِد .

ورأيتُ ثَمَّةَ مِمّن لم أسمعْ بهم قوماً دعَوُا الأمَل فلبّاهُم ، وتصرّفوا بالأدب وأهله من منذ عُقدتْ عليهم حُباهُم .

من كلّ إمامٍ شابَ رأسُ المصابيح ومارأتْ له عَـديلا ، وخطيبٍ تقوّس ظهرُ المحاريب وما وجدتْ له بَديلا .

وحكيمٍ يبْرأ به الزمانُ من مرضِه ، وشاعرٍ يُجْرى حياةَ النفوس فى غرَضِه .

هم نشاطُ الدّهرِ وشبابُه ، وخالِصةُ المجدِ ولُبابُه .

كأنّ اللهَ قد[1] أوْحى إلى البلاغةِ أن تجرىَ بمرادهم ، وعهِد إلى البَراعة أن تكون ثِنْىَ أبْرادِهم .

فهبّت لى منهم أنفاسٌ نَدِيّة ، وتنفّستْ أسحارُهم بروائحَ نَدِيّة .

فكانت أعطرَ من نَشْرِ الخُزامى[2] ، وأرقّ من أنْفاسِ النُّعامى[3] .

فتناولتُ من أشعارِهم ما تمّمْتُه وشْياً مُذهّباً بذِكْرِهم ، وفتّقتُه مِسْكاً أذْفرَ بشُكْرِهم .

وراسلوني بكل حسَنة تستدْعِى عشْرَ أمْثالِها ، فقابلْتُهم كأنّنى المِرآةُ ألْقى كلّ صُورةٍ بمِثالِها .

وأنا وربِّ الكَعْبة أحبّهم دِيناً وجِبلّة ، وأتّخذهم حرَماً لأمانِيّ وقِبْلة .

وأشكرُهم شُكْرَ الرّوضِ للسّما ، وأثْنِى عليهم من الأرض إلى السّما .

ولمّا برَزتْ الإرادةُ الإلهيّة بمُفارقتى البيتَ والمَقام ، وبُعْدِى عن ذلك المحلّ الذى خيّم الرِّضا فيه وأقام .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) الخزامى : نبت ، أو خيرى البر ، زهره أطيب الأزهار نفحة . (٣) النعامى : ريح الجنوب .

عزمتُ على الرِّحلة إلى القاهرة ، لأسْبُر ذلك الجمْع ، وأطابق مابين العيان والسَّمع .
فمنعني حُكمُ القضا ، الذي لا يُقابَل إلّا بالرِّضا .
فوجّهتُ وَجهي نحو بلاديَ ، ونزعتُ إلى ماتركْته من طريفي وتِلادِي .
أستهدِي طُرَفَ الآثار لأودِعَها كتابَ التحائف ، وأخُطُّ نونَاتِ المنَى بأيدِي العِيسِ في تلك الصَّحائف .
فلمّا ألقيتُ بدمشقَ عَصا التّرحال ، وحَلّيتُ [1] في ساحتِها عُقْدَةَ الرِّحال .
عمَدتُ إلى مجْموعِي الذي انتحَيْت ، وطِلْقي [2] الذي إليه تنحَّيْت .
فضمَمْتُ إلى الأصْل ماتلقّيْته ، وأثبتُّ ما اختَرتُه من الأشعار وانتقيْتُه .
وحُبِّب إليَّ الانْعزال عن الناس ، فلم أخالِطْهم في وَحْشةٍ ولا إيناس .
إلى أن ورَد إلى دِمَشق الأستاذ زَيْن العابدين البَكْرِيّ [3] ، ولِلْحياة [4] عِطْفَة [5] بشَّة ، وللجذَلِ [6] نِعمة هشّة .
ولِلهضْبِ رَجاحُ [7] أحْتبائه [8] ، وللنور المقدّس جوهرُ حَوْبائه [9] .
فاستخرجني من مطْمورةِ المنزل ، وصيّرني عن الهمّ في معْزِل .
وأطلقَ أملِي وكان معقولا ، وأعاد خاطِري بعد الصَّدأ مصْقولا .
فنَمَّقتُ في أوقاتِه مَبْسِما ، واغتنمتُ للعُمْرِ الهنِيِّ موْسِما .
ورأيتُ بِشْراً يطّرِد وَصِيلا ، وإقبالا يتعاقَب بُكْرةً وأصيلاً .
وكان أشار إليَّ بالرِّحلة معه حين أن همّ بالرَّجْعة ، فتخلّفتُ لعائِقٍ خلَّفني لوْلوعِي ، وخلَّى بين الغرام وضُلوعِي .

(١) في ج : « وطويت » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) الطلق : غير المقيد .
(٣) سيترجمه المؤلف في القسم الخاص بعصر . (٤) في ا : « الحياة » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٥) في ا ، ب : « عطفه » ، والمثبت في : ج . (٦) في ا : « وللجدال » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٧) في ا ، ج : « زجاج » ، والمثبت في : ب . (٨) في ا : « أحبائه » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٩) الحوباء : النفس .

ذاكَ وُلوعٌ المجدِ لا إنْجْد ، وغَرامٌ بالعَلْيا لا للأفيا .

فلولا النَّفائسُ لم يُحْفَل بالأدْراج ، ولولا الكواكبُ لم تُحْفَظ الأبْراج .

ولا اتُّخِذَ الغِمْدُ لولا الحسام ، ولولا الأرْواح لم تُؤلَّف الأجْسام .

فبقيتُ مُوزَّعَ الفِكْرِ ، مُقسَّمَ الأناةِ بين التَّصوُّرِ والذِّكْر .

على أنِّي وإنْ تباعَدتِ المدائن ، فأنا بولائهِ وصِدْقِ مَودَّته دائن .

وإنْ لم تُنظِّمْنا الرِّكابُ المُسْئِدة [1] ، فقد انْتظمتْ منّا على المَودَّة [2] الأفْئِدة .

وهذه عَلاقةٌ تستجِدُّ كُلَّما تَبْلَى [3] ، لأنها ليْست لغَرض [4] يُبْلَى .

بل عَلِقْتُه لأخْلاقِه لا لأعْلاقِه ، وتعلَّقتُ بآدابِه لا بأهْدابِه .

وصِرْتُ أوَدُّ لو طِرْتُ إليه كلَّ مَطار ، وكنتُ معه على آمالٍ وأوْطار .

فبيْنما أنا أنتظِرُ لقُرْبِه [5] طَرِيقا ، وأطْلُب للوصول إليه فريقاً رفيقا .

إذ قدِم الشّام المولى الهُمام [6] الأعظم عبد الباقي المعروف بعارِف [7] ، قاضياً بمصر ، وهو مَن إذا كنتُ أذكُرُه أميلُ كغُصْن البانةِ النّاعِم النَّضْر ، وإذا مارُحْتُ أشكُرُه ، أروح كأنّي قد خُلِقتُ من الشُّكْر .

وأجِد نَسِيمَه إذا تنَسَّمْتُه ، كالمِسْكِ يُفْتَق بالنَّدَى ويُعطِّر ، وأجْتلِي منه كلَّما توسَّمْتُه خُلُقاً كزَاهِي الروض بل هو أعْطر .

مَن ابْتسَمتْ به الأيّامُ وكانت عابِسة ، وأوْرَقتْ غصونُ المُنَى بعد ما كانت يابِسَة .

---

(١) في ب ، ج : « المشيدة » والمثبت في : ا ، والإسْئاد : الإغذاذ في السير ، وسير الليل بلا تعريس ، أو سير الإبل الليل مع النهار . القاموس (س أ د) .

(٢) في ج : « المحبة » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٣) في ج : « تبلى » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٤) في ج : « لعرض » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٥) في ج : « إلى قربه » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٦) ساقط من : ا ، ب ، وهو في ج .

(٧) سيترجمه المؤلف ، برقم ١٤١ .

وأنارَ به وَجْهُ الزّمان ، وأخذَ الأنامُ من الدّهر توقيعَ الأمان .

فإنّه أمَدّه اللهُ بتوْفيقِه ، وسدّد سِهامَ رأْيِه بتفْويقِه .

تفرّد بجَمْع الكَمالاتِ فلا يُشْرَك ، وتوحّد فى اسْتِيعاب المعلومات فلا يُدْرَك .

فطالِبُ الثّناء فيه هيّن ، ومَرْكَب الإطْراء فيه لَيّن .

وإن من النّعْمَة(١) على المُثْني عليه ، أنّه لايحْذَر أن تُنْسَب نقِيصَةُ الكَذِب إليه .

ولا يُنْتَهى إلى محلّ فى ثَنائِه، إلا وجَد له عَوْنًا فى أثْنائِه .

ومن سَعادَةِ جَدّه ، وبلُوغِه فى الحظّ نِهايةَ حَدّه ، أنه إذا دَعَا له لم تجد عنه متخلّفا، بل يرَى كل راءٍ وسامعٍ إليه متحالفا .

فلما ترَوّيْتُ من ماء بِشْرِه ، ونَعِمتُ ولله (٢الحمدُ بتَقْبِيل٢) عَشْرِه .

أنْهضَنى القيامُ بذِمّتِه ، إلى أن أكونَ فى خِدْمتِه .

فصحِبْته مُصاحِبًا به المُنَى والأمَل ، وخدَمْته فكَسانِى شرفَ الشّمس فى بُرْج الحَمَل .

ولما حلَلْنا(٣) القاهرة أنْزلنى فى حِماه ، وأحلّنى حيثُ تدفّق سَيْبُ(٤) نُعْماه .

وتوافَق مع الأستاذ(٥) ـ مَدّ اللهُ فى جاهِه ، وجمّل النّوعَ الإنسانىّ بحياةِ أشْباهِه ـ على ترْوِيج حَظّى ، وفتَحا بنظَرِهما إلى الأمْنِيَة لَحْظى .

وخَصّانى مِن برّهما المُمتدّة أطْنابُه ، بمايعجِزُ عنه إسْهابُ القولِ وإطْنابُه .

ففتّقَا لسانِى بأمْداحِهما ، ووَزَنانى فرجحْتُ سائرَ مُدّاحِهما .

---

(١) فى ج : « النعم » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب ، ج : « النعمة على تقبيل » ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ا : « حللت » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) فى ج : « سبيل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) يعنى الأستاذ زين العابدين البكرى ، الذى تقدم حديثه عنه فى صفحة ١٣ .

وأنا الآن فى ظلّ رعايتهما مُصاحبُ الرّاحــةَ والدّعَة ، وأيْنَما حلّتُ نزلتُ على الرّحْبِ[١] والسّعَة .

فلهذا صَفَا فِـكْرى فى [٢]هــذه الأيام[٢] من الشّوائب ، وأمِنتُ — بعونِ الله — وَصْمةَ النّوائب .

وشَرَعتُ بأمْرِهما فى نَسْخ ماسَوّدْتُه أوّلًا وثانيا ، ولم أكن لِعِنان عَزْمى ثانِيًا .

وأنا سائلٌ مِن واهِب الآمال، أن يُبيِّضَ وجهى يوم[٣] عَرْضِ الأعمال .

ومن هنــا أشْرع فيما عَمدتُ إليه ، فأقول مُفوِّضًا أمرِى إلى الله ، ومُتّــكِلًا عليه :



(١) فى ج : «الراحة» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ج: « هذا الزمان » ، والمثبت فى: ا ، ب .
(٣) فى ج : « عند » والمثبت فى : ا ، ب .

الباب الأول

في محاسن شعراء دمشق ونواحيها


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لازالت[1] طَيِّبةَ القَرار والبَشام

وهى كما علِمتَ من عهد أن دخلتْها العرب، موطنُ[2] كلِّ أدب ، لك فيه الأرَب .

وقد أنجبَتْ فى كل وقت وأوان ، بقادة كلّ كلمة منهم بديوان .

حتى أرانا الله بقاياهم ، وأطْلعنا على خبايا زواياهم .

فهم أئمّةُ الفضل المتوّجون بتيجان اللطافة والملاحة ، وهم مَطْمَح أنظار الأمل ، فما غيرهم قيْدَ العيون اللمّاحة .

بهم تفضُل أهلُ البلاد ، وتصعَدُ إلى أُفق الثُّريّا ، وبهم يَمَسُّ بستانَ الفكر بعد ظَمائِه[3] رِيًّا .

فلا غَرْو أن قام بهم شِعارُ الأدب وثبَت ، وغُرِس فى قلوبهم شجرُ المحبّة فسُقِىَ ذلك الغَرْسُ بمائها فنبَت .

وكُلِّلت حِياضُ طروسِهم الزاهية بجواهر كلامهم وكَلِمِهم ، وزُيِّنت بعِقْيان الدُّرّ من منطقِهم المترجِم عن حقائق أحوالهم وأقوالهم .

فمنهم :

* * *

---

(١) فى ا : « برحت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ج : « مواطن » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) الظماء والظمأ : بمعنى .

١

أبو بكر [بن] منصور العُمَرِى *

قدّمْتُ هذا الشيخَ رعايةً لاسمِه ، مع أنّى أعلم أن له القيامَ على حدّ الأدب ورَسْمِه .

فهو الذى خاض فى لُجّتِه أتمّ الخوض ، وتفنّن فى أقسامِه تفنّن الأزهار فى مَسْرَحةِ الرّوض .

إن نَشِط لمغازلة الغِزلان فموصوفٌ بظَرف أبى عُبادة ، أو انتسب للتشبيب بقدودِ الغانيات فأين منه ابنُ مَيّادة (١) .

وإن انتدب لوصف (٢) الحَمَيّا والكاس ، أنسى ذِكْرَ خمريّات أبى نُواس .

وإن رثَى عمّ مراثِيَ أبى تمّام ، وأملى نياحةَ القُمْرِىّ على الحَمام .

---

* أبو بكر بن منصور بن بركات بن حسن بن على العمرى الدمشقى .

أحد الأدباء المتفننين ، جمع شعره بين براعة الألفاظ ، وبداعة المعانى ، وملاحة السباك ، وجودة التركيب .

وكان ينظم الموشح ، والدوبيت ، والزجل ، والمواليا ، والقوما ، والكان كان .

رحل إلى بلاد الروم ، والمشرق ، ومصر ، ولقى أماجد العلماء .

وكان يشتغل عطارا ، وهو بزى العلماء .

توفى سنة ثلاث وأربعين وألف ، وقد درج السبعين .

تراجم الأعيان ١ / ٢٨٨ ، خلاصة الأثر ١ / ٩٩ .

وما بين المعقوفين من : د ، خلاصة الأثر .

(١) يعنى أبا شرحبيل الرماح بن أبرد الذبيانى الغطفانى ، ينسب إلى أمه ميادة ، شاعر غزل رقيق هجاء ، توفى سنة تسع وأربعين ومائة .

الأغانى ٢ / ٢٦١ - ٣٤٠ ، معجم الأدباء ١١ / ١٣٤ - ١٤٨ ، المؤتلف والمختلف ١٨٠ .

(٢) فى ا : « إلى وصف » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فهو أعْوَم في بُحور الشعر من ابن قَادُوس[١]، وأصلح[٢] إذا جدّ وهزَل من ابن حَجَّاج[٣] وابن عبد القُدُّوس[٤].

له فكرة في النَّظم صافية، ماعُوِّقت له[٥] قطُّ[٦] قافية.

فإذا أمْلَى من نظمه قطعةً واخْتَلَبَها من رَوْض الجنان مُقْتطعة، لم يَدْنُه له إسْراع، ولم يجفّ له[٧] في يده يَرَاع.

وليس بتزْويق اللّسانِ وصَوْغِه ولكنّه ماخالط اللّحمَ والدّمَا

وقد حلَب الدّهرَ أشْطُرَه، وملأ كِتابَ عُمره أسْطُرَه.

وحادَث أحْداثَه، وبذّ كُهولَه وأحْداثه.

وأخبرني والدي، قال: رأيتُه ولِحْيَتُه أنْقَى من الفضّة، وأيامُ حياته قاربت أن تصير مُنْفَضَّة.

ومع أن[٨] السّنين[٩] لاكتْ قُوَاه، لم يزل مع الرّكب اليمَانِين هَوَاه.

ومضى زمنٌ وأدباء الشّام به يحتفلون، ويحكّم بينهم فيما هم فيه مختلفون.

وبلغني أنه كان يحضر السوق، وهو من كَسْب يمينه على جانب من الوُثوق

---

(١) في ب: «أبي قادوس»، وهو خطأ، صوابه في: ا، ج.

وهو أبو الفتح محمود بن إسماعيل الدمياطي، المعروف بابن قادوس، من كتاب الإنشاء بمصر، ومن شعرائها، توفي بمصر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

أخبار مصر، لابن ميسرة ٢/ ٩٧، الأعلام ٨/ ١٤، خريدة القصر، قسم مصر ١/ ٢٢٦ ـ ٢٣٤.

(٢) في ج: «وأملح». والمثبت في: ا، ب. (٣) يعني أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد، شاعر غلب عليه الهزل في شعره. وكاتب من كتاب الدولة البويهية، توفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

وفيات الأعيان ١/ ٤٢٦، يتيمة الدهر ٣/ ٣١.

(٤) يعني أبا الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي، شاعر برز في الحكمة، وذخر شعره بالأمثال. اتهم بالزندقة، وقتله المهدي العباسي نحوا من سنة ستين بعد المائة.

تاريخ بغداد ٩/ ٣٠٣، فوات الوفيات ١/ ٣٩١، نكت الهميان ١٧١.

(٥) ساقط من: ج، وهو في: ا، ب. (٦) بعد هذا في ج زيادة: «لها».

(٧) ساقط من: ا، ب، وهو في: ج. (٨) ساقط من: ا. (٩) في ج: «السنين».

عامــلًا بالأثر : « لو كنتُ تاجراً لاتّجرتُ بالطِّيب إن فاتَني رِبحُه مافاتَني رِيحُه » .

فانظر إلى ماسافه كَساد سُوقِه ، وضَيْعةُ حُقوقِه .

على أن له فى سُوقَةِ[1] الفضلاء أُسْوة ، وكأنه استعار منهم لأشعارِه كِسْوة .

هاتان الفقْرتان للباخَرْزى[2] ، احْتَجْتُهما ، فنى هذا المحلّ أَدْرجْتُهما .

قال : « وهم : نصر بن أحمد الخُبْزُرُزِّى[3] ، وأبو الفرج الوَأْواء الدِّمَشْقيّ[4] ، والسَّرِىّ الرَّفَّاء المَوْصِلِىّ .

قال[5] : وهم الذين إذا تُلِيتْ آياتُهم المَنْسوقة ، كان من تقدّمهم من الأدباء عندهم سُوقة .

أما نصر ، [6]فكان يصنع خُبْزَ الأُرْز بالبَصرة وتجتمع الأدباء بحانوته[6] .

وأما أبو الفرج فقد[7] كان يسعى بالفواكه رائحا وغاديا ، ويتغنَّى عليها مُناديا .

وأما السَّرِىّ ، فقد كان يَطْرِز[8] الخِلَق ، ويرفأ[9] الخِرَق ، ويصف تلك العِبْرة ، ويزعُم أنه يَسْترزِق الإبْرة .

وكيف ما كان فالحِرفةُ[10] لا تخلو[11] من حُرْفَة[12] ، والصَّنعة[13] لا تنجو

---

(١) السوقة : الرعية . (٢) ذكرهما فى كتابه دمية القصر ، عند ترجمة أبى هلال العسكرى ، وانظر القول الآتى أيضا ، فى هذا الموضع . دمية القصر (الطباخ) ١٠١ . (٣) فى الدمية : « الخبز أرزى » ، والمثبت فى الأصول ، وكلاهما صواب . انظر اللباب ١/٣٤٣ . (٤) ساقط من الدمية .

(٥) هذا القول المحبى . (٦) ساقط من : ب ، وهو فى ج ، وفى دمية القصر : « فقد كان يدعو الرقاقة الأرزية ، ويشكو فى أشعاره تلك الرزية » . (٧) فى ب : « فإنه » ، والمثبت فى ا ، ج ، والدمية . (٨) فى ب ، ج : « يطوى » ، والمثبت فى : ا ، والدمية . (٩) فى ب : « ويرف » ، وفى الدمية : « ويرفو » ، والمثبت فى ا ، ج . (١٠) فى الدمية : « فهذه حرفة » . (١١) فى ا : « تخلق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والدمية . (١٢) فى ج : « حرقة » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والدمية ، والحرفة ، بالضم : الاسم من الحرف ، بالضم أيضا ، وهو الحرمان . اللسان (ح ر ف) ٩/٤٣ . (١٣) فى الدمية : « وصنعة » .

من ضَرْعة(١) ، والبِضاعة(٢) لا تسلَم من إضاعة ، والمتاع(٣) ليس لأهله به استمتاع » .

وأخبرت أنه كان سَمُوحاً(٤) بما مَلَك ، متخلياً عن الإمساك أيةً سَلَك .

يضمُّ يدَيْه على النَّقْدَيْن ، فلا يُمْسِي إلا وهو منها صِفْر اليدَيْن .

وقضى عُمرَه في بُلَهْنِيَة(٥) هَنِيَّة ، أغصانُ عيشها مازالت جَنِيَّة .

لم يغادِرْه بُوس ، ولم يكدِّرْه يومٌ عَبُوس .

بين رياضٍ مُهَزَّات نَبْتها رَيَّانة ، وغِياضٍ أساجيعُ أطْيارها مِرْنانة .

وقد وقفتُ من أشعاره الغضة التُّحَف ، مابه دِيباجة كتاب(٦) اللَّطائف والبدائع تُحَف .

فأوردتُ منه(٧) مايهزّ له الشيخ عِطْف غُلام(٨) ، ولا يُدْرَى أسِحْرٌ هو أم كلام .

فمنه قوله(٩) :

لو تمَّ لي في الحبّ سَعْدي ... ياحبُّ ما أخْلَفْتَ وَعْدِي(١٠)

لكن مقاديرُ القضا ... ءِ كأنَّها حكَمتْ بِبُعْدي

أو حظُّ كلِّ متيَّمٍ ... مِن حظِّه يُرمَى بِطَرْدِ(١١)

ياغائباً في القلبِ مِن ... نيرانِ فقْدِك أيّ وَقْدِ

ماكنتُ أدْرِي قبلَ بُعْـ ... ـدِك أن سهمَ جَفاك يُرْدِي

صَدَّيْتُ لرُؤْيتك العيو ... نَ علامَ تَرْميها بِصَدِّ(١٢)

---

(١) في الدمية : « ضرعة » . (٢) في الدمية : « وبضاعة » . (٣) في الدمية : « ومتاع » . (٤) كذا بالأصول . (٥) البلهنية : رخاء العيش . (٦) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٧) في ا : « له منه » ، وهو ساقط من : ج . (٨) في ج : « الغلام » ، والمثبت في : ا ، ب . (٩) القصيدة في تراجم الأعيان : ١ / ٢٨٨ ـ ٢٩١ . (١٠) في تراجم الأعيان : « يا غصن ما أخلفت » . (١١) في تراجم الأعيان : « من عكسه » . (١٢) في تراجم الأعيان : « علام ترويها » .

ياسيّدى إن كان لى ذنبٌ فقلْ أخطأتَ عبْدى
ماخنتُ عهدكَ فى المحبّـ ـةِ كيفَ حتّى خنْتَ عهْدِى
كلاّ ولا أفشيتُ سِرّ هَواكَ والأسرارُ عندِى (١)
وَلَهِى بحُبّكَ لم يزلْ وَلَهِى ووَجْدِى فيكَ وَجْدِى (٢)
أرضَى بأن أفْنَى وتَبْـ ـقَى أنتَ يامولاىَ بعْدِى
أخفيتُ حبّكَ فى الفؤا دِ تخطّه دمْعِى بخدّى
وَعَدا على جِسْمِى النُّحو لُ فعادَ للأسْقامِ يُعْدِى (٣)
مِحَنُ الهوى جُمِعت علىّ فلستُ أُحْصِيها بِعَدْ
فالسُّقْمُ يشهدُ والدُّمو عُ بوَحْدتى فى العشقِ وَحْدِى
يابدرُ سَلْ عَنّى الصَّبَا إن الصَّبا أدْرَى بِسُهْدِى
وابعثْ رسولَ الطَّيْفِ يُسْـ ـمِعْ ما أُعيدُ له وأُبْدِى
آهًا على زمنٍ لقد كانَ قَوْلى آه يُجْدِى
أيامَ وَصْلُ منكَ لمْ تقطعْ ولم تُوصَلْ بِرَدْ
والشَّمْلُ يجمعنا على حبٍّ يَوُدُّ بصدقِ وُدّ (٤)
وأضمُّ منكَ معاطِفًا بردتْ جَوِى وَجْدِى بِبَرْدِ (٥)
وتَميلُ إذ تَهْوِى إلى نحوى وجيدُكَ فوقَ زَنْدِى
وتقولُ عُجْبًا هل يَرَى مِثْلى وأهلُ الحسنِ جُنْدِى
والشمسُ والبدرُ المنيـ ـرُ سَمّاهُ جارِيَتى وعَبْدِى
والغُصْنُ يقْصِفُ قَدَّه إنْ قاسَ قامتَهُ بِقَدّى

(١) فى ا : « ولا أفشيت سر هواك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان .
(٢) فى تراجم الأعيان : « ولهى بحبك ... ولهى ووجدى » . (٣) فى تراجم الأعيان : « للأسقام بعدى » . (٤) فى ا ، وتراجم الأعيان : « بصدق ودى » ، والمثبت فى ب ، ج .
(٥) فى تراجم الأعيان : « ببردى » .

ومنحتني منك الوصا ل تبرُّعاً وهجرت صدّى[1]
فجعلت وجهك حضرتي وحديث راح لماك وِرْدي
وعلمت لمّا بان رَوْ ضُ الوجه أن الخدّ وَرْدي
وشهدت لمّا ذقت طعْ م الرِّيق أن الثغر شهْدي
والفرق يشرق صبحه في ليل فرع منه جَعْد[2]
فأطعت فيك صبابتي وعصيت لُوّامي وزُهْدي
وقضيت أوطاري وقد غفل الرقيب فنلت قصدي
والخصر أتهمني بأنْ بت في أكناف نجد
والرِّدْف زاد وقد تكفّ ل منَّةً منه برِفْدي[3]
أحبب بتلك لياليا قد أشرقت ببدور سعدي[4]
فسقى معاهد للصِّبا صوبُ العهاد بكل عهد
وسرت بها روح الصَّبا سَحَراً فأحييت ميتَ بُعْدي[5]

وقوله من قصيدة مستهلها :

إنْ خلعنا على العذارِ العِذارا لم يكنْ ذاك في المحبة عارا

منها :

بأبي من جآذر الترك ظبياً ترك الأسد في هواه أسارى[6]
بابليّ اللحاظ منها ترى النا س سكارى وما هم بسكارى

---

(١) في ب : « وهجرت صدى » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٢) في تراجم الأعيان : « في ليل شعر » ، ورواية النفحة توافق رواية إحدى نسخ تراجم الأعيان . (٣) في تراجم الأعيان : « وقد تكفل منّة منه » . (٤) في تراجم الأعيان : « أحسن بتلك لياليا » .

(٥) في تراجم الأعيان : « ميت بعد » . (٦) في ا : « من جآذر الترك » ، والمثبت في : ب ، ج .

قمرٌ فوق بانةٍ يتجلَّى لا خسوفًا يخشى ولا إقصارا[1]
تجِذَ الطَّرْفَ منْهلا عند مَسْـ ـراه ولكن تبوَّأ القلبَ دارا
قد علمنا أن القدودَ غصونٌ فلماذا أقلَّتِ الأقمارا
وعهدنا البدورَ فى اللَّيلِ تَسْرى كيفَ حتَّى غدَتْ تسيرُ نهارا
وعجبنا لوجنةٍ تُشْبِهُ النا رَ ضِراماً وتُنْبِتُ الجُلَّنارا
يالَها وجنةً حكَت جنةَ الحسْـ ـنِ ومنها الفؤادُ آنسَ نارا

ومنها :

قدِّمِ الرَّاحَ يانديمى لعلِّى أعقِرُ الهمَّ إن شربتُ العُقارا
وأجِلْ كاساتِها علىَّ وزَمْزِمْ باسْمِ مَن صَيَّر العقولَ حيارى
قَهْوَةٌ مثلُ دَمْعةِ العينِ فى الـكا سِ صَفاءً فالليلُ زاد اعتكارا
وأدِرْها إذا النجومُ تجلَّتْ وشهدْنا من زَهْرِها الأنوارا
وكأن السَّماءَ روضةُ حُسْنٍ أطلعتْ فى مقامِنا أزهارا
والثُّريا كأنها فى الدَّياجى نسوةٌ هنَّ بالشُّعورِ عذارى
وكأن الهلالَ يحكى وقد لا حَ من الغربِ زَوْرقًا أو سِوارا
فاسْقِنى من يديْكَ حتى ترى الفجْـ ـرَ عن الصُّبحِ قد أماطَ الإزارا
وصِلِ الليلَ بالنَّهارِ فإن الْـ ـعيشَ أهْنَاهُ ما يكونُ جِهارا
فى رياضٍ حكى بها الزَّهرُ والوَرْ دُ النَّضيرانِ فضَّةً ونُضارا
وكأن الأقاحَ فيها ثغورٌ عن غوالى الجُمانِ تُبْدى افتِرارا
وحكى النهرُ مِعْصَما وسِوارا يتلوَّى وأرْقَما سيَّارا
فانْزِعِ الكأسَ لاعدِمتُك صِرفًا فعلى الصِّرفِ نَصْرِفُ الأعمارا

---

(١) ق ا : « لا يخشى خسوفا » .

ثم زِدْ ما اُستطَعتَ حتى تَرَانِى قد خَلَعتُ الوقارَ والبيقارا(١)
واعتقِدْ أنهـا حرامٌ ووِزْرٌ لا تُوافِق يهودَها والنَّصارَى
واسألِ العفْوَ فالكريمُ رحيمٌ قابِلُ التَّوبِ يغفِرُ الأوْزارا

* * *

وله فى الغزل :

سيِّدى مذغِبتَ عن نظرِى لم أُفِق من خَمرةِ الكدَرِ
أحسَبُ الصُّبحَ العِشا أبدا فنهـارِى أوّلُ السَّحَرِ
لم تَمِلْ رُوحِى إلى وَطنٍ لا ولا قلبى إلى وَطَرِ
سَلْ نُجومَ الأُفْقِ عن قَلَقِى فعسَى تُنْبيكَ بالخبَرِ
لا وعَيْنٍ فيـكَ راقدةٍ لم تَذُقْ عَيْنِى سِوَى السَّهَرِ
أيُّها البدرُ الذى حَجَبوا نُورَه الوَضَّاحَ عن بَصَرِى
لو تَرَى حالِى بكَيتَ علَى قَلْبِىَ المسْجُونِ فى سَقَرِ
كِدْتُ أخفَى من ضَنَى جسدِى عن عُيونِ الجنِّ والبَشَرِ

* * *

للشعراء فى وصف نُحولِ العُشاقِ مُبالَغاتٌ غالبها محمولٌ على الإغراق ، ومن أبلغها قولُ أبى بكر الخالدِىّ :

مُهدَّدٌ خانَه التَّفريقُ فى أمَـلِهْ أضناهُ سَيِّدُه ظُلْمًـا بمُرتَحَلِهْ
فَرَقَّ حتى لوَ انَّ الدَّهرَ قادَ لَه حَيْنًا لما أبصرَتْه مُقلتـا أجَلِهْ

وأعجب منه قول أبى الطَّيِّب(٢) :

(١) كذا فى ا ، ب ، ج ، وفى د : « والبيذارا » ، ولم أعرفه .
(٢) ديوان المتنبى ٢٠٩ ، ومعاهد التنصيص ١ / ٢٦١ .

ولو قَلَمٌ أُلْقِيتُ فى شَقِّ رأسِهِ … من السُّقْمِ ماغَيَّرتُ من خَطِّ كاتبِ

وغريب قول التَّمَّار الواسِطِى(١) :

قد كان لِى فيما مضَى خاتمٌ … واليومَ لو شِئْتُ تَمَنْطَقْتُ بهْ

وذُبْتُ حتى صِرْتُ لوزُجَّ بِى … فى مُقْلةِ النَّائمِ لم يَنْتَبِهْ

وقول المُظَفَّر بن كَيْغَلَغ(٢) :

عبدُكَ أمرضْتَه فمُدَّهُ … أتلَفْتَهُ إن لم تكُنْ تَرُدَّهُ(٣)

ذابَ فلو فَتَّشْتَ عليْهِ … كَفَّكَ فى الفَرْشِ لم تَجِدْهُ

وقول أبى الفضل بن العميد(٤) :

لو أنَّ ماأبقَيْتَ من جسمى قَذًى … فى العَيْن لم يَمْنَعْ من الإغْفاءِ(٥)

* * *

وللعمرىّ :

يامَن يُفَوِّقُ لحظُهُ … سَهْماً بسحْرِ الهُدْبِ رَاشَهْ

أفْديكَ ماريمُ الصَّرِيـ … ـمِ فداكَ يُنْسَبُ للوَحاشَهْ

يَرْعَى من الأرضِ الحشيـ … ـشَ وأنت مَرْعاكَ الحُشَاشَهْ

أجاد فى التَّنْظِير ، وأرْبَى على قول الآخر :

يَرْعَى القلوبَ وتَرْتَعِى الْـ … ـغِزْلانُ بَرْوَقَهُ وشِيحَهْ

(١) ذكر الباخرزى ، فى دمية القصر لوحة ٦٩ ا : « أبو الفرج محمد بن الحسين التمار الواسطى » ، كما ذكر الثعالبي ، فى يتيمة الدهر ٢/٣٧١ : « ابن التمار الواسطى » .
والبيتان فى معاهد التنصيص ١/٢٦٠ ، وذكر العباسى أنهما للتمار الواسطى ، وقيل : لنصر الخبز ـ يعنى نصر بن بن أحمد الخبز أرزى .

(٢) البيتان أيضا فى معاهد التنصيص ١/٢٦٠ . (٣) فى ا : « عبدك أتلفته » . والمثبت فى : ب ، ج ، ومعاهد التنصيص .

(٤) يعنى محمد بن الحسين . والبيت فى يتيمة الدهر ٣/١٧٧ ، ومعاهد التنصيص ١/٢٦٠ . (٥) فى يتيمة الدهر ، ومعاهد التنصيص : « فلو ان ما أبقيت » .

والبَرْوَقة : شُجَيْرة تخضرّ إذا رأت السَّحاب[١] ؛ وذلك قولهم : « أشكَرُ من بَرْوَقة »[٢].

وعلى هذا المعنى حُمِل قول أبى الطَّيِّب[٣] :

* أغذاء ذا الرَّشإِ الأغنّ الشِّيحُ *

بعد قوله :

* جَلَلاً كما بِى فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ *

يقول : لِيَكُنْ تبريحُ الهوى عظيمًا مثل ما حلّ بى ، أتظنُّون أن مَن فعل بى يَغْتَذِى الشِّيحَ ؛ ماغذاؤه إلا قلوبُ العُشّاق !

وبه يتناسب شطرا البيت .

وله فى غلام بحَنَكِه طابعٌ تمّت به محاسنُه ، وكأنما هارُوتُ ساكِنُه :

غُصْنُ بانٍ فوقَه بَدْرُ دُجًى يتجلَّى من أعالِى فَلَكِهْ
قد حمَى بَرْدَ اللَّمَى مِن ثَغرِه طابَعُ الحُسْنِ الذى فى حَنَكِهْ
نصبَتْ أَلْحاظُه لِى كالَّذِى جاءَ مَنْ أوقَعنِى فى شَرَكِهْ

قوله : « قد حمَى » إلخ يحتمِل أن حِمايتَه من جهة أنه كالخاتِم ، ختم به على بَرْدِ اللَّمَى ، ويحتمِل أن يكون حَماهُ لكونه كالحُفْرة فى طريق مَن يُرِيد رَشْفَ لماه ، فيخاف مِن الوقوع ؛ وهذا تخيُّلٌ حسَن .

وأحسن منه قولى :

وطابِعُه جُبٌّ يُرَى ألفُ يُوسُفٍ به وَاقِعاً من قبلِ رَشْفَةِ رِيقِهِ

والطابع كالخاتم : فى الأصل ما يُطْبَع به ، ولم أرَ إطْلاقَه على النُّقْرةِ المعْهودة ، وإنما اسْمُها فى اللغة : نُونَة .

---

(١) فى ا : « السحابة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) انظر اللسان (ب ر ق) ١٠/١٨ ، مجمع الأمثال ١/٢٦٢ . (٣) ديوانه ٥٩ ، وهذا عجز البيت ، والآتى بعد صدره .

قال ابن الأثير فى « نهايته » [1] : وفى حديث عثمان رضى الله عنه ، أنه رأى صَبِيًّا مَلِيحًا ، فقال : « دَسِّمُوا [2] نُونَتَه ؛ كى [3] لا تُصِيبَه العين » . أى سَوِّدوها ، وهى النُّقرة التى تكون فى الذَّقَن .

وقد استعمل صاحبُنا الأديب البارع إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلانِيّ [4] النُّونَة ، وأجاد فى تشبيهها جداً ، من أبيات أنشدنيها من لفظه ، وبيتُ النُّونَة منها قوله :

وإن أشْبَهَ التُّفَّاحَ خَدَّىَ حُمْرَةً فلى نُونَةٌ تَحْكى مَناطَ عُروقِه [5]

والأبيات هى هذه :

بِرُوحِىَ ساقٍ قد جَلا تحت فَرْعِهِ جَبِينًا كبَدرِ التِّمّ عند شُروقِهِ
سَقانى بِنَجْلاوَيْهِ كأْسًا من الهوَى فأسْكرنى أضعافَ سُكْرِ رَحِيقِهِ
وقال افْترِعْ بِكْرَ المعانى تَغزُّلًا فلى مَنْظَرٌ يَهْدِيكَ نحوَ طريقِهِ
فوجْهِىَ مثلُ الرَّوْضِ إذ باكَرَ الحيا جَنِىَّ أقاحِيهِ وغَضَّ شَقِيقِهِ [6]

وإن أشبه التفاح . . . . إلخ .

ثم أنشدنى المذكور معنًى آخر في تسويدها ، وذلك قوله :

خافوا مِن العينِ تَرْمِيه بنَظْرتِها فقلتُ مِيلُوا إلى تسْويدِ نُونَتِهِ
قالوا نُسَوِّدُها بالطِّيبِ قلتُ لهمْ الطِّيبُ مِن غيرِه أحْرَى بِجُونَتِهِ

وكنت أظن أن وَصْف الطابع ليس بالموجود فى شعر المتقدمين ، حتى رأيته فى شعر فخر الدولة أبى المعالى ، من شعراء « الخريدة » ، حيث قال فى غلام اسمه يوسف :

---

(١) النهاية ٥/١٣١ ، وانظر الجزء الثانى ١١٧ . (٢) فى الأصول : « وسموا » ، والتصويب من النهاية . (٣) ساقط من الأصول ، وهو فى النهاية . (٤) ستأتى ترجمته برقم ٤٦ .

(٥) فى ا ، ج : « على نونة » ، والمثبت فى : ب .

(٦) فى ب : « قد باكر الحيا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أيا قمراً جارَ في حُسْنِهِ ... على عاشقيهِ ولم يُنْصِفِ
سمِعْنا بيوسُفَ في جُبِّهِ ... ولم نسْمعِ الجُبَّ في يُوسُفِ

ثم رأيت الخفاجيَّ ذكر في كتابه « شفاء الغليل »[1] : جُبُّ يوسُف مُولَّد ، معناه نُقْرة الذَّقَن .

وأنشد البيتين .

ثم قال : ويقال له خاتِم الحُسْن .

وأما النُّقْرة التي تكون في الخدَّين عند التبسُّم ، فقد استعملها كُشاجِم في أبياته المشهورة ، وهي[2] :

هـذا الذي سجد القَضيب لقَدِّه ... صَنَمٌ لعـابدِ فِتْنَـةٍ لاهُوتْ
في ناظِرَيْه إذا تبسَّم ضاحِكاً ... سِحْرٌ وجَوْهَرُ خدِّه ياقوتْ[3]
حفَرَ التبسُّم فيهما جُبَّيْنِ في ... ذَيّاكَ هاروتٌ وذَا ماروتْ

* * *

وأما اسمُها فقد رأيتُ المَقَّريَّ ذكر في « تاريخه »[4] ناقلا عن ابن عُلَيْم[5] ، أنه قال في شرحه[6] لـ « أدب[6] الكاتب » لابن قُتَيْبَة :

أغربتْ جارية لمجاهد العامِريّ[7] ، أهداها إلى عبّاد[8] ـ قلت : وهي العبّادية ،

---

(١) شفاء الغليل ٧٠ ، والبيتان السابقان فيه ، ونسبهما الخفاجي للأصفهاني ، ولم يذكر نسبتهما لفخر الدولة .

(٢) ليست هذه الأبيات في ديوانه المطبوع . (٣) في ج : « وجوهر ثغره » ، والمثبت في ا ، ب .

(٤) نفح الطيب ١/٤٨٩ . (٥) هو أبو الحزم الحسن بن محمد بن يحيى بن عليم البطليوسي ، المتوفى سنة ٥٧٦ هـ . انظر مقدمة السيد أحمد صقر لتأويل مشكل القرآن ٢٠ . (٦) في ج : « أدب » .

(٧) هو مجاهد بن عبد الله العامري ، أبو الجيش ، كان يقظا ، شجاعا ، أديبا ، وهو مؤسس الدولة العامرية في دانية وميورقة ، توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

بغية الملتمس ٤٥٧ ، جذوة المقتبس ٣٣١ ، معجم الأدباء ١٧/٨٠ ، ٨١ .

(٨) في الأصول : « لابن عباد » ، وهو خطأ صوابه في نفح الطيب ، وهو يعني المعتضد عباد بن محمد ابن إسماعيل اللخمي ، صاحب إشبيلية ، المتوفى سنة إحدى وستين وأربعمائة ، أما ابنه المعتمد محمد بن عباد ، فقد توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

فوات الوفيات ١/٤٢٤ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ١٥٥ .

وكانت كاتبةً شاعرةً ــ على علماء إشْبِيلِيَّة ، بالنُّقْرة [1] التى تظهر فى أذْقان بعض الأحْداث، وتَعْترى بعضهم فى الخدَّيْن عند الضَّحِك ، فأمّا التى فى الذَّقَن فهى النُّونَة [2] ، وأما التى فى الخدَّيْن عند الضَّحِك فهى الفَحْصة ، فما كان فى ذلك الوقت فى إشْبِيلِيَّة مَن عرف منهما واحدة .

* * *

وللعَمْرِىّ فى دُخان التَّبْغ :

مُذ أحْرَقَتْ نارُ الصَّبابةِ مُهْجتِى   وأتى العَذُولُ يَسُلُّ عَضْبَ لِسانِه

بادرتُ بالغَلْيون تمْويهاً له   وسترتُ عنه دُخانَها بدُخانِه

* * *

ومثله [3] للحَرْفُوشِىّ [4] :

لعمرُكَ لم أهْوَ الدُّخانَ ولم أمِلْ   إليه لألْقَى نَشْأةً وتطَرُّبا

ولكنَّنى أُخْفِى به عن مُجالِسِى   دُخانَ فُؤادٍ بالغَرامِ تلَهَّبا

وقريبٌ منه قولُ الفتح بن النحّاس [5] :

وأرَى التولُّعَ بالدُّخانِ وشُرْبَه   عوناً لكامِنِ لَوْعةِ الأحْشاء

فأُدِيمُ ذلك خوفَ إظْهارِ العِدَى   فأشِيْبُه بتَنَفُّسِ الصُّعَداء [6]

* * *

(١) فى ا : « بالفرقة » ، وفى ب : « بالتونة » ، وفى نفح الطيب : « بالغرمة » ، والمثبت فى : ج .

(٢) بعد هذا فى نفح الطيب : « ومنه قول عثمان ، رضى الله تعالى عنه : وسموا ــ كذا ، وتقدم أن معنه دسموا ــ نونته ، لتدفع العين » . (٣) ساقط من : ج ، وفى ب : « ومثلها » .

(٤) ستأتى ترجمته برقم ١١ .

(٥) فى ب ، ج : « أبى الفتح النحاس » ، وهو خطأ صوابه فى : ا ، وسيترجمه المؤلف برقم ١١٤ ، والبيتان فى ديوانه ٧٤ . (٦) كذا فى الأصول : « فأشيبه » . والذى فى الديوان ، وهو الصواب : « فأشوبه » .

وله فى تشبيه الثّلج :

انْظُرْ إلى الرّوضِ الأرِيضِ وحُسنِهِ ... ومَوائِسُ الأغْصانِ مثلُ الخُرَّدِ

والثلجُ فوقَ الصُّفْرِ مِن أوْراقِهِ ... شبّهتُه تشْبيهَ غيرِ مُفَنَّدِ

بُرادةً من فِضّةٍ منْثُوثةٍ ... فوق الصّحائفِ من نُضارِ العَسْجَدِ

* * *

ولى (١) فى هذا المعنى من مقصورة :

والثّلجُ كالقُطنِ أجاد نَدْفَهُ ... قَوْسُ السّحابِ فوقَ خُضْرةِ الرُّبَى

كأنّه بُرادةُ الأفْلاكِ مِن ... كثْرةِ دَوْرِها بقُبّةِ السّما

* * *

وله فى وصف جَواد :

رُبَّ طِرْفٍ من العِتاقِ كريمٍ ... يسبِقُ البَرْقَ حالةَ الإيماضِ

لو جرَى والجَنوبُ فى الجوِّ تَسْرِى ... علَّمَ الرِّيحَ كيف قَطْعُ الأراضِى

أو سَرَى مَعْ دُعاءِ آصفَ بالعرْشِ لكان البشيرَ بالأغْراضِ (٢)

وله مثله :

طِرْفٌ يفوتُ الطَّرْفَ فى لَمَحاتِهِ (٣) ... سَبْقًا ويهْزأُ بالظَّليمِ النّافِرِ

بالبَرْقِ يظفَرُ إن أراد لَحاقَهُ ... والبَرْقُ ليس إذا أرادَ بظافِرِ

وكأنّه آلَى ولم يَكُ حانِثًا ... أن لا يَمسَّ الأرضَ منه بحافِرِ

وهذا من قول خَلَف الأحمر فى صفة جواد :

---

(١) فى ا : « وله » ، والمثبت فى ب ، ج . (٢) يعنى آصف بن برخياء ، كاتب نبى الله سليمان ، عليه السلام ، وكان صديقا يحفظ اسم الله الأعظم ، الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب . تفسير القرطبى ١٣/ ٢٠٤ ، تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٤ ، وانظر القاموس (أ س ف) . (٣) فى ا ، ج : « طرف يفوق » ، والمثبت فى : ب .

وكأنما جهدتْ قوائمُه أن لا تمسَّ الأرضَ أربعُه

وزاد عليه شمس الدولة بن عبدان فى قوله :

أبتِ الحوافرُ أن تمسَّ بها الثرى فكأنه فى جريه متعلقُ

وهذا الباب مما بالغتْ فيه الشعراء كل المبالغة، فمن ذلك قول ابن نُباتة السَّعْدى (١) :

لا تَعْلَقُ الألحــاظُ من أعطافِه إلا إذا كَفْكَفْتَ من غُلْوائِه (٢)

وقول ابن حَمْديس الصِّقِلِّى (٣) :

يجرى فلمعُ البرقِ فى آثارِه من كثرةِ الكبَواتِ غيرُ مُفيقِ
ويكادُ يخرجُ سُرعةً من ظلِّهِ لو كان يرغبُ فى فراقِ رفيقِ

وقد جمع ابن خفاجة فى مرثيَّة فرس له فأوعى ، ودعا فُرسانَ البلاغــة فأجابته طوعاً ، حيثُ قال :

قال له البرقُ وقالت له الريحُ جميعاً وهُما ماهُما
أأنتَ تجرى معنــا قال لا إن شئتُ أضحكْتُكُما منكُما
هــذا ارتدادُ الطرفِ قد فُتُّه إلى المدى سَبْقاً فمن أنتُما

وقلتُ على أسلوبهم فى المقصورة :

وقد فدَ طويتُه بضامرٍ يُسابقُ البرقَ ويسبقُ القضا
يقبضُ رامى سهمِه عنانَه خشيةَ أن يُصيبَه من القفا (٤)

وأجْرَى جواد كان للعرب أعْوَج ، الذى يُضرَب به المثل ، وهــو فحل كريم ،

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٩٣ . (٢) فى ا : « لا تلحق » ، وفى ج : « لاتعلق » . والمثبت فى : ب ، ويتيمة الدهر . (٣) عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد ، ابن حمديس الصقلى ، شاعر مجيد ، له مدائح فى المعتمد بن عباد ، توفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، بجزيرة ميورقة .
التكملة لابن الأبار ٦٣٧ ، وفيات الأعيان ٢/٣٨١ .
والبيتان فى ديوانه ٢٨٨ .
(٤) فى ا : « من القفا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

كان لبني هِلال بن عامر [١] ، وأنه قِيل لصاحبه : مارأيْتَ من شِدَّة عَدْوِه ؟

فقال : ضَلِلْتُ في باديةٍ وأنا راكبُه ، فرأيتُ سِرْبًا من القَطا يقصِد الماء ، فتبِعْته وأنا أغُضُّ من لِجامِه ، حتى توافَيْنا الماء دُفْعَةً واحدة .

وهذا أغربُ شيء يكون ؛ فإن القَطا شديدةُ الطَّيَران ، وإذا قصَد الماء اشْتَدَّ طيرانُه أكثرَ من غير الماء .

وأغرب من ذلك قوله : « كنت أغُض من لجامه ، ولولا ذلك كان يسبق القَطا » وهذه مبالغة عظيمة .

وإنما قيل له أعْوَج ؛ لأنه كان صغيراً ، وقد جاءتْهم غارة فهربوا منها ، وطرحوه في خُرْج ، وحملوه لعدم قُدرتِه على مُتابعتِهم لصِغَرِه ، فاعْوَجَّ ظهرُه من ذلك ، فقيل له : أعْوَج .

وللعُمَرِيّ ، ويخرج منه اسم نُعمان :

لِلّهِ ماعايَنْتُ من رَوْضةٍ غنّاء قد قرّتْ بها عَيْنِي [٢]
حُوتان لم يختلِفا صورةً حفّا بماء سال من عَيْنِي

وله في اسم كريم :

أهْواهُ حُلْوَ الدَّلالِ ألْمَى قد لَذَّ في عِشْقِه العَناء
رِيقَتُه للرَّحيقِ تُعْزَى وكم بها للظَّما دَواء

وله في اسم وَلِيّ الدين :

ليالٍ بُعَيْدَ التَّنائي دَنَتْ ولانَتْ ولي عَزَّ إصْلاحُها
وعَيْنُ العِدَى سُكِّرتْ بالعَمَى وعَزَّ ضِياها ومِفْتاحُها

---

(١) انظر أنساب الخيل ٢١ . (٢) في ب ، ج : « في روضة » . والمثبت في : ا .

ونُقِل له عن باقي [1] ، شاعر الروم ، ومُميِّزها بين السادة القُروم .

أنه نظم أبياتا تغزَّل فيها بصَبِيّ صَبيح ، هو كما تهوى الأنفس مَليٌّ مَليح .

فلما وَعاها الغُلام استَبْدَعها ، واستَحْفَظَها خِزانة لُبِّه واستَوْدَعها .

وبلغ باقي ، أنه قال : قَبَّلْتُها ، ولو ظفِرتُ برِجْلِ قائلها قَبَّلتُها .

فقال باقي : إنْ كان نوى جميلاً لأجْلِي ، فلْيقبِّل فمِي لأنني به نظَمْتها ، لا برِجْلي .

فنظم العُمرِيُّ هذه المقالة في قوله :

قال لمَّا وصفْتُه ببديعِ الـ ... حسنِ نَظْمًا يجِلُّ عن وَصْفِ مِثْلي

مَكِّنِ العبدَ أن يُقبِّلَ رِجْلا ... كَ كَيْما يَحُوزَ فضْلا بفَضْلِ

قلتُ أنصِفْ فَدَتْكَ رُوحِي فإني ... بِفَمِي قد نظَمْتُه لا برِجْلي [2]

ومن هذا قول بعضهم :

شافَهَ كَفِّي رَشَأٌ بقُبْلةٍ ما شَفَتِ

فقلتُ إذْ قَبَّلها ياليتَ كَفِّي شَفَتِي

وللشَّاب مظَرِيف [3] :

ومُقَبِّلٍ كَفِّي وَدِدْتُ بأنه ... أوْمَى إلى شَفَتَيَّ بالتَّقْبيلِ

---

(١) يعني عبد الباقي ، سلطان الشعراء في الروم ، اشتغل بالتدريس والقضاء ، وتوفي سنة ثمان بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٦٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/٢٨٧ ـ ٢٨٩ ، ريحانة الألبا ٢/٢٧٠ ـ ٢٧٢ .

(٢) ذكر البوريني في تراجم الأعيان أبياتا ميمية ونونية أخرى للعمري .

(٣) ليس هذا البيت في ديوانه المطبوع ، وهو محمد بن سليمان بن علي التلمساني ، الشاب الظريف بن العفيف .

شاعر رقيق ، ولي عمالة الخزانة بدمشق ، وتوفي بها سنة ثمانية وثمانين وستمائة .

فوات الوفيات ٢/٤٢٢ ، النجوم الزاهرة ٧/٣٨١ .

ولأبي منصور عبد العزيز بن طلحة بن لؤلؤ[1] :

سألتُه قُبلةً فبادرَ بالتقْـ ـبيلِ مُستبشِراً إلى قَدَمي

فقلتُ مولايَ لو أردْتَ بها سرورَ قلبي جعلْتَها بفَمي[2]

فقال كلّا للعبْدِ منزِلةٌ لُزومُها من حراسةِ النِّعَمِ

❁



٢

إبراهيم بن محمد الأكرميّ الصالحي*

شاعرُ الزَّمان ، وشَمامةُ النُّدْمان .

ومَن إليه يصبُو القلبُ ويحِنّ ، وبتَذكُّرِه يَنْثَني غُصْنُ البَراعة ويَرْجَحِنّ .

في أوصافِه مَشَمٌّ للرُّوح عَبِق ، ولُطفٌ يُروِّق به كأسَه المُصْطَبِح والمُغْتَبِق .

فرَوْضُ وُدِّه غَضٌّ ، وعِرضُه الطَّاهر لا يُنال منه ولا يُغَضّ[٣] .

ومُدامة طبْعِه لم يَهْصِرْها عَصَّار[٤] ، وشُفوف فِكْره لم يحتمِل مِنّةَ قَصَّار[٥] .

مع ما لَه من أخلاقٍ أطْعمها الرَّوْضُ أنفاسَه ، وشِيَمٍ يُنافَس فيها رَغْبةً ونَفاسَة .

وأدبٍ دار به رَحيقُ البيانِ المُعتَّق ، وملأ الأكْمام بزهر كَمامه المُفتَّق .

---

(١) ذكر الثعالبي أنه كان صاحب بريد الخليفة القادر بالله ، وذكر له الأبيات . تتمة اليتيمة ١/٨٢ .

(٢) في تتمة اليتيمة : « إن أردت بها » .

(*) إبراهيم بن محمد الدمشقي ، الصالحي ، المعروف بالأكرمي .

شاعر قوي الشعر ، جمع شعره بين جزالة الألفاظ ، وعذوبة المعاني .

ويرى المحبي أنه أحسن شعراء هذا التاريخ ؛ أطول باعه في فنون الشعر بأجمعها ، وحسن انسجام كلماته ورونقها .

أخذ الأدب عن أبي المعالي الطالوي ، وعبد الحق الحجازي ، وعنهما تخرج ، وبهما برع .

توفي سنة سبع وأربعين وألف ، ودفن بسفح قاسيون .

خلاصة الأثر ١/٣٩ .

(٣) في ا : « يغض » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٤) في ب : « عفار » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٥) القصار : محور الثياب ومبيضها .

يَنْشر[١] منه ماهو أزْكى من النَّشْر فى خِلال النَّواسِم ، بل أحْلَى من الرِّيق يتَرَقْرق فى خلال المباسم .

ومضَى عليه زمَن يستفيد به العيشَ رغدًا ، ويستنجِزُ اليومَ مايُوعَد به غدا .

بين رَوْض من خُلقِه خَلِق ، ونسيم عَرْفه بشمائله عَلِق .

جلاليب نَشْوته صِفاق ، وأرْدية شَمُوله وصَباه رِقاق .

لا ينْتعِش إلا بغُرَّة رَقْراق الشباب الغَرير ، ولا يُولَع إلا بطُرَّة الظل فوق وجه الغدير .

فهنالك بين الغصن والصَّبا ، والقَطْر وزَهْر الرُّبى .

وَلَّد آدابَه التى هى عبارة عنها ، وأطْلَع أشعارَه التى يُستعار الحسنُ منها .

وقد جمع شعرَه فى ديوان سمَّاه « مقام إبراهيم ، فى الشعر النَّظِيم » .

أكثرُه رَوْضيّات يَغَض[٢] عندها وَشْىُ الخميلة ، وغَزَليَّات يتستَّر عندها نَقْشُ الغانية الجميلة .

وخَمْريَّات صِيغَت مُداماً فهى للمسامع مشْروبة ، وحِكْميّات أبياتها أمثالٌ فى الدنيا مَضْروبة .

وها أنا أُورِد منها مايفوحُ نَفَسُه ، حتى كأن الحبيب يتنفَّسُه .

ويعْبَق رَوحُه ، حتى كأن فَوْحَ الزَّهر فَوحُه .

قال فى ديباجته : هذه نُبْذة من شعرٍ سمح به[٣] الخاطرُ على جُموده ، وتوقَّد به الفكرُ على خُموده .

---

(١) فى ب : « ينسم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) غض طرفه : خفضه وكسره ، وغض النبات : نضر .

(٣) فى ا ، ب : « بها » ، والمثبت فى : ج .

وإن كنتُ في زمنِ العاقلُ فيه خليقٌ بالصمت ، وإن أدّاه إلى المقت .

ذهب جُلُّ الناس ، وأين الزّعنفة من الرّاس .

لا يجازُ فيه شاعر ، ولا يكرَم أديبٌ ماهر .

غير أن حُبَّ الأدب في الطِّباع ، وهو داعٍ إلى الاتّباع .

اتّباعِهم في التراكيب[1] والبِنا ، لا في الإجادة لعدَمِ الغنا .

ذهبتِ الإفادةُ ، فكيف بالإجادة .

ولعَمْري مَن لا يُجيد في عصرنا معذور ، وذنبُه فيما أتاه مغفور .

إذْ أُرْتِج باب البواعِث والدّواعي ، بانْقِراض أهل الكرم والمساعي .

جوائزُ الأُمرا ، إجادةُ الشُّعرا .

ولذلك قلت بغير امْتِرا :

قالوا أجاد البُحْتريُّ كما أجاد أبو نُوَاسِ

فأجبتُ كانوا في أوا[illegible] هُمْ ولَسْنا في أُناسِ

وإذا نظرتَ فما أجا دَ سوى المواهب في القياسِ

* * *

ومِمّا جرّدته من « ديوانه » قوله من مقصورة مطلعها :

حَيَّى الحَيا مَعْهَدَنا باللِّوَى حيث هوَى النَّفْس وعَهْدُ الصِّبا

وجادَه كلُّ هَطولٍ سرَتْ تَحْدُو به في الأُفْقِ رِيحُ الصَّبا

لَيلتَه حتَّى بدا صُبْحُها فأقلعتْ دِيمتُه فانْجلَى

وقد أشاع الخِصْبَ في أرضِه فأصبحتْ تَزْهو بزَهْرِ الرُّبَى

ومدَّ فيها حِبَراً وُشِّيَتْ بالنَّبْتِ قد كُلِّلَ منها النَّدَى[2]

(١) في ا ، ب : « الرّكيب » ، والمثبت في : ج . (٢) في ا : « قد كلل كل الندى » ، والمثبت في : ب ، ج .

وغادر الغُدْرانَ في رَبْعِها ... تَغَصُّ بالعَذْبِ النَّمِيرِ الرَّوَا
ولا جَفَا نَجْدًا ولا حاجِرًا ... كلُّ هزيمِ الودْقِ هامى الحَيَا
منازلًا وَاهًا لأيامِها ... كانتْ مظِنّاتِ الصِّبا والهوَى
حيثُ الأمانِي طَوْعُ آمالِنا ... والسَّعْدُ عبدٌ طائعٌ والمُنَى
للهِ أيامٌ تَقضَّتْ لنا ... بين ذَرَى الجِزْعِ وسفْحِ اللوَى
ما كانَ أهْنا عيْشَها ليتَه ... دام وليتَ العُمْرَ فيه انقضَى
مرَّتْ كنَجْمٍ قد هوَى ساقطًا ... لم يَعْتلِقْه الطَّرْفُ حتى اختفَى
ياهلْ مُعِيدٌ لى عَيْشًا بها ... هيهاتَ لا يرجِعُ شيءٌ مضَى
ليت ليالِينا وأيامَنا ... كانتْ لَيَالاتِ ألالِ فِدَا[1]
وَيْلاهُ من سرعةِ تَفْرِيقِنا ... وشَتِّ شَمْلِ الحيِّ بعدَ النوَى
وآهِ من وَقْفةِ تشْييعِهم ... وقد شَرِقْنا كلُّنا بالبُكا
وسارتِ العِيسُ بأحْداجِهِمْ ... واسْتَوْدعوا فيها بُدورَ الدُّجَى
مِن كلِّ هَيْفاءَ إذا ما بَدَتْ ... تَخْتالُ أزْرَتْ بغُصونِ النَّقَا
خافِقةِ القُرْطَيْنِ زُعْبُوبةٍ ... رَادِ الوِشاحَيْنِ أناةِ الخُطَى[2]
رخيمةِ الدَّلِّ إذا ما بدَتْ ... تَسْحَرُ باللَّحْظِ عُقولَ النُّهَى[3]
ماظَبْيةُ البانِ على حُسْنِها ... إذا تَبَدَّى جِيدُها والطُّلا
وظَبيِ إنْسٍ زارَنى طارقًا ... والبدرُ لا يُبْدِيه إلا الدُّجَى
بات يُعاطِي الرَّاحَ من ثَغْرِه ... مَمْزوجةً بالعسَلِ المُجْتنَى
أشُمُّ من رَيْحانِ أصْداغِه ... وأجْتنِي باللَّحْظِ وَرْدَ الحَيا

---

(١) ألال : اسم جبل بعرفة . معجم البلدان ١/٣٤٦ . (٢) الزعبوبة : الناعمة . ويعني براد الوشاحين عدم اطمئنانهما على جسدها ، لنعومته ونقائه . (٣) في ب ، ج : « تسحر باللفظ » ، والمثبت في : ا .

وأجتلي غُصْنَ قوامٍ له أهْيَفَ يَحْكِي بانَةَ المُنْحَنى
آهٍ على عَيْشِ التَّصابي ويا آهَةَ قلبي لزمانِ الصِّبا
حيثُ الشَّبابُ الرَّوْقُ يُغْرِي بنا حَفْلَ الظِّبا الغُرِّ وسِرْبَ المَها (١)
كانت عَروسَ الدَّهرِ أيامُنا طارتْ بها العَنْقاءُ نحوَ السَّما

* * *

ومن ربيعيّاته قوله :

انظُرْ إلى فصلِ الرَّبيـ ـعِ كأنَّه فصلُ الشَّبابِ
والزَّهْرُ مثلُ خلائقِ الأ أصْحابِ من زُهْرِ الصِّحابِ
وغصونُ باناتِ اللِّوَى كمَعاطِفِ الهِيفِ الرِّطابِ
والوردُ أشبهُ بالخُدو دِ مِن الشِّفاهِ على الشَّرابِ
أَوَ ما ترى حَدَقَ الحدا ئقِ كيف تَغْمِزُ للتَّصابي
وأصابعَ المنثورِ مُو مِئةً تُشيرُ إلى الرِّقابِ
وأكُفَّ أوراقِ الغصو نِ تُطِلُّ تدعو بالعِتابِ
فاعكُفْ على روضاتِهِ فالوردُ دانٍ إلى الذَّهابِ (٢)
مُتَمتِّعاً بنعيمِهِ من قبلِ بَيْنٍ وانْتِيابِ
فجميعُ ما فوقَ الثَّرا بِ مِن التُّرابِ إلى التُّرابِ

* * *

ومن خَمْريّاته قوله :

ونَديمٍ نَبَّهْتُ ليلاً فَهَبَّا وهُوَ سُكْراً يَميلُ شَرْقاً وغَرْبا

---

(١) الحفل : الجمع . (٢) في ج : « على وجناته » ، والمثبت في : ا ، ب . و « دان إلى الذهاب » كذا في الأصول ، ولعلها : « دانٍ للذهاب » .

قال لَبَّيك قلتُ هاتِ اسْقِنيها   فَتَرَدَّى وقال طَوْعًا وحُبًّا
فسقاني ثلاثةً وتَحَسَّى   بعضَ كأسٍ فَرَدَّها وأَكَبَّا
قلتُ أفديك من نديمٍ مُطيعٍ   لو رأى طاقةً بهـا ماتأبَّى
ثم وَسَّدْتُه وعُـدتُ إلى الشُّرْ   بِ وحيداً فما استَلَذَّيْتُ شُرْبَا
إنَّ طِيبَ المُـدامِ بين النَّدامى   وسرورَ النُّدمانِ فيمن أحبَّا
لو رأَوْا لَذَّةً بدون شَريبٍ   لم يُسَمُّوا فيها نَدامَى وشِرْبَا (١)

وله أيضا :

بحياتي يابدرُ أو بحياتِكْ   لا تقلْ لَا ياقُبْحَ لامِن لُغاتِكْ
قم بنا نَغْنَمِ الوِصالَ ورَوِّحي   في سبيلِ الهوَى وفي مَرْضاتِكْ
قم فلا غَـيْرَ كونِ شكِّكَ يقيناً   مِن صِفاتي بيْن الورَى وصِفاتِكْ
يافَدَتْكَ النفوسُ فيما التَّواني   ماترى البَسْطَ عَزَّ في أوْقاتِكْ
هاتِها بُكرةَ النَّهارِ فطِيبُ الرَّ   احِ قبلَ الضُّحَى وقبلَ صَلاتِكْ
ثم هَجِّد بنـا نُقيِّلْ قليلا   عند غَمْزِ الصَّهْباء عودَ قَناتِكْ (٢)
ثم عُدْ للشَّرابِ تَفْدِيكَ نَفْسِي   واسْقِنِيها واشْرَبْ معى بحياتِكْ
إن كلَّ الحياةِ كأسٌ مُـدارٌ   ونديمٌ وشادِنٌ من سُقاتِكْ
فاغْتَنِمْ فُرْصةَ الزَّمان فقـدْ قِيـ   ـلَ أخو اللَّذةِ الجَسورُ الفاتِكْ
لا تؤَخِّرْ يوماً غـداةَ سُرورٍ   لِعَشِيٍّ وفُتْهُ قبـلَ فَواتِكْ
إنَّمـا هـذه الحيـاةُ كحُلْمٍ   طارقٍ تستـلِذُّه في سُباتِكْ

---

(١) الشريب : صاحبك الذى يشاربك ، أو الذى يسقى معك . اللسان ١/٤٨٨ ، ٤٨٩ .

(٢) فى الأصول : « ثم مجد بنا » ، والصواب ماأثبته ، وهجدت الرجل : أنمته ، قال لبيد :

قلتُ هجِّدْنا فقـد طال السُّرَى   وقدَرْنا إن خَنـا الدهرِ غفَلْ

والكلمة من الأضداد . انظر اللسان ٣/٤٣١ ، ٤٣٢ ، وشرح ديوان لبيد ١٨٢ .

وله من قصيدة مطلعها [١] :

ياليت شِعْرِى والْمُنَى بُعْدُ   ماحالُ سُكّانِكِ يانَجْدُ

وكيف دَعْدٌ بعد أيّامِنا   تُبْقِى لنا دُونَ النّسَا دَعْدُ

هل أَخْفَرَتْ من عهدِنا فى الهوَى   بعد النَّوَى أم عَهْدُها العَهْدُ

لا غَرْوَ أن قد غَيَّرَتْها النَّوَى   فرُبّما غَيَّرَكَ البُعْدُ

لِلّهِ يانجدُ الظِّبَاءُ التى   قَيَّدَها فيكَ لنا الوُدُّ

حيثُ الهوَى الرَّيْقُ لنا خادِمٌ   لم يَأْلُ جُهْداً والْمُنَى عَبْدُ

ورَبْعُكَ الرَّحْبُ لنا جَنَّةٌ   لو أنّها دام بِها الخُلْدُ

والنَّبْتُ جَمٌّ تَرْتَعِيهِ حِمًى   والماءُ لا مُسْتَكْدَرٌ رَغْدُ

فى غَمْرَةِ القَصْفِ لرَيْقِ الصِّبا   نَروحُ فى العَيْشِ كما نَغْدُوا

حَيَّى الحَيَا ذاكَ الزمانَ الذى   مَرَّ به من عيشِنا الرَّغْدُ

أيّامَ أسْعَى ومَها حاجِرٍ   يلفِى من وَصْلِها بُرْدُ

لا راقِبٌ عَيْنًا ولا مُشْتَكٍ   فى الوَصْلِ أن يَعْقُبَه الصَّدُّ

فى فِتْيةٍ مثلِ نُجومِ الدُّجَى   كأنهم قد نُظِموا عِقْدُ

مِن كلِّ ظَبْيٍ قَصَفَتْ قَدُّهُ   لا البانُ يَحكِيهِ ولا الرَّنْدُ [٢]

جَذْلانَ رَاوِى الرِّدْفِ ظَامِى الحَشَا   يَضِيعُ مابَيْنَهما البَدُّ [٣]

يُزْهِى على رِيمِ الفَلا جِيدُهُ   ويَزْدَهِى بدرَ السَّما الخَدُّ

واهًا له من زَمَنٍ سالِفٍ   وأُلْفُ آهٍ لكَ يانَجْدُ

ومنزلٍ أخْلَقَ من نَسْجِهِ   كَرُّ السَّوافِى فيه والشَّدُّ

(١) من أول هذه المقدمة إلى نهاية قوله : « سلب اللين القنا والأسلا » الآتى ساقط من : ب ، ج .

(٢) فى الأصول : « قصف قده » والقصف : الدقة ، وجارية قضيفة : إذا كانت ممشوقة . انظر اللسان (قضف) ٩/٢٨٤ .   (٣) فى الأصول : « يضيع مابينهما البند » ، والصواب ما أثبته .

عَبْدِي به بُرْداً قَشِيبَ السَّدَى   فارْتَدَّ وهْوَ الرَّيْطَةُ الجُرْدُ (١)

مَحَتْ يَدُ الأَنْواءِ آياتِه   إلَّا بَقايا أَسْطُرٍ تَبْدُو

أَعْجَمَ من مُعْرَبِه شكلُه   إن حال عَقْلاً قبلَه بَعْدُ

حتى أضَلَّ فيه عِلْمِي به   إذْ بُدِّلَتْ من هُضْبِه الوُهْدُ

وقَفْتُ عِيسِي فيه مُسْتَعبِراً   أقولُ آهاً تَعِسَ البُعْدُ

إلى هُنا بعدَ لَيالٍ خلَتْ   مَعْدودةٍ قد بلَغ الحَدُّ

هَبْ أن سُكّانَكَ قد أجْفلَتْ   عنكَ فأينَ الغَوْرُ والنَّجْدُ

لم يَبْقَ إلّا طَلَلٌ شاخِصٌ   كالوَشْمِ مَحّى خَلَّه الزَّنْدُ

وله :

هاتِها تَفْدِيكَ رُوحِي قَهْوَةً   أدْرَكَتْ عاداً وأيّامَ لُبَدْ

واسْقِنِي واشْرَبْ ولا تذكُرْ لنا   خَبَرَ النّاسِ ولا سِعْرَ البلَدْ

إنَّ للعالَمِ رَبّاً إن يشَأْ   صلَحَ العالَمُ أو شاءَ فَسَدْ

وله (٢) :

اسْقِنيها قبلَ ارْتفاعِ النهارِ   إنّ طِيبَ المُدامِ في الإبْكارِ (٣)

هي بِكْرٌ فاشْرَبْ ويومك بِكْرٌ   لم تَشُبْه الأنامُ بالأكْدارِ

الصَّبوحَ الصبوحَ في جِدَّة اليَوْ   مِ فإنّ الصَّبوحَ رُوحُ العُقارِ (٤)

يافَدَتْكَ النفوسُ وهْيَ قليلٌ   مِن نَدِيمٍ سهلِ الطِّباعِ مُدارِ (٥)

(١) الريطة الجرد : الملاءة البالية . (٢) ذكر المحبي في خلاصة الأثر ١ / ٤٠ من هذه القصيدة الأبيات الأربعة الأولى ، والبيتين الثاني عشر والثالث عشر . (٣) في خلاصة الأثر : « إن طيب المدام في الأسحار » . (٤) جدة اليوم : يعني جديده ، وهو أوله . (٥) في ا : « وهي عقود » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

هاتِهــا ضَحوةَ النَّهــارِ شَمولا   مثلَ شمسِ النهارِ وَسْطَ النّهارِ
قهوةً مثلَ مقلةِ الدِّيكِ صَهْبا   ءَ كنارِ الـكليمِ ليستْ بنارِ
ذاتَ عَصْرٍ أَدْناهُ عهــدُ أنو   شِرْوانَ ليست بمِزَّةٍ مُصْطارِ [1]
لطَّفَتْهـا كَرُّ السِّنين فلم تُبْـ   ـقِ سوى لَمْحةٍ من الأنوارِ
فتراءتْ كالشمسِ غِبَّ سمـاء   تَجْتَلى بين حُمْـرةٍ واصفِرارِ
لستَ تَخْشَى من لطفِها بعدسُكْرٍ   مِن صُداعٍ بادٍ ولا من خُمارِ
فى رياضٍ تزْهى بباكورِ وردٍ   وأقاحٍ وسَوْسَنٍ وبَهـارِ [2]
ذاتِ أرضٍ مُوَشَّيَةٍ بربيعٍ   ذَهَبَتْ وَشْيَها يدُ الأزهـارِ [3]
يستفيقُ المخمورُ إن مرَّ فيها   مِن هــواءٍ صافٍ وماءٍ جارِ

هـذا مأخوذ من قول الوأواء الدِّمَشْقِيّ [4] :

سقى اللهُ ليلاً طـاب إذْ زارَ طَيْفُهُ   فأفْنَيْتُه حتى الصَّبـــاحِ عِناقا [5]
بطِيبِ نسيمٍ فيه يُسْتَجْلَبُ الـكَرى   فلو رقَدَ المخمورُ فيـــه أفاقا [6]

وفى الثانى مايُوهِم التَّناقض .

والوأواء أخذه من قول الفتح بن خاقان [7] ، فى وصف جارية له ، وهو مانقل ابن حَمْدون [8] ، قال [9] :

---

(١) المزة ، بفتح الميم : الخمر اللذيذة الطعم ، وبالضم : الخمر فيها حموضة ، والمصطار من أسماء الخمر . القاموس (م ز ز ، ص ط ر) ، وحلبة الـكميت ٧ . (٢) البهار : نبت طيب الرائحة . (٣) فى خلاصة الأثر :

ذات أرضٍ توشّمتْ بربيـــع   ذهّبتْ وشْمَهـــا يدُ الأزهـارِ

(٤) ديوانه ١٦٤ ، ويتيمة الدهر ١/٢٨٩ ، ومعجم الأدباء ١٦/١٧٧ ، وخلاصة الأثر ١/٤٠ .
(٥) فى الديوان : « سقى الله ليلا طال » . (٦) فى الديوان واليتيمة : « منه يستجلب الـكرى . . ولو رقد . . » . (٧) يعنى أبا محمد الفتح بن خاقان بن أحمد ، استوزره المتوكل ، وأمره على الشام ، كان أديبا ، ذكيا ، فطنا . توفى سنة سبع وأربعين ومائتين . فوات الوفيات ٢/٢٤٣ ، معجم الأدباء ١٦ / ١٧٤ ، معجم الشعراء ١٩٠ . (٨) يعنى أبا عبد الله أحمد بن إبراهيم ، ابن حمدون ، نديم ، نادم المتوكل والمستعين ، أديب ، أخبارى . قتل سنة خمس وخمسين ومائتين . معجم الأدباء ٢/٢٠٤ .
(٩) الخبر فى يتيمة الدهر ١/٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ومعجم الأدباء ١٦/١٧٧ ، وخلاصة الأثر ١/٤٠ .

كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، فقال لي مرة : شعرت[1] يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة ، فلم أتمالك أن قبّلتها ، فوجدت فيها[2] بين شفتيها هواء ، لو رقد المخمورُ فيه لصحَا .

ومنه في الغزل قولُ شرف الدين القابُوسي[3] :

قابلني ليـــلةً قبّلْتُه ظبيٌ من الشمس غدا أملحَا[4]
طِيبُ نسيمٍ بين أسنــــانِهِ لو رقَد المخمورُ فيه صحَا

تتمة الأبيات :

قُم بنـــا يا نديمُ يَفْديك مالي من تِلادٍ وطارفٍ وعقـــارِ
نقْطعُ الدّهرَ كلَّ يومٍ بزِقٍّ وغزالٍ ساقٍ وكأسٍ مُدارِ
آنَ طِيبُ الزّمانِ واعتدل الجوُّ وصـــار الضُّحاء كالأسحارِ
وأتاكَ الرّبيعُ يضحكُ عُجْبًا وهوَ من نسْجِ نَوْرِهِ في إزارِ
يا نديمي أفْديكَ فيما التّواني ما ترَى البسْطَ ابنَ اللّيالي القِصارِ
فاسقنيها واشربْ على زَهْرِ الرَّوْ ضِ وسجْعِ القُمْريّ وشَدْوِ الهَزارِ[5]
واغتنِمْ صفْوَ الزمانِ ورَوْقَ الـ ـعُمْرِ من قبـلِ ضَيْعـةِ الأعمارِ
لا تبـــالِي إذا سكِرْتَ بوِزْرٍ إنَّ مَـــوْلاكَ غافِرُ الأوْزارِ

* * *

وله من قصيدة مطلعها :

نقضَ الجرحُ وكان اندملا وامتلأ القلبُ وقـد كان خـلا

(١) في ا ، ويتيمة الدهر : « أشعرت » . والمثبت في : معجم الأدباء ، وخلاصة الأثر . (٢) ساقط من : ا ، وهو في : يتيمة الدهر ، ومعجم الأدباء ، وخلاصة الأثر . (٣) القابوسي نسبة إلى قابوس بن وشمكير ، أمير جرجان ، وإلى قابوس ، اسم موضع . اللباب ٢ / ٢٣٤ . والبيتان في خلاصة الأثر ١ / ٤٠ .
(٤) في خلاصة الأثر : « ظبيا من البدر غدا أملحا » . (٥) الهزار : طائر حسن التغريد .

عادَهُ داءُ الهوى من بعدِ ما ‏   راحَ وقد أفرقَ عنهُ وسلا (١)

ما لَهُ تُزعِجُه زَفْرتُه ‏   كلّما استافَ صَبًا أو شمألا (٢)

وإذا شامَ بُرُوقًا لَمَعَتْ ‏   غَلَبَ الدَّمعُ الحيا فانهملا

ومتى أبصرَ بدراً طالعاً ‏   ظنَّه عنه الذي قد أفلا

عاش في أرغدِ عيشٍ بُرهةً ‏   مُستريحاً رائقَ حالاً وحلا

ليس يدري الهمَّ حتى أن رأى ‏   ليتَه لم يرَ تلك المُقلا

فعلتْ فيه بطرْفٍ لو رمى ‏   حجراً صلداً به لانفعلا

كيف لا يجرحُ قلبي طرفُه ‏   وإذا السيفُ تعرّى قتلا

والذي يصبو لأحداقِ المها ‏   لم يمُتْ إلّا بها منجدلا

لا تَلُمِ الصبَّ على الحبّ الذي ‏   سيفُ لحظيه يبيحُ الأجلا

خلِّ عنك اللومَ باللهِ فقد ‏   سبقَ السيفُ إليه العذلا

ويحَ قلبي من هوى ذي صَلَفٍ ‏   ظالمٍ في حكمِه لو عدلا

ما لَهُ حمّلَه ما لا يطيق ‏   أتراه ظنَّ قلبي جبلا

قال يستطردُ بي ما حالُه ‏   صارَ للعشّاقِ فينا مثلا

أيّها المعرِضُ لا عن زلّةٍ ‏   أدلالاً كان ذا أم مللا

بأبي الريمُ الذي من طرفِه ‏   سرقَ الظبيُ الكحيلُ الكحلا

غصنُ البانِ الذي في قدِّه ‏   سلبَ اللينَ القنا والأسلا

يا خليليَّ بلا أمرٍ سلا ‏   عن فؤادي بعده ما فعلا (٣)

أمقيمٌ بعده يصحبه ‏   أم دعاه الردى فامتثلا (٤)

---

(١) أفرق من مرضه : أفاق . (٢) استاف الشيء : شمه . (٣) قبل هذا البيت في ب : « وله » ، وفي ج : « عن فؤاد » ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي ا : « بعد » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٤) في ب ، ج : « أمقيم معه » ، والمثبت في : ا .

وله من أخرى مطلعها :[١]

دَرَّ لها خِلْفُ الغمامِ هاطِلا ... فجادَها من رامَةٍ منازِلا

منازِلًا كان ألْمَنى مُنادِماً ... فيها وصَرْفُ الدَّهرِ عنها غافِلا

نَسْحَبُ في عَمْرِنِه ولم نكُنْ ... نُزايِلُ الرَّوْضاتِ والخمائِلا

لا نَسْتَفِيقُ من خُمارِ لَذَّةٍ ... نَتْبَعُ أبكارَ الهوى الأصائِلا[٢]

جِنانُ أُنْسٍ فارقَتْها عَنْوَةً ... نُفوسُنا واجِدةً ثَوا كِلا

وَاهاً لها وآهةً لو بقِيَتْ ... أو دام رَبْعُ اللَّهْوِ منها آهِلا

ومنها :

كان الشَّبابُ الرَّوْقُ فيها وبها ... قضَيْتُ أيامَ الصِّبا الأوائِلا

حيثُ الحِمَى مَسْرَحُ أسرابِ المَها ... وحيث كنتُ مَرِحاً مُغازِلا

كلَّ غزالٍ آنِسٍ لحاظُه ... للعاشقين لم تزَلْ قواتِلا

تُصْمِي إذا ما قصَدَتْ بأسْهُمٍ ... نِصالُها لا تُخطِئُ المَقاتِلا

قضيبُ بانٍ قَصَفٌ على نَقا ... فوقَهما تَرَقُّبُ بدراً كاملا[٣]

ما بانَةُ الجزْعِ على نَظْرتِها ... إذا ثَنَى منه قَواماً عادِلا[٤]

ومن غزلياته قوله[٥] :

مَهْلًا فقد أسرعْتَ في مَقْتلي ... إن كان لا بُدَّ فلا تَعْجَلِ[٦]

أنْجَزْتَ إتْلافي بلا عِلَّةٍ ... اللهَ في حَمْلِ دَمِي المُثْقِلِ

لم تُبْقِ لي فيك سوى مُهْجَةٍ ... باللهِ في استِبْقائها أجْمِلِ

إن كنتَ لا بُدَّ حَوَى قاتِلي ... فاسْتَخِرِ اللهَ ولا تَفْعَلِ

---

(١) في ب ، ج : « أولها » . (٢) في ب : « لاتستفيق » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي ا ، ب : « تتبع » ، والمثبت في : ج . (٣) قصف : دقيق ممشوق . وفي الأصول : « قصف » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) على نظرتها : على هيئتها . (٥) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤١ ، ٤٢ .

(٦) في خلاصة الأثر : « لقد أسرعت » .

رِفْقًا بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ مُدْنَفٍ   لَيْسَ لَهُ دُونَكَ مِنْ مَعْقِلِ
يَكَادُ مِنْ رِقَّتِهِ جِسْمُهُ   يَسِيلُ مِنْ مَدْمَعِهِ الْمُسْبَلِ
مَالَكَ فِي إِتْلَافِهِ طَائِلٌ   فَارْعَ لَهُ عَهْدًا وَلَا تُهْمِلِ
كَمْ مِنْ قَتِيلٍ فِي سَبِيلِ الْهَوَى   مِثْلِي بِلَا ذَنْبٍ جَنَى فَابْتُلِي
أَوَّلَ مَقْتُولٍ جَوًى لَمْ أَكُنْ   قَاتِلُهُ جَارَ وَلَمْ يَعْدِلِ
يَا مَانِعِي الصَّبْرَ وَطِيبَ الْكَرَى   عَنْ حَالَتِي بَعْدَكَ لَا تَسْأَلِ
قَدْ صِرْتُ مِنْ عِشْقِكَ حَيْرَانَ لَا   أَعْلَمُ مَاذَا بِي وَلَمْ أَجْهَلِ (١)
أَغَصُّ مِنْ دَمْعِي حِفَاظًا لِمَا   فَارَقْتُهُ مِنْ رِيقِكَ السَّلْسَلِ (٢)

ومنها:

أَفْدِيكَ بِالنَّفْسِ وَمَا دُونَهَا   مَا قِيمَةُ الْأَرْوَاحِ إِنْ تَقْبَلِ
يَا غُصْنًا مَالَ إِلَى طَبْعِهِ   مَنْ دَلَّ جَفْنَيْكَ عَلَى مَقْتَلِي
وَرَامِيًا أَعْجَبُ مِنْ أَنَّهُ   أَصَابَ فِي الرَّمْيِ وَلَمْ يُمْهِلِ
رَمَى فَأَصْمَى مُهْجَتِي سَهْمُهُ   فَكَانَ مِثْلَ الْقَدَرِ الْمُرْسَلِ
يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ هَوَى ظَالِمٍ   يَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَلَمْ يَعْمَلِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلَيْهِ وَإِنْ   لَمْ أَقُلِ الْقَوْلَ وَلَمْ أَفْعَلِ
يَا أَعْدَلَ النَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِ   وَيَا أَحَقَّ النَّاسِ مِنْ مُبْطِلِ
وَجَدْتَ تَذْلِيلَكَ مُسْتَعْذَبًا   فَاهْجُرْهُ إِذَا شِئْتَ وَإِلَّا صِلِ

وله (٣):

وَيَوْمٍ فَاخِتِيِّ الْجَوِّ رَطْبٍ   يَكَادُ مِنَ النَّضَارَةِ أَنْ يَسِيلَا (٤)

---

(١) في خلاصة الأثر: «قد صرت من أجلك». (٢) في خلاصة الأثر: «أغص من دمعي تذكارا لها»، وفي ب: «أغص من دمعي». (٣) الأبيات الخمسة الأولى في خلاصة الأثر ١/ ٤٠٢، ٤٠١.
(٤) شرح المحبي، في خلاصة الأثر، قوله: «فاختي الجو»، فقال: قوله: «ويوم فاختي الجو» يظهر معناه قول ابن المعتز:

نَعِمْتُ به ونَدْمانِى أديبٌ ... وَقُورٌ فى تَعاطِيـــهِ الشَّمُولَا
قَطَعْنا صُبْحَــهُ والظُّهرَ شُرْبًا ... وجاوَزْنا العَشِيَّةَ والأصِيـــلَا
لَدَى رَوضٍ عَمِيمِ النَّبْتِ يُزْهِى ... بِأزْهارٍ نَمَتْ عَرْضًا وطُولَا (١)
يَدورُ به سِــوارُ النَّهرِ طَوْرًا ... كما يَتَعانَقُ الخِــلُّ الخَلِيــلَا (٢)
وساقِينا رَخِيمُ الدَّلِّ يَسْبِى ... إذا ما رَدَّدَ الطَّرْفَ الكَحِيلَا

* * *

وله من قصيدة ، أولها :

تألَّق يقـــدُم رَكْبَ النُّعامَى ... شَرُودًا أبى سُرعةً أن يُشاما (٣)
خَفِيًّا كنَبْضِ ذِراعِ المرِيضِ ... ولَمْحِ ثُغورِ الحِسانِ ابْتِساما
كأن السَّما رَيْطَــةٌ رَحَلَتْ ... وذَهَّبَ مِن طَرَفَيْها الغَماما (٤)
بَدا والدُّجى فَحْمَةٌ كالرَّبِيبِ ... له شَرَرٌ بالدَّرارِى تَرامَى
فَهَيَّجَ لِلقلبِ أشْواقَه ... وزادَتْه لَوْعتَه ثم دَاما
سرى مُوهِنًا فاستطار الفؤادُ ... إلى ما تذكَّر منـــه وهاما
تذكَّرَ أيَّامَه بالغَمِيمِ ... فَحَنَّ وما كُنَّ إلَّا مَناما (٥)
أثارَ له من جَواهُ القديمِ ... وقادَه الوَجْـــدَ طَوْقًا لِزاما
تحرَّشَه فَسَباهُ جَوًى ... وجرَّدَه فَقَضاهُ غَراما
ومُذْ خالَه الطَّرْفُ سِقْطَ الزِّنادِ ... أمالَ إلى القلبِ منـــه الضِّراما

= يومٌ كأنَّ سمـــاءه ... حُجِبَتْ بأجنحةِ الفواخِتْ

ثم ذكر بقية الأبيات . والفواخت : ضرب من الحمام المطوق . اللسان (ف خ ت) ٢/٦٥ .

(١) فى خلاصة الأثر : « بأزهار زهت » . (٢) فى خلاصة الأثر : « سوار الروض » .

(٣) النعامى : من أسماء ريح الجنوب ؛ لأنها أبل الرياح وأرطبها . اللسان (ن ع م) ١٢/٥٨٥ .

(٤) رحل الثوب بالتشديد : وشاه ، و « الغماما » كذا فى الأصل . (٥) الغميم : الكلأ الأخضر تحت اليابس ، وهو أيضا موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة . معجم البلدان ٣/٨١٧ ، ٨١٨ .

لقد كان في راحة قبلَهُ تجرّ إلى عاتقيه حساما

وقد كان من قبلِهِ داؤه دَفيناً فهيّجَ منه السّقاما

أيا برقُ كم ذا تُعنّي الحشا أعمْداً تَرومُ أذاهُ على ما

إلى مَ تُمثّلُ نجداً له فيهفو وهيْهاتَ نجدٌ إلى ما

تقولُ وأسبابُ هذا الغرامِ ضُروبٌ تُحيّرُ فيه الأناما (١)

أمِنْ كَيدِي سيفُه مُصْلتٌ فيُبْدِي الوجيبَ إلى أن يُشاما (٢)

لعَمْرُكَ ماذاكَ لكنّما تذكّرُ نجداً وأيّامَ راما

منازلَ كان المُنى خادماً بها والزّمانُ لدينا غُلاما

فآهاً لأيامِها لو تدومُ وآهاً لحُلْمِيَ لو كان داما

نَشَدْتُكَ والوُدُّ ياصاحِبي يراهُ الفتى الحُرُّ ديناً لِزاما

أعِرْنِيَ إن كان طَرْفُكَ يُغْني فإنْسانُ عيْني بدَمْعِيَ عاما (٣)

يرى لي فؤادِي وراءَ الرّكابِ أسارَ وإلّا لِعجْزٍ أقاما

فمِن يومِ بِنّا على غُرْبةٍ نُشيّعُهم وأشالوا الخياما (٤)

أضلّيْتُه بين بانِ الكثيبِ وما ثَمّ إلا ظِباءٌ قِياما

خَفِ اللهَ ياظَبياتِ النّقا أما في دَمي تخشَين الأثاما

رعَى اللهُ منكُنّ ظبياً أغرّ أحالَ بجسْمِيَ داءً عُقاما (٥)

أغارُ عليه اعتناقَ الصّبا وأحسدُ رَشْفَ لَماهُ البَشاما

إذا ما بدَى في الدُّجى خدُّهُ أحالَ الدُّجى من ضِياهُ غِياما (٦)

يبيتُ على غِرّةٍ لاهِياً إذا بِتُّ أجرعُ فيه الحِماما (٧)

---

(١) في الأصول : « تحير فيه الأنام » ، وهو إقواء ، ولعل الصواب ما أثبته . (٢) شام السيف : أغمده . (٣) في ا ، ج : « بدمعي أعاما » ، والمثبت في : ب . (٤) أشال الشيء : رفعه وعلاه . (٥) في ا : « ظبيا أغنى » . (٦) الغيام : النهار . (٧) في ب : « على عزه لاهيا » ، والمثبت في : ا ، ج .

وليلةَ زارَ على شَحْطِه   تحاشَى الضّيا فتوارى الظّلاما (١)
سَرى والدُّجى عاكِفٌ راجِلا   حَذارَ المطيّةِ تُبدي البُغاما (٢)
فوافَى على عَجَلٍ مَضْجَعي   ومِن دُونه بَطْنُ فَلْجٍ ورَاما (٣)
فبِتُّ أعانِقُ منـــه القضيبَ   وأرقُبُ منـــه الهلالَ التّماما
وأشْتَمُّ مِــن خَـــدِّه وَردةً   وأرْشِفُ من شَفَتَيْـــهِ المُداما
ووَدَّعَ لو كانَ ذاكَ الوَداعُ   وسارَ فودَّعَ جَفْني المَناما (٤)

ومن مشهور شعره خمريته هذه :

هاتِها هاتِ نَصْطَبِحْ يانَديمُ   قد تناهَتْ خُطوبُنـا والهمومُ
ليس يَنْفِي الهمومَ مِثْلُ شَمُولٍ   كم حَساها فأبْرأتْهُ سَقيمُ
هي شمسٌ والهمُّ ليلٌ وليس اللـ   ـيلُ والشمسُ في الوُجودِ يدومُ
عَلَّنا نقطعُ الزّمانَ سُـــكارى   لا نُبالِي بمـــا جرى يانَديمُ
فلَنـا أُسْوَةٌ بِهـــذي البَرايا   كيفَ نَخْشى البَـلاءَ وهْوَ عَميمُ
إنّما الأمرُ للإلهِ تعالى   وهْوَ بَرٌّ بالعالَمين رحيمُ
خَلِّ عنا ذِكرَ ابن سيفا ومَعْنٍ   إنّما يطلُبُ الغَريمَ الغَريمُ (٥)
مالَنا والحروبَ نحنُ أُناسٌ   مالنا طاقةٌ بِشَيْءٍ يَضيمُ
همُّنـا شُرْبُنـا الطِّلا وهَوانا   مِن قديمٍ هذا الشَّرابُ القديمُ
أتَرْكِ الناسَ في يَصيرُ ويَجْري   ويَجيئوا ويقعُــدُوا ويُقيموا
واسْقِنيهـا واشْرَبْ ثلاثًا ثلاثًا   هكذا حُكْمُهـا وأنت حكيمُ

(١) في ب ، ج : « على سخطه » .   (٢) البغام : صوت الظبية ، وهو يعني صوت الراحلة .
(٣) بطن فلج : بطن واد يفرق بين الحزن والصمان ، يسلك منه طريق البصرة إلى مكة ، ومنه إلى مكة أربع وعشرون مرحلة . معجم البلدان ٣/٩١٠ .   (٤) لعل الصواب : « وودع لا كان » .
(٥) سيشرح المؤلف ذلك فيما بعد ما وقع بين ابن سيفا ومعن ، وانظر تفاصيل الواقعة في خلاصة الأثر ٣/١٣٦ — ١٤٠ .

لا تصلْ بالصَّبوحِ غيرَ غَبوقٍ ... وتجنَّبْ فى شُربِها مَن يلومُ

إنَّ كلَّ الحياةِ كأسٌ مُدارٌ ... ونديمٌ حُلوٌ وساقٍ كريمُ

* * *

وابن سيفا هو الأمير يوسف [(١)] ذلك الذى بلغ السُّها بجِدّه. وكان أخا السيف فى لألائه ومضاء حدّه.

من أسرة طلعوا كأنابيب القنا نسقًا، وفاحوا كأزاهير الرياض عبقًا.

فإن غابوا عن العيان تراءوا مشاعلَ فى السُّرى، وإن ظهروا رأت النواظرُ بهم الثُّريا فى الثرى.

ما منهم إلا جواد شهدت بسَبْقه ميادينه، وأديب خبّ الأدب شرعته ودينه.

وكانوا ولاة طرابلس الشام وحكّامها، وبقائم سيفهم تولوا حياطتها وإحكامها.

حتى وقع بين كبيرهم هذا وبين الأمير فخر الدين بن مَعْن [(٢)]، ذلك الغادر الذى قتل الراعى وساق الظَّعن.

فجرت بينهما حروبٌ لم يحصل أحد منهما على وطر، وبقى الأمرُ بينهما مدة فى تناكُر مُفضٍ إلى خطر.

ثم خرج فى أثناء ذلك ابن جانْبولاذ [(٣)] الذى جاهد فى الخلاف وجاهَر، وكاشف

(١) الأمير يوسف بن سيفا، أمير طرابلس الشام، ولى حكومتها مدة طويلة، واشتهر عنه عزة عظيمة، ونعمة جزيلة، قصده الشعراء بالمدائح. كانت وفاته فى عشر الثلاثين وألف.

خلاصة الأثر ٤/٥٠٣.

(٢) فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزى، ولى إمرة الشوف من جانب السلطنة بعد موت أبيه، واستولى على بلاد كثيرة منها: صيدا، وصفد، وبيروت، وخرج عن طاعة السلطنة، ووقعت بينه وبين ابن سيفا حروب كثيرة.

كانت ولادته سنة ثمانين وتسعمائة، وقتل سنة ثلاث وأربعين وألف.

خلاصة الأثر ٣/٢٦٦.

(٣) الأمير على بن أحمد بن جانبولاذ بن قاسم الكردى القصيرى، كان فى نعمة أمره ولى حكومة العزيزى، ثم خرج على السلطان، وهزم ابن سيفا هزيمة منكرة، ثم هزمه مراد باشا، وعفى عنه السلطان، ثم صدر الأمر بقتله لأسباب أخرى، فى حدود العشرين وألف.

خلاصة الأثر ٣/١٣٥.

بالانحراف عن السلطنة وكاشر .

فانضمّ إليه ابن معن وحزبه ، الذين تدرّعوا جنود الحيات ، وأقاموا آلات حربهم مقام أتمّ التحيات .

وكان من أمر الله أنّ الأمير يوسف جهّز عليهم ، ووصل بجموعه التي يقدر أن يفل بها جيش المصائب إليهم .

وهمّه ممتعة بالأثير ، محلّقة على فلك التدبير .

غير أنّ يدَ القدر فوق التقدير ، وما يصنع المرء إذا وقع في البير .

فلما تقابل الجيشان تمّت على ابن سيفا الهزيمة ، وانحلّت منه تلك العزيمة .

وفرّ من ذلك المكان إلى دمشق ، فأقام بها مختفياً أياما ، وهو من وساوس وهمه لم يطعم مناما .

فقصدوه متتبّعين زلّة قدمه ، وطالبين بسيف الاعتداء سفك دمه .

فدخل بينهم أهل دمشق وأخمدوا تلك النائرة ، وأخمدوا ببرد الصلح تلك الفتنة الثائرة .

ثمّ[1] حموه إلى القوم ، وسلموا به من المحذور واللوم .

وانقلب ابن سيفا إلى وطنه ، وهو شاكٍ من ضيق عطنه .

وتبدّل تبسّمه ذلك بالقطوب ، ونال القلوب كمدُ خطبه الذي لا كالخطوب .

ومن ثمّ حالت بدولة بيته الأحوال ، ولم تطل أيامهم حتى أذنت شمسها بالزوال .

فعلى ما تضمّنهم من تلك الأرجية ، أزكى السلام من الله تعالى والتحية .

وهذه الجملة وقعت في الأثنا ، فكانت باعثة على ما هو طابق من الثنا .

وأرجع إلى ما أنا بصدده ، أمدّني الله بمدده .

(١) في ا : « بما » ، والمثبت في : ب ، ج .

ومن شعر الأكرمي قوله من خمريّته(١) :

كم جلَوْنا في ليلةِ الفطرِ والأضـ ـحَى على قاسيون بِكرَ الدِّنانِ(٢)
وشرِبْنا في ليلةِ النِّصْفِ من شَعْـ ـبانَ صِرْفًا وفي دُجَى رَمضانِ
ونَهارِ الخميسِ عَصْرًا وفي الجـ ـمعةِ قبلَ الصَّلاةِ بعدَ الأذانِ
وسقانا ظَبْيٌ غَرِيرٌ وغنّتْ ظبيةٌ تَسْتبيكَ بالألحانِ(٣)
وسبَحْنا في غَمْرةِ اللَّهوِ والقَصْـ ـفِ على طاعةِ الهوَى والأماني
ولعَمْرِي لقد سئِمْنا من الغَيِّ وعفْنا من كَثْرةِ العِصْيانِ
لم نَدَعْ مُدّةَ الصِّبا للتّصابِي مِن طريقٍ مَهْجورةٍ أو مكانِ(٤)
قد أطعْنا غَيَّ الشَّبابِ بجَهْلٍ فاعْفُ عنّا ياواسعَ الغُفْرانِ(٥)

* * *

ومن مقاطيعه قوله :

رُبَّ رامٍ عن مِثْلِ حاجبِه بِمِثالِ ألحاظِه لمُرْتمِيهِ
يَتمنّى بِمَـنْزِي مَفوقًا وذِمِّي قوسُه وحدِى سَرِيعَ أُنْشُمِيهِ

* * *

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١/ ٤١ ، وذكر المحبي أنه عارض بها ابن حجاج في قصيدته التي مطلعها :

* من دواعي الصَّبوحِ والمِهْرجانِ *

والقصيدة في يتيمة الدهر ٣/ ٦٩ ، ٧٠ ، ومطلعها فيها :

من شروطِ الصَّبوحِ في المِهْرجانِ خِفّةُ الشُّغْلِ مع خُلُوِّ المكانِ

(٢) في ج ، وخلاصة الأثر : « بنت لدنان » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) في خلاصة الأثر :

وسقانا ظَبْيٌ غريرٌ وغنّى ظَبْيُ إنسٍ يسْبيكَ بالألحانِ

(٤) في ج وخلاصة الأثر : « مدة الصبا والتصابي » . (٥) في خلاصة الأثر : « قد قطعنا عن الشباب بجهل » .

وقوله :

قلتُ إذ لام في العِذارِ عَذُولي وهْوَ في الخدِّ للهوى عُنْوانُ
إنَّ وردَ الرِّياضِ أحسنُ ما كان إذْ دار حولَهُ الرَّيْحانُ

وقوله في دُولاب الماء :

ودُولاب يئنُّ أنينَ صبٍّ كئيبٍ نازح الأهْلين مُضنَى
تذكَّرَ عهدَه بالرَّوضِ غُصْناً ومِحْنةَ قَطْعِه فبَكَى وأنَّ
وما يدْرِي أترْديدٌ لمعنَى شَجاه أم حَنِينُ جوًى المُعَنَّى(١)

＊＊＊

وقوله مُعمِّياً باسم يوسف :

وشادنٍ كالقضيب عِطْفاً أطال في صَبِّه عَناهُ
يكادُ عَضْبُ اللِّحاظ منه بغيرِ رَيْبٍ يَفْرِي حشاهُ

(١) في ح : « أم حنين جوى لمعنى » ، والمثبت في : ا ، ب .

٣

القاضي إسماعيل بن عبد الحق الحجازي*

هذا القاضي قُضِيَ له بالأدب الوافر ، من منذ طَلَع في مَهْده طلوعَ البدر السَّافر .

فعُرِف رشدُه قبل أوانِه ، وهكذا الكتاب يُدْرَى من عُنوانِه .

وأبوه في الصنعة من الفُحول السُّبَّق ، له في « الريحانة »[1] ذِكْر أطْيب من المِسك وأعْبَق .

وهو فاحَ فَوْحتَه ، وجاء جَيْئتَه ، وراح رَوْحتَه .

وحَدا في الغراميات حَدْوَه ، فلم يُبْقِ من نار وَجْدِه ولا جَذْوَة .

فهو مُخَمَّر الطِّينة بالفضل المحض ، مَجْبول الفِطرة على الأدَب الغَضّ .

مَجْدُه فوق الامْتِداح ، وزَنْدُه يُعْطِي قبل الاقْتِداح .

ولقد برَز كالذَّهَب التِّبْريز ، ومَلَك كلَّ قاضٍ قاضي تَبْرِيز .

فجاء بأفانِين من غَزَلِيَّاته ، تَهُزُّ برَوْنق الصَّدْع في أبْياته[2] .

(*) إسماعيل بن عبد الحق بن محمد بن محمد بن أحمد الحجازي الأصل ، الدمشقي ، الشافعي ، القاضي ، الأديب ، الشاعر .

عرف بالحجازي .

ولد سنة خمسين وتسعمائة .

وأخذ على العلامة فضل الله بن عيسى البوسنوي ، والعلامة عبد الرحمن العمادي .

وتفقه فقه الشافعية عن الشرف الدمشقي ، والنسب عن جده محمد ، وغيره .

ولي قضاء الشافعية بمحكمة قناة العوني ، ونقل منها إلى الباب ، وصار رئيس الأطباء .

كان شاعرا رقيق حاشية الطبع ، رائق البديهة ، حسن الأسلوب .

توفي سنة إحدى وألف ، ودفن بباب الصغير .

خلاصة الأثر ١/٤٠٦ .

(١) ريحانة الألبا ١/٢٦٢ _ ٢٦٧ .

(٢) في ا ، ج : « آياته » .

وأطْرَب بألْحانه، ولا إطْراب[1] الخمر بحانِه.

وله أغانٍ تكاد بلا مضارِب تُجاوبها الأوْتار، ولم يُبق قلبٌ أدرك مَغْناها[2] إلّا وثار.

وكانت أرْيَحيات غرامه[3] تَستفِزُّه، وصَبْوبات[4] مُدامه تَستهزُّه.

فلا[5] يزال هائمًا بغزال، ولا يَريم عن[6] عِشْق رِيم.

وشِعْره الذى تَملَّق به قلوبُ الأهْواء، يُعرِب عن حاله إعْراب الدَّمْع عن مكتوم سِرّ الهوَى.

وهو سائرٌ مدوّن، والجوْهر الثَّمين منه أدْون.

فدونَك ما هو ألطفُ من العِتاب، بيْن الصِّحاب، وأوقعُ من الرّاح، ممزوجًا بماء السَّحاب.

فمنه قوله:

لو أنّ بالعُذّال ما بِي ... ما عنّفُونى بالتّصابِى

كلّا ولو ذاقوا الهوَى ... مثلِى لَما ملَكُوا خِطابِى

ويْلاه مِن بُعْدِ المزا ... رِ فإنّه شَرُّ العِقابِ

قسمًا بخَلْواتِ الحبِيـ ... ـبِ وطِيبِ وقْفاتِ العتابِ

وتذلُّلِى يومَ النّوَى ... لِمَنيع ذيّاكَ الجنابِ

وتوقُّفِى أشكُو هَوا ... ىَ له بألفاظٍ عِذابِ

أبْكِى وأسْرِق أدْمعِى ... خوْفَ العواذِلِ فى ثِيابِى

---

(١) فى ا: «اضطراب»، والمثبت فى: ب، ج. (٢) فى ا: «مغزاها»، والمثبت فى: ب، ج. (٣) فى ا: «أيامه»، والمثبت فى: ب، ج. (٤) «وصبوبات» كذا فى: ا، ج، وفى ب: «وصوبات»، ولعله أراد التشبيه بصوب المطر، والصبوب: ما انصببت فيه، ويقال للحدور: الصبوب. اللسان (ص ب ب) ١/ ٥١٧، ٥١٨. (٥) فى ب، ج: «فهولا». (٦) فى ا: «من»، والمثبت فى: ب، ج.

ما لِلْمُحِبِّ أَشَدُّ من نارِ التَّباعُدِ مِن عَذابِ
بأبي غزالٌ لَيِّنُ الـ أَعْطافِ مَعْسولُ الرُّضابِ
مَيّاسُ غُصْنِ قَوامِهِ يُزْرِي بِبَاناتِ الرَّوابِي
رَيّانُ من ماءِ الصِّبا سكرانُ مِن خَمْرِ الشَّبابِ
جعَلَ التَّجافِيَ دَأْبَهُ وجعلْتُه وهَواهُ دَأْبِي
قالَ العواذلُ عندما أَبْصرْنَ بالأشْواقِ ما بِي
قد كنتَ مِن أهلِ النَّصا حةِ لا تَحُولُ عن الصَّوابِ
فأجبْتُهم والقلبُ من نارِ الصَّبابةِ في الْتِهابِ
الحبُّ قد أعْيَى فَصِيـ حَ القولِ عن رَدِّ الجوابِ
وتراهُ إن حضَرَ الحبيـ بُ لَدَيْهِ يأخذ في اضْطِرابِ

وقوله :

أَجِرْنِي من صُدودِكَ بعد وعدِكْ وخَلِّصْ مُهْجتي من نارِ بُعْدِكْ
وخَصِّصْنِي بِرِقٍّ دونَ عِتْقٍ لأُدْعَى بين أقْوامِي بعَبْدِكْ
وقَصِّرْ طولَ لَيْلاتِ التَّنائِي وما لاقَيْتُ من أيّامِ صَدِّكْ
ومعْصِيةَ العَذُولِ ومَن نَهانِي ضَلالاً في الهوَى عن حِفْظِ وُدِّكْ[(١)]
وأنْفاسٍ أُصعِّدُهـا إذا ما ذكَرْتُكَ والدَّياجِي مثلُ جَعْدِكْ
لأنتَ لَدَيَّ مُجْتمِعُ الأمانِي وأكثرُ ماوَدَدْتُ بَقاءُ وُدِّكْ[(٢)]
وقد عبَثَ الهوى بغُصونِ قلْبِي كما عبَثَ الدَّلالُ بغُصْنِ قَدِّكْ

وقوله :

ولمّا حَدا الحادُون بالبَيْنِ والنَّوَى وشَبَّ لِنارِ الإشْتياقِ وَقودُ

(١) في ج : « ومعصيتي العذول » . (٢) في ب ، ج : « بقاء عهدك » ، والمثبت في : ا .

وَلَمْ يَبْقَ لِى مِنْ مُنْجِدٍ غَيْرُ زَفْرَةٍ ... وَدَمْعٍ وَأَشْوَاقٍ عَلَىَّ تَزِيدُ
طَلَبْتُ مِنَ القَلْبِ اصْطِبَاراً فَقَالَ لِى ... وَلِلشَّوْقِ عِنْدِى مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ
لَقَدْ كُنْتَ صَبًّا وَالدِّيَارُ قَرِيبَةٌ ... فَكَيْفَ وَعَهْدُ الدَّارِ عَنْكَ بَعِيدُ

* * *

وقوله (١) :

وَرُبَّ عِتَابٍ بَيْنَنَا جَرَّهُ الهَوَى ... شَهِىٍّ بِأَلْفَاظٍ أَرَقَّ مِنَ السِّحْرِ (٢)
وَأَحْلَى مِنَ المَاءِ الزُّلَالِ عَلَى الظَّمَا ... وَأَلْطَفَ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ إِذَا يَسْرِى
عِتَابٌ سَرَقْنَاهُ عَلَى غَفْلَةِ النَّوَى ... وَقَدْ طَرَفَتْ أَيْدِى الهَوَى أَعْيُنَ الدَّهْرِ (٣)
وَقَدْ أَخَذَتْنَا نَشْوَةٌ مِنْ حَدِيثِهِ ... كَأَنَّا تَعَاطَيْنَا سُلَافًا مِنَ الخَمْرِ
وَرُحْنَا بِحَالٍ تَرْتَضِيهَا نُفُوسُنَا ... وَهَا أَنَا بَيْنَ الصَّحْوِ مَازِلْتُ وَالسُّكْرِ

وقوله :

أَيَا قَمَراً مِنْ وَجْهِهِ طَلْعَةُ البَدْرِ ... وَيَا رَشَأً مِنْ لَحْظِهِ صَنْعَةُ السِّحْرِ
حَكَيْتَ القَنَا وَالبِيضَ لَحْظاً وَقَامَةً ... فَمِنْ أَجْلِ ذَا أَرْتَاحُ لِلْبِيضِ وَالسُّمْرِ (٤)
وَحَقِّكَ لَوْلَا البَدْرُ يَحْكِيكَ طَلْعَةً ... لَمَا طَمَحَتْ عَيْنِى إِلَى رُؤْيَةِ البَدْرِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْخَمْرِ فِى فِيكَ نِسْبَةٌ ... لَمَا كُنْتُ أَصْبُو عِنْدَ ذِكْرَاهُ لِلْخَمْرِ
وَلَوْلَاكَ فِى قَصْرِ المُصَلَّى وَحَاجِرٍ ... لَمَا شَاقَنِى ذِكْرُ المُصَلَّى وَلَا القَصْرُ
فَيَا نَازِحاً عَنْ مُقْلَتِى وَهُوَ حَاضِرٌ ... بِقَلْبِى لَقَدْ أَفْرَطْتَ فِى الصَّدِّ وَالهَجْرِ
وَيَا فَاتِكاً عَيْنَاهُ قَدْ طَلَّتَا دَمِى ... وَأَسْلَمَتَا قَلْبِى إِلَى نُوَبِ الدَّهْرِ

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٠٦ ، ٤٠٧ . (٢) فى خلاصة الأثر : « جدد الهوى » .
(٣) فى ب : « وقدطرقت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) فى ا : « لحظا ولفتة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ترفقْ بدمعٍ طرْفُهُ فيكَ مُطْلَقٌ وقلبٍ من الأشواقِ في أوثقِ الأسْرِ (١)

***

وقوله :

قلبي مِن الأشْواقِ لاعِجْ والدمْعُ من عينيَّ ذارِفْ
أبْكِي ودَمْعي لمْ يدَعْ أحداً بحالي غيرَ عارِفْ
ولقد أقولُ لِمَنْ يَرَا نِي في طريقِ الذُّلِّ واقِفْ
لولا المحبةُ يا رفيقي لمْ يكنْ قلبي لعاطِفْ
كلا ولا أبْصرْتني للسُّقْمِ والبَلْوى مُحالِفْ
أرْعى النجومَ ولي فؤا دٌ مِن دَواعي البَيْنِ خائِفْ
أصْبُو إذا غنَّى على أعلى غُصونِ الدَّوْحِ هاتِفْ
ويشُوقُني برْقٌ بدا مِن جانبِ الأحْبابِ خاطِفْ
فوحقِّ أغْصانِ القدو دِ ولينِ هاتيكَ المعاطِفْ (٢)
وصباحِ مُبْيَضِّ الجبيـ نِ وليْلِ مُسْوَدِّ السَّوالِفْ
ولواحِظٍ فتَّاكةٍ في جَفْنِها هاروتُ عاكِفْ
ومَراشِفٍ عسَّالةٍ يا حبَّذا تلكَ المراشِفْ
ورَقيقِ هاتيكَ الخصو رِ وتحتَها ثِقْلُ الرَّوادِفْ
ومَواقِفِ الذُّلِّ التي عرَّفْتَني ذُلَّ المَواقِفْ
أشكُو الغرامَ وأرْتجي مِن مُتْلِفي حُسْنَ العَواطِفْ
ما حُلْتُ عنكَ وليس يَصْـ رِفُني عن الأشْواقِ صارِفْ
وإذا أسأْتَ فإنَّها عندي تُعَدُّ من الطرائِفْ

(١) في ا : « ترفق بصب » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) هذا البيت ساقط من : ب .

فسقَى الإلهُ زمانَنـــا ورعَى ليالينا السّوالِفْ
أيامَ كنتُ لعاذلِي وللائمِي فيها أخالِفْ

***

وقوله (١) :

وربَّتَ ليلةٍ قد زارَ فيها خيالٌ في الدُّجى منه طُروقُ
وبات تشوُّقي يُدْنيه منّي ويُبْعِدُه من القلبِ الخفوقُ
فلا أرْوَى الحشا منه اعتِناقٌ ولا بَلَّ الجوى لي منه رِيقُ

وقوله مُضمِّناً :

أرّقتْني الأشجانُ والأشواقُ وبسَهمِ النَّوَى رمانِي الفِراقُ
وَنَمَا الشوقُ في فؤادِي فضاقتْ فيك عن وصْفِ ما بِيَ الأوراقُ (٢)
ثم أنشدْتُ داعياً وبدمعي فيكَ من لَوْعةِ الفراقِ انطلاقُ
جمعَ اللهُ شملَ كلِّ محبٍّ وبَدَا بِي لأنني مشتاقُ (٣)

***

وقوله :

يا مُولَعاً بصدودِي أفنَى الجفا مُستهامَكْ
أعرضْتَ عنّي دَلالاً لمّا عرفْتَ مَقامَكْ
ضيَّعْتني بالتَّجافِي لمّا حفِظْتُ ذِمامَكْ (٤)
فلو شهدْتَ سُهادِي وهبْتَ جفْنِي مَنامَكْ

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٧٠٤ .
(٢) في ب ، ج : « وضاقت » ، والمثبت في : ا .   (٣) في ا : « فإنني مشتاق » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٤) في ب : « ضيعتني بالإجفاء » ، والمثبت في : ا ، ج .

فعاذلِي مُذْ رآنِي   رثَى لحالِي ولامَكْ
يكْفيكَ لحظُكَ سيفًا   فلا تُجرِّدْ حُسامَكْ
طُوبَى لبدرِ الدَّياجِي   لوْ ترتضِيهِ غلامَكْ
ويا سعـــادةَ غُصْنٍ   يحْكِي اعتدالَ قَوامَكْ
جَلَّ الذي ياحبيبِي   في ذا المقامِ أقامَكْ
إلى متى يا فؤادِي   يُذْكِي هواهُمْ ضِرامَكْ
ويا عَذُولِي إلى كَمْ   تُطِيلُ فيهمِ مَلامَكْ
قد كلَّ بالعَذْلِ قلبِي   ومَلَّ سمْعِي مَلامَكْ[(١)]
إن كنتَ رُمْتَ سُلُوِّي   فلا بلغْتَ مُرامَكْ

* * *

وقوله[(٢)] :

ولِي قلبٌ ألِيمٌ من   صُدودِكَ دائمُ الضَّرَمِ
يُوَدِّي لو أقطِّعُهُ   فإنَّ وجودَهُ عدمِي
ولكنْ قطْعِيَ العضوَ الـ   أليمَ يزيدُ في ألمِي[(٣)]

* * *

وقوله ، يصف ليلةً مضتْ[(٤)] له في روضة أريضة ، وساعفته بها آمالُ من الوصال عريضة :

للهِ ليلةُ أُنْسٍ قد ظفرتُ بها   قضَّيْتُها سهَرًا أحلَى من الوسَنِ

---

(١) في ا : « ومل سمعي كلامك » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٢) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٠٧ . (٣) في ا ، ب : « يزيد في ألم » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر . (٤) زيادة من : ج على ما في : ا ، ب .

قَدْ بِتُّها وعيونُ الدّهرِ غافلةٌ … عنّي ولم أخْشَ فيها حادثَ الزّمَنِ[1]

في روضةٍ رَحْبةِ الأكنافِ عاطرةِ الـ … أنفاسِ قد جُلِّيتْ في مَنْظرٍ حَسَنِ

والوُرْقُ في دَوْحِها باتَتْ تُطارِحني … شَجْواً لِما علِمتْ في الحبِّ من شَجَني

فتارةً فَرْطُ أشواقي يُرنّحها … وتارةً طُولُ مَبْكاها يُرنّحُني

وباتَ ظَبْيٌ تُناجِينا لَواحِظُه … بين الورى هي كانتْ مَنْشأَ الفِتَنِ[2]

تُعْزَى الشَّمولُ إلى مَعْنَى شمائِلِه … واللّاذُ يُشبِهُ منه رِقّةَ البدَنِ[3]

بِتْنا كغُصْنَيْنِ في روضٍ يُرنّحُنا … رِيحُ الصَّبا فَحَنا غُصنٌ على غُصُنِ

وباتَ عِنْدِيَ شكٌّ في مُعانقتي … إيّاهُ حتى حسِبْتُ اللُّطفَ صاحِبَني[4]

يا ليلةً منه أرْضاني الزّمانُ بِها … عنْهُ على أنّه ما زالَ يُسْخِطُني

* * *

ومن مقاطيعه قوله[5] :

كُلّمـــا حدَّثْتُ قلبي بسُلُوٍّ عن هواهُمْ … قال لي لا يُمْكِنْ

وإذا ذكّرْتُه أنّهمُ قد أساءوا … قال لا بل أحْسَنوا[6]

وقوله[7] :

قد وَقَفْنا بعـــد التّفرُّقِ يوماً … في مكانٍ فَدَيْتُه من مكانِ

نتَشاكَى لكنْ بغيرِ كلامٍ … نتَحاكى لكن بغيرِ لِسانِ

(١) في ب : « وبتها وعيون » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ج : « منشىء الفتن » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) اللاذ : ثياب حرير تنسج بالصين . اللسان (ل و ذ) ٣/٥٠٨ . (٤) في ب ، ج : « حتى حسبت الطيف صاحبي » ، والمثبت في : ا . (٥) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤٠٧ .
(٦) في ج : « قال لي » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفي ب : « قد أحسنوا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤٠٧ .

٤

يوسف بن أبي الفتح*

إمامُ الأئمة ، ومَن ألقتْ إليه مقاليدَ الحظْوةِ الأزِمّة .

فتميّزَ على أترابِهِ وأخدانِهِ ، تميُّزَ سَمِيِّه(١) على إخْوانه .

(٢ وذلك أنه من منذ نامتْ عَذَبَةُ ذُؤابته ، وأومضتْ للمتفرّسِ مَخِيلةُ نجابتِه٢) .

تطلّع في أعـــلا المصلَّى كأنما   تطلّع في محرابِ داودَ يوسفُ

فَرَقِيَ مِنْبَرَ المسجد الجـامع خطيباً ، وملأه مِسْكاً فلم يُدْرَ أضمّ خطيباً ، أم ضمّخ طِيباً .

وأتى بما يُقرِّطُ(٣) الأسماعَ لؤلؤاً ، ويملأ الأفواهَ طِيباً والمحافلَ تلألؤاً .

فطار صِيتُه في الآفاق ، ووقع على تفرُّده في أسلوبه الاتفاق .

حتى تطلّبه السلطانُ فصيَّره إمامه ، وتوجّه من التقدُّمة بتلك العِمامة .

فقامت الأماني خلفَه صفوفاً ، واستوعب من المعالي أنواعاً وصنوفاً .

ومازال من حين خروجه ، يتنقّل تنقُّلَ القمرِ في بُروجه .

(*) يوسف بن أبي الفتح بن منصور بن عبد الرحمن السقيفي ، الدمشقي ، الحنفي .
ولد سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، بدمشق .
وأخذ عن الحسن البوريني ، وأحمد العيثاوي ، وغيرهما من علماء عصره .
كان ذكيا ، حسن الطبع ، لطيف الشعر ، حلو المنطق ، حسن الصوت .
واشتغل بالإمامة ، والتدريس ، والخطابة ، بدمشق ، والروم .
وولى الإمامة للسلطان عثمان ، ثم للسلطان مراد ، ثم للسلطان إبراهيم .
توفى بالقسطنطينية ، سنة ست وخمسين وألف ، ودفن بأسكدار .
خلاصة الأثر ٤/٤٩٣ .

(١) يعنى يوسف عليه السلام .   (٢) اقتبس الخفاجى هذا من مقدمة الباخرزى لكتابه دمية القصر ١/٣ ، ٤ تحقيق .   (٣) في ب : « يقرط » ، والمثبت في : ا ، ج . وقرط الجارية : ألبسها القرط .

إلى أن صار ثالث القمرين ، وفاز برتبة قضاء العسكرين .

وكان مع ما أُعطِيَه من الرتبة التى لا تُنال إلا بالتمنّى ، والحرمة التى تُرْمى لقِبَلها المطايا بالتمنّى .

لم يبرح يحنّ إلى مواطن (١) إيناسه ، ويرتاح إلى مراتع غزلان صَرِيمه وكِناسه .

هذا ، وله الفضل الذى تليت سُوَرُ أوصافِه ، وجُليت (٢) صُوَرُ اتّسامه بالتفوّق واتّصافه .

والتصانيف (٣) التى ما جُعِلت الأقلامُ ساجدةً إلّا لمّا رأتْ محاريبَ قِرْطاسِها ، وما سُمّيتْ خَرْساء إلا قبل أن ينفُثَ فى رُوعِها روائع (٤) أنفاسِها .

وأما الأدب فهو (٥) إمامه الذى به يُقْتَدَى ، وسابقه الذى بذكره يُبْتَدَى .

وله الشعر الذى اقتبس ألفاظَه من ذوات الأطواق ، واختلس معانيَه من حَنِين العُشّاق (٦ تُكابِد الأشواق ٦) .

يُطْرِب مَن لم يكن يَطْرَب ، ويكاد لفظُه من العذوبة يُشْرَب .

وها أنا أورِد منه ماتتباهى به حروفُ الرِّقاع ، ويلَذّ فى السَّمْع لَذَّةَ الغِناء من كل شَكْلٍ حسَنٍ على الإيقاع .

فمنه قوله من قصيدة أولها :

هــذا الحمى أين الرّفيقُ المُنْجِدُ ... قد يمّمَ الخَيْفَ الفريقُ المُنْجِــدُ
بانُوا فلا دارى تَحِلُّ بعــدَهمْ ... دارِى ولا عَيْشى لديْها أرْغَدُ (٧)

---

(١) فى ب ، ج : « موطن » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ا : « واجتليت » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « والتصنيفات » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب ، ج : « رائع » ، والمثبت فى : ا .
(٥) فى ب : « فإنه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .
(٧) فى ب ، ج : « ولا عيش » ، والمثبت فى : ا .

وعلى الأكَلَّةِ فتيةٌ لعبتْ بهمْ　　　راحُ السُّرى والعيسُ فيهمْ تسجُدُ
يتهافتونَ على الرِّحالِ كأنَّهمْ　　　قُضُبٌ على كُثُبِ النَّقا تتأوَّدُ
واهًا على وادي مِنًى والمُنْحَنى　　　لو كانَ يُجدي واهِيٌ تسْعِدُ
كانتْ عروسُ الدَّهرِ أيّامًا لنا　　　فيه ثلاثٌ لَيْتَها لى عُوَّدُ
عهْـــدي به مَغْنَى الهوى تشتاقُه　　　عينٌ مُسهَّدةٌ وقلبٌ مُكْمَدُ
مابالُه بعدَ الثلاثةِ أقفرتْ　　　منه معالمُه وأقوى المعهدُ
ياهلْ لليْلاتٍ بجمْعٍ عودةٌ　　　أم هلْ إلى جمْعِ المُعرَّفِ موعدُ [1]
جِسْمى بأكنافِ الشآمِ مخيِّمٌ　　　وهَوايَ بالرَّكبِ اليماني مُصْعِدُ
تاللهِ هاتيكَ الليالى أثَّرتْ　　　في مُهجتى نارًا تقومُ وتقعُدُ
وكأنَّ مَرْمَى كلِّ موقعِ جَمْرةٍ　　　في القلبِ والأحشاءِ منِّى مَوقِدُ [2]
للهِ أيامي بجَرْعاءِ الحِمى　　　والدهرُ مَشْغولُ الحوادثِ أمْلَدُ
أيامَ ظِلُّ الدهرِ غيرُ مُقَلَّصٍ　　　عنِّى وعيشى طابَ فيه المَوْرِدُ [3]
في حيثُ رَيْحانُ الشبيبةِ يَجْتَنى　　　والخَيْفُ مَغْنَى للحِسانِ ومَوْعِدُ
إذْ مُنتداهُ مَرادُ كلِّ خريدةٍ　　　يَصْبُو إليها الخاشعونَ العُبَّدُ
مرَّتْ كسِقْطِ الزَّنْدِ أعقبَ جَمْرةً　　　في القلبِ يُذْكيها الغرامُ ويُوقِدُ
مالِى إذا برقٌ تألَّقَ بالحِمى　　　أوْدَى بمُهجتِى المُقيمُ المُقْعِدُ
وإذا نسمْتُ رُوَيْحةً من طَيْبـــةٍ　　　جعلتْ زفيرى بالحَشا يتوقَّدُ
وإذا نسيمُ الرَّوْضِ هبَّ تبادرتْ　　　وَفْقَ الصَّبابةِ أدْمُعٌ تتردَّدُ
ومتى ظفِرْتُ من الزَّمانِ بناصرٍ　　　أخذَتْ تُفنِّدُه علىَّ الحُسَّدُ

(١) في ب ، ج : « إلى جمع العريف منجد » ، والمثبت في : ا . وجمع : هو المزدلفة ، وهو المشعر ؛ سمى جمعا لاجتماع الناس به . معجم البلدان ٢ : ١١٨ . (٢) في ب : « فكأن مرمى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ج : « وعيش طاب » ، والمثبت في : ا ، ب .

وقوله من أخرى ، أولها :

سَقَى أَثَلاتٍ بالعُذَيْبِ تَميزُ — له من أفاويقِ الغمامِ سَميرُ (١)

سحابٌ تُزجيه الرياحُ وراءَه — نسيمٌ له المسكُ الفتيقُ عبيرُ

ولا برحتْ تُسْدِي يدُ القطرِ فوقها — من النَّوْرِ مَوْشِيَّ السَّدَى وتُنيرُ (٢)

وخِلْنا دَرارِي الأفقِ فيه تساقطتْ — وآنَ لها أنَّ النجومَ تَغورُ

عهِدْنا بها غصنَ الشَّبيبةِ ناعمًا — يَرِفُّ رفيفَ البانِ وهو نضيرُ (٣)

كأنَّ أزاهيرَ الشقيقِ بدوحِها — خدودٌ ونَوْرَ الأُقْحُوانِ ثغورُ

كأنَّ ندَى النَّرْجِسِ الغضِّ فوقها — عيونُ الغواني مسَّهنَّ فتورُ (٤)

كأنَّ غصونَ البانِ تندَى نضارةً — معاطفُ غِيدٍ حشوُهنَّ خمورُ

سقتْها دموعي بل سقاها على البِلَى — مُلِثٌّ من الأنواءِ وهو غزيرُ (٥)

فآهٍ لها كم لذَّةٍ تحت ظلِّها — نَعِمْنا بها حيث الكؤوسُ تدورُ

وآهٍ على عيشٍ بجوِّ سُوَيْقةٍ — تولَّى وعيشُ الغانياتِ قصيرُ (٦)

وواهًا لأيامٍ بشرقيِّ ضارجٍ — تقضَّتْ عشايا تحتها وبُكورُ (٧)

فمرَّتْ ولم تُعْقِبْ سوى جمرةِ الأسى — يَشِبُّ لها تحتَ الضلوعِ سعيرُ

خليليَّ مالي إن تألَّقَ بارقٌ — يكادُ فؤادي كالشَّرارِ يطيرُ

وإن خطرتْ من سفحِ نجدٍ نُسَيْمةٌ — فلي أنَّةٌ تحتَ الدُّجى وزفيرُ

وإن ذُكِرتْ أيامُ رامةَ أنثني — وفي القلبِ من فرطِ الغرامِ هجيرُ

(١) في ا : « من أفاويق الغمام » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب ، ج : « موشى السدى ونير » ، والمثبت في : ا . (٣) في ا ، ب : « يرف رفيف » ، والمثبت في : ج . (٤) في ا : « عيون الغوادي » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) الملث : المطر يدوم أياما . (٦) في ب : « بجو سويقة » ، ولعلها : « بجى سويقة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وانظر التعريف بسويقة في معجم البلدان ٣/١٩٨ – ٢٠١ .

(٧) في ج : « وآها لأيام » ، والمثبت في : ا ، ب . وضارج : أرض سبخة مشرفة على بارق ، وبارق قرب الكوفة ، وقيل : ضارج : ماء وتخل لبني سعد بن زيد مناة . انظر معجم البلدان ٣/٣٦١ .

ألا يا نسيمَ الرِّيحِ من بطنِ لَعْلَعٍ ... تَحَمَّلْ فقلبي بالفِراقِ أسيرُ

ويا بَرْقَ نجدٍ هاتِ عن أيمنِ الحِمَى ... حديثًا فَفِي بَثِّ الغرامِ سُرورُ

هلِ الجِيرةُ الغادونَ من جَنْبِ حاجرٍ ... أناخوا لِوَى الجَرْعاءِ وهْوَ مَطيرُ

وهل أَثَلاتُ الجِزْعِ يَنْدَى ظِلالُها ... وأرضُ الحِمَى فَيْنانُ وهْوَ مَطيرُ

وهل هاجِماتُ البانِ تَهْتزُّ خُوطُها ... هُبوبُ نسيمٍ هَبَّ وهْوَ عَطيرُ (١)

وهل دَرَسَتْ من بطنِ فَجٍّ مَسارحٌ ... ومَحَّتْ جَنوبٌ رَسْمَهـا ودَبُورُ (٢)

فما بِنْتُ غُصْنٍ فوقَ أفنانِ إلْفِها ... وإلْفي خَليطٌ مُنْجِدٌ ومُغيرُ

تراها إذا وُرْقُ العَشايا تَرَنَّمَتْ ... تُهَيِّجُ من داءِ الهوى وتُثيرُ

تُذَكِّرُني وهْنًا أفانينُ سَجْعِها ... لَيالي زَرُودٍ والمُحِبُّ ذَكُورُ (٣)

بأَبْرَحَ مِنِّي أن تقولَ بُثَيْنَةٌ ... لقد ضُرِبَتْ لي بالعَقيقِ خُدورُ

عَذيرِيَ في هـذا الهوى من مُؤَنِّبٍ ... وهَيْهاتَ في هـذا الغرامِ عَذيرُ (٤)

يَلومُ فؤادي في هَـواهُ ألا دَرَى ... بأنَّ فؤادَ العاشقينَ صَبُورُ

يقولُ عجيبٌ منكَ أمرٌ عجيبٌ فكيفَ ... وأنَّى يَعْتَرِيكَ غُرورُ

فقلتُ له خَفِّضْ عَدَتْكَ صَبابتي ... فكلُّ مُعَنًّى يَهْتَدِي ويَثُورُ (٥)

ما رَكْبٌ من شُوسِ القَوافِي شِمِلَّةٌ ... تَسيرُ مع النَّعْماءِ حيثُ تَسيرُ (٦)

أقامَتْ بسَفْحِ الصّالحيّةِ بُرْهةً ... وحَشْوُ حَشاها لَوْعةٌ وزَفيرُ (٧)

بها من هَواءِ الغُوطَتَيْنِ نَسيمةٌ ... ومن عَذْبِ ماءِ النَّهْرَيْنِ غَديرُ (٨)

---

(١) الخوط : الغصن الناعم . (٢) فج : موضع أو جبل في ديار سليم بن منصور . معجم البلدان ٣/ ٨٥١ .

(٣) زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٢/ ٩٢٨ .

(٤) في ب : « عذيري من » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ا : « يهتدي ويثور » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) الناقة الشملة : السريعة . (٧) الصالحية : قرية كبيرة ، ذات أسواق وجامع ، في لحف جبل قاسيون ، من غوطة دمشق . معجم البلدان ٣/ ٣٦٣ . (٨) الغوطتان : تثنية الغوطة ، وهي الكورة التي منها دمشق ، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وفي ...

إذا هبطت من ربع جلق منزلا … وقد نام حاد واستقال مثير
أمرنا بها طوع القياد توجهت … ركائبها وهو المراد تزور[(١)]
تزور فتى من آل منجك ماجدا … على كل من يدعى الأمير أمير[(٢)]

* * *

وقوله من أخرى ، مبتدؤها :

تذكر من أكناف رامة مربعا … ومغنى به غصن الشبيبة أينعا
فبات على جمر الغضا يستفزه … غرام فيذري الدمع أربع أربعا
كئيبا لليلات الغميم متيما … معنى بأيام الحجون مولعا[(٣)]
يخالف بين الراحتين على الحشا … ويلوي على القلب الصديع توجعا
فمن صبوات تستفز فؤاده … ومن زفرات أضرمت فيه أضلعا
ألا في سبيل الحب مهجة عاشق … تولع فيه الحب حتى تولعا
وعين أبت بعد الأحبة بخلها … وفاء بحق الربع أن تتقشعا[(٤)]
سقى الله من وادي منى كل ليلة … هي العمر كانت والشباب المودعا[(٥)]
ويا جاد أياما بها قد تصرمت … ثلاثا ومن لي أن أراهن أربعا[(٦)]

= كما يقول ياقوت : أنزه بلاد الله ، وأحسنها منظرا . معجم البلدان ٣/٨٢٥ .

والنيربان : تثنية النيرب ، وهي قرية مشهورة بدمشق ، في وسط البساتين ، ويذكر ياقوت أنه أنزه موضع رآه . ويسمى النيربان بلفظ التثنية . معجم البلدان ٤/٨٥٥ . (١) في ب ، ج : « وهو المزار تزور » . (٢) لعله يعني الأمير محمد بن منجك اليوسفي ، أمير ، داهية ، ولي إمارة الأمراء بمدينتي الرقة والرها ، توفي سنة اثنتين وثلاثين وألف . خلاصة الأثر ٤/٢٢٩ .

أو لعله يعني ولده منجك بن محمد ، الأمير ، الشاعر . وستأتي ترجمته برقم ٧ .

(٣) في ا : « لليلات العميم » ، والمثبت في : ب ، ج . والغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة . معجم البلدان ٣/٨١٨ . والعميم أيضا موضع . انظر معجم البلدان ٣/٧٣١ . (٤) في ا : « أن تتخشعا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ب ، ج : « من داري مني » ، والمثبت في : ا .

(٦) في ا ، ب ، ج : « ويا جاد أيام » ، ولعل الصواب ما أثبته .

وحيّ مُقامي بالمقامِ وأرْبُعا ... لَدَى عَرَفاتٍ بامقامهن أَرْبُعا(١)

فللّهِ ما أبهى بمكّةَ مَشْعَرا ... ولله ما أحلى لزمزمَ مَشْرَعا

ألَا ورَعَى دَهْرا تقضّى بجِلّقٍ ... ولولا الهوى ما قلتُ يوما لها رَعَى

ويا عاقبَ اللهُ الغرامَ بمثلِه ... لكي يعذرَ العشّاقَ فيمن تولّعا(٢)

خليليّ مالي كلّما لاح بارقٌ ... تكادُ حصاةُ القلبِ أن تتصدّعا

وإن نسمتْ من قاسيونَ نُسَيْمةٌ ... أجدْ أدمعا منّي تساجلُ أدمُعا(٣)

وحتّى مَ قلبي يستطيعُ إذا شدا ... حَمامُ اللِّوى بالرَّقمتين ورجّعا(٤)

وكم ذا أقاسي سَوْرةَ البَيْنِ والأسى ... ولا يرحمُ العذّالُ منّي توجّعا

ألا هكذا فِعْلُ الغرامِ بأهلِه ... ومن باتَ في صُنْعِ الهوى ما تصنّعا(٥)

عذيريَ من هذا الزمانِ وأهلِه ... ومن لي بمن يُصغي لشكواي مسمعا(٦)

يُخوّفني منه العدوُّ تطلّعا ... ويُظهر لي منه الصديقُ تفجّعا(٧)

ولم يدرِ أنّي للقضاءِ منوِّعٌ ... وما كان قلبي للقضاءِ ليجزعا

وقوله من أخرى، راجع بها أحمد بن شاهين(٨):

حيّتكِ يا دارَ الهوى بالأبرقِ ... وطفاءُ من نوءِ السِّماكِ المُغدقِ(٩)

وغدتْ تُفتّقُ في نواحيكِ الصَّبا ... أرَجا يفضُّ زبالهُ مهما يعبقِ

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٢) في ب ، ج : « لكي يعذر العشاق » . والمثبت في : ا . (٣) قاسيون : هو الجبل المشرف على دمشق . معجم البلدان ٤ / ١٣ .

(٤) في ا : « وحتى م قلبي يستطيل » ، والمثبت في : ب ، ج . والرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج ، بعد ماوية تلقاء البصرة ، وبعد حفر أبي موسى تلقاء النباج ، وهما على شفير الوادي . معجم البلدان ٢ / ٨٠١ .

(٥) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من : ب ، ج ، وهما في : ا . (٦) في ب ، ج : « ومن لي من يصغي » ، والمثبت في : ا . (٧) في ب : « يخوفني منه المذول » ، والمثبت في : ا ، ج . وفي ب : « الصديق توجعا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٨) ستأتي ترجمته برقم ٦ . (٩) انظر الأبرق والأبرقين ، في معجم البلدان ١ / ٨١ – ٨٥ . وسحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها .

وتكفّلت أيدي الرّبيع بمطرف   لــتراك تخلعـــه وبُرْدٍ مونِقِ
حتّى ترى ممســك المغاني جنّــة   من سُندسٍ تزهى ومن إستبرقِ
كم لذّة في جنبتيك خلستُها   وهْنًا وعــين الدّهرِ لم ترمُقِ
واهًا لهـــا إن كان فرْطُ تأوّهي   يُجدي على شحْـــط النّوى وتحرّقِ
لله أيّامي بجــو سُويقـــة   سلفتْ بمصطبـــح ولذّةِ مغبقِ
أيّامَ ريحــانُ الشّبيبــةِ باسقٌ   يندى ومــاء هواي غــير مرنّقِ
في حيثُ ظــلُّ اللّهوِ ضافٍ والنّقا   مَهْوى لجارحـــة وقلبٍ شيّقِ
إذْ منتـــداه مرادُ كلّ خريدةٍ   بســوى خيــالاتِ الهوى لم تعلقِ
رودٌ يرنّحهــا الغرامُ فتنثــني   ســكرى كخوطِ نقًا تأوّدَ مورقِ
كم ليـــلةٍ بتْنا بأكنــافِ اللّوى   نلهو بذاتِ الحجْلِ ذاتِ القرْطقِ (١)
بتْنــا على الوادي يراودنا الهوى   طوْعًا وغيرُ الطّرفِ لمّا يفسُقِ (٢)
وكواكبُ الجوْزاء ترنو خفيــةً   لنظــامِ مجلسنا بطرْفٍ محدقِ
والبــدرُ في أفقِ السّماء كزورقٍ   صافي اللُّجيْنِ على رداء أزرقِ (٣)
وكأنّمــا نجْمُ الــثّريّا إذْ بدا   كفُّ الخريــدةِ ضمّ لم يتفرّقِ
بانَتْ ومابدلَتْ محاسنَهــا النّوى   ونأتْ ومــا حلّتْ عقودَ تفرّقِ (٤)
يا ميُّ حــتّى مَ الدّموعُ تشي بنــا   وإلى مَ في مُضْناكِ لم تترفّقي
يــا ميُّ أنْفقْتُ الغرامَ على النّــوى   إلّا هواكِ ذخرْتُ لمــا أُنفقِ
ما آن أنْ تتــذكّرينَ عهودَنــا   ولياليًا سلفتْ بجوّ الأبرقِ (٥)
ما آن أن ترْعَيْ عشيّاتِ الحمى   ومواسمًــا مرّتْ بغوطــةِ جلّقِ

(١) القرطق : القباء . اللسان (ق ر ط ق) ١٠/٣٢٣ .   (٢) في ب : « يرنحنا الهوى » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٣) في ا : «على رداء أزرق» ، والمثبت في : ب ، ج .   (٤) في ا ، ب : « عقود تفرق » ، والمثبت في : ج .   (٥) في ب ، ج : «ما آن إن أن تذكرين» ، والمثبت في : ا .

اللهَ يالمياءِ في قلبِ امرئٍ ... لم يــألُ ماعنَ ادِّكارِكِ يخفِقِ[1]
اللهَ ياهيفاءِ في ذي عَبْرةٍ ... طفِقَتْ متى في الفِكْرِ خِلْتِ تَرَقْرَقِ[2]
هـذا أما وهَواكِ وهْوَ أَلِيَّتي ... بِـأعزَّ من قسمٍ وأكْرَم مَوْثِقِ
لم تستمِـلْ طَرْفِي رَعابيبُ الحِمَى ... كلّا ولا أبْصِر سِواكِ فأعْشَـقِ
ناجزتُ كلَّ أخِي غرامٍ فارْعَوى ... أهلُ الهوَى عنِّي ولستُ بمُملِقِ[3]
وكتمتُ سِرَّ هواكِ وهْوَ ذَخيرتي ... عنـد الأنقاءِ ورُبَّمـا أن نلْتقِي
يارَبْعَ جِلِّقَ لا أغبَّكَ عارِضٌ ... يَهْمِي عليك بكلِّ أسحمَ مُبْرِقِ
وسَرَتْ تُصافِـحُ مِن مَغانِيكَ الصَّبا ... مَأْمُومةً فيهـا هوايَ ومَعْشَقِي
فيهـا مُسامَرتي ومُعْظَمُ صَبْوَتِي ... فيهـا مُعاقَرتِي وفَرْطُ تَشَوُّقِي

* * *

وله يصف وادي التلّ[4] :

أحدُ مُتنزَّهات دمشق ، البلدة التي صُوِّرت مِن الجِنان ، وأضحى وَقْفًا على محاسنِها القلبُ والجَنان .

وهو وادٍ مُربِع النَّبات ، ومَسْرَحٌ مُخضَرُّ الجَنَبات .
زهرةً وأُخْتُبا ، وشجرةً وبِنْتُبا .
وجَرْيَةُ[5] ماءٍ ورَنَّةٌ صادِح ، ونشاطُ واصِفٍ ورَوحةُ[6] مادِح .
إلى رياضٍ كَبُرودِ الحَصانةِ الرُّود ، وحِياضٍ كورُودِ[7] الثغرِ البَرُودِ .

---

(١) في هذا البيت إقواء ، وفي ب : «لم يأل ما عن ادكارك» ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في هذا البيت أيضا إقواء . (٣) في ب : «فلست بملق» ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) ذكر المحبي الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٩٧ . (٥) في ب : «وخرير» ، والمثبت في : ا ، ج .
(٦) في ا ، ب ، ج : «وروحة» . (٧) في ب : «كبرود» ، والمثبت في : ا ، ج .

وكان مضى له به عهـدٌ فارقه وهو عليه واجِد، مع فِتْيَةٍ صِدْقُهم [١] والحظ المُرافِق [٢] شيء واحِد:

أَقَمْنا بوادِي التَّلِّ نَسْتجلِبُ البَسْطَا ... بحيثُ دنا منّا السُّرورُ وما شَطّا
وجِئْنا لِرَوْضٍ فتَّقَتْ نَسماتُه ... روائحَ يبْعَثْنَ الأَلُوَّةَ والقُسْطا [٣]
وقد ضربتْ أفنانُ أغصانِه لنا ... ستائِرَ إذْ مُدَّتْ خمائِلُه بُسْطا
يُبارِي به الوُرْقَ الهَزارُ كراهِبٍ ... يُحاكي بعِبْرانِيِّ ألفاظِه القِبْطا
ويعطِفُ ما بَيْنَ الغُصونِ نسيمُـهُ ... كما اجْتَمعَ الإلْفانِ من بعد ما شَطّا
وتُمْلِي أحاديثَ الغَرامِ لُحوظُها ... فترْويه لكن ربَّما نسِيتْ شَرْطا [٤]
جلسْنا على الرَّضْراضِ فيه هُنَيْئةً ... وقد نُظِمتْ كالدُّرِّ حَصْباؤُه سِمْطا [٥]
بِهِ مِن لُجَيْنِ الماءِ يَنْسابُ جدولٌ ... تُجَعِّدُه أيدِي النَّسيمِ إذا انْحطَّا
حكى مُسْتقِيمَ الخطِّ عند انْسِيابِه ... فنقَّط منه الوجهَ زَهْرُ الرُّبى نَقْطَا [٦]
سَقَى اللهُ دهْراً مَرَّ في ظِلِّه لقد ... أصاب بما أوْلَى وإن طال ما أخْطا
وحَيِّي على رَغْمِ النَّوى كُلَّ ليلةٍ ... تقضَّتْ به لا بالغُوَيْرِ وذِي الأَرْطَا [٧]
ليالِيَ لا رَيْحانةُ العمرِ صَوَّحتْ ... ولا وجدتْ في أرضِها الجدْبَ والقَحْطا [٨]
صحِبتُ بها مِثْلَ الكواكبِ فتيةً ... أحاديثُهم في مَسْمعي لم تزلْ قُرْطا [٩]

---

(١) ساقط من: ج، والمثبت في: ا، ب. (٢) في ب، ج: «الوافر» والمثبت في: ا.
(٣) الألوة: العود الذي يتبخر به. والقسط بالضم: عود يتداوى به. (٤) في خلاصة الأثر:

ويُملي أحاديثَ الغرام لحوضه ... فيرويه لكن ربما نسيت شرطا

وفي ا: «فتمليه لكن»، والمثبت في: ب، ج، وفي ج: «أنسيت شرطا»، والمثبت في: ا، ب.
(٥) الرضراض: الحصى أو صغارها. القاموس (ر ض ض). (٦) في خلاصة الأثر: «فنقط منه الجو». (٧) الغوير: ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام. وقيل: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة، فيه بركة وقباب. معجم البلدان ٣/٨٢٧.
وأرطاة: ماء للضباب، بصدرِ دارة المَكْمِن. والأرطاة: واحدة الأرطى، وهو من شجر الرمل. معجم البلدان ١/٢٠٩. (٨) في خلاصة الأثر: «لا ريحانة اللهو».
(٩) في خلاصة الأثر: «صحبت به».

يفضّون مختومَ الصبابة والهوى ... ويرعَون حبّ القلب لا البانَ والخمْطا[1]
إذا نثروا من جوهر اللفظ لؤلؤاً ... أودّ ولو بالسمع ألقطُه لَقْطا[2]
يديرون من كأس الحديث سُلافة ... وربّتما تحكى الأحاديثُ إسْفِنْطا[3]

* * *

ومن نُتَفه قوله[4] :

يا مَن هواهُ بقلبي ليس يبرحُ من ... بين الترائبِ تِربَ الشوقِ والأسفِ
أليّةً بليالينا التي سلفتْ ... وبالغرامِ وإن أدّى إلى تلَفِ[5]
وبالدموعِ التي أجريتُها غُدُراً ... ومدمعٍ فيك لم يطعمْ كرَى ذرفِ
لأنت أنتَ على ما فيك حبُّك في ... جوانحي كامنٌ كالدُّرِّ في الصَّدَفِ

* * *

وكتب إلى صدر الشام وعالِمِها ، ومَن به قامت دعائمُ معالِمِها عبد الرحمن العِمَادِيّ المُفتي[6] :

رحمةُ العلمِ والفتاوى تجلّت ... وصلاةُ الأقلامِ في الأوراقِ
[7] :

---

(١) الخمط : كل شجر لا شوك له . (٢) في ا : « من جانب اللفظ » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) الإسفنط : المطيب من عصير العنب ، أو أعلى الخمر . القاموس (إ س ف ن ط) وانظر حلبة الكميت ٧ . (٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٤٩٩ . (٥) في ب : « إلى تلف » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادي ، الحنفي ، الدمشقي .

ولى أمر الفتوى بعد أبيه بالشام ، وحوى من الصفات الحسنة والأخلاق الرائقة ما انفرد به دون منازع .

وله رسائل كثيرة في سائر الفنون ، وأشعار أكثرها لطيف المسلك ، حسن الموقع .

توفي سنة إحدى وخمسين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خبايا الزوايا لوحة ٦١ ب ، خلاصة الأثر ٢/٣٨٠ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٠ ب ، ريحانة الألبا ١/٢٢١ ، سلافة العصر ٢٧٢ . (٧) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٤٩٨ .

القلبُ أصدقُ شاهدٍ عَدْلٍ على صدْقِ المحبّهْ
ومن القلوبِ إلى القلو بِ مواردٌ للحبّ عذْبَهْ
طُوبَى لمن يُسقَى بكا سِ رحيقِها المختومِ شَرْبَهْ[1]

فراجعه بقوله[2] :

الحبُّ أظهر من إقا مَةِ شاهدٍ بين الأحِبّهْ
ومحبّةٌ برهانُها عينُ العيانِ تعدُّ حَبّهْ
وإذا ارتضى المولى بمَثْـ وَى القلبِ فليَسْتَفْتِ قلبَهْ

* * *

ومن شعره[3] ما قاله عاقداً فيه حديث : « أحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أنْ يكُونَ بَغِيضَكَ[4] يَوْمًا مَا ، وأبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ[5] يَوْمًا مَا » :

بين المحبّةِ والتّباغضِ برزخٌ فيه بقاءُ الوُدِّ بين النّاسِ
بخلافِ أقصى الحبِّ أو أقصى الذى هو ضدُّه من كلّ قلبٍ قاسِى
فمآلُ كلٍّ منهما ندَمٌ على تفريطِه ندماً بغيرِ قياسِ[6]

* * *

ومن مقاطيعه قوله :

إذا ما أزْمعَ الأحْبابُ ظَعْنًا وثارَ لدى الوَداعِ حنينُ وَجْدِى
فقلْ لهمْ بِعَبْرةِ ذى وُلوعٍ تمتّعْ من شميمِ عَرارِ نجْدِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « شرابها المختوم » . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٩٨ ، ٩٩ .
(٣) ذكر المحبى هذا والشعر أيضا فى خلاصة الأثر ٤/٩٩ .
(٤) فى خلاصة الأثر : « عدوك » . (٥) فى خلاصة الأثر : « صديقك » . (٦) فى ا : « يوما بغير قياس » ، وفى خلاصة الأثر : « ندم بغير قياس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

تتمَّة(١) :

* فما بعدَ العشيَّةِ من عَرارِ *

قال أبو هلال(٢) في كتاب « المعاني »: (٣)الألوان ، يعني من النساء ، تعتريها بالعشيَّة صُفرةٌ مستحسَنة ، كما قال :

. . . . وصَفْ راء العشيَّةِ كالعَرارَه(٣)

قال الشهاب : أقول : العَرارُ زَهر بَرِّيٌّ أصفر(٤) ، ومن هنا يفهم معنى قوله :

* فما بعدَ العشيَّةِ من عَرارِ *

* * *

وقوله مضمِّنا :



إن هبَّ ريحُ النِّفاقِ بين الرِّفاقِ عَصُوفا

فقل خُشاشةُ نفسٍ وقـال خُلِقتُ ألوفا

يريد بيت المتنبي(٥) :

---

(١) البيت لصمة بن عبد الله القشيري . اللسان (ع ر ر) ٤/٥٦٠ ، وهو في نوادر أبي زيد ٢٦١ بدون نسبة . (٢) في الأصول «ابن هلال» ، وهو خطأ ، وهو يعني أبا هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، المتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، والنقل من كتابه ديوان المعاني ٢/١٣ .

(٣) الذي في ديوان المعاني : « وتعترى الألوان بالعشيات صفرة قليلة تستحسن ؛ ولذلك شبهها بالروض ، لما في الروض من الزهر ، وهو أصفر ، ومن هذا قوله أيضا :

. . . . . . وصَفْ راء العشيَّة كالعَرارَهْ »

وما استشهد به أبو هلال معظم بيت للأعشى ، هو قوله :

بيضاء ضَحْوتَها وصفْ راء العشيَّة كالعرارهْ

ديوان الأعشى الكبير ١٥٣ ، واللسان (ع ر ر) ٤/٥٦٠ ، وفيه : « بيضاء غدوتها . . . » .

(٤) في اللسان (ع ر ر) ٤/٥٦٠ : « العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، قال ابن برى : وهو النرجس البرى » . (٥) ديوان أبي الطيب ٢٢ .

حُشاشةُ نفْسٍ ودَّعتْ يومَ ودَّعُوا فلم أدْرِ أيَّ الظَّاعنَيْن أُشَيِّعُ[1]

وبيتَه الآخر[2] :

خُلِقْتُ ألوفًا لو رجعتُ إلى الصِّبَا لفارقْتُ شيْبِي مُوجَعَ القلْبِ باكِيا[3]

* * *

وقوله[4] :

إنْ رحَلَ القومُ عنَّا ركابُهم ظَاعنينا

فقلْ لهم بانكِسارٍ يامنْ يعزُّ علينا

تتمته[5] :

. . . . أن نُفارقَهُمْ وِجْدانُنا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمُ

* * *

وقوله[6] :

أحْبَبْتُها هيْفاء يُزْرِي قَدُّهَا بالغُصونِ رنَّحهُ النَّسيمُ وحرَّكا[7]

مَرَّتْ فضاعَ المِسْكُ مِن أرْدانِها فودَدْتُ بالأرْدانِ أن أتمسَّكا

* * *

وقوله[8] :

ياويحَ قلبي مِن هوًى شادِنٍ يَجْرحُه اللَّحْظُ بتَكْرارِهِ

---

(١) في ب ، ج : « حين ودعوا » ، والمثبت في : ا ، والديوان . (٢) ديوان أبي الطيب ٤٤٠ .

(٣) في الديوان : « لو رحلت إلى الصبا » . (٤) البيتان والتتمة الآتية مما سقط من : ج ، وهو في : ا ، ب . (٥) ديوان أبي الطيب ٣٢٤ . (٦) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٤٩٩ .

(٧) في خلاصة الأثر : « حركه النسيم فحركا » . (٨) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٤٩٩ .

أُدْنُو فتغدو وَرْدَتَا خَــدِّهِ ... بَنَفْسَجًا يَزْهو بِنُوَّارِهِ[1]

***

وقوله[2] :

أُفٍّ لِدُنْيا لم تَزَلْ ... عن وجْهِ ذُلٍّ سافِرَهْ

تَعْمِيرُها مُسْتَلْزِمٌ ... تَخْرِيبَ دارِ الآخِرَهْ

*

---

(١) في خلاصة الأثر : « أرنو فتغـدوا » ، وفي ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « بنفسجا يزهى بنواره » .
(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٩٩ .

﴿ فصـــل ﴾

ذكرت فيه مما فى الأصل[١] أربعة من الرجال ، وَصَفُهم حَلْىٌ تتغاير فيه رَبَّاتُ الحِجال .

تحثُّ بهم عَزْمَها القَلُوصُ النَّواجِى ، وتستفيدُ منهم سِحْرَها العيونُ السَّواجِى

وإنى [٢] لا آمَن [٢] من[٣] أن يُقال : كَرَّرُوا على الأسماع ، والمكرَّر مَملول بالإجماع .

ومِن العادات ، تركُ المُعادات .

فَخَبَرُ الحبيب يطيبُ على الإعادة ، وسَجْعُ الحمام إذا تردَّدَ أطْرَبَ بحسبِ العادة .

ومن يَمَلُّ من الأنفاس ترديداً ، ويسأمُ من رَشَفاتِ الثُّغورِ تعْديداً[٤] .

على أنِّى مُقتَفٍ أثرَ الباخَرْزِىّ فى « دُمْيته » ، حيثُ أعادَ ذِكرَ بعض مَن ذكر الثَّعالِبىُّ فى « يَتيمته » .

وقال[٥] : « لولا تَكْرارُ الكُؤوسِ ، لما استقرّ الإطْرابُ فى النُّفوس ، ولا استقلّت[٦] صُبابةٌ على الرُّؤوس[٦] ، والحياةُ على حسن مَساقِها وطِيبِ مذَاقِها ، إذا[٧] جاوزَت النَّفَس الأوّل مُعادة ، وحبُّها لكل من الحيوانات عادة ، حتى إنها لا تَملُّ إذا كُرِّرَتْ[٨] عليها ، ولا تَكْرَه إذا رُدَّت[٩] إليها » .

والشَّرط أنى لا أذكُر من شِعْرهم السَّامِى ، وزَهْرِهم الذى نبَت فى الرَّوضِ الشَّامِى .

---

(١) يعنى ريحانة الألبا ، للشهاب الخفاجى . انظرها فى ١/١٣١، ١٣٢، ٢٢٨_٢٦١ (٢) فى ا : « لآمن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٤) فى ج : « تفريدا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) دمية القصر ، تحقيق ١/١٨ . (٦) فى دمية القصر : صبابة الخمار عن الرءوس » .

(٧) فى دمية القصر : « ما » . (٨) فى دمية القصر : « كَرَّرْتَ » . (٩) فى دمية القصر : « رَدَدْتَ »

إِلّا مالم يصلْ إليه ، وما ذكرَه منه لا أُحاشِرُه عليه .

والحكمةُ هي الضَّالَّةُ فأين[1] وُجِدتْ أُخِذت ، وحيثُ ماسُمِجَت نبذت .

وما بعثني على ذِكْرِهم ، إلا التَّلَذُّذُ بحَمْدِهم وشُكْرِهم .

وإني لأحْسَبِ إنْ طالَتْ لعهدهم[2] السُّنون ، أن تتعلق بمحاسنهم خطاطيفُ[3] الظُّنون .

وعلى كلِّ حالٍ فحقُّهم عليَّ أوْجب ، وزيادةُ[4] إِلْمامي بنُخَبِهم[5] لا تُنكَر ولا تُحجَب .

فنهم :

۞



---

(١) في ب : « أينا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : « لبعدهم » ، وفي ب : « لعدهم » ، والمثبت في : ج . (٣) في ب : « خطائف » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا وحدها : « وتحيهم وزيادة » . (٥) في ب : « بنجبهم » ، والمثبت في : ا ، ج .

٥

أبو الطيّب الغَزّيّ *

أوحدُ البُلَغاء العِظام ، وأجلُّ من تفوَّه بالنثّار والنظّام .

جاء أُمّةً وحده في الأفتِنان ، وامتطى جوادَ البراعةِ فأجراه طَلْقَ العِنان .

فهو في النَّباهة آية ، لم تفتْه من مَطالبه غاية .

فكلُّ خاطرٍ ينفَد إلّا خاطرُه ، وكلُّ سحابٍ يضِنّ إلا سحابٌ يسحُّ من فكره ماطِرُه .

ومكانتُه في السُّؤدد عالية ، وساعةُ قُرْبِه ليست بالعُمْر غالية .

تحلَّى بالزهد ، وبذَل في التخلّي (١) الجهد .

وشعره حِجّةُ مُتصابٍ وفتنةُ مُتماسِك ، إذا سمعه المشغوف لم يَبْقَ فيه إلا رَمَقٌ بلَذّاته مُتماسِك .

قالت الأصدافُ : الفخرُ لألفاظه الغرّ ، فلذلك حشا الدهرُ في فمِها الدُّرّ .

(*) أبو الطيب بن محمد بن محمد الغزي ، العامري ، الدمشقي .

يتصل نسبه بعامر بن لؤى .

كان في زمنه أبلغ الشعراء ، وأدقهم نظرا ، وشعره من أجود الشعر رونقا وديباجة .

وهو من أذكياء العالم وفضلائه ، والمشهود لهم بالتفوق والبراعة .

انتفع في علوم الأدب بالقاضي محب الدين ، جد المؤلف ، وتفقه بالشهاب البيتاوى .

ورحل إلى مصر ، فأخذ عن علمائها .

ثم عاد إلى دمشق ، ودرس بالمدرسة القصاعية الشافعية .

ثم تفرغ عنها ، وعرض له عارض سوداوى اختلت منه أحواله .

توفى سنة اثنتين وأربعين وألف ، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان .

تراجم الأعيان ١ / ٢٦٦ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، خلاصة الأثر ١ / ١٣٥ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب ، ريحانة الألبا ١ / ٢٥٧ ، سلافة العصر ٣٨٨ .

(١) في ا : «الحلى» ، وفي ج : «التحلى» ، والمثبت في : ب .

إذا ابتدأ معنى أبرزه كهلال العيد ، وأوقعه موقع فصل الخطاب وبيت القصيد .

وإن استعاره صيّره خلقاً جديدا ، وجعله كأنه في الفكر[1] جديدا[2] .
وأقام دعامته إن خفى رسما ، وأعطاه روحاً إذا كان جسما .
وأنا ممن ألهج[3] به ابتهاجاً وزهواً ، ولى بمحاسنه شغف المتيم بمن يهوى .
تحركني إليها دواعي الوجد ، فأولع بها ولوع ابن الدمينة[4] بصبا نجد .
وقد جئتك منها بما يملأ المسامع التذاذاً ، ويجعل القلوب من الوجد جذاذا .
قال في الغزل :

رشأ تمكن من فؤاد التائه ... في قفر خديه وفي بيدائه
أسد يجول بحلية الحسن التي ... فيها الأسود تكون من أسرائه
ملك ترى رمح القوام وقوس حا ... جبه وسيف اللحظ من نظرائه
قمر تراءى نحو مرآة السما ... ء وفيه أثر بدره بإزائه
أترى أرى نفسي مفكهة به ... ليلا يحن إلى في ظلمائه
فلكم تطاول نأيه عنى وذقـ ... ـت به عناً لا ذقت طعم عنائه[5]
في ليلة تلقى الكئيب مفكراً ... مما به يرعى نجوم سمائه
لولا غزير الدمع أحرقه الحشا ... لولاه أصبح مغرقاً ببكائه
أمعنفي دع عنك تعنيفي فليـ ... ـس يطيعني سمعي على إصغائه

(١) في ب ، ج : « الأفكار » ، والمثبت في : ا . (٢) في ج : « جديدا » ، والمثبت في : ا ، ب
(٣) في ب : « ابتهج » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) يعني عبد الله بن عبيد الله بن عمرو بن مالك الخثعمي ، المعروف بابن الدمينة ، المقتول نحوا من سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وقوله :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجدا على وجد

ديوانه ٨٥ . (٥) في ج : « تطاول نائه » ، والمثبت في : ا ، ب .

ودَعِ الهوَى طَلْقَ العِنانِ لأهْلِهِ   وارْبأْ بنفسِكَ عن رُباه الفِيحِ
فلَرُبَّما ضاقَ الفضاءُ بأهْلِهِ   ولربَّما سُدَّتْ مهابُّ الرِّيحِ
كم ذا تبِيتُ مُسَهَّداً ترْعَى السُّها   مُتمَلْمِلاً مِن لاعِجِ التَّبْرِيحِ
كم ذا تصُدُّ عن النَّصيحِ عَمايةً   وترَى وَلِيَّ النُّصحِ غيرَ نَصيحِ
ومُمَنَّعٍ كابْنِ الغزالةِ دُونَهُ   غابًا حِمىً مِن ذُبَّلٍ وصَفيحِ
لم يَمْتَلِقْ مُضْناهُ مِنْهُ بِزَوْرةٍ   تَشْفِي ولا مِن فَتْكِهِ بمُرِيحِ
لو شئْتُ لا شئْتُ المَعادَ إلى الهوَى   لرأيْتَنِي بالرُّوحِ غيرَ شَحيحِ
ورأيتَ آرامَ الصَّرِيمِ سوانِحًا   في مجالسِي وصَوادِراً في سُوحِي
ورأيْتَنِي ضُمَّتْ على مُتنَسِّكٍ   مُتعَفِّفٍ حينَ اللقاءِ كُشوحِي

* * *

وله من أخرى ، مُستهَلُّها :

وفتًى يَرِفُّ بمِثْلِ ثَوْبِ نُضارِ   وعَثاعِثٍ ترْتَجُّ تحتَ إزارِ (1)
أمّا مُحَيّاهُ الوسيمُ فإنّه   مَنْحُ القلوبِ ومَطْمَحُ الأنْظارِ
شفَعتْ ذوائبُه الدُّجَى وجَبِينُه   بَهَرَ الهلالَ عشِيَّةَ الإفْطارِ
يرْنُو بأكْحلَ كالجِرازِ فيالَه   من أسودٍ ذِي أبيضٍ بتّارِ (2)
تبْدُو لهُ أُسْدُ العرِينِ ظواهراً   فيُعيدُها أخْفَى من الأسْرارِ
صنَمٌ تخِرُّ له البَطارِقُ سُجَّداً   ليُجيرَهم فيُبيلهم في النّارِ
إنْ قلتُ بدرٌ رابَنِي بسُفورِهِ   أو قلتُ رِيمٌ راعَنِي بنِفارِ (3)

---

(١) العثعث : مالان من الورك . القاموس (ع ث ث) .   (٢) الجراز من السيوف : الماضى النافذ . اللسان (ج ر ز) ٥/٣١٧ . والفيـال من المفايلة ، أى شق الشىء . انظر اللسان (ف ى ل) ١١/٥٣٥ .   (٣) فى ب ، ج : « إن قلت ريم رابنى » ، والمثبت فى : ا . وفى ب ، ج : « أو قلت بدر » ، والمثبت فى : ا .

لو أنــكَرتْ منّى هواهُ جوارحى　　فشُحوبُ جُسمانى به إقرارى [1]
لم أنْسَهُ واللَّيْــلُ بحرٌ مُزْبِدٌ　　بنُجومِه وأديمُه من قارِ
وإذا به وَافَى يفوحُ كأنَّمـــا　　زُرَّتْ غَــلائلُه على عَطَّارِ [2]
صدَعَ الدُّجُنَّةَ فارِيًا دَيْجُورَها　　عن بَدْرِ تِمٍّ مُشْرِقِ الأنوارِ
وافترَّ يَبْسِمُ عن ثنايا وامِضٍ　　بلآلِئٍ نَسَقِ النِّظـامِ صِغارِ

＊＊＊

قلت : صِغَر الأسْنان ممدوح ، قال ابن النَّبِيه [3] :

ولم أرَ قبلَ مَبْسِمِه　　صغيرَ الجوْهرِ الثَّمَنِ [4]

واعتذرَ عن كِبَرِها القائل :

يفترُّ عن مِثْلِ نظْمِ الدُّرِّ أتقنَه　　بحُسْنِ تأليفِه فى النّظْمِ مُتقِنُهْ
عابُوا كِبارَ ثناياهُ فقلتُ لهمْ　　الدُّرُّ أكْبرُه فى العيْنِ أثمنُهْ

＊＊＊

تتمّة الأبيات :

عُلَّتْ بخرْطومٍ كُمَيْتٍ سَلْسَلٍ　　لا مزّةٍ كلّا ولا مُصْطارِ [5]
رُوحٌ بلا جِسمٍ ولــكن جوهرٌ　　مُتصدِّفٌ بالقارِ والفخّارِ
لو عَبَّ ساقِيها دُجًى فى كأسِها　　لرأيتَ بدرًا لَسَّ شَمْسَ نَهارِ [6]
حمراءُ تحسَبُهــــا عقيقةَ بارقٍ　　إن لم تــكُنْهــا فهْىَ جَــذْوةُ نارِ
مِسْــكيّــةٌ فــكأنّها دَمُ شادنٍ　　يَختــالُ من كاساتِهــا فى قارِ [7]

---

(١) فى ب : « هواه جوانحى » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٢) فى ا : « وافى يلوح » ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٣) ديوانه ٤٠٤ .　(٤) فى ا : « الجوهر الثمن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، و الديوان .
(٥) تقدم التعريف : « مزة ومصطار » فى صفحة ٤٨ .　(٦) فى ا : « ليس شمس نهار » . والمثبت فى : ب ، ج . ولس القصعة : لحسها ، وهو يعنى بدرا يخفى شمس النهار .　(٧) فى ب : « يختال فى كاساتها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لَمْ يُصْغِ لِلتَّعْنِيفِ مَسْمَعُ وَالِهٍ ... رَسَخَ الهَوَى والوَجْدُ في سَوْدائِهِ
يا صاحِبَيَّ سَلاهُ هلْ مِن عودة ... بزمانِ أُنْسٍ تَمَّ لي بلِقائِهِ (١)
أَمْ هَلْ وِصالٌ أرْتَجيه منه أو ... وَعْدٌ فأَبْقَى في انْتِظارِ وَفائِهِ (٢)
أَمْ هلْ أُسامِرُ طَيْفَهُ من بعد أن ... قاسَيْتُ فَرْطَ نُفورِهِ وإبائِهِ (٣)
فَهواهُ داءٌ ضِمْنَ قلبي لا يَزُو ... لُ وما لِقَلْبِي مُخْلَصٌ مِن دائِهِ
فأنا المُقيمُ على المحبّةِ والوَلا ... وأنا الذي في الرِّقِّ مِن خُدَمائِهِ (٤)

وله من قصيدة كلُّها دُرَرٌ وغُرَرٌ (٥) :

أمَا آنَ مِن نَجْمِ الشُّجونِ غُروبُ ... وحتّى مَتَى رِيحُ الفُتونِ تَنُوبُ (٦)
تُكَلِّفُنِي من بَعْدِ سُلْوانِ صَبْوَتِي ... شَمالٌ تُعَنِّي مُهْجَتِي وجَنوبُ
سَهِرْتُ لها نائِي المَضاجِعِ فانْبَرَى ... لها بَيْنَ أحْناءِ الضُّلوعِ لَهِيبُ
إذا رَكَدتْ رِيحٌ وقَرَّ نَسِيمُها ... أبَى مِنْهُ إلّا أن يَعودَ هُبوبُ (٧)
وفي الصَّدْرِ بَدْرٌ فيه لم تَحْظَ أعْيُنٌ ... ولا صَوَّرَتْه للنُّفوسِ قُلوبُ (٨)
مُحَيّاهُ رَوْضٌ ناضِرٌ في ثَنِيِّهِ ... لطائِمُ منها باهِرٌ وعَجِيبُ
قَناةٌ عليها للشُّموسِ مَطالِعٌ ... ومَرْكَزُها دُونَ الإزارِ كَثِيبُ
بَعِيدُ مَناطِ القُرْطِ سِحْرٌ لِحاظُهُ ... ذَهوبٌ بألْبابِ الرِّجالِ لَعُوبُ
بَديعُ التَّثَنِّي للهَواءِ ولِلْهَوَى ... نَسِيمٌ يُبارِي لُطْفَهُ ونَسِيبُ
يَجولُ وِشاحٌ أو تَغَصُّ دَمالِجٌ ... إذا لاحَ في بُرْدٍ وماسَ قَضِيبُ

---

(١) في ب : « هل من دعوة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : « أرتجيه أو » ، والمثبت في ، ب ، ج ، وفي ب : « أرتجيه منه وأو » . (٣) في ب ، ج : « من بعدما » ، والمثبت في : ا . (٤) في ب : « وأنا المقيم » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) الأبيات الأربعة الأولى في خلاصة الأثر ١ / ١٣٦ ، وكذلك الأبيات من التاسع عشر إلى الثاني والعشرين . (٦) في خلاصة الأثر : « وحتى متى ريح الفنون تؤوب » . (٧) هذا البيت ساقط من : ا . (٨) في ا : « لم تحظ أعين » ، وفي ب : « لم تحظ » ، والمثبت في : ج .

يُرى منــــه فى رِيمٍ مَهاةٌ وضَيغَمٌ   ويَعرِض فى الأخــلاء مِنــهُ مَهيبُ
يَشوبُ الرِّضَا بالصَّــدِّ والوصلَ بالقِلَى   وما هــــو إلَّا مُسْقِمٌ وطَبيبُ (١)
تَمنُّعُ إطْماعٍ وإطْماعُ مانِعٍ   ودَرٌّ ودَلٌّ رائِقٌ وخَلُوبُ
دعانى إلى الرُّجْعَى على حينِ غَفْــلةٍ   من الحُسْنِ والأهْــواء منــه تُريبُ
دعَا سائِرِى مِن كلِّ عُضْوٍ وكُلَّما   دعَا منْـــهُ داعِيــهِ أجابَ مُجيبُ
لُسِبْتُ من الصُّــدْغِ الجَنِىِّ بعَقْرَبٍ   له بَينَ وَرْدِ الوجْنتَيْنِ دَبيبُ (٢)
لئِن عادَ لى عِيــدُ اللَّواعِجِ غِرَّةً   فإنّ فُؤادِى للغَرامِ نَسيبُ
وعُنْوانُ حالى لو رأى بَثَّ بَعْضِــهِ   شُحوبٌ ومِن دونِ الشُّحوبِ وَجيبُ
لَحَا اللهُ قلبِى كم تُنازِعُــه الرَّدَى   إحــاطَ لهـــا فى صَفْحتَيْــهِ نُدُوبُ
يَلَذُّ الهــوَى لا دَرَّ دَرُّ أبِى الهَوَى   وحَسْبُك منه زَفْرةٌ ونَحِيبُ
أُدرِجُ أنْفاسِى مَخافَةَ كاشِــحٍ   وأُطْرِقُ كيْما لا يُقالَ مُريبُ
أدِينُ بِــكِتْمانِ الهوَى فيُــذِيعُهُ   فُؤادٌ وطَرْفٌ خافِقٌ وسَكُوبُ (٣)
وقالُوا غَوِىٌّ لا يتوبُ وآثِمٌ   وما علِمُوا حُوبًا فــكيفَ نَتوبُ (٤)
بِحَسْبِ التَّوانِى مِن عَفافِىَ زاجِرٌ   ومِن صَوْنِهِ عمَّا يُريبُ قريبُ (٥)
أُجِلُّك أنْ أُبدِى هــواكَ عُــلالةً   ولــكن لسانُ العاشقِين خطيبُ

* * *

وله من قصيدة ، أولها :

نَهْنِه دَوالِــحَ جَفْنِك المَقْرُوحِ   وأرِحْ طَلائحَ قلْبِك المجْرُوحِ (٦)

(١) فى ا : « يشوب الرضا بالوصل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) لسبت : لدغت . (٣) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ١٣٦/١ ، ١٣٧ بقية القصيدة بطريق مخالفة عن ما هنا ، فقد أورد أربعة أبيات أخرى غير المذكورة هنا ، ثم علق عليها ، وذكر أربعة أبيات أخرى . (٤) فى ب : « لا يتوب وآثم » والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا : « فــكيف أتوب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : « بحسب التوانى » ، وفى ب : « بحسب القوانى » ، والمثبت فى : ج . (٦) الدوالح : جمع الدالح ، وهى السحابة الــكثيرة الماء ، تدلح من كثرة مائها .

منها فى المديح :

وَهّابُ أذْوادِ المَطافِلِ يكْتَفِى   بِسُقُوبِها بل واهِبُ الأخْطارِ (١)

يُنْسِى أحاديثَ المكارِمِ إنه   مُلْغِى الوُعودِ ومُهدِرُ الأعْذارِ

يطْفُو السَّخاءُ على أسِرَّتِه كما   يطْفُو الفِرِنْدُ على الصَّقيلِ العارِى (٢)

مازالَ فى طَلَبِ العُلا حتى انبرَى   كهلا فأدْرَكَ خمْسةَ الأشْبارِ

فى بُرْدَتَيْــه أبو دُؤاد لجارِه   ولمن يُناوِيه أبو الأذْعارِ (٣)

مولاىَ يا كهفَ الأفاضلِ والنُّهَى   ويَمِينِ بَيْتِ الله ذى الأسْتـارِ

إنِّى لأُكْبِرُ منكَ هيْبةَ ضَيْغَمٍ   وأجِلُّهــا منِّى عن الإكْبارِ

سأقول فيكَ الشِّعرَ يقْطُر حُسْنُه   أو يُسْتَمدُّ السِّحْرُ من أشْعارِى

يُزْرِى بوَشْىِ الرَّوْضِ نَمَّقَ نَوْرَه   كفُّ النَّسيمِ وراحـةُ الأمْطارِ

وله من أخرى ، مطلعها :

أمُؤَنِّبِى فى الحبِّ لا تمتونى   ما أنتَ من وَلَهِى ومن سُلْوانِى

لا تَسْقِنِى ماءَ المَـلامِ فإنَّمـــا   عَيْناىَ من ماءِ الهوى عيْنـانِ

---

(١) المطافل : ذوات الطفل من الإبل ، وهى النوق معها أولادها . انظر اللسان (ط ف ل) ١١/٤٠٢ .

والسقوب : جمع السقب ، وهو ولد الناقة ساعة تضعه أمه ، وقيل : إذا علم أنه ذكر . اللسان (س ق ب) ١/٤٦٨ .

والأخطار : جمع الخطر ، وهو الإبل الكثيرة ، وقيل : الخطر مائتان من الغنم والإبل ، وقيل : هى من الإبل أربعون ، وقيل : ألف وزيادة . اللسان (خ ط ر) ٤/٢٥٢ .

(٢) فى ب ، ج : « يطفو السحاب » ، والمثبت فى : ا . (٣) يعنى بأبى دؤاد جارية بن الحجاج الإيادى ، ويضرب به المثل فى حسن الجوار ، وذلك أن كعب بن مامة كان إذا جاوره رجل قام له بكل ما يصلحه وعياله ، وحماه ممن يريده ، وإذا هلك له بعير أو شاة أو عبد أخلف عليه ، وإن مات وداه ، فجاوره أبو دؤاد هذا ، فكان يفعل به ذلك ، ويزيد فى بره ، فضرب به المثل ، وكان أبو دؤاد يفعل بجيرانه مثل ما فعل كعب به ، ثمار القلوب ١٠٠ .

وذو الأذعار : تبع ؛ لأنه سبى قوما وحشة الأشكال ، فذعر منهم الناس ، أو لأنه حمل النسناس إلى بن فذعروا منه وتفرقوا ذعارير . القاموس (ذ ع ر) .

وَلَه بِجانحتيَّ صَـوْنُ حديثه ... دِينٌ وشأْنِي مُخبِرٌ عن شأني (١)
لولا ضِرامٌ شَبَّ بين جَوانحي ... لغرِقْتُ من غَرْبَيَّ بالطُّوفانِ
رِفقاً فلا غـيرُ المنيَّةِ والجوَى ... هُو أوَّلٌ وهِيَ المحَلُّ الثَّاني
ليتَ الذي فَهِقَتْ كؤوسُ جفونِه ... أنهى يَرِنُّ إليكَ ماسَقَّاني (٢)
إنَّ المُدرَّبةَ الظُّبَى ولِحاظَه ... أنَّى أتَّجَهتْ من الهوى سِيَّانِ (٣)
لِلّهِ من أجفـانِ جُؤْذَرِ كَلّةٍ ... يَرْعَى الحشا بَدلاً عن الحَوْذانِ (٤)
يطْفو النَّعيمُ على غَرارةِ وجْهِه ... فتَرِفُّ منه شقائقُ النُّعمانِ (٥)
مُتوضِّحُ القَسَماتِ يبْرحُ خالِياً ... مني جَناني جاذِباً بِعناني
وبَغيضةٌ سُبْلُ الغرامِ إليَّ ما ... لم يعْتسِفْها ضَـلَّةُ الهِجْرانِ
وسَبِيَّةٍ من خَمْرِ عانةَ مُزَّةٍ ... نَظَمَ المِزاجُ بها عقودَ جُمانِ (٦)
قُتِلَتْ بِصَوْبٍ من صَبيرِ غمامةٍ ... لمعتْ بِمثلِ مصابيحِ الرُّهْبانِ

ومنها في المديح :

فَرْعٌ تمكَّن من نِصابٍ دُونه ... أخذَ الكَمِيُّ بِمَنكِبَيْ ثَهْلانِ (٧)
يَقِظٌ بأعقابِ الأمورِ كأنَّما ... يُدْلِي بجاسُوسٍ إلى الكِتْمانِ

---

(١) في ا ، ب : « وله بجانحتي » ، والمثبت في : ج . (٢) في ا : « ما ساقاني » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) المدرب : الحادة . (٤) في معجم البلدان ٤/٢٩٣ : « الكلاء ... اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة » ، ولعلها « كلية » : ماء ، أو هي من أودية العلاة باليمامة . انظر الجبال والأمكنة والمياه ١٣١ ، ومعجم البلدان ٤/٣٠٣ .

والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء في أصلها صفرة ، وورقته مدورة ، والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم . اللسان (ح و ذ) ٣/٤٨٨ .

(٥) في ا : « فترف عنه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) السبية : الخمر تحمل من بلد إلى آخر . وعانة : بلد مشهور ، بين الرقة وهيت ، يعد في أعمال الجزيرة . معجم البلدان ٣/٥٩٤ .
وتقدم التعريف بـ « مزة » في صفحة ٤٨ .

(٧) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . معجم البلدان ١/٩٤١ .

لا تطَّبيه مُدامةٌ تُجْلَى على ... عَزْفِ القِيانِ ورَنَّةِ العِيدانِ (١)
عمّتْ فضـــائلُه وذاع نَوالُه ... كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بكلِّ مَــكانِ

منها :

واسْتَجْلِها عذراءَ غلَّ رُضابَها ... حَمْراءَ تهْزَأُ بالنَّجيعِ القانِي
شُجَّتْ بذِى خَصَرٍ يُبَدِّدُ فوقَها ... حَبَباً يجولُ كأَعْيُنِ النِّينانِ (٢)

* * *

النِّينانُ : جمعُ نُونٍ ، وهو الحوت . قيل هو جمعٌ غير معروف .

وقد كان سِيبَوَيْه لَحَّن بشَّارَ بنَ بُردٍ ، فى قوله فى صفة السفينة (٣) :

تُلاعِبُ نِينانَ البُحورِ ورُبَّما ... رأيْتَ نُفوسَ القومِ من جَرْيِها تَجْرِى

فغيَّره بشَّار بـ « تيّارِ البحور »

وقد قال أبو الطَّيِّب يصف خيلاً (٤) :

فهُنَّ مع السِّيدانِ فى البرِّ عُسَّلٌ ... وهُنَّ مع النِّينانِ فى البحرِ عُوَّمُ (٥)

قلت : وأبو الطيب ، له فى اللغة النَّظَرُ الصَّيِّبُ (٦) ، وهو ممن يَميزُ الخبيثَ من الطَّيِّب .

* * *

ومن نُتَفِه ومقاطيعه قوله (٧) :

عاطَيْتُه حَلَبَ العَصيرِ ولا سِوَى ... زُهْرِ النُّجومِ تُجاهَ زُهْرِ المجْلِسِ (٨)

---

(١) لا تطَّبيه : لا تستميله . اللسان (ط ب ى) ١٥/ ٣ . (٢) الخصر : البرد . (٣) ديوانه ٣/ ٢٨١ بهذه الرواية ، وانظر مقدمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الديوان ١/ ٥٨ . وانظر ديوان بشار (العلوى) ١٣٤ ، فهو فيه بالرواية المعدلة . (٤) ديوانه ٢٩٢ . (٥) الرواية المثبتة فى الديوان « وهن مع الحيتان » ، وفى هامشه رواية بعض النسخ وهى توافق ما فى النفحة . (٦) فى ا : « الطيب » ، والمثبت فى ب ، ج . (٧) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/ ١٣٧ ، وريحانة الألبا ١/ ٢٦٠ وقد أخل المحبي بشرطه ، سلافة العصر ٣٩٣ (٨) فى خلاصة الأثر : «حول المجلس » .

أَنْظُرْ إليه كأنَّه مُتَبَرِّمٌ مِمَّا تُغازِلُه عيونُ النَّرْجِسِ
وكأنَّ صَفْحةَ خَدِّهِ ياقُوتةٌ وكأنَّ عارِضَه خَمِيلةُ سُنْدُسِ

هذا على أسلوب قول ابن هانئ الأندلسي (١) :

خالَسْتُه نظَراً وكان مُورَّداً فاحْمَرَّ حتى كادَ أن يتلهَّبَا (٢)
انْظُرْ إليه كأنَّه مُتنَصِّلٌ بجُفونِه ولقد يكونُ المُذْنِبَا (٣)
وكأنَّ صَفحةَ خدِّه وعِذارَهُ تُفَّاحةٌ رُمِيَتْ لتقتُلَ عقْرَبَا

* * *

وله :

صادَفْتُه مُتَبَذِّلاً بصِحابِهِ يوماً فأقْصرَ عنهمُ في منزِلِ (٤)
وتركْتُه نَهْبَ الرِّعاعِ وإنَّه أشْهى إليَّ من الرَّحيقِ السَّلْسَلِ

* * *

وله (٥) :

لقد علِقْتَ يا فُؤادِي بالحُسَيْنِ ذي الوَسَنْ
فإنْ ظَمِئْتَ فارْشِفَنْ رِيقَ الحسينِ والحَسَنْ

* * *

---

(١) ديوانه (بيروت) ١٦ ، تبيين المعاني ٨٢ ، ٨٣ ، خلاصة الأثر ١/١٣٧ ، ريحانة الألبا ١/٢٦١ .
(٢) في خلاصة الأثر : « خاطبته نظراً » وهي رواية توافق ما في تبيين المعاني ، ورواية النفحة ، توافق الديوان ، وريحانة الألبا ، وفي ريحانة الألبا : « فازداد حتى كاد أن يتلهبا » ؛ وبعد هذا في الديوان ، وتبيين المعاني :

هٰذا طِرازُ مَا ٱلْعُيونُ كَتَبْنَهُ لٰكِنَّهُ قبلَ العُيُونِ تَكَتَّبَا

(٣) في خلاصة الأثر ، وريحانة الألبا : « بجفونه من طول ما قد أذنبا » ، ورواية النفحة توافق ما في الديوان والتبيين . (٤) في ا : « في منزلى » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٥) خلاصة الأثر ١/١٣٧ .

وله (١) :

ناسَقَنِي الوصْــلَ فهَنَّيْتُه ... مِيقاتُ مُوسَى فاتَ بالصَّدِّ (٢)

لا بُدَّ من بَيْنٍ على غِرَّةٍ ... ما أنتَ إلا زَمَنُ الوَرْدِ

* * *

وله (٣) :

لنا نفوسٌ إذَا هِيَ انْصَدعَتْ ... بلَمْحِ طَرْفٍ تقومُ ساعَتَهَا

عزَّتْ فعاشَتْ بفَقْرِها رَغداً ... وفى اعتزال الأنامِ رَاحتُهَا

* * *

وله :

نَضارةُ أهل الـكَيْفِ ظَلَّ مَن اكتسى ... به نحو شهرٍ ظَلَّ فى النَّاسِ عارِياً (٤)

على وَجْهِ مَيٍّ مِسْحَةٌ من ملاحــةٍ ... تَزُولُ ويبْــقَى الخِزْىُ مِن بَعْدُ بادِياً

* * *

وله :

أعَــدَّ لِهمِّهِ أوْراقَ كَيْفٍ ... تَمُدُّ من السُّرورِ عليــه فَيْئَا

كألْسِنةِ الشُّموعِ تُضِىءُ لـكن ... تُذِيبُ نُفوسَها شيْئًا فشَيْئَا

*

---

(١) خلاصة الأثر ١/١٣٧ . (٢) فى ج : « ناسقتنى الوصل » ، وفى خلاصة الأثر : « أنسأنى الوصل » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) خلاصة الأثر ١/١٣٧ ، ١٣٨ . (٤) فى ا : « نضارة أهل الـكأس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٦

أحمـــد بن شاهين*

عينُ الزّمان ويمينه ، لو حلَف أيأتينّ بمثله حنِثت(١) يمينه .

فهو شخصٌ كلُّه جود ، وما مِن فضْلٍ إلا فى ذاتِه موْجود .

مواردُ كرمِه سائغة ، وملابسُ نِعَمِه سابغة ،

مُورِقُ عِيدان العلا رَطْبُها   أبْلجُ وَجْهِ العُرْفِ بسّامُهُ

مع شِيمةٍ لو أنّها فى الماء ما تغيّر ، وهِمّة لو أنها للنجم ما تغوّر .

وأيادٍ روائحُ غوادٍ ، كنسيم الرِّياضِ غِبَّ الغوادى .

فلِلمزْن فيضُ بنانِه ، وللرَّوْض حسنُ افتنانه .

وله فكرٌ إذا اتّقد تابب(٢) منه اللهب ، وخلْقٌ إذا انتقد تبهرج عنده الذّهب .

(*) أحمد بن شاهين القبرسى الأصل ، الدمشقى .

ولد سنة خمس وتسعين وتسعمائة .

وكان أبوه من أجناد دمشق ، وسلك هو أيضا طريق الجندية ، ثم تركها بعد الفتنة التى وقعت بين على بن جانبولاذ والعساكر الشامية .

ثم اتجه إلى العلم والأدب ، فلزم الحسن البورينى ، وعبد الرحمن العمادى ، وأبا الطيب الغزى ، وعبد اللطيف بن المنقار .

كان مليح العبارة ، جيد الفكرة ، حلو الترصيع ، حسن التصرف فى النظم والنثر .

اشتغل بالتدريس ، والقضاء ، والتأليف .

وتوفى سنة ثلاث وخمسين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

تراجم الأعيان ١/١٣٩ ، خلاصة الأثر ١/٢١٠ ، ريحانة الألبا ١/٢٢٨ ، سلافة العصر ٣٧٥ ، هدية العارفين ١/١٥٩ .

(١) فى ا : « حنث » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ب : « النهب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وكان فى مَبْدَإِه من الجند على طريقةِ والدِه ، حتى بلغ فنزع بنفسه إلى مجدٍ أغناه مُطْرَفُه عن تالِدِه .

وحُبِّب إليه أنواعُ المعارف ، فاعتاض عن حُمْرِ المضارب بسُود المراعف[1] .

كما قال[2] :

صَبَوْتُ إلى حُبِّ الفضائلِ بعدما تقلّدتُ خَطِّيًّا وصُلْتُ بمِخْذَمِ[3]
ومارستُ من بعدِ القناةِ يراعةً كأبيضَ مصقولِ العوارضِ لَهْذَمِ[4]
وصار مِدادِى من سَوادِ محاجِرِى وقد كان مُحْمَرًّا يَسِيلُ كعَنْدَمِ

فجاء من التحائفِ التى بيَّضتْ وجوهَ القراطيس ، وجذبتْ المحاسنَ إلى صَوْبِها جَذْبَ المِغْناطِيس .

بما أطلع قدودَ ألِفِها محفوفةً بالولائد ، ولآلِى الشذورِ كأنها على العِقْد قد نظَمها للقلائد .

إلى نظام مثلِ السوالفِ زُمَّت بالشُّعور ، وأداء كدُرَرِ البحور عُلِّقت فى النحور .

وشعرُه وإنشاؤُه إذا رآهما الأديب ، قال : ليس للبلاغةِ إلّا ذانِ ، يلجانِ السمعَ إلى القلبِ بلا أذانٍ ولا استئذان .

أحاطتْ ببدائعِه حواشى الإجادة ، إحاطةَ الخَلْخَال بالقدود ، وتوشَّتْ رياضُ روائعِه بالملاحةِ توشيةَ العِذارِ بوَرْدِ الخدود .

فكلُّ ما كتبه أوفاه به لسانُه ، لا سبيلَ لأن يُجحد حسنه ويُنكر استحسانُه .

ومضى عليه زمن وهو فى عَيْشٍ رَفيه ، والعزُّ ناظرٌ وهو نُورٌ فيه .

---

(١) فى ب : « المعارف » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وهو يعنى الأقلام . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢١٠ . (٣) فى خلاصة الأثر : « وصلت بلهذم » . (٤) بين هذا البيت والذى يليه تقديم وتأخير فى خلاصة الأثر .

حتى أسَنَّ فوقف الدَّهرُ فى تعهُّدِه دون حقُوقِه ، وخرج إلى ما كان يهيِّئُه له من برِّه [١] إلى عقوقه .

وأخَّر مطالبَه تأخير الغَرِيم ، لدَيْن الكريم .

وبدَّله عن النَّشاطِ المُقِيم ، بالحظِّ العَقِيم .

والزمان حالٌ لا إلى بقَا ، وصَفْوٌ لا يبْقَى على نقَا .

فسَلْوةُ الأيَّام موعدُها الحشْرُ ، ولكنَّما مُنْتهى هو النَّشْر .

ثم عاجَلَه الحِمام ، فسَقَى تُرْبَه هَطَّالُ الغَمام :

وما جاده الغيثُ عن غُـلَّةٍ ... ولـكن ليبكى النَّدَى بالنَّدَى [٢]

وقيل فيه [٣] :

قلتُ لمَّا قضى ابنُ شاهينَ نَحْبًا ... وهو مَوْلَى كلٌّ يشيرُ إليه [٤]

رحمَ اللهُ سـيِّداً وعزيزاً ... بـكتِ الأرضُ والسَّماء عليه

* * *

فمَّما اخترْتُه مِن آثاره ، وألمعتُ به من نِظامِه ونِثاره .

رسالةٌ ألْمعَ بها على الأسلوبِ البديعِ ، وجرَى فيها على أسْلوب البَديع [٥] .

كتبَ بها إلى شيْخِه الحسن البُورِينيِّ [٦] ، [٧] يتعهَّد بها [٧] مُطالعتَه ، ويسأل مُراجعتَه .

عقِب مُهاجَرة وقعتْ بينهما ، واقْتضتْ بَيْنَهما [٨] :

أعزَّ اللهُ الشيخَ الذى سكن من الجوارحِ أشْرفَها ، وسلَك من طُرُقِ الحِجَا أوْعرَها وأشْرفَها .

---

(١) فى ب ، ج : «لعقوقه» ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب ، ج : « ومن جودها » ، والمثبت فى : ا ، وفيها : « ولـكن ليبلى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) القائل هو الأمير المنجكى . انظر خلاصة الأثر ١/٢١٧ ، وديوان منجك ٤٨ . (٤) فى ج : « قل » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، والديوان وفيه : « وهو ركن » . (٥) يعنى أحمد بن الحسين ، بديع الزمان الهمذانى . (٦) يعنى الحسن ابن محمد بن محمد البورينى ، بدر الدين ، صاحب تراجم الأعيان ، المتوفى سنة أربع وعشرين وألف . انظر خلاصة الأثر ٢/٥١ .

(٧) فى ا : «يتعبدها» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٨) الرسالة كاملة فى تراجم الأعيان ١/١٤٦–١٥٥ .

وبالغ فى العُقوبة وزاد ، واستغرق أوقات الوداد ، بالبُعد والعناد .

وارتكب مركَباً من الخليقة صَعْباً ، وقطع جميع الطُّرق إلَّا طريق الوفا وَثْباً .

واستعار أُذُنا ليَستوعى[1] بها المثالب ، وعيناً ينظرُ بها المصائب .

ويداً يبطش بها فى كلِّ صاحِب ومُصاحِب ، ورِجْلا يسْعَى بها إلى الأباعد دون الأقارب .

ووَجْهاً يتصرّفُ فى أسِرّته ، كتصرُّف الملِك الجائر فى رعيَّته .

ويفعلُ بمُحبّيه ، مالا يفعل[2] الدهرُ ببَنِيه .

لاتظهرُ الطَّلاقةُ فى وجْهِه إلَّا ريثما يخالطها بإعْراض ، ولاينبسط هُنَيْئةً من الزمان إلا وهو وَشِيكُ انقِباض[3] .

يبْدُو لُطْفُه لمماً ثم ينقطِع ، ويحْلُو ماؤه جُرَعاً ثم يمْتنِع .

فلا يدومُ له سرورُ الهَنا ، إلَّا بما هو من جِمانا يُحِلُّه[4] ، وبما هو من أعْراضِنا يستحِلُّه .

فياليتَ شِعْرى ، أىّ مَصُونٍ من[5] سِترك أذعته ، أو مفروضٍ فى الخِدْمة رفضْته ، أو واجبٌ فى الزِّيارة أهملْتَه .

وهل كنتُ إلا كما قيل : ضيفٌ أهْداهُ بلدٌ شاسِع ، وأدّاه أملٌ واسِع .

وحَداهُ عَقْلٌ ، وإن قَلّ .

وهدَاه رأىٌ ، وإن ضَلّ .

---

(١) فى ب ، ج : « ليستوفى » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم الأعيان . (٢) فى ج : « يفعله » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ب ، ج : « بانقباض » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم الأعيان .

(٤) فى ب : « نحله » ، وفى ج « مُحِلُّه » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم الأعيان . (٥) فى ب : « عن » ، والمثبت فى ا ، ج ، وتراجم الأعيان .

ثم ما أبعدَتْ صُحْبةٌ إلا أدْنت[1] مَهانَة ، ولا زادَتْ خُرْقةٌ إلا انقَصتْ صِيانَة .

ولا تضاعفَتْ ذِمّة ، إلا تراجعتْ منزلة .

ولم تزَلْ الفِصّة بنا حتّى صار الوابِلُ رَذاذاً ، والتّشوُّقُ المُفْرِطُ مَعاذاً .

وصار حسن[2] ذلك الالتِفات ازْوِرارًا ، وطويلُ ذلك السّلام اختِصاراً[3] .

وكان المُهلّب يقول[4] : عجِبْتُ لِمَن يشْتري العبيد[5] بماله ، كيف لا يملك الأحْرار[6] بمعْروفه .

وفى الحديث : « الْبَشاشَةُ خيْرٌ مِنَ القِرَى » .

وفى المثل : « اليوم[7] العَبُوس ، خيْرٌ من الوجه العَبُوس » .

ومن كلامهم : الحوادثُ المُمِضّة مكْسِبةٌ لحظوظٍ جزيلة ، منها : ثواب مُدّخَر ، وتطهير[8] من ذَنْب ، وتَنْبيه من غَفْلة ، وتعْريفٌ بقَدْرِ النعمة[9] .

وقد شاهدتُ فيها خامسا : وهو صَوْنُ ماء الوجه عن الذّلّ والهوان[10] .

مولايَ يامَن له فى كلّ جارحــة لِسانُ شُكْرٍ يُؤدّى بعضَ ماوَجَبا

ماهــذه الــكراهة من فخْمٍ خفيفِ الجسدِ والرّوح ، ثقيلِ الرّأس بالعقل ، غَضيضِ الجَفْن بالحَيا ، طَلْقِ الوجهِ ، عفّ اللّسان ، رَحْبِ الصّدْرِ ، باسِطِ الكفّ

---

(١) فى ا : « دنت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٣) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة : « والاهتزاز إيماء ، والعبارة إشارة ، كما قيل :

وموتُ الفتى خيرٌ له مِنْ حَياتِهِ إذا كان ذا حالَيْنِ يَصْبُو ولا يُصْبِي »

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٣٤ . (٥) فى ب ، ج : « العبد » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم الأعيان ، وفى التمثيل والمحاضرة : « المماليك » ، وفى نسخة « العبيد » . (٦) فى تراجم الأعيان : « الحر » . (٧) فى تراجم الأعيان : « البوم » ، وما هنا يوافق ما فى نسخة منه . (٨) فى ب : « وتطهير » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٩) فى ب ، ج : « النعم » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم الأعيان . (١٠) فى تراجم الأعيان بعد هذا زيادة : « فالتمس خيرها من أن أقول :

إحدى لياليكِ فهِيسى هِيسى لا تَنْعَمِى اللّيلةَ بالتّعريسِ »

وهيسى هيسى ، أى سيرى أى سير كان ، والبيت فى اللسان (هـ ى س) ٦/٢٠٢ .

بالجود ، طويل الباعِ بالإحسان ، صافِي القلب ، سليم الفِطْرة ، مَحْنِيّ الضُّلوعِ على الأمَى ، مَطْوِيّ الجوانح بالهوى ، قصير الخطى عن الأذَى .

* فما محاسِنُ شيءٍ كلُّه حسَنُ *[1]

* * *

مافيــه لَوٌّ ولا لَيْتٌ تنقصُــه　　وإنّمــا أدرَكتْه حِرْفةُ الأدبِ[2]

* * *

على أنّني والحمــدُ لله لم أكنْ　　مُذاداً مع الحرمانِ منكَ ولا شِرْبُ[3]
ولكنّني أبرَدْتُ صــدرِي بنَهْـلةٍ　　من الفضلِ غُصَّتْ دونَ موردِها الشُّرْبُ[4]

* * *

وذلك لأنّي أطلتُ التَّردُّدَ إليك ، وعوّلتُ أمْرِي في طلبي عليك .

ووردْتُ من أنهارِ فضلِكَ كلَّ مَعين ، وكنتَ لي في طلبي وأملي خيرَ مُعين .

والنِّعْمة لا تُجْحَد ، والحسَنة لا تُكفَر .

والشمسُ لا يُمْكِن سترُها بحجاب ، والبدرُ لا يخفَى ضوءُه وإن كانَ تحت السَّحاب .

والكذبُ شِيمة المُنافِقين ، ألا لعنةُ الله على الكاذبين .

وأنا[5] ماقلتُ ذلك إلا رائياً أن لا طِيبَ إلّا مااختلَط بترابك ، وأن لا سَعْدَ إلّا ماخيَّم ببابك .

وأن لا ربيعَ إلا في بُقْعتك ، وأن لا أُنسَ إلا بطلْعتك .

وأن لا فرحَ إلا بقُرْبك ، وأن لا ترَحَ إلا ببُعْـدِك ، وأن لا نشــاطَ

---

(١) انظر ريحانة الألبا ١/٣٨٨ .　(٢) تقدم التعريف بالحرفة في صفحة ٢٤ .　(٣) في الأصول: « مذادا مع الحرمان » ، وفي تراجم الأعيان : « مذادا مع الحرمان » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) الشرب : جمع الشارب .　(٥) زيادة من : ا على ما في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان .

إلا بحبك(١) ، وأن لا علمَ إلا ما استفيد منك ، وأن لا فضلَ إلا ما أُخِذَ عنك ، وأن لا دليلَ إلا ما جِيء به مَعزُوًّا إليك . وأن(٢) لا سَنَد إلا ما أُخِذ(٣) من فِيك ، ومُحالٌ عليك .

لِعلمي بأنك(٤) البدرُ الكامل ، والفَرْدُ الذي ليس له مُعادِل ولا مُماثِل .

هذا ، مع مُغالاتي فيك ، ومُنافَسَتي عليك ، ومُناظرتي بك ، وانتمائي بالفضيلة التامّة إليك .

وإنشادي مستمسكاً بحَبْلِ ودادِك ، ومتمسِّكاً بتُرْبِ مِهادِك(٥) .

ومُعتقِداً أن رضاكَ ثوابٌ ، وغضَبَك عِقاب .

ورَغْبتَك إحْسان ، ورهْبتَك خُسْران .

وإعراضَك جحيم ، والتفاتَك نعيم .

ومثالَك لا مثلَ يُضاهِيك .

إن غضِب تجمَّل(٦) ، وإن(٧) تجنَّى ولو بوَهْم تحمَّل(٨) .

وإن جاء(٩) فاسقٌ بنَبَأٍ تبصَّر واستفسر ، وإن ثبتَ لديْه شيْءٌ ولو دعاه اغتفر واسْتَهْتر(١٠) .

فهيهاتِ قل لي يامَن مكانَتُه ... في القلبِ قد حلَّها بمُفْرَدِه

---

(١) في أ : « بسعدك » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٢) ساقط من : ب ، ج ، وهو في : أ ، وتراجم الأعيان . (٣) في تراجم الأعيان : « نقل » . (٤) في ب : « أنك » ، والمثبت في : أ ، ج ، وتراجم الأعيان . (٥) بعد هذا في تراجم الأعيان زيادة :

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني ... ضَنًّا به نظَرِي إلى الأمراء

(٦) في ب ، ج : « تجمل » ، والمثبت في : أ ، وتراجم الأعيان . (٧) في أ : « أو » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٨) في ب ، ج : « تجمل » ، والمثبت في : أ ، وتراجم الأعيان .

(٩) في ج : « باءه » ، والمثبت في : أ ، ب ، وتراجم الأعيان . (١٠) لعله أراد أنه لا يبالي ما يقال فيه ، من قولهم رجل مستهتر ، بفتح التاء الثانية : لا يبالي ما قيل فيه ، ولا ما قيل له ، ولا ما شتم به . اللسان (هـ ت ر) ٥ / ٢٤٩ .

أيُّ جوابٍ لمن سأل عن حِلْمك ، واستفسر عن ثمرة عِلْمك .

فإن الحِلْم ، ثمرةُ العِلم .

وهو دالٌّ عليه ، كدَلالةِ النَّوْرِ على الثَّمر ، والهالةِ على القمر .

وقد وُجِد كالُه فيك ، وظهرتْ ثمرتُه عليك ، وتدلَّتْ قطوفُه دانيةً إليك (١) .

وأعـود فأقول : بعض هـذا الجفـا يامـولاىَ يكْفى ، وجزء من هـذا الإعراضِ يجْزى .

وفى قليلٍ من صُدودك انْتِقام كثير ، وفى يسيرٍ من هجْرك إسْرافٌ وتبْذير .

وفى أدْنى مابلغنى عنك كافٍ ومقْنـع ، وفى أقـلّ مارأيتـه منـك للقلب مؤلم وموْجع .

وفى المثل : مَن يسْمع يَخَلْ (٢) ، ومَن يُكثِر يُملّ (٣) .

وأظنُّ أن الداعِيَ إلى مُهاجرتى نميمةٌ جاء بها فاسِق ، ونَبأ افْتراهُ كاشِـح .

ومع ذلك لو (٤) ارتـكبت جَريرةً (٥) لما استحقَّيْتُ من القطيعة المتماسكة أعظمَ ممَّا رأيتُه وقاسَيْتُه ، ولو اكْتسبتُ كبيرةً لما استوجبْتُ من العقوبةِ المنْهِكة بعضَ (٦ماعايَنْتُه وعانَيْتُه٦) .

---

(١) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

وكذا الناسُ مجمِعون على فضْـ لِك ما بين سيِّد ومَسُودِ
عرف العالِمون فضلَك بالعلْـ ـمِ وقال الجهالُ بالتقليدِ

والبيت الثانى منسوب لكشاجم ، فى زهر الآداب ٢/٥٨٥ ، ولم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع .

(٢) يعنى : من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع فى نفسه عليهم المكروه . مجمع الأمثال ٢/١٦٨ .

(٣) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

* هذا بذاك ولا عَتْبٌ على الزمنِ *

(٤) فى تراجم الأعيان تقديم وتأخير بين الجملتين . (٥) فى تراجم الأعيان « جريرة » .

(٦) فى ب : « عاينته وعانيته » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان .

ولو أشركتُ ، والعياذُ بالله تعالى ، لَمَحتْ ذنْبِيَ التَّوْبةُ والاسْتغفار ، ولو كفرتُ ، مَعاذَ الله ، لغطَّتْ على كُفْرِي النَّدامةُ والاعْتِذار .

ولمَا أحتمِلُ أن يُسمَّى كبيرة ، ويُدْعَى ولو على المَجاز جَرِيرة .

وهَبْ أنّي يامولايَ لا أؤاخذُك بأغْراضِك[1] وإعراضِك ، ولا أعاتِبك بإشرافِك وإخْلافِك[2] ، ولا أقابِلك بإخْلافِك وأخلاقِك .

ولا أواجِهُك بانقِيادِك وعدمِ انْتِقادِك ، ولا أعارِضُك بإعراضِك ، وعدمِ اعْتِراضِك .

ولا أطالِبُك بتألُّبك[3] ، وعدمِ تألُّمِك[4] .

ولا أحاسِبُك بما حرَمْتنِيه من عطْفِك ، ولا أصادِرُك وإن نُؤْتَى بما تُثْنِيه[5] من عِطْفِك .

أفي حُكمِ المُروءة أن تُبعِد من يُقارِبُك[6] ، وتطْرُدَ من يُصاحِبك .

وتطارح[7] مَن يَهابك ولا يمالِك ، وتسْمَح بقطيعةِ مَن يُجِلُّك ولا يُخِلُّك .

ومن أمثالهم : أهل الحفائظ أهل الحفاظ .

والحفائظ تحلّ الأحقاد ، فأين من سيّدي الحفيظة المأمولة تُحلّل ما عنده وما استقصاه ، وتهدِم ما شادَهُ الواشي وما بَناه ،

والعَيْنُ تعرفُ من عَيْنَيْ مُحدِّثها إن كان من حِزْبِها أو من أعادِيها

وقد بلغتْنِي مَقالةٌ مِن بعضِها في القلب جُروحٌ .

---

(١) في تراجم الأعيان : « بأعراضك » . (٢) في الأصول وتراجم الأعيان : « وأخلاقك » ، ولعل الصواب ما أثبته ، وانظر المقابلة في الجملة الآتية . (٣) في ا ، ج : « بتألبك » ، وفي تراجم الأعيان : « بتألمك » ، والمثبت في : ب . (٤) في تراجم الأعيان : « تأملك » .

(٥) في ب ، ج : « تسيئه » ، والمثبت في : ا ، وتراجم الأعيان . (٦) في ب : « يقربك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٧) في ا : « وتطرد » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان .

فليْتَ شعرِى ، وهل ليت بنافعة ، متى كان جُرحاً ، حتى صار قَرْحاً .

ومتى قُدِح الزَّنْدُ ، حتى اضْطَرَمَ هذا الوَقْدُ .

ومتى تكاثَفَ القَطْرُ وهَمَى ، حتى اجتمع هذا البحرُ وطَمَى .

ومتى طَنَّتْ الحصاَ ، حتى بلغ مَداها عَنانَ السَّما (١) .

وبالجملةِ فقد شاركْتَ الليالِ ، فى تقلُّبِ (٢) الأحْوالِ .

ووافقْتَ الأيَّام ، فى اصْطِناعِها اللِّئام (٣) .

هلَّا أُلهِمتَ (٤) أن تردَّ بعَقْلٍ وتصدُر بتمْيز ، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ (٥) ﴾ .

ولولا أنَّك أعنْتها ونصرْتَها ، وآزرْتَها وظاهرْتَها .

لَرَدَّتْ على أعقابِها ناكِصةً ، ورجعتْ على أدْبارِها خائبة .

ولأمِنتَ مكْرَها ، واجتنبْتَ (٦) إصْرَها (٧) .

ولكنَّها جَمْرةُ ليْل ، وأثمرُ سَيْلٍ لا سَيْل .

وبِناءٌ على شَفا ، وعِلَّةٌ قريبةُ الشِّفا .

وقد ثبَت أن العقوبةَ الأسمَى ، هو الحرمانُ للمجرمِ ، والخِذْلانُ للمعتَدِى ، والقِصاصَ للمذْنبِ ، والمؤاخذةَ للجانِى .

وأنا أبْيضُ وجْهِ العهد ، واضحُ حُجّةِ الوُدّ ، مُصاحِبُ التَّوْفيق ، برئُ السَّاحة ،

---

(١) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

قد أصبحت أمُّ الخيار تدَّعِى   علىَّ ذنباً كلُّه لم أصنَعِ

والبيت لأبى النجم العجلى ، وأم الخيار امرأته . معاهد التنصيص ١/٥٢ .

(٢) فى ب : « تقلب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان .   (٣) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

ما لليالى أقال الله عثْرتَنا   من الليالى وخانتْها يدُ القدرِ

(٤) فى ج : « ألهمتنا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وتراجم الأعيان .   (٥) سورة فاطر ١٧ .

(٦) فى ا ، ب : « واجتنبت » ، والمثبت فى : ج ، وتراجم الأعيان .   (٧) الإصر : الإثم .

مجانبِ الهفَواتِ[١] .

ولو أنني علمتُ أنه أمرٌ بيِّتَ بليلٍ ، لجازيتُ الصانعَ كيلاً بكيلٍ ، ولكنني سأريه تاجدِّيَ وأتجلَّد ، وأرى الشامتين أنِّي لريْبِ الدهرِ لا أتضعضع .

ولعمرُك[٢] ما علمتُ أن صريحَ الرأي في التحوّلِ عنك مطلوب ، ولا تحققتُ أن المجازَ في كلِّ تركيبٍ من الألفاظِ العرفيّة[٣] متداولٌ مرغوب .

لأتبصّر أن قولَ القائلِ مثلاً : « اذهبِ الأعمى »[٤] . أن يكون عبارةً عن طردِ المخاطَبِ ضمناً ، وقد تقرّر أن المخاطِبَ يدخلُ في عمومِ كلامِه « لا أن »[٥] المخاطب يدخل فيما خوطِب به .

ولو علمتُ قبلُ ، ما عدتُ بعدُ ،

لستُ أشكو من امتناعِكَ عنّي ... يا مُنَى النفسِ حيثُ عزّ الإيابُ
سوءُ حظِّي أنالني منكَ هذا ... فعلَى الحظِّ لا عليكَ العتابُ

وأحرى[٦] بقول القائل[٧] :

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسِكم ... فليس بمُغْنٍ عنكَ عقدُ الرتائمِ[٨]

* * *

حلفتُ ولم أتركْ لنفسِكَ ريبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مطلبُ[٩]

إني لا قابلتُ إحسانَك بكفرٍ ، ولا أسأتُ أدباً فيما صنعتُه في خدمتِك بأن أتبعه بمَنٍّ .

---

(١) في تراجم الأعيان : « الهفوات » . (٢) في تراجم الأعيان : « ولعمري » . (٣) في ا : « العربية » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٤) في ب : « أذهب إلا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٥) في ب ، ج : « لأن » ، والمثبت في : ا ، وتراجم الأعيان .
(٦) في تراجم الأعيان : « وأحر » . (٧) البيت في اللسان (ر ت م) ١٢/٢٢٥ بدون نسبة .
(٨) في اللسان : « في نفوسكم » . والرتائم : جمع الرتيمة ، وهي الخيط الذي يشد في الإصبع لتستذكر به الحاجة . (٩) البيت للنابغة الذبياني ، وهو في ديوانه (التوضيح والبيان) ٥٦ ، وفيه : « فلم أترك » .

ولكَ عندي اليدُ البيضاء التي لا أقْبِضها عن الدُّعاء لك ، والأُخْرَى التي لا أبسطها[١] بالدعاء[٢] عليك .

وها أنا أشْكُو إليكَ ، جعلني اللهُ فِداكَ ، ما لا يُمكِن الإيضاح به ، ولا الصَّراحةُ عنه ، ولا التَّوصُّلُ بالاستيفاء ، ولا التَّسلُّطُ بالاستحضارِ عليه ، ولا التَّجمُّلُ بالإغضاء ولا البيانُ لما فيه ، ولا التَّمحُّل له .

وربَّما ذكرتُ البعضَ منه ، وقلتُ : لعلِّي كنتُ شائمًا سرابًا ، أو مُسْتَمْطِرًا جَهامًا[٣] ، أو رائيًا خُلَّبًا ، أو وارِدًا حيثُ لا مَراد ، أو مُسْتَعِينًا حيث لا مُعِين ، أو مُسْتغيثًا حيث لا مُغِيث ، أو مُستجيرًا حيث لا مُجار ، أو مستَمِيحًا حيث لا سَماح ، ولكَ المثَلُ الأعلى ،

لا تعجبُوا ضَرْبِي له مَن دونه ... مثلًا شَرودًا في النَّدى والبأسِ[٤]
فاللهُ قد ضربَ الأقَلَّ لنوره ... مثلًا من المِشْكاةِ والنِّبْراسِ

* * *

ولو كان رُمحًا واحدًا لاتَّقيْتُه ... ولكنَّه رُمْحٌ وثانٍ وثالثُ

فهل كنتُ كالمُقْتدِي بناقضةِ الغَزْل ، أو كالمستصحِب[٥] سَراةَ المِلَّةِ فإذا هم عَزْل .

أو كراضٍ من الغنيمةِ بالإياب ، ومن المَرْكب بالتَّعليق ، أو كراجع[٦] بخُفَّي حُنَين .

(١) في تراجم الأعيان : « أساطها » .   (٢) في ا ، ج : « للدعاء » ، والمثبت في : ب ، وتراجم الأعيان .   (٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .   (٤) البيتان لأبي تمام ، في ديوانه ١٧٤ وفيه : « لا تنكروا » .   (٥) في ب ، ج ، وتراجم الأعيان : « كمستصحب » ، والمثبت في : ا .
(٦) في ا ، وتراجم الأعيان : « كراجعة » ، والمثبت في : ب ، ج .

هذا ، وأنا أقول : لن[١] تضرَّ الحوار[٢] وطأةُ[٣] أمّه .

بَيْدَ أنّه يُقال ، فيما[٤] تقدم و[٤] مضى من المُدَد الحوال :

فقسا ليزْدجروا ومن يكُ حازماً ... فليَقْسُ أحياناً على مَن يَرْحَمُ[٥]

* * *

ومثلى مَن تهفو به نَشْوَةُ الصِّبا ... ومثلك مَن يَعْفو ومالك مِن مِثْلِ

وإنّى ليَنْهانِى نُهاىَ عن الّتى ... أشادَ بها الواشِى ويعقِلنى عَقْلى[٦]

وما أنا بالمُهْدِى إلى السُّؤْددِ الخنا ... ولا بالمُسيء القولَ فى الحسَنِ الفعلِ[٧]

فهاتِ جواباً عنك تَرْضَى به العُلَى ... إذا سألتْنى بعدُ ألسِنةُ الحَفْلِ

فبَيْن الرِّضا والسُّخطِ ظنّىَ واقفٌ ... وقوفَ الهوى بين القَطيعةِ والوَصْلِ

ولو تيسّرتْ لى مخاطبتك مُشافهةً لتمكّن لى معك ذَوْقٌ من الكلام ، لكن لمّا عزّت المُشافهة ، استغنَيْتُ بالمكاتبةِ والمراسلة ، قائلا :

لك الحمدُ أمّا من نُحبّ فلا نرى ... ونَنْظرُ من لا نَشْتهِى فلكَ الحمْدُ

ولَعَمْرِى[٨] إن ليلِى عليك ليلُ السّليمِ ، ونهارِى دُونك نهارُ الأليمِ .

وفِكْرِى قد صَدِئ لعدمِ مُطارحتِك ، وطرْفِى قد قَذِىَ لِنُدْرة مُشاهدتك .

وقلبِى لِعزّةِ رِضاكَ واجِبٌ مُضْطرِب ، وصدْرِى لِقِلّة مُؤانستك حَرِجٌ ضَيِّق ،

---

(١) فى ب : « لا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٢) فى ب : « الجواد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان ، والحوار : ولد الناقة قبل أن يفصل عنها . (٣) فى تراجم الأعيان : « وطء » . (٤) ساقط من : تراجم الأعيان . (٥) البيت لأبى تمام ، فى ديوانه ٢٧٤ ، وفيه : « فقسا لتزدجروا » ، وفى ا : « ومن يك عازما » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان ، والديوان . (٦) فى ب : « ويعقلها عقلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٧) فى تراجم الأعيان : « إلى السوء والخنا » . (٨) فى تراجم الأعيان : « ولعمر أبى » .

وفي لبُعْدِ مُصاحبتك واجِمٌ ساكِت ، وصادف⁽¹⁾ حِجاي عارضٌ وعَين ، فغالبني الدمعُ بسلاسل من عَسْجَد ولُجَيْن :

أما والَّذي أبْكَى وأضحك والذي ... أماتَ وأحيا والذي أمرُه الأمرُ[2]

لقد صدِيَت مِرآةُ الخيالِ ، وقذِيَ طَرْفٌ طال ماسهِرَ اللَّيال .

وتزَلْزل محلُّ سيِّدي من قلبي ، أطال اللهُ له البَقاء ، ومنحه سوابغَ النِّعم والارْتقاء .

رِفْقاً بمنْزِلك الذي تختاله ... يامَن يُخرِّبُ بيْتَه بيَديْهِ

وضاق وُسْعُ الفضا ، وسكَتَ مِصْقَع الخُطَبا .

وجُنَّ صاحِي القَوْم ، وبكَتْ مُقْلةٌ يعِزُّ عليها النَّوم .

إذا الليلُ أضواني بسَطْتُ يدَ الهوَى ... وأذْلَلْتُ دَمْعاً من خلائقه الكِبْرُ[3]

❊ ❊ ❊

مُعلِّلتي بالوَعْدِ والموتُ دُونَه ... إذامُتُّ عطشانا فلانزَلَ القَطْرُ[4]

أماتتَّقِي اللهَ في واقفٍ أمامَك، مُستغْفِرٍ تائب .

وأرقُّ مايُعرض على المولى قولُ القائل :

سَلِي تَعْلمِي إن كنتِ غيرَ عَليمةٍ ... بأنْ ليس في حُبِّي لغيْرِك مَطْمَعُ
فإنَّ لِيَ القلبَ الذي ليس خالياً ... من الوجْدِ والجفْنَ الذي ليس يهْجَعُ[5]

---

(١) في ب : « وصارف » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) البيت لأبي صخر الهذلي . الأغاني ١٨٥/٥ .   (٣) البيت لأبي فراس الحمداني ، ديوانه ١٥٧ .

(٤) البيت أيضا لأبي فراس الحمداني ، من القصيدة السابقة . وفي الديوان ، وتراجم الأعيان : « معللتي بالوصل » ، وفي ب ، والديوان : « إذا مت ظمآنا » . والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان .   (٥) في تراجم الأعيان : « وإن لي القلب » .

فوالله ماأنفَكُّ أذكُرُ موضِعِي لديكَ ولا أنفَكُّ نحوكَ أنزِعُ[١]

وبالجملة[٢] :

أُعيذُها نظراتٍ منكَ صادقةً أن تَحسَبَ الشَّحمَ فيمَن شَحمُه وَرَمُ[٣]

وهناكَ هديّةُ الوقت ، وعَفوُ السَّاعة ، وفَيضُ البَديهة .

ومُسارقة القلمِ ، ومُسابقة اليدِ للفَمِ .

وجَمَراتِ الحِدَّة ، وثمراتِ المودَّة[٤] .

ومُهاداة الخاطرِ للنَّاظرِ ، ومباراة الطَّبعِ للسَّمع ، ومُجاذبة الجَنانِ للبَيان .

وها هو جَوادُ البلاغة عَلَكَ الشَّكيم ، حابِسُ العِنان .

لم يأخذ[٥] طَلَقَه ، ولم يستَوفِ مِضمارَه .

وهذا هو النَّهضُ[٦] ، فما بالُك بالرَّكضِ ، وقد آنَ[٧] لا[٨] يعرق عرق[٨] التَّنبيه[٩] مالم[١٠] يُسمِعْ بتَصهالِه ، ويُرعِدْ بقَرعِ نعالِه .

---

(١) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة : « وهذا معنى قول القائل :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ

جاورتُ أعدائى فصرتُ أحبُّهم إذا كان حظِّى منكِ حظِّى منهمُ

وأهنتِنى فأهنتُ نفسى صاغراً يا من يهونُ عليكِ ممن يكرُمُ »

والأبيات لأبى الشيص فى أمالى القالى ١/٢١٨ ، وفيه : « أشبهت أعدائى . . إذ صار » ، وفيه : « ما من يهون عليك ممن أكرم » ، وانظر تخريج الأبيات فى سمط اللآلى ١/٥٠٦ . (٢) البيت لأبى الطيب ، فى ديوانه ٣٢٢ . (٣) فى ا : « فيمن سمنه ورم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان ، وديوان المتنبى . (٤) فى ب ، ج ، وتراجم الأعيان : « المدة » . (٥) فى ب : « يأخذه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٦) فى ب : « الهض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٧) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة : « أنه » . (٨) فى ا ، ج : « يوق عوق » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم الأعيان . (٩) فى تراجم الأعيان : « التنبه » . (١٠) ساقط من : ا ، وتراجم الأعيان ، وهو فى : ب ، ج .

ويُوَصِّلُ مُمتطِيه غايةً لاتُدْرَكُ ، وغارةً بالرِّياحِ الهُوجِ لاتُنهَكُ[١] .

ومع ذلك لو نظَمتُ النَّثْرَ كالدُّرَرِ ، وأتيتُ به رائقاً كنسيمِ السَّحَرِ ، ومَوْشِيًّا[٢] كألوانِ[٣] الزَّهَرِ ، ما كنتُ إلا كَمُهْدِي التَّمْرِ إلى هَجَرٍ ، [٤]والفصاحةِ لأهْلِ الوَبَرِ[٤] .

وآخر ماأقول : إن وُدِّى موقوفٌ عليك ، وحَبِيسُ سبيلِك ، وتحت رَهْنِك .

فمتى عاوَدْتَه ، وجدْتَه سائغَ المَعْبرِ[٥] ، غضَّ المَنْظرِ ، جَنِىَّ المَخْبَرِ .

يندَى بَشاشةً ، ويقْطُر حُسْناً ، ويفوحُ عَنْبراً ، ويثْمِر لُطْفاً .

فإن فعلتَ ذلك فهو حسَن ، وإن عُدْتَ فالعَوْدُ أحْمَد .

وإن كان الأمرُ كما يُقال : لا ولا . فالغَبْنُ مُشْتَرَك .

واللهُ يتولَّى السَّرائر ، ويعلمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ وماتُخْفِى الصُّدور .

وإن راسلْتك بما زاد أو نقص فهو منك ، وبسببك .

والسلام[٦] .

وله من كتاب كتبَه ، وهو بجبَل الشوف ، إلى بعض خَواصِّه ، جواباً عن كتاب كتبه إليه ، يطلبُ بعضَ طرائف الجبَل :

---

(١) فى تراجم الأعيان : « تنتهك » . (٢) فى ب : «وموشا» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٣) فى ب : « كأنوار » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٤) مكان هذا فى تراجم الأعيان : « ومستبضع الحرب إلى سوق النبع » ، وبعد هذا فيه زيادة :

أُهْدِى لمجلسِه الكريمِ وإنما ... أُهْدِى له ما حُزْتُ من نَعْمائِه

كالبحرِ يُمْطِره السحابُ ومالَه ... فضلٌ عليــــه لأنه من مائِه

والبيتان للبديع ، وهما فى ريحانة الألبا ١/٩٦ ، وفيه : « أهدى لمجلسك » ، « من عليه لأنه من مائه » . (٥) فى ا : « المعين » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٦) مكان هذا فى تراجم الأعيان : «وصلى الله على من لا نبى بعده ، وعلى آله الطيبين الطاهرين» .

« وإنّى أراك تُهْدَى ولا تَسْتَهْدَى ، وتصلُ فى رأيك ولا تستهدِى .

وكأنّك تُلوّحُ بطرائفِ هذه الجبال ، وليس فيها سوى العُقاب والوَبال ، عددَ مافيها من الحجارة والرّمال .

وما ظنّى إلا أنّك تسبّبت إلى استهداء طرائفِ المقال ، وتقدّمتَ عن جرّ الأثقال ، بالقيراط من الجواهر والمثقال .

وإلا فأنت أعلمُ بالحال ، ومافيها من ضُروبِ المُحَال ، والاختلال ، والاعتلال ، والاضمحلال ، والابتذال .

ولقد قرأتُ فى أخبار بعض الأخيار : أن بعضَ الأدباء الأُرَباء ، كتبَ إلى بعض الأمَراء النُّجَباء .

يستهْدِيه من طرائِف خُراسان ، ويُلوّحُ بالإحْسان ، من فضْلِ ذلك الإنْسان .

فكتب إليه ذلك الأميرُ المريضُ الجاه ، سقى اللهُ ثَراه ، ورضِىَ عنه وأرْضاه :

أمّا بعد ، فقد وصل كتابك ، معرّضا بطرائف هـذه النّاحية ، وقد بعثت إليك بعِدْلِ صابونٍ لتغسِل عنّى طمعكَ ، والسلام .

قلت : وفى هـذه الحـكاية تسْلِيةٌ للشيخِ الذى رِضاه قريبُ الغاية ، وتلافِيه لا يحتاجُ لشِدّةِ عِناية ، لوُجود الـكِفاية .

لأنّه ربّما يُكْتَفى فى الهَدِيّة ، ببُلْغةٍ حامديّة أو أحمديّة .

فيغسِلُ طمعَه رطلُ صابون ، ويدفعُ عطَشَه وَعْـدُ الـكّمون ، وهـو حُرٌّ قانِـعٌ بالدُّون » .

* * *

وله من رسالة كتب بها إلى أبي العباس أحمد المَقَّرِيّ [١] ، ذلك الإمام الأَلْوَذَعيّ العَبْقَرِيّ ، يذكر فيها موت ولدٍ له صغير :

« لا أَوْحشَ اللهُ مولانا الأستاذ ، ممَّا سيُعرَض على سمْعِه من عُجَرِي وبُجَرِي [٢] ، ومن حديثي وغريبِ سَمَرِي .

وهو أنَّ الله سبحانه وله الحمد ، قد جعل رَوْنق مَعاشِي ، ورَيْحانةَ فُؤادي من غير تنْفِيسِ مُهْلةٍ ذُخْرَ مَعادِي ، ومَشْرَدَ رُقادِي .

وقد مات للحجّاج [٣] ولَد ، وكان بَيْضَةَ البَلد .

فصعد مَتْن المنبر ، وحمد الله وشكر وأكثر .

ثم قال ويده على كَبِده ، من حَرِّ ما يجده :

الحمدُ لله الذي يقتل أولادَنا ونَحمَده [٤] .

ونظر أبو الحارث [٥] ، وكان مُشَوَّه الخَلق في المرآة ، فقال : الحمد لله الذي لا يُحمَد على المكروه [٦] سِواه [٧] .

وها أنا ياسيِّدي ، أحمَدُ اللهَ سبحانه ، وقد فقدتُ جزءَ نفسي ، وفِلْذةَ كبدي ، وشطْر رُوحي ، ونور عيني .

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري ، التلمساني ، المغربي ، المالكي .

كان آية في جودة القريحة ، وصفاء الذهن ، وقوة البديهة ، ماهرا في علوم ، الكلام ، والتفسير ، والحديث ، معجزا ، باهرا في الأدب والمحاضرات .

وهو صاحب « نفح الطيب » ، و « أزهار الرياض » .

توفي بالقاهرة ، سنة إحدى وأربعين وألف .

ريحانة الألبا ٢/ ١٧٤ ، وانظر فيه المصادر الأخرى لترجمته .

وقد كان بينه وبين المترجم أحمد بن شاهين صلات خاصة . انظر نفح الطيب ١/ ٧١، ٣/ ١٧٠_١٨٣، ٢١٨ _ ٢٢٩ .

(٢) عجر المرء وبجره : عيوبه الظاهرة والخفية . (٣) في التمثيل والمحاضرة ٧ أن صاحب هذا القول هو عبد الملك بن مروان . (٤) في التمثيل والمحاضرة : « ونحبه » . (٥) في التمثيل والمحاضرة ٧ أن صاحب هذا القول هو أبو شراعة . (٦) في أ : « مكروه » ، والمثبت في : ب ، ج ، والتمثيل والمحاضرة . (٧) في التمثيل والمحاضرة : « غيره »

وما أسفي إلّا على ما سمّاه الشيخُ باسْمِه ، ووَسَمه بوَسْمِه .

وأرّخ موالدَه ، وحمد مصدرَه وموردَه .

وقد عَرانِي بسببِه الذُّهول ، وأنا في سِنّ الكُهول .

ولولا ذاكَ لَمَا أغفَلْتُ خدمةَ سيّدي إلى الآن ، من رسالةٍ أستجلِبُ بها شرفاً طارِفاً ، كما استفدْتُ في الفوز بخدمته مفخَراً سالفاً » .

* * *

وله من رسالة إلى بعض حواشِيه ، يُعاتِبُه على نقيصةٍ قذَف بها بَحْرُ وَاشِيه :

« اعْلَمْ ، أصلحكَ الله ، أن خبَرَ السّوءِ ينْمو ويرْبو ، ويبلُغ مترَاكِماً متضاعِفاً ، ويصلُ متواتِراً مترادِفاً .

ثم إنه في السُّرعة يقطعُ مسافةَ سنةٍ في جمعة ، وذلك أن الشرَّ أغْلب في الطِّباع ، والهوى كما يعلم به[1] القاضي شفيعٌ مُطاع .

والنفسُ أمْيَل[2] إلى العُقوق ، وإضاعةِ الحُقوق .

والعقرب ، إلى الشرّ أقْرب .

والأُفْعوان ، بعيد من[3] مراتِب الإحسان .

ومن وزَن المعروفَ في غير مِيزانِه ، عُوقِب بنُقْصانِه ، وعدَمِ رُجحانِه .

ولعَمْري لولا أن الخبَرَ يحتمِلُ سامِرَيْن ، ويتردَّد بين شفَتَيْن .

لأوْجَعتُ القاضيَ عَتْباً ، ونهبْتُ أدِيمَه نَهْباً ، وأخذتُ كلَّ سفينةٍ غَصْباً .

كأنَّ[4] القاضيَ سمع قولهم[5] :

---

(١) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .   (٢) في ا : « والنظر » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) في ا : « عن » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٤) في ا : « وكأن » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) ينسب هذا البيت إلى النابغة ، فقيل : الذبياني . وقيل الجعدي ، انظر شرح الشواهد للعيني ٢ / ٢٠٤ ، شعر النابغة الجعدي ٢٤٦ ، وينسب أيضا لقيس بن الخطيم ، ولعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، ولعبد الله بن معاوية . ديوان قيس بن الخطيم ١٧٠ ، وانظر هامشه .

إذا أنت لم تنفعْ فضُرَّ فإنَّمـا ... يُرادُ الفتى كيما يَضُرُّ وينفعُ

فعمِل بمعناه، وتمسك بفَحْواه، ونَسِيَ أُولَاه وأُخْراه.

قال الصَّاحب لأبي سعيد الرُّسْتُمِيّ[1] حين جَفاه:

فلعلَّ تَيْماً أن تُلاقِيَ خُطَّةً ... فتَرُومَ نَصْراً من بني العوَّام

القاضي، وإن كان يحتاجُ إلى ماهو أوضحُ في العِتاب، من هذا الخِطاب.

تقْريباً لفَهْمِه، وتوضيحاً لِعلْمِه.

ولكن هو كما قال أبو الطيب[2]:

وكِلْمـةٍ في طريقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهـا ... فتَهْتدِي لي ولم أقْدِر على اللِحَنِ[3]

وإنما نَهَجْتُ[4] على سَنَني[5] في البلاغة، وسَبِيلي في الخطابة والـكتابة.

وهو أصلحه الله تعالى على سَنَنِه في الجَفا، وقِلَّة الوَفا، ووُقوفه من الصِّدْق في الصَّداقة على شَفَا، وحسْبيَ اللهُ تعالى وكَفَى».

* * *

وكان بينـه وبين أبي الطَّيِّب الغَزِّي[6] مودَّة ومُصـافاة، ثم أعقَبهـا مُقاطعة ومُجافاة.

فـكتب إليـه هـذه الاعْتِذاريّة النابغـة، وهي كما تراهـا تَهْزأ باعتـذارات النَّـابغـة.

ومطلعها:

(١) يعني محمد بن محمد بن الحسن، من شعراء اليتيمة، ومن أبناء أصبهان، واستشهاد الصاحب بهذا البيت يقع في فصل كتبه إلى أبي العباس الضبي، فيما يظن الثعالبي، وهو في اليتيمة ٣/٣٠٥. (٢) ديوانه ١٥٦. (٣) في الديوان: «فيهتدي لي» بالبناء للمجهول، وفيـه أيضا: «على اللحن». (٤) في ج: «لهجت»، والمثبت في: ا، ب. (٥) في ج: «سنني»، والمثبت في: ا، ب. (٦) صاحب الترجمـة السابقة.

أَلَمَّتْ أيادى الخَطْبِ سائمةَ العَتْبِ   على أنها العُتْبَى تكون لذى الحُبِّ (١)

يقول فيها :

لأيّةِ حالٍ يا ابنَ خيرِ أَرُومةٍ   أُذادُ عن العذْبِ الزُّلالِ بلا شُرْبِ (٢)
وأشربُ صابَ الدَّمعِ يطفو أُجاجُه   لبُعْدِكَ والأعداءُ واردةُ العَذْبِ

منها (٣) :

فيا ليت شِعْرِى والأمانى تعلّلٌ   ورَوْضُ المُنَى يُنْبِيكَ عن وابلٍ رَطْبِ
متى أَرِدِ الإسعافَ فى مَنْهَلِ الرِّضا   وأعْتاضُ عن نَزْرِ المودّةِ بالسَّكْبِ
وقد كنتُ آتى فى السَّلامِ تتابُعًا   فلِمْ صِرْتُ أرضَى فى الزِّيارةِ بالغِبِّ
ولو أنّنى واقَعْتُ عَمْدًا جَريرةً   لَمَا كان بِدْعًا منك داعيةُ السبِّ (٤)
ولكنَّنى واللهُ أعلمُ لم أكُنْ   لأقطعَ أوصالَ المحبّةِ كالإِرْبِ
ولم أسْتثِرْ حَرْبَ الفِجارِ ولم أُطِعْ   مُسَيْلِمةَ إذْ رامَ آلفةَ الحجْبِ
ولم أعتقدْ أنّ الخِلافةَ فَلْتةٌ   بِعَهْدِ أبى بكرٍ ولا كان من دأْبى
ولم أرْمِ فاروقَ العدالةِ غِيبةً   وقد طابتْ منه النَّجيبةُ بالكذْبِ (٥)
ولم ألُ نَجْوًا للخوارجِ إذْ بَغَوْا   على قتلِ عثمانَ بسَطْوةِ ذى شَطْبِ (٦)
ولم ألُ سِلْمًا لابنِ مُلْجَمَ إذْ سَطا   لحَرْبِ علىٍّ والهوانُ لذى الحرْبِ (٧)
ولم ألُ فى قتالِ الحسينِ مُجَرِّدًا   لِصِمْصامَتى أو أنْ يُذادَ عن الشُّرْبِ (٨)

(١) فى ا : « أممت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ا ، ج : « لذى الحب » ، والمثبت فى : ب .
(٢) فى ب : « إلى شرب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٤) فى ا : « واعية السب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ج : « ولم أدم » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٦) فى ب ، ج : « ولم أل نزوا للخوارج إذ لغوا » ، والمثبت فى : ا ، والنجو : الخلاص .
والشطبة : الطريقة أو الخط فى متن السيف . (٧) يعنى عبدالرحمن بن ملجم المرادى ، قاتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . انظر بعض أخباره فى الكامل للمبرد ٣ / ١٦٩ وما بعدها .
(٨) فى ب ، ج : « أو أن يذاد عن المشرب » ، والمثبت فى : ا .

ولم أختلِقْ بِدْعًا وحَسْبُك داعيـــًا ... إذا كان عِرْضُ المرء مُنْثلِمَ الغَرْبِ[١]

وهَبْ أنّى مارَسْـــتُ ذلك كلَّه ... فَحَسْبِي من الإعْراضِ بِأملى حَسْبِي

***

وقد وقفتُ من هذا النَّمَطَ على اعتذاريّة، توسَّل بها أبو جعفر المرّيّ[٢] فى تربة المهديّ[٣]، عند عبد المؤمن[٤] سلطان الأندلس، بعد أن نكبهُ، وهى هذه:

تالله لو أحاطتْ بى كلُّ خطيئة، ولم تنفكَّ نفسي عن الخيْرات بطيئة.

حتى سخِرْتُ بمَن فى الوجود، وأنِفْتُ لآدمَ من السُّجود.

وقلتُ: إنه[٥] لم يُوحَ فى الفُلْك لنُوح.

وبرَيْتُ لقُدارٍ[٦] نَبْلاً، وبرَمْتُ لحطَب نار الخليلِ حَبْلاً.

وحَطَطْتُ عن يُونس شجرةَ اليَقْطِين، وأوْقدتُ مع هامان على الطِّين.

وقبضتُ قَبْضَةً من أثر الرَّسول فنبذْتُهـــا، وافتَرَيْتُ على العَـــذْراء البَتُول فقذفْتُها.

وذمَمْتُ كلَّ قُرشيّ، وأكْرمتُ لأجل وحْشيّ[٧] كلَّ حبَشيّ.

---

(١) فى ا، ب: «وحسبك حاديا». (٢) المرّى: نسبة إلى المرية، مدينة عظيمة من مدن الأندلس. اللباب ٣/١٢٩.

وهو يعنى: أبا جعفر أحمد بن عطية، وزير عبد المؤمن الآتى ذكره، وكاتبه، واستمر فى وزارته إلى أن قتله عبد المؤمن، سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٢٦٦، ٢٦٧، الاستقصا ٣/١١٦ ـ ١١٩، وقد أورد السلاوى هذه الاعتذارية.

(٣) يعنى أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودى، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن على بالمغرب، توفى سنة أربع وعشرين وخمسمائة. الاستقصا ٢/٧١، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٢٤٥.

(٤) أبو محمد عبد المؤمن بن على الكومى، مؤسس دولة الموحدين بالمغرب، التقى بابن تومرت، وجعل ابن تومرت إليه قيادة جيشه، وتولى الخلافة بعده، كان حازما شجاعا، عظيم الاهتمام بأمر دينه، يعاقب عقابا صارما على الأمر الحقير، توفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. الاستقصا ٢/٨٩، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٢٦٢، وما بعدها. (٥) فى ج: «لو أنه»، والمثبت فى: ا، ب، والاستقصا.

(٦) هو قدار بن سالف، عاقر الناقة. انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٦٥، وفى الاستقصا: «قدار ثمود».

(٧) يعنى أبا دسمة وحشيا بن حرب الحبشى، قاتل حمزة بن عبد المطلب، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فى غزوة أحد، أسلم فى وفد الطائف، وشهد اليرموك، وقاتل مسيلمة الكذاب وشارك فى قتله، توفى بحمص نحوا من سنة خمس وعشرين. أسد الغابة ٥/٨٣.

وقلت إنّ بَيْعةَ السَّقِيفة ، لا تُوجِب إمامةَ الخليفة[١] .

وشحَذْتُ شَفْرة غلامِ المُغيرة بن شُعْبة[٢] ، واعتقلْتُ من حِصار الدار وقتل أشْمطها[٣] بشُعْبَة .

وغادرتُ الوجهَ من الهامةِ خَضِيباً ، وناولتُ مَن قَرَع سِنَّ الحُسَين قَضِيباً .

ثم أتيتُ حضرةَ المعْصُوم لائذاً ، وبقبرِ الإمام المهْدِيّ عائذاً .

لأن لمقالتي أن تُسْمَع ، وتَغْفِر لي هذه الخطيئات أجمع .

فعفواً أميرَ المؤمنين فإنّنا نقلْنَ قلوباً هدّها الخفقانُ[٤]

* * *

وكتب إلى الأمير محمد بن مَنْجَك[٥] يُسلِّيه ، وقد احترقَتْ[٦] يدُه وقدمُه ، بنارٍ اعْتَلَقَت بمطْبخه[٧] ليلةَ عيد الفطر ، وقد أجاد وأحسن كلَّ الإحسان :

قالوا يدُ المَنْجَكِيِّ ذِي الحَسَبِ آلَمها النارُ قلتُ مِن عَجَبِ
يَمِينُه دِيمةٌ ونائِلُها بحرٌ فكيف اخْتَشتْ من اللَّهَبِ
تضرُّه النارُ وهو مطفئها والنارُ ليستْ تضُرُّ بالسُّحُبِ
وإنّما قام وهو مُحْتفِلٌ كعادةٍ منه تَنْتمِي لِأبِ[٨]
تَبْغِي قِرَى الضَّيفِ في إنارتِها وذاك دأْبُ الكِرامِ في العربِ
فقبَّلتْ كفَّهُ لِما له نظرَتْ من هِمّةٍ للقِرَى مع النَّصَبِ[٩]
أو قد رأتْ مكرُماتِ راحتِه عمَّت جميعَ الأنامِ بالنَّشَبِ

---

(١) في ا : « خليفة » ، والمثبت في : ب ، ج ، والاستقصا . (٢) يعني أبا لؤلؤة فيروز الفارسي .

(٣) في ا : « شمطها » ، والمثبت في : ب ، ج ، والاستقصا ، والأشمط : من يخالط بياض رأسه سواد ، وهو يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه . (٤) في ج : « فعفو أمير المؤمنين » ، والمثبت في : ا ، ب ، والاستقصا ، وفيه : « ثمن لنا * بحمل قلوب » (٥) تقدم التعريف بالأمير محمد بن منجك ، في صفحة ٧٣ .

(٦) في ج : « أحرقت » ، والمثبت في : ا ، ب . (٧) في ب : « في مطبخه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٨) في ب : « وإنما قل » ، والمثبت في : ا ، ج . (٩) في ا : « فقبلت كفه لما نظرت * عن همة . . . . . » ، والمثبت في : ب ، ج .

فبادَرَتْه لتجتدِي نَشَبًا ... منه فساءتْ مواطنَ الطَّلبِ

وضَرَّ أقدامَها ولو عقَلتْ ... لَقبَّلتْها بغـــايةِ الأدبِ(١)

لــكن بحمدِ الإلهِ ما شُغِلتْ ... عن مَسِّها للــيَراعِ والقُضُبِ

انظُرْ إلى جودِه وقد طلبتْ ... من كَفِّه قُبــلةً فلم تخِبِ

جُودٌ يروحُ الجــادُ يطْلُبُه ... ما شِيمَ كَلَّا فى سالِفِ الحِقَبِ

❊ ❊ ❊

ومن نُتَفِه قوله(٢) :

نَصَلَ الشَّبابُ وما نصَلْتُ عن الهوى ... وبَدَا المَشِيبُ وفِىَّ فضْـــلُ تَصابِى(٣)

وغدوْتُ أعـــترِضُ الدِّيارَ مُسلِّمًا ... يومًا فــلم تسمَحْ بِرَدِّ جواب(٤)

فكأنَّها وكأنَّنى فى رَسْمِهـــا ... أعْشَى يُحدِّقُ فى سُطورِ كتابِ

❊ ❊ ❊

وقوله :

إنِّى أُبشِّـــــكَ حُبًّا يُرى السِّلْمَ حربا(٥)

ويغْصِبُ القلبَ غَصْبًا ... وينْهَبُ الصَّـــبرَ نَهْبًا

يا مَن كَوَى ألفَ قلبِ ... سامِحْ من النَّارِ قَلْبًا

❊ ❊ ❊

وقوله :

يا عدوًّا قد ظَلَمْنـــا ... هُ بتلْقيبِ الحبيبِ

وغريبَ الطَّبْعِ فينـــا ... وهْوَ فى زِىِّ قريبِ

---

(١) فى ا ، ب : « ولو عاقت » ، والمثبت فى : ج . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢١٦ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « من الهوى » ، ونصل الشباب : ولى وانتهى زمنه . (٤) فى خلاصة الأثر : « يرد جوابى » . (٥) فى ا : « إنى بشكر حبا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ما قليـــل أنت لـكن   منك قد ضل نصيبي

* * *

وقوله(١) :

لاحظته فتغـــيرت   لحظاته غضبا لحربي
فاستـــل من أجفانه   سيفا وأغمـــده بقلبي
يا من رأى فى دهـــره   قلبا غدا غمدا لعضب

* * *

وقوله :

يا شقيق الظبي لحظا   والرشـــا فى لفتاتك
فت غصن البـــان قدا   والنقـــا فى خطراتك
لست هاروت ولكن   سحره من حركاتك
عظم الله بصـــبري   أجر ماضي لحظاتك
أنا والله قتيـــل   هالك من نظراتك
جرحت قلبي وهـــذا   شاهدي في وجناتك(٢)
أنا أستبقي حيـــاتي   لتقضى فى حيـــاتك
كيف تعصيك حياة   هى من بعض هباتك
آه من ضعف غرامي   وتقوى عـــزماتك
آه من طول عنـــائي   وتداني خطراتك

* * *

(١) سقطت هذه الأبيات من : ب ، ج .   (٢) فى ب ، ج : « شاهد فى وجناتك » ، والمثبت فى : ا .

وله من قصيدة ، مطلعها :

ذا ودادِي وهل ترى لودادِي حافظًا في الأنام مثلَ فؤادِي[١]
كلّما رُحْتُ أستميحُ حبيبًا ودُّهُ جاد لي بضدِّ مُرادِي
فكأنّ الأنامَ أضحَوْا فلانًا وفلانٌ هو الذي لي يُعادِي
كلّما رُمْتُ قُرْبَهُ أخذَتْ بي شيمةٌ منه تقتضيهِ بِعادِي
مثلُ صبْرِي إذا تلقّى هواهُ كان ذا رائحًا وذاك غادِي
إن تمادَى بما جفاهُ قليلًا فانتظِرْ للأساةِ والعُوّادِ
عجبًا من نواكَ وهو طريفٌ كيف لم يرْعَ حقّ قُرْبِ تِلادِي[٢]
أخلقَتْكَ الشئونَ عجزًا فجادَتْ بالسّواري أكبادُنا والغوادِي[٣]
ليس عندي من الدموعِ سوى ما وهبَتْه عُصارةُ الأكبادِ
كان طولَ القناةِ وُدُّكَ عندي فانبرى من جفاكَ عرضُ النّجادِ
لا تلمْني على هوىً مستبِدٍّ قد أتيْنا معًا على ميعادِ
صادفَ القلبَ خاليًا فاحتواهُ مطمئنًّا وكان بالمرصادِ

* * *

معنى البيتين ينظر إلى قول الآخر[٤] :

أتاني هواهُ قبلَ أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلبًا خاليًا فتمكّنا[٥]

---

(١) في ب : « حافظًا للأنام » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب ، ج : « عجبا من هواك » ، والمثبت في : ا . (٣) في : ب « أخلقتك الشؤون عجبا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) عيون الأخبار ٣/٩ ، ونسبه ابن قتيبة إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو مما ليس في ديوانه . (٥) في عيون الأخبار : « أتاني هواها . . . . قلبا فارغا . . . » .

نُقِل عن أبى بكر الأصْبَهانِىّ(١) أنه عابَهُ ، فقال(٢) : كلُّ مَن صادفَ مكاناً خالياً تمكّن فيه ، والْمُستحسَن أن يعرفَه مِن دونه .

أقول : هذا كلامُ مَن لم يذُقْ حلاوةَ المعانى ؛ فإن الشاعرَ قصدَ أن غرامَه قائمٌ ، لم يسبِقْهُ غيرُه ، فإنهُ متمكّن فى قلبِه لايزول ، وما قصد معنى آخر ، كما قيل :

أتانِى هواهُ والهوَى قد أحاطَ بى ... ليجْمِلَ بيْتُ القلبِ للحُبِّ منزِلَا(٣)
فصيَّرْتُه وَقْفاً عليه ولم يجِدْ ... إليه سَبيلًا غيرُه فتحوّلَا

* * *

تتِمّةُ الأبياتِ الأولى(٤) :

كان لى منكَ لحظةٌ أصْطفِيها ... فغدَا لحظُها كسيْفِ الأعادِى
كنتُ أخْشى غِرارَها وهْيَ سِلْمٌ ... كيفَ إذْ جُرِّدَتْ من الأغمادِ
عمِلَتْ للوُشاةِ فينا سيوفاً ... عجباً زُرْنَ وهْيَ غيرُ حِدادِ(٥)
لستُ مُستَسْعِداً حبيباً تجنّى ... لِىَ ذنْباً وصدَّ عن إسْعادِى(٦)
آهِ مِن وصلِكَ البعيدِ التّدانِى ... آهِ من هجرِكَ الكثيرِ التّمادِى
لا ابْتلانِى الإلهُ بعدَكَ حتّى ... يلْبَس الخدُّ منكَ ثوبَ الحِدادِ
ويرَى الوردُ كالبنَفْسِجِ لوناً ... منكَ والأقحُوانُ غيرَ نَوادِى(٧)
إذ عرَى نَرْجِسَ العيونِ ذُبولٌ ... وغدا الغصنُ ليس بالميّادِ(٨)

---

(١) يعنى محمد بن داود الظاهرى ، صاحب كتاب الزهرة ، المتوفى سنة سبع وتسعين ومائتين . الوافى بالوفيات ٣/٥٨ ، وفيات الأعيان ٣/٢٩٠ .
(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « ليحمل بيت القلب » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « فينا سيوفا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) فى ج : « لى ذنوبا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ا : « غير بواد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٨) فى ا : « إن عرى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ذاكَ نَوْحِي عليك وهْوَ زمانٌ مُنْصِفٌ للهوَى من الأضْدادِ

* * *

ومن نُتَفِه قوله :

علَّمَتْنِي الذُّلَّ حتى صِرتُ آلَفُه وما التَّذلُّلُ خُلْقُ البازِ والأسَدِ

يامَن أهان فُؤادِي في محبَّتِه أعزَّكَ اللهُ فارْحَمْنِي ولا تَزِدِ

قد صِرتُ طَوْعَ يدِ الأشْواقِ مُكْتئِبًا من بعدِ ما كانتِ الأشْواقُ طَوْعَ يدِي

* * *

وقوله (١) :

وأذْكرنِي قَدَّ القَناةِ قَوامُهُ وهزَّنِي الشوقُ اهْتِزازَ المُهنَّدِ

وأزعجنِي حتى ظنَنْتُ وِسادَتِي علَيَّ وقد أمْسَتْ كقِطْعةِ جَلْمَدِ

ألا إنَّني ياشوقُ باللهِ عائذٌ ومُسْتَشْفِعٌ من فِتْنتِي بمُحمَّدِ (٢)

* * *

وله من قصيدة ، أولها :

لَحَى اللهُ أوْقاتِي وضاعفَ من صَبْرِي على مَرِّها مَرَّ السَّحابِ بلا قَطْرِ

تُحارِبنِي الأيامُ حتى كأنَّني تُطالِبُني عن كلِّ مَن ماتَ بالوَتْرِ

* * *

الوَتْرُ : الذَّحْل ، وهو الثَّأْر .

قال يونُس (٣) : أهلُ العالية يقولون : الوِتْر ، يعني بالكسر : في العَدَد ، وفي الذَّحْل ، بالفتح .

* * *

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢١٥ . (٢) في خلاصة الأثر : « على أنني » . (٣) انظر اللسان (و ت ر) ٥/٢٧٤ .

عدَدْتُ أوَيقاتِي ولاحَظْتُ طِيبَهـــا فأجْوَدُها مامَرَّ فى الحُلْمِ من دَهْرِى

إذا رُحْتُ أُحْصِيهـــا لأعلمَ يُسْرَها عدِمْتُ حياتِى والمصيرُ إلى عُسْرِ (١)

متى ما اعْتَبَرْتَ المرءَ ما كان صافياً تجِدْ رجُـــلاً قد عاش عُمْراً بلا عُمْرِ

* * *

هذا معنًى غريب ، وأظنّه تناوله من قولِ الختاتِى (٢) ، وهو (٣) :

عمرُ الفتَى قالوا زَمانُ الرِّضــــا بِصَفْوةِ الأحْبــــابِ فى اليُسْرِ (٤)

صدَقْتُ ماقالوه كى يُقْبِلُوا فينْظُروا شيخًا بلاَ عُمْرِ (٥)

وأصله قول الأمير أسامة بن مُنْقِذ (٦) :

قالوا نَهَـــاهُ الأربعونَ عن الصِّبَا وأخو المشيبِ يَجُورُ ثُمّتَ يهتدِى (٧)

كم حارَ فى ليـــلِ الشَّبابِ فدَلَّهُ صبحُ المشيبِ على الطَّرِيقِ الأقْصَدِ (٨)

وإذا عـدَدْتَ سِنِيَّ ثم نقَصْتَهـــا زمَنَ الهموم فتلكَ ساعة مَوْلِدِى (٩)

قال العِماد الأصْفَهانى (١٠) : فالعجب من مقاصِد هذه (١١ الـكَلِم ، وتعرُّض لموارد هـذه ١١) الحـكم وأقضى العجب (١٢ كل العجب ١٢) من غَزارةِ (١٣) هـذا الأدب ،

(١) فى ب ، ج : « ليعلم يسرها » ، والمثبت فى ا . (٢) محمد بن أحمد الختاتى المصرى ، أديب ، شاعر ، كاتب .

كان ظريف الطبع ، وله شعر رقيق فى نهاية الحسن والجودة ، ولى قضاء أسيوط والجيزة .

توفى سنة إحدى وخمسين وألف ، بالجيزة .

خبايا الزوايا لوحة ١١٩ ب ، خلاصة الأثر ٣/٣٦٦ ـ ٣٧٥ ، ريحانة الألبا ٢/٧٤ .

(٣) البيتان فى ريحانة الألبا ٢/٧٦ . (٤) فى ب ، ج : «زمان الصبا» ، والمثبت فى : ا ، وريحانة الألبا . وفى ب ، ج : « فى يسر » ، والمثبت فى : ا ، ورواية عجز البيت فى الريحانة :

* بالصَّفْوِ والأحبابِ واليُسْرِ *

(٥) فى ريحانة الألبا : « لينظروا شيخا » . (٦) ديوانه ٢٤٧ ، وخريدة القصر ـ قسم الشام ١/٥٠ ، ٥١ ، ومعجم الأدباء ٥/١٩٤ ، وريحانة الألبا ٢/٧٦ . (٧) فى المصادر السابقة : « نهته الأربعون ، وفى ريحانة الألبا : « بحارثت » . (٨) فى خريدة القصر ، ومعجم الأدباء : « كم جار » ، وفى الديوان : « كم ضل » ، وفيه أيضا : « وضح المشيب » . (٩) ضبطت التاء فى : « عددت » ، و « نقصتها» فى الديوان بالضم . (١٠) خريدة القصر ، قسم الشام ١/٥٠ . (١١) زيادة من الخريدة على ما فى الأصول . (١٢) زيادة من الخريدة على ما فى الأصول . (١٣) فى الأصول : « غزاله » .

ولولا أن المِدادَ أفضلُ ما رُقِم (١) به صحائفُ الكتب ، لحَرَّرْتُ هذه الأبيات بماء الذّهب ، فهذا أبلغ من قول أبى فِراس الحَمْدانىّ (٢) :

ما العمرُ ما طالَتْ به الدُّهورُ   العمرُ ما تمّ به السُّرورُ (٣)

فالفضلُ للمتقدِّم فى ابتكار المعنى ، وللمتأخِّر فى المُبالغة (٤) .

* * *

العودُ أحمد :

وها أنا فى طَىِّ الليالى مُعدِّدٌ   كواكبَه من حيثُ لا حاسِبٌ يَدْرِى

كأنّىَ مِن هَمِّى مَدَى الليلِ راكبٌ   على فلكٍ نائِى المَدَى أبداً يَسْرِى

أرُوح مُجِدًّا مُصْعِداً وعزيمتى   إلى اللَّوْح كى أقرَا به سُورة اليُسْرِ (٥)

وأحفظها من جَبْهةٍ شِمْتُ نورَها   على بُعْدها قدرُ الكواكبِ والبدرِ (٦)

* * *

وله (٧) :

عجِبتُ للشمسِ إذ حلَّتْ مُؤثّرةً   فى جَبْهةٍ لم أخَلْها قطُّ فى البشَرِ (٨)

وإنما الجبهةُ الغرّاء مَنْزِلةٌ   مُختَصّةٌ فى ذُرَى الأفلاكِ بالقمرِ

ما كنتُ أحسَبُ أن الشمسَ تعشَقُه   حتى تبيَّنْتُ منها حِدّةَ النَّظرِ

* * *

---

(١) فى خريدة القصر : « ترقم » . (٢) فى الخريدة : « بن حمدان » ، والأبيات له من أرجوزته فى الطرد ، ديوانه (بيروت) ٣١٩ . (٣) زاد العماد بعد هذا :

أيامُ عِزِّى ونَفاذِ أمرِى   هى التى أحسِبُها من عُمْرِى

(٤) زاد العماد بعد هذا : « حيث ذكره فى بيت واحد ، ولم يجعل له نصيبا من العمر لاساءة مولده ، فجميع الحياة على الحقيقة نصب وألم وتعب » . (٥) فى ب ، ج : « سورة البشر » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ب : « قدر الكواكب والنسر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢١٥/١ . (٨) فى خلاصة الأثر : « لم أخلها قط للبشر » .

وله :

انظر لأوراقِ الربيعِ وقد بدَتْ ... مُحْمرّةً فى صُفْرةِ الأشْجارِ (١)

وكأنّها لمّا تَبـــدّتْ بيْنَهـــا ... شَفَقٌ تبـــدّى فى سماء نُضارِ

* * *

وله :

قد أحِبُّ الرّبيعَ ألْهو فيـــه ... بلطيفِ الهَـــواء والأزْهارِ (٢)

ثم فصلُ الخريفِ عنـدىَ أحْلَى ... لاجْتِنائى فِيـــه لذيذَ الثّمارِ

* * *

ومن غَزَلِيّاته قوله :

ومُعذَّرٍ خفِيَتْ خطوطُ عِـذاره ... فبدَتْ لطالبِ وَصْـلِه أعْـذارُهُ

قد لاح تحتَ ورُودِه رَيْحانُه ... وبدَا خَفِيًا للعيـــونِ غُبارُه

يبْـــدُو فتقطُر بالدّما أقطارُه ... دَلًا ويخْطُو بالخطى خطّارُهُ (٣)

رقّتْ شمائـــلُه ورقّ كلامُه ... وتعبـــدتْ أوطارَنا أوْطارُهُ

فشـكَـكْتُ بين مُؤنّثٍ ومُذكّرٍ ... فيـــه فأنْبا باليقينِ عِذارُهُ (٤)

* * *

من هذا ، بل أجود منه قول تَقِيّ الدّين الفارسْـكُورِىّ (٥) :

(١) فى ج : « وقد غدت » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) فى ب : « بلطيف الأهواء » .

(٣) فى ب : « بالدما قطـاره » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ب : « فشكـكت بز مؤنث » والمثبت فى : ا ، ج .   (٥) محمد بن عمر بن محمد الفارسكورى ، المصرى ، قاضى القضاة .

كان من الأدب ، والبلاغة ، والشعر ، وصحة التخيل ، والاختراع ، فى الذروة العليا ، وكان عارفا بكثير من الفنون ، كثير الاطلاع .

اشتغل بالتدريس والقضاء .

وتوفى بدمشق ، سنة سبع وخمسين وألف .

خبـايا الزوايا لوحة ١٤٥ ا ، الخطط التوفيقيـة ١٤/٦٥ ، ٦٦ ، خلاصة الأثر ٤/٨٢ ـ ٨٩ ، ريحانة الألبا ٢/٧٠ .

تَوَهَّمْتُــهُ شمساً وكانَ يُرِيبُنِي نسيمُ الصَّبَا منــه ومن طبعِهَا الحَرُّ
فلمَّا دجَا ليلُ العِــذارِ ولم يغِبْ علِمْتُ وزالتْ شُبْهتِي أنه البــدْرُ

* * *

وله :

ومازالتْ تحُثُّنِي المعــالِي سِراراً لا أُطِيقُ له جِهَــارَا [١]
فإنْ أظفَرْ به فأنا حَرِيٌّ وإلَّا فالمُقدَّرُ لا يُجارَى [٢]

* * *

وحيَّاه غُلامٌ بورْدةٍ ، فقال :

انْظُر إلى وَرْدَةٍ حيَّى بهــا رشَأٌ نَشْوانُ وافَى من الغِلْمانِ كالحُورِ [٣]
كأنَّهــا شَفَتَــاه حين جاءَ بهَا مضْمُومةً إذ بدَتْ أو طَرْفُ مخْمُورِ

* * *

في التَّشْبِيه الأوَّل شِمَّةٌ من قول الشَّريف الرضيِّ [٤] :

كم وَرْدَةٍ تحْكِي بسَبْقِ الوَرْدِ طَلِيعَــةً تشرَّعتْ من جُنْدِ
قد ضمَّهَا في الغُصْنِ فَرْطُ الــبَرْدِ ضَمَّ فمٍ لقُبْلَةٍ من بُعْدِ

ولابن الرُّومِيّ [٥] :

ورْدٌ تفتَّحَ ثم ارْتَدَّ مجتمِعاً كما تجمَّعتِ الأفْوَاهُ لِلْقُبَلِ

ومن تضامِين ابن تَمِيمٍ الفائقة [٦] :

---

(١) في ب : « لها جهارا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ج : « وإلا فالمقدر » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) في ب ، ج : « حي بها بشر » ، والمثبت في : ا . (٤) ليس في ديوانه .
(٥) ليس في ديوان ابن الرومي (كيلاني) . (٦) محمد بن يعقوب بن علي الإسعردي ، مجير الدين ابن تميم .

سَبَقَتْ إليكَ من الحدائقِ وَرْدَةٌ ... وأتَتْكَ قبلَ أوانِها تَطْفِيلَا(١)

طَمِعتْ بلَثْمِكَ إذ رأتْكَ فجُمِّعتْ ... فَمُهَا إليكَ كطالبٍ تَقْبِيلَا

وأصلُه قولُ المُتَنَبِّي في راكبِ فرسٍ(٢) :

ويُغِيرُنِي جَذْبُ الزِّمامِ لقلْبِها ... فَمُهَا إليكِ كطالبٍ تَقْبِيلَا

***

وله(٣) عاقداً لحكمة تؤثر(٣) :

إذا أقْبلَتْ دُنْياكَ يوماً على امْرِئٍ ... كَسَتْهُ ولم يشْعرْ محاسِنَ غيْرِهِ

وإن أدْبرتْ سلَبتْ محاسنَ نفْسِهِ ... وكُسِي سُروراً عن ملابسِ خَيْرِهِ(٤)

***

وله :

كلُّ الحوائجِ تنقضي ... فاعْجَبْ لفَرْقِ قضائِها

فالأُسْدُ تفْترسُ الظِّبا ... وتَعِيثُ في أعْضائِها(٥)

والنَّمْلُ عظْمُ واحدٍ ... منها يَفِي برِضائِها(٦)

***

= سكن حماة ، وخدم الملك المنصور .
وكان جنديا محتشما ، شجاعا ، مطبوعا ، كريم الأخلاق ، بديع النظم ، رقيقه ، لطيف التخيل .
توفي بحماة ، سنة أربع وثمانين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٥٣٨ .
والبيتان في : فوات الوفيات ٢/٥٤٢ ، طراز المجالس ٢٠ ، ريحانة الألبا ٢/٦٣ ، ٦٤ .

(١) في ا ، وفوات الوفيات : « سبقت إليك » ، والمثبت في : ب ، ج ، وطراز المجالس ، وريحانة الألبا . وفي فوات الوفيات : « وأتتك قبل أوانها تطفيلا » .

(٢) سقطت هذه المقدمة ، والبيت من : ج ، وهما في : ا ، ب ، والبيت في ديوان أبي الطيب ١٣٣ .

(٣) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب . (٤) في ا : « وكسى سروراً » ، والمثبت في : ا ، ج.

(٥) في ج : « تفرق الظبا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « أعظم واحد » ، والمثبت في : ب ، ج .

وله من النَّوع الذى يُسمَّى بالاكْتِفاء[١] :

إنَّ احْتِفالَ المرء بالمرْء لا ... أُحِبُّه إلّا مع الاكْتِفَا
مُبالغاتُ النَّاسِ مَذْمومةٌ ... فاسْلُكْ سبيلَ القصْدِ في الاحْتِفا[٢]

* * *

فيها التزامٌ عجيب ، لم يُنظَم مثلُه ، وهو أن يكون اللفظُ المُكتَفَى به بمعنى اللفظِ المُكتَفَى منه[٣] ؛ فإن الاحْتِفاء والاحتفال بمعنى الاعْتِناء ؛ فيكون على هذا الاكْتِفاء وعدمُه على حدٍّ سَواء ، إذ لو قُطِع النَّظرُ عن لفظِ الاحْتِفال لأغْنَى عنه لفظُ الاحْتِفاء ، مع تسمية[٤] النَّوع فيهما .

* * *

وله :

أَضُمُّ على قلبى يدَىَّ تشوُّقًا ... وأَلْوِى حيازِيمِى عليك تحرُّقَا
تَساوَى حُضورِى في هواك وغَيْبتى ... ومن عجَبٍ شوقٌ لدَى البُعْدِ واللِّقَا[٥]
رعَى اللهُ قلبِي حيث كانت فإنَّه ... غدا بحبالِ الشَّمسِ منك مُعلَّقَـا

ومن رُباعيّاته قوله :

أَبْكيكِ ولو بقدْرِ شوْقِي أَبْكِي ... أَوْردْتِ محاجِرِي حياضَ الهلْكِ[٦]
لو قال لِيَ الغرامُ ممَّن تشكُو ... بأْسًا وأسًا لقلت مِنْكِي منْكِي[٧]

* * *

(١) انظر ما ذكره الخفاجى عن هذا الفن فى ريحانة الألبا ٢/١٠٧–١١٣ . (٢) فى ب : « فاسلك سبيل القصد بالاحتفا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب مكان هذا : « به بمعنى اللفظ » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « تسوية » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « ومن عجب شوقا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب ، ج : « حياء الهلك » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ا : « بأسا وأسا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله (١) :

أيُّ ذنبٍ لِيَ قُلْ لِي ... غيرَ حظٍّ منك قَلّ

أتُراني منك أصْبَحْـ ... ـتُ برأيٍ مُستقِلّ

لكَ نفسي أيهـا الـ ... ـجاني فخُذْ جُهْدَ المُقِلّ

* * *

وله :

أيُّها الجـاني المُدِلُّ ... لك نفسي وتَقِـلُّ

طال تعذيبُكَ قلبي ... فعذابي لا يَحِلُّ

أنتَ في حِلٍّ فبـادِرْ ... بدَمٍ ليس يحِلُّ (٢)

* * *

وله من قصيدة ، مطلعها :

عُذْراً لطَيْشِكَ إن السِّنَّ مُقْتبِلُ ... فليس ينفعُ في أشواقِكَ العذَلُ

سَبْعٌ وعشرون لو مَرّتْ على جبلٍ ... لراحَ يختالُ منها ذلكَ الجَبَلُ (٣)

قضّيتُ فيهـا شباباً لو تطلَّبَه ... رِضوانُ في الخُلْدِ أعيَتْ قَصْدَه الحِيَلُ

نظيمةٌ كعقُـودِ الدُّرِّ في نَسَقٍ ... فلو حوتْها عقودٌ زانَها العطَلُ (٤)

نَشْوانُ أطمَحُ من خَمْرِ الشّبابِ ولا ... كنَشْوةِ الخمْرِ يشكو فِعلَها الثَّمِلُ

في حيث عندِي فُكاهاتٌ ألذُّ بها ... راحِي الرُّضابُ وتُفّاحِي هي القُبَلُ (٥)

أُعانِقُ الغُصْنَ في أكمامِهِ قمرٌ ... وألثِمُ البدرَ في أعطافِهِ كسَلُ

---

(١) هذه الأبيات ساقطة من : ا ، وهي في : ب ، ج . (٢) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٣) في ا : « يختال منهـا ذلك الجبـل » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « فلو حوتها عقودا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ا : « بحيث عنـدي » ، والمثبت في : ب ، ج .

لو حلَّتِ الشمسُ يوماً فى محلَّتِنا ... لراحَ ينْدُبها من شَجْوِه الحَمَلُ
أو قابلَ البدرُ عندى مَنْ أُسامِرُهُ ... لَمَسَّه دونه التَّشْوِيرُ والخجَلُ[1]
أيّامَ لم أحْتمِلْ للصَّبْرِ عاقبةً ... ولم أقُلْ ليتَ جَفْنِى راح ينْهمِلُ
مرّتْ فلاصَفْوُها فى العيْشِ ذو رَنَقٍ ... يوماً ولا ظِلُّها فى الأمْنِ مُنْتَقِلُ[2]
تلْهُو السُّنُونُ بِها فى أمرِهن كما ... يلْهُو بقلْبِ الفتَى فى يومِه الأمَلُ[3]

***

وله الميميَّةُ التى أبانتْ عن شَغَفٍ، كاد يُفْضِى به إلى التَّلَفِ، وغرامٍ رُمِىَ منه بِكُلَفِ الكَلَفِ.

وسببُ ذلك صدُّ حبيبٍ لم يَدعْ فيه للتَّحمُّلِ مَحلاًّ، وأذْهلَ لُبَّه فتركه بمقتضياتِ الحُبِّ مخِلاًّ، وهى هذه:

حكَّمْتُهم فى فؤادِى حسْبَما رسَمُوا ... فليْتَهم حكَمُوا بالعدْلِ إذ حكَمُوا
أو ليْتَنا قد صَبرْنا مُذْعِنِين لهم ... أو ليتَهم إذ تولَّوْا أمرَنا رَحِمُوا[4]
جارُوا ولو علِموا أنِّى لحُكْمِهمُ ... طَوْعُ القِيادِ لما جارُوا ولا ظلَمُوا
ضَنُّوا بصُحْبتِهم عنّا ولو علِمُوا ... صِدْقَ المحبَّةِ منّا خِلْتَهم نَدِمُوا
هُمْ عرَّضُونا لبَلْواهُمْ بقُرْبِهمُ ... حتى إذا ما رأَوْا إقْبالَنا سَئِمُوا
كُنّا بنَيْنا لهم فى القلبِ منْزِلةً ... علْياءَ حتى إذا ما شُيِّدتْ هدَمُوا
ظنُّوا بنا غيرَ ما تطْوِى سرائرُنا ... واللهُ يأْبَى الذى ظنُّوه والكَرَمُ
ما أبْعدَ العيْبَ والنقْصانَ من شرَفِى ... أنا الثُّرَيّا وذانِ الشَّيْبُ والهَرَمُ[5]

---

(١) فى ب: «دونه التشويه»، والمثبت فى: ا، ج والتشوير: التخجيل. (٢) فى ا: «ولاظلها فى الأرض»، والمثبت فى: ب، ج. (٣) فى ا: «فى مرهن كما»، وفى ج: «فى مرهز كما»، والمثبت فى: ب. (٤) فى ا: «وليتنا قدصبرنا»، والمثبت فى: ب، ج. (٥) فى ا: «ما أبعد العبد»، والمثبت فى: ب، ج. وفى ب: «وذاتى الشيب»، وفى ج: «وذاتى الشيب»، والمثبت فى: ا.

رأيتُهـــم لم يَمَلُّوا خَلّتَيْنِ لهم ... وبئستِ الخلّتانِ الغَدْرُ والسَّأَمُ (١)
رحلتُ عنهم ولي في كلِّ جارحـــةٍ ... منّي لسانٌ عليهم يشتــكي وفمُ
وإن ترحّلتَ عن قومٍ وقد قدرُوا ... أن لا تفارقَهم فالرّاحلونَ هُمُ (٢)
يا نازحـــين عَراهُمْ من تذكّرِنا ... عارٌ فلا مَسّكمْ من بعــدِ ذا أَلَمُ
جنَيْتُمُ ثم رُحتُــمْ عاتبينَ وهــلْ ... في العَدْلِ أن يَعتِبَ الجاني ويَجترِمُ (٣)
كُنتم ولا عيبَ فيكم غــيرَ أنّكمُ ... قد شابَ ماءَكمُ القَــذْرُ بين دَمُ
عجبتُ منكم وفي أخلاقِــكمْ عجبٌ ... كيف استوى فيكمُ المحدودُ والخَدَمُ
سُلِبتُمُ النفعَ حتى ظنّ طالبُكم ... أن الذي قد تولّى كبرَكم صنمُ
غدرتُمُ ووفَيْنا في محبّتِــكمْ ... إنّ الوفاءَ لدى أهلِ النُّهى ذِمَمُ
قد كنتُ يوسفَ إذ بعتُمْ كإخوتهِ ... بالبخسِ مني فتًى تَغْلو به القِيَمُ
لا ذنبَ فــيما أحلتُمْ للوشاةِ وهــلْ ... للخصمِ ذنبٌ إذا لم يُنصِفِ الحَكَمُ
إن كان يجمعُنا حبٌّ لموقفِــكمْ ... فليتَ أنّا بقدرِ الحبِّ نقتسِمُ
هل في القضيةِ ممّن لستُ أتّهمُه ... أنّي على حُبّكمْ بالصّدقِ متّهَمُ
إن كان حبُّ الفتى ذنبٌ يعدُّ له ... إنّي إذاً أنا بالبغضــاءِ متّسِمُ
زعمتُمُ أنّنا نهوى شمائلَكم ... وإنّما تُعشَقُ الأخــلاقُ والشِّيَمُ
أيُّ الفريقينِ أوفى عندكم نفرًا ... هوَوْا وما كتموا أم معشرٌ كتموا (٤)
لم تفرقوا ما البُزاةُ الشُّهبُ عندكمُ ... وقد أحاطتْكمُ الغِرْبانُ والرَّخَمُ

---

(١) في ا : « رأيتهم » . (٢) ضمن هنا قول أبي الطيب :

إذا ترحّلتَ عن قومٍ وقد قدروا ... أن لا تفارقَهم فالرّاحلون همُ

ديوانه ٣٢٥ .

(٣) في ا : « أن يعتب الجاني ويجترم » ، والمثبت في : ب ، ج ، وهو على الرفع هكذا في الأصول .
(٤) في ا : « وما كتموا إنت معشر كتموا » ، وفي ب : « أو معشر لكم » ، والمثبت في : ج .

وما انتفاعُ أخي الدُّنيا بناظِرِه ... إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ (١)

فرَّطتُمُ في عقودِ الودِّ فاغتنِمُوا ... تفريطَكم إنه ما ليس ينتظِمُ

جمحتُمُ اليومَ عن طُرْقِ الوفاءِ فلا ... جذبُ الأزِمَّةِ يَثْنيكُم ولا اللُّجُمُ

رُحتُم تغضُّون منِّي دون أُسرتِكم ... حتّى كأنِّيَ في أجفانِكم سَقَمُ

بيني وبينكم بَهْماءُ مُظلِمةٌ ... من غَدْرِكم لم تجُبْها الأَيْنُقُ الرُّسُمُ (٢)

جهِلْتُمُ قَدْرَ معروفي ومَعرفتي ... وسوف يبلغُ فيكم شأْوَه النَّدَمُ

أنا الذي نظرَ الأعمَى إلى أدبي ... وأسمعَتْ كلماتي مَن به صَمَمُ (٣)

أبدُوا فيخضعَ مَن بالسُّوءِ يذكُرُني ... كأنَّني فوق أعناقِ العِدى علَمُ

صفحتُ عنكم فلا أنِّي قبلتُ لكم ... عُذْراً ولكنَّ نفسي دأْبُها الشَّمَمُ

فادْعُوا بأبنائِكم حتى نُباهِلَكُمْ ... أوْلا فإنَّا لها الإنْصافُ نحتكِمُ (٤)

أرْخَصتُمُ سِعْرَ شِعْري في مديحِكُمُ ... فراحَ يهجُوكُمُ القِرْطاسُ والقلَمُ

أنامُ مِلْءَ عيوني لا أعاتِبُكم ... ويَسْهرُ السُّمْرُ من أجْلي وتختصِمُ (٥)

جِنايةٌ أرثُها وَصْمٌ لكم أبداً ... وشرُّ ما يكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ (٦)

مَن لي بأن تفقهُوا أنَّ الأنامَ بكم ... نِصفانِ مُستهزِئٌ والنِّصفُ مُنْتقِمُ (٧)

---

(١) هذا بيت آخر لأبي الطيب ، ضمنه المترجم ، انظر ديوان المتنبي ٣٢٣ . (٢) الأينق الرسم : التي يؤثر سيرها في الأرض ، أو التي تمشي مشيا شديدا . (٣) البيت لأبي الطيب أيضا ، وهو في ديوانه ٣٢٣ . (٤) لعل الصواب : «فإنا لدى الإنصاف» . (٥) أخذ هذا أيضا من قول أبي الطيب :

أنامُ مِلْءَ جفوني عن شوارِدِها ... ويسهرُ الخلقُ جرَّاها ويختصِمُ

(٦) ضمن عجز بيت لأبي الطيب ، صدره :

* شرُّ البلادِ بلادٌ لا صديقَ بها *

ديوانه ٣٢٥ .

(٧) في ب : « أن الأنام لكم » ، والمثبت في : ا ، ج .

ما كانَ أخلاقَنا منكم بتَكرِمةٍ — لو أنَّ فِعلَكمُ مِن فِعلِنا أَمَمُ (١)
هجرتُمُ وهجرنَا مُنصفِين وفى — فعالِ النُّهَى دون أفعالِ الوَرى حَكَمُ
ضاقَ الكِناسُ عليكمْ يا ظِباءُ بنا — وليس للأُسْدِ إلا الغابُ والأَجَمُ
مالى وآرامكم حتى أُخالِطَها — وفى التقرُّبِ ما تدنو بهِ التُّهَمُ
فارقتُكمْ لا فؤادِى راح مُضطرِمًا — شوقًا ولا العينُ فى أجفانِها دِيَمُ
سَلُوا تُنبِّئكمُ حالى وما صنعتْ — من بعدِ فُرقتِكمْ فى صدرِىَ الهِمَمُ
وكيف أصبحَ قلبى فى تقلُّبِه — والعينُ كيف كَراها راح يَزْدحِمُ
يدًا علينا لواشِينا فلا عثرتْ — ولا سمَتْ لتجافِينا به القدمُ
قد هان فى بصرِى ما كنت أُبصِرُهُ — كأنما يقظتى فى وصْلِكمْ حُلُمُ
وكنت أبكى على حظِّى بكمْ زمنًا — فصرتُ أعجبُ من حظِّى وأبتسمُ
وصرتُ أُذنِبُكمْ لا أنَّنى أسِفٌ — لكن لأُعلِمَ قومِى أنكمْ رِمَمُ
طابتْ صُحْبتُكمْ حتى وجدتُكمُ — إذا احتفلتُ بكم سِيَّانِ والعدمُ (٢)
ورحتُ والصبرُ لم تُثْلَمْ جوانِبُه — وغُدْتُ والقلبُ منِّى باردٌ شَبِمُ
إنِّى وما ضمَّ قلبى مِنْ سُلُوِّكمُ — أَلِيَّةٌ ليس عندى غيرُها قَسَمُ
قد اغتنمتُ بعادِى عن مجالِسِكمْ — وليس قربُكمُ فى الناسِ يُغتنَمُ
وكنتُ أزعمُ أن البيتَ بيتُكمُ — وأن عِرْضَكمُ دون الورَى حَرَمُ
وأنَّنى عبدُكم حتى رأيتُ لكمْ — عبدًا يسِيءُ بمولاهُ ويَنهزمُ
ما كان لى أن أرَى فى الرِّقِّ مُشتَرِكًا — معْ عبدِ سُوءٍ به الأحرارُ تُهتضَمُ
عمِيتُمُ عن مُحبِّيكمْ فسِيءَ بكمْ — وتلك عاقِبةُ القومِ الذين عَمُوا
سحرتُ ذا الدُّرِّ حتى صُغْتُه كَلِمًا — لا تحسبُوا أنه ما بينكم كَلِمُ

---

(١) هذا أيضا من قول أبى الطيب :

ما كان أخلاقنا منكم بتكرِمةٍ — لو أن أمرَكمُ من أمرِنا أَمَمُ

ديوانه ٣٢٤ . (٢) فى ا : « ملت صحبتكم » ، والمثبت فى : ب ، م .

لو لم تكنْ رِقّةُ الألفاظِ تخدعكمْ لقلتمْ إنّما المصْقولةُ الخذمُ[١]
فلا رعَى اللهُ مَن لم يَرْعَ صُحْبتَنا ولا رعَى مرْتعاً سامتْ به النَّعمُ

* * *

وله :

رُبَّ يومٍ جاء يُوحي بأمرٍ فيه شَيطانُه إلى شَيطاني
مِن سِرارٍ بين الّلحاظِ ورُوحي أتقنَتْ علمَ سِحْرِه العينان[٢]
وأفاضا مِن الهوَى في حديثٍ ليس من جنسِ ما يَعِي المَاكان[٣]
ثُم زَنْداي وشَحاهُ وِشاحاً مالِزُنّارِه بذاك يدانِ[٤]
فاغتدَيْنا من العِناقِ اتّحاداً مثلَ جِسْمٍ قد حلّهُ رُوحانِ

* * *

وله[٥] :

لما رأيتُ العيشَ مِن ثمرِ الصِّبا وعلمتُ أن العفوَ حظُّ الجاني
أدركْتُ مالا سوّلتْهُ لَبيئتي وفعلتُ ما لا ظنّه شيْطاني

* * *

وله :

ولقد صحِبْتُ العِزَّ مُذ أنا يافعٌ فهوَ الشّبابُ على الشّبابِ أتاني
ولو اعْترَى بعدَ الشّبابِ لسَرّني فالعِزُّ مُكْتهلاً شبابٌ ثاني

* * *

وله :

قد أظْمأني الغرامُ ممّا فيّا هيّا بفضولِ دَمْعِ كاسِي هيّا
لا تلْحظْني عروسَ بَخْتي أنفاً حتّى ولو انتقشْتُ كُلّي كَيّا

---

(١) الخذم : السريعة القطع . (٢) في ب : « أتقنت بين سحره » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ب : « ليس من جنس ما نعى المكان » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) الزنار : ما يشد على الوسط . (٥) البيتان في خلاصة الأثر ١/٢١٢ .

٧

الأمير مَنْجَك بن محمد المَنْجَكِي *

هذا الأمير ، سقى عَهْدَه مُفاضُ الدِّيَم ، وحَيّي الرِّضْوانُ منه تلكَ الشِّيَم .

إن لم يكن ثانيَ أبي فِراس في الشِّعْر وحدَه ، فهو مع ذلك ثانيَ ابن طَيّ الذي تجاوز في الكرَم حَدَّه .

فهما [1] إن ابتدآ [1] الأمْرَيْن في الوُجود ، فهو الذي انْتَهى به الفضلُ والجود .

وأحسنُ ما في الطّاوُوس الذَّنَب ، وفي الخَمْر معنى ليس في العِنَب .

هذا ، وكلُّ ناطقٍ بلسان ، وعارفٍ بحُسْنٍ واسْتحسان .

مُجْمِعٌ على فضلِه الذي اقْتضى لذِكْرِه التَّخْليد ، فالعالِم عرفَه بعِلْمِه ، والجاهلُ قال بالتَّقْليد .

وهو منذ لاحَ هلالُه في أوْجِه ، وأبُوه بين حزْب الإقْبال وفَوْجِه .

(*) الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفي ، الجركسي ، الدمشقي .

نشأ في ظلال نعمة أبيه ، وشغف من حين نشأته بالطلب ، وصرف عمره في تحصيل الأدب .

قرأ على الشيخ عبد الرحمن العمادي ، وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد الوفائي ، وأبي العباس المقري ، والأدب عن أحمد بن شاهين .

ووهبه الله تعالى الذكاء ، وقوة الحافظة ، وحسن التخيل والأداء .

كما كان كريما متلافا ، أنفق ما تركه له والده ، ثم انزوى عن الناس ، وهاجر إلى الروم ، ولكنه لم يدرك بغيته من الهجرة فعاد ، ولم يخرج من عزلته إلا قبل موته بعام ، فخرج إلى قرنائه الذين ألفهم منذ الصبا .

جمع أشعاره فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي ، والد المؤلف ، بأمر من شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين ، المعروف بحسام زاده .

توفي سنة ثمانين وألف ، عن ثلاث وسبعين سنة .

خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ ا ، خلاصة الأثر ٤ / ٤٠٩ ، ديوان الإسلام لوحة ٤٧ ا ، ريحانة الألبا ١ / ٢٣٢ ـ ٢٥٦ ، سلافة العصر ٣٦٩ .

(١) في ب : « مبتدا » ، والمثبت في : ا ، ج .

يُفْدَى بالشُّموسِ والأقْمارِ ، ويُمَدُّ بالأنْفُسِ والأعْمارِ .

وإنْ لمْ يكنْ في قُبّةِ السّما ، فهو في بُحْبُوحةِ [١] القُبَّةِ الشَّمَّا [١] .

يُباهي بسُؤْدَدٍ اتّصلَتْ أصولُه اتّصالَ الشّآبيبِ ، وتناسبَتْ فروعُه تناسُبَ الرِّماحِ كُعوبًا على كُعوبٍ ، وأنابيبَ على أنابيبَ .

وعزٍّ له ذِرْوَةٌ تُفْضِي إلى روضٍ بالسَّماحِ يجُودُ ، فكمْ لجِباهِ العُفاةِ لَدَيْهِ مِنْ مَجالِ سجُودٍ في مجالسِ جُودٍ .

حتّى قعدَ مَقْعَدَ والدِه ، واحْتَوَى من رِياشِه على طريفِه وتالِدِه .

هنالكَ سلَكَ مِن البَذْلِ ماسلَكَ ، وسَخَا والسَّخِيُّ جودُه بما مَلَكَ .

فأعرضَتْ عنه الأيّامُ إعراضَ النّسيمِ عن الرّوْضةِ الغَنّاءِ ، وتخلّتْ عنه تخلِّيَ العِقْدِ عن عُنُقِ الحسْناءِ .

وإذا الجَـوادُ يبيتُ مِنْ ... جَوْرِ الزّمانِ على وِسادِ

كالعيْنِ تُفْرِحُ غـيرَها ... وتظَلُّ لابِسـةَ الحِدادِ

وقد أدركتُه وسَبَجُه [٢] يُزْري بساجِه ، وسَمْهَرِيُّ قدِّه رُمِيَ باعْوِجاجِه .

وكانَ بينه وبين أبي مَحبّةٌ ومودّةٌ ، ومجالسُ اجْتِماعاتٍ لمذاكرةِ الأدبِ مُعَدّةٌ .

فكنتُ أجْنِي من مُطارَحتِها بدائعَ مأنِساتِ الأعْطافِ ، وأقْطِفُ روائعَ مُسْتعْذَباتِ الجَنَى والقِطافِ .

ولقد رأيتُ من فضلِه مالمْ أرَ قبلُ ولا بعْدُ ، وطالما حصّلْتُ منه على أمانيَّ في هذا الشّأنِ من غيْرِ وَعْدٍ .

فمن لفظٍ إذا سمِعْتَه قلتَ كأنّ العربَ استخدَمَتْه على لسانِها ، ومعنًى إذا تخيّلْتَه قلتَ [٣] : هذا للبراعةِ إنسانُ [٤] عينِها وعينُ إنسانِها .

---

(١) في ا : « القنه السما » ، وفي ب : « القبة الشما » ، والمثبت في : ج . (٢) يعني سواد شعره .
(٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٤) ساقط من : ب ، ج ، وهو في : ا .

إلى محاضرةٍ إذا تحرَّى فى أسلوبِها الرَّشيق ، تَهُمُّ بِبَسْطِ الحِجْرِ لالْتِقاطِ دُرِّها النَّسِيق .

وأما حديثُ لِينِ العَرِيكة ، ودَماثةِ السَّلِيقة ، فلم يُرَ مَن يُشبِهُه فى الخُلُق والخَلِيقة . بأدبٍ ضافِى الذَّيْلِ مُطَرَّزِ الكُمّ ، وشِعْرٍ يكادُ يُحْيِى الجمادَ ويُنْطِقُ الأَبْكَم .

* * *

وها أنا أُورِد من أشعاره ماتزهو به القَراطِيس على صفحات الخدودِ المُحشَّاة (١) بالسَّوالف ، ويُغْنِى عن لَذَّةِ السُّلافِ السَّلْسَل (٢) تذهَبتْ به اللَّيالى السَّوالِف .

فمن ذلك قولُه (٣) من قصيدة ، مطلعها (٣) :

يَعُدُّ علىَّ أنفاسِى ذُنوباً إذا ماقاتُ أَفدِيهِ حبيبا
وأبعدُ ما يكون الوُدُّ منه إذا مابِتُّ مِن أملى قريبا
حبيبٌ كلَّما يلقاهُ صَبٌّ يصيرُ عليه مَن يهوَى رقيبا
سَقاهُ الحسنُ ماءَ الدَّلِّ حتى مِن الكافورِ أَنبتَه قضيبا (٤)
يَعافُ منازِلَ العُشَّاقِ كِبْراً ولو فُرِشَتْ مسالِكُها قلوبا
فلو حَمَلَ النَّسيمُ إليه مِنِّى سَلاماً راح يَمْنعُه الهبوبا (٥)
أغارُ على الجَفا منه لغيرى فليت جَفاهُ لى أضحى نصيبا (٦)
وأعشقُ أعينَ الرُّقباءِ فيه ولو مُلِئتْ عيونُهم عُيوبا
لقد أخذ الهوى بزِمامِ قلبى وصَيَّرَ دمعَ أجفانى صَبيبا
وما أمَّلتُ فى أهلى نصيراً فكيف الآنَ أطلبُه غريبا

(١) فى ج : « الموشحات » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « المسلسل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . والقصيدة فى ديوان منجك ١٠ ، ١١ .
(٤) هذا البيت ساقط من الديوان . وفى ب : « تحسبه قضيبا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وانظر الديوان ١٢٦ ، ١٣١ . (٥) فى الديوان : « تمنعه هبوبا » . (٦) فى الديوان : « فليت جفاه أضحى لى نصيبا » .

وأقصِدُ أن يُعيدَ رُوَا شبابى ... زمانٌ غادرَ الوِلْدانَ شِيبَا
وما خفيتْ علىَّ النّاسُ حتى ... أرومُ اليومَ مِن رَخَمٍ حليبا (١)
إذا طَنَّ الشبابُ خشيتُ منه ... لفقدِ مُساعدِى يلْقَى مُجيبا (٢)
وهَبْ أنّى حكَيْتُ الشّاةَ ضَعْفًا ... فمالى أحسَبُ السِّنَّوْرَ ذِيبا

منها فى المديح :

لئِنْ سعِدتْ ولو فى النّوم عيْنِى ... برُؤْياهُ لتالكَ العيْنِ طُوبَى
وإن ضَنَّ السحابُ فلا أبالِى ... وفيْضُ نَداهُ قد أضْحَى سَكُوبا
إذا تُليَتْ مآثرُه بأرْضٍ ... غدَا الفلكُ المُدارُ بها طَرُوبا (٣)

* * *

وقوله (٤) :

نَوْرُوزُ لا كنتَ قلبِى فيكَ مكْرُوبُ ... الشمسُ طالعةٌ والبدرُ محْجوبُ
أرى الحِسانَ ومالى بينهم حسَنٌ ... ما كلُّ مَن نظرَتْه العَيْنُ محْبوبُ (٥)
صِفْرُ الفؤادِ من الأفراحِ مُمتلِئٌ ... بالحُزْنِ قلبِى وفيْضُ الدّمعِ مسْكوبُ (٦)
أبْغِى القيامَ وسوءُ الحظِّ يُقْعِدُنِى ... مَن عاندَ القدرَ المحْتومَ مغْلوبُ (٧)

* * *

وقوله (٨) :

حبيبٌ حَمَاهُ المُلْكُ تحت قِبابِه ... يكادُ يذيبُ الرُّوحَ فَرْطُ احتجابِه

---

(١) فى ب : « من رخم حبيبا » ، وفى ج : « من رحم حليبا » ، والمثبت فى : ا ، والديوان . والرخم ، بفتحتين : اللبن الغليظ . وبضمتين : كتل اللبأ . القاموس (ر خ م) . (٢) فى الديوان : « إذا طن الذباب » ، ولعلها الرواية الصحيحة . وبعد هذا البيت فى ب زيادة : « منها » ، والأبيات متصلة فى سائر الأصول ، والديوان . (٣) بين هذا البيت والذى قبله ثلاثة أبيات فى الديوان .
(٤) ديوان منجك ١٠٣ ، ١٠٤ . (٥) فى الديوان : « ما كل ما نظرته العين محبوب » .
(٦) فى الديوان : « بالحزن صدرى » . (٧) فى الديوان « من غالب القدر » . (٨) ديوان منجك ٩٦ .

تُدِيرُ على سمعي الأمانِي حـــديثَه   فتُسْكِرُ أفكارِي بِذكْرِ رُضابِهِ
يُعِيدُ تُرابَ الأرضِ مِسْكاً وعَنْبراً   إذا قَبَّلَتْ للشُّكرِ فضْـــلَ ثيابِهِ
يُكلِّمُني باللَّحْظِ عن أخْـذِ مُهجتِي   فيَسْبِقُ تسليمي بِرَدِّ جوابِهِ

* * *

وقوله[1]:

ماشَرَّفَ الرَّوْضَ في نَزاهتِـــهِ   إلا وسِـــتْرُ الغَمامِ يَنْسحِبُ[2]
كأنَّه البــــدرُ عنــــد رُؤيتِه   لاشكَّ شمسُ النَّهـــارِ تحتجِبُ

* * *

وقوله[3]:

تَحَجَّبَ عنِّي الطيفُ حــتى كأنَّه   تخيَّلَ إنْساني عليــه رقيبــــا
وقد كان يَغْشَى قبلَ ما احْتَبَكَ الهوى   فظَنَّ خيـــالِي للنُّحولِ غريبا[4]

* * *

وقوله[5]:

عِـــدْ وماطِلْ فقد رضيتُ به   منكَ وإن كان بالجفا آيِبْ[6]
صِــدْقُ وُعُودِ الحِسانِ أجمعِها   فِدَى لِذاتِ وعْدِكَ الكاذِبْ[7]

* * *

وقوله[8]:

ألا لاتَبْكِ حــــادثةَ افْتِراقٍ   ولا تفرَحْ بلَـــذّاتِ الإيابِ

---

(١) ديوان منجك ١٢٦ . (٢) في ا : « وسر الغمام » ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان .
(٣) ديوان منجك ١٢٧ . (٤) في الديوان : « يغشى من قبل » ، وهو خطأ ، وفيه : « وظن خيالي » ، وفي الأصول : « قبل ماحبك الهوى » ، والمثبت في الديوان . (٥) ديوان منجك ١٤٠ .
(٦) سقطت : « به » من الديوان . (٧) في ب : « وعد الحسان » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .
(٨) ديوان منجك ١٣٢ .

فما الدُّنيا وما ضمّته إلّا كخطٍّ منجّمٍ فوق التراب

* * *

وقوله[1] :

الموتُ أطيبُ ما يُجتنَى إن شطّتِ الدارُ وطالَ الحجابُ[2]

لا يدخلُ النارَ أسيرُ الهوَى إذ لا يرَى الجنّةَ أهلُ العذابُ

معنى هذا البيت مُضطرب ، وقد سُئلت عنه فأجبتُ : بأنه معرّب من بيت بالتركية لفضولي ، ومعناه : أن نار العشق التى يُعذّب بها العاشق فى الدنيا هى نارُ الآخرة عندها جنّةٌ ، فإذا دخلها العاشقُ ، والمفروض أنه من أهلِ العذاب ، يعنى فى العِشق ، لا يدخل النارَ الأُخْرَوِيّةَ ؛ لأنها بالنسبة إليها جنة . انتهى .

وقوله[3] :

مهلًا فحُبّكَ بى أراهُ عابثا وأظنُّه للرُّوحِ منّى وارثا

مَن ذا الذى ألوَى بعهدكَ فى الهوَى حتى انثنَيْتَ عن المودّةِ ناكثا

جرّبْتُ فيكَ الحادثاتِ فلم أجِدْ مثلَ الرقيبِ إذا خلَوْنا حادِثا

يا مُشبِهَ الآرامِ إلّا أنّها خُلِقَتْ لنا عيناهُ سحراً نافثا[4]

قد راح بالقمرَيْنِ طَرْفِى هازئًا لمّا رأى فى بُرْدتَيْكَ الثّالثا

* * *

أقول : ما تصوّرتُ أن الثناء تهُون هذا الهوان[5] ، ولا تذْعِن هذا الإذعان ، ولا تنقادُ للكَلِم إلا أن يكون[6] كلمة المعان[7] .

---

(١) ديوان منجك ١٣٢ . (٢) فى الديوان : « الموت لى أطيب ما يجتنى » .

(٣) ديوان منجك ٩١ . (٤) فى الديوان : « إلا أنه » . (٥) فى ب : « الهون » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٧) فى ب : « أطعان » ، والمثبت فى : ا ، ج . ولعل الصواب : « كلمة المعان » .

فهـذا السحرُ البيـانِىَ إن لم يكن السِّحْرَ المُبين ، وهـذا المُعجِز الباهر ، وأنا أوّل المؤمنين .

* * *

وله من قصيدة ، مستهلها(١) :

كَبِدٌ مِن سِنانِ لَحْظِكَ جرحَى وعيونٌ تُرَدِّدُ الدَّمْعَ سَحّا(٢)

وحنينٌ إلى الديار ووَجــدٌ يستفِزُّ النُّهَى وشوقٌ أَلَحّـا(٣)

يا ابْنَ وُدِّى تفدِيكَ من كلِّ سُوء مُهَجٌ فيك ليس تقْبَلُ نُصْحا

قُمْ بنـا نشرب المُدامــةَ بكراً حيث رقَّ الهوى ونسكنُ صَرْحا(٤)

فى رياضٍ كأنّما هى خَــدَّا كَ بهاء وطِيبُ صُدْغِكَ نَفْحا(٥)

مُطْلِعاً من ضِيـاء وجْهِك والفَرْ ع ظلاماً يَغْشَى العيُونَ وصُبْحا

سـكرَ الـكأْسُ إذْ سكِرْتُ بعينَيْـ ـكَ فـكان المُدامُ مِنِّىَ أصْحى(٦)

* * *

هذا بيتٌ تقلقَل مَبْناه ، فلهـذا لم يُفْهم مَعْناه ، وسكر الـكأْسُ بظُهور لازِم السُّكر وهو المَيْل عليــه ، وإن صحّ أن المُـدامَ بمَعنى المُدِيم ، فهو المعنى الذى يُرجَع إليه .

* * *

وله(٧) :

زمنُ الرَّبيعِ مطِيّةُ الأفْراحِ ومُعدِّلُ الأرْواحِ فى الأشْباحِ

---

(١) ديوان منجك ٣٩ ، من قصيدة يمدح بها محمد السكرمى . (٢) فى ب : « تردد الدمع سنحا » ، وفى ج ، والديوان : « تردد الدمع سفحا » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ب : « وحنين إلى الديار وشوق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٤) فى الديوان : « حيث طاب الهوى » .

(٥) فى الديوان : « وطيب صدغيك نفحا » . (٦) فى ب : « مذ سكرت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٧) ديوان منجك ١٤٧

زمنٌ بهِ لولا اشتِباكُ فَواقِعٍ ... طارَتْ نُحَيّانا مِن الأقْداحِ

* * *

أخذه من قول ابن المُعتزّ[١] :

كادتْ تطيرُ وقد طِرْنا بها فَرَحاً ... لولا الشِّباكُ التي صِيغَتْ من الحَبَبِ

ولأبي الحسن علي بن الحسن الأندلسيّ :

والماءُ يحذَرُ منها أن تطيرَ فقدْ ... صَاغَ الحَبابُ عليها صِيغةَ الشَّبَكِ

* * *

وله[٢] :

حَمائمَ الدَّوْحِ ماهذي التَّغاريدُ ... عن باعثٍ هي أم لي منكِ تقليدُ[٣]
نَوْحِي ونَوْحُكِ جنحَ الليلِ مُتّفِقٌ ... والمُشْغِلانِ لنا وَرْدٌ وتَوْريدُ[٤]
إن كان يغنيكِ أصواتُ الصَّفيرِ فلي ... قلبٌ يُملّهُ في الحبِّ تفْنيدُ[٥]
تَعجّبتْ نارُ قلبي من تجلُّدهِ ... ومن جُفوني شكا دَمْعٌ وتَسْهيدُ
والحُزْنُ باقٍ على ما كنتُ أعهدهُ ... وإن تَكرَّرَ عيدٌ بعدَهُ عيدُ
جريحُ بيضِ الظُّبا تُرْجَى سلامتهُ ... إلّا الذي جرَحَتْهُ الأعيُنُ السُّودُ
لِي بالظعائنِ نَهّابُ العقولِ رَشاً ... قَوامُهُ بانةٌ والقلبُ جُلْمُودُ[٦]
لو مرّتِ الريحُ تَرْوي عن ذُؤابتِهِ ... لم يَبْقَ من عهدِ عادٍ ثَمّ ملحودُ[٧]
لكنّما منعتْها من مواطنِهِ ... مَهابةٌ تتحاماها الصَّناديدُ
مِن البَشانِقةِ الغُرِّ الذين لهمْ ... لِواءُ حُسْنٍ على الأقمارِ معْقودُ
نحن المُسِيئونَ إن جارُوا وإن عدَلُوا ... وما يرَونَ حميداً فهوَ محمُودُ[٨]

---

(١) ليس في ديوان ابن المعتز . (٢) ديوان منجك ١٠٢ . (٣) في الديوان : « حمائم الروض » . (٤) في الديوان : « والمشغلات لنا » . (٥) في الديوان : « إن كان يقنعك صوت الصفير » . (٦) في ب : « نهاب القلوب » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان . (٧) في الديوان : « عن ذوائبه » . (٨) في الأصول : « وما يروه حميدا » ، والمثبت في الديوان .

وَالذُّلُّ أَشرَفُ عِزٍّ فِي مَحَبَّتِهِمْ ... وَشَرْيُ هَجْرِهِمُ أَرْيٌ وَقِنْدِيدُ[١]
لا تَصْحَبَنَّ غَيرَ حُرٍّ إِن ظَفِرْتَ بِهِ ... وَما سِواهُ إِذا جَرَّبْتَ تَنْكِيدُ

* * *

ومن بدائعه قوله[٢] :

وَمُذْ كَشَفَ الفَصَّادُ عَن زَنْدِهِ رَأَى ... مَحاسِنَ أَلْهَتْهُ فَضَلَّ عَنِ الرُّشْدِ
فَقَطَّبَ مَن أَهْوَى وَأَبْصَرَ مُغْضَبًا ... وَأَوْقَعَ ظِلَّ الجَفْنِ مِنهُ عَلَى الزَّنْدِ[٣]
وَأَطْلَعَ نَوْرَ الأُرْجُوانِ وَحَبَّذا ... مِنَ الياسَمِينِ الأُرْجُوانُ عَلَى الوَرْدِ

* * *

وهـذا معنى تَرْجَمه من الفارسيَّة ، وقد ظَفِرتُ في العربية بما يقاربه ، وقائله أبو الحسن الجُرْجانيّ[٤] :

يا لَيْتَ عَيْنِي تَحَمَّلَتْ أَلَمَكْ ... وَلَيْتَ نَفْسِي تَقَسَّمَتْ سَقَمَكْ[٥]
وَلَيْتَ كَفَّ الطَّبِيبِ إِذْ فَصَدَتْ ... عِرْقَكَ أَجْرَتْ مِن ناظِرَيَّ دَمَكْ
أَعَرْتَهُ صِبْغَ وَجْنَتَيْكَ كَما ... تُعِيرُهُ إِن لَثَمْتَ مِن لَثَمَكْ
طَرْفُكَ أَمْضَى مِن حَدِّ مِبْضَعِهِ ... فَالْحَظْ بِهِ العِرْقَ وَارْتَجِنِ الْمَلَكْ

* * *

وللأمير[٦] :

شَمسُ الضُّحَى وَأَهِلَّةُ الأَعْيادِ ... لِضِياءِ وَجْهِكَ أَحْسَدُ الحُسّادِ

---

(١) الأرى : النحل ، والقنديد : عسل قصب السكر إذا جمد .   (٢) ديوان منجك ٩٧ .
(٣) في ا : « وأبصر منضيا » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٤) يعني القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسن ، من شعراء اليتيمة ، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة .
معجم الأدباء ١٤/١٤ ، وفيات الأعيان ٢/٤٤٠ ، يتيمة الدهر ٤/٣ .
والأبيات في يتيمة الدهر ٤/١٠ .
(٥) في الأصول : « تقسمت قسمك » ، والمثبت في اليتيمة .   (٦) ديوان منجك ١٠٣ .

وإذا شدا بك مُطرِبٌ في مجلسٍ   رقصَتْ لك الأرواحُ في الأجسادِ
جرَّدْتَ من سحرِ الجفونِ صوارِماً   فأبَتْ سِوَى الأكبادِ مِنْ أغمادِ (١)
مَسَحَ المُنى من زَوْرِ طَيفِكَ راحةٌ   من بعدِ ماغسل البكاءُ رُقادِي (٢)
ما كنتُ أفتقدُ الشَّبابَ لوَ انَّني   عُوِّضْتُ عنــك بنشأةِ الميعادِ

* * *

وله (٣) :

لا تُهْمِلِ الكأسَ حين يَمْلأُهَا   مَن هو في الحُسْنِ واحِدٌ فَرْدُ (٤)
طِينَتُه عنــبرٌ وخامَرَها الْـ   ـمِسْكُ والياسمينُ والوَرْدُ (٥)

* * *

وله (٦) :

تَخِذَ الجَوْرَ والجِنايةَ عادهْ   وانْتِهابَ النُّفوسِ قَبْلَ الوِلادهْ
لا تُضِعْ سهْمَ مُقْلتيْه فؤادِي   ضِمْنَ تلك السِّهامِ ألفُ شهادهْ (٧)

* * *

وله (٨) :

قد زارَنِي وكأنَّهُ رَيْحانةٌ   يهتَزُّ من تحت القَباءِ الأخْضرِ
فَظَنَنْتُ منه ضِمْنَ كلِّ سلامةٍ   من طِيبِه شَمَّامَةً من عَنْبَرِ
ولِكنْزِ مَبْسِمِهِ دَنَوْتُ تَخالُهُ   يا قُوتةً مُلِئَتْ بأنْفَسِ جَوْهرِ

---

(١) في الديوان : « من سحر العيون » . (٢) في ا : «من بعد ما غلَّ البكاء رقادي» ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان . (٣) ديوان منجك ١٢٧ . (٤) في الديوان : «حين يحملها» .
(٥) في الديوان : « طينتها عنبر » . (٦) ديوان منجك ١٢٩ . (٧) في ج ، والديوان : « مقلتيه فؤادي » ، والمثبت في : ا ، ب . (٨) ديوان منجك ٧١ .

فهصرته هصر النسيم أراكة متلطفا حتى كأن لم يشعر
متعانقين على فراش صيانة متحذرين من الصباح المسفر

***

وله (١) :

لم تمل بي عن العفاف العقار أعشق الغيد والوقار الوقار (٢)
أنظم الشعر ما حييت وإني لابن بيت تهدى له الأشعار
يتحلى بي الزمان تحلي الـ غصن لما يزينه النوار
صقلتني يد التجارب حتى صح عزمي وطاب منه الغرار
ومكاني من الفخار مكان حسدته الشموس والأقمار

***

وقوله (٣) :

إن لليل بقايا عنبر في قميص الصبح منها أثر (٤)
بادرت أيدي الصبا تلبسه فبدا عند الرياض الخبر (٥)

***

انظره مع قول البهاء زهير (٦) :

رعى الله ليلة وصل مضت وما خالط الصفو فيها الكدر (٧)
خلونا وما بيننا ثالث فأصبح عند النسيم الخبر

***

---

(١) ديوان منجك ٩٤ . (٢) في ب ، ج : « أعشق البيض » ، والمثبت في : ا ، والديوان ، وفي الديوان : « والوقار وقار » . (٣) ديوان منجك ١٢٦ . (٤) في الديوان : « منه أثر » . (٥) في ب : « بادرت أيدي الصبا مبسمه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي الديوان : « بادرت أيدي الصبا تلبسه » . (٦) ديوان البهاء زهير ٩٤ . (٧) في ب : « ليلة وصل بدت » ، وفي ج ، والديوان : « خلت » ، والمثبت في : ا ، وفي ب : « وما خالط الوصل » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .

وله(١) :

ألا هاتِ اسْقِنِى كاساً فكاساً … وحَىَّ بِها ثلاثاً بل سُداساً(٢)

فإنّى فى احْتِساها لا أُعاصِى … رشاً تَخِذَ الحشا منّى كِناساً(٣)

حبيبٌ كلما ألقاهُ يُغْنِى … فلو أهديته آساً لآسَى(٤)

يُرِيكَ إذا بدا قمراً مُنيراً … وعطْفاً إن ثَنَى عِطْفاً وماساً(٥)

ويَبْسِمُ ثغرُهُ عن أُقْحُوانٍ … ويُجْلَو خَدُّه وَرْداً وآساً

خلعْتُ عِذارَ نُسْكِى فى هواهُ … وما راقبْتُ فى حُبّيه ناساً

فأحْلَى الحبِّ ما كان افْتِضاحاً … وأشهَى الوصلِ ما كان اخْتلاساً

* * *

وله(٦) :

يابَنِى العشْقِ ليس نُحْسَبُ أحياءً … أو بِمَوْتَى نُعَدُّ تحت الأراضِى

تارةً نألفُ الحياةَ وطوراً … نتمنّى بذكرِ طيبِ الرِّياضِ(٧)

نحنُ مابيْنَ صِحّةٍ وسَقامٍ … كجفونِ الدُّمى الصِّحاحِ المِراضِ

* * *

وله(٨) :

وَمُهفْهفٍ لولا عَقاربُ صُدْغِهِ … لَتناهَبَتْ وَجَناتِه الألْحاظُ

طارحْتُه ذِكرَ الهوَى وعواذِلى … لاراقِدون ولاهُمُ أيْقاظُ

---

(١) ديوان منجك ٨٢ ، وخلاصة الأثر ٤/٤١٥ . (٢) فى ب : « كاسا وكاسا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ب : « فإنى باحتساها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر . (٤) فى خلاصة الأثر : « فلو أعطيته آسا لآسى » . (٥) فى الديوان ، وخلاصة الأثر : « وغصنا إن ثنى عطفا وماسا » . (٦) ديوان منجك ١٢٢ . (٧) فى الديوان : « تارة نألف الفلاة » ، وذلك أليط بالمعنى . (٨) ديوان منجك ٩٦ .

نبْدِي الحديثَ ولا حديثَ كأنَّما عَبَرَاتُنا ما بيْننا ألفاظُ (١)

* * *

وله (٢) :

وزارني طيفُه وهْنًا فأرَّقني كبارقٍ بخلالِ الوَدْقِ قد لَمَعا

فما وحقِّك عن وُدٍّ زيارتُه لكن ليزْجُرَ طرْفِي والرُّقادَ معا

* * *

وله (٣) :

رَيْحانتيَّ روضِ المحاسنِ ما الذي بلّغتُماه من العذولِ اللاَّغي

حتى توارَتْ وردتا خدَّيْكما عن ناظري بِبَنفْسجِ الأصْداغِ (٤)

* * *

وله ، وهو معنًى أبدع فيه كلَّ الإبْداع ، وأتى به كالبدرِ خرج من تحت الشُّعاع (٥) :

نبَّهْتُه ودواعِي الأُنْسِ داعيةٌ إلى الطِّلا وبَشِيرُ الصُّبحِ قد هَتَفا

فقام مِن نَوْمِه وَسْنانَ تَحْسَبُه بدراً تقطَّع عنه الغيْمُ فانْكشفا

وقال هاتِ وخُذْها وانْتهِزْ فُرَصاً فما ترى لزمانٍ يَنْقضِي خَلَفا (٦)

* * *

(١) فى ب ، ج : « عبراتنا ما بيننا الألفاظ » ، والمثبت فى : ا ، والديوان. (٢) ديوان منجك ٩٨ .
وقبل هذا البيت قوله :

لم أنْسَ ليلةَ إذ مرَّ الكرى غَلَطاً بناظرَيَّ ولم أعهدْهما هَجَعا

(٣) ديوان منجك ١٢٩ . (٤) رواية البيت فى الديوان :

حتى توارتْ من لِحاظِي وردتا خدَّيكما ببنفسجِ الأصْداغِ

(٥) ديوان منجك ٨٣ . (٦) فى الديوان : « فلن ترى » .

وله (١) :

يا غزالاً يُقِلُّ مِسْكاً فتيقاً في فمٍ يُخجِلُ المُدامَ الرحيقا
قد سقاكَ الجمالُ ماءَ نعيمٍ مُنْبِتٍ منكَ في الخدودِ شقيقا (٢)
لا تذرْني تفديكَ روحي وحيداً أشتكي غربةً تسيء الصديقا (٣)
أنا أسعى وفي سلاسلِ صُدْغَيْـ ـكَ فؤادي فارحمْ أسيراً طليقا
جرحتْ مُقلتاكَ قلبي لهذا دُرُّ دمعي قد استحال عقيقا (٤)
لو ذكرْنا لماكَ عند حضورِ الرّا حِ باتتْ فلم تجدْ مُستفيقا
بكَ أرواحُنا تُسَرُّ وترتا حُ فتختارُكَ الرفيقَ الرفيقا
الصبوحَ الصبوحَ قبلَ مشيبِ الـ حظِّ منّا أو الغبوقَ الغبوقا
نجتني زهرةَ الشبابِ ونلهو حيث نلقى الأشواقَ روضاً أنيقا
بين وعدِ آمالِنا ووعيدٍ منكَ نستنطقُ الكذوبَ الصدوقا

* * *

وله (٥) :

أفديه مِن قمرٍ أطوارُه شغلتْ قلبي وعقلي بتغريبٍ وتشريقِ (٦)
مَن السّليمُ وقد أحنى حواجبَه وطرْفُه بين تشديدٍ وتفويقِ

* * *

وله (٧) :

تلوحُ لنا بالروم من كلِّ جانبٍ وجوهٌ تُعيدُ الصبحَ والليلُ حالكُ

---

(١) ديوان منجك ١٠٣ . (٢) في الديوان : «منبت في الخدود منك شقيقا» . (٣) في الديوان « لا تذرني فدتك روحي فريدا » . (٤) في الديوان : « جرحت مقلتاك عقلي لهذا » .
(٥) ديوان منجك ١٢٩ . (٦) في الديوان : « أطواقه شغلت » . (٧) ديوان منجك ١٤٦ .

أنَظْمأُ فى دارٍ تفيضُ بحورُها ... وتَشْرَقُ فيها بالجمالِ المسالكُ (١)

* * *

ولَه (٢) :

لا تغتررْ بشبابِكَ الغضِّ الذى ... أيّامُــه قمرٌ يلوحُ ويأفلُ (٣)

ودَعِ اتّباعَ النّفسِ عنك فإنّمــا ... حُبُّ الجمالِ الغَيْرِ عنه أجمَــلُ (٤)

نِعَمُ العيــونِ الفاتــكاتُ قواتلٌ ... لـكن سهامُ اللهِ منهــا أقتلُ (٥)

* * *

ولَه (٦) :

مُولَّهٌ بكَ لا تُجدِى وسائلُه ... ولا من الدّمــعِ جاريهِ وسائلُه

عزيزُ صــبرٍ أذلَّ الحبُّ مُهجتَه ... وعنّفتْهُ على الشكوى قبائلُه (٧)

عامٌ نأى عنك فيــه مُكْرَهًا فعلى ... أشجــارِه أبدًا تبكى أصائلُه

والـكأسُ مُذ بِنْتَ عنها تشتكى ظمأً ... والرّوضُ من حَزَنٍ جفّتْ خمائلُه (٨)

كَلَّفْتَ حَمْــلَ نَوالِكَ اليومَ مُرتقِبًا فى ... أرقَّ من نسمةِ الوادى أصائلُه (٩)

* * *

ولَه (١٠) :

قد زارَ مَن كنتُ قبلَ زَوْرتِهِ ... أراهُ لـكن بمُقْلةِ الأمــلِ (١١)

(١) فى ا : « بالجمال المسالك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان ، وفى الديوان : «أأظمأ فى در» .
(٢) ديوان منجك ١٠٠ ، وخلاصة الأثر ٤١٨/٤ . (٣) فى ج : «لاتغترر بجمالك الغض الذى» ، والمثبت فى : ا ، ب ، والديوان ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : « قمر يغيب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر . (٤) فى ب : « عنك وإنما » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر . (٥) فى خلاصة الأثر : «نعم العيون الفاتنات» . (٦) ديوان منجك ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٧) فى الديوان : «وعنفته على الشكوى عواذله» . (٨) فى الديوان : «والـكأس مذبان عنها» .
(٩) فى ب : «كلفت على جفاك» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان. (١٠) ديوان منجك ١٢٥ .
(١١) فى ا : « بغية الأمل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

بِتْنَا ضَجِيعَيْنِ والعنـــاقُ له   ثوبٌ علينـــا قَدْ زُرَّ بالقُبَلِ

* * *

ومن رُباعيَّاته قوله[1] :

ما مَرَّ تذكُّرُ الكرى فى بالِى   إلَّا دَفَعتْهُ راحــةُ البَلْبـالِ[2]

أشْفَقْتُ من الجفونِ لَمَّا يُؤْذِى   أقدامَ خيالِكَ العزيزِ الغالِى[3]

* * *

مثله للبابِىّ[4] ° وفيه زيادة ° :

أَرُدُّ الكرى إذْ زارَ خِيفةَ نظرةٍ   إليه فتُدْمِى رِقَّةَ خدِّه القانِى

وأسهرُ خوفًا أن يَمُرَّ خيالُه   بعَيْنِى فتؤذى أَخْمَصاهُ بأجفانِى

وأصله قول الوَقَّشِىّ[6] :

إذا طَنَّ وكْرًا مُقْلتى طائرُ الكرى   رأى هُدْبَها فارْتاعَ خوفَ الحبائلِ

ويُقاربه قولُ الصَّلاحِ[7] الصَّفَدِىّ :

أيا وحْشَتا فى لَيْلِ شَوْقِى لفقدِكم   ويا فرحتا لو كانَ فى النومِ يَطْرُقُ[8]

---

(١) ديوان منجك ١٣٨ .   (٢) البلبال : شدة الهم .   (٣) فى الديوان : « أشفقت من الجفون لمــا يؤذى » ، وفى ب : « خيالك الشريف العالى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

(٤) يعنى مصطفى بن عبد الملك ، وقيــل عثمان البابى الحلبى ، الأديب ، وسيترجمه المؤلف فى قسم حلب برقم ١١٠ .   (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٦) فى ب : « الرقشى » ، والصواب فى : ا ، ج ، ولعله يعنى هشام بن أحمد بن هشام الكنانى الأندلسى ، أبا الوليد ، المتوفى سنة تسع وثمانين وأربعمائة . بغية الوعاة ٢ / ٣٢٧ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ٢٢٣ ، معجم الأدباء ١٩ / ٢٨٦ .

أو أحمد بن عبد الرحمن الوقشى ، أبا جعفر ، وزير أديب ، كانت وفاته سنة أربع وسبعين وخمسمائة . الحلة السيراء ٢ / ٢٥٧ – ٢٦٧ .

ووقش التى ينسبان إليهــا ، قرية من قرى طليطلة ، انظر تعريف الدكتور حسين مؤنس بها ، فى هامش الحلة السيراء ٢ / ٢٥٨ .

(٧) فى ب : « الصلاح » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٨) فى ب : « أيا وحشتى . . . . ويا فرحتى لو كان بالنوم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهيهـاتَ لو زارَ الخيـالُ منَعْتُه مخافةَ أن تجْرِى دموعِى فيغرَقْ

* * *

وللأمير منجك[١] :

انْظُر إلى فَحْمٍ كأنَّ لهيبَـه لَمْعُ الأسِنَّةِ فى مُثارِ القَسْطَلِ[٢]
وكأنَّه والنَّارُ فى أحْشـــائِه صَدْرُ الحسُودِ ونِعمةُ المُتفضِّلِ[٣]

* * *

هذا التَّشبيه تناولَه من قول عبد الجليل المُرْسِىّ[٤] فى وصف فُرْنٍ[٥] :

رُبَّ فُرْنٍ رأيتُه يتلظَّى وربيعٌ مُخالِطى وعقيدِى[٦]
قال صِفْهُ فقلتُ صَـدْرُ حَسُودٍ خالطَتْه مكارِمُ المَحْسُودِ[٧]

ولابن[٨] مجير الأندلسىّ ، وقد حضر مع عَدُوٍّ له ، جاحدٍ لما فعله معه من الخير ، وأمامهما زجاجةٌ سوْداء فيها خمر ، فقال له المحسود المذكور[٩] : إن كنت شاعراً فقُل فى هذه .

فقال[١٠] ارتجالا :

سأشْـكُو إلى النُّدمانِ أمْرَ زُجاجةٍ تردَّتْ بثوْبٍ حالِكِ اللَّوْنِ أسْحَمِ[١١]

---

(١) ديوان منجك ١٣٣ . (٢) فى الأصول : « فى مثال القسطل » ، والمثبت فى الديوان .
(٣) فى ب : « والنار فى وجناته » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .
(٤) عبد الجليل بن وهبون المرسى ، أبو محمد ، كان من جملة شعراء المعتمد بن عباد ، وكان حسن الشعر ، لطيف المأخذ ، حسن التوصل إلى دقيق المعانى .

انظر : قلائد العقيان ٢٤١ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١١٨ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ١٥٩ ، فوات الوفيات ١/٥١٣ .

(٥) البيتان فى قلائد العقيان ٢٤٤ . (٦) فى ب : « وربيعى مخالط وحسد » ، وفى ج : « وربيع مخالطى وعقيدى » ، والمثبت فى : ا ، وقلائد العقيان . (٧) فى ب : « صدر حسودى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وقلائد العقيان ، وفيه : « قال شبه فقلت » . (٨) فى ج : « وللأمير » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٩) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (١٠) مكان هذه الكلمة فى ب بعد قوله : « ارتجالا » الآتى . والمثبت فى : ا ، ج . (١١) فى ب : « أمرزجاجتى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

تُصَبُّ بها شمسُ المدامة بيننـــا ... فتَغْرُب في جُنحٍ من الليل مظلمِ [1]

وتَجْحدُ أنوارَ الحُمَيَّا بلونِهـــا ... كقلبِ حَسودٍ جاحـــدٍ يدَ مُنْعِمِ

وقد أحسن القاضي التنوخيّ [2] ، في تشبيه النار ، حيث قال [3] :

فاهْتِفْ بنارٍ إلى فَحْمٍ كأنّهما ... في العينِ ظُلْمٌ وإنصافٌ قد اتَّفقا [4]

***

وللأمير ، وهو من بدائعه [5] :

لو لم يكُنْ راعَها فِكْرٌ تصوَّرَهـــا ... مِن وَالِهٍ وتَمَنَّتْها مُقْلةُ الأملِ [6]

ما قابلَتْ نصـــفَ بدْرٍ بابْن ليلتِه ... وألْقتِ الزُّهْرَ فوق الشمسِ من خَجَلِ

قالت : هذان البينان دُرّان أو وردتان [7] .

***

ومن خَمْرِيَّاته التي تُصيِّر الزَّاهدَ ضَجيعَ دَسْكَرةٍ [8] وحَان ، وتَنُوب عن لَذَّة السَّماعِ ومطربات [9] الألحان [10] :

أَدِرِ المدامـــةَ يا نديمي ... حمراءَ كالخدِّ اللَّطـــيمِ

تَسْرِي بأرْواحِ النُّهَى ... كالبُرْءِ في الجسمِ السَّقيمِ

وأقِمْ إذا جَنَّ الدُّجَى ... مُترديًا ظِلَّ الكُرومِ

---

(١) في ب : « فتغرب في شمس » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) يعني أبا القاسم علي بن محمد ابن داود التنوخي ، من الأدباء ، الشعراء ، القضاة ، ولي قضاء البصرة والأهواز ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

معجم الأدباء ١٤/١٦٢ ، يتيمة الدهر ٢/٣٣٦ .

(٣) يتيمة الدهر ٢/٣٤٠ . (٤) في يتيمة الدهر : «فتهش بنار» . (٥) ديوان منجك ١٣١ .

(٦) في الديوان : «من واله أو رأتها مقلة الأمل» . (٧) في ج : «درتان» ، والمثبت في : ا ، ب .

(٨) في ب : « ذا سكرة » ، والمثبت في : ا ، ج . والدسكرة : بوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي ، القاموس (د س ك ر) . (٩) في ب : « ومطرب » ، والمثبت في : ا ، ج .

(١٠) ديوان منجك ٨١ ، خلاصة الأثر ٤/٤١٤ ، ٤١٥ .

فالجوُّ رائقٌ كأنّما صقلَتْه أنفاسُ النَّسيمِ
وتبدَّدتْ زُهْرُ النُّجو مِ تبدُّدَ العِقْدِ النَّظيمِ
قُمْ هاتِها واسْتَجْلِها مِنْ كفِّ ذي شَجْوٍ رَخيمِ
بدرٍ يُريكَ محاسِناً يَسْبي بها عَقْلَ الحَليمِ [1]
إنْ ماسَ يُزْرِي بالقَنا وإذا رَنا فبِكُلِّ رِيمِ [2]
في رَوْضةٍ نَسَجتْ بها أيْدِي الصَّبا حِبَرَ الجَميمِ

الجَميم : مجتمع من[3] البُهْمَى ، أي النَّبْت[4] .

ضحِكتْ بها الأزهارُ لمّا أنْ بكَى جَفْنُ الغُيومِ
كم ليلةٍ قضَّيْتُها في ظِلِّها الصافي الأديمِ [5]
متذكِّراً عهدَ الدُّمَى متناسِياً ذِكْرَ الرُّسومِ
نَشْوانَ من خمرِ الصِّبا جَذْلانَ بالأُنْسِ المُقيمِ
حيثُ الشَّبيبةُ غَضَّةٌ والوقتُ مُقْتَبَلُ النَّعيمِ

قلت : وقد اشْتَهر له في المُدامة[6] والنَّديم ، ما يُسْلِي عن لُطْفِ الحديث وصَفْوِ القديم .

مع أنه ما عاقَرَ عُقاراً ، ولا وهَب لمجلسِ راحٍ وَقاراً .

هذا ما سمعتُه مِن فِيه ، ولم يُنْقَل عنه ، فيما أعلم ، شيءٌ يُنافيه .

* * *

(١) في الديوان : « عقل الحكيم » . (٢) في الديوان : « يزري بالقنا » . (٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٤) في اللسان (ج م م) ١٢ / ١٠٧ : « والجميم : النبت الذي طال بعض الطول ولم يتم .... الجميم : نبت يطول حتى يصير مثل جمة الشعر » . (٥) في خلاصة الأثر : « الصافي الأديم » . (٦) في ب : « بالمدامة » ، والمثبت في : ا ، ج .

ومما يُستجادُ له قوله(١) :

مَنَعتْكَ رُؤيةُ كاشِـــحٍ ... مِن أن تَمُرَّ مُسلِّمَا(٢)

إن تَخشَ مِن نَظَرٍ إلىَّ ... شِيمِ الهـــلالَ تكرُّمَا

فلعَلَّ لَحظِي يلتقِي ... وَهْنًا ولَحظَكَ فى السَّمَا

* * *

أصلُه قول بعضهم :

إلى الطَّائرِ النَّسْرِ انْظُرِى كلَّ ليلةٍ ... فإنِّى إليهِ بالعَشِيَّةِ ناظِرُ(٣)

عسى يلتقِى طَرْفِى وطَرْفُكِ عندَه ... فنَشْكُوا جميعًا ما تُجِنُّ الضمائرُ

ولابن المعتز منه(٤) :

ألستُ أرى النَّجمَ الذى هُو طالِـعٌ ... عليكِ فهـذا للمُحِبِّين نافِـعُ(٥)

عسى يلتقِى فى الأُفْقِ لَحظِى ولَحظُها ... فيَجْتَمِعا إذْ ليس فى الأرضِ جامِعُ(٦)

ولبعض شعراء « الخريدة » :

وأَنْظُرُ البدرَ مُرتاحًا لرؤيتِهِ ... لعلَّ طَرْفَ الذى أهْواهُ ينظُرُهُ

* * *

ومن صنائعه قوله(٧) :

غُرَّةُ المجـــدِ يَراعٌ وحُسامُ ... وثِمارُ الشُّكرِ تجنِيها الكِرامُ

أعْذَبُ الأشيـــاءِ فى مَمنوعِها ... وبإعْراضِ الدُّمى يحْلُو الغَرامُ

مَن يَبِتْ سَهرانَ فى كَسْبِ العُلاَ ... حُرِّمَ الغَمْضُ عليـــه والمَنامُ

---

(١) ديوان منجك ٩٧ . (٢) فى ب ، والديوان : « منعتك رقبة كاشح » ، ولعل ما فى ج : « رقية كاشح » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ب : « انتظر كل ليلة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) ديوان ابن المعتز ١ / ٨٨ . (٥) فى الديوان : « ألست ترى » . (٦) فى الديوان : « لحظى ولحظه * فيجمعنا . . . » . (٧) لم أجد هذه الأبيات فى ديوانه .

قلت : هذه النُّبْذَة لم أرَ لها مِثالا ، كأنما قيَّد كَلِمتها الخطُّ سيَّرها اللفظُ أمثالا :

* * *

وله (١) :

أَغارُ إذا وَصفْتُكَ مِن لِساني ... ومِن قلبي عليكَ ومن بَنانِي (٢)

لئِنْ منعتْك قَوْمي عن حديثي ... فـكم باتتْ تُناجِيكَ الأماني (٣)

وإنْ حَجبُوكَ عن نَظَري فإنِّي ... أراكَ بِعَيْنِ فِكْري من مكاني (٤)

وإن تكُ نارُ صدِّكَ لي تَلظَّى ... فمنكَ أشُمُّ رائحـــةَ الجِنانِ

وإنْ شرَّقْتَ أو غرَّبْتَ عنِّي ... فما لكَ منْزِلٌ إلا جَنـــانِي

سـقَى الأثلاتِ مِن يَبْرِينَ دَمْعِي ... وحَيَّا العَهْـدُ هاتيكَ المَغاني (٥)

معاهدُ كم جَنَيْتُ العَيْشَ غَضًّا ... بها زَمَنًا ولم أُعْهَــد بِجَانِي (٦)

أُروحُ بهـا أجرُّ الذَّيْلَ تِيهـًا ... وأسْقَى الرَّاحَ مِن رَاحِ التَّهاني

ليالٍ كلُّهـــا سَحَرٌ ودَهْرٌ ... فؤادِي منــه يَرْتَعُ في أمانِ (٧)

فَقَـالَعَنِي الزَّمانُ وقالَ كَيْمِلْ ... ولَيَّامُ الصِّبـــا في العُنْفُوانِ

أقبْـلَ الأرْبعينَ أُصيبُ شَيْبـًا ... فما عُذْرُ المشيبِ وقد دَهَـاني (٨)

طوَتْ أيْدِي الحوادثِ بَسْطَ لَهْوِي ... وألْوَتْ من مواطِنِــه عِناني (٩)

* * *

---

(١) ديوان منجك ١٤ .

(٢) في ا ، ب ، ج : « ومن قلبي عليك » ، والمثبت في الديوان .   (٣) في الديوان : « من حديثي » .

(٤) في ب : « عن عيني فإني » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .   (٥) يبرين : اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء ، من بني سعد ، بالبحرين . معجم البلدان ١ / ٨٨ ، ٤ / ١٠٠٥ . والعهد : أول مطر الربيع .   (٦) في ا : « ولم أعهد بجاني » ، وفي ب : « ولم أعهد لجاني » ، وفي ج : « ولم أعهد تجاني » ، والمثبت في الديوان .   (٧) في الديوان : « كلها سحر ودهري » .

(٨) في ا : « أصير شيبا » ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان . وبعـد هذا البيت في ب زيادة : « وله » ، والأبيات متصلة في : ا ، ج ، والديوان .   (٩) في الديوان : « عن مواطنه » .

وله(١) :

نفسٌ تُعلَّلُ بالأماني … لابالقيانِ ولا القناني(٢)
ومدامعٌ مسفوحةٌ … بين المعاهدِ والمغاني(٣)
وأبيتُ مضمومَ اليدَيْ … نِ على الترائبِ والجَنانِ
أشكو الصَّبابةَ للصَّبا … بةِ بالمدامعِ لا اللّسانِ
وأقولُ إذْ هتفَتْ بنا … وَرْقاً شَجاها ماشَجاني(٤)
ياوُرْقُ ماهذا النُّوا … حُ فبعضُ ماعندي كَفاني
غادرْتُ بيْنَ الغوطتيْ … نِ بمنزلي السّامي المكانِ(٥)
أمّا لها كَبِدٌ علَيّ … مُذابةٌ مما دَهاني(٦)
تستخبرُ الرُّكبانَ عَنْ … حالي وتنْدُبُ كلَّ آنِ
فعسى الذي أبلَى يُمـ … ـنُّ ويلْتقي نَاءٍ بِدانِ

* * *

وله(٧) :

قُمْ هاتِها فانتهابُ العَيْشِ مُغتنَمٌ … من كَفِّ مُعتدِلٍ في خيرِ إبّانِ
حيثُ الرياضُ اكتَسَتْ من سُنْدُسٍ حُلَلاً … وتُوِّجتْ بيواقيتٍ وعِقْيانِ(٨)
والمِسْكُ في الفلَكِ المَلْوِيِّ إذ رَتَعتْ … غزالةُ الأفْقِ والكافورُ سِيّانِ(٩)

* * *

(١) ديوان منجك ١٠٩ ، خلاصة الأثر ٤/٤١٦ ، ٤١٧ . (٢) في ا : «لا بالقيان وبالقناني» ، والمثبت في : ب ج ، والديوان . (٣) في ب : « بين المعاهد للأغاني » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان . (٤) في الديوان : «ورق شجاها» . (٥) تقدم التعريف بالغوطتين ، في صفحة ٧٢ . (٦) في الديوان : « مذابه مما نعاني » ، وفي خلاصة الأثر : « أو مالها كبد على » . (٧) ديوان منجك ٨٢ . (٨) في ب : « من نرجس حللا » ، وفي ج : « من سيدي حللا » ، والمثبت في : ا ، والديوان . (٩) رواية صدر البيت في الديوان :

* والمِسْكُ في الحَمَلِ المَلْوِيِّ إذا رتعتْ *

وله[١] :

وحبيبٍ مُكَلَّلٍ بعيونٍ جعلتْ طوقَه الليالي يَمينِي

يَشتكي مِن البَضاضةِ حتّى لو جعَلْنا الفِراشَ مِن ياسَمينِ[٢]

* * *

قوله : « مكلل بعيون » : استعمال لطيف ، أول من استعمله بشار بن بُرْد ، في قوله[٣] :

ومُكَلَّلاتٍ بالعيونِ طَرَقْنَنا ورجَعْنَ مُلْسا[٤]

وقيل في معناه[٥] : إنّهن لحسْنِهن تعلو الأبصارُ إلى وجوهِهن ورؤوسِهن ، كأن لهن[٦] إكليلا من العيون .

* * *

ومن أبياته الفَذّة[٧] قوله[٨] :

صادفْته فتناوَلتْ لَحَظاتُهُ عقْلِي وأعْرضَ نافِراً مُتجنِّبا[٩]

* * *

وقوله[١٠] :

وابْتَسمَ الوردُ فكادَتْ له تُمزّقُ الرّاحُ قميصَ الزُّجاجِ

* * *

وقوله[١١] :

بعضُ الذوات هي النّعيمُ لمُبصرٍ والبعضُ منها في الجفونِ قُروحُ

* * *

---

(١) ديوان منجك ١٢٥ . (٢) في الديوان : « لو جعلت الفراش » . (٣) ديوانه (العلوي) ٢ ١٤٤ .

(٤) في ب : « طرقننا رجعا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي ا ، ب ، ج : « ورجعن لسا » ، والمثبت في الديوان . (٥) انظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، للعكبري ٢/١٩٦ . (٦) في شرح ديوان المتنبي : « بها » . (٧) في ب : « الغرة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٨) ديوان منجك ٣١ .

(٩) في الديوان : « نافرا متحجبا » . (١٠) ديوان منجك ١٢٦ . (١١) ديوان منجك ٢٧ .

وقوله[١] :

إنّ كُتْبِي إليـــه صُحْفُ الأماني   وبها الرُّسْلُ بيننا الأرْواحُ[٢]

＊＊＊

وقوله[٣] :

مُتوَّجُ الرّاح بالإبْريقِ ذُو قُرْطٍ   مثلُ الهلالِ لهُ الجوزاء زُنّارُ

＊＊＊

وقوله[٤] :

طَيْرٌ أعارَ الغُصْنَ جُنْكًا رُكِّبَتْ   أوْتارُه من فِضَّةِ الأمْطــارِ[٥]

＊＊＊

وقوله[٦] :

إذا أمْسَكَ المِرآةَ يَنْظرُ وجهَــهُ   فظاهِرُها بَدْرٌ وباطنُهــا شَمْسُ

＊＊＊

وقوله[٧] :

ومُدامِي ذِكرُ الحبيبِ ونَقْلِي   قُبَلُ الظّنِّ مِن شِفاهِ المُحالِ[٨]

＊＊＊

وقوله[٩] :

ثقيلُ رُوحٍ يزورُ في زمنٍ   لو زارَ فيه الحبيبُ ماقُبِـــلَا

＊＊＊

(١) ديوان منجك ٩٠ ، ريحانة الألبا ١/٢٤٧ .   (٢) فى الديوان : « بيننا أرواح » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وريحانة الألبا .   (٣) خلاصة الأثر ٤/٤١٦ .   (٤) ديوان منجك ٨٠ ، وريحانة الألبا ١/٢٤٤ .   (٥) فى الريحانة : « طير أعاد الغصن » ، والجنك : من آلات الطرب .
(٦) ديوان منجك ١١٨ .   (٧) ديوان منجك ٣٣ .   (٨) فى ب : « قبل الثغر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .   (٩) ديوان منجك ١٥٠ .

وقوله[١] :

الجسمُ يبرأُ بالعـلاجِ سَقامُـــه ‍ ‍ ‍ ‍ وشِفَا النفوسِ صَداقةُ الخلّانِ[٢]

※ ※ ※

وقوله[٣] :

بعضُ الحسانِ تَراهُ عند مالكهِ ‍ ‍ ‍ ‍ كأنه العيد فى أيّامِ كانونِ

※ ※ ※

وقوله[٤] :

أحْبَبْتُ من أجلهِ مَن كان يُشْبِهُه ‍ ‍ ‍ ‍ حتى حكيْتُ بجسمى سُقْمَ جَفْنيهِ[٥]

※



---

(١) ديوان منجك ٢٦ . (٢) فى ب : « الجسم يبرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وفيه : « فالجسم يبرأ » . (٣) ليس فى ديوانه . (٤) ديوان منجك ٩٨ .

(٥) فى ب : « سقم عينيه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

٨

عبد اللطيف المنقاري *

ماجدٌ استوفى شرفَ الأرومة ، واستعلق (١) مزيّة النسبة (٢) المرؤومة .

فما بات إلّا بتكميل النفس وجْده وكَلَفُه ؛ لأنّه أتى الفضلَ وهو لعمْرى لا يتكلّفه .

فهو معروفٌ بأصْله وفصْلِه ، ومشهورٌ له بذلِه وفضْله .

له المقامُ الأحظى ، والمعارفُ التى ملأتْ (٣) سمعًا ولحْظًا .

وهو من (٤) منذُ خلّت عنه تمائمُه ، ونيطتْ عليه عمائمُه .

مخطوب الحظْوة عند الأنام ، حالٌّ من الألتِفات فى الذِّرْوة والسَّنام .

تارةً يفيد (٥) منّى ، وتارةً يستفيد منّى ...

تروى محاسنُ لفظه وكأنّها دُررٌ وآراءٌ كمثْل درارى

ومآثرٌ قد خلّدتْ فكأنّها غررٌ وعزْمٌ مثْلُ حدّ غرارِ

(*) عبد اللطيف بن يحيى بن محمد بن القاسم ، المعروف بمنلى ، ابن المنقار ، الدمشقى ، الحنفى .

هكذا ساق نسبه المحبى ، فى خلاصة الأثر ، وأورد ابن معصوم فى سلافة العصر نسبه هكذا : عبد اللطيف بن شمس الدين محمد المنقارى . وانظر فى هذا ما كتبته فى هامش ريحانة الألبا .

أخذ المنقارى العربية عن الحسن البورينى .

وتفقه بعبد الرحمن العمادى ، وأحمد بن محمد بن قولا قسمر .

وسافر إلى حلب مرات ، وإلى ديار بكر ، وولى تدريس المادرانية ، وكتب لمهاد الأسئلة .

كان مع تمكنه فى الفقه أديبا ، حسن البديهة ، جيد الشعر ، فاضلا نبيلا .

توفى سنة سبع وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣ / ٢٠ ، ريحانة الألبا ١ / ١٣١ ، سلافة العصر ٣٩٤ .

(١) فى ا : « واستعلق » ، وفى ج : « واستغرق » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ج : « غزيرة » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ب : « ملئت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « يستفيد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

إلى أن فُجِــع به[1] المجدُ الأثيل ، وفُقِد من الدُّنيا فقيدُه[2] المثيل .

وله أدبٌ نَقْدُه نَضٌّ[3] ، ومَقْطعه[4] غضٌّ .

أخذَتْ كَلِمهُ بمجامِــع القلوب ، وملَكَ قلمُه[5] الغاية من حسن الأسلوب .

وقــد أثبتُّ له ، ماتستهــديه بُرْداً مُوَشَّى ، وتستجْليــه خَــدًّا بالقــلمِ الرَّيْحانىِّ مُحَشَّى .

فمنه قوله ، من قصيدة ، أولها[6] :

بين حَنــــايا ضلوعِيَ اللَّهَبُ ... ومن جُفونِى انْتَهلتِ السُّحُبُ[7]

وفى فُؤادِى غليــلُ ممتزِجٍ ... يَعــافُ إلا الدِّيارَ نقْترِبُ[8]

يا بأبِى اليــومَ شادِنٌ غَنِجٌ ... يعْبَثُ بالقلب وهْوَ مُلْتهِبُ[9]

يسْنَحُ لــكن بِصفْحَتَيْ رَشأ ... والقدُّ إن ماد دُونَه القُضُبُ[10]

خُفِرٌ وِشاح يَزِينــه هَيَفٌ ... ليس كخَوْدٍ يَزِينها القُلُبُ[11]

إن لاح فى الحىِّ بدْرُ طلعتِــه ... فالشمسُ فى الأُفْق منــه تحْتجبُ

أشْنَبُ لم تحْكِ برْقَ مَبْسِمِه ... بارِقةٌ إلَّا وفاتَكَ الشَّنَبُ

يطْفو على الثغرِ فى مُقبَّــلِهِ ... حَبابُ ظَلْمٍ وحبَّذا الحَبَبُ[12]

كأنَّه لُؤْلُؤٌ تبــدَّدَه ... أيْدِى عَذارَى أفْضَى بها اللَّعِبُ

مامَرَّ فى الحَلْىِ وهْــوَ مُؤْتلِقٌ ... إلا ازْدَهَى الحَلْىَ ثغرُه الشَّنَبُ[13]

---

(١) فى ب : « فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « فقد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) نض المال : صار نقدا بعد أن كان متاعا. والنض : الدرهم والدينار . (٤) فى ب : « ومقتطفه » والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « قلبه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢١ ، ٢٢ . (٧) فى خلاصة الأثر : « بين حنايا » . (٨) فى ب : « غليل ممتزج » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « يعاف أن الديار » . (٩) فى ب : « يعبث فى القلب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى : ج ، وخلاصة الأثر : « وهو يلتهب » ، والمثبت فى : ا ، ب . (١٠) فى ب : « والقلب إن ماس » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(١١) الخود : المرأة الشابة ، والقلب ، بالضم : سوار المرأة . (١٢) الظلم : بريق الأسنان .

(١٣) فى ب : « وهو مؤتلف » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

يعطُو بجيــــدٍ كقُرْطِه قَلِقٍ والقَلْبُ ماجال منه مُضْطَرِبُ[(١)]
وسَاحِاتٍ نَفَثْنَ فى عُقَــدِ الْ أَلْبابِ سِحْراً ودونَه العطَبُ
به اخْتَلَسْنَ الفُؤادَ من كَثَبٍ واقْتادَ جِسْمِى السَّقامُ والوصَبُ[(٢)]
تجرحُ منهُنَّ مُهْجتِى مُقَــلٌ يفْعَلْنَ ماليس تفْعَــلُ القُضُبُ
ظَعَنَّ والقلبُ فى ركائبِهمْ يَخْفِقُ والجسمُ للضَّنَى نَهَبُ[(٣)]
مِن فوقِ خِلْبِي وضعتُ صابحَ يدِى فلم أَجِدْهُ وصَــدَّهُ لَهَبُ[(٤)]
لَمَّــا تيقَّنْتُ أن دَوْحَتَهمْ ليس لهــا ماحَيِيتُ مُنْقَلَبُ
أبْليتُ صَبْراً لم يُبْلِهِ أحــدٌ واقْتسَمَتْنِى مآرِبٌ شُعَبُ
مِنْهُنَّ لى ذاتُ دُمْلُجٍ سلبتْ عقْلِى وعادتْ تقولُ ما السَّبَبُ[(٥)]

* * *

هذا على أسلوب قول مِهْيار[(٦)]:

قتلَتْنِى وانْثَنَتْ تسألُ بِى أَيُّها الناسُ لمن هــذا القتِيلُ[(٧)]

* * *

يصبُــو جُنوناً ويدَّعى سفَهاً أَنْ له دون ذا الورَى طَلَبُ[(٨)]
وليس عنــدى عِلْمٌ بصَبْوتِهِ ولا تعهَّـــدتُ أنَّه وَصِبُ

(١) فى ب ، ج : « والقلب ما زال منه » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، وفى ب ، وخلاصة الأثر : « يضطرب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « به اختلسنا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ب : « ظعنوا والقلب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وصدها لهب » ، والخلب ، بالكسر : حجاب الكبد . (٥) الدملج : حلى يلبس فى المعصم .

(٦) أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمى ، كان مجوسيا فأسلم على يد الشريف الرضى ، وعليه تخرج فى الشعر والأدب ، وهو من شعراء دمية القصر ، توفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

تاريخ بغداد ١٣/٢٧٦ ، دمية القصر ٧٦ ، المنتظم ٨/٩٤ .

والبيت فى ديوان مهيار ٣/١٧٩ ، وخلاصة الأثر ٣/٢٢ .

(٧) فى الديوان : « وانبرت تسأل بى » . (٨) فى ج : « دون هذا الورى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

لو كانَ فيما يقولُه شَغَفًا صِدقٌ عَرَاهُ لِعشقِنا النَّصَبُ
فقلتُ لو شئتَ يا مُنايَ لما سألتَ عنّي وأنتَ لي أربُ
إنّ نُحولي وعَبرتي معًا بعدَ أنيني لَشاهِدٌ عجبُ (١)
أشكوكَ لو كان مُنصِفٌ حكَمٌ يقضي غرامًا وليس يحتسِبُ
لكنّني الآنَ قد رجعتُ ولا يرجعُ مثلي متيّمٌ سابُ
ياقلبُ عُجْ عن حِمَى مكائدِهم واتركْ مقامًا به لكَ التّعَبُ (٢)
كم ذا تقاسي مُصابَ جفونِهم وأنتَ والدهرُ كلُّه حَرَبُ
وكم تُماني تحبُّها ولها عهدٌ كم أن تقاه كُتُبُ (٣)
فخَلِّ دعدًا وذِكْرَ معهدِها وَعُدْ عنها وأنتَ مُجتنِبُ
وغُضَّ طرفًا عن كلِّ غانيةٍ واتركْ غزالَ الصّريمِ ينتحِبُ
إن عنده جازَ أن يُصادَ فتى فالصيدُ عندي بمذهبي يجبُ (٤)
ولا تَسَمَّعْ لِلحنِ شاديةٍ ولو إلى اللحنِ هزّكَ الطربُ
وجِدَّ واتركْ مُنًى خُدِعتَ بها فالهزلُ داءٌ دواؤه الهربُ

* * *

وله من قصيدة أرسلها من ديار بكر (٥) ، يتشوّق بها إلى دمشق ، ويذكر متنزهاتها .

---

(١) في ب : « بعد البين » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفي ج : « لشاهدي عجب » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . وهذا البيت هو آخر ما في خلاصة الأثر .

(٢) في ب : « من حمى مكائدهم » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : « كم ما تعاني » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفيها أيضاً : « لن تقله الكتب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « أن يصادفني » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) ديار بكر : بلاد واسعة كبيرة ، وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة . معجم البلدان ٢/٦٣٦ ، ٦٣٧ .

ومطلعها[1] :

سقى دارَ سُعْدَى مِن دمشقَ غمامُ ... وحَيّى بقاعَ الغُوطتَيْنِ سلامُ[2]
وجادَ هِضابَ الصالحيّةِ صَيِّبٌ ... له في رياضِ النَّيْرَبَيْنِ رُكامُ[3]

منها :

ذكرتُ الحِمَى والدارَ ذِكرَ طريدةٍ ... تُذادُ كظمآنٍ سَلاه أُوامُ
فنُحْتُ على تلك الربوعِ تشوّقاً ... كما ناحَ من فَقْدِ الحميمِ حَمامُ
أيا صاحبيَّ نجوايَ يومَ ترحّلوا ... وحَزْنُ الفَلا ما بيننا وأكامُ
نَشَدْتُكما بالوُدِّ هل جادَ بعدنا ... دمشقَ كأجفاني القِراحِ غمامُ[4]
وهل عَذَباتُ البانِ فيها موائسٌ ... وزَهْرُ الرُّبَى هل أبرزَتْه كِمامُ
وهل أعشبَ الروضُ الدمشقيُّ غِبَّنا ... وهل هبَّ في الوادي السعيدِ بَشامُ[5]
وهل رَبْوةُ الأُنْسِ التي شاعَ ذِكرُها ... تجولُ بها الأنهارُ وهْيَ جِمامُ[6]
وهل شَرَفُ الأعلَى مُطِلٌّ بفرعِه ... على المَرْجةِ الخضراءِ فيه كِرامُ[7]
وهل ظِلُّ ذاك الدَّوحِ ضافٍ وتحتَه ... مَقيلٌ وبدرُ الحيِّ فيه يُقامُ
وهل ظَبَياتٌ في ضُمَيرٍ سَوانِحٌ ... وعينُ المَها هل قادَهُنَّ زِمامُ[8]

ضُمَير ، مُصغَّر : قرية بدمشق[9] .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، والقصيدة في خلاصة الأثر ٣/٢٢ ، ٢٣ .

(٢) تقدم التعريف بالغوطتين في صفحة ٧٢ . (٣) تقدم التعريف بالصالحية في صفحة ٧٢ ، والنيربين في صفحة ٧٣ . (٤) في ج : « كأجفان القراح » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٥) في ج ، وخلاصة الأثر : « وهل فاح في الوادي » ، والمثبت في : ا ، ب . (٦) في ب : « تجول بها الأزهار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفي خلاصة الأثر : « وهي حمام » ، وأنهار جمام : ممتلئة دفقة المياه . (٧) الشرف الأعلى : قطعة من سفح قاسيون ، وهي من سوق ساروجة حتى جسر البلاط ، وهو يطل على المرجة ، والمرجة من المحاسن التي لا تدرك . منادمة الأطلال ٤٠١ ، ٤٠٢ . (٨) في ب : « هل قادهن ذمام » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٩) قال ياقوت : موضع قرب دمشق ، قيل : هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة . معجم البلدان ٣/ ٤٨١ .

وهل أُمَوِىُّ العلمِ والدين جامعٌ … شعائرُه والذِّكْرُ فيه يُقامُ

وهل قاسيونُ قلبُه متفطِّرٌ … وفيه الرِّجالُ الأربعونَ صِيامُ

ألا ليتَ شعرِى هل أعودُ لجِلَّقٍ … وهل لى بوادى النَّيرَبَيْنِ مُقامُ[1]

وهل أرِدَنْ ماءَ الجزيرةِ راتعاً … بمَقْصَفِها والحظُّ فيه مرامُ[2]

سلامٌ على تلك المغانِى وأهلِها … وإن رِيشَ لى من نَأْيِهِنَّ سِهامُ

لقد جُمِعتْ فيها محاسنُ أصبحتْ … لدَرْجِ فَخارِ الشَّامِ وهْىَ خِتامُ

بلادٌ بها الحصْباءُ دُرٌّ وتُرْبُها … عَبيرٌ وأنفاسُ الشَّمالِ مُدامُ

وغُرَّتُها أضْحَتْ بجبهةِ رَوْضِها … تُضِىءُ فخَلْخالُ الغديرِ لزامُ[3]

تنائيْتُ عنها فالفؤادُ مُشتَّتٌ … ووَعْرُ القِيافِى بيننا ورَغامُ[4]

لقد كِدْتُ أقضى من بعادِى تشوُّقاً … إليْها وجسْمِى قد عَراهُ سَقامُ

ولـه[5] :

لهفِى على زَمنٍ قضيتُه جَذِلاً … مُسربَلاً ببرودِ العزِّ والنِّعَمِ

مضَى كأنْ لم يكنْ ذاكَ الزَّمانُ أتَى … حتى كأنِّى به فى غفلةِ الحُلُمِ

ما أسْأرَتْ لى لياليه التى سلَفتْ … بلَذَّةِ العيشِ إلا زَفْرةَ النَّدمِ

---

(١) فى ب : « هل أعود بجلق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٢) فى خلاصة الأثر : « والحظ فيه مدام » .   (٣) فى ب : « وخلخال الغدير » ، وفى ج : « وخلخال النهر » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .   (٤) فى ب : « تناسيت عنها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٢٣ .

٩

محمد بن يوسف الكريمي (*)

أقول فيه لا مُتأثِّماً ، ولست من خجَل مُتلثِّماً :

إنه أبرعُ مَن سبك(١) لفظاً مع معنى ، وأرقُّ من أراد أن يَشْعُر فغنَّى .

وهو من رِقَّة العِشْرة ، يكاد يدخل في القِشْرة .

ومن خِفَّة الرُّوح ، مع الذَّرِّ في الهواء يرُوح .

ومضَى عليه زمنٌ لا يعرفُ الصَّحْو ، ولا يفرِّق بين الإثباتِ والمحْو .

وهو في قَيْد الرِّق ، يجمعُ بين العُود والزِّق(٢) .

هذا ، وعهدُه يَرِفُّ(٣) ماؤه ، ويشِفُّ عن النَّضْرة نماؤه .

وتتألَّقُ غُرَّتُه ، وتُشرِق أسرَّته .

والعيشُ كما يَدْرِيه ، على ما يَطِيبُ يُجْرِيه .

(*) محمد بن يوسف بن يوسف الكريمي ، الدمشقي .
ولد سنة ثمان بعد الألف .
وقرأ على الشرف الدمشقي ، والمفتي فضل الله بن عيسى ، والشيخ عمر القاري .
وأخذ عن الإمامين : عبد الرحمن العمادي ، وأبي العباس المقري .
وتخرج في الأدب على أبي الطيب الغزي .
وكان يتقن اللغتين : الفارسية والتركية إلى جانب العربية ، وينظم الشعر باللغات الثلاث ، كما كان بارعا في الموسيقى .
سافر إلى الروم ثلاث مرات ، ودرس بالمدرسة العزية بالشرف الأعلى ، وولي قضاء الركب الشامي ، ثم صارت له رتبة الخارج .
توفي سنة ثمان وستين وألف .
خلاصة الأثر ٤/٢٧٣ .

(١) في ب : « سلك » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) الزق ، بالضم الخمر ، وبالكسر : السقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره . القاموس (ز ق ق) . (٣) في ا : « يرق » ، والمثبت في : ب ، ج .

حتى فلَّ الدهرُ شبا شبيبَتِهِ ، ومحا من لوح[١] الوجودِ محاسن جَبْهَتِه[٢]

هنالك ألجمه الشَّيْب بلجامِهِ ، فنكَّب لا يلْوِي على كأسِهِ وجامِهِ .

وقد وقفتُ بخطه على أشْعارٍ له ألذّ من الماء القَرَاحِ ، وأطْيَبَ من النَّسيمِ حُفَّت به لذّات الرَّوح والرَّاح .

فذكرتُ منها ماينوب عن الرَّيقَيْن : الروضِ ، والصَّبا[٣] ، ويُغْنِي عن الرَّائقَيْن : الرِّيق ، والصَّهْبا .

فمن ذلك[٤] قوله من[٤] قصيدة ، مُسْتَهلُّها[٥] :

في فؤادِي من الخدُودِ لهيبُ ... جنَّةٌ طابَ لي بها التّعْذيبُ

صَحْوتِي من هوَى الحسانِ خُمارٌ ... وشبابٌ بلا تَصابٍ مَشيبُ[٦]

داوِني بالمحَــاظِ فالحبُّ فينا ... دارُ بلْوَى بها السَّقامُ طَبيبُ[٧]

لفؤادِي من لحظةِ الشَّخْصِ سَهْمٌ ... هي من قِسْمةِ الهوَى لي نصيبُ

كلُّ قلبٍ له الصَّبــابةُ داءٌ ... ألِفَ الدَّاءَ فالحكيمُ رَقيبُ

محْنةُ الحبِّ عندنا دارُ بلْوَى ... فلها مِن قلوبِنــا أيُّوبُ

هــكذا حاكمُ الهوى فلديْه ... من ذُنوبٍ لنا تُعَدُّ القلوبُ

لو بدَا للوجودِ يوسفُ حُسْنٍ ... ضمَّه من قلوبِنا يعْقوبُ[٨]

لا تَهُنِّي سَدًى فمُدْمِنُ خَمْرِ الْـ ... ـحبِّ في مِلَّةِ الهوى لا يتوبُ

في لحاظِ الظِّبــاءِ آيةُ سِحْرٍ ... قد تلَاها على العقول الحبيبُ[٩]

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٢) في ا ، ب : « جبينه » ، والمثبت في : ج .
(٣) في ج ضبط « الصبا » بكسر الصاد . (٤) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٥) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٢٧٤ ، ٢٧٥ . (٦) في ا : « وشباب بلا تصاب » ، وفي خلاصة الأثر : « وشبابي بلاتصاب » ، والمثبت في : ب ، ج . (٧) في خلاصة الأثر : « فالحب فيها » .
(٨) في ب : « ضمه في قلوبنا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٩) في خلاصة الأثر : « آية حسن » ، وفي ب ، ج : « قد تلاها على القلوب » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

رشَأٌ أخجَلَ البُدورَ إذا ما شَوَّشتْ خاطِرَ الفُؤادِ الخُطوبْ
ما رأينا من قبلِ وجْهِكَ أن قد حمَلَ البدْرَ في الزَّمانِ قَضيبْ
قاتِلي في الهوى الألحاظُ وهذا شاهدُ الخدِّ من دَمي مخضُوبْ
قد رَماني بأسْهُمِ الجَوْرِ عَمْداً وسِوَى القلبِ سهمُه لا يُصِيبْ
ليْتَ أنْ لم يُخلَقِ الحبُّ فينا ليت أو لم يكنْ فؤادٌ طَرُوبْ (١)
يا أخا الوجْدِ هل رأيتَ قتيلاً وهْوَ ظلْماً بنفسِه مطْلوبُ (٢)

* * *

هذا من قول المتنبي (٣) :

وأنا الذي اجْتلبَ المَنيَّةَ طرفُهُ فمَنِ المُطالَبُ والقتيلُ القاتلُ

وهو أخذه من قول دِعْبِل (٤) :

ياليتَ شِعْري كيفَ يومكما يا صاحبيَّ إذا دَمِي سُفِكَا (٥)
لا تأخذَا بظُلامتي أحداً قلبي وطَرْفي في دَمي اشْتركَا

وقد أخذه أبو الحسن السكروي (٦) فحسّنه، حيث قال من أبيات :

أنا القتيلُ وطرفي قاتلي ودمي ما بَيْنَ قلبي ومَن علّقتُه هدَرُ (٧)

* * *

يا القَلْبَ أطعْتُهُ وعصَـــانى فهْوَ إلّا إلى الهوى لا يُجيبُ (٨)

---

(١) في ج، وخلاصة الأثر: « لم يُخلق الحسن فينا »، والمثبت في: ا، ب.
(٢) في ب، ج: « يا أخي الوجد »، والمثبت في: ا، وخلاصة الأثر. (٣) هذا البيت مما ليس في ديوان أبي الطيب. (٤) ديوان دعبل ١١٨. (٥) في الديوان: « كيف يومكما » ورواية النسخة توافق ما في معجم الأدباء، انظر هوامش الديوان. وفي ب: « وكيف يومكما » والمثبت في: ا، ج.
(٦) ذكر ياقوت في معجم البلدان ٣/٢٠٨ شاعرا آخر اسمه أبو الحسن السكروي، فلعله هو.
(٧) في ا: « وطرفي قاتلي »، والمثبت في: ب، ج. (٨) في ب: « قد أطعته فعصاني »، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر.

خَبِّرِي يا صَبَا رِياضَ التَّصابي فَبِذِكْرِ الهَوَى فُؤادِي يَطِيبُ
عرفَ القلبُ فيكَ رائحةَ الحُبِّ وبِدْرِي بِسَمِّهِ المَسْلوبُ (١)
ساعدَتْنِي على النَّحيبِ حَمامٌ حيثُ مالِي سوى صَداها مجيبُ
أنا والوُرْقُ في الطُّلولِ غريبا نِ ويستصحبُ الغريبَ الغريبُ
غـيرَ أني بها رهينُ فؤادي وهْيَ تأتِي وحيثُ شاءتْ تؤوبُ
عَلَّمَ القلبُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ شَجْواً فـلَهُ في فُنونِهِ تهذيبُ (٢)

* * *

وله من أخرى ، مطلعها :

فيكَ أُمْسِي وفيكَ بالوجْدِ أُضْحِي مُسْتَهامٌ لا يعرفُ الدهرَ نُصْحا
يا غزالاً بوجْدِهِ سقمِ الصَّبْ رُ من القلبِ والهوَى فيه صَحَّا
أنتَ بالهجْرِ قد أطلْتَ اللَّيالي ومَنَعْتَ الخيـالَ عنّي شُحًّا
وإذا زُرْتَ والزَّمانُ بخيـلٌ لم أجِدْ للدُّجَى وحقِّكَ جُنْحا
أرْتَجِي بالعِذارِ ليلَ وِصالٍ فأرَى تحتَـه لوجهِكَ صبحا
يا قتيلاً بمذهبِ الحُبِّ طُلَّتْ دمُه طلَّ وهْوَ يطلبُ صُلْحا
شاهِدَا قتْلتِي فؤادي وطَرْفِي وترَى في كِلا الشَّهيدَيْنِ جُرْحا
قاتِلِي شادِنٌ أعـدَّ لقتْلِي بلِحاظٍ عَضْبًا وبالقدِّ رُمْحا
يا لَقلبٍ ما فيه يَـبْرأُ جُرْحٌ للتَّصابِي إلَّا أرَى فيه جُرْحا
ومريضِ اللِّحاظِ ساهمَ قلبِي سُقْمُ طَرْفَيْهِ واسْتزدْتُ فَتْحَا
علَّمتْنِي جُفونُه الوجْدَ لَمَّـا أنْ تلَتْ للحشا من السِّحرِ شَرْحا
عارضَتْنِي والوجدَ منها عيونٌ ما نبَا العضْبُ لو أعارَتْه صفْحا

(١) في خلاصة الأثر : « وبدري بسمه » ، والمسلوب : الملدوغ .
(٢) بعد هذا في خلاصة الأثر تنتهي القصيدة بقوله :

يهتدي في سبيلِه بفؤادِي كلّما ضلَّ في الغرامِ كئيبُ

وله يصف يوماً أطربه [١] فيه الفَرح ، ونال فيه من اللّذّة ما اقْتَرح .

مع فِتْيَة مُسامَرتُهم ألذُّ من الكأس إذا احْتَبك المجاس ، وأَوْقَعُ من المَبْلَغ النَّقْد إذا تملَّكه المُفْلِس :

يارُبَّ يومٍ قطَعْتُه فَرِحَا   في رَوْضِ أُنْسٍ هَزَارُه صَدَحَا
صَفَا به العيْشُ لِي وجادَ بهِ   دهرٌ وآمالُ مُهجتِي مَنَحَا [٢]
مع فتْيَةٍ دام لي الفَخَارُ بِهِمْ   ومَعْشَرٍ صُبْحُ فضلِهِمْ وَضَحَا [٣]
من كلّ نَدْبٍ شِهابُ فِكْرتِهِ   لو قابَلَ البدرَ نورُه افْتَضَحَا
يومٌ كعهدِ الصِّبا لرِقّتِهِ   نال به القلبُ وَفْقَ ما اقْتَرحَا [٤]
طالَبْتُ دهرِي بيوْمِنا زَمناً   فالآن دَهْرِي به لقَد سَمَحَا
أذْكَرنِي طِيبُ يومِنا زَمَناً   كنتُ بريمِ الصَّريمِ مُفْتَضَحَا
أيّامَ لا أسمعُ المَلامَ ولا   أُصْغِي لِلاَحٍ إذا صَبَوْتُ لَحَى
رَشاً غَدَا يفضَحُ الظِّباءَ بِهَا   بَدْرٌ سَنًا طَلْعةَ الشُّموسِ مَحَا
عجبتُ من فِعْلِ سَهْمِ مُقلَتِهِ   أَرْدَى عَمِيدَ الهوَى وما جَرحَا
مُحجَّبُ الحُسْنِ شَمْسُ وجْنتِهِ   زانَ بَهاها الحَيا لِمَنْ لَمَحَا
حديثُ وجْدِي هُو القَديمُ بِهِ   والحالُ حالِي بهِ وما بَرِحَا
ياقلبُ لِلغَيْرِ لا تَمِلْ أبداً   فما يُداوِيكَ غيرُ مَن جَرحَا

* * *

وله من قصيدة ، أولها :

مَنْ لقلْبٍ مابين سُمْرٍ وبِيضٍ   مِن قَوامٍ لَدْنٍ وطَرْفٍ مَرِيضٍ

---

(١) في ا : «طربه» ، وفي ب : «أضرب» ، والمثبت في : ج . (٢) في ب : « دهرا وآمال » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ا : « ومعشر فضل فضلهم » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) سقط صدر هذا البيت من : ا ، وهو في : ب ، ج .

مَالِمَنْ صادَمَ الهـــوى مِن نَصيرٍ ... فإليــــه إذا سَطَا تفويضِى (١)
زارَنى فى الدُّجى فكان كبَدْرِ التَّـ ... ـمِّ قـد لاح فى اللَّيــالى البِيضِ
شادِنٌ لو يقابِلُ الشمسَ والبـدْ ... رَ لـكانَا فى رُتبــةِ المستَفِيضِ (٢)
سَلَبَ العقــلَ والفُؤادَ وخَــلاَّ ... نِى بِهِجْرانِه الطَّويلِ العرِيضِ
فَنَهارِى نَهارُ مُنتظِرٍ فيـ ... ـهِ ولَيلِى لا ذُقْتَ ليلُ المريضِ (٣)

* * *

ومن أخرى ، أولها :

جادَ من بعدِ بُعْدِه بالتَّلاقِى ... ودَنا شائقٌ إلى مُشْتاقِ (٤)
رشَأٌ طالَ ما أذابَ فُؤادِى ... بسَعِيرِ النَّوى وحَرِّ الفِراقِ
لم نزَلْ نحسَبُ الغــرامَ مِزاحاً ... فرأيْنــا مصارعَ العُشَّاقِ
كنتُ أشكُو الجفَا وأخشَى صُدوداً ... فرأيتُ البِعادَ مُرَّ المَذاقِ
كلُّ مُرِّ المَذاقِ لَمَّــذاقِ مُطاقٌ ... وأرَى الصَّبرَ عنكَ غَيــرُ مُطاقِ
مَن لِقَلْبٍ لم يُلْفَ إلَّا جَرِيحاً ... بِسِهامِ الجفونِ والأحْداقِ
ماهذَا الفُؤادِ لم ينجُ يوماً ... من وَثاقٍ إلَّا غَــدا فى وَثاقِ
هكذا مَن له الصَّبابةُ داءٌ ... ليس يرْجُــو النَّجاةَ ممَّا يلاقِى

* * *

وله (٥) :

عَلَى مَ تفْتِكُ فى العُشَّاقِ بالمُقَلِ ... أمَا تخافُ على الهِنْدِىِّ مِن فَلَلِ

---

(١) فى ا : « ما لمن صام م الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى ب : « تفويض » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ب : « لـكانا فى رتبة المستفيض » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « منتظر الوعد * م وليلى . . . » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) فى ا : « ودنا شائق لها » ، وفى ب : « ودنا شائقا إلى » ، والمثبت فى : ج .
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

لقــــد أبحْتَ دَمي يامَن كَلِفْتُ به ... فأصْبَحتُ كالمَثَلِ فيه
يامَن إذا مالِسَهْمِ اللَّحْظِ أغرَضَنِي ... أيقَنتُ وِجْدانَ قومٍ مِن بَنِي ثُعَلِ [1]

* * *

بنو ثُعَل : قبيلة فيهم رُماة ، يضرب المثل بجَوْدَة رَمْيِهم .

قال امرؤ القيس [2] :

ربَّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ ... مُخرِجٍ كَفَّيْـه من سُتَرِهْ [3]
فهو لا يُخْطِى رمِيَّتَـه ... مالَهُ لا عُـــدَّ من نَفَرِهْ [4]

([5] يقال فى الدعاء على الإنسان : « لا عُدّ من نفره » ، ويراد به التعجُّب [5]) .

* * *

شمائلٌ لك عاطتْنِي الشَّمولَ فمـا ... برِحْتُ مابيْن سكرانٍ إلى ثَمِلِ
آهًا على زمنٍ كانَ الرَّقيبُ به ... صِفْرَ الأكُفِّ من التَّعْنيفِ والعَذَلِ
هلاَّ تُعِيـدُ زمانًا كنت طَوْعَ يَدِى ... فيـه وصدْرِى مَلآنٌ من الأملِ [6]

* * *

وله [7] :

تَلَى اللهُ فِعْـلَ الغانياتِ إذا دهتْ ... فؤادًا لأبنـاء الصَّبابةِ أو عقْلاَ [8]

---

(١) فى ب ، وخلاصة الأثر : « ما لسهم اللحظ عرضنى » ، وفى ج : « أقصدنى » ، والمثبت فى : ا .

(٢) ديوانه ١٢٣ ، ١٢٥ ، والبيت الأول فى المعمرون ٩٧ . (٣) فى الديوان والمعمرون : « متلج كفيه » ، وفى الديوان : « فى قتره » ، وفى المعمرون : « من قتره » . ومعنى رواية الديوان أنه يدخل كفيه فى القتر ، وهى بيوت الصائد التى يكمن فيها ؛ لئلا يفطن له الصيد فينفر منه .

وامرؤ القيس يعنى بقوله : «رب رام» عمرا بن مسبح الطائى ، أحد بنى معن ، وأحدى المعمرين ، قيل : عاش حتى أدرك النبى صلى الله عليـــه وسلم ، وهو ابن خمسين ومائة سنة . المعمرون ٩٧ .

(٤) فى الديوان : «فهو لاتنمى رميته» . (٥) زيادة من : ب على ما فى : ا ، ج . (٦) فى خلاصة الأثر : « كان طوع يدى » . (٧) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/ ٢٧٩ . (٨) فى خلاصة الأثر : «فؤاد لأبناء الصبابة والوصلا» .

ولا سُلِّطتْ يوماً على قلبِ عاشقٍ　　عيونٌ ترى فى ظُلْمِ عاشقِها عَدْلاَ (١)
يُرِينَكَ عينَ الودِّ والوجدِ نظْرةً　　ويُخْرِجْنَ جِدَّ الوجْدِ للقلبِ والهَزْلاَ (٢)
فحتى إذا شبَّتْ بنارِ جوانحٍ　　وأيقَنَّ بالطروحِ مَن أرسلَ النَّبْلاَ (٣)
غدرْنَ فلا يَرْعَيْنَ للصبِّ ذِمَّةً　　وأغْضَيْنَ عنه فى الهوى الأعْيُنَ النُّجْلاَ
نوافرُ منها لم نفُزْ شِقْوةً سوى　　بوعْدٍ رأينا فى جوانبِهِ المَطْلاَ (٤)

※※※

وله من قصيدة ، مستهلها :

تَرَجَّى الأمانِى لا أمانِى المتيَّمِ　　وتَرْقَا دموعٌ غيرُ أدْمُعِ مُغرَمِ (٥)
بِذا بيْننا يقْضى الغرامُ كما بِنا　　تَحكُّمُ الهوى فى الحبِّ مِن مُتظلِّمِ
متى لم يُصِبْ لذاتِها طالبٌ أتَى　　بقلبٍ سليمٍ أو بطَرْفٍ مُهوَّمِ
بحيثُ أبثُّ الوجدَ ليلةَ لم يكُنْ　　لدَىَّ سوى زُهْرِ النُّجومِ بمَحْرَمِ
أُعدِّدُ فيها كوكباً بعد كوكبٍ　　وأرقُبُ فيها أنْجُماً إثْرَ أنْجُمِ
فلم يكُ غيرَ الطَّرْفِ لى من مُسامرٍ　　ولم أرَ غيرَ الدمعِ لى من مُترْجِمِ
عدِمْنا الهوى يُرْدِى العميدَ ولم يصُلْ　　بعَضْبٍ سوى لَحْظِ الحسانِ وأسْهُمِ
حَوَيْنا قلوباً مَن دعاها لراحةٍ　　عصَتْه ولبّتْ مَن دعاها لمُؤْلِمِ
أضلَّتْ فلم تسْكُن بصدرِ مُتيَّمٍ　　إذا لم يُلَوَّعْ من وُشاةٍ ولُوَّمِ (٦)
وريمٍ أبَى إلّا نِفاراً فمذْ رأى　　على الصَّيْدِ صيّاداً غدَا غيرَ مُقْدِمِ (٧)
بِلاَحِظَتَى والسِّحْرُ مِلْءُ جفونِهِ　　يقودُ إليه القلبَ قَوْدَ مُسلِّمِ (٨)

(١) فى خلاصة الأثر : «عيونا ترى» .　(٢) فى خلاصة الأثر : « ويخرجن جد الوجد » .
(٣) فى ا : « منه أرسل النبلا » ، وفى ب : « من نقل النبلا » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى خلاصة الأثر : « نوافر منـا » .　(٥) فى ب : « لا أمانى المتيم » ، وفى ج : « للأمانى المتيم » ، والمثبت فى : ا .　(٦) فى ب : «أضلت ولم تسكن» ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٧) فى ب ، ج : « فمن رأى » ، والمثبت فى : ا ، وفى ب : «غير مغرم» ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٨) فى ب : «ملء عيونه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

يُرَنِّحُه سُكْرُ الدَّلالِ فيَنْثَنِي   كما عطفَتْ غُصْناً صَباً في تَنَسُّمِ
فإنْ زارَ وَهْناً والأمانِي تَعِلَّةٌ   ترى البدرَ وافَى فوقَ غصنٍ مُنَعَّمِ
بِخَدٍّ سقاهُ وابلُ الحُزْنِ والحَيَا   سُلافةَ خمرٍ أو عُصارةَ عَنْدَمِ

* * *

ومن (١) غزليّاته و (١) غرره قوله ، من نونيّة مطلعها :

نأى والأمانِي الكاذباتُ به تَدْنُو   بديعُ جمالٍ من محاسنِه الحُسْنُ
هو البدرُ لا تُنْكِرْ عليه بِعادَهُ   تراه قريباً والبِعادُ له شأْنُ
أطالَ عليَّ الهجْرَ حتى لِطُولِه   تعلَّمَ منه هَجْرَ صاحبِه الجَفْنُ (٢)
وعرَّفني الأحزانَ حتى أَلِفْتُها   فمن أجْلِه عندي السرورُ هو الحزْنُ (٣)
رشاً طلعتْ شمسُ البَها من جبينِه   وماسَ بها من قدِّه غُصُنٌ لَدْنُ (٤)
فَدَيْتُك ما هذا التّنائِي فلسْتُ مَنْ   يُطيق بأن تشتاقَك العيْنُ والأُذْنُ
بَعُدْتَ ولكن لا عن القلبِ والرَّجا   إذا لم يَشُبْه اليأسُ كان له المَنُّ (٥)
أظُنُّك تدْنُو والليالِي ضنِينةٌ   بِقُربِك لكن رُبَّما صدقَ الظَّنُّ
فيا مُسْرِفاً في هَجْرِه أنت يوسُفٌ   إذا غابَ فالدُّنْيا ليَعْقوبِه سِجْنُ (٦)
سقَى اللهُ عهْدَ الشَّبيبةِ ماضِياً   ولا بَرِحتْ تنْهَلُّ في رَبْعِها المُزْنُ
وحيّى رُبوعَ اللهوِ والوجْدِ والصِّبا   سحابُ رِضاً أنْواؤُها اللُّطفُ واليُمْنُ
معاهدُ وَجْدٍ باكَرتْ روْضَها الصَّبا   فصافحَ إذْ مرَّتْ به الغُصُنَ الغُصُنْ
قطفْتُ بها اللّذّاتِ معْ كلِّ شادنٍ   سَقاني بعينَيْه إذا ما غَدا يرْنُو (٧)

---

(١) زيادة من : ب على ، ما في : ا ، ج . (٢) في ب : « تعلم منه الهجر » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ا : « فمن أجلها عند السرور » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ب : « شمس النهار بوجهه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ج : « فالرجا » ، والمثبت في : ا ، ب . (٦) في ج : « إذا غبت فالدنيا » ، والمثبت في : ا ، ب . (٧) في ا ، ج : « قطعت بها اللذات » ، والمثبت في : ب .

لَه فى البَهَا تُعزَى المَحَاسنُ كلُّهــــا ‏ ‏ ‏ ‏ كما لِرسولِ اللهِ كُلٌّ بِهـــا يَعْنُو (١)

* * *

ومن مقاطيعه ونُتَفِهِ ، قوله (٢) :

وكنتُ أقولُ إنّكَ فى فؤادِى ‏ ‏ ‏ ‏ لَوَ أنّ القلبَ بعــــدَكَ كان عندِى
سِوى عن ناظِرِى ماغبتَ يومــــاً ‏ ‏ ‏ ‏ فــذِكْرُكَ غالبَ الأوقاتِ وِرْدِى

* * *

وقوله (٣) :

هل ترجعُ أيامى بنــــادِى الوادِى ‏ ‏ ‏ ‏ تاللهِ فقد عــــدَدْتُها أعيادِى (٤)
أيّامَ يَضُمُّ شمْلَنـــا مُنتـــزَهٌ ‏ ‏ ‏ ‏ بالغُوطةِ لافُقِدتْ ذاكَ النّادِى (٥)

* * *

وقوله (٦) :

ماجاء الليـــلُ أو أضاء الفجرُ ‏ ‏ ‏ ‏ إلّا وذكرتُ عيشَنا بِالبدْرِ (٧)
لَهْفِى لِزمانِ عِيشَةٍ راضيـــةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ قد مرّ بها على يديكَ الدهرُ

* * *

وقوله :

ومُعَــــذَّرٍ صفحاتُ وَجْنَتِه ‏ ‏ ‏ ‏ كالشمسِ فى حَلَكٍ من الدَّمْسِ (٨)
حتّى تخيَّلتُ الشمسَ قــد طلعتْ ‏ ‏ ‏ ‏ ليلاً لِما شاهــدتُ من أُنْسِ
فعجبتُ من شمسٍ بدَتْ لِدُجى ‏ ‏ ‏ ‏ وبقيتُ فيـــه مُراجِعاً نفسِى

---

(١) فى ب : « له فى البها تعزو المحاسن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤ / ٢٨٠ .
(٣) هذان البيتان ساقطان من : ب ، وهما فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ٤ / ٢٨٠ . (٤) فى خلاصة الأثر : « تالله لقد أعددتها أعيادى » . (٥) تقدم التعريف بالغوطة فى صفحة ٧٢ . (٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٤ / ٢٨٠ . (٧) فى ب : « ... أتى الليل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى الخلاصة : « إلا وذكرك » . (٨) فى ب : « ومعذر الصفحات » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فغدَا يقول أذاك من عجَبٍ أعجبْ لهــــذا الأمرِ بالعكْسِ
فانظرْ لمُعجزةِ العِـــذارِ بدَا فى وجْنَتِى كاللّيلِ فى الشمسِ (١)

* * *

ومما يُنْسَب إليه قوله :

ومَهاةٍ قـد راعَتِ العودَ حـتىَ عاد بعـد الجماحِ وهْوَ ذَليـلُ
خافَ من عَرْكِ أذْنِه إذ عصاها فلهـــذا كما تقولُ يقولُ

* * *

نحوه للحسن بن يونس (٢) :

غَيْـداء تأمرُ عودَهـا فيطيعها أبدا ويتْبَعُها اتبـاعَ وَدُودِ
فـكأنما الصَّوْتانِ حين تمازَجا ماء الغَمامةِ وابنةُ العُنقودِ

ولـكُشاجِم (٣) :

جاءتْ بعُودٍ تُناغيه فيتْبَعُها فانظرْ بدائـعَ ماتأتى به الشَّجَرُ
فما يَزالُ عليــــه أوْبِهِ طرَبٌ يهيجُه الأعجمانِ الطَّيْرُ والوَتَرُ

وليُوسف بن عِمْران الحَلَبى (٤) :

يستوقفُ الأطْيارَ حُسْنُ غِنائِها إن ردَدتْ ألْحانَها ترْديدَا (٥)
وتظُنُّ صوتَ العُودِ صوتَ غِنائِها وغِناءهـــا أبداً تظُنُّ العُودَا

* * *

---

(١) فى ب : « فانظر لمعجزتى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب نسبة هذين البيتين لكشاجم، ونسبة البيتين السابقين إلى الحسن بن يوسف . (٣) فى ب : « وله أيضا » ، والمثبت فى : ا ، ج . ولم أجد البيتين فى ديوان كشاجم المطبوع .

(٤) يوسف بن عمران الحلبى .

كان صاحب مال ، عمل فى أول أمره بالتجارة ، وخالط الأدباء ، ونسج على منوالهم .

طاف بلاد الشام ، والقاهرة ، وعاصمة الخلافة ، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها .

وكان مغرما بابتكار المعانى ، جيد الشعر ، وقد جمع منه ديوانا .

توفى سنة أربع وسبعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٤ ب ، خلاصة الأثر ٤/٥٠٦ ، ريحانة الألبا ١/١٠٤ .

(٥) فى ا : « ليستوقف » ، وفى ج : « ويستوقف » ، والمثبت فى : ب .

وقوله مُضمناً :

يا مَن يَدُ الرحمنِ قد خطّتْ على ... صفحاتِ خدّيْهِ السَّنيّةِ لَامَا

قد تمّ حُسْنُك بالعذارِ فمن رأى ... بدراً يكون له الكُسوفُ تماما [1]

* * *

البيت لأبي فرج بن هِنْدُو [2] ، وقبله [3] :

خلعَ العِذارُ على عِذارِك خِلعةً ... خلعتْ قلوبَ العاشقين غراما [4]

قد تمّ ، وهو معنى ، كم حام على تضمُّنه مُعنًّى .

وللباخَرْزِيّ [5] فيما يقاربه :

وَجْهٌ حكى الوصلَ طِيباً زانَهُ صُدُغٌ ... كأنّه الهجرُ فوقَ الوصْـــلِ عَلّقَهُ [6]

وقد رأيتُ أعاجيبَ الزمانِ وما ... رأيتُ وَصْلاً يـكون الهجرُ رَوْنَقَهُ

(١) في ب : « قد تم حسنك في العذار » ، والمثبت في : ا ، ج ، ودمية القصر (الطباخ) ١١٤ ، وفي الدمية : « قمرا يكون له الـكسوف تـماما » .

(٢) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن هندو ، شاعر ، كاتب ، حكيم ، طبيب ، توفي سنة عشرين وأربعمائة .
تتمة اليتيمة ١/١٣٤ ، دمية القصر (الطباخ) ١١٣ ، فوات الوفيـات ٢/٩٥ ، يتيمة الدهر ٣/٣٩٧ ، وهو فيه خطأ « الحسين بن محمد بن هندو » .

(٣) دمية القصر (الطباخ) ١١٤ . (٤) في دمية القصر : « خلع الجمال » .

(٥) أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الباخرزي ، صاحب كتاب دمية القصر ، شاعر ، كاتب ، فقيه ، توفي سنة سبع وستين وأربعمائة .
شذرات الذهب ٣/٣٢٧ ، طبقات الشافعية ٥/٢٥٦ ، معجم الأدباء ١٣/٣٣ ، وفيات الأعيان ٣/٦٦ .

(٦) في ا : « حكى الوصل طيب » ، والمثبت في : ب ، ج .

١٠

أخوه أكمل*

قَرِينُ أخيه ونِدُّه ، فأحدهما السيفُ والآخَرُ فِرِنْدُه .

وكانا إذا اجْتمعا تقابَلَ البدرُ والثُّريَّا ، وتطارح الشَّمولُ الرَّائِق والرَّوِيةِّ(١) الرَّيَّا فتَسابقَ بهما الكُمَيْتُ في مَيدانِ الدِّنان ، فمن رآهما قال ما شاء في طَلِيقَيْ عِنان .

وإذا أخذا في مُعاطاةِ الأسْمار ، فما مُشافهةُ الأمانِي في بَلَهْنِيَةَ الأعمار .

ومحمد ، إن كان أكبرُ سِنًّا ، فأكملُ أرْهفُ منه مِسَنًّا .

إلا أنه اعْتَراه طَرَفٌ من الجنون ، (٢ فصيَّره ثالث خالد والمجنون ٢) .

وله من جُنونِه أفانين ، (٣ عُدَّ بها ٣) من عقلاء (٤) المجانين .

(*) أكمل الدين بن يوسف المعروف بابن كريم الدين ، الدمشقي ، الحنفي ، الأديب ، الشاعر .
ولد سنة اثنتى عشرة وألف .
وتلقى على عبد الرحمن المفتي العمادي ، وفضل الله بن عيسى البوسنوى ، والشيخ عمر القارى ، والشرف الدمشقي .
كما تلقى الحديث عن أبي العباس أحمد المَقَّرِيّ .
وولي نيابة القضاء بمحاكم دمشق الشام ، ودرس بالمدرسة القصاعية الحنفية .
ثم رحل إلى الروم ، فأقام بها ، وأعطى رتبة الداخل ، ثم عاد إلى دمشق .
كان يعرف الفارسية والتركية إلى جانب العربية ، وله فيهما شعر ونثر .
وكان متقنا للموسيقى ، له أغان يصنعها ، كما شرح « ديوان ابن الفارض » .
توفي سنة إحدى وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .
خلاصة الأثر ١/٤٢٢ .

(١) في ا ، ج : « والروضة » ، والمثبت في : ب ، والروية : الكأس الممتلئة المروية .
(٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٣) في ب : « عدها » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٤) في ب : « عقل » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقد وقفتُ من شعره على كَلِمٍ [١] يُوشَى بها الكَلِم ، ويُعَدُّ من الظَّلْم قيامُها إلى الظَّلْمِ [٢] .

فمن ذلك قوله في وصف حديقة زَهْر ، يخترقها من اللُّجَيْن الذّائب نَهْر .

إذا خمَّشَتْه يدُ الصَّبَا ، تتوهَّمه [٣] زَرَدًا مُذْهَبا .

وفيه دُولابٌ يُشْجى الصَّبَّ بنحيبه ، كأنه مُحِبٌّ وقد [٤] رُمِىَ بفقد حبيبه [٥] :

وحديقةٍ يَنْسابُ بين غُصُونِها ... نَهْرٌ يُرَى كالفِضَّـــةِ البيضاءِ

قد ألبَسَتْهُ يدُ الجنائبِ والصَّبَا ... زَرَدًا كَتَبْتِ الرَّوْضةِ الغَنَّاءِ

دُولابُه بحَنينِـــهِ كمُذَكِّرٍ ... عهدَ الصِّبَا ومعاهدَ السَّرَّاءِ [٦]

أبدًا يدورُ على الأحِبَّةِ باكيًا ... بمدامعٍ تَرْبُو على الأنْواءِ

نَاحَ الحَمامُ عليه قِدْمًا فهو في ... تَرْجِيعِهِ مُوفٍ قديمَ إخاءِ [٧]



ومن بدائعه قوله :

بِهَوًى سرَتْ من سَلْسَبِيـ ... ـلِك إلى فُؤادِى في لَهِيبِ

فأتَتْ بأطْيَبِ ما يَسُرُّ ... ذوِى الهَـــوَى في طَىِّ طِيبِ

إلاَّ رحِمْتَ شبــــابَ ذِى ... قلبٍ عليـــلٍ بالوَجِيبِ

فخنَوْتَ من كرمٍ علَيْـ ... ـهِ كمَيْلَةِ الغُصْنِ الرَّطِيبِ [٨]

* * *

(١) في ا ، ج : « قطع » ، والمثبت في : ب . (٢) في ب : « بالظلم » ، والمثبت في : ا ، ج ، والظلم : بريق الأسنان . (٣) في ا : « توهمه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ب : « وقد» ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢٣٤ . (٦) في خلاصة الأثر : « دولابه بنحيبه . . . . ومعهد السراء » . (٧) في ب : « وهو في » ، والمثبت في : ا ، ج . (٨) في ب : « فحنيت من كرم » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقوله :

وَلاَئِمٍ قد لاَمَنِي في الطِّلاَ وتَرْكِها والنَّهْيِ عن شُرْبِهَا
فقلتُ تَلْحانِيَ جَهْــلاً أمَا كَفَى طُلوعُ الشَّمسِ مِن غَرْبِهَا

* * *

الغَرْب : دَنُّ الخمر (١) ، وبه تمَّت التَّوْرِيَة .

وأصلُه قولُ أبي القاسم بن طلحة ، في مُغرِبيّ (٢) :

أيَّتُها النفسُ إليــه اذْهَبِي فحُبُّه المشهورُ من مذْهبِي
مُفَضَّضُ الثَّغرِ له شــامَةٌ من عنبرٍ في خَدِّه المُذْهَبِ (٣)
آيَسَنِي التَّوْبَةَ من عشْقِهِ طُلوعُه شمساً من المَغْرِبِ (٤)

وللشِّهاب الخفاجيّ :

كَمْ قَهْقَهَ الإبْرِيقُ إذْ قيل تابْ وابْتَسَمَ الكأسُ بثَغرِ الحَبابْ
والرَّاحُ شمسٌ قد تبدَّتْ له من مغْرِبِ الدَّنِّ فكيف المَتابْ
للهِ أيامٌ مضَتْ سُرْعَةً كهَجْعةٍ من ذي جوًى واكْتئابْ
لَيْــلاَتُها قَمْرٌ وأيَّامُهــا كأنها أعيادُ عَصْرِ الشَّبابْ (٥)

* * *

واغْتَبَق يوماً بمحالّ كان يتَّخذه مُفترَش نَدْوتِه ، ومُتوسَّد صَبْوتِه .
ومُضْطجَع اطْمِئْنانِه ، ومَدارَ كأسِه ودِنانِه .

---

(١) في القاموس (غ ر ب) : الغرب الفيضة من الخمر . (٢) هذه الأبيات لأبي القاسم ابن طلحة الصقلي ، وهو من شعراء المائة السابعة ، في عنوان المرقصات والمطربات ٧١ . (٣) رواية عنوان المرقصات والمطربات للبيت :

مُفَضَّضُ الثغر له نقطةٌ مِسكيَّةٌ في خدِّه المُذْهَبِ

(٤) في عنوان المرقصات والمطربات : « آيسني التوبة من حبه » . (٥) في ب ، ج : « ليلاتها قدر » ، والمثبت في : ا .

وهو فى يَنَعِ الشَّباب ، ورُواء الأحْباب .
عندما اقْترَن بالليْلِ بهارُه ، وامتزَج بالبنفسَجِ بهارُه (١)
وقد أحْضر من آلاتِ أُنْسِه ، وأظهر من نوعِ ذلك وجِنْسِه .
ما يَرُوقُ النَّاظِر ، ويصْقُل الخاطِر .

فكتب يسْتدعى له صديقًا (٢) ، كان يتّخِذُه فى ذلك العهد رفيقًا (٣) :

بادِرْ أخىَّ إلى الغَبوقِ براحـــةٍ ... تنْفِى همـــومَ الصَّبِّ حين يَصُبُّها
حَمْراءَ رصَّعَها الحَبابُ كأنَّها ... شفَقُ السَّماء تجولُ فيـه شُهْبُهـا (٤)

« بادرِ أخى ، أطال اللهُ بقاك ، وقهر مَن يُعاديك وشَناك .
إلى تعاطِى راحةٍ حاكَى مِزاجَك مِزاجُها لُطْفًا ، وزاد عليه بهاءً ، وأدبًا وظَرْفًا .
إذا أخذَها السّاقِى وصَبّ ، ذهب بهمِّ كان بيْن الشَّرْب الوَصَب .
لا سِيَّما إذا كانت حَمْراء كالشَّفق ، مرَصَّعة بجواهِر الحَبَب أو مَمْزُوجة بين بين .
فالمأمُول من الأخ المُبادرة ، ليفوز منه أخوه بأحْسَنِ مُسامَرة ومُحاوَرة » .
وفى ذيل الاسْتِدْعاء :

يامَن رِضاه جَنَّـــةٌ كمُلَتْ ... والسُّخْطُ داءٌ منكَرٌ ضَنَكٌ (٥)
زُرْ رَوْضَنا كالغيْثِ أكْسَبه ... عِطْرًا فزَيَّنَ بالتُّقى النُّسُكُ
ماسَ الشَّقيقُ لنـــا على قُضُبٍ ... خُضْرٍ كسِمْطٍ زانَه السِّلْكُ
وكأنَّه والقُضْبُ تحمِلُه ... أقْداحُ ياقوتٍ به مِسْكُ

* * *

(١) البهار : نبت طيب الريح . (٢) فى ب : « رفيقا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « صديقا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « تجول فيه شهوبها » ، وفى ب : « تجول فيه بشهوبها » ، والمثبت فى : ج . (٥) فى ب : « والسخط ذا منكر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومن غزليّاته قوله:

بهوًى جَدَّ بقلبي | طامعاً في لَفَتاتِكْ
وفؤادٍ ضَلَّ في | حَصْرٍ قليلٍ من صِفاتِكْ
وفؤادٍ لم يُمتَّعْ | حُظْوةً من حظواتِكْ
وفؤادٍ لم يُمتَّعْ | نَظْرةً من نظراتِكْ (١)
غافلاً عن ذنبِهِ إذْ | هُوَ من بعضِ هِباتِكْ
يا غزالاً خاطرَ القلْـ | ـبُ برؤيا خَطَراتِكْ (٢)
آهِ ما أعجزني عن | حَمْلِ ماضي عَزَماتِكْ
بالحِمَى ترتعُ والأُسْـ | ـدُ ثوتْ في عَرَصاتِكْ
كيف يرجوكَ فؤادٌ | والحِمَى بعضُ حُماتِكْ (٣)
بأبي حبّاتُ مِسْكٍ | نُقِلتْ في وجَناتِكْ (٤)
بل سُوَيْداءُ قلوبٍ | أُحْرِقتْ في جَمَراتِكْ (٥)
أتُرى يا دهرُ هل في | لحظةٍ من لَحَظاتِكْ
يغفلُ الواشونَ كيْ أحْـ | ـسِبَها من حَسَناتِكْ

❊ ❊ ❊

ومن رُباعيّاته قوله (٦):

حَيّى وسقى الحَيا الرُّبَى والسَّفْحا | من غاديةٍ تُشْبِهُ دَمْعِي سَفْحا
واللهِ وما ذَكَرْتُ عَيْشِي يوماً | إلّا وضَرَبْتُ عن سِواهُمْ صَفْحا

❊ ❊ ❊

(١) هكذا جاء صدر البيت مكررا في : ا ، ج ، والبيت كله ساقط من : ب . (٢) في ا : « برؤيا خاطراتك » . (٣) في ب : « كيف يرجوك فؤادي » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « نقلت من وجناتك » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : « أحرقت من جراتك » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) هذه الرباعية في خلاصة الأثر ١/٢٣٤ .

وقوله :

لا أنظُر للسماء فافْهَمْ عُـــذْرِى … قد ضاق برُؤيا قَمَرٍ بِها صَدْرِى (١)

فى صُورةِ مَن أهْـوى وفى حاجِبِـه … ما يُغنِى عن هلالِهـــا والبـدْرِ

***

أهلُ العربيّة فرّقوا بين الرُّؤيا والرُّؤية ، فـكنْ مستيقظاً فى نظائره ؛ فإنها كثيرة فى أشعار المتأخرين .

***

ومن بدائعه (٢) قوله فى مُعَذَّرٍ غنِيم الحسنُ روضَ خدّه النَّضِر ، وتلاقى فى جانبيه مُوسى مع الخِضْر :

ياحُسْنَ حُمْرةِ خدٍّ زادَ بهجتَهُ … لونُ العِـذار الذى حارتْ به الفِـكَرُ

كأنَّ موسى كليمَ اللهِ آنَسَـــهُ … حيناً وجرَّ عليـــه ذَيْلَهُ الخَضِرُ

***

نقله من قول ابن سعيد (٣) صاحب « المرقص والمطرب » (٤) ، فى نارَنْجة نصفها أخضر والآخر أحمر :

---

(١) فى ا : « قد ضاء برؤيا » ، وفى ج : « قد ضاق برؤيا قربها » ، والمثبت فى : ب .

(٢) ساقط من : ب ، ويأتى فيها بعـــد « قوله » بلفظ : « وبدائعه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) أبو الحسن على بن موسى بن محمـــد ، ابن سعيد المغربى ، شاعر ، عالم ، مؤرخ ، وهو صاحب « المشرق فى حلى المشرق » ، ومتمم « المغرب فى حلى المغرب » ، توفى سنة خمس وثمانين وستمائة .

بغية الوعاة ٢/٢٠٩ ، فوات الوفيات ٢/١٧٨ — ٢٨١ ، نفح الطيب ٣/٢٩ — ٩٧ .

(٤) لم أعثر على الأبيات الآتية فى كتابه المطبوع ، « عنوان المرقصات والمطربات » ، ولعل الأبيات فى كتابه الآخر ، الذى سماه « جامع المرقصات والمطربات » ، وقد قال عنه ابن سعيد : « فاشتغلت بالـكتاب الموسوم بجامع المرقصات والمطربات ، وما يعنون به عن سائر الطبقات وهو محتو على ما يتضمنه من الغرض المذكور كتاب المشرق فى حلى أهل المشرق ، وكتاب المغرب فى حلى أهل المغرب ، ولما شاع ذكر اشتغالى بالجامع المذكور ، تطلعت إليه ، همم أمالت أمانيها فى الغرض من هذا الشأن عليه ، وتـكرر الطلب والسؤال ، قبل أن ينتهى إلى غاية الـكمال ، فجعلت هذا الـكتاب كالمقدمة بين يديه ، وصنفته ليـكون كالمدخل إليه » . عنوان المرقصات والمطربات ٣ .

وبِنْتُ أيْكٍ دنا من لَثْمِها قُزَحٌ ... فصار فى خَــــدِّها من لَثْمِهِ أثَرُ
يَبْـدُو بِمِيْدَنَيْكَ منهـــا منْظَرٌ عجَبٌ ... زَبَرْجَـــدٌ ونُضـارٌ صاغَــه المطَرُ
كأنَّ موسى نَبِىَّ اللهِ أقْبَسَهـــا ... ناراً وجَرَّ عليهـــا ذَيْلَه الخضِرُ

وقد ألم [١] ابن سعيد بمأخـذِه من حيث لم يشعُر ؛ حيث قال فى مكان آخر ، من « مُرقصه » : لمـا رحلتُ إلى دمشق وأبصرْتُها ، فتنَنِى منظرُها [٢] ، وأكثرتُ القولَ فيها ، إلى أن وقع لى من قصيدةٍ [٣] :

فى جِلَّقٍ نزلوا حيث النَّعيمُ غدَا ... مُطوَّلاً وهْـــوَ فى الآفاقِ مُختَصَرُ
القُضْبُ راقِصــةٌ والطَّيْرُ صادِحــةٌ ... والنَّشْرُ مُرتفِـعٌ والماءُ منْحـدِرُ [٤]
وقد تجلَّتْ من اللَّذَّاتِ أوجُهُها ... لـكنَّهـــا بظلالِ الدَّوْحِ تسْتتِرُ
وكلُّ وادٍ به مُوسى يُفجِّرُه ... وكلُّ نَهْرٍ على حافاتِه الخضِرُ [٥]

ولابن فضلِ الله [٦] :

للشَّـــامِ فضـــلٌ باهِرٌ ... بعيشِهـــا الرَّغْـــدِ النَّضِرْ
فى كلِّ روضٍ يلتقِى ... مائُ الحيـــاةِ والخضِرْ

* * *

(١) فى ب : « أبلغ » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « بمنظرها » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) هذا قول يوهم أن الأبيات لشاعر آخر غير ابن سعيد ، وأن ابن سعيد توارد معه فيهـا ، وليس الأمر كما ظن المحبي ، وليس فى كلام ابن سعيد هـذا ما يدل عليه ، فمعنى « إلى أن وقع لى من قصيدة » إلى أن جادت قريحته بهـذه الأبيات . والبيتان الأول والرابع فى فوات الوفيات ٢/١٧٩ منسوبان لابن سعيد . (٤) فى ب : « والدر مرتفع » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « على حفاته الخضر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ورواية فوات الوفيات :

فكلُّ أوديةٍ موسى يفجِّره ... وكلُّ روضٍ على حافاته الخضِرْ

(٦) عبد الوهاب بن فضل الله العمري ، كاتب السر الشريف بدمشق ، كان إماما فى كتابة الإنشاء ، عارفا بتدبير الممالك ، توفى سنة سبع عشرة وسبعمائة .
الدرر الكامنة ٣/٤٢ ، وفيـه أنه توفى سنة أربعين وسبعمائة ، شذرات الذهب ٦/٤٦ ، فوات الوفيات ٢/٤٦ ، النجوم الزاهرة ٩/٢٤٠ .

ومن رُباعيّاته قوله :

إنّما مَنْ أهلُ الهوى أو قَيْسُ　　　ليسُوا مثْلى وإن تباهَوْا ليْسُوا
لو أنصفَنِي حاكمُهم في بُرَحي　　　ما قِيسَ بِمَنْ عنه تلاهَوْا قَيْسُ(١)

* * *

وكتب(٢) إليه أخوه(٢) ماغِزا :

يا أكملًا يستكمِلُ الظَّرْفا　　　يافاضلًا والفضلُ لا يَخْفى
ويا شقيقَ مَن فَخَارِى به　　　ومَن غدا لى في الورى طَرْفا
أكملُ منه إن أصِفْه فلى　　　أرجِعُ من أوصافِه الوَصْفا
قل لى عن وصفِ حروفٌ له　　　أربعةٌ ما نقصَتْ حرْفا(٣)
إذا وصفْتَ الشّخصَ يوماً به　　　فعيبُه في ذِكْرِه تَلْفى
ولم يزلْ يصحَبُ كلٌّ به　　　صبًّا يُجيد القبْضَ لا الصّرْفا
ثانيه نصفُ العشْرِ من ثلثِه　　　وكلُّه لم يبلُغِ الألفا
ينقص عشرًا إن عزا نصفه　　　ولم تكمّل ناقصًا حلفا
موصوفُه نصفانِ فانظرْ له　　　نصفًا ولا تنظرْ له نِصفا(٤)
ثانيه مع ثالثِه فعلُه　　　متى يُشاجِر عرْسَه عنْفا(٥)
يظهر في أفعاله خِفّة　　　وهْوَ الثِّقال لم يغِبْ طَرْفا
كالبوم شؤمٌ وهو إلفٌ لنا　　　فهل رأيتم بومةً إلفا
أجِبْ وعن ذا الوصفِ أوضِحْ لنا　　　لا ذقْتَ للدّهرِ إذا صَرْفا

* * *

(١) في ب : «لو أنصفني حاكمهم من ترحى» ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : «إلى أخيه» ، والصواب في : ا ، ج . (٣) في ب : « قلى عن وصف » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٤) في ب : « ولا تنظر له نصفا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : «متى يشاجر عرسه» ، والمثبت في : ا ، ج .

فأجابه ملغزا أيضاً:

جاءتْ فزادتْ روْضنا عَرْفـا　　　بل قلّدتْ آذانَنـا شُنْفـا

وأطفـأتْ من كبدِى لوعـةً　　　ولم تـكنْ من غـيرِها تُطفَا

وهيّجتْ شوقِى إلى ماجدٍ　　　لم أكُ أبغى غـيرَه إلْفـا

أعنِى شقيقِى مَن أرى بَعْدَه　　　للدّهرِ ذَنْبًا لم يكدْ يُعْفَى

ذو كرمٍ لو شـامَهُ حاتِمٌ　　　عَضّ على أنمُـلِهِ لَهْفـا

رَبُّ المعانِى والقوافِى التى　　　كالدُّرِّ إذْ ترْصِفُه رَصْفـا(١)

كانتْ كعذْبِ الماءِ عند الصّفَا　　　أو كلَمى أرْشفُه رَشْفا(٢)

أو كوِصالٍ من حبيبٍ وقد　　　أكثَرَ فى ميعادِهِ الخُلْفـا

مُضيَّعٍ أرْعاهُ بين الورَى　　　وشيمةُ الأحْبابِ لا تخفَى(٣)

أبيتُ أمْـلِى مِن غرامى به　　　كُتْبًا ومِن إعْراضِـه صُحُفـا

يُديرُ من ألحـاظِـه أكْؤسًا　　　حمّاهـا أجْفـانَه الوَطْفـا(٤)

تُسْقِيه رَاحًا مُزِجَتْ من دمًا　　　عيْنِى وتسْقِينِى الهوى صِرْفًا(٥)

سائلةً عن ساعدٍ لم يزلْ　　　كمطلقِ الأصْداغِ مُلتفّا

أو كسِوارٍ ضاقَ عن عَبْلَةٍ　　　أو كهِلالٍ كاد أن يخفَى

لـكن إذا مُـدّت إلى مرقدٍ　　　كقامةِ الحِبِّ إذْ تلْقَى(٦)

لا زلتَ تُعطِيهـا وأمثالَهـا　　　من راحةٍ كالدِّيمةِ الوَطْفَا(٧)

وبعدُ ماوصْفُهُ له أحرفٌ　　　أربعةٌ لم تسـتزِد حرْفًا

---

(١) فى ج : « ربّ المعالى » ، والمثبت فى : ا ، ب .　(٢) فى ب : « أو كلاما أرشفه » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٣) فى ب : « مضيع أرعاه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) الوطف : كثرة الشعر .　(٥) فى ج : « أسقيه راحا . . ويسقينى الهوى . . » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « مزجت منه دما » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٦) فى ا : « لـكن إذا مدت لهـا مرفدا » ، وفى ب : « إذا مدت إلى مرفد » ، والمثبت فى : ج ، وفى ب : « كقامة الحب إذا التقا » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٧) ديمة وطفا : كثيرة الماء ممتلئة .

أوَّله سَبْعٌ لعشرٍ حَــوَى ثانيه لا زِلْتَ له حِلْفَـــا[(١)]
إنْ تُسْقِط الفَرْدَ منــه يَعُدْ جَمْعاً وهذا عنكَ لا يَخْفَى[(٢)]
وفِعْلُ أمرٍ ثمَّ فعــلاً ان نارُ غرامِي فيه لا تُطْفَا[(٣)]
إنْ تقلبِ الثالثَ مَعْ رابعٍ يكُنْ لموصوفٍ به وَصْفَا[(٤)]
ثانيــه مَعْ ثالثِــه وَصْفُه إذ اعْتَراه النَّوْمُ أو أغْفَى[(٥)]
أبْقَهُ لى لا زِلْتَ فى عِزَّةٍ لم تُغْضِ عمــا رُمْتَه طَرْفَا[(٦)]
والدَّهْرُ عبـــدٌ لكَ أو قائدٌ يُجِيبُ مَنْ عادَيْتَه طَرْفَا[(٧)]

***

ومن شعره قوله :

أُسَـــلِّى فُؤادِى بادِّكارِكَ طامِعاً بصَبْرِى وأينَ الصَّبْرُ مِن قلبِ عاشقِ
وأَلْوِى ضُلوعِى كى أُسَكِّنَ رَوْعَـةً ومالى بقلبٍ ساكنِ الجسمِ خافقِ[(٨)]
أُؤَمِّلُ عَــذْباً من رُضابِكَ بارِداً لإخْمادِ جَمْرٍ بين جَنْبَىَّ حارقِ[(٩)]
وأذْكُرُ مِن عَذْبِ اللَّمَى مع لَمِيعِه أحاديثَ جيرانِ العُذَيْبِ وبارِقِ[(١٠)]
فَفِى الصبحِ صَبْرٌ إنْ أكُنْ غيرَ ناظرٍ إليه دليلاً إن يكُنْ غيرَ طــارِقِ
فَوَيْــلِىَ من جسمٍ طَرِيحٍ من الهوى وإنسانِ عيْنٍ بالمدامعِ شــارِقِ

---

(١) فى ب : « لا زالت له حلفا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « إن ترد الفرد منه » والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « وفعل أمر ثم فعلا . . لم تطفا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « مع أربع » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « إذا اعتراه النوم ما أغفى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ا : « لا حوات فى عزة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « لم تغفل عما رمته طرفة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « يجنب من عاديته ترفا » ، وفى ب : « يجيب من عاداته طرفا » ، وفى ج : « تجيب من عاديه طرفة » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٨) فى ا : « كى أسكن ضلعه » ، وفى ج : « كى أسكن لوعة » ، والمثبت فى : ب . (٩) فى ب : « لإخماد جمر بين جسمى خارق » ، والمثبت فى : ا ، ج . (١٠) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة ، بينــه وبين القادسية أربعة أميال ، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا . وقيل : هو واد لبنى تميم ، وهو من منازل حاج الكوفة . وقيل : هو حد السواد . معجم البلدان ٣/٦٢٦ .

وبارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية إلى البصرة ، وهو من أعمال الكوفة . معجم البلدان ١/٤٦٣ .

١١

محمد بن على ، المعروف بالحريرىّ الحرْفوشى (*)

هو فى المعارفِ نسيجُ وَحْدِه ، والآدابِ طلّاعُ ثنايا نَجْدِه .

عاش حِيناً فى حانوت ينسج حللا ويُوشِّيها ، ويطرِّز مُتون القَراطِيس بحبْر أقلامه ويُحشِّيها .

وأدَيْه تُنْشَدُ ضَوالُّ اللغــة والإعْراب ، وتقفُ الآراء حيْرَى فى محـاسنه بين الإعْجاب والإغْراب .

فشُدَّتْ نحوَه المطَايا ، وأشْرقتْ فضائلُه كبيضِ العطايا .

وشَفَّتْ ظُروفُ حروفِ مَبانيه ، فنمَّت عن سُلافةِ لطافةِ معانيه .

كما نمَّ الزُّجاجُ على الصَّهْباء ، والنَّسيمُ عن شذَا الرُّبَى .

ومع أنه شيخُ الوَقار ، له كلِماتٌ تُعْصَر منها العُقار .

فمن جاراه فى طرَف الرِّقَّة ، بَعُدتْ عليه الشُّقَّة .

وكانت لديه مقاصِد ، يلوح منها المُنَى مراصِد .

(*) محمد بن على ، المعروف بالحريرى ، وبالحرفوشى ، العاملى ، الدمشقى .

يقال له الحريرى ؛ لأنه كان يصنع القماش العنابات المتخذ من الحرير بدمشق .

ويقال له الحرفوشى ؛ نسبة لآل الحرفوش ، أمراء بعلبك .

قرأ بدمشق ، وحضر درس العماد الحنفى ، وكان العمادى يجله ، ويشهد بفضله .

وخرج من دمشق إلى حلب هاربا ، لنسبته إلى الرفض ، وخوفه من القتل ، ثم دخل بلاد العجم ، فعظمه سلطانها شاه عباس ، وصيره رئيس العلماء فى بلاده .

كان نحويا ، أديبا ، شاعرا .

وقد اشتغل بالتأليف ، وأكثر مؤلفاته فى النحو .

توفى ببلاد العجم ، سنة تسع وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٤/ ٤٩ ، سلافة العصر ٣١٥ .

أيّامَ عيشُه بالمرّة مُؤتلِف ، والحظُّ غادٍ إليه ومختلِف [1] .
حتى أغرَى الدّهرُ بشَمْلِه ففرّقه ، وأضْرِىَ [2] ببُرْدِ ائتِلافِه فمزّقه .
بسبب غرضٍ نقِم عليه ، وكاد يسوق الحتْفَ إليه .
فخرج مع البَازِىّ إلى بلاد العجم ، وثمّتَ طالع كوكبُ إقبالِه ونجَم .
ودعاه الشّاه عبّاس للرّئاسة [3] فأجاب ، وأراه من كمال التقرُّب الأفُق المُنْجاب .
فأقام والأهواء إليـه مُنْساقة [4] ، إلى أن دَعاه داعِي الحتْفِ إلى اللّحـد فأجابه وساقه .

***

وقد أوردتُ له من شعره الذى يباهى [5] الدّيباج الخُسْرُوانِىّ ، ما يستمِيرُ اللُّطفَ [6] منه [7] الرّاحَ الأُرْجُوانِىّ .

فمن ذلك قوله مُعمِّيًا باسم مراد :

إذا خُـيِّرْتُ بين الثّغـ ـرِ والصَّهباءِ مِن حِبِّى
أُقدِّمُ ثغرَ مَن أهوَى على ما دارَ بالقـلبِ

***

وقوله :

صَــبْرُ الرحمنُ صَبًا ذاقَ هِجْرانَ حبيبِهْ
وحَماهُ بَرْدَ وَصْــلٍ منه مُعطِفِ لِلهيبِهْ

---

(١) فى ا : إليه مختلف » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) ضرى بالشىء : لهج به .
(٣) فى ب ، ج : « إلى الرئاسة » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ب : « منسابة » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٥) فى ا : « يباهى به » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٧) فى ا : « من » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فلعَمْرِى ليس يَدرِى ما   هَجْرٌ إلّا مَن رُمِى بِهْ

* * *

وقوله :

أنَا واللهِ لا أُبالى وإنْ ذَمَّ   وإنْ أكثرَ الجَهولُ السِّبابَا
أنا كالشَّمسِ فى الأنامِ مقامى   مُمْتَلٍ لا تَرَى عليه حِجابًا (١)
أدَبِى مَفْخرِى وفخرِى عُلومى   لا أراه التِّجارَ والأسْبابَا (٢)

* * *

وقوله (٣) :

تَرُومُ وُلاةُ الجَوْرِ نَصْرًا على العِدَى   وهيْهاتَ يَلْقَى النَّصْرَ غيرُ مُصِيبِ
وكيف يرومُ النَّصْرَ مَن كان خَلْفَه   سِهامُ دُعاءٍ عن قِسِىِّ قُلوبِ

* * *

هذا معنًى تداولته الشعراء ، والحسَن (٤) منه قول ابن نُباتةَ المصرىّ (٥) :

ألا رُبَّ ذى ظُلْمٍ كُمِتُّ لِحَرْبِه   فأوقَعَه المقْدورُ أىَّ وُقوعِ
وما كان لى إلّا سِهامُ تَركُّعٍ   وأدْعِيةٌ لا تُتَّقَى بدُروعِ (٦)
وهيْهاتَ أن ينْجُو الظَّلومُ وخلْفَه   سِهامُ دُعاءٍ مِن قِسِىِّ رُكوعِ
مُرَيَّشَةٌ بالهُدْبِ من جَفْنِ ساهِرٍ   مُنَصَّلَةٌ أطرافُها بدُموعِ

* * *

---

(١) فى ا : « فى الأنام مقام » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ب : « لا أراه الفخار » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٥٤ .   (٤) فى ب : « والأحسن » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ٤/٥٤ .   (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . والأبيات فى ديوانه ٣١٤ ، وخلاصة الأثر ٤/٥٤ .   (٦) فى الديوان :

وما كان لى إلا سلاحُ تَهجُّدٍ   وأدعيةٌ لا تُتَّقى بدروعِ

ومِن المُنشآتِ المبتدَعة : المُحارِبُ إذا شُيِّع بالدعاء له فقد أُنجِد بمدد(١) بل أَمْداد، وحُفِظ ظهرُه بجُنْدٍ بل أجْناد.

وإذا شُيِّع بالدعاء عليه ، فقد خرج خلفَه كمِينٌ لا يَنْوِى له فيلْقاه ، ولا يراهُ فيتوقّاه.

ولن يغلِب عسكرٌ واحدٌ عسكريْن من الدعاء والأعداء ، ولن يسلَم مَن أعْوزَ ظهرَه مِجَنُّ الضعفاء ، ولن يُنصرَ فى الأرض مَن حُورِب من السَّماء.

* * *

ومن نُتَفِه قوله فى إفرنْجى :

بِرُوحِيَ ظَبْيٌ فاتِرُ الطَّرْفِ أحْوَرٌ ... رَنَا فرَمَى قلبِي بسهْمٍ من الغُنْجِ (٢)
أبتْ مُهْجتِي الإشْراكَ فيه وقد غدَا ... يَرَى شِرْعةَ التَّثْليثِ واضحةَ النَّهْجِ
فياقومُ هل فيكُمْ مُعِينٌ على الأسى ... وهلْ من طريقٍ من قطيعتِه تُنْجِي
فقد سامَنِي فى الحبِّ مالا أُطِيقُه ... وأوْقعنِي من زاخِرِ الصَّدِّ فى لُجِّ
وبرَّح بي حتى لقد رَقَّ عُذَّلِي ... ورَقَّ لحالِي مَن أضْحَى بقبضةِ إفرنْجِي (٣)

* * *

وكتب إلى صديقٍ له تمرَّض (٤) بالحُمَّى (٥) :

أنا مُذْ قِيلَ لى بأنَّك تشْكو ... ضَرَرَ حَالَكَ زاد بى التَّبرِيحُ (٦)
أنت رُوحِي وكيف يَلْقَى سَلِيمًا ... جسدٌ لم تصحَّ فيه الرُّوحُ

* * *

---

(١) فى ب : «بعداد» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : «بروحى ظبـ .. تر» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : «رق عاذلى» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : «تمارض» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : «فى الحمى» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ا : «زارنى التبريح» ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله :

إنْ أصبحَ الوَغْدُ يعلو فوق منزلتي … من غيرِ ماسببٍ يَقضِي بترجيحِ

فالنَّقْعُ يعلو على بِيضِ الكُماةِ كما … علاَ الدُّخانُ على النِّيران مَعْ رِيحِ

* * *

أخذه من قول الآخر (١) :

إن يقعُدوا فوق لغيرِ نَزاهةٍ … وعُلوُّ مَرْتبةٍ وعِزِّ مكانِ (٢)

فالنَّار يعلوها الدُّخانُ وربَّما … يعلو الغبارُ عمائمَ الفرسانِ

* * *

وله :

أشكو إلى اللهِ لا أشكو إلى أحدِ … ماانابني من صديقٍ يدَّعِي الرَّشَدَا

صافيْتُه مِن ضميرِي وُدَّ ذِي مِقَةٍ … فاعتَضْتُ عنه بِمَذْقٍ باللِّسانِ غدَا

فعُدتُ مِن بعدِه والدَّهْرُ ذُو عجبٍ … لا أصْطَفِي في الورَى لي صاحباً أبدَا

* * *

وله في الشيخ محمد الجواد (٣) الكاظميّ :

جرَى في حَلْبةِ العَلْياءِ شَوْطاً … بِسَعْيٍ ماعَدا سَنَنَ السَّوادِ (٤)

ففَاتَ السَّابِقين إلى المعالِي … وما هذا بِبِدْعٍ مِن جَوادِ

* * *

وله في إثبات التشوّق ، وحزن التفرّق ؛ وفيه التّفريع ، من أنواع البديع :

وما ظَبْيةٌ قد بانَ عنها وليدُها … فضاقتْ بها الغَبراءُ ذَرْعاً وبِيدُها

---

(١) في ا : « الأخرم » ، والتصويب من : ب ، ج . (٢) في ب : « إن يقعدوا فوق » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٤) في ا : « ليسعى ما عدا سنن السواد » ، والمثبت في : ب ، ج .

وهامَتْ بمـا لاقَتْهُ من حَرِّ وَجْـدِها ... وراحَتْ فلا تدْرى إلى أين عَوْدُها
تَجوبُ الفيافِى فى الهَجيرِ فلا تَرَى ... أنِيساً بهـا يَبْـدو سِوَى مَن يُعِيدُها
بأحْزَنَ منِّى حين سارتْ مَطِىُّ مَنْ ... أُحِبُّ وروحِى فى يَدَيْه وجُودُها

* * *

وله :

يقولون فى العَنْيون أفْرَطْتَ رَغْبَـةً ... وليس بشىءٍ تَقْتَنِيه وتَخْتارُ
فقلتُ لهم ماذاكَ إلَّا لأنَّه ... مُضاهِىَ لا تَنْفَكُّ فى قَلْبِـه النَّارُ

* * *

ومن غَزَليَّاته قوله :

رُوحِى الفِـداء لشَادِنٍ ... ذِى نَفْرَةٍ فى زِىِّ آنِسْ
سَلَبَ الجُفونَ رُقادَها ... وأثارَ فى القلْبِ الوَساوِسْ
وأعارَ مِن سُقْمِ اللحاظِ ... لجِسْمِىَ المُضْنَى الوساوِس»(١)
وَيْلاىَ من حَسَوِّ القوا ... مِ إذا بدا كالغُصْنِ مائِسْ
وإذا رَنـا فالبِيضُ تَشْـ ... ـهَدُ فِعالَ هاتِيكَ النَّواعِسْ
يالائِمـاً يرْجُو سُلُوَّ ... فَتًى له جُنَّتْ هَواجِسْ
خَفِّضْ عليـك فإنَّنِى ... مُغْرًى لثَوْبِ السُّقْمِ لابِسْ
أنَّى سُـلُوُّ مُتَيَّمٍ ... من رُوحِهِ فى الحب آيِس»(٢)
يَجِدُ المَـلامَ ألَذَّ مِن ... صَدِّ الذى بالوَصْلِ شامِسْ
لَهَفِى على زمنٍ لنـا ... يُهْدِى المُناسِبَ والمُجانِسْ
أيَّامَ كنتُ وغُصْنُ وُدِّ ... ى أخْضَرٌ والصَّدُّ يابِسْ

---

(١) فى ب ، ج : « لجسمى المضنى الدسائس » ، والمثبت فى : ا .   (٢) فى ب : « إنى سلوت . . . فى الحب آيس » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومناهِلُ اللَّذَّاتِ صـا ... فِـيةٌ وَرْدُهامَعَ كلِّ كانِسْ[١]

والدَّهرُ طَلْقٌ والشَّبِيـ ... بَةُ غَضَّةٌ والرَّبْعُ آنِسْ

والرَّاحُ دَارَ فلا تَسَـلْ ... ماحَـلَّ فى تلك المجالِسْ

***

وله بعد مابَعُد عن أوْطانه ، مُتذكِّرًا عَهْدَ مَنْشئه وقُطَّانه[٢] :

فُؤادُ الْمُعَنَّى بالتَّباعُـدِ مُودَعُ ... بحَىِّ الذى يهْوَى فلُومُوهُ أو دَعُوا[٣]

فَفِي قلبِـه مِن لاعِجِ الوجْـدِ شاغِلٌ ... وليس له فى العَيْشِ بالْبُعدِ مَطْمَعُ[٤]

يَوَدُّ بأن يقْضِي ولم يقْضِ ساعـةً ... له بالنَّوَى لو كانَ ذلك ينْفَعُ

وما باخْتيارٍ منـهُ أصبحَ نازحًا ... وماذا الذى فيما قضى البَيْنُ يصْنَعُ

سَأشْكُو من البَيْنِ الْمُفرِّقِ بيْننا ... إلى اللهِ عـلَّ اللهُ للشَّمْلِ يجْمَعُ

لجِسمى نحيلٌ مُـذْ نأى مَن أوَدُّهُ ... وعيْنِى لطُولِ البُعْدِ لم تكُ تَهجَعُ[٥]

فـلو عادَنى العُوَّادُ لم يَهْدِهِمْ إلى ... مَـكانِى سوى مَا مِنْ أنِينِىَ يُسْمَعُ

ولو عاد مَن أهْوَى لعادتْ به القُوَى ... لجِسمٍ بأثوابِ الضَّـنَى يتلفَّعُ

فياليْتَ شِعرِى هل أراهُ ولو كَرًى ... وهل ذلك الماضى من العَيْشِ يَرْجِـعُ

وهل عَلِمَ الأحْبـابُ أنِّى مُفارِقٌ ... حُشاشَةَ نَفْسٍ ودَّعتْ يومَ ودَّعُوا[٦]

---

(١) فى ب ، ج : « صا * د ف وردها » ، والمثبت فى : ا .   (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٥١ ، وذكر المحبى أنه مدح بهذه القصيدة النجم الحلفاوى الحلبى ، وأرسلها إليه من دمشق إلى حلب .

والنجم الحلفاوى هو مصطفى بن محمـد ، نجم الدين ، وسيترجمه المؤلف فى قسم حلب ، وسيأتى برقم ١٣٥ .

(٣) فى ب ، ج : « فى التبـاعد مودع » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .   (٤) فى ب : « ففى قلبه تاق من الوجد شاغل » ، وفى خلاصة الأثر : « فى قلبه شغل من الوجد شاغل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : « مذنأى من أحبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٦) فى خلاصة الأثر : « وقد علم الأحباب » . وعجز هذا البيت صدر بيت لأبى الطيب (ديوانه ٢٢) ، هو قوله :

حُشاشَةُ نفسٍ ودَّعتْ يومَ ودَّعوا ... فلم أدْرِ أىَّ الظَّاعنَيْنِ أُشَيِّعُ

وهل هُمْ على العهْدِ القديمِ الذى أنا   عليــــه مُقيمٌ أم لذلك ضيَّعوا

* * *

وله :

لابِدْعَ أن أضحَى الجهولُ يدّعِي   مكانتي ويدّعِي الترفُّعا
فالشمسُ أعلَى مفخرًا وقد غدا   مِن فوقِها كيوانُ أعلَى مطلَعا[1]

* * *

من قول ابن رَشيق[2] :

بحيثُ يهونُ المرءُ بأكرمِ ضِدِّه   وحيثُ هُبوطُ الشمسِ يُشرِقُ كيوانُ[3]

* * *

وله[4] :

رَعَى اللهُ أوقاتًا بها كنتُ أجهلُ الْ   فِراقَ وأيّامًا بها أُنكِرُ الجفا
تقضَّتْ كلَمْحِ العينِ أو زَوْرِ طارقٍ   أتَى مُسرِعًا أو بارقٍ فى الدُّجى خَفا[5]
وأُبْدِلْتُ منها فُرْقةً وتشتُّتًا   وبعدًا وهَجْرًا دائمًا وتأسُّفا
فيارَبِّ أنعِمْ باللقاءِ لمدنَفٍ   وإلّا فكنْ بالحتفِ يارَبِّ مُسْعِفا

* * *

وله[6] :

حَبانِي الوجــدَ والحُرَقا   وأودعَ مُقلتِي الأرَقا

---

(١) كيوان : زحل . القاموس (ك و ن) . (٢) أبو على الحسن بن رشيق القيروانى ، صاحب كتاب « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » ، أديب ، جليل القدر ، حسن الشعر ، توفى سنة خمسين أو ست وخمسين وأربعمائة .

إنباه الرواة ١/٢٩٨ ، شذرات الذهب ٣/٢٩٧ ، معجم الأدباء ٨/١١٠ .

وهذا البيت مما لم أجده فى ديوانه .

(٣) فى ب : « بحيث يكون المرء » ، وفى ج : « بحيث تموت المرء » ، والمثبت فى : ا .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٥٣ . (٥) فى خلاصة الأثر : « أو بارق فى الدجى خفا » .

(٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٤٩ ، ٥٠ .

وَرَوَّعَ بالجفا قلبًا بغَيْرِ هـــواهُ ماعلِقا

رَنَا بصَوارِمٍ خَـــذِمٍ تسَمَّتْ بينَنا حَــدَقا (١)

حَمَى أوْرادَ وَجْنتـــهِ بأسْـــودِ خالِهِ ووَقى

ولاحَ بواضِحٍ أضْحَى له شَمْسُ الضُّحَى شَفَقَا

له خَصْرٌ بألْحــاظِ الْ ورَى مازال مُنْتطِقَا (٢)

***

تمارض (٣) المُتَنَبِّيَ فى هـذا المعنى مع السَّرِيِّ الرَّفَّاء .

فبيتُ المُتَنَبِّيَ قوله (٤) :

وخَصْرٍ تَثْبُتُ الأحْداقُ فيــه كأنَّ عليـه من حَـدَقٍ نِطاقَا (٥)

وبيت (٦) السَّرِيِّ قوله (٧) :

أحاطَتْ عيونُ العاشقينَ بخَصْرِهِ فهُنَّ له دونَ النِّطـاقِ نِطاقَا

وكثيرٌ يظنُّون أن المُتَنَبِّيَ هو المخترع لهذا المعنى ، ولا يدرون أنَّه لعليِّ بن يحيى (٨) ، من أبيات تغنَّى بها :

وَجْهٌ كأنَّ البـــدرَ ليْلةَ تِمِّهِ منـــه استعارَ النُّورَ والإشْراقَا

وأرَى عليه حديقةً أضْحَى لها حَدَقِي وأحْـداقُ الأنامِ نِطاقَا

ونقله الشِّهاب الخفاجِيّ إلى العِذار ، مُضمِّنًا مِصْراعَ أبى الطَّيِّب ، وأجاد (٩) :

---

(١) خذم : سريعة القطع . (٢) فى ب : « ما زال ممتنقا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « معارضا قول » ، وفى ج : « معارض » ، والمثبت فى : ا . (٤) ديوانه ٢٧٩ ، وخلاصة الأثر ٤/ ٤٠٩ . (٥) فى الديوان : « تثبت الأبصار فيه » . (٦) من هنا إلى نهاية أبيات الشهاب الخفاجى الآتية ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٧) ليس فى ديوانه ، ولم أجده فى يتيمة الدهر ، وهو فى خلاصة الأثر ٤/ ٤٠٩ . (٨) أبو الحسن على بن يحيى المنجم ، الراوية ، الشاعر ، نديم المتوكل العباسى ، توفى سنة خمس وسبعين ومائتين .

معجم الأدباء ١٥/ ١٤٤ ، معجم الشعراء ١٤١ .

(٩) فى ريحانة الألبا ١/ ٣٣٨ أبيات قافية أخرى للشهاب الخفاجى ، ضمنها مصراع أبى الطيب .

عِـــذارُ خَطَّ فى الوجَناتِ خَطًّا ... حَـــوَى كلَّ الأنامِ به وَفَاقَا

تَرى الأبْصارَ شاخِصةً إليـه ... وماءُ الحسنِ فى خـــدَّيْه رَاقَا

تَصَوَّرَتِ العيونُ به فَمَشَى ... كأنَّ عليـه من حَدَقٍ نِطاقَا (١)

* * *

تتمة القصيدة :

فيالله مِـن بَدْرٍ غَـــدَا قلبى له أُفُقَا

ألا ياحَبَّـــذا زَمَنٌ حَظِيتُ به ونِلْتُ لِقَا

زَمانٌ لم أجِـدْ فيــــهِ لشَمْلِ الوصْـلِ مُفْتَرَقَا (٢)

أهِيمُ بسالفٍ حَالِكْ وأهْوَى واضِحاً يَقَقَا (٣)

تولَّى مُسْرِعاً عَنَقَاً ومَرَّ كطارِقٍ طَرَقَا (٤)

وطَبْـــعُ الدهرِ لا يَبْقَى على حالٍ وإن رَفَقَا

فكُنْ خِـــفُواً به فَرِداً وسِرْ فى الأرضِ مُنْطَلِقَا (٥)

وكُن جَـلْداً إذا ما الدهـ ـرُ أبدى مَشْرَباً رَنَقَا

* * *

وله من قصيدة ، أولها (٦) :

يالَيْتَهـــا إذْ لم تَجُدْ بوِصالِ ... سَمَحتْ بوعْدٍ أو بطَيْفِ خَيالِ

جَنَحتْ لِما رَقَشَ الوُشاةُ وَنَمَّقُوا ... مِن أنَّنى سَالٍ ولستُ بِسالِ (٧)

ومَدامِعِى لولا زَفِيرِى لم يكَدْ ... ينْجُو الورَى من سَحِّها المُتَوالِى (٨)

---

(١) لعل صحة الرواية : « تسورت العيون به » . (٢) فى ج : « زمانا لم أجد فيــه » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) اليقق : الشديد البياض . (٤) العنق : السير السريع . (٥) هذا البيت والذى بعــده ساقطان من : ب ، وهما فى : ا ، ج . (٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤ / ٥٠ . (٧) رقش الــكلام : زينه . (٨) فى ب : « لم يكن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وَنُحُولُ جِسْمٍ واحْتِمالُ مَكارِهٍ ... وسُهادُ جَفْنِي وادِّكارُ لَيالِي (١)

فإلى مَ أظْمأُ في الوَرَى ومَوارِدِي ... فيه سَرابٌ أو لُمُوعُ الآلِ (٢)

ولِمْ اخْتِيارِي عن فُؤادِي كلَّ مَن ... أَلْقَى وقَلْبِي عند ذاتِ الخالِ

* * *

أخذه ، (٣ ولم يحسن الأخذ ٣) من قول الباخَرْزِي (٤) :

قالتْ وقد فَتَّشْتُ عنها كلَّ مَن ... لاقَيْتُه مِن حاضرٍ أو بادِي

أنا في فُؤادِك فارْمِ طَرْفَكَ نحوَه ... تَرَنِي فقلتُ لها وأين فُؤادِي (٥)

* * *

هَيْفاءُ رَنَّحها الدَّلالُ فأخْجلتْ ... هِيفَ الغُصُونِ بِقَدِّها المَيَّالِ (٦)

في خَدِّها الوردُ الجَنِيُّ وثَغْرُها ... يَحْوِي لَذِيذَ الشُّهْدِ والجِرْيالِ (٧)

حَجَبتْ مُحَيَّاها الجميلَ بِبُرْقُعٍ ... كَرَقِيقِ غَيْمٍ فوق بَدْرِ كَمالِ (٨)

ونَضَتْ من الأجْفانِ بِيضَ صَوارِمٍ ... فَغَزَتْ بِهِنَّ ولم تُنادِ نَزالِ (٩)

* * *

وتنزَّه يوماً في روضٍ افْتَرَّتْ بواسِمُه ، وتعطَّرت نواسِمُه .

وتفتَّحتْ أزْهارُه ، ونطق بُلْبُلُه وهَزارُه .

فقال يصِفه :

ومَكانِ أُنْسٍ قد حَوَى من لُطْفِه ... مِن كلِّ وصْفٍ رائقٍ مُسْتَحْسَنِ (١٠)

---

(١) في ج ، وخلاصة الأثر : « وسهاد جفن » ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي ب : « وادكار ليال » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) الآل: السراب . (٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٤) الملتقط من ديوان الباخرزي ٢ ، والكشكول ٢/ ١١٠ ، وريحانة الألبا ١/ ٣٤ .

(٥) في الملتقط من ديوان الباخرزي : « فارم لحظك نحوه » ، والمثبت في الأصول ، والكشكول ، والريحانة . (٦) بعد هذا البيت في ب زيادة : « وله » ، والأبيات متصلة في : ا ، ج . (٧) الجريال : الخمر أو لونها ، وصبغ أحمر . (٨) في : ا « حجبت محياه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٩) في خلاصة الأثر : « نصرت بهن ولم تناد نزال » . (١٠) في ا ، ج : « رائق متحسن » ، والمثبت في : ب .

فالرِّيحُ تعبثُ في الغصونِ تمايُساً ... والطَّيرُ تشدُو باختلافِ الألسُنِ (١)
فـكأنَّهُ الفِردَوسُ أحرزَ صفْوَه ... أملُ النُّفوسِ ومُشتهَى الأعيُنِ (٢)

* * *

وله في الغزل :

مَن لي بهيفاءَ أذكتْ مِن تباعُدِها ... في القلبِ ناراً ولمْ تسمَحْ لمُضناها
وَاهاً لهـا من فتاةٍ إنْ رنَتْ فعلتْ ... ماليس يفعلُه الهِنديُّ عيناهَا

* * *

ومن جيِّده (٣) قوله (٤) في الخال (٤) :

قال لي مَن غـدَا إمامَ أولِي الفضْ ... لِ وربَّ المباحثِ الفلسفيَّه
إنَّ عنـــدي بُرهانَ حقٍّ على نَفْ ... يِ الهَيُولَى والصُّورةِ الجِسْميَّه (٥)
قلتُ ماهـــــو فقـال شامةُ خِبِّي ... قد غـــدتْ وهْيَ نُقطةٌ جَوْهَرِيَّه

* * *

قلت (٦) : هـذا جارٍ على رأْيِ المتـكلمين (٧) في الرَّدِّ على الحُكماء ، من أن إثبات النقطة يَستلزِم نفْيَ الهيُولَى والصُّورة ، وقد حاول مُحاولةً عجيبة .

ومثل هذا الاستعمال ـ (٨) أعني استعمالَ ألفاظ أهل الكلام والهندسة والنحو (٨) ـ ممّا قال فيه ابنُ سِنان الخفَاجيّ (٩) : يَنبغِي أن لا يُستعمَل في الكلام المَنظوم والمَنثور .

قال : لأن الإنسان إذا خاض في علمٍ ، وتكلَّمَ في صِناعة ، وجب عليه أن يستعمِل ألفاظ أهلِ (١٠) ذلك العلمِ وأصحابِ تلك الصِّناعة .

(١) في ب : « تعبث في الغصون موائسا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « أحرز وصفه » والمثبت في : ا ، ج . (٣) ساقط من : ب ، والمثبت في : ا ، وفي ج : « جيد » . (٤) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، والأبيات في خلاصة الأثر . (٥) الهيولى : جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه : كليات أبي البقاء ٦٩٠ . (٦) هذا القول أيضا في خلاصة الأثر ٤ / ٥٣ ، ٥٤ . (٧) في ا : « المتقدمين » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) مكان هذا في خلاصة الأثر : « من ذكر ألفاظ المتكلمين ونحوهم من المهندسين والنحويين » . (٩) سر الفصاحة ١٥٩ ، والمثل السائر ٤٦٣ . وقد تصرف المحبي بعض التصرف في عبارة ابن سنان الخفاجي .
(١٠) تكملة من سر الفصاحة .

ثم مثَّل ذلك بقول أبي تمام[١] :

مَودَّةٌ ذَهَبٌ أثمارُها شَبَهٌ   وهِمَّةٌ جَوهَرٌ معروفُها عَرَضُ[٢]

قال ابنُ الأثير ، في « المثل السائر »[٣] : وهذا الذي أنكره هو عَيْنُ المعروف في هذه الصناعة :

إن الذي تكرهون منه   هو الذي يشتهيه قلبي

فقوله : « إن[٤] الإنسان » إلى آخره ، مُسلَّمٌ إليه ، ولكنه شذَّ عنه أنَّ صناعة المنظوم والمنثور مُستَمِدَّةٌ من كل علمٍ وكلِّ صِناعة ؛ لأنها موضوعة على الخوض في كلِّ معنى ، وهذا لا ضابِط له يضبِطُه ، ولا حاصِرَ يحصُرُه[٥] .

وقال ابن المعتز ، في كتاب « البديع »[٦] : ومما يُعاب على الشُّعراء استعمالُ ألفاظ الحكماء ، كالكيمياء ، والسيمياء ، والهيولَى .

ولعله كان مَعيباً في الصَّدر الأوَّل ، لأنه لم يُؤلف استعمالُه ، وعلى أمثالنا لا يُعابُ ؛ لشيوعه ، بعد نقل[٧] كتب اليونان[٧] إلينا ؛ فإن اللفظ قد يُعَدُّ فصيحاً عند قوم دون آخرين .

ألا ترَى أن أبا هِلال[٨] قال في كتابه « الصناعتين »[٩] : الوحشيُّ يُعاب على القَرَوِيِّ دون البَدَوِيِّ ، الذي هو لُغتُه ؛ لأنه معروفٌ عندهم . وهذا مما أطاقه أربابُ المعاني فاحفظْه .

(١) ديوان أبي تمام ٢٠١ .   (٢) في ب ، ج : « مودة ذهبت » ، والمثبت في : ا ، والديوان ، والمصادر السابقة . والشبه : النحاس الأصفر .   (٣) صفحة ٢٦٣ : ٤٦٤ ، وخلاصة الأثر ٤/٥٤ .
(٤) في ج ، وخلاصة الأثر : « لأن » ، وهو يوافق ما تقدم من قول ابن سنان ، والمثبت في : ا، ب، وفي المثل السائر : « إنه يجب على الإنسان » .   (٥) انظر تتمة كلام ابن الأثير في المثل السائر ٤٦٤ ، فقد بسط القول وأجاد .   (٦) لم أجد هذا النص ، في « البديع » المطبوع .   (٧) في ب : « الكتاب اليوناني » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٧) في الأصول : « ابن هلال » ، وقد تكرر هذا في أثناء الكتاب .   (٩) انظر صفحات ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٥ .

١٢

يوسف البَديعيّ*

أديبٌ لِلبديع من الأوّل منسوب ، وواحدٌ بألفٍ من البديع محسُوب .

أطْلعَ الكلامَ باسِقاً ، ووافَى به دُرّاً مُتناسِقاً .

وكان خرَج من دِمَشْق وعودُه طَرِيّ ، وشرابُه سائغ مَرِيّ .

لم تتقشّعْ غمامتُه ، ولم تذبل[1] كِمامتُه .

وعلى قَدْرِ جمالِه ، رُزِق حظّاً من كمالِه .

فدخل الشّهْباء ، وناسُها أولئك النّاس ، وأوْقاتُها يومئذٍ تودُّدٌ وإيناس .

فتبَسّمت له خَلائقُهم عن شِفاه الصّباح ، وكأنّما هي الرّياض باح بسرّها نَفَسُ الصّباح .

وحسُن في أعْيُنِهم حُسْنَ الحوَر ، ووقع من قلوبهم وَقْعَ الوطَر[2] .

وما برِح أمرُه يرُوق ويحْسُن ، حتى خطَبَتْه القلوبُ وهتَفت به الألْسُن .

(*) يوسف المعروف بالبديعي ، الدمشقي .

خرج من دمشق في صباه ، وأقام بحلب ، حتى أدركته الشهرة في الفن والأدب .

وهو صاحب كتاب « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » .

يقول المحبي : إنه لما رأى كتاب « الريحانة » للخفاجي ، ألف كتابه « ذكرى حبيب » ، وإنه لا يعلم لهذا الكتاب إلا نسخة في الروم ، عند شيخه محمد عزتي ، ونسخة أخرى عنده .

ولي البديعي قضاء الموصل .

وتوفي سنة ثلاث وسبعين وألف ، بالروم .

إعلام النبلاء ٦/ ٣٣٥ ، وخلاصة الأثر ٤/ ٥١٠ ، هدية العارفين ٢/ ٥٦٧ .

(١) في ب : « ولا تبدل » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ا : « الوتر » ، والمثبت في : ب ، ج .

فصدَح بِشعره[١] مُترَنِّماً فى نادِيهم ، ونالَ بهم مغانِمَ مِن أيادِيهم .

وجلَب لهم دُرَّ الكلام ، فحَلَب منهم دَرَّ الكِرام .

ولمّا وافاهُم ابنُ الحُسام[٢] مُتوشّحاً بالقضاء ، وخليفةً للسَّيف فى المَضاء .

وله البَسالةُ التى تَقْتَنِص[٣] شَوارِدَ المعالى وتفترس[٤] ، والأرْيَحِيّةُ التى يحتمِى بها الأملُ من الخطوب ويحترِس .

ووَزَنَهُ بميزان الاخْتِبار ، فألفاه حَرِيّاً بالاعْتِبار .

فنوَّه به ، واعتنَى بأدَبِه .

ووَلِيَ الشّامَ فصحِبَه مُلتحفاً بالحظوة ، وواقِفاً مِن تقرّبِه بتلك الرَّبْوة .

ودخَل بعدَها الرُّومَ لخدْمتِه ، وتقلَّب دَهْراً فى خصائص نِعْمتِه .

وباسْمه ألَّف من كتُبِه ما ألَّف ، وجارَى فى حَوْمَةِ السَّبقِ من تقدَّمه فما تخلَّف .

وهو فى الأدب ممّن ملك للبيان عناناً ، وهصر من فنونه[٥] المتنوِّعةِ أفْناناً .

إن نثَر[٦] فما الدُّرُّ المنثور انفصم نِظامه ، أو نظَم فما اللُّؤلُؤ المشهور نَسّقه نَظّامه .

وله فى[٧] الفوائد الفرائد ، ما تنتقيه لأوساطِ القلائد الخرائد .

وقد رأيتُ جملةً من بدائعِه فتنزَّهْتُ فى حدائق ذاتِ بَهْجةٍ ، وروَيْتُ ظمآن سمعى من[٨] فوائده و[٨] موارده العَذْبةِ اللَّهْجة .

* * *

(١) فى ب : « فى شعره » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) يعنى عبد الرحمن بن حسام الدين الرومى ، المفتى ، وسيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بالروم ، وسيأتى برقم ١٥٢ .

(٣) فى ا : « تقتضى » ، وفى ب : « يقتنص بهما » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ب : « ويفترس » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « فنونهم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى ا : « فى در » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ج : « من » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) زيادة من ب على ما فى : ا ، ج .

وها أنا أورِدُ له ما يُغازِلُ الجُفُونَ الوُسْنَ ، وتأْبَى محاسِنُه إلا أن تُذَكِّرَ بيُوسُفَ الحُسْنِ(١) .

(٢ فمن ذلك ٢) قوله(٣) :

رُوَيْداً هو الوَجْدُ الذى جَلَّ فادِحُهْ   وقد بعُدَتْ ممَّن أُحِبُّ مطاوِحُهْ(٤)

هوًى تاهَتِ الأفْكارُ فى كُنْهِ ذاتِهِ   ومِمَّنْ غَـــرامٍ عنه يعجِزُ شارِحُهْ

أَقِيكَ الرَّدَى هل أنتَ بالقُرْبِ مُنْجِدٌ   أخا دَنَفٍ لاحَتْ عليه لَوائحُهْ(٥)

مُعَنًّى رثَتْ أعْــــداؤُه لنُحُولِهِ   ورَقَّ له ممَّا يُقاسِيه كاشِحُـــهْ

وليس له خِدْنٌ يُعِينُ على الأسَى   يُطارِحُه شَجْوَ الهوَى ويُطارِحُهْ

يُحاوِلُ كِتْمانَ الهوَى وجُفُـــونُه الْ   قَرِيحَةُ تُبْدِى ما أكَنَّتْ جَوانِحُهْ(٦)

خُطوبٌ أصابَتْه لَوَ أنَّ بعضَها   جَنِيناً دَرَى فى المَهْدِ شابَتْ مَسائحُهْ(٧)

رمَتْه يدُ الأيَّامِ عَمْداً وضاقَتْ عليــه بالتَّجنِّى فَسائحُهْ

خَلِيلَىَّ حُثَّا أيْنُقَ الرَّكْبِ فى ولا   تقُولا من الإدْلاجِ كَلَّتْ طَلائحُهْ

وعُوجا على الرَّكْبِ الذى قد جهِلْتُما   مَعالِمَــهُ تُبْدِيـــكُماهُ رَوائحُهْ

مَحَلٌّ إليــــه كُلُّ قلبٍ مُشَوَّقٌ   وتَسْتَوْقِفُ الأحْداقَ حُسْناً أباطِحُهْ

يظُنُّ به مَن جازَه حلَّ مَعْبَـــداً   إذا صَدَحَتْ فوقَ الغُصونِ صَوادِحُهْ(٨)

---

(١) فى ا : « وحسن » ، وفى ب : « فى الحسن » ، والمثبت فى : ج .   (٢) فى ب : « فمنه » والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) البيت الأول والثانى من القصيدة فى خلاصة الأثر ٤ / ١٠٥ .   (٤) فى ا : « الذى حل فادحه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ب ، ج وخلاصة الأثر : « ممن أحب مطارحه » ، والمثبت فى : ا .   (٥) فى ب : « كفيت الردى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ج : « أخا لهف لاحت عليه لوائحه » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٦) فى ا : « أحول كتمان الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) المسائح : جمع المسيحة ، وهى شعر جانبى الرأس .   (٨) معبد بن وهب المدنى ، مولى بنى مخزوم ، كان فى أول أمره يرعى الغنم لواليه فى المدينة ، ثم ظهر نبوغه فى الغناء ، فأقبل عليه الناس ، ورحل إلى الشام فارتفع شأنه ، واتصل بالأمراء والكبراء .

توفى سنة ست وعشرين ومائة .

الأعلام ٧ / ٢٦٣ .

سَقاهُ وحَيّاهُ الغَمامُ بوابلٍ ... تُباكِرُه أوْداقُه وتُراوِحُه
بهِ تَرَبا مَن لو بدا البدرُ في الدُّجى ... وأسفرَ في دَيْجُوره فهو فاضِحُه
جميلاً يُميزُ الشمسَ من نورِ وجْهِهِ ... وتُسْبى به من كلِّ حيٍّ مَلائحُه
جبيناً تُهابُ الأُسْدُ سَوْرَةَ وجْهِه ... ويخشاهُ من في الدِّرْعِ تَخْشى صَفائحُه(١)
يصدُّ مُعنّاهُ نهاراً وربّما ... يُوافيه ليلاً طَيفُهُ فيُصالِحُه
له مُقلتا ريمٍ وما شامَ غيرَهُ ... جَوارِحَها إلا وذابتْ جوارِحُه(٢)
إذا أوعدَ الهِجْرانَ وفّى وعيدَهُ ... وإن وعدَ المُشتاقَ فهو يُمازِحُه(٣)
وإن لامَني فيهِ عَذولي جَهالةً ... وقدْ طَلَّ مِن دَمْعي على الخدِّ سافِحُه
فلي عنه شُغلٌ بامْتداحي مُهذّباً ... تُزيِّنُ أبكارَ المعاني مَدائحُه(٤)

* * *

وقوله من قصيدة ، مطلعها :

هل للمتيَّمِ من نصيرِ ... ومُضامِ وَجْدٍ من مُجيرِ
أو مُسْعِفٍ لطليقِ دَمْعٍ وهو ذو لُبٍّ أسيرِ
دَنِفٌ يبيتُ وبين أحْـ ... ـشاهُ له نارُ السَّعيرِ(٥)
لم يلقَ إلا الشَّوْقَ والْـ ... ـوَجْدَ المُبرِّحَ من سَميرِ
ويرومُ إخفاءَ الهوى ... والحبُّ من بعدِ الظُّهورِ
أنّى وأدمعُه جرتْ ... في وَجْنتيه كالنُّهورِ

---

(١) في ا ، ب : « جبينٍ تهاب الأسد » ، والمثبت في : ج ، وفي ا ، ج : « سورة هجره » ، والمثبت في : ب . (٢) في ب : « إلا وذابت جوانحه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : « وافى وعيده » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا : « فلي عنه شغلي » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ب : « أبكار المعالي » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ا : « وبين أحـ* شاى .. » ، والمثبت في : ب ، ج .

يَرْعَى نُجومَ الليـلِ شَوْ ... قًا منه للظَّبْيِ الغَرِيرِ

رَشَأٌ كخُوطٍ في كَثِيـ ... ـبٍ تحتَ بدرٍ مُستنِيرِ

يَرْنُو فتفعَلُ بالعقـو ... لِ لِحاظُه فِعْلَ الخُمورِ

فتَنَتْ مَلاحةُ وجْهِه الْ ... وضَّاحِ رَبَّاتِ الخُدورِ

يَسْتوقِفُ الأحْداقَ إذْ ... يَبْدُو بمَنْظَرِه النَّضِيرِ

مهما نَسِيتُ فلستُ أنْ ... سَى ما مَضَى لي بالغُويرِ (١)

إذْ زار بعـدَ إطالةِ الـ ... ـهِجْرانِ في ليلٍ قصيرِ (٢)

ووَفَى بلا وَعْـدٍ وكَمْ ... وَعْـدٍ يُشابُ له بزُورِ

أحْيَى بزَوْرَتِه وقـد ... تلِفَتْ به رُوحُ المَزُورِ (٣)

وأدار أكْؤُسَـه على السَّـ ... ـكْرانِ من لَحْظِ المُدِيرِ

راحٌ يذَكِّرُنا بهـا ... عَهْدَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ (٤)

شمسٌ لهـا إشْراقُها ... وَقْتَ الهَجِيرِ بلا هَجِيرِ

ضَمِنَتْ وأوْفَتْ أنّهـا ... تَنْفِي الهُمومَ من الصُّدورِ (٥)

وتُعِيـدُ أوْقاتَ السُّرو ... رِ بغَيْرِ أوْقاتِ السُّرورِ

فوَحَقِّ ساحِرِ مُقْلَتَيْـ ... ـهِ وما تُكِنُّ من الفُتورِ

لم أشْتغِلْ مُذْ غاب عنـ ... ـه في العَشايا والبُكورِ (٦)

إلا بمَدْحِ المُصطفَى الْ ... مَنْعُوتِ بالحَسَبِ الخَطِيرِ

مَوْلَى خَزائنُ عِلْمِـه ... في صَدْرِه لا في الصُّدورِ

---

(١) الغوير : ماء بين العقبة والقاع ، في طريق مكة . انظر مراصد الاطلاع ١٠٠٦ . (٢) في ب : «بالليل القصير» ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ا : «ألفت به روح المزور» ، والمثبت في : ب ، ج.

(٤) الخورنق : قصر للنعمان الأكبر . والسدير : نهر بالحيرة ، ويقال : قصر فيه قباب متداخلة .

(٥) في ب : «ضمنت ووافت» ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : «لن أشتغل مذ غاب عنه» ، والصواب في : ب ، ج ، وفي ب : « في العشاء وفي البكور » ، وفي ج : « في العشاء والبكور » ، والمثبت في : ا .

فاقَ الأَوائِلَ بالعُــلَا ... والفَضْلِ فى الزمنِ الأَخِيرِ[1]
إن نَمَّقتْ كَفَّاهُ طِرْ ... ساً خِيلَ كالرَّوْضِ المَطِيرِ
تَمْســاً لِمَن جاراهُ فَهْ ... وَ بغيرِ شَــكٍّ فى غُرورِ
لم يَدْرِ أنَّ صِفــاتِه ... فى النّاسِ عَزَّتْ عن نَظِيرِ
لو كانَ ذا عقــلٍ لَمَا ... قاسَ الجَداوِلَ بالبُحورِ

***

وكان بينه وبين السَّيِّد موسى الرَّام حَمْدانِى[2] مُراجعات ، فكتب بعضُ الظُّرفاء عن لسانِه إلى السَّيدقصيدةً شهيرة ، كالشمس وقتَ الظَّهيرة ، واقتضى الأمرُ عدم إِخْباره بذلك ، فراجعه عنها بقوله[3] :

يادَيرَ سَمْعــانَ ذَكَّرْتَنِي ... رُسومُكَ الدُّرْسُ الدَّرِيسا[4]
أَوْدَتْ بسُكّانِكَ اللَّيالِي ... ولم تَدَعْ منهم أَنِيســا
فــلا أَغَبَّتْكَ غادِياتٌ ... ولا عَدَتْ رَبْعَكَ الدَّرِيسا[5]
والنــاسُ مثلُ الرُّسومِ إِلَّا ... إذا جَنَوْا فاخِراً نَفِيســا[6]

فكتب إليه البَدِيعِىّ هذه القصيدة :

ليس إِلَّا بالقُرْبِ مابِكَ يُوسَى ... مِن جَوًى دُونَه يُذِيبُ النُّفوسا[7]

---

(١) فى ب : « والفضل بالزمن الأخير » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ج : « السيد محمد موسى الرام حمدانى » ، وهو خطأ صوابه فى : ا ، ب ، وسيترجمه المصنف ، فى القسم الخاص بحلب ، وسيأتى برقم ١١١ ، والرام حمدانى نسبة إلى رام حمدان : من قرى حلب . خلاصة الأثر ٤/٤٣٥ . (٣) نقل المحبى هذا أيضا عن البديعى ، فى خلاصة الأثر ٤/٤٣٧ ــ ٤٣٩ . (٤) دير سمعان : دير بنواحى دمشق ، فى موضع نزه ، وبساتين محدقة به ، وعنده قصور ودور . معجم البلدان ٢/٦٧١ .

والدريس : الثوب البالى ، وهو يقع على الدرع أيضا . ويعنى به كل بال يذكره بأحبابه . انظر اللسان (درس) ٦/٧٩ .

(٥) فى خلاصة الأثر : « فلا أغبتك غانيات » ، والدريس هنا بمعنى المدروس ، فعيل بمعنى مفعول .

(٦) فى خلاصة الأثر : « إذا حبوا فاخرا نفيسا » . (٧) فى ا ، ج : « بالقرب بابك » ، وفى خلاصة الأثر : « ليس إلا بالقلب » ، والمثبت فى : ب ، وفى ب : « دونه مذيب النفوسا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

قد سقتكَ الأيامُ خمرةَ وَجْدٍ ... وأدارت مِن البعادِ كؤوسا
بَعُدتْ عنكَ مَن تُحِبُّ وهذا الدَّ ... هْرُ يُولِي الفتى نعيما وبُوسا
أينَ أوقاتُكَ التي كنتَ فيها ... لم تَبِتْ مِن رضا حبيبٍ يَؤُوسا
حيثُ يسقيكَ خَنْدَرِيسا حبيبٌ ... رِيقُهُ العَذْبُ يَزْدَرِي الخَنْدَرِيسا (١)
ذو قوامٍ ما ماسَ في الرَّوْضِ إلَّا ... عَلَّمَ الغُصْنَ قَدُّه أن يَمِيسا
طالما زارَ في الدُّجى وثُراهُ ... تُحاكِي في المَغْرِبِ الإنكِيسا (٢)
غَلَسًا خوفَ لائمٍ والذي يكْـ ... تُمُ وَصْلًا يُحاوِلُ التَّغْلِيسا (٣)
فسقى عهدَهُ بجِلَّقَ عَهْدُ الدَّ ... مْعِ من مُقْلَتِي ورَبْعًا أنيسا
بَلْدَةٌ ما ذكرتُها قطُّ إلَّا ... حَرَّكَ الشَّوْقُ مِن غرامي رَسِيسا (٤)
واستهلَّتْ مَدامِعِي كالغوادِي ... وغدا القلبُ مِن جَواهُ وَطِيسا
مُنْذُ فارقتُ أهلَها لم يَطِبْ لي ... صَفْوُ عيشٍ يَحْبُو نَدِيمًا سَؤُوسا (٥)

منها :

مِن أُناسٍ زَكَوْا أُصولًا وكانوا ... مِن أُناسٍ نَمَوْا وطابوا غُرُوسا (٦)
نَصَرُوا دِينَ رَبِّهِمْ بِمَواضٍ ... كم أذَلَّتْ جَحافِلًا وخَمِيسا
تَقِفُ النَّاسُ هَيْبَةً ووَقارًا ... بِحِماهُمْ إذا رأوْهُمْ جُلُوسا
أذْهَبَ اللهُ عنهمُ الرِّجْسَ والفَحْـ ... شاءَ دُونَ الأنامِ والتَّدْلِيسا (٧)

* * *

(١) في ا ، ب : «حيث يسقيك خندريس حبيب» ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر . والخندريس : الخمر . (٢) في القاموس (ن ك س) : والمنكوس في أشكال الرمل الإنكيس . (٣) في ج : «غلسا» بفتح الغين واللام المشددة المكسورة . (٤) في ا : «حرق الشوق» ، والمثبت في : ب ، ج . ورسيس الغرام : بقيته وأثره ، أو أوله . (٥) في خلاصة الأثر : «صفو عيش ولا نديم سئوسا» .
(٦) في ج : «من أناس زكوا وطابوا غروسا» ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
(٧) في خلاصة الأثر : «دون الأنام والتدنيسا» .

وبعد أن رأى هـــذه القصيدة المنحُولة ، أخذه ما أقامه وأقعده ، وملــكهُ ما أزعجه وأ كمده .

ولم يبقَ أحدٌ إلا زاره واشتكى ، وزأر [١] وبكى .

فكتب إليه معتذراً :

مَالِمُوسَى الشَّرِيفِ أصبحَ يُبْدِى ‏ ‏ بعد ذاكَ الإقبالِ هَجْرِى وَصَدِّى

ما كَفَى أنَّهُ أرادَ لى الكَيْـ ‏ ‏ ـدَ مِراراً ولم يَنَلْ غـيرَ وَجْدِ

زَارَ دارَ النَّقيبِ ذِى الفضْلِ مَنْ أوْ ‏ ‏ صافُهُ الغُرُّ ليس تُحْصَى بِعَدِّ [٢]

ذِى المَعالِى والمكْرُماتِ حِجازِى ‏ ‏ مَنْ غَدَا فى الأنامِ من غَيْرِ نِدِّ [٣]

سيِّدٌ جــودُه لو اقتسمَتْهُ النَّا ‏ ‏ سُ طُرًّا لم تلْقَ طالِبَ رِفْدِ [٤]

الجليلُ الشَّهيرُ بابْنِ قَضِيبِ الْـ ‏ ‏ ـبانِ لا زال لِلْوَرَى بَدْرَ سَعْدِ

واشتكى عنده وذمَّ ولـكنْ ‏ ‏ ذَمُّ مِثْلِى مِن مثْلِه ليس يُجْدِى

شاتِمًا مِلْءَ فِيهِ فى مَعْرِضِ الهَزْ ‏ ‏ لِ وَوَاللهِ لم يرُمْ غَــيْرَ جِدِّ [٥]

مُسْبِلاً دَمْعَــهُ كأنَّ حبيباً ‏ ‏ بعد قُرْبٍ رَماهُ منه بِبُعْدِ [٦]

مُبدِياً من حَرارةِ القَهْرِ ما لَوْ ‏ ‏ حلَّتِ الكوْنَ لم يكُنْ كُنْهَ بَرْدِ

وبدا مُغْرَماً كأنْ بِشَتْمِى ‏ ‏ آدَمِىٌّ غَدا بصُورةِ قِرْدِ [٧]

والَّذِى أوْجَبَ التَّخاصُمَ أنِّى ‏ ‏ كنتُ قِدْماً منَحْتُه صَفْوَ وُدِّى

ثُمَّ كَلَّتْ قَرِيحتِى عن مَدِيحٍ ‏ ‏ فاسْتعارَتْ له حَدِيقةَ حَمْدِ [٨]

---

(١) فى ب : « وزاد » ، وفى خلاصة الأثر : « وحياه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى خلاصة الأثر : « زار دار النقيب ذو الفضل » . (٣) فى خلاصة الأثر : «من غير ضد» . (٤) فى خلاصة الأثر : « لم تلف طالب رفد » . (٥) فى ا : «غير وجد» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى خلاصة الأثر : « بعد قرب منه رماه ببعد » . (٧) فى ا : « كان يشتمى * آدميا » ، وفى خلاصة الأثر : «وبدا مغرما هناك يشتمى * آدمي ... » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٨) فى ا،ب: « حديقة حمدى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

وَرَآهَا مِن بَعْدِ حَوْلٍ وشَهْرَيْـ ... ـنِ بدَرْجٍ قد كان مِن قبلُ عندِى

فَبَدا منـــــه ما بَدا وسَقانِى ... وتَحَسَّى من أكْؤُسِ الذَّمِّ وِرْدِى[1]

وعَلَى كلِّ حالةٍ سيِّدُ الأحْـ ... ـكامِ أرْجُو وما سِواهُ تَعَدِّ

* * *

ولمّا دار هذا القول ، وهدَر القومُ فيه هدْرَ الشَّوْل .

كتب السيد أحمد بن النَّقيب[2] يُداعِب البَديعِيّ بهذه الأبيات ، المخْصوصة هنا بالإثبات .

وهى قوله :

مَوْلاىَ يُوسفُ إن يقولُوا سارِقٌ ... للشِّعْر فاحْذَرْ أن تضيقَ وتَضْجَرَا

هذا نَبِيُّ اللهِ يوسُفُ قيلَ قَدْ ... سرق الصُّواعَ وكان قَوْلًا مُفْتَرَى

لكَ من فَرائدِكَ الشَّوارِدِ شاهِدٌ ... عَدْلٌ يرُدُّ الخصْمَ عنكَ مُحيَّرَا

فإذا تَناشَدَها العُداةُ وأبصَروا ... مِن حُسْنِها ما لم يكُنْ مُتَسَتَّرَا

ذَهِلُوا عن الأيْدِى ولكِنْ قطَّعُوا ... أكْبادَهُنّ تلَهُّفًا وتحسُّرَا

* * *

ولِلْبَديعِيّ يُودِّع ابن الحُسام[3] ، حين فارق الشّام ، بعد انْفِصاله عن قضائها[4] ، وتوجُّهِ إلى مرْكزِ عِزِّه ، ويعْتذِر إليه عن تخلُّفِه عنه[5] :

أُحاشِيه عن ذِكْرِى حديث وداعِــه ... وأُكْبِرُه عن بَثِّهِ وسَماعِــهِ[6]

---

(١) فى خلاصة الأثر : «وتحسى من أكؤس الدم دردى» . (٢) يعنى السيد أحمد بن محمد ، المعروف بابن النقيب ، وسيترجمه المؤلف ، فى القسم الخامس بحلب ، وسيأتى برقم ١١٥ .

(٣) تقدم التعريف به فى صفحة ٢٠٣ (٤) فى ا : « قضاياها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) الأبيات الستة الأولى فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٥ ، خلاصة الأثر ٤/٥١٠ .

(٦) فى ب : « وأكبره عن بشره » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « عن بثـه واستماعه » .

وما كان صَبْرِي عند وَشْكِ النَّوَى على الْ ... جَوَى غير صَبْرِ الموْتِ عند نِزاعِهِ

ونحنُ بأُفْقِ الشَّامِ في خِدْمَةِ الَّذِي ... يَضِيقُ الفضا عن صَدْرِهِ واتِّساعِهِ (١)

أَجَلُّ حُمَــاةِ الدِّينِ وابْنُ حُسامِهِ ... وحَامِي حِمَى أرْكانِهِ وقِطَــاعِهِ

عَشِيَّةَ تَوْدِيعِ المَـآثِرِ والعُـــلَى ... وكلُّ فَخارٍ للوَرَى في رِباعِــــهِ (٢)

وماسِرْتُ عن وَادِي دِمَشْقَ ولم يَسِرْ ... وسُــؤْدُدُهُ في مُدْنِهِ وضِياعِهِ

سِوَى أَنَّنِي لا أرْتَضِي أن أرَى بِهِ ... سِواهُ على أعْيـــانِهِ ورِعَاعِهِ

فأيُّ فُؤادٍ بعد يَوْمِ رَحِيلِـــهِ ... غَدَا سالِمًا من وَجْـدِهِ وانْصِداعِهِ

فيا أيُّها السَّارِي عن الشَّامِ بعدَمَا ... ثَوَى عَدْلُه في قاعِهِ وبِقاعِــهِ

ويا قادِمًا بل راحِــلًا عن بِلادِنا ... وفي كلِّ أرْضٍ نَــيِّرٌ من شُعاعِهِ

فلا تَنْسَ عبدًا نازِحًا شاعَ ذِكْرُهُ ... إلى بابِكَ السَّامِي عَــلَا بانْقِطاعِهِ

ومَن كان للأُسْدِ الضَّوارِي انْتِماؤُه ... لَه غُنْيَةٌ في دَهْرِهِ عن ضِباعِهِ (٣)

وأنتَ الذي نَوَّهْتَ من قبلُ باسْمِهِ ... وأبْقَيْتَ ذِكْرًا خالِدًا باصْطِنــاعِهِ

***

وله من قصيدة ، يمدح بها النَّجْمَ الحَلْفَاوِيّ (٤) ، مطلعها :

أَتَى زائرًا وَهْنًا ولم يَخْشَ عاذِلا ... ونورُ ذُكاءِ الأُفْقِ سارَ مَراحِلَا

وجادَ بِما لو رُمْتُه من خَيالِهِ ... لكانَ لما أُولَى مِن الوَصْلِ باخِلَا

حبيبٌ لَوَ انَّ البدرَ أصبحَ حائزًا ... ضِياءَ مُحَيَّاهُ لما زالَ كامِــلَا

رَشِيقٌ كخُوطِ الخَيْزُرانِ ما انْثَنَى ... وما مالَ إلّا وانْثَنَى القلبُ مائلَا

يُحَرِّكُ بالأعْطافِ أجْنِحةَ الهوَى ... إذا حرَّكتْ من فوقِهِنَّ الغلائِلَا

---

(١) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « عن صدره باتساعه » . (٢) في ب : « وكان فخار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب : « له عيشة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) تقدم التعريف به ، في صفحة ٢١١ .

فبتُّ أعاطيه سُلافَ مُدامةٍ تَرُدُّ الدَّياجي من سَناه أصائلاَ (١)
إذا بزَغتْ من راحتيه بدا من السـ ـرور لنا ما كان من قبلُ آفلاَ
إلى أن تَضا ثوبَ الشباب الدُّجى وقد غدت زُهْرُه إلا قليلاً أوافلاَ
وذو الرَّعَثاتِ الحمرِ هبَّ كأنما عليه ضياء الفجرِ شامَ مَناصلاَ (٢)

* * *

الرَّعَثات : جمع رَعْثة ، ورَعْثة الدِّيك عثنونه .

قال الشاعر (٣) :

* من صوتِ ذي رَعَثاتٍ ساكِنِ الدارِ *

* * *

فكبَّر مولاهُ وهلَّل إذ رأى هزيعَ الدُّجى الزَّنجيِّ أدبر راحلاَ
وقام بجيشٍ من ذويه كأنه وإياهم كسرى يحثُّ القبائلاَ (٤)
على قُضُبِ العِقيانِ يمشي مجلّيا جلابيبَ مثلَ الرَّوضِ مازال حافلاَ (٥)
فسرْنا إلى نادٍ رحيبٍ سماؤه تريكَ بدوراً مُشرقاتٍ كواملاَ (٦)
إلى منزلٍ للأُنسِ فيه منازلٌ بهنَّ غدا حُسْنًا يفوقُ المنازلاَ (٧)
حكى دَنُّنَا أحشاؤه قد تضرَّمتْ بنارِ الأسى لو كان يشكو البلابلاَ

---

(١) في ا : « ترد الدياجي من ثناه » ، وفي ج : « ترد الدياجي من ضياه » ، والمثبت في : ب .
(٢) في ب : « شام مناضلا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) هو الأخطل ، وهذا عجز بيت له ، صدره :

* ماذا يؤرِّقني والنومُ يعجبني *

الحيوان ٢ / ٣٤٦ ، واللسان (رعث) ٢ / ١٥٢ ، ومحاضرات الراغب ٢ / ٣٠١ ، ومعجم مقاييس اللغة ٢ / ٤١٠ .
(٤) في ب : « من ذويه كأنما » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : « يمشي مجليا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب : « فسرنا إلى واد » ، والمثبت في : ا ، ج . (٧) في ب : « للأنس فيه نوازل » ، والمثبت في : ا ، ج .

به يُبْذَلُ الحسنَ المصُونَ لمن بِهِ ‏ وفى غـــيره لو كان ما كان باذلاَ
ترى جُذْرَه كالعاشقين من الجوى ‏ غداةَ النَّوى تبدِى دُموعاً هَواطِـلاَ
لقد شادَهُ نجمُ الهدايةِ واحـــدُ الْ ‏ أفاضِـلِ فى الشَّهْبـاء طَوْلاً ونائلاَ

منها فى المديح[1] :

وكم نَمَّقَتْ أفكارُه غَلَسَ الدُّجى ‏ رياضاً سقاها الفضْلُ طَـلاًّ ووَابِلاَ
حـدائقُ لم يكْسُ الهجيرُ نَظيرَها ‏ ذُبُولاً وقـد تلْقى الرياضَ ذَوابلاَ
عَرائِسُ تلْقاها بضافِى ثِيابِهـا ‏ فإنْ لاَحَ مافيهنَّ قلْتَ ثَواكِلاَ
تُجِيبُكَ عمّا رُمْتَ وَهْىَ صَوامِتٌ ‏ ومَن ذا رأى خُرْساً تُجيب المسائلاَ
بدائعُ فِـكْرٍ للأَواخِرِ وَطَّـدتْ ‏ محاسِنَ ذِكْرٍ تستقِلُّ الأوائلاَ

ألمَّ فى هذه القطعة بقول السَّرِيّ الرَّفَّاء ، فى وصف الكتب[2] :

عِنْدى إذا ما الرَّوضُ أصْبَح ذابلاً ‏ تُحَفٌ أغضُّ من الرياض شمـــائلاَ
خُرْسٌ تُحـــدِّثُ آخِراً عن أوَّلٍ ‏ بعجائبٍ سَلَفتْ وكُنَّ أوائلاَ[3]
سُقِيتْ بأطْرافِ اليَراعِ ظهورُها ‏ وبطونُها طَلاًّ أجمَّ ووابِـــلاَ[4]
وتُريكَ ماقدْ فاتَ مِن دَهْرٍ مَضَى ‏ حتَّى تراه بعَيْنِ فِكْرِكَ مائِـــلاَ

* * *

وله فى الشَّيْب :

يقولُ لِيَ الشَّيْبُ وقـــد راعَنِى ‏ منه سَنًا قد أبادنى الوَسَنَــا

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، ويأتى فى ب عقيب البيت الآتى .

(٢) ديوان السرى الرفاء ٢١٣ ، ٢١٤ . ‏ (٣) رواية الديوان :

خُرْسٌ تحدِّثُ آخِراً عن أوَّلٍ ‏ بعجائبٍ سَلَفتْ ولَسْنَ أوائلاَ

(٤) فى ا : « وبطونها طلا أتم ووابلا » ، وفى ب : « وبطونها طلا أجم ووابلا » ، والمثبت فى : ج ، والديوان ، وبعد هذا البيت فى الديوان :

تلقاكَ فى حُمْرِ الثياب وسُودِها ‏ فتخالُهنَّ عرائساً وثَواكِلاَ

إلى مَ لا تَرْعَوِى ألستَ تَرَى ‏ ‏ ‏ ‏ قد لبستْ كلُّ شعرةٍ كَفَنَـــا

* * *

وله فيه أيضا :

وسائلةٍ حالى وقــدْ وَدَّعَ الصِّبا ‏ ‏ ‏ ‏ ولاحتْ نجومُ الشَّيْبِ فى الرَّأْسِ تَزْهَرُ

وما حالُ مَن يَغْدُو ومِن فَوْقِ رأْسِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ مدى عُمْرِهِ لا زالت البيضُ تُشْهَرُ (١)



(١) فى ب : « ما زالت البيض » ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٣

محمد بن نور الدين الشهير بابن الدرا [*]

هو لمشامّ الأرْواحِ شَمَّامة ، وكأنّه زَهْرةٌ تفتّحتْ عن كِمَامَة .

بَزَغ في[1] أُفق دِمَشْق وبِها برع ، وما أحقّقه[2] إلّا في بَحْبوحةِ التّرفِ تَرَعْرَع .

فمرَّةً يتشبّه بالبدْرِ إذا أقْمر ، وتارةً يتمثل بالغُصنِ إذا أثْمَر .

وهو في لطف الشّمائل ، بمثابةِ نَوْرِ الخمائل .

تَرقْرق عليه ماءُ القبُول ، فنظَم ماهو أرقُّ[3] من نَسيمِ القبُول[4] .

وشِعْرُه يكادمن كَثْرةِ مائه يتقطَّر ، ويكادُ القلبُ من غَرامياتِه يتفطَّر .

ولأجْل أنّه من أشْعارِ الصِّبَا ، وهي كما قيل : « التّمْرُ باللِّبأ »[5] .

رَقّ رِقّةَ دِينِ الفاسِق ، وشَقَّ عليه قلْبُ العاشِق .

وأنا من منذ وَلِعتُ بالشّعرِ ، وساومتُ منه في سُوقِ الرّقيقِ كلَّ غالي السّعْر .

شَغِفتُ به وبشِعْرِه شَغَفَ المحبِّ بمن يُحِبّ[6]

(*) محمد بن نور الدين ، المعروف بابن الدرا ، الدمشق ، الشافعي .

ولد سنة ثمان وعشرين بعد الألف .

وقرأ العربية على النجم محمد بن يحيى الفرضي ، وحضر دروس النجم الغزي ، وكان قد حضر قبل ذلك دروس الشيخ عبد الرحمن العمادي .

رحل إلى القاهرة ، وحج وجاور بمكة ، وفي مكة ألف شرحا على « سقط الزند » لأبي العلاء المعري ، لم يتمه .

وكان مغرما بالجمال ، كثير الهيام والتعشق ، ولذا رق شعره ، وعذب موقعه .

توفي سنة خمس وستين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/٢٤٩ .

(١) في ب ، ج : « من » ، والمثبت في : ا . (٢) في ب : « تحققته » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا : « راق » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) القبول : ريح الصبا . (٥) اللبأ (كعنب) : أول اللبن . القاموس (ل ب أ) . وانظر دمية القصر ١/٨٠ ، تحقيق . (٦) في ا : « شغفت به . . . لمن يحب » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ب : « به ونحبه » ، والمثبت في : ا ، ج .

أتفكّه بيانع ثمره ، وأعدّه من ليلى ومن سمره .

وقد أتيت[1] منه بما أسال[2] في[3] وجنة[4] الدهر غرّة ماء الحسن فيها[5] مترقرق ، وحسبك من شعر إذا ما غنّي به النبت الهشيم يورق .

فمنه قوله من قصيدة ، مطلعها :

ساقٍ أغنّ وروضة غنّاء ... ومدامة كرخيّة صهباء
يسعى بها طوراً ويجلس تارةً ... فيديرها من لحظه الإيماء
رشأٌ تجاذبت المحاسن خلقه ... حتى لودّت أنّها أعضاء
خطّار قامته الرطيبة ما انثنى ... إلا استلذّت فتكة الأحشاء[6]
وشموس طلعة حسنه مذ أسفرت ... جحدت أفول عقولها العقلاء
في جنح طرّته وصبح جبينه ... نعم الصباح وحبّذ الإمساء
أفديه إن أخذ الطلا منه وقد ... دعت الكرى أجفانه الوطفاء
يحبوك من تحف الحديث لطائفاً ... هي عندي الأكواب والندماء[7]

منها :

حتى إذا أذكى الحياء بخدّه ... لهباً به تتلهّب الأحشاء
واحمرّ قلب عقارب الصدغين وا ... بيضّت بلؤلؤ عقدها الجوزاء
فوقفت أحير من مناطق خصره ... متوسّلا ودعاني استحياء[8]
فانزاحت الجوزاء نحو غروبها ... وبدا لشمس جبينه لألاء
ودنا إليّ ملاطفاً بعتابه ... ويزينه أدب له وحياء

---

(١) في ب : « أثبت » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « من » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ا : « وجنته » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ج : « بها » ، والمثبت في : ا ، ب .
(٦) في ا : « إلا استذلت فتكة الأحشاء » ، والمثبت في : ب ، ج . (٧) في ب : « يحبوك من تحف الحديث لطافة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٨) في ا : « ووقفت أحير » ، والمثبت في : ب ، ج .

منها :

فَوَحَقِّ إفْحامِي بما أمْلاهُ لِي ... ولأنّني تعْنُو لِيَ الفُصَحاءُ

لم أعْدُ ما أسْدَتْه لي حَسَناتُهُ ... أنّي وكلّي في هَواهُ وَفاءُ

لا بلْ عَلَيّ من العَفافِ وصَوْنِهِ ... وعُلُوِّ منْصِبِ حُسْنِه رُقَباءُ

ماثَمّ غَيرُ تلاثُمٍ وتعانُقٍ ... ويَدَىّ مَفْرِشُ جِيدِه وغِطاءُ

وفَمِى على فَمِهِ وأشْكوه الظّمَا ... ظَمَأً جَناهُ لقَلْبِيَ الإرْواءُ

حتّى إذا أفضَتْ أفاوِيهُ الصَّبَا ... وأتَتْ تُكلِّلُ ذَيْلَها الأنْداءُ

وبدَا الكَرَى يَسْطُو على إحْساسِهِ ... ورَقَى إلى أجْفانِه الإغْفاءُ[1]

عَطِسَ الصَّباحُ فهبّ يمسحُ نَعْسةً ... لم يَشْفِها مِن مُقْلتَيْه لِقاءُ

* * *

قلت : قال المَرْزُوقِيّ في « شَرْح الفصيح »[2] : عطِس : فاجَأ من غيرِ إرادة ، ومصدرُه العَطْس ، والعُطاس الاسم ، جعل كالأدْواء .

يقال : أرغم اللهُ مَعْطِسَه .

[3] وعطِس الصبحُ والفَجْرُ[3] ، على التّشبيه .

قلت : كما في قوْل ابن الوَرْدِيّ[4] :

قلتُ له والدُّجَى مُوَلٍّ ... ونحنُ في الأُنْسِ والتّلاقِي

قد عَطِسَ الصُّبْحُ ياحبيبي ... فلا تُشَمِّتْهُ بالفِراقِ

---

(١) في ج : « وبدا السكرى » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) نقل هذا أيضا الشهاب الخفاجي ، في ريحانة الألبا ٢/١٨٠ . (٣) في بعض نسخ الريحانة : «وعطس الصبح : انفجر» . (٤) لم أجد هذين البيتين لابن الوردي ، في ديوانه ، وقد ذكرهما الخفاجي ، في ريحانة الألبا ٣/١٨١ ، وقال : « ومن لطائف بعض المتأخرين قوله : » .

ومثله عُطاس الدَّهر ، كما في قول الغَزّيّ (١) :

كم من بُكور إلى فَخْرٍ ومَنْقَبَـةٍ … جَمَلْتَه لعُطاسِ الدّهرِ تشْميتَا (٢)

* * *

وله من أبيات ، أولها :

عطفْتُ على وُدِّ الهوَى وَوَلائِه … وأخْلَصْتُ أسْرارِي لحِفْظِ إخائِه

وما ذاكَ إلّا أنّ حُبّانِي بشادِنٍ … يُقطِّعُ أكبادَ الجفا بوَفائِه (٣)

رَخِيمُ معانِي الدَّلِّ أدْمَتْ مِن رُوَا … نَعِيمِ خُدودِ الغانياتِ ومائِه (٤)

سَقِيمُ حَواشِي الطَّرْفِ والخَصْرِ عَزَّ أنْ … يلوحَ لرأْيِ العينِ بَنْدُ قِبائِه

غُلامٌ كأنّ اللهَ ألْبسَ خَدَّهُ … لِثامَ وُرودٍ مُذْهبًا بحَيائِه

وأوْدعَ جَفْنَيْهِ من السِّحْرِ صارِمًا … تلوحُ المنايا منه عِنْدَ انْتضائِه (٥)

فكم مِن فؤادٍ في وَطِيسِ غَرامِه … جريحٍ به مخضُوبةٍ بدِمائِه (٦)

ولِلحُسْنِ بل للهِ بانةُ قدِّه … إذا عبَثَتْ فيها طِلا خُيلائِه

يُصوِّبها نَحْوِي فيُوهِمُني أنْ … أداةُ سَلامٍ خَصَّني بأدائِه

وما هُوَ إلّا أن تحقّق أنّ لِي … بَقِيّةَ رُوحٍ سَلّها بانْثِنائِه

إلى اللهِ أشْكُو أرْقمًا فوقَ جِيدِه … يجُوسُ خلالَ الفِكْرِ حالَ اختفائِه

---

(١) يعني أبا إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي ، شاعر ضرب به المثل في صنعة الشعر ، كانت له الرحلة إلى العراق وخراسان ، ومدح آل بويه ، توفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة .
شذرات الذهب ٤/ ٥٧ ، نزهة الألبا ٢٨٧ ، وفيات الأعيان ١/ ٤١ .
والبيت في ريحانة الألبا ٢/ ١٨٠ .

(٢) في ريحانة الألبا : « إلى إحراز منقبة » . وفي ب : « كم في بكور » ، والمثبت في : ا ، ج ، وريحانة الألبا . وانظر ما كتبه المحبي على هذا الأمر في خلاصة الأثر ١/ ٢٦٤ ، وقد نقله في هامش ريحانة الألبا ٢/ ١٨٠ ، ١٨١ . (٣) بعد هذا البيت في ب : «منها» ، والأبيات متصلة في : ا ، ج .

(٤) في ا ، ب : « أدمت من روى * بضم خدود . . . » ، والمثبت في : ج .

(٥) في ب : « عند انقضائه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب : « وكم من فؤاد » ، والمثبت في : ا ، ج .

وَمهما بدَا مِن وَكْرِه وهْـو يَلْتَوِى ... لَوَى كُلَّ عُضْوٍ مُسْتهامًا بدَائِه

***

وله من قصيدة فى الغزل ، مُسْتَهَلُّها :

إلَيْكَ شَقِيقِى فى الصَّبابَةِ أنْدُبُ ... أوانًا به كُنَّا نَلَذُّ ونَطْرَبُ

أوانَ امْتَطَيْنا فوق زَهْوٍ مُضَمَّراً ... له قَصَباتُ السَّبْقِ أيَّانَ يَلْعبُ (١)

حمَلْنا على جَيْشِ الْهمومِ فلم نَدَعْ ... به منـــه إلَّا مايُواريه مَهْرَبُ

ولا رُمْحَ إلَّا مِن قَوامٍ مُهَفْهَفٍ ... ولا سَهْمَ إلَّا ماأراشَتْهُ أهْدُبُ

ولا مُرْهَفٌ مِن غيرِ ساجٍ مُدَعَّجٍ ... ولا دِرْعَ إلا ثَوْبُ حُسْنٍ مُذَهَّبُ

نُصِرْنا به مذ مَرَّ بالوصلِ شادِنٌ ... صَدُوقُ الأمانِى فى تَرَجِّيه يَكْذِبُ

رَقيقُ حَـواشِى الحُسْنِ لوْلا مَهابةٌ ... له كاد بالألْحاظِ حاشاه يُنْهَبُ (٢)

لِطَلْعتِهِ فى كلِّ قلْبٍ مَشارِقٌ ... ولِلْعَقْلِ منهــا حِينَ تُشْرِقُ مَغْرِبُ

خبيرٌ بأحْـكامِ الهــوَى فجميعُ ما ... يُنَمِّقُه الواشِى لديْهِ مُـكَذَّبُ

وإذْ كانَ مجْبُولَ الخِـلالِ على الوَفا ... حنانَيْكَ فاللَّاحِى علــيه مُعَذَّبُ (٣)

***

(٤) وله مضمِّنًا بيت المِهْيار (٤) :

فُتِنْتُ به والصُّبْحُ من فَوْقِ شَعْرِه ... بَدَا ولِشَمْسِ الرَّاحِ فيه غُرُوبُ (٥)

فـكِدْتُ لِمَا شاهَـدْتُ لولا طُلُوعُها ... بِمَشْرِقِ أُفْقِ الخدِّ منْـهُ أذُوبُ (٦)

---

(١) فى ا : « أوانَ استطينا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « كاد بالألحاظ أحشاه ينهب » ، والمثبت فى ا ، ج . (٣) فى ب : « إذا كان مجبول . . » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « لمهيار الديلمى » ، والمثبت فى : ا ، ج . وتقدم التعريف بمهيار ، صفحة ١٦٣ ، ولم أجد الأبيات فى ديوان مهيار المطبوع ، وهى فى خلاصة الأثر ٤/٢٥٦ . (٥) فى خلاصة الأثر : « ولشمس الروح فيه غروب » . (٦) فى خلاصة الأثر : « بمشرق خد القلب منه أذوب » .

ولولا طُلوعُ الشَّمْسِ بعـــد غُروبِها　　هَوَتْ معَهـا الأَرْواحُ حينَ تَغيبُ

* * *

وله مضمِّناً(١) :

لقـــد عَلِقْتُ بِبَدْرٍ زانَهُ حَوَرٌ　　في مُقْلَتَيْهِ به يَسْطُو على المُهَـــجِ
وأهْلُه لم تَزَلْ تُغْرِيهِ في تَلَفِي　　وكُلّما زادَ تِيهاً زاد بي وَهَجِي(٢)
فَلْيَصْنَعُوا كُلَّما شاءوا لأنفُسِهِم　　هُمْ أهْلُ بَدْرٍ فلا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجِ

* * *

(٣)تذَكَّرْتُ هنا قول أيْمن بن محمـــد السَّعْدِيّ ، من مُوَشَّح أودع فيه هذا البيت :

لَوْلا هـــواكَ المُرادْ　　ما كُنْتُ مِمَّنْ يُصادْ
ولاَ شَجـــانِي البِعادْ　　يابَدْرُ أهْلُكَ جـــادُوا
غلِطْتُ جـــارُوا وزادُوا　　لٰكنّهم بكَ ســـادُوا
فَلْيَفْعَلُوا مـــا أرادُوا　　فإنّهم أهْـــلُ بَدْرِ

* * *

ومن مبدعاته قوله(٤) :

ليس إلى الـكيمياء مُنْتَسِبـــاً　　مَن بات مِن حَرِّ نارِها موهَجْ
بل مَن بعيــد العَقِيق فَيْرُوزَجْ　　حتى اسْتحالتْ أجزاؤها ذهبـــاً

* * *

قلت : لِلّٰه دَرُّه ، ماأبدع دُرَّه !

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا،ج.　(٢) في ب : « زاد بي وهج » ،وفي ج: « زاد في وهجي » ، والمثبت في : ا .　(٣) من هنا إلى نهاية الموشح ساقط من : ب ،وهو في : ا ، ج .　(٤) في ب : « ومن قوله » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقد أخذ هذا المعنى شيخنا عبد الغني النابلسي[١] ، فقال :

قولوا لأهل الكيمياء إن تدّعوا ... جَعْلَ اللُّجَيْنِ كما زعمتم عسجدا

بالله هل في وسعكم أن تصبغوا ... حجر العقيق فتجعلوه زبرجدا

وللإشبيلي ما[٢] يقارب هذا في نار :

لابنة الزند في الكوانين جمرٌ ... كالدراري في الليلة الظلماء

خبروني عنها ولا تكذبوني ... أسواها يكون للكيمياء

سبكت فحمها صفائح درّ ... رصّعتها بالفضة البيضاء[٣]

* * *

وله خمسة أبيات ، كالخمسة السيارات ، يخرج من أوائلها اسم عثمان ، وهي :

على كلّ عضوٍ فيّ دارت لحاظه ... كؤوس غرامٍ قد مُلئن من السحرِ

ثملتُ بها وجدًا ولم أصحُ صبوةً ... فها أنا بين الصحو حيرانُ والسكرِ[٤]

معاذَ الهوى أن يُرتجى من يد الهوى ... خلاصي وأنْ يقضى بغير الهوى عمري[٥]

أإن كان لي عن مذهب الحبّ مذهبٌ ... فلا برحتْ روحي تعذّبُ بالهجرِ

نعمتُ بهذا العيش والموتُ دونه ... إذا كان يرضيه ولو كنتُ في أسرِ

* * *

وله من رائية مُلئتْ بنوافث السحْر ، وغازلتْ عيونَ المها بين الرُّصافةِ والجسْر :

---

(١) عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي ، من علماء القرن الثاني عشر ، وشعرائه ، دمشقي المولد والمنشأ ، رحل إلى بغداد ، ومصر ، والحجاز ، وتنقل في فلسطين ولبنان ، وهو من المؤلفين المكثرين ، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف .

تاريخ الجبرتي ١/١٥٩ ــ ١٦١ ، سلك الدرر ٣/٣٠ .

(٢) في ب : « مما » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٣) في ب : « رصعتها في الفضة البيضاء » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٤) في ا ، ب ، ج : « فها أنا بين الصحو . . . » .

(٥) في ب : « خلاصا وأن يقضى . . » ، والمثبت في : ا ، ج .

أما وظِبَـا الأَلْحَاظِ أَرْهَفَهَا السِّحْرُ وجَالَ فِرِنْدًا فى جَوانِبِها الخمرُ،(١)
فَصالَتْ بِفَتْكٍ جاوزَ الحـدَّ حَدُّهَا على أنَّها مَرْضَى وأجْفَانُهـا فَتْرُ
وزَانَةٍ قَدْ ثقَّفَتْها يَدُ الصِّبـا ولم يَثْنِها إلا مِن الصَّلَفِ السُّكْرُ
تجارَتْ على الأَحْشَاءِ فَتْكاً وإنَّها لعادلَةٌ بل لايُلِمُّ بِهـا وِزْرُ،(٢)
وعَهْدٍ بأيْدِي الوَصْلِ كان لنـا بِهِ مبايَعَـةٌ حيِّى مرابِعَه القَطْرُ،(٣)
وحَقِّ مَواثِيقِ الهوَى بيْنَ أهْـلِهِ وعَذْبِ إشاراتٍ لهم دونَها السِّحْرُ،(٤)
لقـد وضَحتْ للحُسْنِ فى التُّرْكِ آيةٌ على مَن عَداهُمْ مثلَ ماابْتَسَمَ الفَجْرُ
فكَمْ فيهِمْ من كلِّ أحْوَرَ إن رَنا أصَابَ فُؤادَ النُّسْكِ يَتْبَعُه الصَّبْرُ
له حَرَكاتُ الظَّبْيِ يَمْرَحُ عابِثاً ويَمْشِي الهُوَيْنَى ثُمَّ يُدْرِكُهُ النَّفْرُ
وذِى طُرَّةٍ من فوق صَلْتٍ كأنَّها حَواشِي الدُّجَى قد عَنَّ من تحتِها البدرُ
تَبَدُّدُهـا منـه الرُّعُونَةُ غافِلاً ولكن على تَبْدِيدِهـا جُمِعَ الشَّرُّ
وخَصْرٍ ولكن لامُسَمَّى لكُنْهِهِ مَناطِقُه حَيْرَى وما تحتَها مُرُّ
يُناجِي مَعانِيهِ الدَّفِينَ من الهوَى فيَنْهَضُ من بعـدِ المماتِ له نَشْرُ
تعلَّقْتُه مِن بعـدِ ما اندمَل الحشَا ولم يَبْقَ نَهْيٌ للغَرامِ ولا أمْرُ
فيا وَيْحَ هذا القلْبَ كم طعَن الهوَى ويَعْلَمُ أن الحُـلْوَ منه هو المُرُّ
فيـاربِّ إمَّا لجَّ فى غُلَوائهِ فَصَبِّرْهُ لِلبَلْوَى فقد برَّح الضُّرُّ(٥)

***

وجمعتْه مع مليحٍ ليلة ، يشتهى الفَلَكُ فى شبهِها نَيْله .

(١) فى ا : « أما والظبا الأحاظ » ،والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ج : « وجال فرند » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ا ، ب ، ج : « لعادلة بل لا ثم بها وزر » ، والتصويب من : د . (٣) فى ب : « كان لهـا به » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « وعذب إشاراتلهم دونه .. » ، وفى ب : « دونه سحر » ، والمثبت فى : ج . (٥) فى ب : « فقد برح الصبر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والمجلس بتزاحم الرقباء شَرِق ، وكلٌّ منهم من فرط غرامه صبٌّ أرق .
فلاحت من المليح إيماءةُ مُنْتقد ، أعقبتها وَجْلة من ناظر مُنتقِد .
فلم يتمالك الشيخ[1] أن صوَّب النظر ، حتى كاد[2] يُفضي به إلى الأمر المُنتظَر .
فلما استشعر الغلامُ عَطَف عطفةَ مُشفق ، وأراه في ضمن إغضائه موعدَ مُرفق .
مُشيراً للكتمان[3] تارةً بانطباق جفن مُلئ[4] سحراً ، وآونةً بإظهار ثنايا أبانت فوق ياقوت الشفاه دُرّا .

فقال :

قلتُ له والهوى بيننا ... يطوفُ بالكأس الهنيّ المَرِى
اكْفُفْ حُسامَ اللحظ عن مُهجة ... ذابت لريّا ريقك السُّكَّرى
فأغمد الهنديَّ مِن جفنه ... ورصَّع الياقوتَ بالجوهرِ

* * *

وله ، ويخرج منه اسم بكرى بطريق التعمية[5] :

لَوَى وَاوَ صُدْغ خالُه الخالُ عقربا ... أصاب بها كبدي الصَّديعَ ولا يدري
ولا بُدَّ مِن رَشْف يبلُّ غُصونَها ... فما شَفَّ قلبي غيرُهُ مَنْع لَمَى الثغرِ

* * *

طريقة حلّه ، أن الواو بالحساب الهندي بستّة ، وترسم هكذا ٦ وأراد بليّها قلبها ، فتصير هكذا ٢ ، وهذا رسم الاثنين ؛ وله الباء .

وأراد بقوله « كبدي » ولا بُدّ ، الكافَ والياء ؛ و « رشف يبلُّ غُصونَها » الرّاء ، بالتنصيص عليه بقوله : « فما شفَّ » .

---

(١) في ب زيادة : « إلى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا زيادة : « أن » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « إلى الكتمان » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « مليئا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ب : « طريقه » ، والمثبت في : ا ، ج .

وكونُ العمل فى البيت الأوَّل دون الثانى ، أو الآخر ، أو فيهما ، مما يُعاب عند أهل هذا الفن .

* * *

لكَ اللهُ دَعْـــنِي مِن حديثِكَ إنَّه مَتى غِبْتَ تَشْقَى مِن سِوَاكَ المسامِعُ (١)
وصُنْ رَوْنَقَ الوجه البديـــعِ جمالُه فإن لُحْتَ حاضَتْ فى الجفونِ المدامِعُ (٢)

* * *

المعنى : أنَّك إذا لُحْتَ سالت العيونُ دَماً ؛ لِشدَّةِ شَغَفِها بك ، ففيه استعارة تبعيَّة أو مكْنيَّة .

شبَّه المدامعَ بالنِّساء ، والمرأةُ إذا اشتدَّتْ شَهْوَتُها وأفرطَتْ سال حَيْضُها .

وأصلُه قول المتنبِّى (٣) :

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجمـــالَ بِبُرْقُعٍ فإن لُحْتَ حاضَتْ فى الخدورِ العَواتِقُ (٤)

والعواتق : هى الشَّوابُّ من النِّساء .

* * *

وله :

لِحـاظٌ كأنَّ اللهَ أوْدَعَ جَفْنَها حَياةً لأرْبابِ الهوى وهَلاكَا
إذا فَوَّقَتْ سَهْماً يَخُطُّ دَمَ الحشا عَلَى نَصْلِهِ أهْلاً حُيِّتْ فِداكَا

* * *

وله :

رأت نَمْلَ عارِضِـــه مُقْلَتي تحومُ على الثَّغْرِ من غيرِ مَهْلٍ (٥)

(١) فى ب : « تشقى من سواه المسامع » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « وصن رونق الحسن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) ديوان أبى الطيب ٧٠ . (٤) فى الديوان : « فإن لحت ذابت » ، وما فى الصفحة يوافق ما فى بعض نسخ الديوان . (٥) فى ب : « رأت دمع عارضه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فسالَتْ دماً ثم قالتْ لنا ذَبحْتُ كَرَاىَ على بيْتِ نَمْلِ

***

وله :

وقد زَعَمُوا أنّ القلوبَ بحَبّةٍ تُصادُ وقالُوا إنّها حَبّةُ الخَالِ
ولٰكنّه قد صادَ قلبِى بحُبِّه بلا حَبّةٍ رَبُّ الوَلَا صاحِبُ الحَالِ

***

وله :

وَيْحَ قلبِى مِن ظَالمٍ لم يُبالِ بذَهابِ النفوس تحْتَ النِّعالِ
ما بَدا للعيونِ إلاّ رأتْهُ مُرْهَفاتٍ وأسهُماً وعَوالِى (١)
لا تَرُمْ وَصْلَه فقد قطعت بِيضُ سِرارِ الجَبِين رأسَ الوِصالِ

***

تَناوله من قول الأمير المَنْجَكِى (٢) :

ألا دَعْنِى وشأْنِى يا ابْنَ وُدِّى ومَحْوِى كلّ شخْصٍ مِن خَيالِى
أيُقْصَدُ مَن أسِرَّتُه سُيوفٌ طُبِعْنَ لضَرْبِ أعْناقِ السُّؤالِ

***

---

(١) فى ب : «مرهفات وأسهم وعوالى» على الرفع ليوافق القافية ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمعنى يتطلب نصب الكلمات الثلاث ، واضطر الشاعر إلى ترك النصب فى « عوالى » ليوافق القافية .

(٢) تقدمت ترجمته برقم ٧ ، فى صفحة ١٣٦ ، ولم أجد هذين البيتين بهذه الرواية فى ديوان منجك ، ولكنى وجدت فيها قصيدة قالها هاجيا عليا بن الأرنوط ، وقد بلغه أنه انتقص المنجكيين ، بدأها بقوله :

لَعَمْرِى ليس بالأشعار فخْرِى ولٰكن بالقواضب والعوالى

وختمها بقوله :

تسُبُّ صحابةَ المختارِ حيناً وحيناً تدّعِى حُبّاً لِآلِ
ويكرهُك الجميعُ كما كرِهنا لأرجُلنا العتيقَ من النِّعالِ
أيُقْصَد مَن أسِرَّتُه سيوفٌ طُبِعْنَ لضربِ أعناقِ الرجالِ

(نفحة الريحانة ١/١٥)

ولى من أبيات :

أمْواجُ إحْسانٍ أسِرَّةُ وَجْهِه لِصَديقِه وسُيوفُ بَأْسٍ لِلْعِدَى

***

وله :

وكنتُ أصُون الدَّمعَ عَنْ أنْ أذيله إلى أن دَنَا يومُ التَّرحُّلِ لَا كَانَا [1]

فَقَدَّمْتُها يومَ الوَداعِ بِلُؤلُؤٍ أحالَتْهُ أنفاسُ التَّحرُّقِ مَرْجانَا [2]

***

وله :

ألْزَمْتُ نفْسِى الصَّوْمَ عن شادِنٍ كالبدْرِ يَسْتَوْعِبُه النَّاظِرُونْ

آلَيْتُ لا أُفْطِرُ إلَّا عَلَى وَجْهِ هِلالٍ ماراتْهُ العُيونْ

***

وله :

وحقّ هوَى مُصافَحةِ المنايا أخفّ علىّ منــــه باليَدَيْنِ

إذا فـكَّرْتُ فيه لَمَسْتُ رأسِي كأنِّى مُوقِنٌ بِهجُومِ حَيْنِى [3]

***

أصلُ هذا قول أبى نُوَاس فى الأمين بن الرَّشيد [4] :

إنِّى لَصَبٌّ ولا أقولُ بِمَنْ أخافُ مَن لا يخافُ مِن أحَـدِ [5]

---

(١) أذال الدمع : امتهنه بإرساله . (٢) فى ب ، ج : « أنفاس التفرق » ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ا : « بهجوم حين » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) مختار الأغانى ٣/١٤٩ ، ١٥٠ ، ريحانة الألبا ٢/٤٩٦ ، طراز المجالس ٤ . (٥) رواية مختار الأغانى :

أصْبَحْتُ صَبًّا ولا أقولُ بِمَنْ مِن خوفِ مالا يخافُ من أحدِ

وفى الريحانة : « إنى صب » ، ورواية النفحة توافق ما فى طراز المجالس .

إذا تفكّرتُ فى هـــواىَ لهُ ألمسُ رأْسِى هل طارَ عن جَسَدِى [1]

وهـذا النّوع من البَدِيع سمّاه المُبَرّد فى « الـكامل » [2] والتّبْرِيزِىّ فى « شرح ديوان أبى تمّام » [3] الإيماء .

وهو إما إيماء إلى تشبيه ، كقوله [4] :

* جاءوا بمَذْقٍ هل رأيْتَ الذِّئْبَ قطّ *

أو إلى غيره .

قال الشّهاب فى كتابه « الطراز » [5] : « وكنت قبل هذا سَمَّيْتُه طيفَ الخيال ، وهو أن ترسِم [6] فى لوح فِـكْرِكَ معْنًى صَوَّرتْه يدُ الخيال، فتَصُبّه فى قالب التّحْقيق [7] ، وترمُزَ إليه بجَعْل رَوادِفِهِ وآثارِه مَحْسُوسة ادِّعاء ، كما أنّ ما يُلقى إلى المُتَخَيِّلة فى المنام يُرى ذلك [8] ، ولا يلزمُ من ابْتِنائه على الـكِناية والتّشْبيه أن يُعَدّ منهما ، لأمرٍ ما يدْرِيه مَن له خِبْرَةٌ بالبديع .

---

(١) رواية مختار الأغانى :

إنْ أنا فـكّرْتُ فى هَواىَ لهُ مَسَسْتُ رأْسى هَلْ طَارَعن جَسَدِى

وفى الريحانة : « أجس رأسى » ، وفى طراز المجالس : « مسست رأسى » .

(٢) الـكامل للمبرد ١/٢٧ . (٣) هكذا ذكر المحبى أن الشرح للتبريزى ، وكذلك جاء فى طراز المجـالس ٤ ، وقد جاء فى ريحانة الألبا ٢/٥٠ ، ٥١ أن هذه التسمية جاءت فى شرح المرزوقى لديوان أبى تمام ، وانظر ما كتبته حول هذا فى هامش الريحانة ، وانظر أيضا مقدمة محمـــد عبده عزام . لديوان أبى تمام بشرح التبريزى ، الجزء الأول ، صفحة ٣٣ من المقدمة . (٤) شرح الشواهد للعينى ٣/٦٤ ، وقال : « عزى إلى العجـاج ولم يثبت » ، طراز المجـالس ٤ ، اللسان (م ذ ق) ١٠/٣٤٠ ، وروايته فيه :

* جَاءوا بِضَيْحٍ هلْ رَأيتَ الذِّئْبَ قطّ *

وصدر البيت :

* حتى إذا جَنَّ الظّلامُ وَاخْتلَطْ *

(٥) طراز المجالس ٤ ، وانظر ريحانة الألبا ٢/٤٩٦ ، ٤٩٧ . (٦) فى طراز المجالس: « يرتسم » .
(٧) فى طراز المجالس : « المتحقق » . (٨) فى طراز المجالس : « كذلك » .

وفى كتاب « الإشارة » لابن عبد السّلام (١) ، مِن المجاز تَنْزِيلُ المُتوهَّم منزلةَ المُحقَّق ، كقوله : ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ (٢) ، أى فى حُسْبان رائيها .

(٣) ومثلُه من الشّعر (٣) قولُ أبى نُواس .

وأنشد البيْتين .

المُتنبّى (٤) فى مُنْهزِم (٥) :

ولٰكنّه وَلَّى ولِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ ... إذا ذكَرَتْها نفْسُه لَمَسَ الجَنْبَا

المَنازِىّ (٦) :

تَرُوعُ حَصاهُ حالِيَةَ العَذارَى ... فتَلْمَسُ جانِبَ العِقْدِ النَّظِيمِ

المَنْجَكِىّ فى وصف خط (٧) :

لَوْ شامَ ذُو الخالِ نَقْطَ أحْرُفِه ... لَراحَ باليَدِ لامِسَ الخَدِّ (٨)

وللشهاب (٩) :

لِلّٰهِ نَهْرٌ صَفَا فأبْصَرَ مَنْ ... يَعُومُ فى جَنْبِ شَطِّهِ سَمَكَهْ

---

(١) ما يزال النقل عن طراز المجالس ، وهو يعنى عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الشافعى ، سلطان العلماء ، وأحد الأئمة المجتهدين ، المناضلين عن بيضة الإسلام ، توفى سنة ستين وستمائة .

طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/٨٠ ـ ١٠٧ ، فوات الوفيات ١/٥٩٤ .

وكتابه هذا يسمى « الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز » ، وهذا القول فيه ، فى صفحة ٥٢

(٢) سورة الكهف ٨٦ . (٣) فى طراز المجالس : « ومثاله » . (٤) فى ب : « والمتنبى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وطراز المجالس . (٥) ديوان أبى الطيب ٣٢٠ ، من سيفية له ، وطراز المجالس ٤ .

(٦) يعنى أبا نصر أحمد بن يوسف المنازى ، شاعر ، وزر لأحمد بن مروان ، صاحب ميافارقين ، توفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

معجم البلدان ٤/٦٤٨ ، وفيات الأعيان ١/١٢٦

والبيت له فى : ريحانة الألبا ٢/٥١ ، ٤٩٧ ، طراز المجالس ٤ ، معاهد التنصيص ١/٨٥ ، معجم البلدان ٤/٦٤٩ ، وفيات الأعيان ١/١٢٦

(٧) سقطت هذه المقدمة والبيت من طراز المجالس ، والبيت فى ديوان منجك ١٩ .

(٨) رواية البيت فى الديوان :

لَوْ شامَ ذُو الخالِ رَقْمَ أحْرُفِها ... لَراحَ بالكَفِّ لامِسَ الخَدِّ

(٩) البيتان فى طراز المجالس ٤ .

يَمُدُّ كَفًّا لَهُ لِيأْخُذَها يَظُنُّ نَسْجَ الصَّبَا لها شَبَكَهْ[1] »

وهو مأخوذ من قول عُمَر الحمار[2] :

انْظُر إلى النَّهْرِ فى تَطَرُّدِهِ وصَفْوِه قد وَشَى على السَّمَكِ

تَوَهَّمَ الرِّيحُ صَفْوَهُ فَعَدَا لِلنَّسْجِ فوقَ الغَدِيرِ كالشَّبَكِ[3]

* * *

قلت : ثم رأيت الشِّهاب ذَكَر بيْتَ أبى نُوَاس فى آخِرِ الرَّيْحانةِ[4] ، وقال :

« قد تلطَّف وأغْرَب فى قوله « أَمَسُّ رَأْسِى » ؛ لجعْله مايترقَّبُه واقعًا به ، حتى فَتَّش عن رأْسِه ، وجَسَّها بيده ، ليعلَمَ هل قُطِعتْ أم لا[5] .

وهذا كقول المَنازِىّ .

وأنشد البيت .

وفيه التَّعْبير عن المَقال بالفِعال ، كقوله :

* ويشْتُمُ بالأفعالِ قبلَ التَّكلُّمِ[6] *

---

(١) فى طراز المجالس :

يَمُدُّ كَفًّا لهُ لِيأْخُذَهُ لأنَّ نَسْجَ الصَّبا بهِ شَبَكَهْ

وهذا آخر النقل من طراز المجالس .

(٢) فى الأصول : « المختار » ، وهو خطأ .

وهو يعنى عمر بن مسعود بن عمر ، سراج الدين الحمار الحلبى الكنانى ، شاعر ، ذو فن فى نظم الموشحات .
توفى بعد السبعمائة ، كما ذكر ابن شاكر ، أو سنة إحدى عشرة أو اثنتى عشرة بعد السبعمائة ، كما ذكر ابن حجر .

الدرر الكامنة ٣ / ٢٧٠ ، فوات الوفيات ٢ / ٢١٩ .

والبيتان فى : الدرر الكامنة ٣ / ٢٧٠ ، ريحانة الألبا ١ / ١٠٩ .

(٣) فى الدرر الكامنة :

توهَّمَ الرِّيحُ صَيْدَها فَعَدَا ينسِجُ مَتْنَ الغَدِيرِ كالشَّبَكِ

وفى الريحانة : « ينسج فوق الغدير كالشبك » .

(٤) الجزء الثانى ، صفحة ٤٩٧ . (٥) فى الريحانة : « أولا » .

(٦) رواية الريحانة : « وتشتم بالأفعال » ، ورواية العكبرى فى شرحه لديوان المتنبى ١ / ٢٣٧ :

* ونَشْتُمُ بالأفعالِ لا بالتَّكلُّمِ *

ومثله قول ابن رَشِيق (١) :

قَبَّلني مُحْتشِماً شادِنٌ   أحْوجَ ما كنتُ لتَقْبيلِهِ

أوْمأَ إذْ حَيَّى بِنَا رَنْجَةٍ   عَرَفْتُ منها كُنْهَ تأْويلِهِ (٢)

لما تطيَّرتُ بمَعْكوسِها   ضَمَّتْ بَنانًا نحوَ تقْبيلِهِ (٣)

قال : وهذا لم أرَ مَن ذكرَه ، وهو مما اسْتَخْرجْتُهُ ، وسمَّيْتُه « نُطْقَ الأفْعال » .
انتهى .

* * *

ولابن الدَّرَّا مُذَيَّلَا بَيْتَي الحتاتِي (٤) ، الَّذين أعار بهما ساحة (٥) الشَّرَفَيْن (٦) صَفْحَه ، وساقَ بهما إلى الوِرْدِ العالى (٧) نَفْحَه .

ومما قاله :

بِصَبا المَرْجةِ المبلَّلِ ذَيْلُهْ   عَلِّلِ القلبَ علَّ يبرُدُ وَيْلُهْ (٨)

واذَّكِرْ يومَنا بيوْمَيْ حبيبٍ   سَلَفَا والسُّلافُ تركُضُ خيلُهْ (٩)

ونَديمٍ رقَّتْ حواشيه لُطْفاً   وبحُكْمِ الهوى تحجَّبَ نَيْلُهْ

سَمْهَرِيِّ القَوامِ ما ماسَ تِيهاً   أو دَلالاً إلّا وأتلَفَ مَيْلُهْ

---

(١) ديوان ابن رشيق القيرواني ١٥١ ، ريحانة الألبا ٢/٤٩٧ .   (٢) فى ريحانة الألبا :

أوْمَأَتْ إذْ جاءه بأُتْرُجَّةٍ   عرفتُ فيها كُنْهَ تأويلِهِ

وفى الديوان :

أماتَ إذ حَيَّى بأُتْرُجَّةٍ   عرفْتُ فيها كُنْهَ تأْويلِهِ

(٣) فى ا ، ب ، ج : « نحو تقليله » ، وفى الديوان : « نحو تمثيله » ، والمثبت فى ريحانة الألبا .

(٤) تقدم التعريف بالحتاتى ، فى صفحة ١٢٤ ، وقد ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٣/٣٧٤ ، ٣٧٥ أربعة أبيات من المقطوعة الآتية ، منسوبة للحتاتى ، وهى تمثل الأبيات الثلاثة الأولى ، والبيت السادس .

(٥) فى ج : « سماحة » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٦) تقدم التعريف بالشرفين ، فى صفحة ١٦٥ ، وانظر نزهة الأنام ٧٠ .   (٧) فى ج : « المعالى » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٨) تقدم التعريف بالمرجة ، فى صفحة ١٦٥ ، وانظر نزهة الأنام ٧٣ ، ٧٤ .   (٩) فى ب : « واذكر عهدنا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ٣/٣٧٤ .

ذِي مُحَيًّا كالبدرِ في جُنْحِ لَيْلٍ ... باخْتِلاسِ العُقولِ قد جُنَّ لَيْلُهْ

جِئْتُ مِن تحتِ ذَيْلِهِ مُسْتجيراً ... والتَّجنِّي علىَّ يُسْحَبُ ذَيْلُهْ

قلتُ يامَن في حَلْبةِ الحُسْنِ قد حا ... زَ السَّبْقَ حيثُ الجمالُ تَرْكُضُ خَيْلُهْ[1]

الأمانَ الأمانَ مِن حَرْبِ إعْرا ... ضِكَ عن مُغْرَمٍ تَراكَمَ وَيْلُهْ[2]

* * *

ومن مُجُونه المُسْتَغْرَب قوله :

لنا صاحِبٌ مُغْرًى بعَوْنِ ذَوِي الهوَى ... يُشارِكُهُمْ في وَجْدِهِمْ والتَّوَلُّهِ

إذا عَزَّ أن يَلْقَى مُحِبًّا رَقَى عَلَى الشَّـ ... ـواهِقِ يَشْتَمْرِي دُخانَ التَّأوُّهِ

* * *

وله في المَنْزِلة المعرُوفة بالوجْه ، في طريق الحاج المِصْرِيّ :

شكَا أهْلُ وَجْهٍ قِلَّةَ الْمَا بأرْضِهِمْ ... وأنَّ الحَيَا شَحَّتْ عليهم سَماؤُهُ

فقلتُ لهم قولاً لهُمْ فيه سَلْوَةٌ ... إذا قَلَّ ماءُ الوجْهِ قَلَّ حَياؤُهُ

* * *

المِصْراعُ الأخير مُضَمَّنٌ من قولِ القِيراطِيّ[3] في هذا المحَلّ[4] :

أقولُ وقد جِئْنا إلى الوَجْهِ جَمْعُنا ... عِطاشاً وكلٌّ خابَ فيه رَجاؤُهُ[5]

إذا قَلَّ ماءُ الوجْهِ قَلَّ حَياؤُهُ ... ولا خَيْرَ في وَجْهٍ إذا قَلَّ ماؤُهُ

* * *

(١) في ب : « يا من في دولة الحسن » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٣) برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد القيراطي ، فقيه ، أديب ، شاعر ، من أعيان القاهرة ، توفي بمكة أثناء مجاورته بها ، سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ١/٣٢ ، شذرات الذهب ٦/٢٦٩ .

(٤) جاء هذان البيتان منسوبين إلى الشهاب الخفاجي ، في ريحانة الألبا ٢/١٦٧ ، وذكر الخفاجي بيتي القيراطي الآتيين . وقد سقطت هذه المقدمة والبيت التالي لها ، وصدر البيت الثاني من : ب ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ريحانة الألبا : « إلى الوجه مرة » .

قلت : ووجهُ الهَجْو للوَجْه ، بسبَب قِلّة مائِه هو الوَجْه .

ولالقطب المكّيّ(١) فى مدحه(٢) :

أقولُ ووَادِي الوَجْهِ سالَ مِن الحَيا ... وقد طاب فيه لِلْحَجِيجِ مُقامُ(٣)

على ذلك الوَجْهِ المليحِ تحيّةٌ ... مُباركةٌ مِن رَبّنا وسَلامُ

ولِلْقِيرَاطِي فيه(٤) :

أتَيْتُ إلى الحِجازِ فقلتُ لَمّا ... تبدّى وَجْهُه لى وارْتَوَيْتُ

وكَمْ فى الأرْضِ مَن وَجْهٍ مليحٍ ... ولكن مثْلُ وَجْهِك ما رأيْتُ

* * *

وهذا قد ظَهَرت فيه الوِجْهَة ، وانْدَفعَتْ عنه الشُّبْهة .

وبهذا تعلَمُ مذهبَ العرب ، وأهل الأدب ، فى مَدْح الشيء وذَمّه ، كما فعل الحَرِيرىّ فى الدينار(٥) .

وقد ألّف الثّعالبيُّ(٦) ، وابن رَشِيق(٧) فى ذلك .

---

(١) قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد ، النهروانى ، الهندى ، حنفى .

ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة ، وأخذ عن شيوخ عصره ، فبرع فى الفقه ، والتفسير ، وعلوم العربية ، وله شعر رقيق .

كتب « تاريخا لمكة المشرفة » ، وألف « طبقات الحنفية » ، وقد احترق فى جملة كتبه .

توفى سنة تسعين وتسعمائة .

البدر الطالع ٢/٥٧ ، خبايا الزوايا لوحة ٨٧ أ ، ريحانة الألبا ١/٤٠٧ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٣٧ ، شذرات الذهب ٨/٤٢٠ .

(٢) البيتان فى ريحانة الألبا ٢/١٦٧ . (٣) فى ا : « فاض من الحيا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وريحانة الألبا . (٤) البيتان فى ريحانة الألبا ٢/١٦٧ . (٥) فى المقامة الثالثة . المقامات الحريرية ١٩ ، وانظر شرح المقامات للشريشى ١/٤٠ . (٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المتوفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، ألف فى هذا الفن كتابه « الظرائف واللطائف » ، وكتابه « اليواقيت فى بعض المواقيت » ، وقد جمع بينهما أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسى ، فى كتاب طبع بالمطبعة العامرة الشرفية ، بمصر . (٧) أبو على الحسن بن رشيق القيروانى ، المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، ولا أعلم له كتاباً برأسه فى هذا الفن ، وقد نقل الشريشى مقالة ابن رشيق فى شرحه على المقامات ١/٤٧ .

قال ابن رَشِيق : أكثرُ ما تجرى هذه المحامدُ[١] والمَذامُّ على جهةِ[٢] المسامحةِ ، لا مِن باب المُشاحَحة ؛ وإلّا فالشَّىْءُ لا يُوافِق ضِدَّه ، فيكون الحسن قبيحاً[٣] والقبيحُ حسناً[٣] فى حالٍ[٤] واحدة[٥] لمعنى[٦] واحد[٥] ، لكن لكلِّ شىء كما ذكر الجاحظُ مَساوٍ ومَحاسِن ، كما فعل عَمرو بن الأهْتَم[٧] بَيْن يدَىْ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وقد اسْتَشْهده الزِّبْرِقانُ بن بَدْر على ما ادَّعاه من الشَّرف فى قومِه .

قال عمرو : أجَلْ يا رسولَ الله ، إنّه مانِعٌ حَوْزَته ، مُطاعٌ فى أَدْنَيْه[٨] ، [٩] شَديدُ العارضة[٩] .

فقال الزِّبْرِقانُ : أمَا واللهِ[١٠] لقد علِم أكْثَرَ مِمّا قال ، ولكن حسَدنِى شَرَفِى .

قال عمرو : أما وقد[١١] قال ما قال ، فو اللهِ ما علِمْتُه إلا ضَيِّقَ العَطَن[١٢] ، زَمِر[١٣] المُرُوءة ، لئيم الخَال ، حديثَ الغِنَى .

فرأى الكراهةَ فى عَيْنِ النبىّ صلى الله عليه وسلم لَمّا اخْتلَف قولُه ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، رَضِيتُ فقلتُ أحْسنَ ما علمت ، وغضِبْتُ فقلت أقْبَح ما علمْتُ ، وما كذبْتُ فى الأولى ، ولقد صَدقْتُ فى الثانية[١٤] .

---

(١) فى شرح المقامات : « المدائح » . (٢) فى شرح المقامات : « على جهة المناصفة ومن باب المسامحة » . (٣) ساقط من شرح المقامات . (٤) فى شرح المقامات : « حالة » . (٥) ساقط من شرح المقامات . (٦) فى ب : « بمعنى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) قصة عمرو بن الأهتم مع الزبرقان بن بدر أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى البيان والتبيين ١/٥٣ . (٨) فى ب : « أذنيه » ، وهى رواية توافق بعض نسخ البيان والتبيين ، وفى شرح المقامات : « أنديته » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والبيان والتبيين . (٩) ساقط من البيان والتبيين . (١٠) فى البيان والتبيين : « إنه » . (١١) فى البيان والتبيين : « لئن » . (١٢) فى البيان والتبيين : « الصدر » . (١٣) فى شرح المقامات : « زمن » ، وزمر المروءة : « قليلها » . (١٤) فى البيان والتبيين : « الآخرة » .

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِن الْبَيَانِ لَسِحْراً ، (١ وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً ١) » .

ولقد أحسن ابنُ الرُّومِيّ ، حيث قال :

في زُخْرُفِ القولِ تزْيِينٌ لِباطِلِهِ ... والحقُّ قد يعتريه بعضُ تغْييرِ
تقولُ هذا مُجاجُ النَّحْلِ تمْدَحُهُ ... وإن تَعِبْ قلتَ ذا قَيْءُ الزَّنابيرِ
مَدْحاً وذمّاً وما جاوزْتَ حَدَّهُما ... سِحْرُ البيانِ يُرِي الظَّلْماءَ في النُّورِ



(١) ساقط من البيان والتبيين .

١٤

عبد الباقي بن أحمد ، المعروف بابن السَّمّان*

زهرة النّاظِرِ المُتنشّق ، وزَهَرة المُجتَلِي المُتعشّق .

مسَحتْ خلاله قذَى العيون ، فما رأتْه إلّا وهي نقيّة الجفُون .

تتستّر(١) الملاحة في غلائله ، وتتقطّر(٢) الزّجاجة من شمائله .

يَعْشقُه من كمالِه غـــدُهُ   ويُكْثِر الوجْدَ نحوه الأمْسُ

وله طبع كالرّوْض صفّقتْ يدُ الصّبا ديباجةَ وجْهِه الوسِيم ، تتلقّى النفوس من(٣) قبوله تلقّى المخمور برْدَ النّسِيم .

غرائبُ حديثِه نُزَه العقول ونُجَع الأسماع ، يتجاوز بها غاياتٍ لم تختلجْ في خواطِر الأطْماع .

وشِعْرُه يفعل بالألباب فِعلَ بناتِ الدِّنان ، وما السِّحْرُ سِحْرُ مِراض الأجْفان ، ولكنّما هو سِحْرُ البَيان .

وذِكْرُ مَبْدإ أمرِه ، ومطلعِ قصيدةِ عمرِه .

(*) عبد الباقي بن أحمد بن محمد ، المعروف بابن السمان ، الدمشقي .
ولد سنة خمس وخمسين وألف .
وقرأ النحو والفقه بدمشق ، على الفقيه أحمد القلعي .
ثم سافر إلى القاهرة ، ودرس على الشيخ عبد الباقي بن غانم المقدسي ، وعلى السيد أحمد بن محمد الحموي المصري ، وعليه تخرج في الأدب .
وسافر بعدها إلى الروم ، وتنقلت به الأحوال حتى صار نديم السلطان محمد .
اشتغل بالتدريس والتأليف .
وكان صديقا للمحبي ، فقامت بينهما محاورات ومخاطبات كثيرة .
توفي سنة ثمان وثمانين وألف .
خلاصة الأثر ٢ / ٢٧٠ .

(١) في ب : « تستتر » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) في ب : « وتتعطر » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

أنه تعاني الاشتغال وخطَّ غِذاره ما بقَل ، ثم خرج إلى مصر وروَّضه على أوّل ما يُنزِّه المُقَل .

ثم تتابعتْ عليه الرِّحل يميناً وشمالا ، وهو يترقَّى في المعارف استيلاءً واشتمالا .

ولم يبقَ بلدةٌ إلّا جنَى ثمرَها ، واستفاد وقائعَها وسمرَها .

ولا رئيس[1] إلّا فاز بنِعمِه ، وحصل على غرائبِ قِسَمِه .

حتى وصل إلى مجلسِ السُّلطان في خاتمةِ المطاف ، فأقام برْهةً في مَبرّاتٍ وألطاف .

وقد خطبَتْه الحُظْوة ، وما قصّرتْ له الخطْوة .

وخَطَتْه السَّعادةُ بأبْصارِها ، وتواردت[2] لحفايته بأنْصارِها .

ثم كثُر فيـــه المُخاطِ واللّاغي[3] ، واشرأبّتِ النفوس إلى ما في طبائعِها من التباغي .

فأُبعِد بعْد ذلك التقريب ، وأوشك أن يجفُوه البعيدُ والقريب .

وجرّبه الدهرُ بالأقدار ، تجربةَ الياقوتِ بالنّار .

ثم أُعطِيَ مدرسةً بدار الخلافة ، فطاوعه البخْتُ بعدما أرادَ خلافه .

واستقرّ الأملُ لديْه ، استقرارَ الطِّرْس في يديه .

ولمّا كنتُ بأدرنة وردها فلقيتُه برْهةً ، لا أعدُّها من عُمْري إلا نُزْهة .

وكنتُ من الاغتراب ، في نهاية الوحْشة والاضْطراب .

فأنِسْتُ به بعد التوحُّش ، وأنسيتُ مَورداً أرواني من التعطُّش .

ولما كان مُقامه بهـا كنُغْبة[4] طائرٍ على وَجَل ، لاهتمامِه بالعَوْد إلى مقرِّه على عَجَل ،

---

(١) في ب : « رأس » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : «وتوارت» ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ب : « والانفا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) النغبــة : حسو طـائر من الماء .

لم أسْتَتِمَّ عِنـــاقَهُ لِلِقائِهِ   حتى ابْتدأْتُ عِناقَهُ لِوَداعِهِ

فكتبتُ إليه عند الوَداع، رُقْعةً مُحْكَمَة الإبْداع.

وهى:

إمامُكَ التَّوفيقُ والرُّشْــــدُ   وخِدْنُكَ التَّأْيِيــدُ والسَّعْدُ

وكُلَّمـــا حلَّيْتَ فى مَنْزِلٍ   قابَلَكَ الإقْبالُ والجَــدُّ

مَوْلاى مَن ذِكْرُه أنِيسى، فى وَحْشتِى وغُرْبتِى، وخيـالُ لُطفِه جليسى، فى وِحْدتى وكُرْبتى،

أنتَ الكَرَى مُؤْنِساً طَرْفِى وبعْضُهمُ   مِثلُ القَذَى مانِعاً طَرْفِى من الوَسَنِ[1]

لا زالت مَقاليدُ السَّعادةِ طَوْعَ يديْك، ومِرْقاةُ السِّيادة مشْغُوفةً بلَثْمِ قدَمَيْك.

والعمرُ المديد، والطَّالِع السعيد.

هذا حَشْو ثِيابِك، وذا خادِمُ رِكابِك،

فارْحَــلْ لكَ البُشْرَى بأيْمَنِ طالِعٍ   وعلى السَّــلامة والسِّيادةِ فانْزِلِ

يشْهدُ اللهُ أنّى مِن مُنْذ شدَّتْ[2] الرِّكاب[3]، وأزِفَ البَيْن بِفِراقِ الأحْباب[4].

صِرْتُ مُقَسَّما بين نفسٍ مُقيمةٍ بكَرْبِها، ورُوحٍ رهينةٍ فى رَكْبِها.

على أن النَّفسَ وإن أقْعَدها الدَّهرُ قَسْراً، لم تقْعُد عنك ساعةً فِكْراً.

ولا غِبْتَ[5] إلَّا على عيونِ الإقْبالِ فى إغْماضِها، وعلى نُفوس الآمال[6] فى انْقِباضِها.

---

(١) البيت للشريف الرضى، وهو فى ديوانه ٥٢٩، وفيه: «لقد توامق قلبانا...»، والتمثيل والمحاضرة ١٢٠، وخاص الخاص ١٥٨. (٢) فى ا، ب: «شهدت»، والمثبت فى: ب.

(٣) فى ب: «الركائب»، والمثبت فى: ا، ج. (٤) فى ب: «الحبائب»، والمثبت فى: ا، ج.

(٥) فى ب: «عبث»، وفى ج: «غبت»، والمثبت فى: ا. (٦) فى ب: «الاقبال»، والمثبت فى: ا، ج.

حيثُ رماني الزّمانُ ، بسهامِ الحِرْمانِ ،

وإنَّ مِن أعْظَمِ البَلْوَى أخَا لَسَنٍ ... يبيتُ ضَيفًا لعُجْمٍ في الوَرَى خُرسٍ[1]

وإلى اللهِ أرْفَعُ قِصَّتِي ، وأبتهلُ إليه في دَفْعِ غُصَّتِي .

عسى اللهُ إنَّ اللهَ ليس بغافلٍ ... ولابُدَّ من يُسْرٍ إذا ما انْتهى العسرُ

فأسأله سبحانه أن يُيَسِّرَ نَيْلَ المُنَى ، ويُزِيلَ عنَّا هذا العَنَا .

ويُطْفِئَ نارَ الجَوَى ، على رغْمِ أنفِ النَّوَى .

لنُكفِّرَ سيئةَ ألمِ الفِراقِ ، بحُسْنِ نعيمِ التَّلاقِ ،

إنْ عادَ شَمْلي بمَن أهْواهُ مُجتمِعاً ... لا أعْتِبُ الدَّهرَ يوماً بالَّذي صَنَعا

ثم قدِمتُ إلى القُسْطَنْطِينيَّة فائتلفتُ به ائتلافَ رُوحٍ ، بجَسَدٍ بالٍ مطْروحٍ .

وامْتزجْتُ معه امْتِزاجَ ، راحٍ بماءٍ قَراحٍ .

ومضَتْ لي معه أوقاتٌ عدَدْتُها من حَسَناتِ الزّمنِ ، وجعلْتُها تاريخَ الأماني والأمانِ .

والأوْقاتُ لا تتفاضَلُ بالذّاتِ ، ولكنْ أوقاتُ اللّذاتِ لذاتٌ .

أتمتّعُ من لفْظِه بائتلافِ العقُودِ ، ومن معناه بسِلاكِ المنْقودِ .

حتى تولّاه مَوْلاه بعَفْوِه ورِضْوانه ، وقضَى بتفْريقِ شَمْلِ أخْدانِه وإخْوانِه .

فأضحَى كالعَنْقاءِ المُرجَّمِ ، وخبرُه كالمُغْطِ المُرخَّمِ .

وقد فقَدْتُ به الوَطَرَ[2] في نَضْرتِه[3] ، والعيْشَ الذي يشفُّ عن نَبْتِ الرّبيعِ في[4] خُضْرتِه[5] .

وكان أعارني من فوائدِه صَدْراً وافياً ، وأهْدَى إليَّ من فرائدِه قدْراً كافياً .

---

(١) في أ : «وإن من أعظم البلوى أخا لسن من» ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : «النظر» ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : «نظرته» ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٥) في ب : «لحضرته» ، والمثبت في : ا ، ج .

فعدمْتُ من فضْل ربيعِها ووِرداً ، وبقيتُ بعْدَها كالسَّيفِ فَرْدَا .

* * *

فممّا أخذْتُه عنه من أشْعارِه التى أخذَتْ بأطْرافِ الحُسْن ، وإذا تُليتْ على محْزونٍ سَرَّتْ عن فُؤادِه الحُزْن ، قولُه من قصيدة ، مُستهلُّها :

يُشوِّقُنا للدّارِ ذِكرُ الحبائبِ ويُنْطِقُنا بالحمْدِ فَيْضُ المَواهِبِ
وإنّا لقومٌ ما نرى الحبَّ سُبّةً إذا ما رأتْهُ سُبّةً آلُ غالِبِ (١)
ولا نَرْهبُ الأقْدارَ إلا إذا رمَتْ سِهامَ المنايا من قِسىِّ الحواجِبِ
ولا نعذُل الأحْبابَ فى الصَّدِّ والجَفا ولا نَرْتجِى سِلْمَ العدوِّ المحارِبِ
إذا كان قلبُ المرْءِ ليس يُطيعُه فأجْدَرُ بالعِصْيانِ قلبُ الأجانبِ
وليلٍ كقلْبِ السّامِرىِّ وظلُّه كواكبُه لا تَهْتَدِى المغاربِ
قطعتُ وأصْحابى سُكارَى من الكَرى وقد ضَمَّنا والزُّهْرَ ثوبُ الغياهِبِ (٢)
على ضامِرٍ كالسَّهْمِ سَيْراً ورِقَّةً فأبعدُ مطلوبٍ وأقربُ طالبِ
أحاولُ سَبْقَ الشُّهْبِ وهْىَ تفوتُنى وأتْعبُ ما حاولْتَ سَبْقُ الكواكبِ
جَوادٌ سَخِىُّ الكفِّ فى كلِّ حالةٍ يُداوِى بنُعماهِ جُروحَ النّوائبِ (٣)
دفَعْنا بجدْواهُ الخطوبَ وجُودِه وقد يدفَعُ الدِّرْياقُ سُمَّ العقاربِ
هُمامٌ أتى فى مَجْدِه وصِفاتِه وأفْكارِه دون الورَى بالعجائبِ
ومولًى يكادُ البحر يُشْبِهُ جودَه ولكنّه كالشُّهدِ عذْبُ المشاربِ
به تفخرُ الأيّامُ والمجدُ والعلا إذا افْتخرت أمثالُه بالمراتبِ

---

(١) رواية ب للبيت :

وإنا لقومٌ ما نرى الحبَّ سُبَّةً إذا ما رأتْهُ سُنّةً آلُ غالبِ

(٢) فى ب : « وقد ضمنا والدهر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « يدارى بنعماه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وتَخْشَى نِهاياتُ العواقِبِ رأْيَه   إذا خافَ أهلُ الرَّأْيِ سُوءَ العواقِبِ
وعلاَّمةٌ لو كان من قبلِ مالكٍ   لَما اخْتلَفتْ أقْوالُ أهلِ المذاهبِ
بفِكْرٍ دقيقِ الفِكْرِ فى كلِّ مُشْكِلٍ   مِن الأمرِ كالسَّيفِ الرَّقيقِ المضاربِ (١)
بعثْتُ إليه بالقَوافِي كأنَّها   مقانبُ شكرٍ تَهْتدِي بمَقانبِ (٢)
ولولاَ صُروفُ الدَّهْرِ أهْدَيْتُ ضِعْفَها   مُرصَّعةً بالنَّيِّراتِ الثَّواقِبِ
ولٰكنَّها جُهْدُ المُقِلِّ وحَمْـلةُ الْ   جَبانِ على ضَعْفٍ ونارُ الحُباحِبِ (٣)
فسامِحْ وعامِلْ بالّذِي أنتَ أهلُه   فعَفْوُكَ عنْدِي من أجلِّ المطالِبِ

* * *

وقوله من أخرى يمتدح بها أخا الوزير الفاضل (٤) ، وهو بتكْرِيت (٥) :

بالنَّفْسِ يسْمحُ مَن أراد نَفِيساَ   والحبُّ أوَّلُ مايكونُ رَسِيساَ
وأطارَ عنِّى النَّوْمَ طيفٌ طارِقٌ   قطعَ القِفارَ وجاوزَ القامُوساَ (٦)
أفلحْتَ كيفَ وصَلْتَ للوَنْديكِ مِن   أقْصَى البلادِ وجِئْتَها جاسُوساَ (٧)
أم كيف خلَّفْتَ الشَّآمَ وأهلَه   وتركْتَ وادِي النَّيْربِ المأنُوساَ (٨)
أرضٌ إذا سرَّحْتَ طَرْفَكَ خِلْتَها   روْضاً يُقِلُّ على الغُصونِ شُموساَ

---

(١) فى ا : « الدقيق المضارب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « مناقب شكر تهتدى بمناقب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . (٣) نار الحباحب : ما يرى فى ذنبه كأنه نار ، والحباحب : ذباب ذو ألوان يطير فى الليل فى ذنبه شعاع كالسراج .

(٤) ذكر المحبى ، فى خلاصة الأثر ٢/٢٧١ أن أخا الوزير الفاضل اسمه مصطفى . (٥) هكذا جاء فى النفحة ، وفى خلاصة الأثر ٢/٢٧٠ أن ابن السمان المترجم لم يبق بلدة من أمهات بلاد الروم حتى دخلها، ووصل إلى جزيرة كريد ، والوزير الفاضل منازلها ، فمدحه ، وكذلك مدح أخاه مصطفى ، وهو يعنى بـ « جزيرة كريد » ما يعرف الآن بجزيرة كريت ، فى البحر الأبيض المتوسط .

وتكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهى إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا . معجم البلدان ١/٨٦١ .

وقد ذكر المحبى ، فى خلاصة الأثر ٢/٢٧١ البيت الأول فقط من هذه القصيدة .

(٦) القاموس : البحر ، أو معظمه وأبعده غورا . (٧) ضبط كلمة « الونديك » من : ج .

(٨) تقدم التعريف بوادى النيرب ، فى صفحة ٧٣ .

إن كان غيَّرها الزَّمانُ فإنَّني   أمْسَيْتُ منّي قبلها مأيُوسا

والحبُّ أمْرٌ حار فيهِ أُلو النُّهى   وأضَلَّ بِقْراطًا وجالِينُوسا

كالدَّهْرِ يلْعبُ مايشاء بأهْلِه   يضعُ الرَّئيسَ ويرْفعُ المرْؤُوسا

لا سامَحَ اللهُ النَّوى من كافرٍ   عَبْدٍ ولا رحِمَ الرَّحِيمُ العِيسا (١)

ومَهامِهٍ قَفْرٍ يضِلُّ بها القطا   ويرَى الدَّليلُ بسَهْلِها التَّغْليسا (٢)

لِلْجِنِّ فى أقْدارِها زَجَلٌ فلا   تلْقَى بها إنْسًا وليس أنِيسا

* * *

العربُ إذا وصفَت المكانَ بالبُعْد جعلَتْه مساكِنَ الجِنِّ ، كقول الأخْطَل (٣) :

ملاعبُ جِنَّانٍ كأنَّ تُرابَها   إذا اطَّرَدَتْ فيها الرِّياحُ مُغرْبَلُ (٤)

وقولِ ذى الرُّمَّة (٥) :

لِلْجِنِّ باللَّيلِ فى حافاتِها زَجَلٌ   كما تجاوبَ يومَ الرِّيحِ عَيْشُومُ (٦)

وهو نَبْت ، أو شجر (٧) .

* * *

سايَرتُ فيهِ النَّيِّراتِ بسابِقٍ   يحْكِى المَهاةَ ويُشْبِهُ الطَّاوُوسا

كالبَرْقِ مَرًّا والغَمامِ تأوُّبًا   والمِسْكِ نَفْحًا والنَّقا مَلْمُوسا

يُلقِى الصَّواعقَ مِن حوافِرِه إذا   وَطِئَ الجنادِلَ حين لاتَ وَطِيسا (٨)

نَشْوانُ كالبُرْجِ المُشَيَّدِ فوقَه   بطَلٌ يجُرُّ مِن المَهابِ خَمِيسا

---

(١) فى ا ، ج : «عند» ، والمثبت فى : ب . (٢) التغليس : السير فى ظلام آخر الليل ، والتغليس أيضا : ورود القطا الماء فى الغلس . انظر اللسان (غ ل س) ٦/١٥٦ . (٣) ديوانه ٦ .
(٤) فى الديوان : « إذا اطردت فيه الرياح » . (٥) ديوانه ٥٧٥ . (٦) فى ب : « يوم الريح ميشوم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٧) فى الديوان : « عيشوم : من ضروب النبت يتخشخش إذا هب عليه الريح » . (٨) فى ا ، ب : «يلقى الصواعق» ، والمثبت فى : ج

مُتَقَلِّدٌ زُرْقَ النِّصالِ كأنّما ... خُلِقَتْ لتُرْدِي الضارياتِ نُفُوسا (١)
نَهِبَتْ من الأعمارِ مابَقِيَتْ به ... وتجرَّعتْ ماءَ الحِمامِ بَئِيسا
تَرْمِي بِهـا حَنْيَ الضُّلوعِ قواضِبٌ ... كحواجبِ الغِيدِ الخرائدِ شُوسا (٢)
لو خالَهـا الـكُسَعِيُّ سُحْرةَ ليلةٍ ... ذمَّ الحريصَ وأحمدَ التَّعْرِيسا (٣)
أو صادَمتْ صُمَّ الجبالِ تصدّعتْ ... وبَنَتْ لكلِّ حديدةٍ ناوُوسا (٤)
وتُسابِقُ الأقدارَ منهـا أسْهُمٌ ... تَفْرِي الحديدَ وتَخْرِقُ الملبوسا
يتعوّذُ الشّيطانُ منهـا حيثُ لا ... يَخْشَى الرُّجُومَ ويرهبُ النّاُبوسا (٥)
مِن حاذِقٍ أو طارقٍ أو حاذِمٍ ... أو زَاهقٍ لا يَقْبَلُ التَّدْلِيسا (٦)

(١) في ا: « لتردى الضاريات »، وفي ب: « لتردى الثيران »، والمثبت في: ج. (٢) « حنى الضلوع » كذا بالأصول. (٣) في ا، ب: « لأخالها الكسعى »، والمثبت في: ج.

والكسعى هو: محارب بن قيس الكسعى، كما ذكر الثعالبي، وابن منظور، أو عامد بن الحارث الكسعى، كما ذكر الفيروزابادي، ولم يصفه الميداني ولا الشريشي بواحد منهما.

وكان من خبره أنه اتخذ قوسا وخمسة أسهم، وكمن في قترة، فمر قطيع، فرمى عيرا، فأمخطه السهم، وصدم الجبل، فأورى نارا، فظن أنه قد أخطأ، فرمى ثانيا وثالثا إلى آخرها، وهو يظن خطأه، فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطروحة مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم فقطع إبهامه، وأنشد:

ندمتُ ندامةً لو أنّ نفسي ... تطاوعني إذاً لقطعتُ خَمْسِي
تبيّن لي سَفاهُ الرأيِ مني ... لعمرُ أبيك حين كسرتُ قوسِي

القاموس (ك س ع).

والخبر بتفصيل أكثر في ثمار القلوب ١٠٤، ١٠٥، وهو بتفصيل أكثر وأكثر في مجمع الأمثال ٢/٣٠٤، وشرح الشريشي على المقامات ١/١١٠، ١١١، ولسان العرب (ك س ع) ٨/٣١١، ٣١٢.

والكسعى هذا، هو الذي عناه الفرزدق بقوله:

ندمتُ ندامةَ الـكُسَعِيِّ لمَّا ... غدتْ مني مُطَلَّقةً نَوارُ

انظر ديوانه ١/٣٦٣.

(٤) الناووس: المقبرة، أو حجر منقور تجعل فيه جثة الميت. (٥) في ب: « حيث ما * يخشى الرجوم ويرهب القابوسا »، والمثبت في: ا، ج. وفي ج: « متعوذ الشيطان »، والمثبت في: ا، ب.
(٦) في ب: « من حاذق أو خارق أو حاذم »، وفي ج: « من حاذق أو مارق أو خادم »، والمثبت في: ا، والحاذم: القاطع.

فكأنَّها أقلامُ أفضلِ مَن مَشَى ... فوقَ الثَّرَى وحوَى الفَخارَ رئيسا

فَرْعُ المَعالِي خيرُ مَن بلَغ السُّهَى ... مَجْداً وسامَى فى العلا إدريسا (١)

والفارسُ الكَرَّارُ مِغوارُ الوَغَى ... ومُعِيدُ سَعْدِ المُشْرِكين نُحوسا

بالفَضْلِ أكَّدَ ما الأوائلُ أسَّسُوا ... وأفادَنا التَّأْكيدَ والتَّأْسِيسا

نَدْعُو بسَطْوتِه الزَّمانَ فيَرْعَوِى ... فَرَقاً ونَطْرُد باسْمِه إبْلِيسا

ونَخُطُّ أحرُفَه الكريمةَ رُقْيَةً ... لِشِفاءِ ما أعْيَى أرسْطالِيسا

يُرْدِى الحسامَ بجِسْمِ مَن أرْدَى به ... ويَرُدُّ مُبْتَسِمَ الكُماةِ عَبُوسا

قد أنْطقَ الإسْلامَ صامتُ سَيْفِهِ ... بعد السُّكوتِ وأخْرسَ النَّاقوسا

يامَن تَمثَّلْتُ على السَّماعِ بحُبِّهِ ... وقرأتُ فيه مِن الغرامِ دُروسا

أنا مَن علمتَ وِدادَه وجِهاتِه ... وسيُصْحِبَنَّ لدى عُلاكَ جَلِيسا

أغْرَقْتَه بالجُودِ قبلَ وُرودِه ... ثِقَةً ومثلُك لا يكون خَسِيسا

لا زلْتَ صَدْراً للصُّدورِ مُقدَّماً ... أبداً بحِفْظِ إلٰهِه محْروسا

فى عِزِّ داودٍ ودَوْلةِ يوسفٍ ... وعُلا سُليمانٍ ورِفْقةِ عِيسَى

* * *

وقال يمدح الوزير الفاضل، وهو بتَكْرِيت (٢)، وكان دخوله إليها لأجل مَدْحه (٣):

أخفُّ النَّوَى ماسهَّلَتْه الرَّسائلُ ... وأحْلَى الهوَى ما كدَّرَتْه العَواذِلُ (٤)

ولا مِلْحَ فى عيْشٍ إذا لم يكنْ له ... حبيبٌ يُجافِى تارةً ويُواصِلُ

ولا خَيرَ فيمَن حوَّلَ البُعْدُ قلْبَه ... ولا فى ودادٍ غيَّرتْه العَوامِلُ

---

(١) فى ب: «خير من بلغ العلا»، والمثبت فى: ا، ج. (٢) انظر ماتقدم، فى التعليق على مقدمة القصيدة السابقة، صفحة ٢٤٠. (٣) ذكر المحبى، فى خلاصة الأثر ٢/٢٧٠ البيت الأول فقط، وأبياتا أخرى خلال القصيدة. (٤) فى ا: «أخف الهوى»، والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر.

وقَفْنا على الأطْلالِ والَّليْـلُ شائِبٌ　　وأعْناقُنَا فَوْقَ المطَايَا مَوائِلُ
ولَمَّا رآها الدَّمْعُ والدَّمعُ حائرٌ　　أناخَ وحَـيَّ تُرْبَهـــا وهْوَ رَاجِلُ

* * *

هذا (١) من قول أبى الطَّيِّب (٢) :

ولَمَّا رأيْنَا رَسْمَ مَن لم يَدَعْ لنا　　فُؤاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ ولا لُبَّـا (٣)
نزَلْنَا عن الأكْوارِ نَمْشِى كَرامــةً　　لِمَنْ بان عَنْــه أن نُلِمَّ به رَكْبَا (٤)

قال ابن بَسَّام فى « الذخـيرة » : أوَّلُ مَن بـكَى الرَّبْعَ ووقَف واسْتوقَف المِلِكُ الضِّلِّيل ، حيث يقول (٥) :

* قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حبيبٍ ومنْزِلِ (٦) *

ثم جاء أبو الطَّيِّب فنَزل ، وترَجَّل ، ومشَى فى آثار الدِّيار ، حيث يقول :

* نزَلْنَا عن الأكْوارِ . . . *

البيْت ، وما قبله .

ثم جاء أبو العـلاء المَعرِّىّ فلم يقْنَعْ بهـذه الـكَرامة حتَّى خشَع وسجَد ، حيث قال (٧) :

تَحِيَّةُ كِسْرَى فى المُلوكِ وتُبَّعٍ　　لِرَبْعِكَ لاأرْضَى تَحِيَّةَ أرْبُعِ (٨)

* * *

ولَيس بنا حُبُّ الدِّيارِ وإنَّما　　لنَا بِهوَى السُّكَّانِ شُغْلٌ وشاغِلُ

* * *

---

(١) فى ج بعد هذا زيادة : « بيت » ، والمثبت فى : ا ، ب .　(٢) ديوانه ٣١٨ .　(٣) فى الديوان : « وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا » .　(٤) فى ا ، ج : « لمن بان فيه » ، والمثبت فى : ب ، والديوان .
(٥) ديوانه ٨ .　(٦) زاد فى ب عجز البيت وهو :

* بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ *

(٧) شروح سقط الزند ٤/١٤٨٧ ، من قصيدة يخاطب بها أبا أحمد عبد السلام بن الحسين البصرى .
(٨) فى شروح سقط الزند : « تحية كسرى فى السناء وتبع » .

هذا من قول الآخر :

أُحِبُّ الحِمَى من أجْلِ مَن سكَنَ الحِمَى ... ومن أجْلِ أهْلِيها تُحَبُّ المنازِلُ

وقوله (١) :

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلْبِي ... ولٰكِنْ حُبُّ مَن سكَنَ الدِّيارَا

* * *

خُلِقْنَا وحِفْظُ الوُدِّ منَّا سَجِيَّةٌ ... وحُسْنُ الوفَا طَبْعٌ ونِعم الشمائلُ

ونَغْفِرُ عَوْراءَ الحَسُودِ وإن جَنَى ... ونَعْلم أنَّ الخَصمَ ماشاء قائلُ

يُعيِّرُني قومٌ بقومي ومحْتِدِي ... كما عِيبَ بالعَضْبِ الصَّقيلِ الحمائلُ (٢)

أجَلْ حسَدُونِي حيثُ فُضِّلْتُ دُونَهمْ ... وكم حُسِدتْ فى النَّاسِ قبلي الأفاضلُ (٣)

وما الفَخْرُ بالأجْسامِ والمالِ والعُلَى ... ولٰكن بأنْواعِ الكَمالِ التَّفاضُلُ

ومَن يَكُ أعمَى القلبِ يَنْزَمْ بقولِه ... كما يَحْذَرُ الأعْمَى العَصا إذْ يُقاتِلُ (٤)

وما يصْنَعُ الإنْسانُ يوماً بنُورِه ... إذا عادَلَتْ فيه النُّجومَ الجَنادِلُ

وفِيمَ نُضِيعُ العُمْرَ فى غيرِ طائلٍ ... إذا ما اسْتوى فى الناسِ قُسٌّ وباقِلُ

وأصْعبُ ماحاولْتَ تثْقيفُ أعْوجٍ ... وأثقلُ شيْءٍ جاهِلٌ متعاقِلُ (٥)

إذا جاء نَقَّادُ الرِّجالِ من الوَغَى ... تميَّزَ عن أهْلِ الكَمالِ الأراذِلُ (٦)

عَنَيْتُ الوزيرَ ابنَ الوَزيرِ الَّذِي بِهِ ... تذِلُّ وتَعْنُو للشُّعُوبِ القبائلُ (٧)

جَوادٌ إذا اسْتَوْهَبْتَه السَّيْفَ فى الوَغَى ... وأنت له خَصْمٌ فإنَّك نائلُ

* * *

---

(١) البيت لمجنون بنى عامر ، وهو فى ديوانه ١٧٠ . (٢) هذا البيت والأبيات الثمانية التالية له ، فى خلاصة الأثر ٢/ ٢٧٠ ، ٢٧١ . (٣) فى ا : « قبلى الفضائل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) فى ب : « يلزم قوله » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ب : « جاهل متغافل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) سقط عجز هذا البيت والبيت الذى يليه كله وصدر الذى يليهما من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٧) شعوب : هى المنية .

هذا من قول أبي الطَّيِّب المُتنبِّي (١) :

كريمٌ متى استُوهِبْتَ ما أنتَ راكبٌ وقـــد لَقِحتْ حَرْبٌ فإنَّكَ نازِلُ

وأصلُه خبَرٌ عن حاتم الطَّائيّ ، أنه بارَزَ عامرَ بن الطُّفَيل (٢) ، وقد رَمَح عامرا ، فخافَهُ ، فقال له : لأُخاتِلَنَّكَ .

قال : بماذا ؟

قال : ادْفَعْ إليَّ رُمْحكَ أقاتِلْكَ به .

فرمى إليه برُمْحه ، ورَجَع مُوَلِّيا .

وقال بشّار ما ينظُر إلى هذا المعنى (٣) :

لو كان لِي سَيْفٌ غَـــداةَ الوَغَى طِبْتُ به نفْسًا لأعْـــدائِي (٤)

وأحسن ماقيل فيه قول البُحْتُرِيّ (٥) :

ماضٍ على عَزْمِهِ في الجودِ لو وهَبَ الشـ ـبابَ يومَ لِقـــاءِ البِيض ماندِما

أبو إسحاق الغَزِّيّ :

مُتَيَّمٌ بالذي لو قال سائِلُه هَبْ لِي جميعَ كَرَى عينَيْكَ لم يَنَمِ

* * *

إليه مَصِيرُ الأَمْجدِين وإنَّما تَصُبُّ إلى البحْرِ المُحيطِ الجداوِلُ

* * *

(١) ديوانه ٣٦٦ ، في خطاب سيف الدولة . (٢) عامر بن الطفيل بن مالك العامري ، أحد سادات العرب في الجاهلية ، شاعر ، فارس ، أدرك الإسلام ، واشترط لإسلامه شروطا رفضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاد إلى قومه يعد لأمر الحرب ، فمات في طريقه ، في السنة الحادية عشرة للهجرة .
خزانة الأدب ١/٤٧١ ، الشعر والشعراء ١/٣٣٤ .

(٣) ديوانه (الطاهر) ١/١٣١ ، وديوانه (العلوي) ١٥ . (٤) رواية صدر البيت في ديوانه (الطاهر) : « لو كنت لي سيفا ألاقي به » ، وفي ديوانه (العلوي) : « لو كنت لي سيفا غداة الوغى » ، وهي رواية المختار من شعر بشار ١٧٥ . (٥) ديوانه ٣/٢٠٥٠ .

وهذا أيضاً من قول أبي الطّيّب (١) :

أرَى كلَّ ذِي مُلْكٍ إليك مَصِيرُهُ ... كأنَّكَ بحرٌ والملوكُ جداولُ

وهو أخذه من قول ابن المعتز (٢) :

مَلِكٌ تواضعتِ الملوكُ لِعِزّهِ ... قَسْراً وفاضَ على الجداولِ بَحْرُهُ

* * *

ويهتزُّ قلبُ الأرضِ خوفاً إذا مَشَى ... فتحسَبُ أنَّ الرُّعْبَ فيه زلازلُ (٣)

له نِعَمٌ تُفْنِي المديحَ وهِمَّةٌ ... لها كلُّ قَدْرٍ شامخٍ مُتضائلُ

يُيَمِّمُهُ الجبّارُ والكِبْرُ بُرْدُه ... فتُدْنِيه في أعتابِهِ وهوَ راجلُ

أتى مُشْرِكي قصرٍ وكانوا جراءةً ... يظُنّون أن الحِصْنَ للقومِ حائلُ (٤)

وسارَ بجيشٍ آصَفِيٍّ عرمرمٍ ... هو البدرُ فيهم والنجومُ الجحافلُ (٥)

فما وجدوا إلّا الأمانَ وسيلةً ... إلى عَفْوِ مَن تخشَى عُلاه الوسائلُ

ولا مَلْجَأً من سيفِه غيرُ سيفِه ... وكلُّ نَصيرٍ غيرُه فهوَ خاذلُ

فجادَ عليهمْ بالنفوسِ تفضُّلاً ... وعفواً ولم يَحْطُطِ العطَا منه سائلُ (٦)

وعادَ بتأييدٍ وعِزٍّ ودولةٍ ... لها فوقَ فَرْقِ الفرقدَيْنِ منازلُ

يموجُ به البحرُ الخِضَمُّ تفاخُراً ... وتحسُدُ أعلامَ الجواري الرَّواحلُ

أفصَّ ختامِ المُلْكِ والخاتَمَ الذي ... أتانا بما لم تستطِعْهُ الأوائلُ

فلو كان بدراً لم يَنَلْ قطُّ كوكبٌ ... ولو كانَ بحراً لم يُحدِّدْهُ ساحلُ

إليكَ عُقوداً يَكسِفُ الشمسَ نورُها ... وتُخجِلُ بدرَ الأفْقِ والبدرُ كاملُ (٧)

---

(١) ديوان أبي الطيب ٣٦٦ . وهذه المقدمة ، والبيت بعدها مما سقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٢) ديوانه (زند) ١/١١٧ (٣) في ب ، ج : «فتحسب أن الرعب فيها زلازل» ، والمثبت في : ا .

(٤) في ج : «أتى مشركو قصر» ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي ب : « أن الحصن للقوم حاصل » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) تقدم التعريف بآصف ، في صفحة ٣٥ . وفي ا : « وصار بجيش » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في ب : « فجاء عليهم بالنفوس وسيلة » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٧) في ب : « وتخجل بدر التم » ، والمثبت في : ا ، ج .

أتتكَ تجرُّ الذَّيلَ تِيهاً ورِفعةً ... بأنَّك ممدوحٌ وأنَّى قائلُ[1]

وهاتِيكَ أبياتٌ لها فتفطَّرتْ ... وأنت لها بالبرِّ والجودِ واصِلُ[2]

* * *

وهـذ معنًى حسن ، وقد اختلسَهُ من قول السَّيِّد محمـد العُرْضِي[3] ، وهو الفاتح لهذا الباب[4] :

هابَ القريضُ مَديحَهُ ... فانْشَقَّ أنصافاً سُطُورُه[5]

وتبِعه البَابِي[6] ، [7]في وصف قصيدة[7] فقال :

أوْهَمْتُها مَدْحَ السِّوَى ... فتميزتْ بالغيْظِ وَهْمَا

* * *

تتمَّة القصيدة :

ومثلكَ مَن لا يُظْهِرُ المدْحُ قَدْرَهُ ... ولَـكنَّ مَن لم يشْكُرِ الفضلَ جاهِلُ

ألم ترَ أنَّ الرَّوْضَ يُثنِي على الحَيَا ... بنَشْرٍ إذا ما باكَرَتْهُ الحوامِلُ

فكيفَ بمَن أحْيَيْتَهُ ولِسانُه ... صَقِيلُ الشَّبَا والجودُ بالحمدِ كافِلُ

سأُولِيك مَدْحاً ينقضِي الدَّهرُ دونَهُ ... تسيرُ به رُكْبانُنا والقوافِلُ

وأصْدحُ بالحمْدِ الذي أنت أهلُه ... كما صَدَحتْ فوق الغُصون البلابلُ

ألا كلُّ مَجْدٍ غيرُ مجْدِكَ عاطِلٌ ... وكلُّ مديحٍ لم يكنْ فيك عاطِلُ

* * *

(١) في أ : « وأنك قائل » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ج : « وهاتيك أبياتا » ، والمثبت في : أ ، ب . (٣) يعني محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي الحلبي ، وسيترجمه المؤلف في القسم الخاص بحلب ، وسيأتي برقم ١١٣ . (٤) البيت في خلاصة الأثر ٤ / ٩١ . (٥) في ب : « هاب القريض سطوره » ، والمثبت في : أ ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) يعني مصطفى بن عبد الملك ، وقيل : عثمان ، البابي الحلبي ، وسيترجمه المؤلف في القسم الخاص بحلب ، وسيأتي برقم ١١٠ .

(٧) في ب : « قصيدته » ، والمثبت في : أ ، ج .

وله لاميّة عارض بها[1] امرأ القَيْس ، الذى انتَسَبَ إليه حُسْنُ السَّبْك ، وبشِعْره ترنَّمتْ وُرْقُ البَلاغة ،وذاكأشهرمن «قِفَا نَبْكِ» .

ومطلعها :

* تَوَكَّلْ على الرَّحْمٰنِ حَقَّ التَّوَكُّلِ *

وهى طويلة جدًّا ، وقد ذكرتُها فى تاريخى[2]، ولا إفادةَ فى الإعادة .

* * *

واتفق بينى وبينه مُراجَعات ، أقطعها جانبه الظَّرف ، وتردَّتْ كالنَّسيم بين الرَّوْضَتَين طَيّبةَ الشَّميم والعَرْف .

اكْتفَيْت بذكرها فى التَّاريخ[3]، كما وقع عليه الاختيار ؛ لأنَّها من قِسْم الخبَر ، والتاريخ موضوعُه الأخبار .

* * *

وذكرتُ عندَه يوْماً بعضَ الموالِي ممَّن أكاذيبه فى قلب[4] الأمانى قُرُوح ، ووَعْدُه كخُلَّبِ بَرْقٍ يَلُوح .

وكنتُ ممَّن اغتَرَّ بزخارِفه ، وطمِعَ فى عارِفةٍ من عَوارِفه .

فنَشَد ضالَّةً له فى ذِمَّةِ مطْلِه ، وأنشد ما قاله فى مَخِيلةِ وَعْدِ مثْلِه :

ولَا ترْكَنَنَّ إلى غَـــادةٍ ... ولو خادَعَتْكَ بزُورِ الْمحالِ[5]

فَفَتْكُ الظُّبا دُون فَتْكِ الظِّبَا ... وعَهْدُ الغَوانِي كَعَهْد الموَالِي[6]

(١) فى ب : « عارض فيها معلقة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) القصيدة برمتها فى خلاصة الأثر ٢/٢٧٦ ــ ٢٨٠ ، وتعرض المحبى هناك لبعض إيضاحاتها .

(٣) أطال المحبى ترجمته فى خلاصة الأثر ، وذكر هذه الأخبار ، وترجمته فى الخلاصة ، فى الجزء الثانى ، من صفحة ٢٧٠ ــ ٢٨٣ . (٤) فى ب : « قالب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) المحال ، بالضم: معروف، وبالكسر: الكيد وروم الأمر بالحيل. (٦) فى ج : «كوعد الموالى» ،والمثبت فى : ا،ب.

ولعَمْرى لقد أنصف ، فى الذى وَصَف .

وحكَم (١)حُكْماً يشهد(١) به العَيان ، وليس بعد العَيان ، حاجةٌ إلى البَيان .

* * *

ولما وَلِىَ المدرسةَ المعروفةَ بزال باشا(٢) ، وهى آخرُ ماوَلِيَه من المدارس .

وهشَّت(٣) له الأمانِى ، وتاهَتْ به التَّهانى .

وظن(٤) أنه سالَمَتْه الخطوب ، وجلَتْ عن وجهِ رجائه القُطوب .

ولم يدرِ أن القدرَ عليه بالمَرْصَد(٥) ، ويدَ المنون تختَرِمُه دُون المَقصِد .

نَظَم قصيدةً مطلعها :

ألم تَرَ أنَّ الهمَّ زَال بزَالاَ وأحْسنَ آمالا لنا ومآلاَ

فلما رأيتُه لم أشكَّ فى استِحْكام الفــأل ؛ وألِقَ فى رُوعِى الطِّيرَةُ من لفظة « زال » .

وفارَقْتُه عشيَّةَ يوم أردَدُ الفــكْر ، وأُجدِّدُ فى لَيْلتى ذلكَ الذِّكْر .

حتى جفَا جَنْبِىَ الضَّجْعة ، وجانَب جفنِىَ الرَّقدةَ والهَجْعة .

فما انْشقَّ الفجرُ عن جَيْب الظَّلام ، حتَّى أتانى مخبرٌ بأنَّه يُمالِجُ الحِمام .

فبادَرْتُ إليه فوجدتُه أخَذه الشَّرَق ، وهو يلفِظ آخرَ الرَّمَق .

ونفَسُه الباقى ، قد بلغ التَّراقِى .

ثم قضَى نَحْبَهُ ، ولَقِىَ رَبَّه .

---

(١) فى ب : « عدلا شاهدا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) الخبر فى خلاصة الأثر ٢ /٢٨١ ، ٢٨٣ ، وقال : « التى بأيوب ، وفرح فرحا شديدا ، واتفق لى أنى كنت عنده . فجاءه للتهنئة المولى رفيق ، المدرس بمدرسة إبراهيم باشا ، بمدينة القاطنة ، فهنّاه ، ثم ذكر له أن هذه المدرسة مشهورة باليمن ، ومن جملة يمنها أنه لم يقع لأحد من المدرسين أنه مات وهى عليه . فعجبت من هذا ، ووقع فى وهمى أنه يكون مبدأ لموت بعض مدرسيها ، وانفصل المجلس » . (٣) فى ب ، ج : « هشت » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ب : « فظن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) المرصد : المكان يرصد منه .

فاللهُ يستثمره[١] عائِدةَ الأُخْرى آجِلًا ، كما استنجزه[٢] فائدةَ الأولى عاجِلًا .

***

وقد قلتُ أرْثيه من قصيدةٍ ، مطلعُها[٣] :

كُلُّ حَيٍّ على البَسيطةِ فانِ ... غيرَ وَجْهِ المُهَيْمِنِ الرَّحمٰنِ

إلى أن قلتُ فيها :

أيْنَ رُوحُ الزَّمانِ مَن كنتُ حِيـ ... ـنًا وإيّاه نَخْلتَىْ حُلْوانِ[٤]

***

« نَخْلتا حُلوان » يُضرَب بهما المَثلُ فى طُولِ الصُّحْبة[٥] .

وكان المَهْدِىّ[٦] خرج إلى أكنافِ[٧] حُلْوان[٨] مُتصيِّدًا ، فانْتهى إلى نَخْلتَىْ حُلوان ، فنزل تحتهما وقعد للشُّرب ، فغنّاه المُغنّى[٩] :

أيا نَخْلتَىْ حُـــلوان بالشِّعْبِ إنّما ... أشذّ كما عن نَخْلِ جُوخَى شَقاكُما[١٠]

---

(١) فى ب : « يثمره » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « استخرجه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) القصيدة كلها فى خلاصة الأثر ٢/٢٨٢ ، ٢٨٣ .   (٤) فى ب : « من كنت حينى وإياه » وفى خلاصة الأثر : « من كنت فى حين وإياه كنخلتى حلوان » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٥) ثمار القلوب ٥٨٩ .   (٦) انظر الأغانى ١٣/٣٣٢ ، وثمار القلوب ٥٩٠ .   (٧) فى ب : « أطراف » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٨) حلوان : مدينة عامرة ، ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى أكبر منها ، وهى بقرب الجبل . معجم البلدان ٢/٣١٧ .   (٩) فى الأغانى ١٣/٣٣٣ بيتان ينسبان إلى عمر بن أبى ربيعة ، غنتهما حسنة جارية المهدى ، فى هذا المقام ، هما :

أيا نَخْلتَىْ وادى بُوانةَ حبّذا ... إذا نام حُرّاسُ النخيلِ جَناكُما

فطِيبُكما أرْبَى على النخلِ بهجةً ... وزاد على طُولِ الفَتاءِ فَتاكُما

(١٠) فى ا : « عن نخل جرخى » ، وفى ب « عن نخل جرحى » ، والمثبت فى : ج .
وجوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد ، بالجانب الشرقى منه الراذانان ، وهو بين خانقين وخوز ستان ، ولم يكن ببغداد مثل كورة جوخى . معجم البلدان ٢/١٤٣ .

إذا نَحْنُ جاوَزْنا الثَّنِيَّـــةَ لم نَزَلْ   على وَجَلٍ من سَيْرِنا أو نَراكُما (١)

فَهَمَّ بقَطْعِهما (٢) ، فكتب إليه أبوه المنصور (٣) : مَهْ يا بُنَيَّ ، واحْذَر أن تكون ذلك النَّحْس الذى ذكَره الشَّاعر فى خطابِهما ، حيث قال (٤) :

وأعْلَمَا إن علِمْتُما أن نَحْساً   سوف يَلْقاكُما فتفْتَرِقَانِ (٥)

* * *

تتمَّةُ المرْثِيَة (٦) :

كان فينا كالوَرْدِ فى وَجَنــاتِ الْـ   ـغِيد والسِّحرِ فى عُيــونِ الحِسانِ

عجِلَ الدَّهْرُ نَيِّرَ الفضــلِ بالكَسْـ   ـفِ وبدْرَ الكَمالِ بالنُّقْصانِ

رجَع الجوهرُ النَّفِيسُ إلى الأصْـ   ـلِ وأضْحَى مقَرُّه فى الجِنـانِ

ليتَ شِعْرِى وليس يُجْدِى أعن عَهْـ   ـدِ رَمَتْــهُ الخُطوبُ أم نِسْيانِ (٧)

كيف دَكَّيْتَ أيهـا الخطْبُ رَضْوَى   ونقلْتَ الهضابَ من ثَهْلانِ (٨)

---

(١) فى ب: «أو نراكما» ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) ذكر الثعالبى ، فى ثمار القلوب ٥٩٠ أن الذى حمل المهدى على قطع النخلتين بيتا مطيع بن إياس ، وهما :

أسْعِدانى يا نَخْلَتَىْ حُلْوانِ   وابْكيا لى من رَيْبِ هذا الزمانِ

واعلَمَا إن علمتُما أن نَحْسًا   سوف يلقاكما فتفترقانِ

(٣) هكذا ذكر الثعالبى أيضا ، وذكر أبو الفرج الأصفهانى ، فى الأغانى ٣٣٣/١٣ أن جاريته حسنة هى التى أشارت عليه بألا يكون النحس المفرق بينهما .   (٤) الأغانى ٣٣٣/١٣ ، وثمار القلوب ٥٨٩ .

(٥) فى ا ، ب : « وأعلم إن علمتما » ، والمثبت فى : ج ، وثمار القلوب . وفى ا : « أن نحبا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والأغانى ، وثمار القلوب ، ورواية الأغانى لصدر البيت :

* أسْعِدانى وأيْقِنا أن نَحْسًا *

(٦) تتمة المرثية أيضا فى خلاصة الأثر ٢٨٢/٢ ، ٢٨٣ .   (٧) فى خلاصة الأثر : « أمن عم * د رمته الخطوب » .   (٨) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : «أيها الحتف» .

ورضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٧٩٠/٢ .

وثهلان : جبل ضخم بالعالية . معجم البلدان ٩٤١/١ .

منها (١) :

يا صديقي تركتني لهموم ينقضي قبلها زمانُ الزمانِ (٢)
لستُ أرضى عليك حُكْمَ لبيدٍ مذهبي في الوفاء حكمُ ابن هاني
عيلَ صبري وإنما أتأسّى بهموم المصابِ في الأعيانِ
أسعدُ الصاحبينِ مَن مات مِن قبْلُ وأبقى الصديقَ للأحزانِ
إنما هذه مراحلُ تُطْوى والبرايا تُساقُ كالركبانِ (٣)

* * *

ومُرادي بحُكْم لبيد قوله (٤) :

إلى الحوْلِ ثم اسْمُ السلامِ عليكُما ومَن يَبْكِ حوْلاً كاملاً فقد اعْتَذَرْ

وبحكم ابن هانئ (٥) :

سأبكي عليه مُدَّةَ العُمْرِ إنني رأيتُ لبيداً في الوفاء مُقصّرا

---

(١) ساقط من : ب ، ج ، وهو في : ا ، ويوافق خلاصة الأثر يؤيده ، فبين البيتين هناك ستة أبيات .
(٢) في ب : « تركتني بهموم » ، وفي خلاصة الأثر : « تركتني لخطوب » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ب : « إنما هذه المراحل تطوى » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) ديوانه ٢١٤ . (٥) لم أجد هذا البيت في ديوانه .

١٥

عبد الحيّ بن أبي بكر ، المعروف بطرّز الريحان *

أديب طَرَّزَه تطريزَ الرِّقاع بوَشْيِ تحبيراته ، وفتّق تحليةَ جِيد الكلام بجواهر[1] تعبيراته .

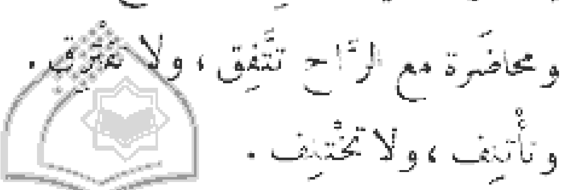
تنتهي إليه محاسنُ الألفاظ ، وترنو معانيه عن غمزاتِ الألحاظ .

وله من الشعر ، ما يسخر بالسحر .

فلو كان لسواه في حيِّز الإمكان ، استحقَّ أن يُصلَب عليه الملكان[2] .

إلى ظَرْف رَيْحانه يَرِفّ ، وطبعٌ هواه[3] يشفّ .

ومحاضرة مع الرَّاح تتفق ، ولا تفترق .



وتأتلف ، ولا تختلف .

(*) عبد الحي بن أبي بكر ، المعروف بطرز الريحان ، الحلبي الأصل ، الدمشقي المولد ، الحنفي .
قرأ على أبيه ، وعلى الشيخ محمد السليمي .
وأخذ عن عبد الباقي الحنبلي ، وأحمد القلعي .
وتأدب بأبي بكر القصاني ، المشهور بغصن البان .
كان شاعرا جيد الطريقة ، رقيق الطبع ، لطيف الشعر .
وانتهى به الأمر إلى أن دخل في هيئة الدراويش السياح ، فطاف البلاد ، ودخل الروم ، ومصر ، وحلب ، ثم استقر بدمشق ، وتزوج .
حج آخر عمره ، ورجع متنسكا متقشفا .
وقد جمع لنفسه « ديوانا » .
وترجع شهرته بطرز الريحان ، إلى موشح قاله في أيام صبوته ، مطلعه :

* طرز الريحان حلة الورد *

توفي سنة تسع وتسعين وألف ، عن خمس وستين سنة ، ودفن بمقبرة الفراديس .
خلاصة الأثر ٢/ ٣٢٨ . وضبط « طرز » من : ج .

(١) في ب : « بجوهر » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) يعني هاروت وماروت . (٣) في ب ، ج : « رواؤه » ، والمثبت في : ا .

إلّا أنه كان عليه للهوى وثبات ، لا يُرْجَى له فيها قرارٌ وثبات .

فإذا عارضتَه رأيتَ غمراتٍ[1] بواعِثَ طافحة ، وجمراتٍ لواعج لافحة .

وهموماً على جَوانح جوانح ، وآلاماً منها[2] في جَوارِح جوارِح .

وكنتُ عاشرتُه لأستمطر ديمتَه ، وأختبِرَ في هذا المعرض شيمتَه[3] .

وكان عَفَّ عن الصَّبْوة ونَسَك ، وكَفَّ عن الشَّهواتِ وأمسَك .

ولم يبْقَ فيه إلا بَقيّة ، تحلَّتْ على[4] بيضاء[5] نقيّة .

فرأيتُه مَغْلوبَ سَوْرَةِ طِباعِه ، وقد استوْلَت النَّفْرةُ على طِرْفِ انْطِباعِه .

إلمامُه فَلْتَةُ غَبِيّ ، وإغبابُه[6] فترةُ نَبِيّ .

فكنتُ معه على أحْسن فِطْرة ، لم تلحقْني في هواه فَتْرة .

واختلَسْتُ منه أوقاتاً كلَمْعَةِ شارِقٍ ، وخَطْفةِ سارِق .

ونَقْرِ العصافِير ، خَوْفَ النَّواطِير[7] .

وأنا من منذ فقَدْتُه لم أرَ عنه بدَلا ، وأعطافي مملوءةٌ به ترنُّما وجَذَلا .

وكان في آخِره حجَّ ورجَع رفيقَ زُهْدٍ وإنابة ، فلم يلبَثْ حتى دعاهُ الدّاعِي الذي لا بُدَّ لَهُ من إجابة[8] .

فيالَه من حجٍّ وعُمْرة ، ختَم بطابعِ النَّقاء عُمْرَه .

والحمد لله الذي أحسنَ له الاختيار ، فقبضه إليه[9] قَبْضَ الأخيار .

* * *

---

(١) في ب ، ج : « غمزات » ، والمثبت في : ا . (٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٣) في ا : « يتيمته » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « عن » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) في ب : « بيضة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب : « وإغباؤه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وأغب القومَ : جاءهم يوما وتركهم يوما . (٧) الناطور : حارس الكرم أو الزرع .

(٨) في ا : « الإجابة » والمثبت في : ب ، ج . (٩) في ب بعد هذا زيادة : « الجبار » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقد أوردتُ من أشْعارِه التي هى فروعُ أماليـه ، ماُيحرِّكُ الجمــاداتِ إذا ماحرَّكَ تاليه .

فمن ذلك قوله فى الغزل(١) :

خَلِّيـــانى ولَوْعتِى ونَحِيبِى   ليس إلا مصابُ بدمعٍ صَبِيبِ
وابْكِيانى فإنَّ مَن جَرَح اللَّحْـ   ـظُ قتيلٌ وما له من طبيبِ(٢)
أىُّ صبٍّ سمِعْتُما عِلقتْهُ   أعْيُنُ الغِيدفهْو غــيرُ سليبِ
بأبِى مُعرِضٌ ألُوفٌ نِفارٌ   ذُو اخْتلاقٍ نفتْنَا الذُّنوبِ(٣)
فِعْـــلُه كلُّه حبائلُ فتْكٍ   قد أُعِدَّتْ لصَيْدِ كلِّ القلوبِ
تتحرَّى مقاتِلَ الصَّبِّ عَيْنـا   ـهُ برَشْقِ النِّبالِ فى التَّصْوِيبِ
ذُو وَقارٍ أهابُهُ أن أحيِّـــ   ـيهِ إذا مابدَا بلفْظِ حبيبِى
فَهْوَ لم أدْرِ جاهِلٌ خُــبْرَ حالِى   أم يُرِينِى تجاهُلاً كمُرِيبِ(٤)
أبداً دأْبُه ودأْبِىَ هــذا   وكِلانا فى الحال غيرُ مُصيبِ
ليْتَه لو أقرَّ قلْبِى على الحبِّ   بلا رِيبةٍ ووَجْــهٍ قطُوبِ
وإذا شاء بعـــد ذاك تجَنِّى   لَذَّةُ الحبِّ غُصَّـــةُ التَّعْذيبِ
ما يُبالِى مَن استَهلَّ عليــــه   من سَماءِ الغَرامِ غَيْثَ اللُّغُوبِ(٥)
جابَ كلَّ البِلادِ يَحْسَبُ أنَّ الْـ   ـحظَّ شىءٌ يُعْطَى لِـكلِّ غريبِ

＊＊＊

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٣ ، ٣٣٤ .   (٢) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .   (٣) فى خلاصة الأثر : « بأبى معرضا . . . تعنتا للذنوب » .

(٥) فى ب : «أم يرينى تجهلا» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٦) فى ج : «لايبالى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر

وأنشدني قوله في الغزل[1] :

سقَتْكَ الغرُّ ياعهــدَ الشَّبيبهْ ... تُرنّحُ منك أغصاناً عسيبهْ[2]

وإلاَّ فالنّواقِــعُ مِنْ جُفُونِي ... وإنْ يكُ لاروَاء ولا عُذوبهْ[3]

فكم لِي في ظِلالِكَ مِن مَقِيــلٍ ... حَسَوْتُ به الهوى كأساً وكُوبهْ

بكلِّ نَدِيِّ جسمٍ كنتُ أظمِي الْـ ... ـواظِرَ عنــه خَشْيةَ أن تُذيبهْ

كأنَّ بكلِّ عُضْــوٍ منه بَدْراً ... مُنــيراً أو مُدبَّجةً خَصيبهْ

وكلِّ مُرنَّحِ الأعْطافِ يَخْطُو ... فيــكْتَسِبُ الصَّبا منه هُبوبهْ

إذا ما رامَ يعبَثُ بي دَلالاً ... يُقطِّبُ والرِّضَا يمْحُو قُطوبهْ

فمَن لكَ بالسَّــلامةِ إن تَثَنَّى ... وهزَّ قنــاةَ عِطفَيْهِ الرَّطيبهْ

وأبْلجَ مُستديرِ الشَّكْلِ أبْدَتْ ... به الأصْداغُ أشْكالاً عجيبهْ

يُرِيكَ بِسيمياء الحسنِ رَوْضاً ... حِذاراً منه أن تَصْلَى لَهيبهْ

وفاحِمَ طُرَّةٍ شُــكْراً لأيْـ ... ـدِى الرُّعونةِ كمْ بها أمسَتْ لَعُوبهْ[4]

تُبدِّدُها كذَوْبِ المِسْكِ طوْراً ... على غُصُنٍ تجسَّدَ من رطوبهْ

وطَوْراً يظْهرُ الشَّرْبُوش مِنْها ... كأطْرافِ البَنانِ غدَتْ خَضِيبهْ[5]

وآونةً يُرَى منهــا زبانًا ... يلُوحُ وكم به كَبِدٌ سليبهْ[6]

فأنَّى يطرُقُ السُّــلوانُ قلباً ... حمَتْهُ جيوشُ خَضْراءِ الكَتِيبهْ[7]

---

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٣٣٧، ٣٣٨ . (٢) في ا : «ياعين الشبيبة» ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب ، ج : « لا دواء ولا عذوبة » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .
(٤) في ب : « شكر الأيادي » ، والتصويب من : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في القاموس (ش ر ب ش) : « الشربش : هدب الثوب . مولد » وانظر Dozy 1/742 (٦) «زبانا» كذا في الأصول . وفي خلاصة الأثر : «وكم به كبد لسيبة» ، واللسيبة : الملدوغة . (٧) في ب : « فأنى يطرق السلوان قلبي » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وعجز هذا البيت وصدر الذي يليه ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

ولا كنواعِسٍ أرْشَقْنَ قلبي … صَوائبَ غادرتْهُ أخا مُصيبَهْ
شهرْنَ ظُبًا وقُلْنَ ألا صَبورٌ … فكانت مُهجتِي أولَى مُجيبه[1]
لحاها اللهُ أيَّ عَنًا تلقَّتْ … تقمَّص منـــه جُثْماني شُحوبَهْ
ولم أكُ ألْحاها إلَّا اضْطِـــرارًا … فلم تكُ بالَّذِى فعلتْ مَعيبَهْ[2]
هِيَ الأحْداقُ ما مَسَّتْكَ إلَّا … وفُزْتَ من الشَّهادةِ بالمَثُوبَهْ
جرَى قلمُ القَضاءِ لنا بهـــذا … ولا يعدُو امْرُؤٌ أبدًا نَصِيبَهْ

* * *

ومِن أهاجِيه ، التى هى[3] من قسم أفاعِيه ، قوله فى هجاء[3] غلام يُباهى بتيهِهِ[4] ، ويتلاعبُ فى العالَم بتَمْويهِهِ .

فإذا فطِن بهوى مُغْرَم ، صيَّره هدفًا لكل مَغْرَم .

وكان يُرافِقُه ، ولا يُوافِقُه

ويُقاربه ، لكن يُواربُه .

وهو مُغضٍ على قذًى ، مقيم على أذًى .

حتى بالَغ فى هَجْرِه ، فبلَغ نِهايةَ هُجرِه .

واتَّفق للشيخ مجلسٌ رآه فيه يلعب بالنَّرْد ، فتعرَّف إليه ، فعامله بالإعْراض والرَّدّ ، فقال[5] :

أنـكرتْنِي ذاتُ السِّوارِ الصَّمُوتِ … عجبًا مالعَرْفتِي من ثُبُوتِ
لا بلِ الغانياتُ يعـــدُدْنَ من أمْـ … ـسَكَ مِن وَصْلِهنَّ حيًا كَميتِ

---

(١) فى ج : « شهرن ظباه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : « وقلن ألا سيوف » ، وفى خلاصة الأثر : « وقلن ألا صيود » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « بالذى فعلت مصيبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) ساقط من ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « بتنبهه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وفَرِيدٌ من الغواني وَفاه ... مُتدَلٍّ بِشَعْرةِ العَنْكَبُوتِ
لا رَعَى اللهُ مُهجةً عِلْقَةٌ هِيْ ... نَ ولا أُسْعِفَتْ بِفَضْلِ القُوتِ [1]
خَفَرَتْ هِنــدُ ذِمَّتِي واسْتعاضَتْ ... من صَدُوحِ الرِّياضِ بالعِفْرِيتِ [2]
لستُ أنْسَى يومى بمُجتَمَعِ اللَّهْ ... وِ وفِكْرِى فيها يُجِيدُ نُعُوتِى [3]
إذ بدَتْ فى غُلالةِ التِّيـــهِ والعُجْ ... بِ وبُرْدِ الجَلالِ والجَبَرُوتِ
تَتهادَى فى السِّرْبِ حــتَّى إذا ما ... وصَلَتْ حَــوْزَتِى أرتْنِىَ موتِى
بتَغاضٍ مــع الْتِفاتٍ إلى الدُّو ... نِ ومَقْتٍ ولستُ بالمَمْقُوتِ
وَيْحَها لم تُحَيِّنِى بين جَمْعِى ... لو تُحَيِّى قُلْنا لها حُيِّيتِ
وتَلاهَتْ بالنَّرْدِ فى ذلك المَجْ ... لِسِ خوفَ اتِّهامِهــا بالسُّكوتِ
ثم وَلَّتْ وخَنَّقَتْنِى أعَضَّ الْ ... كَفَّ مُسْتدرِكَ القَضا بعدَ فَوتِ
هِنــدُ قِلِّى من التَّجَنِّى فإِنَّا ... مَن بُراضيــه فَضْلَةٌ من قَتِيتِ [4]
لستِ لاثنَيْنِ أو ثلاثٍ فتأْبَى ... أن تُحَظِّى بعضاً وبعضاً تُفَوِّتِى [5]
أنتِ وَقْفٌ على العِبادِ ومَن يَطْ ... مَعُ فى الوَقْفِ واجِبُ التَّبْكِيتِ
أتَظُنِّينَ أنَّ لى بِكِ شُغْلاً ... لِىَ قلبِى إن شئتِ ذَا أو أبيتِ [6]
إنَّنِى عِفْتُ بَيْتَ حُسْنِكِ ما هُو ... لاً فأنَّى وما بِهِ غيرُ بيتِ
ليس عندى بعدَ احْتِقارِكِ قَدْرِى ... لكِ كُفْوٌ غــيرَ الطَّلاقِ الثُّبُوتِ [7]

---

(١) فى ب : « لا رعى الله مقلة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى خلاصة الأثر : « حقرت هند ذمتى . . عن صدوح الرياض » . (٣) فى ج : « لست أنسى يوما » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « وفكرى يجيد فيها نعوتى » . (٤) فى خلاصة الأثر : « من يرضيه فضلة من قتيت » . (٥) فى ب : « أو ثلاث فتأبى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ب ، ج : « لى قلب » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . وفى ب : « إن شئت ذا أوشيت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وهو فيهما جميعا : « أو أبيتى » .

(٧) فى ا : « لى عندى بعد احتقارك قدرى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

لا أسُوفًا على جمالِكِ إن بُدِّ ... لَ قُبحًا ومرَّ طَعْمُ الشَّتِيتِ [1]
غيرَ أنّى أسِفْتُ أن ضاع شِعْرِى ... فيكِ لكن ما باخْتِيارِى حُبِيتِ
إذ بَلائِى بِمُبْتَلاكِ دَعَا الفِكْ ... رَ لأن شادَ فيكِ بعضَ بُيوتِ [2]
آهِ من صُحْبةِ العِبادِ وآهًا ... لِزمانٍ يَمُرُّ فى تشْتِيتِ [3]
صدَقَ القائلُ السَّلامةُ فى الصَّمْ ... تِ كذا الحُسْنُ فى لُزومِ البيتِ [4]
طالَ ما قد جررْتُ ذيلَ التَّصابِى ... وتناسَيْتُ غُصَّةَ التَّفْوِيتِ
لا يَظُنَّنَّ عاقِلٌ بِىَ مَيْلًا ... لَمليحٍ مُؤانِسٍ أو مَقُوتِ [5]
رفَضتْ نفْسِىَ الهوَى خِيفَةَ الذُّ ... لِّ وأن تبتَلِى برِقٍ فلِيتِ [6]
وهجرتُ المُدامَ مِمَّا يُؤدِّى ... لافتضاحِ القُؤولِ والسِّكِّيتِ
واختلاطٍ بغيرِ مَرْضِىِّ عقلٍ ... وانْطِراحٍ مع قُرْبِ ذى تنكِيتِ [7]
فإذا ما ادَّكرتُ أيامَ لهْوِى ... قلتُ أيامَ صَبْوتى لا سُقِيتِ [8]
لَذَّةُ الحُرِّ فى اكْتِسابِ المعالِى ... لا افْتراشِ الدُّمَى وحَسْوِ الكُمَيتِ [9]

* * *

وله فى الغزل [10] :

قاتِلِى أنتَ لا مَحالَ فأحْسِنْ ... قِتْلةَ الصَّبِّ سيِّدى بحياتِكْ

---

(١) ثغر شتيت : أفلج . (٢) فى ج : « إذ بلائى بمبتلاك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ا ، وخلاصة الأثر : « بعض بيوتى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى خلاصة الأثر : « آه من صحبة العباد وواها » . (٤) فى خلاصة الأثر : « كذا الخير » ، وفى ج : « فى لزوم البيوت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ب ، ج : « لمليح مواتى » ، وفى خلاصة الأثر : « لمليح من آنس » ، والمثبت فى : ا ، وفى ج : «أومفوت» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ا ، ب : وأن تبلى برق فليت » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى ب ، ج : « مرضى عقل » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « مع كل ذى تنكيت » . (٨) فى ب ، وخلاصة الأثر : « فإذا ما ذكرت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى خلاصة الأثر : « قلت أيام ذاتى » ، وفى ا : « لا استقيتِ » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٩) فى ب : « لاافتراس الدمى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (١٠) مكان هذه المقدمة فى ب : « وأنشدنى أيضا من قوله » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أنت فى الحِــــلِّ من دَمِى فأَبِدْنِى ... عنه تعجيــــلَ جَنَّتِى وَجِناتِكْ [1]
هَبْكَ أظْمَأْتَ ناظِرِى فارْوِ سَمْعِى ... بكُؤوسِ العِتابِ من لفَظاتِكْ
إنَّ حُبِّيكَ قَيَّــــدَ الفكْرَ حتَّى ... عَزَّ لو رُمْتُ وَصْفَ غيرِ صِفاتِكْ [2]
أىُّ ذنبٍ جنَيْتُــــه يُوجِبُ الهجْـ ... ـرَ ويُجْدِى الحِرْمانَ من حسَناتِكْ
بحياةِ العيونِ جُدْ لِصَريعٍ ... ما رَمَى قلْبَه سِوَى لَحَظاتِكْ
لا بغيْرِ الحديثِ ياحالِىَ اللَّفْـ ... ـظِ ومُرِّ المَــــذاقِ فى نفَراتِكْ [3]
إن لَحْظَيْكَ عَــــذَّبانِى ولٰـــكِنْ ... ثغْرُكَ الجَوْهَرِىُّ أعْـــذَبُ فاتِكْ
ما لجفْنَيْكَ فى الخلائقِ تعْزَى ... أَوَفى الحُسْنِ وَحَّدُوا غيْرَ ذاتِكْ [4]
حُسْنُكَ الفردُ مثْــلُ ما فِيكَ عِشْقِى ... فارْعَ لى نِسْبَتِى لبَعْضِ سِماتِكْ
من تجنِّيكَ ما برِحْتُ طَرِيحاً ... ومُصابى من جَفْنِكَ المُتَهاتِكْ
خلِّنِى ياعَــــذُولُ إنَّ بسمعِى ... صَمَماً لا أعِى إلى فَشْراتِكْ
أنا مَن جادَ بالسُّـــلُوِّ لِلاَّ ... مِ وبالنَّوْمِ للعُيونِ الفَواتِكْ
أنا مَن قال للعَذُولِ مُغِيظاً ... أُبْحُ عنَّا فما لنا فى بَناتِكْ
ياعُيُــــوناً خامَرْنَ قلبِىَ رِفْقاً ... لستُ أصْحُو ما عشْتُ من سكَراتِكْ
لِىَ قلبٌ يرْوِى حــديثَ سَقامِى ... وصَحِيحَ الغرامِ عن كَسَراتِكْ
فإلى كم تلك الأمانى الكَذُو ... باتُ تُغَنِّى الأطْماعَ فى تُرَّهاتِكْ [5]
كُن كما شئْتَ إنَّ قلبِىَ جَلْدٌ ... لرُكوبِ الأخْطارِ فى مَرْضاتِكْ [6]

---

(١) فى ب : « تعجيل وجنتى وجناتك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « غرصفاتك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « من نفراتك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ج : « ما لعينيك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « فى الخلائق تغذى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ج : « أوفى الحسن واجد غيرذاتك » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ا : « إلى كم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسقطت كلمة « تلك » من : ب ، ج ، وهى فى : ا ، وفى ج : « الأمانى الـكاذبات » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ب : « إن قلبى جليد » ، وفى ج : « إن قلبى جلدا » ، والمثبت فى : ا .

حَمَّلَهُ الحبُّ وهْوَ خِلْوٌ وتَكْلِفُ   فلكَ مالا تُطِيقُ نَزْعُ جِهاتِكْ

* * *

ومن غُرَرِهِ البديعة قصيدتُه الحائيَّة ، التى مدح بها آلَ البَيْت ، وتخلَّص فيها لمَدْح بعضِ الأُمَرَاء .

ومستهلُّها :

مَهَبَّ الصَّبا حَيَّتْكَ غُرٌّ طوافِحُ   سوافِرُ بالفَيْضِ العَمِيمِ سوافِحُ (١)

تُتَوِّجُ منك الهَضْبَ تاجاً كأنَّما   حَبَتْهُ بأنْواعِ النقوشِ القرائحُ (٢)

فإنَّ الصَّبا فَوْحٌ لها عنـد مَن صَبا   أيادٍ كما شاء الغرامُ وضائحُ

تُفَتِّحُ أقْفالَ القلوبِ كأنَّما   سَراها لأسْرارِ القلوبِ مَفاتِحُ

وتَبْعَثُ بالأشْواقِ تَبعثُ مَيْتَهـا   فما هِيَ للأرْواحِ إلَّا مَراوِحُ (٣)

تَقُدُّ قميصَ السُّحْبِ عن مَنْكِبِ الفضا   سُحَيْراً فتقضى وهْىَ نُعْمَ المصابِحُ (٤)

مُؤَدِّيَةً أسْرارَ عَرْفٍ تعرَّفتْ   لأهْليهِ فى ذاك الأداءِ مَصالحُ (٥)

قريبَةُ عهْدٍ من مَواطِنِ جِيرَةٍ   مَواطِنُهمْ فى الرَّقْمَتَيْنِ الجوارِحُ (٦)

لذلكَ أرْجُو أن تَهُبَّ نَدِيَّةً   مُعطَّرَةَ الأرْدانِ ممَّا تُصافِحُ

على أنَّ وادِيهـا المُقدَّسَ فى غِنًى   عن الطِّيبِ ممَّا طَيَّبَتْهُ الضَّرائحُ

مشاهِدُ فيهـا من دَمِ الشُّهداءِ ما   يُعطِّلُ منه نافِحَ المسكِ نافِحُ

---

(١) فى ا : « بالفيض العميم سوائح » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « تتوج منك الهدب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « تبعث تيها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « فتقضى فهى نعم المصابح » ، وفى ج : « فيقضى وهى نعم المصابح » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : « مودة أسرار » ، وفى ج : « مودة أسرار » ، والمثبت فى : ب ، وفى ا ، ج « عرف تعرف » ، والمثبت فى : ب . (٦) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج ، يعد ماوية تلقاء البصرة ، وبعد حفر أبى موسى تلقاء النباج ، وهما على شفير الوادى . معجم البلدان ٢/٨٠١ .

مُعاهَدُ لم يُحْفَظْ بها عَهْدَ أهْلِها عِصابةُ سُوءٍ قد كَسَتْها المَفاضِحُ
تَعَدَّوْا حدودَ اللهِ في آلِ أحْمَدٍ فآلُوا بِخِزْيٍ ليس عنه مُسامِحُ
ولم يكُ إلّا لَعْنةَ اللهِ كَسْبُهُمْ بصَفْقةِ خُسْرٍ خاب فيها المُرابِحُ
لِيُحْرِزَ سبّاقُ السَّعادةِ شَأْوَها ويُمْحَضَ للأشْقَى الشَّقا والفَضائِحُ
قضاءٌ له حكمُ الإرادةِ واضِعٌ به جَفَّتِ الأقلامُ والأمرُ واضِحُ
ألا عَدِّ عَمّا يَصْدَعُ القلبَ ذِكْرُه ويُذْكِي تباريحَ الأسَى منه بارِحُ
وإنّي وإن مَوَّهْتُ عنه فإنّني حليفُ جَوًى مما تُجِنُّ الجوانحُ(١)
ولكن لنا فيمن مضَى أُسْوَةُ الهوَى إذا ما وَرَى زَنْدٌ من الوَجْدِ قادحُ(٢)
سقَى صَيِّبُ الرِّضْوانِ أرْضًا بنُورِها تُنيرُ على صاحِي السَّماءِ الصَّحاصِحُ(٣)
مراقدُ مثْوَى العلمِ والحِلْمِ والحَيا وكلُّ حميدٍ ما اهْتَدَتْه المَدائحُ
رياضُ الرِّضا مَغْنَى الغِنَى مُنْتَدَى النَّدَى جِنانُ الجَناحيثُ المُنَى والمَنائحُ
يميناً بهم لولا مَمَرُّ الصَّبا على مَضاجِعِهِم ماطابَ مَنْبا المُصافِحُ
هُمُ السّادةُ الطُّهْرُ الذين بحُبِّهِمْ أَدِينُ إلهي يومَ يَرْبَحُ رابحُ
وهُمْ عُمْدَتي في كلِّ كَرْبٍ وعُدَّتي إذا ما غَزَى صَبْرِي الزَّمانُ المُكافِحُ
ولي من سَنا آثارِهِمْ كُلَّما دَجَى عليَّ ظلامُ المُوبِقاتِ مَصابحُ(٤)
وحاشا جَنابَ الأكْرَمين يُضِيعُ مَن لأعتابِهِمْ قد طَوَّحَتْه الطَّوائحُ
وإنّي لِمَن والاهُمُ لَمُحاسِنٌ وإنّي لِمَن عاداهُمُ لَمُقابِحُ(٥)
ولستُ بمن وَافاهُمُ المَدْحَ حقَّهُ وعُذْرِي وقد قَصَّرْتُ فيه لَواضِحُ(٦)

---

(١) في ب : «حليف جنى» ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : «فيما مضى» ، والمثبت في : ا ، ب .
(٣) الصحاصح : جمع الصحح والصحصاح والصحصحان ، وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد .
(٤) في ب : « ولى في سنا آثارهم » ، والمثبت في : ا ، ج (٥) في ب : «وإني لمن والاهم لمسامح»
والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « واست لمن وافاهم المدح حقه » ، والمثبت في : ب ، ج .

وإنّي لفكرٌ أعقمتهُ همومُه ... وأصمتهُ أصداءُ الزّمانِ الفوادحُ (١)

يقومُ مقاماً تخرسُ الفصحاءُ عن ... علاهُ فكيفَ الأخرسُ المتفاصحُ

ولكنّني أرجو المفازَ ولو بأنْ ... يشاعَ مجازاً أنّني الآلَ مادحُ

وحسبي حبٌّ للنّبيِّ وآلهِ ... ومَن قد أحبّوهُ ولستُ أكاشحُ

وممّا اقتضاني حبّهم حبُّ ذي علاً ... يطارحني ذكراهمُ وأطارحُ

محبٌّ حبيبي موطنٌ لمحبّتي ... وإنّي له خِلٌّ صدوقٌ مناصحُ

هو الأروعُ الليثُ الذي حشوُ ثوبهِ ... وقارٌ تغضُّ الطّرفَ عنه الملامحُ (٢)

همامٌ بعيدُ الهمّ رؤيةُ وجههِ ... دليلٌ لوحدانيّةِ اللهِ راجحُ (٣)

أغرُّ يريكَ النّجحَ مهما لحظتهُ ... أساريرُ منها كوكبُ السّعدِ لائحُ (٤)

إذا سمعتْ أذنٌ بأوصافِ مجدهِ ... تقولُ غلوٌّ بالغٌ وتسامحُ (٥)

وحتّى إذا ما عاينتْ منه سبّحتْ ... وقالتْ نعمْ في قدرةِ اللهِ صالحُ

رأيتُ علاهُ فامتلأتُ مهابةً ... ومَن يلقَ ليثاً فهو لا غروَ جامحُ

وقد ظلْتُ لم أسطعْ جواباً وإنّ لي ... لعضبَ لسانٍ تتّقيهِ الجوارحُ

كأنّ مدادي حين أرقمُ مدحهُ ... غوالي الغواني والرّوى الرّوائحُ

عجبتُ لأقلامي سعتْ في مديحهِ ... على رأسها جرياً بما هو سائحُ

وقد طالَ ما استنهضتُها لملمّةٍ ... فأعيتْ طلابي وهي تكلى بوارحُ

ولا غروَ أن تسعى لمخدومها الذي ... جميعُ مساعيها لديهِ نواجحُ

فديتكَ يا ابنَ الأكرمين ومَن به ... خزاعةُ لم يرجحْ عليها مراجحُ

---

(١) في ب : «أصداء الزمان الفوادح» ، والمثبت في : ا ، ج (٢) في ب ، ج : « تغض الطرف عنه اللامح » ، والمثبت في : ا . (٣) في ا ، ب : « همام بعيد الهم » ، والمثبت في : ج .

(٤) في ب : « يريك النصح مهما نصحته » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : « بأوصاف مدحه » ، والمثبت في : ا ، ج .

حَنَانَيْكَ إذْ كانَ الجيُوشُ تَهابُ مِن ... لِقائِكَ فاعْذُرْ عاجِزاً يتَكادَحُ (١)
وأيُّ لســانٍ لا يَكِلُّ حديدُهُ ... لدَى ذَرِبٍ ينْبُو لدَيْه الصَّفــائِحُ
على أنَّنِي للشِّعرِ كنتُ مُحارِباً ... ولمْ ألْقَ فيما بيْنَنَا مَن يُصالِـحُ
وقد كنتُ أبْوابَ القَرِيضِ غَلَقْتُها ... إلى أنْ أتَتْهَا مِن يَدَيْكَ الفواتِحُ
ومَن لم يكن في مِثْلِ مجْدِكَ شاعراً ... عصَتْهُ القَوافِي واعْتصَتْهُ القَرائِحُ (٢)
ولستُ بِمَن يختارُ لُبْثاً بغَـيْرِ مَا ... مُقامِكَ لولا أفْرُخٌ تَتَصادَحُ (٣)
تُسائِلُ عنِّي مَن يروحُ ويغْتدِي ... سُـؤالَ شَجِيٍّ دَمْعُهُ يتَسافَحُ
وأنْتَ خَبِـيرٌ أنَّ تلكَ عَلاقَةٌ ... تَسُدُّ على الوحْشِ الفضَا وهْوَ سارِحُ
ولوكان لي مِن فارِهِ الفَحْلِ مَرْكَبٌ ... أُغادِي به مَغْنَاكُمُ وأُراوِحُ (٤)
لمَا قعَدتْ بي عن حِماكُم عزِيمَةٌ ... ولَا اطَّرَحَتْنِي مِن سِواكَ مَطارِحُ (٥)
ولي نَفْسُ حُرٍّ تأْنَفُ الذُّلَّ لو أتَى ... لهَا بِقرابِ الأرْضِ مما يُشاحِحُ
تأَلَّفْتُها بالُّطْــفِ حتَّى تألَّفتْ ... وحنَّتْ إلَيْكُمْ والدِّيارُ نوازِحُ
وحتَّى إذا وافَتْكَ وافَتْ مُهذَّباً ... يُمِيدُ رُواءَ الدهرِ والدَّهرُ كالِحُ (٦)
حَليماً لدَى البأْساءِ قُطْبَ رَحَى الوغَى ... رَزِينَ الحِجَا لا يزْدَهِيــهِ مُمازِحُ
بصيرٌ بتَدْبيرِ الخُطوبِ كأنَّمــا ... ذَكاهُ بأعْقــابِ الأُمورِ يُصارِحُ
له مَنْطِقٌ يسْتَنْزِلُ العُصْمَ في الرِّضَا ... وفي البأسِ رُسْـلٌ للْمنايَا فواضِحُ
فطِبْ عُمَرُ الثَّانِي بسِيرَتِكَ التي ... بِها كلُّ محزُونٍ من الجوْرِ فارِحُ

---

(١) في ج : «حنانيك إن كان الجيوش» ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ب : «واعتصته المدائح» ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ج : «ولست بمن يختار لينا» ، والمثبت في : ا ، ب . (٤) في ا ، ج : «من فارة الحفل مركب» ، والمثبت في : ب . (٥) في ب ، ج : «لما قعدت بي عن حماك عزيمة» ، والمثبت في : ا . (٦) في ب : «يعيد رواء البحر» ، والمثبت في : ا ، ج .

إليك أتتْ رُعْبوبَةُ الحُسْنِ غادَةٌ ... لها مِن بديعِ المَكْرُماتِ وشائِحُ (١)

وبَلْقِيسُ حُسْنٍ فى مَنصَّةِ عَرْشِها ... بلابلُ أفْنانِ الفُنون صَوادِحُ (٢)

شُهودٌ بأنّى فى البَلاغةِ واحِدٌ ... كأنت عُلًا كلٌّ بِمَعْناهُ طافِحُ (٣)

عسى هِزّةٌ من أرْيَحِيّتِكَ التى ... تَناشَدَها الرُّكْبانُ غادٍ ورائِحُ

تُلِمُّ مَن جاراكَ فى حَلْبَةِ العُلَى ... تَلَقّى وَفْدِ الفضْلِ أنّى يُصافِحُ

ودُمْ وابْقَ واسْلَمْ غُصْنَ مَجْدٍ يهُزّهُ ... أغارِيدُ مُدّاحِ العُلَى والمدائِحُ

* * *

ومن غزَليّاتِه الرّقيقة ، التى هى الخمْرُ على الحقيقة ، قوله من قصيدة . مطلعُها(٤) :

لَحَظاتٌ لا تُحامى التَّوَدّا ... قد تَناهَبْنَ الحَشا والكَبِدا

منها(٥) :

يا لِحاظًا نستلِذُّ فَتْكَها ... لا عدِمْنا عَضْبَكِ المُجرَّدا (٦)

دُونَكِ الصَّبْرَ أُحْظِى جُنوحَه ... واجْتَلِى شَمْلَ السُّلُوّ بَدَدا (٧)

وامْنَعِى وَرْدًا ووِرْدًا للحيا ... والحياةِ مِن جَنًى أو وِرْدا

يا مَهزّ الغُصْنِ من عِطْفَيْه مِلْ ... واعْتدِلْ لم تلْقَ مَن قال اعْتدى

---

(١) فى ب : « إليك غدت » ، والمثبت فى : ا ، ج . والرعبوبة : الناعمة . (٢) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل ، أو بلقيس بنت شراحيل ، ملكة سبأ ، آمنت مع قومها لله رب العالمين ، على يد سليمان عليه السلام ، فتزوجها ، وتوفيت ، فدفنها بتدمر .

التيجان ١٣٧ ــ ١٧٠ ، شرح المقامات للشريشى ٢/١٦٩ ، ١٧٠ ، نهاية الأرب ١٤/١٣٤ .

(٣) فى ا : « كأنت علا كل » ، وفى ب : « كأن على كل » ، والمثبت فى : ج . (٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٠ . (٥) الأبيات متصلة فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى خلاصة الأثر :

بلحاظٍ نستلِذُّ فتكَها ... لا عدِمْنا لَحْظَكَ المجرَّدا

(٧) فى ج : « جمع السلو » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

يا مَقَــاطَ القُرْطِ من نُغْنُغِهِ ... قد تركْتَ الظَّبْيَ يَجرى فى الكُدَى[١]
كيف لِلظَّبْيِ بفَرْعٍ فاحِمٍ ... زانَ بالتَّصْفيفِ جِيــداً أجْيَدَا
مُذْ غدا المِحْرابُ من حاجِبِه ... قِبْلَةً خَرَّتْ جُفونى سُجَّدَا[٢]
هــكذا الحبُّ وعِزٌّ شأْنِه ... صَنْعَةَ اللهِ تعــالَى مُوجِدا[٣]
مالِكِى بالحُسْنِ والحُسْنَى احْتَكِمْ ... حَقَّ أنْ تُضْحِى لِمِثْلِى سَيِّدَا[٤]
إنَّ مَن كنتَ له مَوْلًى فقدْ ... عاش يا مَوْلاىَ عَيْشَ السُّعَدَا
صَبَّحَ اللهُ بــكلِّ الخيرِ مَن ... كان مَرْآكَ لعينَيْهِ ابْتِدَا[٥]
أنت رُوحِى فإذا ما غِبْتَ عَنْ ... ناظِرِى فارَقَ رُوحِى الجَسَدَا

* * *

وله يُوَدِّع بعضَ إخوانه[٦] :

حَيَّاكَ عَهْدَ الحبيبِ عَهْدُ ... أَوْطَفُ جَفْنِ السَّحابِ وَرْدُ[٧]
بعــدكَ ما جَفَّ من جُفونى ... دَمْــعٌ ولم يَجْفُهُنَّ سُهْدُ
كأنَّمــا كان للَّيــالِى ... دُيونُ بَيْنٍ وحانَ وَعْــدُ
ياليْتَ مــذ فَرَضْتُ بِعــاداً ... سَنَنْتُ وَداعاً غــداةَ تَبْدُو[٨]
أسْتَودِعُ اللهَ مَن جَفــانِى ... ضَرُورةً وهْوَ لِى يَوَدُّ

---

(١) النغنغ : الذى يكون فوق العنق . انظر القاموس (ن غ ن غ) . وفى ج : « يجرى فى كدا » والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . والكدى : جمع الكدية ، وهى الأرض الصلبة الغليظة .

(٢) فى ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « من غدا المحراب » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « هكذا الحسن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « يعز شأنه » . (٤) فى ا ، وخلاصة الأثر : « مالكى بالحسن والحس احتكم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : « أصبح الله » ، وفى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٣ . (٧) فى ب : « وطف ورد السحاب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) فى ج : « حنت وداعا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . وفى خلاصة الأثر : « غداة شدوا » .

سَارَ بِقَلْبِي حِمَاهُ رَبِّي وَلَمْ يَقُلْ كَيْفَ بَعْدُ تَغْدُو
حَدَاهُ أَنِّي أَنْتَحِي فَلاحٌ وَقَادَهُ لِلنَّجَاحِ رُشْدُ
وَمَا عَلَيْهِ بِذَاكَ عَتْبٌ إِرَادَةُ اللهِ لا تُرَدُّ

* * *

وله فى الغزل(١) :

مَا الَّذِى أَوْجَبَ صَدَّكْ وَلِمَا أَخْلَفْتَ وَعْدَكْ
أَلِشُغْلٍ دُنْيَوِىٍّ أَمْ عَذَابِي كَانَ قَصْدَكْ
أَمْ دَلالٍ أَمْ تَجَنٍّ أَمْ قَرِينُ السُّوءِ صَدَّكْ
وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ أَسْعَدَ الغُفْرَانُ جَدَّكْ
بِالَّذِى وَلَّاكَ رِقِّي سَيِّدِى لا تَنْسَ عَبْدَكْ(٢)
أَنَا فِى قُرْبٍ وَبُعْدٍ حَافِظٌ تَاللهِ عَهْدَكْ
وَفُؤَادِى حَيْثُمَا كُنْـ ـتَ وَأَيْمُ اللهِ عِنْدَكْ
لُطْفُكَ الْمَعْهُودُ خَلا نِي أَسِيراً لَكَ وَحْدَكْ
هَلْ مِنَ الإِنْصَافِ إِقْصَا ءُ الَّذِى يَنْظِمُ قَصْدَكْ
حَاشَ أَلْطَافَكَ مِنْ أَنْ تَمْنَعَ الظَّمْآنَ وِرْدَكْ
أَنَا مَنْ شَادَ كَمَا شَا ءَ التُّقَى وَالصَّوْنُ وُدَّكْ(٣)
كَمْ خَلَوْنَا وَالْمُرُوءَا تُ وَشَتْ بُرْدِى وَبُرْدَكْ
وَعَفَافُ الذَّيْلِ قَدْ طَوَّ قَ جِيدَ الصَّبِّ زِنْدَكْ
هٰكَذَا نَحْنُ فَطُنَّ الْـ ـخَيْرَ يَا سَائِلُ جُهْدَكْ

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٢ ، ٣٣٣ . (٢) فى ا : «بالذى أولاك رق» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ب : « كمن شاء التقى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

أنا مَنْ يَتْبَعُ غَيَّ الْـ ... حبِّ فاتْبَعْ أنت رُشْدَكْ

***

وله(١) :

إليك ياابْنَ أبى عنّى نصيحةَ مَن ... يَدُ التَّجارِبِ قامَتْ عنهُ بالأوَدِ(٢)

إيَّاكَ صُحْبةَ غيرِ الجنْسِ مابَشَرٌ ... يقْوَى لأنْ يَجْمعَ الضِّدَّيْنِ فى جَسدِ

***

وله :

حَىِّ وَجْهــاً إذا سَفَرْ ... أخْجَلَ الشَّمْسَ والقمرْ(٣)

ومُحيّـاً لهُ الحيَا ... وخُدوداً لها الخَفَرْ

وقُــدوداً إذا انْثَنَتْ ... ظَلْتُ أُثْنِى على القَدَرْ

ومَهاً فى جُفونِهـا ... عالِمُ السِّحْرِ قد مَهَرْ

يسْتَفِزُّ الحجـا بلا ... حاجـةٍ لِسوَى النَّظَرْ

وظِباءً ظُبَـاؤُهَا ... ليْس تُبْقِى ولا تَذَرْ

غازَلَتْنِى بغَزْوِهـا ... ثُمَّ وَلَّتْ على الأثَرْ

ودَّعَتْـنِى وأوْدَعتْ ... جَفْنِىَ النَّوْحَ والسَّهَرْ

وتَبـاكَتْ وقـد بـكَيْـ ... ـتُ وعند الهوَى الخَبَرْ

ساجِيـاتِ الجُفُــونِ لاَ ... تتّخِــذْنَ البُـكا سُتُرْ

لستُ فِيكُنَّ لابِساً ... مِن غرامِى على غِرَرْ

ليس مَن دَمْعُه حَياً ... مثلَ مَن دمعُه حَـذَرْ(٤)

---

(١) البيتـان فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٢) فى خلاصة الأثر : « إياك يا ابن أبى » .

(٣) فى ب : « حى وجها إذا سطر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : «مثل من دمعه حدر» ، والمثبت فى : ب ، ج .

أين دَمْعُ الدَّلالِ مِنْ عَـــبْرةِ الهَمِّ والعِبَرْ
غَيَّرَ الكُحْلُ لَوْنَ ذا واسْتحالَتْ بذا الغِيَرْ (١)
ليس مَن قَلْبُـــه قَسَا كالّذِى قلبُـــه انفطَرْ
ليس مَن باتَ هَاجِعًا مثــلَ مَن نَوْمُــه هَجَرْ
ومِنَ الفَرْشِ والوِسَا دِ يُسْتَثْبَتُ الخَبَرْ

❊ ❊ ❊

وله (٢) :

أطالَتْ وقالتْ مَن تصبَّرَ يظْفَرُ فَدَيْتُكِ لٰــكِنْ مُــدَّةُ العُمْرِ تقْصُرُ
فَفِى كلِّ قُطْرٍ غُرْبَةٌ وتَشَتُّتٌ وفى كلِّ عصْرٍ حُرْقَةٌ وتَحَسُّرُ
يُخَيِّــلُ لى فى كلِّ قَفْراءَ أنّما بها الآلُ أشْراكُ الهَوانِ فَأَقْصِرُ (٣)
أُهجِّرُ منهـــا حيثُ تَسْتَعِرُ الحَصَا وتَصْخَبُ حِرْباءُ الهَجِيرِ وتَزْفِرُ (٤)
وحــتَّى إذا شَمْسُ الأَصِيــلِ تقنَّعتْ حِداداً على فَقْدِ النَّهارِ أُشَمِّرُ (٥)
فأخْتَبِطُ الظَّلْماءَ أحْسَبُ أنّهــا مَسافةُ خَطٍّ بالخُطَى تتقَصَّرُ (٦)
ولو أنَّ لى فيكِ الْتِفافَ مَوَدَّةٍ لَمَا كنتُ أَطْوِى فى البلادِ وأَنْشُرُ

❊ ❊ ❊

---

(١) فى ب :

غَيَّرَ الكُحلُ لونَه واستحالتْ به الغِيَرْ

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٣٤ . (٣) كرر عجز البيت السابق مكان عجز هذا البيت فى : ج ، وفى خلاصة الأثر : « أشراك الهوان فأنفر » . (٤) فى ب : « أأهجر منها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتهجر القوم : ساروا فى الهاجرة . (٥) فى ب : « على فقد النهار لسمر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ا ، ب : « بالخطاء فتقصر » ، وفى ج : « بالخطا فتقصر » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

وله [١] :

الأهمَّ الأهمَّ إن كان لابُدَّ   فإنَّ الزمانَ فينــا قصيرُ [٢]
لا تُضِعْ فُرْصــةَ الحياةِ فما لل   عمرِ حيثُ انتهى مَداهُ مُعيرُ [٣]

* * *

وله [٤] :

ألا قُلْ لمن أبدى اعتذاراً وقد أبَى   زيارتَنا والرَّيْبُ في ذلك العُــذْرِ
عليكَ أمانُ اللهِ ما دُمْتَ عنــدنا   من القتلِ والتَّشْليحِ ثمَّ فلا أدْرِي

* * *

وله [٥] :

إذا كانَ فقرُ المرءِ يُزْرِي كمالَهُ   فتنفِرُ منـه الأصدقاء بلا عُذْرِ [٦]
فياضَيْعةَ الحسْنَى ويا خَيْبةَ الرَّجا   ويا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ على خُسْرِ

* * *

وله :

أسَفٌ يُرَدِّدُ بالنَّفَسْ   ومَدامِعٌ لا تُحْتَبَسْ [٧]
وصَبابةٌ من وَقْدِهــا   نارُ الجوانحِ تُقْتَبَسْ
شَوْقاً إلى مَن بُعْدُهمْ   لم يُبْقِ لي إلَّا نَفَسْ [٨]
وشَتــاتُ شَمْــلِي عنهمُ   قد سَلَّ رُوحِي واخْتَلَسْ

---

(١) البيتــان في خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٢) في ب : « إن كان لا بد طاقة فإن الزمان . . » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب : « لا تدع فرصة الحياة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) سقط هذان البيتان من : ب ، وهما في : ا ، ج . (٥) البيتــان في خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٦) في ب : « فتقصر منه الأصدقاء » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) في ج : «ومدامة لا تحتبس» ، والمثبت في : ا ، ب . (٨) في ب : « شوقا إلى إبعادهم ...إلا النفس » ، والمثبت في : ا ، ج .

صَبْراً لدَهْرٍ ما ابتسَمْ ... تُ تجلُّداً إِلَّا عَبَسْ

* * *

وله ، ويخرج منه اسم إبراهيم بطريق التَّعْمِيَة :

إنَّ رَقِيباً صَدَّ مَنْ نَعْشَقُهُ ... عَنَّا وآذانا بلا تحاشي

راحَ بلاَ عاقبةٍ محمودةٍ ... إذْ حالَ بيْنَ الماءِ والعِطاشِ

* * *

وله (1) :

تولَّى زَمانِي بالتَّلاعُبِ وانقضَى ... وحبْلُ شَبابِي بالمَشِيبِ تنقَّضا

أُراقِبُ لَمْحاً من سُهيْلِ مَطالِبِي ... وأرْصُدُ بَرْقاً من أمانِيَّ أوْمَضا

يُخيَّلُ لي أنَّ الدُّجَى وَجْهُ باخلٍ ... وكَفَّ الثُّريَّا للسُّؤالِ تعرَّضا

فآنَفُ مِن نَيْلِ الغِنَى بِمَذَلَّةٍ ... وأُلْوِي عِنانَ القَصْدِ عَنْهُ مُفوِّضا (2)

وأعْيَى طِلابِي مِن زَمانِيَ صاحِباً ... يكونُ لِحالِي بالوفاءِ مُنهِّضا (3)

فأيقنْتُ أن الخِلَّ أفقَدُ ثالِثٍ ... مع الغُولِ والعَنْقاءِ في قَوْلِ مَنْ مَضَى

وقد صَحَّ عندِي أنما الخِلُّ خَلَّةٌ ... أرُومُ لها سَدَّ الكَفافِ مع الرِّضا

إذا قطَع الإنسانُ أطْماعَ نفْسِه ... مِن النَّاسِ كان اليَأْسُ أهْنا مُعوِّضا

هُناكَ يكونُ المرْءُ باللهِ مُقبِلاً ... على شأْنِه ما إن يكِلُّ له مَضا

فذاكَ الَّذِي بالعَقْلِ صَحَّ اتِّصافُهُ ... ومَن لا فلاَ واللهُ بالِغُ ماقَضَى

* * *

---

(1) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٣٣٨ . (2) في ج : « من نيل الغنى » ، وفي ا : « من نيل المنى » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر . (3) في ا ، ب ، ج : « من زماني صاحب » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

وله :

قبلَ التَّغزُّلِ منِّي فيه كانَ لَهُ   بعضُ الْتِفاتٍ إلى حالِي وقد مُنِعاَ
أمِنْتُ فيـه من الأغْيارِ فانْتَدَبَتْ   للمَنْعِ بِنْتُ لِسانِي ليت لو قُطِعاَ (١)
يارَبِّ حتى أنا سَاعٍ على تَلَفِي   ماذاكَ إلَّا لِسُوءِ الحظِّ قد وُضِعـاَ

* * *

وله :

أيُّهــا الغاصِبُ قلْبِي   خَلِّهِ مِنْكَ وَدِيعَــهْ
لا تـكُنْ ضَامِنَ فى الغَصْـ   ـبِ بإتْلافِ القَطِيعَــهْ

* * *

وله ، وقد أجاد :

يا بَعِيدَ الغَوْرِ مِن خَصْـ   ـرٍ عفا لَوْلَا المَعَاطِفْ (٢)
وبَعِيدَ القُرْطِ مِن مُعْـ   ـقَدِ أطْرافِ المطــارِفْ
أعمودُ الصُّبْحِ ما أطْـ   ـلَعَتْ مِن طَوْقِ المَناشِفْ
أم بَدا مِعْصَمُ كَفٍّ الْـ   ـبَرْقِ للأبْصارِ خاطِفْ
أمْ طَــلَا ظَبْيٍ مُراعٍ   مُسْرِعِ اللَّفَتاتِ واجِفْ
يا قَضِيباً مِنْ لُجَيْنِ الْـ   ـلُطْفِ نامٍ فى حَقائِفْ (٣)
باتَ يُسْقَى صَيِّبَ الدَّ   لِّ فأضحى وهْوَ وارِفْ
إن عَرَى مِن حُلَلِ الْـ   ـخَزِّ اكْتَسَى حُلَلَ اللَّطائِفْ (٤)

---

(١) فى ا : « من الأغيار فابتدأت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « بنت لسانى ليته قطعا » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ج : «من خصـ * ـر عفى » ، والمثبت فى : ا،ب.
(٣) الحقف : ما اعوج من الرمل .   (٤) فى ج : « اكتسى حلى الطائف » ، والمثبت فى : ا ، ب.

(نفحة الريحانة ١٨/١)

دارَ هَيْمانُكَ هَيْمَا نَا لأَخْبارِ المَراشِفْ[١]
ولقَدْ طالَ المَدَى فانْـ ـعَمْ بإرْسالِ السَّوالِفْ[٢]

* * *

قلتُ[٣] : هذا شعر أبْهَى من إرسال السَّوالف ، وأشْهر من ذِكْر اللَّيالي السَّوالِف .

* * *

وله إلى مُعذَّرٍ طُرِّزت حاشيتا خدَّيْه بالقلم الرَّيْحانيِّ ، وعُزِزتْ[٤] صحيفتا وَجْنَتَيْه بالطِّراز الشُّبْحانيِّ :

هذا طِرازُ المُلْكِ يَحْلُو ولَهُ لِواءُ الحُسْنِ يَعْلُو
فَنَواطِقُ الأرْواحِ آ ياتِ الصَّبابةِ فيه تَتْلُو
نَسَخَ العِذارُ بخَطِّه عُذْرَ السُّلُوِّ فكيفَ نَسْلُو
عجبًا لجَمْرٍ منه يَصْلَى الأَ قَلْبَ دَبَّ عليه نَمْلُ[٥]
ولِعَقْرَبٍ من عَنْبَرٍ حامَتْ على وَرْدٍ يُطِلُّ
ولِحُمْرةٍ فيها تَوَلَّـ ـدَ من خُطُوطِ الصَّبِّ شَكْلُ[٦]
وحِقاقِ ياقُوتٍ عَلَيْـ ـهِ من الزُّمُرُّدِ صِيغَ قُفْلُ
إنَّ الجَمالَ الصِّرْفَ مَعْـ ـنًى عن تَمَلُّقِهِ يَجِلُّ
أسْتَغْفِرُ اللهَ العظيـ ـمَ تَوَهُّمُ الأفْكارِ شُغْلُ
هٰذِي طَلاسِمُ قُدْرَةٍ لِلْعَيْنِ كَنْزٌ فيه لَعْلُ[٧]

(١) صرف « هيمان » لضرورة الوزن . (٢) في ج : « ولو طال المدى . . » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) هذا القول كله ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٤) في ا : « وعززت » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ب : « عجبا لجر فيه » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٦) في ب : « من خطوط الصب » ، والمثبت في : ا ، ج. (٧) في ب : « فيه لعل » بدون نقط ، وفي ج : « فيه سهل » ، والمثبت في : ا ، ولعل : حجر كريم . القاموس (لعل) ، وانظر Dozy 21536

بلْ ظِلُّ أهْـداب شجَخصْـ ـنَ وفى مَرائِى الحسْنِ صَقْلُ
فغدا صَفـاه أديمها لخيالِ ذاكَ الظِّلّ يجْلو[١]

* * *

وله فى الغزل[٢] :

مِـنْ فؤادى لمِيلكَ المسْتمِيلِ مُتَاقٌ على مَراحِ القَبُولِ
وعجيبٌ مَيْلُ الغصونِ إلى نَحْـ ـوِ مهبِّ الهوى بغيْرِ مُميلِ
لـكنِ الميْلُ بانْجذابِ هوى النَّفْـ ـسِ أبِىٌّ الزَّوالِ والتَّحويلِ
حبّذا ميْـلةٌ خلسْتَ بهـا القَلْـ ـبَ اخْتِلاسَ الشَّمولِ حُرَّ العُقولِ[٣]
معْطَفٌ عاطِفٌ وجيـدٌ مجادٌ والْتِفـاتٌ يَسْبِى بطَرْفٍ كَحيلِ
وطُـلًا واضِـحٌ ولَفْظٌ خَلوبٌ يَنْفُثُ السِّحْرَ فى خِلالِ المقُولِ
وبِروحِى إذا تغاضَبْتَ والمبْـ ـسَمُ يفْترُّ عن رِضاً فى نُكُولِ[٤]
لَعِبٌ فى تأدُّبٍ وتجَنٍّ ضِمْنَ عطْفٍ ومَنْعةٌ فى حصُولِ
هٰـكذا هٰـكذا تباركَ مَنْ أوْ دَعَ فى ذا الجمالِ كلَّ جميلِ[٥]

* * *

وله[٦] :

بِروحِى الذى أشْقَى العيُونَ ارْتِقابُهُ وأخْرَجَ عن حَـدِّ التَّعادلِ أحْوالِى
تمثِّله الأشْـواقُ لى فإذا أرى مَليحاً على بُعْدٍ تظَنَّاهُ بَلْبالى[٧]

---

(١) فى ا : « لغزال ذات الطل » ، وفى ب : « لخنان ذات الطل » ، والمثبت فى : ج . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣١ ، ٣٣٢ . (٣) فى ب : « اختلاس النفوس حر العقول » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى خلاصة الأثر : « وبروحى إذا تغاضبت . . . » . (٥) فى خلاصة الأثر : « من أو * دع ذا الجمال » . (٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٢ . (٧) فى ا : « تظناه ببلبال » ، وفى ج جاء عجز البيت هكذا :

* مليحاً على بعدٍ أقولُ هو الغالى *

والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر . وتظناه : أعمل الظن فيه .

فأقْصِده قَصْدَ العِطاش توهَّمتْ ... سَراباً فَقَد دانتْه إذْ هو بالآلِ(١)

فصرت بحالٍ لو أراهُ حَقيقةً ... نكِرتُ على عَيْنِي وكذَّبْتُ آمالى(٢)

***

وله(٣) في تَهنئة(٣) بخِتان :

الْغُصْنُ يُحذَمُ باقْتِضابِ فَواضِـــلٍ ... منْهُ لِينْمُوَ في الرِّياضِ ويَحْمِلاَ

وكذاكَ أقْــلامُ الكَمالِ لِبَرْيِهاَ ... تعنُو لهـــا سُمْرُ الرِّماحِ تَمثُّلاَ

والشَّمْعُ لا يَزْهُو ويُزْهِرُ نُورُها ... حتى تَقُصَّ من الذُّبالةِ مُرْسَــلاَ

***

تناول هــذا من قول محمد بن قاسم الحلَبي(٤) ، مِن تهْنئتِه بخِتانٍ ، يقول فيها(٥) :

هُو الشَّمْعُ إن قُطَّ لا غَرْوَ أن ... أنارَتْ به حالِكاتُ اللَّيالِي

وظُفْرٌ بتَقْليمِـــــهِ لا يزالُ ... أكفُّ المكارمِ منه حَوالِ(٦)

وتَشْميرُ ذَيْلٍ لدى الاسْتباقِ ... لِنَيْلِ الأمانِي وكَسْبِ المعالِي

ومَا لِليَراعِ إذا لَمْ يُقطَّ ... فضْـــلٌ يُعدُّ على كلِّ حالِ

---

(١) في ا : « سرابا فما دانته أو هي بلال » ، وفي ب ، ج : « فقد أدنيه إذ هو بالآل » ، وفي خلاصة الأثر : « فلما حان إذ هو بالآل » ، ولعل الصواب ما أثبتــه . (٢) في ا : « فصرن بحـــال لو رآه حقيقة » ، وفي ب : « فصرت بحال لو رآه حقيقة » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) في ب : «يهنيه» ، والمثبت في : ا ، ج .

(٤) محمد بن أحمد بن قاسم ، الشهير بالقاسمي الحلبي .

نادرة الزمان ، وفريدة العصر .

ولد بحلب ، ثم قدم الروم ، وصار بها من كبار المدرسين ، ثم كف بصره فتقاعد برزق عين له من قبل السلطان .

مات بالروم ، ودفن بدار الخلافة ، سنة أربع وخمسين وألف .

إعلام النبلاء ٦/ ٢٧٥ ، خبايا الزوايا لوحة ٢٥ ب ، ريحانة الألبا ١/ ٧٨ .

(٥) الأبيات في ريحانة الألبا ١/ ٨٨ ، ٨٩ . (٦) في ا : « منـــه حوالى » ، وفي ب : « منــه خوالى » ، وفي ج : « وكف المكارم منه خوالى » ، والمثبت في الريحانة .

ومن بَعْدِ بَرْى الغُصونِ ازْدَهَتْ عَلَيْها أَسِنَّةُ سُمْرِ العَــوالِي

وإن كان سبقه فى البعض ابنُ فضلِ الله (١) ، فى ختان الناصر (٢) :

لم يُرَوَّعْ له الخِتــانُ جَنانًا مُذْ أصابَ الحديدُ منه حَدِيدًا

مِثْلما تنقصُ المصابيحُ بالقَطِّ فَــتَزْدادُ فى الضِّياءِ وُقُودًا

وكذلك الصَّنَوْبَرِىّ (٣) فى قوله (٤) :

أرَى طُهْرًا سيُثْمِرُ بَعْدَ غَرْسًا كما قَدْ تُثْمِرُ الطَّرَبَ المُدامَهْ (٥)

وما قَــلَمٌ بمُغْنٍ عنكَ إلَّا إذا ما أُقِيَتْ عنهُ القُلامَهْ

ومن الفصول المُطْرِبةِ فى هذا الباب ، فصلٌ للقاضى الفاضل (٦) :

الحمدُ لله الذى أطلعه بثَنِيَّاتِ الكمال ، وبلَّغه غاياتِ الجمال ، ويسَّرَهُ لدرجات الجلال ، ونقَلَه تنقُّلَ الهلال ، وشذَّبه (٧) تَشْذِيب الأغصان ، وهذَّبه تهذِيبَ الشُّجعان ، وأجْرَى فيه سُنَّةَ سَنَّ لهــا الحديد ، فنقصه للزِّيادة ، واستخْلصه للسِّيادة ، ودرَّبه للاصْطِبار ، وأدَّبَه للانتِصار ، وألقَى عنه فَضْلَة فى اطِّراحِها الفضيلة (٨) ، وقطَع عنه

---

(١) شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن فضل الله بن المجلى القرشى العدوى.

كان إماما فى كتابة الإنشاء ، عارفا بتدبير الممالك ، مليح الخط ، غزير العقل ، وخدم عدة سلاطين .

توفى بدمشق ، سنة سبع عشرة وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٣/٤٢ ، فوات الوفيات ٢/٤٦ ، النجوم الزاهرة ٩/٢٤٠ .

(٢) يعنى محمد بن قلاوون ، الملك الناصر .

ولى سلطنة مصر والشام ، وهو صبى ، ثم خلع منها ، وأعيد إليها مرة ثانية ، فأقام بالقلعة محجورا عليه ، وأظهر رغبته فى الحج ، وكانت خديعة استطاع من طريقها أن يصل إلى ملكه .

عرف بكرمه ، ورغبته فى العمران ، ومبالغته فى الحرص على ألا ينسب إليه ظلم أو جور .

توفى بالقاهرة ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٤/١٦١ ، فوات الوفيات ٢/٥٢١ ، النجوم الزاهرة ، الجزءان الثامن والتاسع .

والبيتان فى ريحانة الألبا ١/٨٩ ، فوات الوفيات ٢/٤٩ .

(٣) فى ب : « الصورى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وريحانة الألبا . (٤) البيتان فى ريحانة الألبا ١/٩٠ . (٥) فى ريحانة الألبا : « أرى طهرا سيثمر بعد غرس » ، وما هنا أقرب إلى الصواب.

(٦) ذكر الخفاجى هذا الفصل أيضا ، فى ريحانة الألبا ١/٨٩ . (٧) فى ا ، ب ، ج : « وشذب به » ، والمثبت فى ريحانة الألبا . (٨) فى ا : « فضيلة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وريحانة الألبا .

عَلَقَةٌ(١) حَقُّ مِثْلِها ألا تَكُون بِمِثْلِهِ مَوْصولَة .

فلم يَزَل التَّقْلِيمُ مُنَوِّهاً بالأغْصان ، ومُنَبِّها للثَّمَرِ الوَسْنان ، ومُبَشِّراً بالنَّماء ، ومُيَسِّراً للنَّشْوِ(٢) والانْتِشاء .

* * *

ولطرز الريحان مُضَمِّناً بيت الأمير المَنْجَكِي(٣) :

عَجِبْتُ مِن طالِعِ المُحِبِّ ومِنْ　　سُرْعةِ إكْذابِ بأسِهِ الأمَلاَ(٤)
إن زارَهُ مَن يُحِبُّ عن غَلَطٍ　　أتاهُ كابوسُ يَقْظَةٍ عَجِلاَ
كأنَّه طارِقُ المَنُونِ فلاَ　　حِيلَةَ في دَفْعِهِ إذا نَزَلاَ
أو الغَرِيمُ المُلِحُّ في زَمَنِ الْ　　عُسْرِ أو الدَّاءُ صادَفَ الأجَلاَ
ثَقِيلُ رُوحٍ يَزُورُ في زَمَنٍ　　لو زارَ فيه الحبيبُ ما قُبِلاَ
يقولُ إيهٍ وقد وَجَمْتُ ومَنْ　　يَنْطِقُ أو من يُطِيقُ مُحتَمِلاَ(٥)
يَسْألُ ماتَشْتَكِي فقلتُ له　　داءٌ عَرانِي فقال لا وَصَلاَ(٦)
فقلتُ آمِينَ يامُجِيبُ أَزِلْ　　ماتَشْتَكِيهِ فإن يَدُمْ قَتَلاَ
ياليْتَ لو أنَّهُ اسْتُجِيبَ لنا　　دَعْوتُنا تلكَ والمكانُ خَلاَ
لم يَخْلُ بل ضاعَ وَقْتُنا هَدَراً　　ومَلَّ مِنّا الحبيبُ وارْتَحَلاَ(٧)

---

(١) في ب : « غافة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وريحانة الألبا . (٢) في ا : « للنشوة » ، والمثبت في : ب ، ج ، وريحانة الألبا . (٣) تقدمت ترجمة المنجكي في صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

وبيت المنجكي هو الخامس في هذه الأبيات ، وهو في ديوانه ١٥٠ ، وقد تقدم أثناء ترجمته ، في صفحة ١٥٩ .

وأبيات طرز الريحان في خلاصة الأثر ٢/٣٣٤ .

(٤) في ا ، ب : « سرعة الكذاب » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في ب ، ج : « ينطق أو يطيق محتملا » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٦) في ا ، ج : « يسأل ما يشتكي » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر ، وفي ا : « فقلت لا وصلا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) في ب ، ج : « لم يخل » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

وله، متغزّلا :

أُبُنَىَّ لا أُعــــدِمْتُ فضلَكْ   وأدام لى مَوْلاىَ ظِلّكْ
ياجامعًا شَمْـــلَ البها   لا فرّقَ الرّحمنُ شَمْلَكْ
أَفْدِيكَ لم تَرَ فى الهـوى   مِثْــلِى ولا أبصَرْتُ مِثْلَكْ
حاشا طِباعَكَ والوفا   من أن تَمَلَّ وأن أَمَلَّكْ
وكُفيتَ نَزَغاتِ الوُشا   ةِ وجَلَّ قَدْرُكَ أن تُولَّكْ (١)
كم ذِى جَمالٍ باهرٍ   لم أرْضَهُ لِيُدِيرَ نَعْلَكْ
ومُمَنَّعٍ فى الحُسْنِ لَيْـ   سَ إلى وِصالٍ منه مَسْلَكْ
أمْسَى يُعرِّضُ نَفْسَهُ   لِيَحُلَّ من قلبى مَحَلَّكْ
هيْهاتَ مالِلرُّوح مِنْ   بَدَلٍ ولو أَوْسَعْتَ بَذْلَكْ
ها أنتَ رُوحِى ليس لُبُدَّ   منكَ دَعْ مَن شاءَ يَهْلِكْ
بحَيــاةِ مابَيْنى وبَيْـ   نك لا تُضِعْ ياخِلُّ خِلَّكْ
أسَفِى على زَمَنٍ يَضِيـ   ـعُ ولم أشاكِلْ فيه شَكْلَكْ
عيْناكَ قــــد نصبتْ على   كنْزِ المحاسنِ منكَ مَهْلَكْ (٢)
فبِحَقّهـــا لا تَرْمِ مِنْ   لَحَظاتِها لِسِوايَ نَبْلَكْ
إنِّى أغارُ إذا بغَيْـ   ـرِ حُشاشَتِى أغمَدْتَ نَصْلَكْ
يَفْدِيكَ كُلِّى لا تَمِلْ   لِمُماذِقٍ فى الوُدِّ كُلَّكْ
وانظُرْ بعَيْنِ العَــــدْلِ تَعْـ   ـلَمْ مَن هَـداكَ ومَن أضَلَّكْ
ومَنِ اجْتَلاكَ لأجْـــلِ لَذَّ   ةِ مُشْتَهـاهُ ومَن أجَلَّكْ
قسمًا بمَعْنــاكَ الذى   مِنِّى تَمَلَّكَ ما تَمَلَّكْ

---

(١) فى ا ، ب : « وكفيت نزعات الوشاة » ، والمثبت فى : ج .   (٢) فى ا : « قد نصبت لنا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لَوْلاكَ لم أكُ قائلاً شِعْراً قَلاهُ القَلْبُ قَبْلَكْ
فِكر بكَاسَاتِ الخُطو بِ لعلَّ تطْمعُ أن يُعِلّكْ
إنّي وأحْـوالُ الشّبا بِ تحَوّلَتْ والدَّلُّ دَلّكْ
لٰـكنّ مَيْـلِي للجما لِ طبيعـــةٌ والطّبْعُ أمْلَكْ
ويصوغُ مجْهودُ القَرِي حة ماحِسابُ الشّوْقِ فَذْلَكْ (١)
إنْ رُمْتَ إرْجاعَ الفَوا تِ قال ضِيقُ الوقْتِ مَن لَكْ
فأقُولُ للقلْبِ اقتَنِـعْ بالطَّلّ لسْتَ تَطُولُ وَبْلَكْ (٢)
وأبيكَ لو أُمْليكَ بَعْ ضَ ألِيمِ ما أُخْفِي أُمِلّكْ (٣)
لٰـكنّنِي أوْجزْتُ خيـ فَةَ أن تقولَ أطَلْتَ فَضْلَكْ (٤)
وبسَطْتُ عُـــذْرِي في هَـوا كَ عساكَ تقْبـلُهُ لعَلّكْ (٥)

* * *

وله هذه القصيدة فى الغزل ، وهى أشهر شعره (٦) :

نَفْسٌ أمانِيها تُعَلّلُها تُعِلُّها تارةً وتُنْهِلُها
ولَوْعـةٌ في الضُّـلوعِ أصْعَبُ ما يُذيبُ صَـلْدَ الحِجـارِ أسْهلُها
غَـــداةَ بانُوا فلاَ وَربِّكَ ما ظَنَنْتُنِي في الرِّكابِ أثقَلُها (٧)
رِفْقاً بِها حادِيَ المَطِيِّ فَفِي خِلْبِ فُؤادِي تَدوسُ أرْجُلُها (٨)
وفى سبيلِ الغَرامِ لِي كَبِدٌ تبِيتُ أيْدِي النَّوَى تُمَلْمِلُها

---

(١) فى ا : « ويصوغ مجهود القريحة » وفى ب : « ويجود مجهود القريحة » ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ا : « تطول ويلك » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ج : « وأبيك لو أملك » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ب ، ج : « أوجزت خش * ية » ، والمثبت فى : ا ، وفى ب : « أطات فصلك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « تقبله لعلك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٢٨ـ٣٣٠ . (٧) فى ب : « فلا وربك لا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) الخلب : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع أو الكبد ، أو زيادتها ، أو حجابها ، أو شىء أبيض رقيق لازق بها . القاموس (خ ل ب) .

تَعِلَّةُ المَنُونِ فائدةٌ | آخرها كاذبٌ وأوّلها
أُساوِرُ النَّجْمَ أبْتَغِي قِصَراً | لِلَيْلتي والجوى يُطوِّلُها
وليتَ ساجِي اللّحاظِ يَرْحَمُ مَنْ | يبيتُ مِن أجْـلِه يُدمِّلُها
اللهَ في ذِمَّةٍ أضعْتَ وفي | حُشاشةٍ مَلَّهـا مُعَلِّلُها (١)
أمَا وجفْنَيْكَ والفتورِ وما | أوْرَثَ جِسْمِي ضَنًى مُذَبِّلُها (٢)
وأسْهُمٍ قد أراشَها حَـوَرٌ | تَقْصِـدُ حَبَّ القُلوبِ أنْصُلُها
أمُهْجتِي في هـواكَ تَـكْبُرُ أن | يَصُدَّها مايقولُ عُذَّلُها
إلى مَ تقضى وفي الحَشا حُرَقٌ | لا تستطيعُ الجِبالُ تَحْمِلُها (٣)
صَبابةٌ إنْ أردْتُ أُجْمِلُها | اذيكَ ذُلُّ الهوى يُفصِّلُها
أوْجَمُ تاللهِ مذ أراكَ فقد | أعْجِزُ عن كِلْمةٍ أُحصِّلُها (٤)
ومنطقٍ فيك عن فصاحتِهِ | يعودُ سَحْبانُ وهْوَ باقِلُها (٥)
وهٰذه حالةُ الكئيبِ ولو | جَحَدْتُها ما أظُنُّ أجْهلُها (٦)
تركْتَني واستعضْتَ عنّي مَن | أخفُّ ألفاظِه أثاقِلُها
أعْدَمني اللهُ في الهوى فِئَةً | ثَناكَ عن وُصْلتي تقوُّلُها
هُمْ أشْرَبُوا طَبْعَكَ القساوةَ هلْ | تراكَ يوماً لِلُطْفٍ تُبْدِلُها (٧)
أما عرفْتَ العَفافَ مِن دَنِفٍ | مَداخِلُ السُّوءِ ليس يَدْخُلُها
يأْنَفُ بالطَّبْعِ كلَّ فاحِشةٍ | مَذاهِبُ الشَّرْعِ ليس تقبَلُها

---

(١) في ب : « ملها تعللها » ، والمثبت في : ا ، ج . وفي خلاصة الأثر : « من لها معللها » .
(٢) في ا : « ضنى مذبلها » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) في خلاصة الأثر : « إلى م تقضى » . (٤) في ب : « أوجم والله » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٥) في ب : « ومنطق فيك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) في خلاصة الأثر : « ما أظن تجهلها » . (٧) في ا : « تراك يوم اللطف تبدلها » ، وفي خلاصة الأثر : « تراك يوما لعطف تبدلها » ، والمثبت في : ب ، ج .

غُذِى لِبانَ الهوَى على صِغَرٍ   فهْوَ لأهْلِ الشُّجونِ مَوْئِلُها
إن راحَ يَحْكِى صَبابةً خضَعتْ   لَهُ القوافِى ودانَ مُشْكِلُها
يُعلِّمُ النَّوْحَ كلَّ ساجِعةٍ   فهْوَ صَدَى دَوْحِها وبُلْبُلُها
وَيْحَ قلوبِ المُتَيَّمِينَ إذا   تصَرَّمتْ فى الهوَى حَبائِلُها
أفْدِيكَ ياقاتلى بلا سَببٍ   قَتْلةَ مُضْناكَ من يُعلِّلُها (١)
أصْبحْتُ شَيْخَ الغرامِ فيك ويا   رِوايةً أدْمُعِى تُسَلْسِلُها (٢)
وفيكَ حُلْوُ الشَّبابِ مَرَّ ولمْ   أفُزْ بأُمْنِيَّةٍ أؤمِّلُها (٣)
تلكَ لَعَمْرُ الهوَى رِضاكَ فإن   عزَّ فيــا خَيْبةً أنازِلُها
تاللهِ لو شاهدَتْ عيونُكَ ما   ألْقـاهُ سَحَّتْ وجادَ وابِلُها
عَساكَ تحْنو لِمَنْ مَطامِعُهُ   عليْكَ دونَ الورَى مُعوَّلُها
وكم لَيالٍ سَهِرْتُهُنَّ ولى   رَامِحُها سامِرٌ وأعْزَلُها (٤)
ومِفْرَشِى وَسْطَ كُلِّ مُسْبَعةٍ   قَتادُها والوِسادُ قَنْقَلُها (٥)
وليس إلَّا هَوالذى يُؤنِسُنى   بصُورةٍ منْكَ لى يُمَثِّلُها
أما كفَى ياظَلومُ ما فعلتْ   غَــزاةُ جَفْنَيْكَ لى وعُزَّلُها
ولسْتُ أشْكوكَ بل يلَذُّ لِمَنْ   توَلَّهتْ نفْسُهُ تَذَلُّلُها (٦)
فأنتَ عندى ولو هدَرْتَ دَمِى   خيْرُ وُلاةِ الورَى وأعْدَلُها (٧)
وإنْ توارَتْ شُموسُ حُسْنِكَ عنْ   نَواظِرِى فالفُؤادُ عاقِلُها

(١) فى ا : « قتلت مضناك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ا ، ج : « من محللها » ، والمثبت فى ب : وخلاصة ، الأثر .   (٢) فى ب ، وخلاصة الأثر : « فيك وما * رواية » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ج : « ولم أفز بامنية أؤملها » ، والمثبت فى : ا ، ب . وخلاصة الأثر .

(٤) الأعزل والرامح : نجمان نيران . القاموس (س م ك) .   (٥) القتاد : شجر صلب له شوك . والقنقل : المكيال الضخم . القاموس (ق ت د ، ق ن ق ل) .   (٦) فى ا : « لمن * تولهت نفسه بذللها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٧) فى ا : « وإن هدرت دمى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وإن تناءتْ ركائبي ودنتْ   رسائلي فالرِّياحُ تنقُلُها (١)
فاسْلَمْ ولا تكترثْ بحُرقةِ ذي   نفسٍ أمانيها تُعلِّلُها (٢)

* * *

وله :

هو الحبُّ أبحاثُهُ مُشْكِلَهْ   وكم نَظَرٍ ضَلَّ في مسْألَهْ
ومَن يستدِلُّ بغيْرِ العَفافِ   على طُرقِ الحبِّ لن يُوصِلَهْ
وما القلبُ قلبيَ إن عاقَهُ   مُعيقٌ عن الحبِّ أو أشغَلَهْ
ولا العُمْرُ عُمْرٌ إذا لم يكُنْ   بهِ الوَجْدُ آخِرُهُ أوّلَهْ
سقَى اللهُ ريْعانَ صَبْوى بما   يُرنِّحُ منه غُصونَ الوَلَهْ
وأكْثَرَ فيَّ كلامَ الحسودِ   وخيَّبَهُ في الذى أمَّلَهْ
يعيبُ الصَّبابةَ مَن لا يرى الصَّ   بابةَ والنُّسْكَ غيرَ البَلَهْ (٣)
ولا عَيْبَ في الحبِّ إلا نَحا   فةُ الطَّبعِ والرِّقَّةُ الحاصلَهْ (٤)
ومَن كان عن ذاكَ في معزِلٍ   فغيرُ ملومٍ إذا أهمَلَهْ
وحسْبُ المباشِرِ أمراً مِن الأ   فَضيحةُ فيه بأن يجهَلَهْ
ألا حدَّدَ اللهُ نَبْلَ الزَّما   نِ ولِلّهِ راميهِ ما أنبَلَهْ (٥)
كحيلُ العيونِ مُثيرُ الفتونِ   دليلُ المنونِ إلى المقتَلَهْ (٦)

* * *

---

(١) في ا : «وبدت * رسائلي» ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) في خلاصة الأثر : « بحرفة ذي * نفس » .

(٣) في ب : « غير الوله » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « إلا نحا * فة الطبع » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ا ، ج : « نبل الزنا » ، والمثبت في : ب . (٦) في ج : « بثير الفتون » ، والمثبت في : ا ، ب .

وله :

مَسَكْتُمْ زِمامَ الرُّوحِ ثم قَضَيْتُمُ ... برِحْلةِ جِسْمِي فاسْمَحُوا بخَيالِكُمْ
عقَلْتُمْ عُرَى عقْلِي وقلبِيَ تجاهُلاً ... كأنّ بِهِ جَذْباً نعم بحِبالِكُمْ

***

وله (١) :

عَنِّي إليكُمْ بَنِي هذا الزَّمانِ فقد ... عاهَدْتُ قَلْبِيَ أن لا رَامَ وُدَّكُمُ
أباحَكُمْ بيتَ وُدٍّ كان تَصْدِيةً ... صلاتُكم عندَه فالآنَ صَدَّكُمُ (٢)

***

وله ، ويخرج منه اسم عمر ، وعمرو ، بطريق التَّعْمِيَة :

بَدْرٌ كَسَتْ شَمْسُ الطِّلَا وَجْهَهُ ... حُسْناً وأغْفَى جَفْنُه وابْتَسَمْ
فقَامَ نَبِّهْ عُمَرًا واعْتَلِقْ ... منه نِطاقَ الخَصْرِ عقْدًا ونَمْ (٣)

***

قوله : « نبِّه عمرا ونَمْ » هذا كالمثل .

قال ابن مُكَرَّم في « مختصر الأغانى » (٤) في ترجمة بَشّار : كان أبو الوزير مولى عبد القَيْس من عُمّال الخرَج ، وكان عفيفاً بَخِيلاً ، (٥) فسأل عمر بن العَلاء (٦) ، وكان جواداً شُجاعاً ، في رجلٍ ، فوَهَب له مائةَ ألفِ درهم .

---

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٢/ ٣٣٩ . (٢) التصدية : التصفيق . وأخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . سورة الأنفال ٣٥ .

(٣) في ب : « منه قطاف الخصر » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) مختار الأغاني ٢/ ٦٧ ، ٦٨ .

(٥) تكملة من مختار الأغاني على ما في الأصول . (٦) في ب في هذا الموضع وما يليه : « عمرو بن العلاء » ، وفي مختار الأغاني في هذا الموضع وما يليه أيضا : « عمر بن أبي العلاء » ، والمثبت في : ا ، ج .

وعمر بن العلاء هو أحد قواد المهدي ، كان عامله على طبرستان ، وهو مولى عمرو بن حريث . سمط اللآلي ١/ ٥٥١ .

فدخل أبو الوزير على المَهدِيّ ، فقال : ياأميرَ المؤمنين، إن عمر بن العَلاء خائِن .

قال : ومن أين علمْتَ بذلك[١]؟

قال : كلَّمْتُه فى رجلٍ كان أقصى أمله ألفَ درهم ، فوهَب له مائةَ ألفِ درهم .

فضحـك المَهدِيّ ، وقال : كِلَا كُمَا عمِل على شا كِلَتِه ، أما سمعتَ قول بَشّارٍ فيه[٢] :

إذا دهَمَتْكَ عِظامُ الأمورِ فنَبِّه لهـا عُمَرًا ثُمَّ نَمْ[٣]

فتًى لايبيتُ على دِمْنَـةٍ ولا يَشْرَبُ المـاءَ إلَّا بِدَمْ[٤]

وقول أبى العتاهية[٥] :

إنَّ المطايَا تشْتَكِيكَ لأنَّهـا قطعَتْ إليكَ سَبَاسِبًا ورِمالَا

فإذا ورَدْنَ بنا ورَدْنَ خفائِفًا وإذا صدَرْنَ بنا صدَرْنَ ثِقالَا[٦]

أوَليس هو الذى يقول أبو العتاهية فيه[٧] :

يابْنَ العلاءِ ويابْنَ القَرْمِ مِرْدَاسٍ إنِّى لأُطْرِيكَ فى أهْلِي وجُلَّاسِي[٨]

(١) فى مختار الأغانى : « ذلك » . (٢) ديوانه (الطاهر) ٤/١٦٠ ، ١٦١ ، وانظر تخريج البيتين فيه ، وديوانه (العلوى) ٢٢٧ ، وانظر تخريجه للبيتين ، وسمط اللآلى ١/٥٥١ ، وانظر تخريج الميمنى أيضا للبيتين . (٣) رواية صدر البيت فى ديوان بشار (الطاهر ، والعلوى) :

* إذا أيقظَتْك حروبُ العِدَى *

وروايته فى سمط اللآلى :

* إذا أرَّقتْكَ جسامُ الأمورِ *

(٤) رواية الديوان (الطاهر) لصدر البيت :

* فتًى لا ينـامُ على ثأرِهِ *

ورواية الديوان (العلوى) : « فتى لا ينام على دمنة » .

والدمنة : الحقد .

(٥) ديوان أبى العتاهية ٣٢٠ ، وأمالى القالى ١/٢٤٣ . (٦) فى الأمالى :

* فإذا أتَيْنَ بنا أتَيْنَ مُخِفَّـةً *

(٧) ديوان أبى العتاهية ٣٢٩ ، الأمالى ١/٢٤٣ . (٨) رواية عجز البيت فى الديوان والأمالى :

* إنى امْتدحتُكَ فى صَحْبِي وجُلّاسى *

حتّى إذا قيلَ ما أعطاكَ من نَشَبٍ ... أُلفِيتَ من عُظْمِ ما أوْلَيْتَ كالنّاسِي (١)

ثم قال : « مَن اجتمعتْ أَلسُنُ النّاسِ على مدحِه ، كان حقيقاً أن يُصدِّقَها (٢) بفِعْلِه » انتهى .

* * *

وله يمتدح الأستاذ محمد بن (٣) زين العابدين البَكْرِيّ (٤) ، بمصر (٥) :

بعثَتْ له الذِّكْرَى شَجَنْ ... فصَبَا وحَنَّ إلى الوَطَنْ
دَنِفٌ إذا ابْتَسَمَ الخَلِيُّ ... غَشَاهُ تَعْبِيسُ الحَزَنْ
قَلِقُ الرَّكائبِ ما اسْتَقَرَّ ... به النَّوَى إلَّا ظَعَنْ (٦)
والبَيْنُ أصعبُ ما يرا ... هُ أخو الشَّدائِدِ والمِحَنْ
مَن مُبْلِغٌ تلكَ المَرا ... بِعِ والمَراتِعِ والدِّمَنْ
أشْواقِيَ اللَّاتي زَحَمْـ ... ـنَ الرُّوحَ في مَثْوَى البَدَنْ
في ذِمَّةِ اللهِ الذِيـ ... ـنَ هُمُ فُرُوضِي والسُّنَنْ
بي منهمُ الرَّشَأُ الغَضِيـ ... ـضُ الطَّرْفِ نَهّابُ الوَسَنْ (٧)
مُتناسِقُ الألْحاظِ أيَّـ ... ـمَا لَحَظْتَ به فَتَنْ
مَلِحٌ تُعَلِّمُ عاشِقِيـ ... ـهِ به التَّغَزُّلَ والفِتَنْ
فكأنّها من رَوْضِ مَدْ ... حِ بَنِي أبي بَكْرٍ فَنَنْ
الضّارِبِينَ على الفَخا ... رِ سُرادِقاً مِن كلِّ فَنّْ

(١) رواية البيت في الديوان ، والأمالي :

حتّى إذا قيلَ ما أوْلاكَ من صُفُرٍ ... طأطأْتُ من سوءِ حالِي عندها راسِي

وفي الأمالي : « ما أعطاك من صفد » ، « من سوء حال » .

(٢) في ج : « تصدقه » ، والمثبت في : ا ، ج ، ومختار الأغاني . (٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٤) سيترجمه المؤلف في القسم الخاص بمصر ، وسيأتي برقم ٣٢٤ . (٥) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٣٣٠ ، عدا أبيات ، سأدل عليها في موضعها . (٦) في خلاصة الأثر : « به السرى إلا ظعن » . (٧) في ب : « لي منهم الرشأ » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

السَّـــادَةِ البِيضِ المَآ ثِرِ في العُـــلا غُرَرِ الزَّمَنْ
ومُقَلِّدِي أَعْناقَ هـ ـذا الخَلْقِ أَطْواقَ المِنَنْ[1]
بِوِراثَةٍ نَبَوِيَّةٍ كُلًّا أَتَتْهُ على سَنَنْ[2]
حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهــا الإما مُ ابْنُ الإمامِ المُؤْتَمَنْ
قُطْبُ العُلومِ مُحَمَّـــدٌ ذُو الخُلْقِ والخَلْقِ الحَسَنْ
مَنَّاحُ كُلِّ نَفِيسَةٍ في الفَضْلِ لَيسَ لَها ثَمَنْ[3]
عن فَيْضِ وَهْبٍ جَلَّ عَنْ كَسْبِ التَّفَهُّمِ والفِطَنْ
طَلَعَتْ بِأُفْقِ فُؤادِهِ شَمْسُ الغَرامِ فَلَمْ يُرَنْ[4]
وغَــدَتْ مَعارِفُهُ تَطُو فُ على العُقولِ بِبِنْتِ دَنّ
وكَذلِكَ السِّرُّ المَصُو نُ فَوَيْحَ مَنْ فِيهِ طَعَنْ
ياسَيِّدِي ولَئِنْ قُيِّدْ تَ تَعَبُّدِي فَلأَفْخَرَنْ
عَطْفاً على قَلْبِي الكَسِـ ـرِ بِنَظْرَةٍ فَلأَجْبُرَنْ
إِنِّي أَنَخْتُ مَطِيَّتِي بِمُضِيفِ مَجْدِكَ فاقْبَلَنْ[5]
مَوْلايَ دَعْوَةُ مُوثَقٍ بِيَدِ القَطِيعَةِ مُرْتَهَنْ
مُتَصَبِّرٍ والصَّـــبْرُ أَوْ لَى ما تَداوَى المُمْتَحَنْ
لَكِنْ يُعايِرُ بالجِرا حِ مُفَرِّطٌ أَلْقَى المِجَنّ[6]
ومَدِيحُ عَلْيا كُمْ بَنِى الصِّـ ـدِّيقِ جُنَّةُ ذِي الشَّجَنْ[7]

---

(١) في خلاصة الدهر : « أعنــاق هـ ٭ ـذا الدهر » . (٢) في ب : « على السنن » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفي خلاصة الأثر : « مهلا أتتــه على سنن » . (٣) لم يذكر المحبي في خلاصة الأثر هذا البيت والأبيات الأربعة التالية له . (٤) ران الشيء يرين عليه : غلب عليه .

(٥) في ب ، وخلاصة الأثر : « بمضيف مجدك » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب : « يعاير بالجوا ٭ رح مفرط ألقى المجن » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) في ا : « جنــة ذي شجن » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وبِحُبِّكُمْ تُشْفَى القُلو ب وتنجلي ظُلَمُ الشَّجَن(١)
هَذا هو الفَخْرُ العَلِيُّ وما سِواهُ فَمُمْتَهن(٢)
مَن جاء يفخرُ عندكُمْ قولوا له أنتَ ابْنُ مَنْ
ياسادَةَ النَّاس الذيـ ن مَن استعان بهم يُعَن(٣)
قسماً بـــكُمْ لولا هَوا كُمْ في الجوانح قد سَكَنْ
لم يُنْتِجِ الفكْرُ العقيـ مُ مِن القريحةِ ما اسْتَجن
فالفَضْلُ في إيجادِهِ لـكُمْ وإنْ يُقْبَلْ أهَن(٤)
وشِعـارِيَ التَّقْصيرُ لـ كنِّي قدمتُ بحُسْنِ ظَنّ
أبمدْحَتي أُوفيكُمُ حقَّ الوَلا هيهـاتَ أنْ
لكنَّنِي أبْقى تمحّـ ضُ زلّتي فلعلَّ أنْ(٥)
غَوْثاهُ يا أهْلَ الحفـا ظِ العَوْنَ في ضيقِ العطَنْ
إنْ لم أَلُذْ بحِمَا بكُمْ أخْطأْتُ واللهِ المَظَنّ
وإذا سعِـدتُ بنظْرةٍ منْكُمْ كفَتْني عَنْ وعَنْ
نَهْجُ الهِـدايةِ حُبُّكُمْ مَن زاغَ عنه قدِ افْتَتَنْ
فعليكُمُ سُحُبُ الرِّضـا ماحَنَّ مُشْتاقٌ وأنّ
وعلى ضَريحٍ ضَمَّ جَدَّ كُمْ شآبيبُ المِنَنْ(٦)
ماالصبحُ إنْ جاء بنورِهِ والليـلُ بالظَّلْماء جَنّ

❊ ❊ ❊

(١) في ا ، ج : « ظلم الشجن » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر ، والشجن : جمع الشجنة ، وهي العداوة . (٢) في ب : « وما سواه بمتهن » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) من أول هذا البيت إلى آخر القصيدة ، لم يذكره المحبي في خلاصة الأثر . (٤) « أهن » من النهشة .

(٥) في ب : « أبق بعد ❊ من زلتي » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

وله من قصيدة :

عاطِيـانِي عُـلالةَ الأشجانِ ... بكُؤوسِ الذِّكْرَى ورَوْضِ الأماني

بأَبِي أنتُما عسَى ينفَح الشَّوْ ... قُ رَسِيساً جنَتْ مَطاوِى الجَنانِ

أوَلَيْسَ العجيبُ والغَبْنُ عَيْشُ الْـ ... ـمَرْءِ عيْشَ المشِيبِ فى العنفُوانِ

مااعتذارُ الفؤادِ للْغِيدِ والشَّيْـ ... ـبُ يُنادِى عليه بالحِرْمانِ

حَقُّ مَن يرْكُض الجديدَانِ فيهِ ... أن يُرَى فيهما طَلِيقَ العِنانِ[1]

* * *

وله مجيباً لمن عاب عليه كِتْمانَ الحبِّ ، وأثَرَ الشهوة[2] ، وقال بأن كَتْمَ الحب من الجبن[3] :

ليس جُبْناً كَوْنِى أُمَوِّهُ فى الحبِّ ... وأُخفِى وأَسْتَشِينُ البيانَا[4]

غيرَ أنِّى أُجِلُّ مَالِكَ رِقِّى ... أنَّ مِثْلِى يشْدُو بِهِ إعلانَا

فإذا مافخَرْتُ أفخَرُ بالصَّبِّ ... وأُلْقِى لِسِرِّهِ صَوَّانَا

وإذا ماشَكَوْتُ فلْتَكْ شَكْوَا ... ىَ إليه عساهُ أن يتدانَى

فشُجاعُ الهوى الجَسُورُ على جَرْ ... حِ مُبارِيه صارِماً وسِنانَا[5]

لا الّذِى إن تَشَكَّه بادِرةُ الطَّ ... رْفِ تراهُ يَقْرَعُ الأسْنـانَا

أنا مَن قَسَّمَ الفُؤادَ فأعْطَى ... منـه كُلّاً كما يليقُ مكانَا[6]

---

(١) فى ا : « أن يرى فيه طليق العنان » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا ، ب : « الشهوة » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ٢/٣٣٢ . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر : ٢/٣٣٢ . (٤) فى ب : « وأستبين البيانا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى خلاصة الأثر : « فشجاع الهوى الصبور » ، وفى ب : « المبارين صارما وسنانا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ا : « إن من قسم الفؤاد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وَمَراحُ الغَزالِ فيــه مَصونٌ   عَن سِواهُ وحقّه أنْ يُصـانَا[1]

* * *

وله :

لا تَتْرُكِ الجِدَّ في جَمْعِ الكَمالِ لأنْ   بارَتْ تِجارةُ سُوقِ العَقْلِ في الزَّمنِ[2]

لابُدَّ أن تُرغِمَ الجُهّـالَ حاجتُهمْ   إلى كَمالِكَ أن يُرضُوكَ في الثَّمَنِ[3]

وحَسْبُكَ اللهُ إنْ لمْ تَلْقَ مُشْـتَرِياً   عن الغَنِيِّ بِعَرْفِ العَرْفِ أنْتَ غَنِي

* * *

وله[4] :

نفْسى لَتُؤْثِرُ أن تَفْـنَى بِحُبِّهِمُ   لأنَّها لِسِوَى الأحْبابِ لم تَكُنِ[5]

المرءُ يُرْجَى لِضُرٍّ أوْ لِمَنْفعـةٍ   وما خُلِقْتُ لِغَيْرِ الحُبِّ والشَّجَنِ

* * *

وله :

لا تقْطَعَنَّ مَودَّةً فلَرُبَّمـا   تَحْتاجُ مَن أقْصَيْتَهُ تُدْنيـهِ

فالسِّلْكُ بعد القَطْعِ يُمْكِنُ وَصْلُهُ   لكِنَّ عُقْدَةَ وَصْلِهِ تُزْرِيهِ[6]

* * *

---

(١) في خلاصة الأثر : « ومراح الغزال فيه مصان » . (٢) في ب : « بارت تجارة سوق الفضل بالزمن » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) بعد هذا البيت في ب زيادة : « وله » ، والأبيات متصلة في : ا ، ج . (٤) البيت الأول ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، والبيتان في خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٥) في ج : «أن تفني بحبتهم» ، والمثبت في : ا،وخلاصة الأثر . (٦) في ج : « عقده ربطه تزريه » ، والمثبت في : ا ، ب .

هذا كثير فى الشِّعْر ، مِن قول أبى الفتح المالكىّ (١) :

مَن لى بِرَدِّ مَعاشِرٍ كثُروا علىَّ فأكثَروا
صادَقْتُهمْ وأرى الخُرُو جَ عن الصَّداقةِ يَعْسُرُ
كالخطِّ يَسْهُلُ فى الطُّرو سِ ومَحْوُه يتعذَّرُ (٢)
وإذا أرَدْتَ كَشَطْتَه لكنَّ ذاك يُؤَثِّرُ

***

وقوله أيضا (٣) :

ويُمكن وَصْلُ الحبْلِ مِن بَعْدِ قَطْعِهِ ولكنَّهُ يبْقَى به أثَرُ الرَّبْطِ

***

وللشهاب الخفَاجىّ ، من فصل (٤) : « أنتَ وإنْ وصَلْتَ بعد القطْع حبْلَ المودَّةِ ، فقد بَقِيَ من أثَر ذلك فى القلْبِ عُقْدَة » .

***

وله (٥) :

ياواصِلينَ حِبالاً كانَتْ لِشَدِّ المَوَدَّه (٦)

(١) أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام المالكى ، المغربى .
ولد سنة إحدى وتسعمائة ، ودخل دمشق وهو شاب .
كان فقيها أصوليا ، علامة فى علوم العربية وأكثر العلوم العقلية والنقلية ، وله الباع الطويل فى الأدب ونقد الشعر ، وله شعر حسن .
ولى نيابة القضاء بالمحكمة الكبرى زمنا طويلا مع الوظائف الدينية .
وتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة .
تراجم الأعيان ١/٢٤٩ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٩ ب ، ريحانة الألبا ١/١٧٤ ، سلافة العصر ٣٩٧ ، الكواكب السائرة ٣/٢١ .
(٢) سقط هذا البيت ، والذى يليه ، من : ب ، وهما فى : ا ، ج . (٣) البيت فى ريحانة الألبا ١/١٨٣ .
(٤) هذا أيضا فى ريحانة الألبا ١/١٨٣ . (٥) أى وللشهاب الخفاجى ، كما جاء فى الريحانة ١/١٨٣ .
(٦) فى ريحانة الألبا : « كانت تشد المودة » .

لا تقطعوها ببعد قد غيّر النأسُ عَهدَه[١]
فإن تقولوا وصلنا من بعد ذا القطع شدّه[٢]
يبقى وحقك فيها من ذلك الوصل عُقدَه[٣]

***

وله :

وكم لى فى طراز العمر شطحٌ به انقلب الزمان فعاد شحطا
ونُسخةُ لوعةٍ صحّتْ بقلبى فلم ينظرْ بها الواشون كشطا[٤]



(١) فى ريحانة الألبا : « قد غير التأى عهده » . (٢) فى ب : « من بعد ذى القطع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ريحانة الألبا : « من ذلك القطع عقده » . (٤) فى ب : « ونسخة عوده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٦

إبراهيم بن عبد الرحمن السُّؤالاتِيّ*

وافِر الحظِّ من البَراعة ، صاحِب اللَّحْظ فى زَخْرَفة اليَراعة .

اكتسب الأدبَ بكَدِّه وجِدِّه ، وانتهى مِن (١ القوافى و ١) الفقه إلى أقصى حَدِّه .

وكان وبعارِضِه رَيْحانةٌ شَرِقتْ بماء شَبابِه ، وَمَزَجَتْه وَجْداً وصَبابةً بقُلوب أحْبابِه .

وضَع عقلَه فى يدِ الهوى ، وتَطوَّح (٢) معه فى كل مَهْوَى .

فأقام حِيناً (٣) وله إلى التَّصابى حَاجَة ، (٤ وما حَلِيَ يمينه ٤) فى مواسم العيش إلا زُجاجة .

(*) إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشقى ، الفقيه الحنفى ، المعروف بالسؤالاتى .

كان فى ريعان عمره شاعراً جيد الطريقة ، حسن البديهة .

وتقلبت به الأحوال ، وصبر على ضنك العيش .

سافر إلى الروم ، ثم عاد إلى دمشق ، فبرع فى كتابة الأسئلة المفتى الحنفى ؛ لاستحضاره الغريب لفروع المذهب .

وابتلى بمرض ، عالجه مدة مديدة ، حتى مات به ، سنة خمس وتسعين وألف ، وقد جاوز الستين ، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان .

خلاصة الأثر ١/٢٨ .

(١) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : « وتطارح » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « وما حلى يمينه فى يمنه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١)وله في(١) غُصُونَ ذلك مُوشَّحَاتٍ وشَّحَتْ(٢) كلَّ جَمْع ، وشنَّفتْ بجَوَاهِرِ كلِماتِها كلَّ سَمْع .

ثم تعاورتْه نوائبُ جلَّت فكادت تتجلَّى ، وتوالَتْ عليه مصائبُ تولَّت فما أوشكَتْ تتولَّى .

وانقلبَتْ به المُحاسَنة ، إلى المُخاشَنة .

وتبدَّلت المُجامَلة ، إلى المُحامَلة .

فأقْلع عن تلك الهَنات ، ومحَا كثيراً من سيِّآتِه بحَسَنات ، ولزِم الفقهَ مُتجِّراً في مسائِله ، وكان لتحصيل(٣) أمانيه من أعْظم وسائِله .

وقد صحِبْتُه والأيّامُ أمالَتْ قناتَه ، وأمَرّ المرضُ المؤلِم مجنَاتِه(٤) ، فاستحالَتْ صِفَتُه ، وتقلَّصتْ شَفَتُه .

لكنها وإن ذبُلت خمائِلُه ، فلم تَزُلْ غضَّةً شمائِلُه .

وإن تفرَّقَتْ دِيَمُه ، فما برِحتْ مُلْتئمةً شِيَمُه .

فكنتُ أتمتَّعُ من مُنادَمتِه الحُلوة ، بلطائفَ لها في كلِّ قلبٍ خَلْوة .

وأخذتُ عنه من أشْعارِه ما يَبْهَر الشَّمس في الشُّروق ، ويتَمشَّى تَمَشِّيَ الرّاحِ السَّلْسَلِ(٥) في العروق .

وها أنا ذا(٦) أُورِد منه ما يُطْرِي ويُطْرِب ، ويجعله زادَه كلُّ مُشَرِّقٍ ومُغرِّب .

* * *

---

(١) في ا : « ولى من » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٢) في ا : « وشجت » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٣) في ا : « لتعظيم » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٤) في ا : « بجنانه » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٥) في ب : « المسلسل » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٦) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

فمن ذلك قوله يمدح المولى عارف، المذكور في ديباجة الكتاب[١] :

جَذَبَتْ محاسنُكَ القُلوبا … حتى غدَوْتَ لهـا الحبيبا
وطلَعْتَ من أُفُقِ العُلا … بدْراً لِخُـرَّدِهِ خَطِيبا
ونفَثْتَ رُوحاً في النُّفو … سِ سرَتْ فكنتَ لها الطَّبيبا
وغـدا بقُطْرِ نَداكَ رَوْ … ضُ الفضْلِ مُخْضَلاً خَصِيبا
وكَسوْتَ من حُلَلِ الرَّبيـ … ـعِ جِنانَهُ بُرْداً قَشِيبا
فحَدائقُ الآدابِ منْـ … ـكَ تنفَّستْ مِسْكاً وطِيبا
وتجاذَبتْ فيهـا نَسا … ئمُ لُطْفِك الغُصْنَ الرَّطيبا[٢]
وغـدا يُناغي فوقَهُ الْـ … قُمْرِيُّ بُلْبُلَها الطَّرُوبا[٣]
وأدرْتَ مِن سَلْسالِها … ما بيننا كأساً وكُوبا
وأبحْتَ خِـلاَّنَ السُّرو … رِ من العُلا الصَّدْرَ الرَّحيبا
يا فاضـلاً أنْسى العِما … دَ بَديعَهُ وسَمـا الخَصيبا[٤]
وجلاَ على الأسماعِ مِنْ … أبْكارِهِ عُرُباً كَعوبا
مَن للثُّغُـورِ مِنَ الحِسا … نِ عن المحاجِرِ أنْ تنُوبا
وخُدودُهنَّ تكونُ قِرْ … طاساً لِراحَتِـه رَقِيبا
وقُدودُهنَّ يَراعـةٌ … من لَمْسِ أنْمُلِهِ قَرِيبا

---

(١) تقدم ذكره في المقدمة، صفحة ١٦ .

(٢) في ب : « الغض الرطيبا » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٣) في ا : « بلبله الطروبا » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٤) لعله يعني العماد الأصفهاني أبا عبد الله محمد بن محمد، صاحب « خريدة القصر » .
كان من كبار الكتاب، أديبا مؤرخا .
توفي بدمشق، سنة سبع وتسعين وخمسمائة .
طبقات الشافعية الكبرى (الطبقـة الخامسة) ٤/٩٧ ، مرآة الزمان ٨/٥٠٤ ، وفيات الأعيان ٤/٢٣٣ .

ونواظِرُ الأحْــداقِ أزْ فاماً إذا أنْشى نَسِيبا

مَوْلايَ يارَبَّ الــكَما لِ ومَن غدا الشَّهْمَ الأريبا

يا عارفَ الوقْتِ الّذي تَخِذَ الفَخــارَ له نَصيبا

أبْدَيْتَ بالسِّحْرِ الحــلا لِ من البَيانِ لنا العجيبا

وتلَوْتَ من آياتِ فَضْـ ـلِكَ ما بهرت به اللَّبيبا

وأعَدْتَ للدّاعِي الوُجــو دَ وكنْتَ سائِلَهُ مُجيبا

فشُموسُــه بِكَ أشْرقَتْ من بعدِ أنْ دَنَتِ الغُروبا

وبعَثْتَ ما فضَحَ الرّبيـ ـعَ مِن البَديعِ لنا ضُروبا

أشْهى إلى الظَّمآنِ مِنْ فَضْفاضِ كَوْثَرِهِ ضَرُوبا (١)

وأرَقُّ مِن مرِّ النَّسيـ ـمِ على خَمــائِلِهِ هُبُوبا

فطفِقْتُ يلْــثَمُ مسْمَعِى لِكُؤوسِها ثَغْراً شَنيبا (٢)

وتَقــولُ في جَنّاتِ أسْـ ـطُرِ طِرْسِها عَيناى طُوبَى

لا زِلْتَ ترْقَى في الفضا ئلِ والعُلَى الشَّرَفَ الحَسيبا

وبَقيتَ تُهْدِي للنفــو سِ نفائِساً تجْلُو الكُروبا

❊❊❊

ومن غزَلِيّاتِه قوله :

حتّى مَ تُعرِضُ عن مُحِبِّكْ وتَصُدُّنِى عن طِيبِ قُرْبِكْ

إنْ دامَ هــذا الهَجْرُ أقْـ ـضِى بالمَحَبّةِ إى ورَبِّكْ

يا أيُّهــا التّيّاهُ فى زَهْوِ الصِّبا رِفقاً بِصَبِّكْ

---

(١) الضرب ، بسكون الراء وفتحها : العسل الأبيض الغليظ . (٢) ثغر شنيب : أبيض الأسنان حسنها .

ما كنتُ بالسَّالِي هوًى لكَ ولستُ بالتَّالي لِعَتْبِكْ
تَجْنِي عَلَيَّ وتَجْتَنِي ظُلْمِي وتأْخُذُنِي بذَنْبِكْ
شرَّقْتَنِي بالدَّمْــــعِ مُذْ غَرَّبتْ عَنِّي تحتَ حُجْبِكْ(١)
أأَبِيتُ في فُرُشِ الضَّنَى وتَبِيتُ مُلْتَهِياً بِسِرْبِكْ
يا مُنْيــــةَ القلْبِ الأما نَ فلستُ مِن أكْفاءِ حَرْبِكْ

* * *

وقوله :

لا تَلُمْنِي أنَا الألوفُ وقَدْ مُتُّ غَرامًا مِن فَقْدِ إلْفٍ رقيبِ
هــكذا في الرَّقيب حالِي فقُلْ لي كيفَ حالى وقد جَفانِي حبيبي

* * *

وقوله ، وهو(٢) مما قاله بديهاً :

هَمُّ المَعيشــــةِ حالَ ما بَيْني وبيْنَ حَبــــائبي
ولرُبَّمــــا نهضتْ إلى نَيْلِ العُـــلُوِّ مَراتِبي
فيَعُوقُنِي هَمُّ المعيـ ـشةِ عن جميعِ مَطالبي
فكأنَّني الدُّولابُ أصْـ ـعَدُ للهُبُـــوطِ بجانِبي
لو كُلِّفَ السَّيْفُ المُعا شَ نَبا بكَفِّ الضَّارِبِ

* * *

وله في الغزل(٣) :

إن الغزَالَ الَّذى في طَرْفِهِ حَوَرٌ في مِرْشَفَيْهِ سُلافُ الرَّاحِ والحَبَبُ

---

(١) في ب : « غربت عني » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٣) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢٨ .

حارَتْ لِرُؤْيَتِهِ الأبْصارُ حِينَ بَدَا ... غُصْنُ الجمالِ حَلاهُ اللُّطْفُ والأدَبُ
مامَالَ مِن هَيَفٍ مَيَّالُ قامَتِـــهِ ... إلَّا عليْهِ فُؤادُ الصَّبِّ يضْطَرِبُ[1]
دارَتْ إليه قلوبُ العالَمِينَ فَمـــا ... قلبٌ لِغَيْرِ هَوَاهُ اليومَ ينْقلِبُ[2]

* * *

وله[3] :

تَقَمَّصَ ثَوْبَ اللَّاذِ مِنْ فوقِ لُؤلُؤٍ ... ورَصَّعَ بالدُّرِّ الجُمانَ بَدِيدَا[4]
وألْبَسَنِي مِرْطَ النُّحولِ مُخَلَّقــاً ... وأعْدَمَنِي بُرْدَ الشبابِ جَـدِيدَا[5]
غَزالُ كِناسٍ لَوْ رأتْهُ مِن السَّمَا ... كَواكِبُها خَرَّتْ إليه سُجودَا

* * *

وله :

رِياضٌ سَقَتْها سُحْبُ جَدْواكَ لا ذَوَتْ ... ولا بَرِحتْ بالفَضْلِ مُعْشِبةً خَضْرَا[6]
ولا بَرِحتْ رُسْلُ المحامِدِ والثَّنا ... إليكَ مَدَى الأيَّامِ واردةً تَتْرَى[7]

* * *

وله[8] :

تَصَبَّرْ فَفِي اللَّأْوَاءِ قد يُحْمَدُ الصَّبْرُ ... ولولا صُروفُ الدَّهْرِ لم يُعْرَفِ الحُرُّ
وإنَّ الذى أبْلَى هُو العَوْنُ فانْتَدِبْ ... جميلَ الرِّضا يَبْقَى لك الذِّكْرُ والأجْرُ
وثِقْ بالذى أعْطَى ولا تَكُ جازِعاً ... فليس بِحَزْمٍ أن يُرَوِّعَكَ الضُّرُّ
فلا نِعَمٌ تَبْقَى ولا نِقَمٌ ولَا ... يدومُ كِلَا الحالَيْنِ عُسْرٌ ولا يُسْرُ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « مياس قامته » . (٢) فى ا : « دارت عليه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٨ . (٤) اللاذ : ثوب حرير أحمر صينى . (القاموس (ل و ذ) . (٥) فى ب : « برد الجمال » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٦) فى ب : «مشعبة» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « واردة تقرا » ، والمثبت فى : ا،ج .
(٨) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٨ .

تَقَلُّبُ هــذا الدَّهْرِ ليس بدائمٍ ... لديه مع الأيَّام حُـلْوٌ ولا مُرُّ

* * *

وله[1] :

حتَّى مَ يا ظَبْيَ النَّقَا ... عنِّي تُحجَبُ في كِناسِكْ

لا تَنْأَ عن عَيْنِي وتَهْـ ... جُرْنِي قِلًى من دُونِ نَاسِكْ

أنا عَبْدُ رِقِّكَ أرْتَجِيـ ... ـكَ وأخْتَشِي سَطَواتِ بَاسِكْ

لا تَبْـغِ بالإعراضِ قَتْـ ... ـلِي واسْقِنِي بحياةِ رَاسِكْ

* * *

وله :

وحَيـاتِهِ وحَيـاتِهِ ... إنِّي لِرُؤْيتِهِ كَلِفْ

صَنَمٌ لَبِسْتُ الغَيَّ فِيـ ... ـهِ وقاتُ للرُّشْدِ انْصَرِفْ

حسَنٌ وإن كان الْمُسِـ ... ـىءُ لمن يَعْشَقُهُ تَلِفْ

ما اسْتَحْسَنَتْ عَيْنِي سِوَى ... حَسَنٍ ولا قَلْبِي أَلِفْ

* * *

وكتب إلى بعض الأعيان ، يمدحه :

أهدَيْتَنِي وأجَزْتَنِي وبَرَرْتَنِي ... وشَمِلْتَنِي بالبِرِّ والألْطـافِ[2]

ولئنْ بِشُكْرِكَ راحَ لَفْظِي كاسِياً ... نُعْماكَ كاسِيـةٌ بهـا أعطـافِي

لا بِدْعَ إن أسْدَيْتَ مَعْروفاً فذَا ... لكَ من عوائدِ سُنَّةِ الأسْلافِ

* * *

ومدح بعضَ الكبار بقصيدة ، فانتقصه[3] ، فكتب إليه :

مدَحْتُكَ لا رَغْبةً في نَدَاكَ ... وإنْ مَلَّكَتْهُ الورَى رِقَّهَا

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٢٨/١ . (٢) في ب : «أهديتني وأجزتني» ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

ولا رَهْبَةً مِن سَطاكَ الّذى ... أذاقَ الأعادِىَ ما ذاقَها
ولكن لِمعْنىً تَراه الكِرامُ ... وذاكَ لأقْضِى العُلَى حَقَّها

***

ومما أنشده لنفسه قوله :

علامَ الصُّدودُ ولا ذَنْبَ لِى ... وفِيمَ التَّجَنِّى وصَبْرِى بَلِى (١)
بِمَن أوْدَعَ السِّحْرَ فى مُقْلَتَيْكَ ... وحَكَّمَ لَحْظَيْكَ فى مَقْتَلِى
دَعِ الصَّدَّ وارْفُقْ بمَن قَلْبُه ... على حَرِّ نارِ الغَضا يَنْقَلِى
إلى اللهِ أشْكُو ألِيمَ الجوَى ... وقَلْباً بِجَمْرِ الجوَى مُمْتَلِى
نَحَى اللهُ قلْبِى الظَّلومَ الّذِى ... عن النُّصْحِ ما انْفَكَّ فى مَعْزِلِ
كَلِيمُ الصَّبابَةِ لا يَنْتَهِى ... عن الوَجْدِ فى الرَّشَأ الأكْحَلِ (٢)
رَثَى لِىَ فى الحُبِّ مَن لامَنِى ... ورَقَّ الحَسُودُ ومارَقَّ لِى
يَمِيناً بهِ حُبِّه ما سلَوْتُ ... ولا مِلْتُ عنْهُ إلى عُذَّلِى
مَسِيحٌ أبَى اللهُ إلا هَواهُ ... على رَغْمِ أنْفِ البَلِيدِ الخَلِى

***

ومن غرامياته قوله:

يا هَلْ تَرَى لو نظَرَ الْ ... غادُونَ حالِى رَحِمُوا
أوْ عَلِمُوا ما صَنَعُوا ... بِى مِن أسايا نَدِمُوا
يا مَن لِوَجْدِى عَمَّرُوا ... والصَّبْرَ مِنِّى هَدَمُوا

---

(١) فى ا ، ج : « وصبرى ملى » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ب : « كليم الصبابة لا ينثنى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

تَاللهِ مِن بَعْدِكُمْ كلُّ وُجودٍ عَدَمُ

* * *

وله مُضَمِّنا :

وَاصَلْتُ وُدَّكَ بالوَفَا فقطعْتنِي ... ورَفَعتُ ذِكْرَكَ فى الورى فوضَعْتَنِي [1]

وزعَمْتُ أنكَ ذو غِنى فأضَعْتَنِي ... أبِعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إليكَ نَظَرْتَنِي

* * *

وهذا المِصراعُ من مقطوع يُرْوَى للمُتَنَبِّى ، ولم يُوجَد فى « ديوانه » ، وبعده [2] :

. . . . فأهَنْتَنِي وقَذَفْتَنِى من حالِقِ

لستَ المَلُومَ أنا المَلومُ لأننى ... أنزَلْتُ آمالِى بغيرِ الخالِقِ

* * *

وله :

عَشِقَ المَعْشوقُ ظَبْياً مِثلَه ... واعْتَرَاهُ فى هَواهُ وَلَهُ

كان مَعْشُوقاً فأمْسَى عاشِقاً ... فقضَى الحبُّ عليْهِ وَلَهُ

* * *

وله [3] :

بِى أغْيَدٌ تَشْخَصُ الأبْصارُ حِينَ بَدَا ... فى طَلْعةٍ جَلَّ مَن بِالحُسْنِ عَدَّلَهَا

كأنَّما الحُسْنُ لَمَّا زَانَ صُورَتَهُ ... قدقالَ للحُسْنِ كُنْ وَجْهاً فكانَ لهَا

* * *

---

(١) فى ا : « بالوفا قطعتنى » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) البيتان فى معاهد التنصيص ١/١١ ، قال العباسى : «ومن شعره مما ليس فى ديوانه ، بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى ، بسند صحيح متصل به ، بيتان وهما : » .   (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٨ .

ورأيتُ بخطِّه ، وقد نَسَبه[١] إلى نفسه :

فى أزْرَقِ المَلْبوسِ مرّ مُعـذِّبى ... مُتَمايلاً كالغُصْنِ فى خُيَـلائِهِ

ورَقى دُخانُ التَّبْغِ غَشّى وَجْهَهُ ... مِن فِيهِ مِثْلَ الغَيْمِ يومَ شِتائِهِ

وكأنَّهُ لمّـا بَدا من شَرْقِهِ ... بَدْرٌ تبدَّى فى أديمِ سَمـائِهِ

سَتَر الجَمالَ عن العُيونِ مَخافَةً ... أنْ لاتَـكُونَ النّاسُ مِن قَتْلائِهِ

***

مثله لبعضهم :

ولَمّا بدَا فى أزْرَقٍ مِن قَبائِهِ ... يَتيهُ لفَرْطِ الحُسْنِ فى خُيَلائِهِ[٢]

خَلَعْتُ عِذارِى ثُمّ صِحْتُ عَواذِلِى ... قِفُوا وانْظُروا بَدْرَ الدُّجى فى سَمائِهِ[٣]

***

قلت : وفى لَوْن السَّماء للأدباء اخْتيارات ، وذلك بحسب حالاتٍ واعتبارات[٤] ؛ فبعضُهم يصِفُه بالزُّرْقة ، كما وقع[٤] لِلّذَيْن الشّاعريْن ، وقد تَبِعا أبا عثمان النّاجِم[٥] فى قوله ، وقد رأى جارية[٦] وعليها ثوب أزرق :

ماتعدَّتْ قَبُولَ حـين تحلَّتَ ... شِبْهَ زِيّ لِوَجْهِها ذِى البَهاء[٧]

لَبِسَتْ أزْرقًا فجاءتْ بوَجْـهٍ ... يُشْبِهُ البـدْرَ فى أديمِ السَّماء[٨]

---

(١) فى ب : « إليه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : « فى أزرق من قبابه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « وانظروا بدر الدجى فى سمائه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) يعنى سعد ابن الحسن بن شداد السمعى ، راوية شعر ابن الرومى ، أديب ، حسن الشعر . توفى سنة أربع عشرة وثلاثمائة .

فوات الوفيات ١/ ٣٤٥ ، معجم الأدباء ١١/ ١٩٣ .

وانظر سمط اللآلى ١/ ٥٢٥ .

(٦) فى ب : « جاريته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « حين تحدت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٨) فى ب : « وجاءت بوجه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهذا مذهب القدماء ، وزرقته عارضةٌ من شُعاع الشمس ، وهو مائل إلى البياض، كما أن العِرْق الأبيض إذا جرى فيه الدَّمُ رُئِيَ لازَوَرْدِيًّا، فتولَّدَ من اللَّوْنَيْنِ لونٌ آخرُ .

وبعضُهم من أهل الآثار يجعله أخْضر ؛ لحديث[1] : « مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِن أَبِي ذَرٍّ » .

وبعضُهم يجعله لازَوَرْدِيًّا ؛ كما قال أبو حفص[2] بن بُرْد[3] ، في غلام بدا له في ثوبٍ لازَوَرْدِيٍّ[4] :

لَمَّا بَدا في لَازَوَرْ دِيِّ الْحَرِيرِ وقد بَهَرْ[5]
أكبرتُ مِن فَرْطِ الجما لِ وقلتُ ماهذا بَشَرْ[6]
فأجابَنِي لا تُنْكِرَنْ ثَوْبَ السَّماءِ على الْقَمَرْ

وبعضُهم يجعله بَنَفْسَجِيًّا ، كما قال ابن المُعْتَز في غلام عليه ديباج حرمي[7] :

وبَنَفْسَجِيِّ اللَّوْنِ قُتْـ لُ مُحِبِّهِ مِن رائِهِ[8]
الآنَ صِرْتَ البَدْرَ إذْ أُلبِسْتَ لونَ سَمائِهِ[9]

---

(١) أخرجه الترمذى ، فى سننه ، بشرح ابن العربى (باب مناقب أبى ذر ، من كتاب المناقب) ١٣/٢٠٩ ، ٢١٠ ، وابن ماجه ، فى سننه (باب فضل أبى ذر ، من المقدمة) ١/٥٥ ، والإمام أحمد ، فى مسنده ٢/١٦٣ ، ١٧٥ ، ٢٢٣ ، ٥/١٩٧ ، ٦/٤٤٢ .

(٢) فى الأصول : « أبو جعفر » ، وهو خطأ ، صوابه من المصادر التالية . (٣) أحمد بن محمد بن أحمد ابن برد ، شاعر ، كاتب ، مبدع فى التشبيه والتمثيل ، بارع فى المحاكاة والتخييل ، من أهل بيت جليل بالأندلس، توفى بعد سنة أربعين وأربعمائة .

جذوة المقتبس ١٠٧ ، الذخيرة ، المجلد الثانى من القسم الأول ١٨ ــ ٥٢ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٢٧ .

(٤) الأبيات فى الذخيرة ، المجلد الثانى من القسم الأول ٣٧ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٢٩ .

(٥) فى المطرب من أشعار أهل المغرب : « لما بدا فى اللازور * دى الحرير » .

(٦) فى ب : « من فرط الذرا * م ... » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والذخيرة ، والمطرب . وفى الذخيرة والمطرب « كبرت من فرط ... » . (٧) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع ، وهما فى الذخيرة ، المجلد الثانى من القسم الأول ٣٧ . (٨) فى الذخيرة :

وبنفسجىِّ الثوبِ قتْـ ـلُ مُحبِّه من دابِهِ

(٩) فى الذخيرة :

الآن صرتَ البدرَ حيـ ـن لبستَ ثوبَ سحابِهِ

١٧

أبو بكر العُصْفُورىّ

باهرُ السَّمْت فى النَّظم والنَّثْر، طائرُ الصِّيت فى الآفاق بقادِمَتَى النَّسْر .
للمعانِى الأبْكار مُخْتَرِع ، ولِبَنَاتِ الأفكار مُفْتَرِع .
وكان خرج مِن عُشِّه وهو صغير السِّنّ ، لكنَّه إذا قُدِح زَنْدُه بالبَراعة يَرِنّ .
ومن أمثالهم « الدِّيكُ الفصيح ، من البَيْضة يصيح » .
فحلَّ بمصر وأفْياء الكرم مَساقِطُه ، وحَبُّ القلوب مَلاقِطُه .
وأقام يصْدحُ فى سَرْحَةِ المجد ، ويُفْصِح فى نادِيها بلِسان الوجْد .
وتُنْصَب حِبالَةُ الوَلا ، فتقْتنِصه أشْراكُ العُلى ، ولا تضُمُّه إلا أقفاصُ النُّبلا .
وقد أبْدَى من أشْعاره التى تُطرِب تَرنُّمًا وحَنِينًا ، وإذا تُلِيتْ فى مَحْفَلٍ تُضَمُّ عليها الجوانحُ وتُحْنَى .
ما هو لصُدورِ البُزاة يُنْسَب ، ومن أرقاب الحمام فى البَذْرَقَة [1] يُحْسَب .
وثَمَّةَ ألفاظ اسْتعار الروضُ منها أصْناف المُلَح ، وخطوط كأنَّما فيها لمن يُبْصِر من رِيش الطَّواوِيس لُمَح .
وله مُوشَّحاتٌ إذا أُنْشِدت [2] كأنما أدار الكأسَ مُديرُها، وجاوَب المثانىَ والمثالِثَ [3] بَمُّها [4] وزِيرُها [3] .

---

(١) البذرقة : الخفارة . القاموس (ب ذ ر ق) .
(٢) فى ا : « كأنما دار » ، وفى ب : « كأنما فيها أدار » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ب : « بمها وزائرها » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) البم : أغلظ أوتار العود ، وأغلظ صوته .

وأغانٍ لم تتنحْنح بأمثالِها الحناجِر ، ولم تتقَلّب لأشْباهِها الخناصِر والبناصِر .

وكنتُ أتمنّى لُقياه ، لأمَلّى بطَلعةِ مُحيّاه .

فصادتهُ قبل وُصولى إلى مِصر خَطاطيفُ المَنون ، فعرّس بفِناء الفَنا ، وخلّد عرائسَ الفُنون .

* * *

وهذه قطعة مِن تحائف خاطِره ، تَستَدِلُّ منْها على غائبه بحاضِره .

فمِنها مقْصورتُه التى امْتدح بها الأستاذ[1] محمد البكْرِى[2] .

ومطلعها :

عِيذَتْ بك الدُّنيا وعِيدَ لكَ الهنَا ... واعتدّتِ الحُسْنَى وعُدّ لك المُنى[3]

عجبًا لمن نظَرَ الهلالَ وما رأى ... أن الهلالَ إذا بَدَوْتَ له بَدا

شغَفًا بطلْعتك التى قسَماتُها ... مِنْها تبدّتْ تنكسِفْ شمسُ الضُّحَى

وبِغُرّةٍ قمَريّةٍ فى طُرّةٍ ... سَبَجيّةٍ كالبَدْر فى غسَقِ الدجى[4]

مَا البدْرُ ما الشّمسُ المُنيرةُ ما الضُّحَى ... ما الظّبْىُ ما الرّشأ الشُّوَيدِنُ ما الطّلا[5]

غَسَقٌ على شَفَقٍ على قمرٍ على ... فَنَنٍ على دِعْصٍ على قدٍّ علا[6]

مثلُ الغزالةِ فى السّماء وفى الفَلا ... فهُمَا وأنتَ إذا اعتبرْتَ سَوا سَوا[7]

أرأيتَ رائعةَ الفَلاَ أريتَ آ ... لِفَةَ العرَا أرأيتَ شاردة المهَا

وبصُبْحِ وَجْهٍ إن تبسّم ثغرُهُ ... يَبْدُو الصّباحُ ويَحْمَدُ القومُ السُّرَى

---

(١) بعد هذا فى ب زيادة : « مولانا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) سيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بمصر ، وسيأتى برقم ٣٢٤ . (٣) فى ج : « عذيت بك الدنيا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) سبجية : سوداء . وفى ب : « كالبدر فى أفق السما » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) الشويدن : تصغير الشادن ، وهو ولد الظبية . والطلا : ولد الظبية أيضا . (٦) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع . القاموس (د ع ص) . (٧) فى ب : « سوى سوا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

يا قاتِلِي من غَيْرِ ماذَنْبٍ ألَا ... تَدْنُو فتبصرَ مالَقِيتُ من النَّوَى
قلْبِي تمزَّق فيكَ كُلَّ مُمَزَّقٍ ... أسَمِعْتَ ماقالُوه فى أيْدِى سَبَا
ألِفَ الضَّنَى جِسْمِي فلو فَارَقْتُه ... لَفَنِيتُ من أسَفٍ على فَقْدِ الضَّنَى
وتعوَّدَتْ عَيْنِي السُّهادَ فلو غَفَتْ ... لرأَتْ خيالَ السُّهْدِ فى سِنَةِ الكَرَى
وألِفْتُ سَمْعَ العَذْلِ حتَّى لَوْ صَغَتْ ... أُذْنِي لغَيْرِ العَذْلِ شَقَّيْتُ القِبَا
وعَلِمْتُ أنَّ الصَّبْرَ مُرٌّ طَعْمُهُ ... لكنَّنِي عايَنْتُه حُلْوَ الجَنَى
ونَعِمْتُ بالضِّدَّيْنِ حتَّى اسْتَقْطَرَتْ ... عَيْنَايَ ماءَ الدَّمْعِ مِن جَمْرِ الغَضَا
وسِهامُ جَفْنِكَ بعدما رَيَّشْتَها ... بِغِشَا الكُلَى وسقَيْتَها بدَمِ الحَشَا
هيْهاتَ تَحْسُنُ نَزْعُها من بَعْدِمَا ... نَبَتَتْ وأطْلَعَ غُصْنُها ثَمَرَ الهَوَى (١)
وَوَحقِّ أشْواقِي لِوَجْهِكَ إنَّ لِي ... زَفَراتِ وَجْدٍ لا أرُومُ لها انْقِضَا (٢)
وجَوًى تَوَدُّ حُشاشَتِي لو أنَّهُ ... كانَ انْطَفَا ويَسُوؤُها مَهْما انْطَفَا
وشِفاءُ سُقْمِي فى لَماكَ ولَثْمِهِ ... يَشْفِي غَلِيلِي بَرْدُ ذَيَّاكَ اللَّمَى
ويزِيدُنِي قُرْبِي إليكَ حرارةً ... كالنُّوقِ فى البَيْداءِ يقْتُلُها الظَّمَا
يا سَاِلمَ اللهُ المَحبَّةَ إنَّما ... نَعِشَتْ فُؤاداً سَلَّمَتْهُ إلى الجَوَى
يا قاتِلِي وأنا الفِداءُ لِقاتِلِي ... أبداً بِغَيْرِ حَدِيثِهِ لا يُشْتَفَى
العيْنُ بعدَكَ ماغَفَتْ والطَّرْفُ بَعْـ ... ـدَكَ ما سَهَا والدَّمْعُ بعدك مارَقَا (٣)
للهِ جَفْنٌ تحت وعدِكَ ساهِرٌ ... أمَلاً يشوبُ المُرسَلاتِ بِهَلْ أتَى (٤)
حافِظْ على صِدْقِ العهودِ فإنه ... مما يدلُّ على المودَّةِ والصَّفَا

---

(١) فى ج : « هيهات يحسن نزعها » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « لا أروم لها انتضا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) رقأ الدمع : جف وانقطع . (٤) يشير إلى سورتين من القرآن الكريم ، هما : سورة المرسلات ، وسورة الإنسان .

أنشكُّ أنَّ الصدقَ ينفع أهلَه … أوَ لستَ تعرفُ غَيْرَ صَحْبِ المصطفَى

* * *

ويُستحسن له [١] قوله :

فى الاشْتِقاق وفى التَّذْبيجِ قد نَظَموا … بيْتاً له من بديعِ الحُسْنِ لَألَاء

الحسنُ أحمرُ والتَّحسين أصفر والْـ … إحسانُ أخضر والحسناء بيضاء

* * *

وقوله :

ليس بِدْعاً عتابُ خـيرِ البَرايَا … إنما يعتِب الحبيبُ الحبيبَا

بل عجيبٌ تقديمُه العفوَ قبل الْعَـ … ـتْبِ حِرْصاً عليــه أن يسْترِيبَا [٢]

* * *

أصل هذا ماذكره أصحابُ السِّيَر ، أنَّ أبا بكر الصدِّيق ، رضى الله عنه ، دخل على النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وهو ميِّت مُسَجَّى ، فكشف عن وجهه الشريف ، وقبّل بين عينيه ، وقال : [٣] فديتُ من أقسم اللهُ بتراب قدمه ، فقال : [٤] ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ [٣] ، فديتُ من قدّم اللهُ له العفوَ [٥] قبل العَتْب [٦] ، فقال : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ [٧] .

* * *

ومن مُوشّحاته التى أحكم فيها [٨] المناسبة [٨] والصنعة [٩] ، قوله :

أخمِدْ بريقِك ما أذْكَيتَ من وَهَجِ … فما تركتَ فؤاداً فيك غيرَ شَجِ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٢) فى ا : « قبل الذ * نب خوفاً عليه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٤) سورة البلد ١ ، ٢ .
(٥) فى ا : «العرض» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٦) فى ا ، ب : « الذنب » ، والمثبت فى : ج .
(٧) سورة التوبة ٤٣ .
(٨) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٩) فى ب : «والصيغة» ، والمثبت فى : ا ، ج .

وارحمْ حُشاشةَ صَبٍّ فيكَ قد قُتِلتْ   مابين مُعْتَرَكِ الأحْـــداقِ والْمُهَجِ
وعلِّلِ القلبَ بالتَّمـنِّى   أو فاقْتُلِ الصبَّ بالتَّجنِّى
أنا القتيـــلُ بلا إثْمٍ ولا حَرَجٍ   ولم أقُلْ جَزَعاً يا أزمةُ انفَرِجِى

* * *

دَوْر (١)

قَضتْ بإحْراقِ روحى فتنةُ النَّظرِ   وألَّف الحبُّ بين الجَفْنِ والسهرِ (٢)
فأثَّرتْ تلك فى الأحْشاء فاشْتعلتْ   ومُعْظَمُ النارِ من مُستصغَرِ الشررِ (٣)
فخَــلِّ لَوْمِى وخَلِّ عَتْبِى   فالعينُ عينِى والقلبُ قلبِى
وهل رأيتَ مُحِبًّا بالغرامِ هُجِى   لاخيرَ فى الحبِّ إن أبْقَى على الْمُهَجِ (٤)

* * *

دور

السحرُ فى اللحْظِ أم هذا هو الحَوَرُ   والوردُ فى الخدِّ أم هذا هو الخَفَرُ (٥)
لم يـكْفِ وَجْنتَكَ الحمراءَ مافعلتْ   حتى غدتْ بدمِ العشَّاقِ تفتخِرُ
لــكنَّنى مُقْسِمٌ بِدَلِّكْ   بذُلِّ مِثْـــلِى لعزِّ مِثْلِكْ
مَن كحَّلَ المُقْلةَ السوداءَ بالدَّعَجِ   وخضَّبَ الوَجْنــةَ الحمراءَ بالضَّرَجِ

* * *

دور

أجُؤْذُرٌ أنت يا إنسانُ أم مَلَكُ   يامُشرِقاً بمُحيَّا وجهِهِ الفَلَكُ (٦)

---

(١) هذه الكلمة ، فى هذا الموضع ، وفى كل ما يأتى ، زيادة من : ج على ما فى : ا ، ب .
(٢) فى ب : « قضت بإحراق قلبى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ب : « فأثَّرت تلك فى الأحشاء فاحترقت » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ا ، ج : « بالغرام هجا » ، والمثبت فى : ب .
(٥) فى ب : « السحر فى العين » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٦) فى ب : « يا مولاى أم ملك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وصائدى بخُدودٍ نارُها اشْتعلتْ   والخالُ حَبَّتُها والعارِضُ الشَّرَكُ

الثَّغرُ والشَّعْرُ والمحيَّا   البدرُ والليـــلُ والثُّرَيَّا

فإن ضَلِلْتُ بداجِى شَعْرِه السَّبَجِ   أهْدى لعينى الهوى صبحٌ من البَلَجِ [1]

* * *

دور

أمْنُنْ علىَّ بوصلٍ منك يا سَكَنِى   أو جُدْ بوعْدِى وكاتِبْنِى به وَمِنِ [2]

ألا ترى رُقْعةَ الأستاذ قد وصلتْ   فقلَّدتْنِىَ أطْواقاً من المِنَنِ

كأنه إذْ رأى الْتِياعِى   لِيكْتُبه وهْو ذو اطِّلاعِ [3]

أهْدى إلىَّ سُحَيْراً أطْيبَ الأَرَجِ   فى كلَّ معنًى لطيفٍ رائقٍ بَهِجِ

* * *

دور

ياواحداً لا أرى فى الناسِ ثانِيَهُ   وأوْحداً لم نَجِدْ فى الدهرِ شانِيَهُ [4]

مَحبَّتِى فيك لا واللهِ ما ابْتذِلتْ   وبيتُ حبِّك لم أُخْرِبْ مبانِيَهُ [5]

وإننى ياشقيق رُوحِى   وياغَبُوقِى ويا صَبُوحِى

أوْفَى مُحِبٍّ بما يُرضيك مُبْتهِجِ   وخاطِرِى أين كُنَّا غيرُ مُنْزعِجِ

* * *

وهذا الأسلوب تَقَدَّمَه فيه جماعة ، وزاد بعضُهم التَّضْمِين فى كل القطعة بين [6] شعر [7] غيره [8].

---

(١) السبج : الأسود . (٢) « من » من المين ، وهو الكذب . (٣) فى ج : « يكتبه وهو ذو اطلاع » ، وفى ب : « ذو ضطلاع » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ج : « يا واحدا لم أرى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « لا أخرب مبانيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) فى ا : « منه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ج : « شعره » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٨) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

وهذا موشحه :

أجاب دمعى وما الدّاعى سوى طَلَلِ وظل يسْفَح بين العُذْرِ والعَذَلِ
ياما كنى السفح كم عين بكم سفحتْ مِلْءَ الزمان ومِلْءَ السهل والجبل (١)
قلبٌ مُعَنًى ومَدْمعٌ صَبّ يجُرُّ أذْيالَه ويسْحبْ
يشكو إلى القلبِ مافيــه من العِلَلِ والقلبُ يسحبُ أذْيالاً من الوَجَـلِ

* * *

فالمِصْراعان الأولان ، والرابع للمتنبى (٢) .

والثالث لابن النّبيه (٣) .

والخامس للشريف الرّضِى (٤) .

والسادس لابن اللّبَّانَة (٥) .

---

(١) فى ب : « كم عين بكم سفحت » ،والمثبت فى : ا ، ج. (٢) ديوانه ٣٢٨، ٣٣٠ ، من سيفية له .
والمصراع الأول ، صدر افتتاحية القصيدة ، والعجز :

* دعا فلبّاه قبل الرَّكْبِ والإبلِ *

والمصراع الثانى عجز البيت الثانى فيها ، وصدره :

* ظللتُ بين أُصَيْحابى أُكَفْكِفُهُ *

والمصراع الرابع عجز بيت فيها ، وصدره :

* ضاق الزمانُ ووَجْهُ الأرضِ عن مَلِكٍ *

(٣) كمال الدين أبو الحسن على بن محمد بن الحسن ، ابن النبيه ، تولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى ، وكان شاعرا مجيدا .
توفى سنة تسع عشرة وستمائة .
فوات الوفيات ٢/ ١٤٣
والمصراع الثالث صدر افتتاحية قصيدة له فى مدح الملك الأشرف ، والعجز :

* نزحتمُ فهى بعد البُعْدِ ما نزحتْ *

ديوانه ٢٣ .

(٤) ليس فى ديوانه

(٥) أبو بكر محمد بن عيسى اللخمى ، شاعر أندلسى ، كانت له مكانة سياسية عالية .
توفى سنة سبع وخمسمائة .
التكملة ، لابن الأبار ١/ ٤٠١ ،فوات الوفيات ٢/ ٥١٤ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٧٨ ، المغرب فى حلى المغرب ٢/ ٤٠٩ .

والأخيران لابن سَناء المُلْك (١) .

***

دور (٢)

لِتُهْنَ عينٌ غـدتْ بالدمعِ فى لُجَجٍ ... وكلُّ جَفْنٍ إلى الإغفاء لم يَعُجِ (٣)

ومُهْجـة فيك للأشجان قد صَلُحتْ ... لا خَيْرَ فى الحبِّ إن أبْقَى على المُهَجِ

لم تُبْقِ لى فى الهوى مَلاذَا ... ياليتنى مِتُّ قبلَ هٰذَا

تركْتنى أصحبُ الدنيا بلا أمَـلِ ... فما أقول لشىءٍ ليت ذلك لِى

***

الأول للعز المَوْصِلِىّ .

والثانى ، والرابع لابن الفارِض (٤) .

والثالث لابن النَّبِيه (٥) .

---

(١) أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك السعدى ، المصرى .
شاعر جيد الشعر ، كتب فى ديوان الإنشاد بمصر مدة ، وهو من نبلائها .
توفى سنة ثمان وستمائة .
خريدة القصر ـ قسم مصر ـ ١/ ٦٤ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٥ ، وفيات الأعيان ٥/ ١١٢
ولم أجد المصراع السابع فى ديوانه ، على الرغم من نظرى فى صدور أبيات الديوان .
والمصراع الثامن فيه ٥٨٠ ، وهو عجز بيت ، صدره :

* والعينُ تسحبُ ذَيْلًا من مَدامِعِها *

(٢) زيادة من : ج فى هذا الموضع ومايليه ، على مافى : ا ، ب .

(٣) فى ا : « لهنٔ عين » ، وفى ب : « ليهن عين » ، والمثبت فى : ج ، وفى ب : « وكل قلب إلى الإغفاء لم يعج » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) المصراع الثانى فى ديوان ابن الفارض (بشرح البورينى والنابلسى ٢/ ٥٠) وهو عجز بيت صدره :

* وكلُّ سَمْعٍ عن اللّاحى به صَمَمُ *

والرابع فى ديوانه أيضا ٢/ ٥١ ، وهو عجز بيت ، صدره :

* وخُذْ بقيّةَ ما أبْقَيتَ من رَمَقٍ *

(٥) لم أجد هذا المصراع فى ديوان ابن النبيه ، على الرغم من نظرى فى صدور أبياته .

والخامس لابن الخرّاط (١) .

والسادس لابن نُبَاتة (٢) .

والأخيران المتنبّي (٣) .

* * *

دور

مَاجَالَ بعـــدكِ لَحْظِي في سَنَا القمرِ   فإن ذلك ذنبٌ غـــيرُ مُغتفرِ (٤)

لي همّـــةٌ بِدَنِيّ قطُّ ماطَمَحتْ   لَمّـــا تواضعَ أقوامٌ على غَرَرِ

وأيّما كُنتَ كنتُ عبدَكْ   فإن قلبي أقام عنـــدكْ

على بَقاءِ دَعاوٍ للهـــوى قِبَلِي   وأنت تعلمُ أنّي بالغرامِ مَلِي (٥)

* * *



الأول لابن زيدون (٦) .

---

(١) أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن سلمان ، ابن الخرّاط ، القاهري .
أديب ، شاعر ، تنقل في مناصب القضاء والإنشاء بين حلب وطرابلس ، والقاهرة .
توفي سنة أربعين وثمانمائة .
شذرات الذهب ٧/٢٣٥ ، الضوء اللامع ٤/١٣٠ .

(٢) ديوان ابن نباتة المصري ١٧٧ ، وهو عجز بيت ، صدره :

* وقال جفنٌ له سقيمُ *

(٣) لم أجد المصراع السابع في ديوان أبي الطيب ، على الرغم من نظري في صدور أبياته .
والمصراع الثامن فيه ، صفحة ٣٣٠ ، وهو عجز بيت ، روايته في الديوان :

تمْسِي الأمانيُّ صَرْعَى دونَ مَبْلَغِهِ   فمايقول لشيءٍ ليت ذلك لِي

(٤) في ب : « ماجال لحظي بعدك » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : « على بقاء دعاوى » ، وفي ج : « على بقايا دعاو » ، والمثبت في : ا . (٦) صدر بيت له ، عجزه :

* إلا ذَكرتُكِ ذِكْرَ العينِ بالأثرِ *

ديوانه ٩٢ .

والثانى ، والرابع لأبى العلاء [١] .

والثالث لابن نُباتة [٢] .

والخامس ، والسادس للبهاء زُهَير [٣] .

والسابع للقَرَافِى [٤] .

والثامن لابن الجُوْزِىَ .

* * *

دور

بما بِعِطْفَيْكَ من تِيهٍ ومن صَلَفِ   تَلافَ مُضْناكَ قــد أشْفَى على التَّلَفِ
فالموتُ إن غُضَّتِ الأجفانُ أو فُتِحتْ   يا أكْحلَ الطَّرفِ أو يا أزْرقَ الطَّرَفِ
لِسائلِ الدمعِ صِرْتُ ناهِرْ   وسِرْتَ والقَدُّ منك خاطِرْ [٥]
تَدْرِى الطَّعينَ وصدرُ الرُّمحِ لم يَصِلِ   ما خاب مَن سأل الحاجاتِ بالأَسَلِ

* * *

---

(١) المصراع الثانى عجز بيت له ، صدره :

* لاتطْويا السِّرَّ عنِّى يوم نائبَةٍ *

شرح التنوير على سقط الزند ١/٣٣ ، شروح سقط الزند ١/١٣٢ .

والمصراع الرابع عجز بيت له ، صدره :

* علَوْتُمُ فتواضعتم على ثِقَةٍ *

شرح التنوير على سقط الزند ١/٤٠ ، شروح سقط الزند ١/١٦٧ .

(٢) ليس فى ديوانه .   (٣) ديوان البهاء زهير ، وجاء فيه :

إن كان قد سار عنكَ شخْصِى   فإن قلبِى أقام عنْــدَكْ
وحيثما كنتَ كنتُ مَوْلًى   وأينما كنتَ كنتُ عبــدَكْ

(٤) فى ج : « للغزى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ولعله يعنى بالقراف بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القراف ، المصرى ، المالكى ، المتوفى سنة ثمان بعد الألف .

انظر ريحانة الألبا ٢/١٠٤ .

(٥) فى ج : « لسائل الدمع صرت ناهل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

الأولان ، والرابع لابن الوَرْدِيّ [١] .

والثالث لابن نُباتَة [٢] .

والاثنان من [٣] مُوَشَّح .

والآخِران للشريف [٤] .

***

ومن مشهور شعر المُصْفُورِيّ قوله ، فى غلام يلعب بتفاحة :

بتفَّاحـــةٍ فى الخدِّ وكُلّ لَحْظَهُ   ليحفظَهامن ناظِرى أن يَؤُودَهَا [٥]

سَهَا فهَوَتْ من خدِّه فهو دائمـاً   يُرَدِّدُها فى كفِّه ليُعيدَهَا

***

وقد سبقه إلى هذا أبو تمّام غالب الحجَّام [٦] ، فى قوله :

عايَنْتُه وبخدِّه تفـــاحةٌ   قد أُلبِسَتْ من وَجْنتَيه بُرْدَهَا

يرْمِى بهـــا فى وجْهِه ويظنُّها   من خدِّه سقطتْ فيبْغِى رَدَّهَا

***

وقوله فى وصف جدول ماء :

لنا جـــدولٌ صقَلَتْه الشَّمالُ   كما صقَل القَيْنُ صافى الأثَرْ [٧]

جرى ذهباً فى أوانِ الأصِيل   كما قد جَرى فِضَّةً فى السَّحَرْ [٨]

***

(١) لم أجد شيئا من ذلك فى ديوانه .   (٢) عجز بيت له ، صدره :

* ذو ناظرٍ بالحياوالسحرِ مُكتحِلٍ *

ديوانه ٩٧ .

(٣) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

(٤) لم أجدهما فى ديوانه .   (٥) فى ج : « أن يودها » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٦) لعله يعنى أبا تمام غالب بن على بن محمد اللخمى ، الشلورى ، طبيب من العلماء ، توفى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . انظر الأعلام ٥/٣٠٣ .

(٧) فى ب : « كما صقل العين » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٨) فى ب : « كما قدجرى فضة فى الشجر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله فى فَوَّارة ماء :

وفَوَّارةٍ الماء تحسَب أنَّها   قضيبُ لُجَين فوقه عِقْدُ جوهرِ
تُقابلها شمسُ الأصيل فتغتدى   أناظيمَ شَذْرٍ خيطُه سِلْكُ مَرْمَرِ (١)
وتعطفها رِيحُ الشمالِ كأنها   قوامُ رَدَاحٍ فى قِباءٍ مُعَصْفَرِ (٢)

***

ومن مُوَشَّحاته قوله :

أيها المتنع الأوْ   صافِ عن إدْراكِ مُدْرِكْ
أفلا يُمكنُ أن تجْ   ملنى هِمْيانَ خَصْرِكْ

يوم أحْظَى بتلاقيكْ
وبكاساتى أساقِيكْ
وبأشْواقى ألاقِيكْ

مَرْتعِى بين تراقيـ   ـكَ ورُمَّاناتِ صدرِكْ (٣)
أجْتنِى سوْسَنَ صُدْغيـ   ـكَ ونُوَّارةَ ثَغرِكْ

فحياتى يومَ ألقاكْ
يوم أستنشِق رَيَّاكْ (٤)
وتُعاطِينى حُمَيَّاكْ

وأرَى شمسَ مُحيَّا   كَ بدَتْ فى ليلِ شَعْرِكْ
فهنا أنظِمُ دُرَّ الأنْـ   ـجُمِ فى لَبَّاتِ نَحْرِكْ (٥)

---

(١) الشذر : قطع من الذهب تلقط من معدنه .   (٢) الرداح : الثقيلة الأوراك .
(٣) سقط قوله : « مرتعى بين تراقيك » من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وفى ب : « ورمانة صدرك » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ج : « حين أستنشق رياك » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٥) فى ب : « فها أنا أنظم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أهصرُ العِطْفَ وأضُمُّ
وأُفَــدِّيكَ وألْثَمْ
آخِذًا بالجَيْبِ والكُمِّ

وأُجِيلُ الخَمْسَ من يُمْنا ى في جَــوْنَةِ عِطْرِكْ
وأهُزُّ الغُصُنَ الْمُثْـ ـمِرَ من أعْطافِ هَصْرِكْ

＊＊＊

وله في القهوة :

سوداء مثلُ المِسكِ لا كالنِّقْسِ وجامُها الأصفرُ مثلُ الوَرْسِ
جالِبةً للأُنْسِ بعد الأُنْسِ حلَّتْ حُلولَ زُحَلٍ في الشمسِ

＊＊＊

وله في شريف تعذَّر :

طَلَع العِــذارُ بِخدِّ أهْيَفَ سيِّدٍ أحسِنْ بخُضرةِ نَبْتِه ورِياشِهِ(١)
فمن الحياء تَخالُه مُتَلَثِّمًا أبدًا بِذَيْلِ طَيَّةٍ من شاشِهِ(٢)

＊＊＊

وله في حامل شمعة :

وافَى وفي راحتِــه شَمْعَه لهــا على وَجْنتِه لَمْعَهْ
تَخالُه البدرَ وفي كــفِّه بَهْرامُ والمَنْزِلةُ الهَنْعَه(٣)

＊＊＊

وله :

له لِسانٌ مُفْرِطٌ كِذْبُهُ كأنه مِقْوَلُ صَــوَّاغِ

---

(١) في ب : « بخد سيد أهيف » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « في شاشه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) الهنعة : منكب الجوزاء الأيسر . انظر القاموس (ه ن ع) .

وَوجهُهُ أقبحُ ما فى الورَى ... كأنه راحــةُ صبَّاغْ

«راحة صبّاغ» يُضرَب مثلا لما يُستقبَح، ويُشبَّه به مالا يُستنظَف

* * *

وله :

لهُ كلَّ حينٍ على مُعْتَفيهِ ... إذا أَمَّهُ نعمةٌ سابغَهْ (١)

كأنَّ يدًا ملَّكتْه الرِّقابَ ... يَدُ الباهليِّ على النَّابغَهْ

* * *

وله من قصيدة، مستهلها :

أُغازِلُ منه الجَفْنَ أكحلَ أوْطَفَا ... وأَهْصِرُ منه القَدَّ أسمرَ أهْيَفَا (٢)

وأقطِفُ منه وردةَ الخدِّ غضَّةً ... وأرشِفُ منه خمرةَ الثغرِ قَرْقَفَا (٣)

ويُعجبني أنى أُقبِّلُ خطَّهُ ... ولم أرَ قبلى من يُقبِّلُ مُرْهَفَا

أُفدِّيه معسولًا لحاظًا ومَرْشَفًا ... وأفديه عسَّالًا قَوامًا ومِعْطَفَا

وأطلب منه قُوتَ قلبى تطفُّلًا ... وألتذُّ بالأقدام منه تلطُّفًا (٤)

بِسُورِ عقيقٍ صان لؤلؤَ ثغرِه ... ومدَّ عليــه بالزَّبرجدِ رفرفا

أقام عليه حيَّةَ الشَّعْرِ حارسًا ... وزرفنه بالصُّدْغِ كنزًا مُكَتَّفَا (٥)

أُعدِّدُ أشجانى إليــه إذا صحا ... وأُسهِر أجفانى عليــه إذا غفا

وأُوقظه أنْ لا يسوءَ مِزاجُه ... فأحسَب أنى قد هززتُ مُثقَّفا

نظرتُ إليــه نظرةً فتلهَّفتْ ... عليــه حشًا لا تستطيعُ تلهُّفا

---

(١) فى ا : «على معتصيه»، وفى ب : «على معتطيه»، والمثبت فى : ج .

(٢) الأوطف : كثير شعر الحاجب والعينين . (٣) القرقف : الخمر .

(٤) فى ب : «وألتذ بالأقدام»، وفى ج : «وألتاذ بالأقلام»، والمثبت فى : ا .

(٥) فى ب : «أقام عليه حارس الشعر حية»، والمثبت فى : ا، ج . والزرفين : حلقة الباب، وزرفن صدغيه : جعلهما كالزرفين . القاموس (ز ر ف ن) .

فصمَّد ما لو قابل الدمعَ ما طفَا ... وقطَّر مالو سامَتَ الوجدَ لانطفَا[1]

فقِسْتُ بُدرَّ الدمعِ لُؤلُؤَ ثغرِه ... فلم أدرِ أيًّا كان أصْفَى وأصْلَفَا

ولم أرَ بدرًا قبلَه ظلَّ كاملًا ... ولاشمسَ حُسْنٍ قبلَه لن تُكسَّفَا[2]

* * *

وله[3] وهو مما يُستعذَب[3] :

سألتُه في ثغرِه قبلةً ... فقال ما أبْرَدَ هذا السُّؤالْ

ما مرَّ إلّا وحَلَا وَصْلُهُ ... لوكانَ مَنْ يَسْمَحُ لي بالوِصالْ

عطَّلني من وَصلِه بالجفَا ... والحمدُ للهِ على كلِّ حالْ

* * *

ابن نُباتَةَ المِصْرِيّ[4] :

حَلَّوا بِعقْدِ الحُسْنِ أجْيادَهُمْ ... وحاوَلوا صَبْرِي حتَّى استَحالْ

فآهِ من عاطلِ صَبْرٍ مُعَنًّى ... والحمْـدُ لِلهِ على كُلِّ حالْ

* * *

وله في ساقي قهوة :

ساقٍ يفُوقُ السُّقاةَ كُلَّهمْ ... بالأدبِ السّابرِيِّ والحِكْمَهْ[5]

يبيتُ يسقِيكَ مِن لطافتِه ... في جامدِ النُّورِ ذائبَ الظُّلْمَهْ

* * *

وله من قصيدة مدح بها ابنَ الحُسام[6] المُفْتِي ، وكلها غُرَر ؛ فلذا أثبتُّها بِرُمَّتِها :

---

(١) في ج : « ما لو قابل الدمع ما طفى » ، والمثبت في : ا ، ب . وسامت الجمد : قابله ووازاه .

(٢) في ب : « ولا شمس حسن قبله ليس تكسفا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب . (٤) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

والبيتان لابن نباتة المصرى ، في ديوانه ٤٢١ .

(٥) في ا : « بالأدب السارى » ، والمثبت في : ب ، ج ، وشبه أدبه في رقته ولينه بالثوب السابرى .
انظر لطائف المعارف ، للثعالبى ١٩٥ .

(٦) تقدم ذكر ابن الحسام ، في صفحة ٢٠٣ .

نِظامُ سُلوكِ القَطْرِ فى إبَرِ المُزْنِ ... تَخيطُ قَميصَ النَّهْرِ مِن وَرَقِ الغُصْنِ

وقَدْحُ زِنادِ الرَّعْدِ فى رَاحةِ الصَّبَا ... يُؤجِّجُ نارَ البَرْقِ فى فَحْمةِ الدَّجْنِ

وَرَشْفُ رُضابِ الطَّلِّ مِن أكْؤسِ الرُّبَى ... يُرَنِّحُ عِطْفَ الغُصْنِ لا قَرْقَفُ الدَّنِّ

وتَزْرِيرُ جَيْبِ الشَّمْسِ يُؤْذِنُ بالحَيَا ... لما قامَ غُصْنُ البانِ مُنْحَسِرَ الرُّدْنِ (١)

وخَطُّ عِذارِ النَّهْرِ أشْكَلَ رَسْمُهُ ... فأعْرَبَتِ الوَرْقاءُ عنْهُ بلا لَحْنِ

وتنكِيسُ رأسِ الغُصْنِ فى الرَّوْضِ مُشْعِرٌ ... بإصْغائِه مُسْتَمْلِيًا كما تُمْنِى

وتَقْطِيبُ ثَغْرِ الزَّهْرِ يَضْحَكُ بالنَّدَى ... كما ضَحِكَتْ تلكَ الطُّيورُ بِلا سِنِّ

وقد نُصِبَتْ للنَّوْءِ فى الجَوِّ خَيْمَةٌ ... تَكَنَّفَتِ الأقْطارَ مِن ناصِعِ القُطْنِ (٢)

وهَبَّ صَبًا أحْيَتْ مَواتًا من الرُّبَى ... كأنْ هَبَّ إسْرافيلُ يَنْفُخُ فى القَرْنِ

إذا سُلَّ سَيْفُ البَرْقِ مِن جَفْنِ مُزْنَةٍ ... أسالَ دُموعَ القَطْرِ من ذلكَ الجَفْنِ

ودُونَ عُقابِ الجَوِّ إن عَنَّ ضَوْءُهُ ... أطارَ غُرابَ اللَّيْلِ عن سُحُبٍ دُكْنِ (٣)

تَخالُ عَنانَ اللَّوْحِ بَحْرًا مُلَجَّجًا ... على مَتْنِهِ تلكَ السَّحائِبُ كالسُّفْنِ

وللنَّوْءِ قَوْسٌ أوْتَرَ الجَوُّ مَتْنَهُ ... نِبالَ سَنًا رِيشَتْ بأجْنِحَةِ المُزْنِ (٤)

مُوَشَّى الحَنايا دَبَّجَتْهُ شِيـــاتُهُ ... كما دَبَّجَ الطَّاوُوسَ قادِمُهُ المَحْنِى (٥)

كأنْ قَدْ أتَى فَصْـــلُ الرَّبيعِ تَخالُهُ ... أصالَةَ مَعْنًى رامَهُ رائِقُ الذِّهْنِ (٦)

كأنْ قد تَهادَى الغُصْنُ فى عَذَباتِهِ ... كما اهْتَزَّ تحتَ الخَزِّ قامَةُ ذِى حُسْنِ

وإلَّا كما اهْتَزَّتْ يَراعَةُ سَيِّدِى ... بما أثْمَرَتْ بالمَنِّ والأمْنِ واليُمْنِ

عِمادُ ذَوِى الدُّنْيا وعِصْمَةُ أهْلِها ... وحِصْنُهُمُ أكْرِمْ بذلكَ مِن حِصْنِ

---

(١) فى ب : « وتزوير جيب الشمس » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « وقد نصبت للنور » ، وفى ج : « وقد نصبت للنو » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ب : « إن عز ضوءه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « وللجوقوس » ، وفى ج : « وللنوقوس » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ب ، ج : « قادمة المحنى » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ب ، ج : « إحالة معنى » ، والمثبت فى : ا .

لهُ السُّمْعَةُ الحسْناءُ فى المُدْنِ والقُرَى ... ومَعْدَلَةُ القِسْطاسِ فى الإِنْسِ والجِنِّ
إذا ظَنَّ منه الرِّفْدَ يوماً مُؤَمِّلٌ ... أبا كَرَماً أن يُبْدِلَ الظَّنَّ بالظِّنِّ (١)
جَزاني جَزاهُ اللهُ خَيْرَ جَزائِهِ ... وبَوَّأَهُ قُصْوَى مَكارِمِهِ عَنِّى
وعَلَّمَنِى نَظْمَ الأَناشيدِ فَضْلُهُ ... وقد كانَ شِعْرِى قَبْلُ أَبْرَدَ مِن صِنِّ (٢)
وإنِّىَ مَهْما غِبْتُ عنهُ لَمُجْهِدٌ ... بِأَمْداحِ ما تَحْوِى مناقِبُهُ ذِهْنِى
أُواصِلُ ذِكْراهُ مَساءً وغُدْوَةً ... وشُكْرُ الذى أَسْدَى إلىَّ مِنَ المَنِّ
مَثابَتُهُ أَمْنِى ومَثْواهُ كَعْبَتِى ... وفى بابِهِ حَجِّى وعَقْوَتُهُ رُكْنِى (٣)
ومَن أنا يَسْتَدْعِيهِ بالكُتْبِ مِثْلُهُ ... أجَلْ هذه واللهِ فاتِحَةُ اليُمْنِ
أَطَعْتُ ولكِنِّى اشْتَغَلْتُ وأَيْنَ لِى ... ويَقْبُحُ من مِثْلِى أَطَعْتُ ولكِنِّى
وهلْ أنا إلَّا عَبْدُهُ القِنُّ أقْتَضِى ... جميعَ الذى يَقْضِيهِ فى عَبْدِهِ القِنِّ
وقد جِئْتُهُ من بعد لأْىٍ مُهَنِّياً ... به رمضانَ العامِ تَهْنِئَةَ المُثْنِى (٤)
أَزُفُّ إلى عَليائِهِ كلَّ غادَةٍ ... تَجُوسُ حِمَى الآذانِ منه بلا إذْنِ
تَقِيهِ من البَأْساءِ فى الدِّينِ والعُلا ... وفى النَّفْسِ والأَهْلِينَ والمالِ والإِبْنِ
دُعاءً إذا ظَنَّ القَبولُ فإنَّنِى ... أُحقِّقُ أنَّ اللهَ يَقْبَلُهُ مِنِّى

* * *

ومن إنشائه ما كتبه لبعض الأدباء بدمشق ، جوابا عن كتاب :

« المحبَّةُ وما أدْراكَ ، والعَلاقة (٥ ويا ما هنالكَ ٥) .

---

(١) فى ا : « إذا ظن منه الوفد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الصن : أول أيام العجوز . القاموس (ص ن ن) . (٣) العقوة : ما حول الدار والمحلة . (٤) سقط صدر هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج . وفى ا : « به رمضان العلم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) فى ب : « ويا مهناك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

إِلْطافٌ كلُّه(١) أَلْطاف ، وإِتْحافٌ فضلُه غيرُ خَافٍ ، وقِطافٌ جناها لِطافٌ ، ونِطاف نُمْرِع المرابع(٢) والمَصْطاف .

تُطلِق من لِسان الأَلْكَن ، وتُفْلِق مِقْوَلَ المِصْقَع الأَلْسَن .

وتُلِينُ العَرِيكة ، وتُهِينُ ذِى الأَرِيكة الوَرِيكة(٣) .

وتذْهَبُ بذى الطِّباع السَّليمة ، إلى طُمَأْنِينةٍ خَايِفة وسُلالةٍ شَكِيمة .

والحبُّ أَوَّلُ ما يكونُ لجاجَةً فإذا تمكَّنَ صار شُغْلاً شاغِلاَ

شمسٌ لها مَطْلعان ، وسَهْمٌ له(٤) موقعان ، وجِهةٌ لها قِبْلَتان ، وقضِيَّةٌ لها نَتِيجتان ، عَقْدُها لازِمٌ من الطَّرَفَيْن .

والمجدُ رَوْضُهُ مَرِيع ، ودَهْرُه رَبِيع .

وِرْدُه صاف ، أَشْتَى أَوْ صَافَ

ليلُه كلُّهُ سَحَر ، وغَسَقُه جميعُه قَمَر .

عيشُه عيشُ السَّلاطين ، وطَيْشُه طَيْشُ الشَّياطِين .

وأَنِينُه أَنِينُ الثَّاكِين الباكِين ، وحَنِينُه حَنِين المتباكِين المساكِين(٥) .

ليس لمسْكِين الهوى رَاحِمٌ ولا لمقْتولِ الهــوى من يَدِى

وهو والملاك سَوا ، لوْلا النَّوَى .

وهو والعُروش سِيَّان،لولا اللَّيَان.

ينْقضِى دهرُه فى أَيْن وأَنَّى ، وكيف وعسى ، وحتى ومتى ، ولَوْ ولولا ، وأيَّانَ و بَيْنَا .

---

(١) فى ب : « كل » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب ، ج : « المرباع » ، والمثبت فى : ا .
(٣) فى ب : « الأريكة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا ، ج : « لها » ، والمثبت فى : ب .
(٥) فى ب : « الشاكين » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبَيْنا تفِي بالوَعْدِ أهْلَكَ ، إنّ لي فُؤاداً عَجُولاً والوِصالُ على مَهَلِ

وقتُه هَنا ، بتَساوِيف المُنَى .

ويومُه عِيدٌ ، بأمَانِيّ المواعيد .

إن بَرَقَتْ بارِقة ، ظَنَّها وارِقة .

أو خفقَتْ خافِقة ، خالَها صادِقَة .

وإن صَبَّ صَبَا ، مال وصَبَا .

وإن ساجِعٌ عَنَّ حَنَّ ، وإن غَنّى مُغَنٍّ اهْتَزَّ وارْجَحَنَّ .

* كما انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ * (١)

ويَمُّه ، ما أهَمّه .

ويا عَوْلَةَ أبيه ، ما أكثر تعابيه .

يرقُبُ سُهَيْلاً في اللّيل ، ويجرّ الويل (٢) بالذّيل .

يأخذُ الوِصال بالمثاقيل (٣) ، ويُعطِي دُرَّ دمعِه بالمكاييل (٤) .

وهو إذا جاد باكِي العيون ، مجنونٌ كالجواد المعيون .

مشغوفٌ ، كالبعير المأنُوف (٥) .

إن تهدّد هَاد ، وإن رُدَّ أراد ، ومتى قِيدَ انْقاد ، وأيّا ما ارتدّ راد وارتاد .

فلا مُعِين فيه إلّا به ، ولا مَفرَّ منه إلّا إليه .

---

(١) عجز بيت لأبي صخر الهذلي ، صدره :

* وإنّي لتَعْرُوني لذِكْراكِ هِزّةٌ *

شرح الشواهد ، للعيني ٢/١٢٤ ؛ شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٧ ، وصدر البيت فيه :

* إذا ذُكِرتْ يرتاحُ قلبي لِذِكْرِها *

(٢) ساقط من : ب ، وهو في : أ ، ج . (٣) في أ : « بالمثقال » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في أ ، ج : « بالكيل » ، والمثبت في : ب . (٥) أنف البعير : اشتكى أنفه من البرة .

وكما تكونُ تَطَبُّعاً أو طِباعاً ، تكونُ نظراً أو سماعاً .

فالنَّظَرِيَّةُ ، دارَتُها قَمَرِيَّة .

والسَّماعِيَّة ، دائرتها طَماعِيَّة .

ومَن لى بأن ينقلبَ السَّمْعُ نظَراً ، كما تحوَّلَ الخبرُ خَبَراً .

وقد ورَدَ أعزَّكَ اللهُ كتابُكَ البَعيدُ الوَصْف ، البديعُ الرَّصْف .

فَفَضَضْتُ صَدَفَةَ وثيقةٍ(١) عن دُرٍّ مَكْنُون ، وحَظِيتُ(٢) منه أبكارَ عرائس مُنتقِبَة(٣) بالجوهرِ المصُون .

وشفَيْتُ الغليلَ من مياتِ ثُغُورِه ، وصَاداتِ عُيُونه .

وسرَّحْتُ طَرْفَ طَرْفِي فى رياضِه ، وأوْرَدْتُ عَقيلةَ عَقْلى فى زُلالِ حِياضِه .

وجُسْتُ خِلالَهُ ، وتفيَّأْتُ ظِلالَه ، وأكْثَرْتُ إكْرامَه وإجْلالَه .

حتى لاحَتْ لى(٤) غُرَّةُ الدُّرَّة(٥) ، وشِمْتُ مَخِيلَةَ الخميلة ، ولمَعَتْ بارِقةُ الشَّارِقة .

فيالَكَ مِن دُرٍّ يُكالُ ويُتَرَّنُ ، ومِن حُسْنِ ألفاظٍ يُزان ولا يُزَنُ(٦) .

حَفِظَ اللهُ مَن نَظَم سِلْكه(٧) وأحْسَنَ تألُّفَه ، وأبقَى مَلَكَتَه التى وطَّدتْ فى الآداب مُلْكه ، ورحِمَ مَن خَلَّفَه .

وقد تطفَّلَ المحبُّ بهذه العُجالة(٨) على جنابِه ، فَلْيغضِ عليه طَرْفَ حِلْمِه ، ولْيجْرِ فى التَّرسُّلِ على سَنَنِه ورَسْمِه » .

☆☆☆

(١) فى ب : « ونقيته » ، وفى ج : « وثيقته » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب : « وحطت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا ، ب ، ج : « منصتة » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) فى ج : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ا : « الديرة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) لا يزن : لا يتهم . (٧) فى ب : « سلكته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ب : « العاجلة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٨

السيد أحمد بن على الصَّفُّورِى *

حَسِيبٌ طرَّزَ كُمَّ الأحْساب ، ونَسِيبٌ باهَتْ بنِسْبتِه الأنْساب .

مَحَلُّه سِرُّ المطْلوب ، وقَرارهُ محبَّته حَبَّةُ القُلوب .

مِن سُراةٍ أُنُوفُهم شُمٌّ ، ووُجوهُهم غُرٌّ ، وعِزَّتُهم (١) قَعْساء ، ونسَبُهم حُرٌّ .

لهم القَدْرُ الأغْلَى ، وشرفُهم الشَّرفُ الأعْلَى .

وهو ممَّن تأثَّلَ مجْدُه فى بَحْبُوحَـةِ ذلك (٢) الشَّرَف ، وتبوَّأَ من السِّيادةِ أسْنَى الغُرَف .

مُرْتَويةٌ أفْياؤُه بِماءِ النُّبُوَّة ، مُتأرِّجَةٌ أرْجاؤُه بعَبِيرِ الفُتُوَّة .

مع مَهارةٍ فى العلوم ، ومُحاضرةٍ مُسْتفِزَّةٍ للحُلوم .

وأخْلاقٍ صقلها الكَرَمُ الوَضَّاح ، وطَبِيعةٍ شُغِف بها الكَمالُ الفَضَّاح .

(*) السيد أحمد بن على بن علاء الدين الصفورى ، الحسينى ، الشافعى ، الدمشقى .

ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

وقرأ بدمشق على عبد الحق الحجازى ، والحسن البوريني ، والشرف الدمشقى .

وسمع الحديث من الشمس الميدانى ، والنجم الغزى ، وكان معيدا لدرسيهما فى « صحيح البخارى » بجامع دمشق .

سافر إلى حلب ، ودرس بدار الحديث الأشرفية ، وتولى قضاء الشافعية بمحكمة الباب بدمشق .

وكانت له معرفة تامة بالفقه ، والعربية ، وأنواع الأدب .

توفى سنة ثلاث وأربعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ١/٢٤٦ .

وفى ج : « السيد أحمد بن على العصفورى » ، وهو خطأ صوابه فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

والصفورى : نسبة إلى صفورية ، بفتح أوله وتشديد ثانيه وواو وراء مهملة ، ثم ياء مخففة ، وهى كورة وبلدة من نواحى الأردن بالشام ، وهى قرب طبرية . معجم البلدان ٣/٤٠٢ .

(١) فى ج : « وغرتهم » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وله أدبٌ تَرَدَّى بالبَراعة وتَوَشَّح ، وشِعرٌ استَعَدَّ للقَبول التَّامِّ وتَرَشَّح .

***

فمنه قوله (١) :

أيارَبِّ قد مَكَّنْتَ في القلبِ حُبَّهُ ... وحَكَّمْتَه في الصَّبِّ بالقَوْلِ والفِعْلِ (٢)

وألْهَمْتَهُ الإعْراضَ عنِّي ولم تَدَعْ ... لِقَلْبِيَ صَبْراً عنه في الهَجْرِ والوَصْلِ

فألْهِمْهُ إحْساناً إلَيَّ فليس لِي ... سِوَى لُطْفِكَ المعْهودِ إن لم تكُن تُبْلِي (٣)

وإلَّا فسَوِّ الحبَّ بيْنِي وبَيْنَهُ ... فإنَّكَ يامولاىَ تُوصَفُ بالعَدْلِ (٤)

***

وهذا أسلوب (٥) لطيف ، وهو (٦ نَقْلُ أسلوب من الكلام إلى آخر ٦) تظَرُّفاً ، كاسْتِعمالِه في الغَزَل ماعُهِد وُرودُهُ في الدُّعاء والمُناجاة .

كقول صَدرِ الدين بن الوكيل (٧) :

يارَبِّ جَفْنِي قد جَفاهُ هُجوعُه ... والوَجْدُ يَعْصِي مُهْجتي ويُطيعُه (٨)

يارَبِّ قلْبِي قد تصدَّعَ بالهوَى ... فإلى متى هذا البِعادُ يَرُوعُه (٩)

يارَبِّ بَدْرُ الحيِّ غابَ عن الحِمَى ... فمتى أراهُ وفي القِبابِ طُلوعُه

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢٤٦ . (٢) في ج : «يا رب» ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب : « إن لم تكن تبلى » . وفي خلاصة الأثر : « إن لم يكن من لى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا ، ب : « وإلا فسوى الحب » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) في ا ، ج : « الأسلوب » ، والمثبت في : ب . (٦) في خلاصة الأثر : « نقل الكلام من أسلوب إلى آخر » . (٧) أبو عبدالله محمد بن عمر بن مكي ، صدر الدين ، ابن الوكيل .

شاعر ، من فقهاء الشافعية ، تنقل بين مصر وحلب ، وتوفي سنة ست عشرة وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٤/٢٣٤ ، فوات الوفيات ٢/٥٠٠ .

والبيتان الأولان والرابع في ريحانة الألبا ١/٤٧ .

والأبيات جميعها في خلاصة الأثر ١/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٨) في ج ، وخلاصة الأثر : «وتطيعه» ، والمثبت في : ا ، ب ، وريحانة الألبا . (٩) في ا : «قد تصدع في الهوى » ، وفي خلاصة الأثر وريحانة الألبا : « قد تصدع بالنوى » ، والمثبت في : ب ، ج .

يارَبَّ فى الأظْعـــانِ سارَ فُؤادُهُ ... ياليْتَه لو كانَ سارَ جميعُهُ
يارَبِّ لا أدَعُ البُكاَ فى حُبِّهِمْ ... مِن بَعْدِهِمْ جُهْدُ المُقِـــلِّ دُموعُهُ
يارَبِّ عَـذِّبْ فى الهوَى مَن ساءَنِى ... بمَقالِهِ أحْـــلَى الهـوَى مَمْنُوعُهُ
يارَبِّ هذا بَيْنُه وبِعادُهُ ... فمتَى يكونُ إيابُهُ ورُجوعُهُ (١)

* * *

ومِثلُه استِعْمالُ الغَزَل على طِرازِ الأوامِرِ السُّلْطانيَّة ، كقولِ الشابِّ (٢) الظريف (٣) :

أعَزَّ اللهُ أنْصارَ العيونِ ... وخَـــلَّدَ مُلْكَ هاتِيكَ الجُفونِ
وأسْبَغَ ظِـــلَّ ذاكَ الشَّعْرِ يَوْماً ... على قَدٍّ بِهِ هَيَفُ الغُصونِ (٤)

* * *

وللسيد أحمد ، كما رأيته بخطِّه (٥) :

إذا أنْتَ لم تَقْرُبْ يُناجِيكَ خاطِرِى ... وإنْ تَدْنُ مِـــنِّى فالجوارِحُ أعْيُنُ
لأنَّكَ مَطْلوبِى على كلِّ حالةٍ ... وإنْ أكُ مُختاراً فرُؤْياكَ أحْسَنُ (٦)

* * *

ورأى حِكْمةً تُؤْثَرُ عن الإمام محمد بن الحنَفِيَّة ، وهى :

---

(١) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٢) زيادة من : ب على ما فى : ا ، ج . (٣) محمد بن سليمان بن على ، التلمسانى ، الشاب الظريف ، ابن العفيف .
شاعر رقيق الشعر ، ولى عمالة الخزانة بدمشق .
توفى سنة ثمان وثمانين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٤٢٢ ، الوافى بالوفيات ٣/١٢٩ .
والبيتان فى ديوانه ٦٤ ، وريحانة الألبا ١/٤٨ ، فوات الوفيات ٢/٤٢٤ ، وخلاصة الأثر ١/٢٤٧ .
(٤) فى الديوان : «وأسبغ ظل ذاك الشعر فيه» ، وفى خلاصة الأثر : « وأسبغ ظل ذاك الشعر منه » ، وفى ريحانة الألبا : « وأسبغ ظل ذاك الشعر دوما » .
وترتيب البيت الرابع فى الديوان ، وفوات الوفيات .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٤٨ . (٦) فى خلاصة الأثر : « وإنك مختارى فرؤياك أحسن » .

« ليس بحكيم (١) من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد (٢) من معاشرته بدًّا (٢) ، حتى يجعل اللهُ له فرجًا ، (٣ ومن الضيق ٣) مخرجا » .

فنظمها فى قوله (٤) :

إذا أنتَ لم تقدِرْ على تركِ عِشْرَةٍ　　لذى شوكةٍ فانْصحْ وعامِلْهُ بالرِّفْقِ

ولا تَضْجَرَنْ مِن ضِيقِ ماقدْ لقيتَهُ　　عسَى فرَجٌ يأْتيكَ مِن خالِقِ الخلْقِ

＊＊＊

وكتب إلى صديقٍ له يعتذِر عن وَعْدٍ لم يُوفِّه (٥) :

أيامَن فَضْلُه والجودُ سارَا　　مَسِيرَ النَّيِّرَيْنِ بلا مُعارِضْ (٦)

وعَدْتُكَ سيِّدِى والوعْدُ دَيْنٌ　　ولٰكِنْ ماسلِمْتُ من العوارِضْ

＊



(١) فى ج : «الحكيم» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ١/٢٤٨ . (٢) فى خلاصة الأثر : «بدا من معاشرته» . (٣) ساقط من : خلاصة الأثر . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٤٨ .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٤٨ . (٦) فى ا : « أمير النيرين » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

١٩

السيد محمد بن على ، المعروف بالقُدْسِيّ *

فَرْعٌ من شجرةٍ طَيِّبةِ المَنابِت (١) ، ثبَت أَصْلُها وزاحمتْ أغْصانُها الثَّوابِت ، تسامَت بِنِسْبةِ النُّبُوَّةِ معالِيها ، واخْضرَّتْ بماءِ الرِّسالةِ أعالِيها .

فـكأنّمـا كُسِيتْ مِن (٢) سُنْدُس الجنَّات ، فشفَّتْ عنهـا مِرْآةَ الزَّمانِ بأحْسَنِ الحسَنات .

وهذا السيد وإن قاربَتْ رِحلتُه مِن السِّنين المِائة ، فذِكْرُه مُخلَّدٌ فى ألسِنةِ الجيل بعد الجِيل (٣) والفِئة بعد الفئة (٣) .

تتحاسَد على رقَّة طَبْعه الطِّباع ، كما تتحاسدُ على رِباعِه المُقدَّسة الرِّباع .

فرَوْض فضلِه مُمْرِع خَصِيب ، وله من الأدبِ الغَضّ أوْفَى حَظٍّ ونَصِيب .

إلَّا أنه فى آخرِه (٤) غلبت عليه سَوْداؤُه ، فبلَغ من نفسِه ما كان يتوقَّع أن يبْلُغه (٥) أعداؤُه .

* * *

(*) السيد محمد بن محمد ، شمس الدين القدسى ، الشافعى ، الدمشقى ، المعروف فى بلاده بابن حصيب ، والسيد الصادى ، وفى دمشق بالسيد القدسى .

هكذا جاء فى خلاصة الأثر .

كان من أهل الفضل والأدب ، نشأ على الجد والاجتهاد ، حتى ساد وبرع ونبغ بين أهله وحيد .

تنقل بين مصر ، والروم ، واشتغل بالتدريس والقضاء .

ولاه شيخ الإسلام يحيى بن زكريا قضاء الشافعية بدمشق ، فختل تدبيره ، واختلط على الناس أمره ، وصار يأتى من الأفعال ، ما لا يتفق ومكانته ، فقيده ولده فى داره ، ثم عرض له فالج قبل موته بنحو سنة ، وتوفى سنة ثمان بعد الألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤ / ١٥٤ .

(١) فى ا : « النبات » ، والمثبت فى . ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « والفائة بعد الفائة » ، وفى ب : « والغاية بعـد الغاية » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ب : « آخرته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « يبلغه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فمن شعْرِه ، قولُه في هجاء الشَّمْس بن المِنْقار [١] ، لمَّا تعصَّب على الدَّاوُدِيّ [٢] ، ومنَعه التَّحْدِيث [٣] :

مَنعْتَ ابْنَ دَاوُدَ الحـديثَ بجِلَّقٍ ... وما مثْـلُه في الشَّامِ واللهِ مِن قَارِ
وتزْعُمُ حَصْرَ العلمِ فيكَ بجِلَّقٍ ... فتنْقُرُ أهـلَ العلْمِ فيها بمِنْقَارِ [٤]
سيأْتِيكَ مِن رَبِّي بَلاءٌ وَفي غَـدٍ ... ستُلْقِى بوجْهٍ يا ابْنَ مِنْقَارَ مِن قَارِ [٥]

***

وحكَى البُورِينِيّ [٦] أنه صَحِبه إلى مَنِين [٧] ، في يوم أدِيمُه مُطرَّزٌ ، ونَدِيمُه في مجْلس أُنْسِه مُعَزَّز .

فحَلُّوا في رَوْضٍ نَسَّام ، يضْحَكُ عن زَهْرٍ بَسَّام .

---

(١) يعني شمس الدين محمد بن القاسم ، ابن المنقار ، الحلبي ، الدمشقي ، الحنفي .
ولد سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ، وكان من أعيان العلماء ، مناظرا قوي الساعد في العلوم ، ولكنه كان ضيق الخلق ، توفي سنة خمس بعد الألف .
إعلام النبلاء ٦/١٥٢ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٠ ا ، خلاصة الأثر ٤/١١٥ ، ريحانة الألبا ١/١٢٨ .

(٢) يعني شمس الدين محمد بن محمد بن داود الداودي ، المقدسي ، الدمشقي ، الشافعي ، المحدث ، الفقيه .
تنقل بين القدس ، ومصر ، ودمشق ، فأخذ عن علماء البلدان الثلاثة .
وكانت له مشاركة جيدة في الفقه ، ومسايرة تامة في المعاني والبيان وسائر علوم العربية ، واستحضار جيد للشواهد والأمثال .
وأما الحديث فكان فيه متقنا ماهرا .
كان مولده سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة .
وتوفي سنة ست بعد الألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .
خلاصة الأثر ٤/١٤٥ .

(٣) القصة والأبيات في خلاصة الأثر ٤/١١٦ .
قال المحبي في ترجمة ابن المنقار : « وجرى له في أيام سليمان باشا بن قباد بن رمضان لما كان نائبا بدمشق ، في سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، أنه تعصب على الشمس محمد بن محمد بن داود المقدسي ، بسبب قراءة الحديث بالجامع الأموي ، بين العشاءين ، على أسلوب الأستاذ الكبير محمد بن أبي الحسن البكري بالديار المصرية ، ومنعه من ذلك ، وشق على أهل العلم مافعله ، فقال السيد محمد بن محمد بن علي بن خصيب القدسي ، نزيل دمشق . . . هذه الأبيات يخاطب ابن المنقار بها : » .

(٤) في ب : « منها بمنقار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في ا ، ب ، ج : « يا ابن منقار منقار » ، وفك الكلمتين من خلاصة الأثر . (٦) نقل المحبي هذا أيضا في خلاصة الأثر ٤/١٥٥ عن البوريني . (٧) منين : قرية في جبل سنير ، من أعمال الشام ، وقيل من أعمال دمشق . معجم البلدان ٤/٦٧٤ ، وانظر نزهة الأنام ٣٤٥ .

أصائِلُه مُتوافِقة مع [١] أسْحارِه ، وشمسُه لا تُرى إلّا من فُرَج أشْجارِه .

بيْن ماء يتدفَّقُ ، وهواء عن المِسْكِ يتَفَتّق .

وبيْنهم حديثٌ أحْلَى من الشُّهْد فى الفَم ، وألَذُّ من قُبَل الغِيدِ عند الضَّم .

فلما دَنَا وقْتُ الظَّهيرة ، ولَفَح حَرُّ الهَجِيرة .

انْفَرد السَّيِّد فى مكان ، ليأْخُذَ من القَيْلولَةِ حَظًّا بقَدْرِ الإمْكان .

فخاطَبَه البُورِينِيّ [٢] :

بحقِّكَ خَلِّى لا تُضِع فُرْصةَ المُنَى ... وبادِرْ إلى هـذا الغَدِيرِ المُسَلْسَلِ

وإنْ لم تجِدْ زَهْـرَ الرِّياضِ فإنَّنا ... نُرِيكَ زُهوراً مِن كلامٍ مُرَتَّلِ

فنشِط من ذلك المَقِيل ، نَشاطَ مالِكٍ إلى أخيه عَقِيل [٣] .

ثم كتب فى وَصْف المجلس بيْتَيْن [٤] :

على غَـدِيرٍ جلسْنا فى مُفاوَضةٍ ... ودَوْحُه قامَ مِن شَوقٍ على ساقِ [٥]

فخِلْتُ أغْصانَ ذاكَ الدَّوحِ باكِيةً ... تُرِيدُ تَكْتُب ما نُمْلِى بأوْراقِ

فخاطَبَه البُورِينِيّ [٦] :

جلسْنا برَوْضٍ فيـه زَهْرانِ أُسْقِيَا ... بماءِ افْتِكارٍ والمِيـاهِ الدَّوافِقِ

فمِن زَهَرٍ يُبْدِيه روضُ كَلامِنَا ... ومِن زَهَرٍ يُبْدِيه رَوْضُ الحدائقِ [٧]

* * *

---

(١) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ . (٣) يعنى مالكا وأخاه عقيلا ابنى فرج بن مالك ، من بنى القين من قضاعة ، نديمى جذيمة الأبرش ، وفدا عليه ، ونادماه أربعين سنة ، بعد أن كان لا ينادم إلا الفرقدين ، ولقد أمتعاه بحديثهما ، ولم يعيدا عليه خلال هذه المدة حديثا قط .

ثمار القلوب ١٤٣ ، وانظر الأعلام ٦/١٤١ .

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ . (٥) فى ب : « وروحه قام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « جلسنا فى مذاكرة » . (٦) البيتان أيضا فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ .

(٧) فى ا : « رفض كلامنا » ، وفى ج : « رقص كلامنا » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

ولما رجعوا من مَنِين ، مَرُّوا على التَّلّ [١] ، فأقاموا بها يومَهم يَرْوُون الأبصار من رَوْضِه المُبْتَل ، ثم فارقوها ، فكتب السَّيِّد إلى البُورِينِيّ يُداعِبُه [٢] :

أيا رَوضَةَ الآدابِ والفَضْلِ والحِجا ... ومَن فاقَ في جَمْعِ الكمالِ على الكُلّ

تُرَى هل يعودُ الدَّهْرُ يَوْماً بجَمْعِنا ... فنَرْقَى كما شاء الفُؤادُ على التَّلّ [٣]

فراجعَه بقوله [٤] :

أيا سَيِّدَ السَّاداتِ يامَن بَنانُه ... تُضِيفُ الورَى بالجُودِ في زَمَنِ المَحْلِ [٥]

إذا ساعَد الحَظُّ السَّعِيدُ فإنَّنا ... نُطِلُّ على الوادِي ونَرْقَى على التَّلّ

***

وكان بدمشق [٦] خطيبٌ [٧] يعرف بابن يُونس [٨] ، أعْرَج أعْوَج ، كما قال الفاضل : قامتَ العصا بيدِه مكان رِجْلِه ، وقَلّت أعوادُ الأغصانِ من أجْلِه .

فعرَج إلى الأرْض لا إلى السَّما ، وغرس العُود بكَفِّه ولكن ما أوْرَقَ ولا نَما .

وكان مُتَّهَماً في الاعْتِقاد ، لا يزالُ يرْمِيه سَهْمُ الانْتِقاد .

---

(١) تقدم ذكر وادى التل ، فى صفحة ٧٦ . (٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ . (٣) رواية خلاصة الأثر :

تُرَى هل يعود الدهرُ يوماً يؤمُّنا ... ونَرْقَى كما رامَ الفؤادُ على التَّلّ

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ . (٥) فى خلاصة الأثر : « فى الزمن المحل » . (٦) نقل المحبى هذا الخبر أيضا ، فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ – ١٥٨ . ببعض تصرف . (٧) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة فى : « الجامع الأموى » . (٨) هو شرف الدين محمود بن يونس بن يوسف ، الخطيب ، الطبيب ، الحنفى .

تلقى الفقه عن الشيخ عبد الوهاب ، خطيب الجامع الأموى ، والطب عن أبيه ، والقراءات والتجويد عن الشهاب الطيبى .

وحج سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، فأخذ بمكة عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمى ، وعبد الرحمن ابن فهد ، وغيرهما .

ولى خطابة الجامع الأموى ، ودرس بالخاتونية ، وبالجقمقية ، وتجرأ على الفتوى ، فوقعت له الفتنة التى يسوق المؤلف خبرها فى هذا الموضع .

توفى سنة ثمان بعد الألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/٣٢٤ .

وكان من جَهْله يتعرّض للفُتْيا [١] ، ويَعدُّ نفسَه أثقبَ القوم رأْيا .

فكتب يوماً على حُكْمٍ لِقاضٍ [٢] : إنه باطل ، ومن حُلَى الحقيقة عاطِل .

فأحضره [٣] القاضي في مجلس غاصّ [٤] ، جَمع بين عالمٍ وخاصّ .

ثم أفسَد ماقاله ، وما أمهله من التّعزِير ولا أقاله [٥] .

فكتب بعضُ القوم فيه رِسالة أوْسَع فيها المَقال ، وقرّظ عليها علماء ذلك العصر ، ومنهم السّيّد فقال :

« وقفتُ على هذه الرّسالة ، التي سارت بسيرتها الرُّكْبان ، وتناقَلها أكابرُ الفُضلاء في هذا الزّمان .

فوجَدْتها غريبةَ المِثال ، مُعربةً عن قائلها [٦] بأن لسان [٦] الحال أفصحُ [٧] من لِسانِ المَقال .

قد تضمّنتْ ما انطَوى [٨] عليه هذا الغِمْرُ من القَبائح ، وما انْتَشر منه في هذا العُمْر القَصِير من الفَضائح .

فإنّه قد مَشَى على غيْرِ الاستقامة [٩] حِسّاً ومَعْنًى ، وأنْشَد قول القائِل في ذلك المعْنَى :

مَن يَسْتقِمْ يُحْرَمْ مُناهُ ومَن يزِغْ ... يُخْتَصّ بالإسْعافِ والتّمكِينِ

انْظُرْ إلى الألِفِ اسْتقامَ ففَاتَه ... عَجْمٌ وفازَ به اعْوِجاجُ النُّونِ

---

(١) في ب : « إلى الفتيا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) في خلاصة الأثر أن هذا القاضي هو قاضي القضاة بالشام مصطفى بن بستان . (٣) في ج : « فاحتضره » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٤) في ب : « خاص » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب ، ج : « ولا قاله » ، والمثبت في : ا .
(٦) في ب : « بلسان » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) في ا : « أفضل » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) بعد هذا في خلاصة الأثر زيادة : « فإنه امتطى درب الجهل والعناد ، وانتضى حسام الزور والشرّة بين العباد ؛ وأخذ أموال الناس وتوصل بها إلى الحكم ، وحصل ضرره وفساده في الأرض للخاص والعام » . (٩) في خلاصة الأثر : « استقامة » .

تَصدَّر للفُتْيا مع أنَّه أجْهَلُ من تُوما الحكيم ، (١ وأنْصفه حمارُ ابنُ حُجَيج ١)
فركِبَه فى اللَّيلِ البَهيم .

قد فتَح فَاهُ بجَهْـلِه ، وصدَّر فُتْياه بقَوْلِه :
الحمدُ للهِ سُبْحانَه ، والشُّكر له تعالى شَانَه .

ولم يُميِّزْ فى السَّجْعتَيْن بين الفاعِل والمفعول ، فكأنَّه اشْتغَل بباب البدَل مع حُبِّه(٢)
لحُصَلِ له (٣) هذا الذُّهول .

لأنَّه رأى فى كُتب النُّحاة (٤) المُهذَّبة ، أنَّ الفاعلَ (٥ على ماأُسْنِد إليه فِعْلُه ٥) ،
فظنَّه بهذه المرْتبَة .

ولو سُئِل لأبْرَز من ضَميرِه هـذا الخاطِر ، وحلَف بأبى حَمْزة(٦) أنَّ هـذا
هو الظَّاهر(٧) .

لا يَسْتوِى مُعْرِبٌ فينــا وذُو لَحَنٍ ... هلْ تَسْتوِى البَغْلةُ العرْجاء والفَرَسُ

وطالمَا عرج على دَرَج المِنْبر ، وجعَل أمْرَدَه أمامَه ، ولولا التَّقيَّةُ لجعلَه إمامَه .

وما تلفَّتَ على(٨) المِنْبَر يمينًا وشِمالًا ، إلا ليقْتَنِص ظَبْيًا أو يصِيدَ غَزالًا .

وإذا ترنَّمَ وأظْهَر الخشوع ، واهتزَّ لغير طرَبٍ وأجْرَى الدُّمُوع .

فلأجْل مَليح رآه(٩) عند المِحْراب ، ولم يَسْتطِـع أن يُشافِهه بالخطاب .

أو ليخْدعَ بعضَ الحُضَّار ، من الأتْقياء الأخْيار .

فأنْشدتُه ارْتجالًا ، وأنْفاسِي تتصعَّد(١٠) ، ومُهْجتِي بنارِ الكَمَدِ تتوقَّد :

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وأنصف حماره ابن حجيج » . (٢) فى ا : « عيه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « بروحه » . (٤) فى خلاصة الأثر : « النحو » . (٥) فى خلاصة الأثر : « ما أسند إليه فعل » . (٦) فى خلاصة الأثر : « بأبى عمرة » . (٧) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة تربو على ستة أسطر ، فلتراجع هناك . (٨) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « أعواد » . (٩) فى خلاصة الأثر : « يراه » . (١٠) فى ب : « تتصعد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

أفاضِلَ جِلَّقٍ أينَ العلومُ   وأينَ الدِّينُ ماتَ فلا يَقومُ
يُجاهِرُكُمْ خَطِيبُكُمُ بِفِسْقٍ   ويُفْتِي فيكمُ تُوما الحَكِيمُ

وما أُراه ارْتقَى هذه المكانة ، إلا بالرِّشوة والتزوير[1] والخِيانة .

وما كفاه أخْذُه التَّدْرِيس بالتَّدْلِيس ، وخوضُه في الفِتَن التي فاق فيها على إبْلِيس .

حتَّى دخل على العُلماء من غير باب ، وردَّ أقوالَهم بغير صواب .

تَراهُ مُعِدًّا للخِلافِ كأنَّهُ   بِرَدٍّ على أهْلِ الصَّوابِ مُوَكَّلُ[2]

فيا أيُّها المُجْتَرِى ، والغِمْرُ المُفْتَرِى .

أراك قد سوَّل لك زَعْمُك الفاسِد ، وصوَّر لك فِكْرُك الكاسِد .

أنَّ الله قبض العُلماء ولم يَبْقَ منهم أحَد ، واتَّخَذ النَّاسُ رُؤساءَ جُهَّالاً في كلِّ بلَد .

فتُضِلَّ النَّاسَ كما ضَلِلْتَ وتَعَلَّمْتَ ، وتُنْفِقَ بضاعتَك الكاسِدةَ بقَوْلِك أفْتيْتُ .

قُولوا لأعْرَجَ جاهِلٍ مُتَكبِّرٍ   قد جاءَ يطْلُبُ رِفْعَةً وتَقَدُّمَا[3]
دَعْ ما تَرُومُ فإنَّ حَظَّكَ عِنْدنا   تحتَ الحَضِيضِ ولو عرجْتَ إلى السَّما

كلَّا ، إنَّ أمرَك ممَّا يدلُّ على جَهْلِك المُركَّب ، وعدمِ فَهْمِك الذى هو من ذاك أعْجَب .

إنك تَرَى دمشْقَ مَشْحُونةً بالأفاضِل ، الذين ليس لهم في الدَّهْر من[4] مُماثِل .

وهم[5] مَشْغُولون بالعلوم وتحرِيرِها ، وتنقيح المسائِل وتقريرِها .

وأنتَ تُغالِط بنفْسِك ، وتُدخِلُها مع غيرِ أبْناءِ جِنسِك .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج ، وفي خلاصة الأثر بتصرف كثير . (٢) لم يرد هذا البيت في خلاصة الأثر . (٣) في خلاصة الأثر : « رفعة ونكرما » . (٤) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) ساقط من: ج ، وهو في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

وتترفّعُ على مَن لا يرتضيكَ لتقبيل[1] رِجْلِه ، ولا يراكَ أهْلًا لخدْمة نَعْلِه .

دع الفخرَ فلستَ مِن فُرْسانِ هذا الميْدان ، ولا أنت ممّن أحْرزَ[2] قَصَبَ السَّبْقِ يومَ الرِّهان .

ومالَكَ[3] شيْخٌ فى العلوم والتَّدْريس ، سِوى أبى مُرَّة اللَّعين[4] إبْليس .

فما زلْتَ تسلُك فى مَسالِكه ، وتقعُ فى مَهاوِى مَهالِكه .

حتى أنْشد لسانُ حالِك ، فى قبيح سِيرتِك وخُبْثِ أفْعالِك[5] :

وكنتُ فَتًى فى جُنْدِ إبْليسَ فارْتقَى ... بِىَ الحالُ حتى صارَ إبْليسُ من جُنْدِى[6]

فلو عشْتُ يوماً كنتُ أُحْسِنُ بَعْدَهُ ... طَرائِقَ فِسْقٍ ليس يُحْسِنها بَعْدِى[7]

ولمّا تبيَّن أمرُك طرَدَك حضْرة المَوْلَى وأقْصاك ، وحجَب سمْعَه عن تُرَّهاتِك وما أدْناك .

فتضاعفَ له الدُّعاء مِن سائِر الوَرَى ، وترادَف له الشُّكْرُ مِن أهْـلِ المدائن والقُرَى[8]

فاللهُ يمدّ أطْنابَ دولتِه السَّعيدة ، ويُديمُ صولتَه الشَّديدة .

بمُحمَّدٍ وآله ، ومَن سلَك على مِنْوالِه » .

***

(١) فى ا : « لتقبيل » ، وفى خلاصة الأثر : « تقبيل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « يحرز » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر بعد ذلك زيادة : « فى ذلك ومالك » .

(٤) ساقط من خلاصة الأثر . (٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١٥٧ ، ١٥٨ ، وريحانة الألبا ١/٣٣٤ .

(٦) فى خلاصة الأثر ، وريحانة الألبا « من جند إبليس » . (٧) رواية ريحانة الألبا لصدر البيت :

* ولو مات مِن قبلى لأحْييْتُ بعدَهُ *

(٨) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة ، تراجع هناك .

٢٠

حفيده السيد محمد بن على*

هو الحفيدُ السَّيِّد ، صاحبُ القريضِ الجَيِّد .

له الطَّلاقَةُ الهادِرَة ، والبَداهَةُ الغَريبةُ النَّادِرَة .

أدركْتُه وقد شاخ ، لٰكنَّ جَمْرَ عَزْمِه مابَاخ[1] .

ورَماه وَهْنُ العَظْم ، بِكَلالِ الخاطِرِ عن النَّظْم .

إلَّا أنَّ له فى مصادَمةِ الشَّدائِدِ قُوَّةً نَفْسِيَّة ، هى أحْرَى بأن تُمِدَّها قُوَّةٌ قُدْسِيَّة .

فهو فى حِلِّهِ وتَرْحالِه ، وخِصْبِه من الآمالِ وإمْحالِه .

لايَقَرُّ له قَرار ، ولا يَنْجَلِى له سِرار .

كأنَّ له عزماً لايرَى بُدًّا مِن إمْضائِه ، ودَيْناً فى ذِمَّةِ الأيَّامِ لايَنْثَنِى عن اقْتِضائِه .

ورُبَّما نال فى بَعْضِ الوَثَبات ، مايُجَدِّدُ العزائمَ والرَّغَبات .

حتى جاء من العُمْرِ على أوْفاه ، واقْتَصَّ من مَداه الطَّوِيلِ واسْتَوْفاه .

* * *

(*) السيد محمد بن على بن محمد ، القدسى ، الدمشقى ، الشافعى ، ابن خصيب .

ولد سنة اثنتى عشرة بعد الألف ، وقرأ بدمشق على الشمس الميدانى ، ثم رحل إلى القاهرة ، فقرأ بها القرآن للسبع على شيخ القراء ، الشيخ عبد الرحمن اليمنى ، وأخذ التفسير عن الشهاب أحمد بن عبد الوارث البكرى ، ولازم الشهاب الغنيمى ، والبرهان الميمونى ، وغيرهم ، وأجازه هؤلاء جميعا بالإفتاء والتدريس .

ثم قدم إلى دمشق ، فدرس بها ، ثم رحل إلى الروم ، ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، ثم درس بالمدرسة اليونسية .

وكان مع كرم حسبه ، وتكامل شرفه ، يرجع إلى علم طائل ، وأدب باهر .

توفى سنة اثنتين وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/٦٠ .

(١) باخ الجمر : خمد .

وقد أثبتُّ من شعره ما كسا أعطافه بُروداً مُخضرّة ، وصيّره في الإشراق للشمس ضَرَّة .

فمن ذلك قوله في قصيدة ، مطلعها :

يا نَسْمَةً نَمّتْ حبيبي ... وتمسَّكتْ منه بطيبِ (١)

وغدا يحرّك لُطفُها ... أعطافَ بانات الكثيبِ

تمشي وتسحَبُ ذيلَها ... قبلَ العيونِ على القلوبِ

إنْ جُزْتِ وادي جِلّقٍ ... وحَلَلْتِ بالرّوضِ الرّحيبِ

ونظرْتِ أقمارَ الحمى ... ومرَرْتِ بالظّبي الرَّبيبِ

ورأيْتِ من لَفَتاتِه ... ما منه أشجانُ الكئيبِ

وصدفْتِ مُتْلِفَ مُهجتي ... يزْوَرُّ باللَّحْظِ الغضوبِ

يرْمِي سهامَ لِحاظِه ... فترَى النُّدوبَ على النّدوبِ

يرْنُو فلا يُخطِي الحشا ... ويلاهُ من سهمٍ مُصيبِ

أوْ جُزْتِ أرضَ النّيْرَبَيْـ ... ـنِ مع الصّباحِ أو المغيبِ (٢)

ودخلْتِ جامعَها الشّريـ ... ـفَ مقامَ أرْبابِ القلوبِ

ورأيْتِ بالشّرفَيْنِ ما ... يدعو المحبَّ إلى الحبيبِ (٣)

وسمعْتِ بُلْبُلَها يُنا ... دِينا بحَيَّ على الطّروبِ

ونظرْتِ وَرْقاها تجُسُّ ... العودَ بالكفّ الخضيبِ

أو ضُعْتِ بالمرْجِ النّضيـ ... ـرِ فِي القليلِ وعرّضي بِي (٤)

وأقْرِي التّحيّةَ أهْلَهُ ... عنّي وبالتّذكارِ نوبي

---

(١) في ب ، ج : « يا نسمة نمّت حبيبي » ، والمثبت في : ا .

(٢) تقدم التعريف بالنيربين ، في صفحة ٧٣ . (٣) تقدم التعريف بالشرفين ، في صفحة ١٦٥ ، وانظر نزهة الأنام ٧٠ . (٤) في ب : « وعرجي بي » ، والمثبت في : ا ، ج .

وَاسْتَنْطِقِي بِالدُّفِّ ثُمَّ … الْجَنْكِ أَنْوَاعَ الضُّرُوبِ (١)
ثُمَّ الْثِمِي الخَلْخَالَ فِي … سُوقِ الغُصُونِ مع الكُعُوبِ
فَسَقَى دِمَشْقَ وما حَوَتْ … مِن أَنْهُرٍ مِثْلُ الضَّرِيبِ (٢)
فَلِبَانِيَاسَ ورَقْمِهِ … نَقْشٌ على كَفٍّ رَطِيبِ (٣)
وبِبَرْدِهِ بَرَدَى يَزِيـ … ـلُ لِجِيْنُهُ صَدَأَ القُلُوبِ (٤)
قَنَوَاتُهَا بِرَحِيقِهَا الْـ … ـمَخْتُومِ فِضِّيُّ الصَّبِيبِ
ويَخُورُ ثَوْرَاهَا فَيَرْ … وِي الحَرْثَ مِن تِلْكَ الشُّعُوبِ
كَم وَجْنَةٍ مِن عَقْرَبَا … فِيهَا بَدَا أَخْفَى دَبِيبِ (٥)
ويَزِيدُ دَمْعِي إِن ذَكَرْ … تُ يَزِيدَ سَحًّا بالنُّقُوبِ (٦)
ما جِئْتِ دَاعِيَةَ الهَوَى … إِلَّا ودَارَانِي رَقِيبِي
وإِذَا ذَكَرْتِ مَقَاسِمَ اللَّـ … ـذَّاتِ لا تَنْسَيْ نَصِيبِي (٧)
يا نَفْسُ مالِي إِنْ ذَكَرْ … تُ سِوَى دِمَشْقَ لا تُجِيبِي
أَصْفَتْكِ خالِصَ وُدِّهَا … وحَمَتْكِ مِن مَسِّ اللُّغُوبِ

* * *

ومن مقاطيعه قوله (٨) :

---

(١) الجنك : من آلات الطرب . (٢) الضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح ، والثلج ، يريد تشبيهه به في صفائه ونقائه . (٣) انظر في ذكر نهر بانياس: نزهة الأنام ٩٣ ، ومنادمة الأطلال ٣٩٥ـ٣٩٧ ، وفي ب : « على كف مخضب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) انظر في ذكر نهر بردى أيضا : نزهة الأنام ٩٣ ، ومنادمة الأطلال ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ، وفي معجم البلدان ١/٥٥٦ : « بردى . . . أعظم نهر دمشق . . مخرجه من قرية يقال لها: قنوا ، من كورة الزبداني » . (٥) عقرباء : اسم مدينة الجولان ، وهي كورة من كور دمشق ، كان ينزلها ملوك غسان .
معجم البلدان ٣/٦٩٥ .

(٦) انظر في نهر يزيد معجم البلدان ٤/١٠١٨ ، ١/٥٥٦ ، ٥٥٧ ، نزهة الأنام ٩٣ ، منادمة الأطلال ٣٩٥ ـ ٣٩٧ .

(٧) في ج : « وإذا وصلت مقاسم » ، والمثبت في : ا ، ب . (٨) ايدان في خلاصة الأثر ٤/٦٢ .

جذَبْتُ بمغناطيسِ لَحظِيَ خالَهُ   فصارَ لجفني ناظِراً وعِلاجا
ومُذْ خِفتُ من عَيْنِ المُراقبِ أنبتَتْ   دُموعُ زَفِيرِي للجُفونِ سِياجا(1)

* * *

وله من قصيدة، أولها(2):

أما آنَ أن تُقضَى لِقلْبي وُعودُهُ   ويُورِقَ من غُصْنِ الأحِبَّةِ عُودُهُ
فقد شَفَّهُ داءٌ مِن الصَّدِّ مُتلِفٌ   وليس له غيرُ الضَّنَى مَن يَعودُهُ(3)
وما حالُ مُشتاقٍ تناءتْ دِيارُهُ   وأحبابُهُ مُضْنَى الفُؤادِ عَميدُهُ
يُراقِبُ مِن دَوْرِ النَّسيمِ إرادَةً   فإنْ جاءهُ يُذْكِي الجَوَى ويَزِيدُهُ(4)
حكى النَّجْمَ بين السُّحْبِ يَبْدُو ويَختَفِي   إذا سالَ أجفانًا وثارَ وَقُودُهُ
ولَوْ كانَ يَسْعَى للزَّمانِ مُمَكَّنًا   لَسارَ ولٰكِنْ أثقَلَتْهُ قُيودُهُ(5)

* * *

ومن أخرى:

سَلُوا الجُؤذُرَ الفَتّاكَ بالمُقْلَةِ المَرْضَى   أبا للَّحْظِ أمْ بالقَدِّ أحْرَمَنِي الغَمْضَا
فإنْ كانَ غَيْرِي حُبُّه شابَه سِوَى   فإنِّي امرؤٌ حُبِّي لَهُ لم يَزَلْ مَحْضَا
أرَى حُبَّ غَيْرِي سُنَّةً ومَحَبَّتِي   يَقِينًا على هِجْرانِهِ لم تَزَلْ فَرْضَا
لقد طالَ بي لَيْلُ الصَّبابَةِ والمُنَى   فهَلْ لِيَ من وَصْلٍ به مُهْجَتِي تَرْضَى
وبي ساخِطٌ أمّا هَواهُ فَمالِكٌ   من المُهْجَةِ المَقْرُوحَةِ الكُلَّ والبَعْضَا

* * *

---

(1) في خلاصة الأثر: «ومذ خاف من عين المراقب». (2) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٦٢.
(3) في خلاصة الأثر: «غير السقام يعوده». (4) في خلاصة الأثر:

* يراقبُ من زَوْرِ النسيمِ زيارةً *

وفي ا: «يذكي الهوى ويزيده»، والمثبت في: ب، ج.
(5) في خلاصة الأثر:

* ولو كان يسعى للزيارةِ مُمكنًا *

وله من أخرى ، مستهلُّها[1] :

سِواكَ بقلبي لَمْ يَخْلُ ... وغيرُ مديحك لم يَحْلُ لي
وغيرُكَ عند انعقادِ الأمورِ ... إذا اشتدَّتِ الحالُ لَمْ يَمْلُلِ
قصدْتُكَ سَعْيًا على ضامرٍ ... حكاني نُحُولا ولَمْ يَنْحَلِ
يكادُ يُسابِقُ بَرْقَ السَّما ... ولَوْلا وجُودُكَ لَمْ يَمْحَلِ[2]
وجرَّدْتُ مِن خاطِرِي صاحِبًا ... لِشَكْوَى الزَّمانِ وما ثَمَّ لي
أُعاطِيهِ كأسَ الهَوى مُتْرَعًا ... شَكاةً فألقاهُ لم يَحْلُ لي[3]
وصَحْبٍ بجِلِّقَ خلَّفْتُهمْ ... سِواهُمْ بقلْبِي لم يَنْزِلِ
وخُضْتُ بدَمْعِي مُذْ فارَقُوا ... وبالصَّدِّ منزِلُ قلبِي بَلِي[4]
فقلْتُ لجاري عُيوني قِفَا ... لِذِكْرى حبيبٍ مع المنزِلِ[5]
وفتَّانةٍ سِمْتُها وَصْلَةً ... فأصْمَتْ بناظِرِها مَقْتَلِي[6]
بقدٍّ ترنَّحَه ذابلًا ... وخدٍّ به الوردُ لم يَذْبلِ
مَهاةٌ مِن الحورِ في ثغرِها ... رحيقٌ من الرائقِ السَّلْسَلِ[7]
لِخَتْمِ الجمالِ به شامةٌ ... تُهيِّجُ البَلابِلَ كالبُلْبُلِ[8]
تحرَّشَ طَرْفِي بألحاظِها ... وكانَ عن العِشْقِ في مَعْزِلِ[9]

---

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٦١ ، ٦٢ . (٢) في ب : « برد السما » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر : (٣) في ب : « لم يحل لي » ، وفي ج : « لم يحلل » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر . (٤) في ب : « منزل قلبي ابلى » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في خلاصة الأثر : « لذكرى الحبيب مع المنزل » . (٦) في ب : « سمتها وصلت » ، وفي خلاصة الأثر :

وفتّانةٍ سِمْتُها وَصلَها ... فأصْمَتْ بمنظرِها مَقْتَلِي

والمثبت في : ا ، ج .

(٧) في خلاصة الأثر :

* رحيقُ الحياةِ مع السَّلْسَلِ *

(٨) البلابل : الوساوس والهموم . (٩) في خلاصة الأثر : « تحرش طرفي بلحظ لها » .

فَأبَتْ بمُهجَتِهِ لِلْحِمَى أسيرَ ظُبا طَرْفِها الأكْحَلِ
وقَدّتْ شِراكَ دُجَى شَعْرِها فصادَتْ لطائِرِ دَمْعِي وَلِي(١)

* * *

وله من أخرى ، أولها :

مَن سَامِعٌ لِشِكايَةِ المَظْلُومِ مِن يَوْمِ أصْمَتْهُ ظِباءُ الرُّومِ
هـــذا بِلَفْتَتِهِ وذا بِعيونِهِ يرْنُو وذاكَ بِخَصْرِهِ المَهْضُومِ(٢)
مِن حِين صارَمَنِي بِصارِمِ لَحْظِهِ ورَعَى فُؤادِي مِثْلَ ظَبْيِ صَرِيمِ
أنْسِيتُ أهْوائِي وعِفْتُ لَذائِذِي وبِهِ غَرامِي كانَ صاحِ غَرِيمِي

منها :

لوْلا حَلاواتُ الوُعودِ وصِدْقُها ما سَرَّ مُوسَى مَوْعِدُ التَّكْلِيمِ
والشُّهْبُ لا يأْبَى الكَمالُ بِبَدْرِها إلَّا بُعَيْدَ النَّقْصِ لِلتَّتْمِيمِ(٣)
والسُّمْرُ لا تُخْطِي إذا ما ثُقِّفَتْ بِيَدَيْ خَبِيرٍ بالصِّعادِ عَلِيمِ
والمَرْءُ لا عارٌ عليهِ إذا نَحَّتْ رُتَبَ الجُدودِ وخُطَّةَ التَّعْظِيمِ(٤)

(١) في ا ، ب ، ج : « فصارت لطائر دمعي ولي » . (٢) في ب ، ج : « بخصره المضوم » ، والمثبت في : ا . (٣) في ب : « والشهب لا تأبى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ج : « إذا تجنبت الجدود . . » ، والمثبت في : ا ، ب .

٢١

محمد الجوخى *

نَبِيه نَبِيل ، ما إلى اسْتِيفاء صِفاتِه سَبِيل .

له الحَيَا المُنْهَل ، والمُحيَّا المُسْتَهِل .

والبَشْرة النَّيِّرَة ، والأفْعال الخَيِّرَة .

وهو مع انتعاشه ، وسَلامةِ أسباب(1) معاشِه .

بعيدُ الهَمِّ فى تَوْفير الهِمَّة ، مُستَعْمِلٌ للأهَمِّ فى الأمورِ المُهِمَّة .

مَدُّه بلا جَزْر ، وفضْله غيرُ نَزْر .

لم يُؤْتَ جَمْعُه مِن قِلَّة ، إلَّا أنَّ شِعرَه دون(2) قُلَّة .

***

فمنه قوله ، وكتب به فى صدر رسالة لبعض أحبابه(3) :

وما شَوْقُ ظَمْآنِ الفُؤادِ رمَتْ بِهِ   صُرُوفُ اللَّيالِى فى مُلَمَّعةٍ قَفْرِ(4)

(*) شمس الدين محمد بن محمد بن الجوخى ، الشافعى .

كان جيد المشاركة ، محسنها فى كثير من العلوم .

ترك له أبوه ثروة كبيرة ، اشتغل بتنميتها ، ومع هذا لم يترك الاشتغال بالعلم ؛ فأخذ الفقه عن أبى الفداء إسماعيل النابلسى ، والشهاب العيثاوى ، وأخذ العربية عن النابلسى أيضا ، وعن العماد الحنفى ، والشمس المنقارى ، وأخذ التفسير عن القاضى محب الدين ، جد المؤلف .

ثم سافر إلى مصر ، فأخذ عن شيوخها ، وتملك كتبا كثيرة .

توفى سنة اثنتين وعشرين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/١٦٥ .

(1) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (2) فى ب : « دونه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(3) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٦٦ .   (4) فى ب : « فى هامة قفر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . والملمعة : الأرض يلمع فيها السراب

شَكَى مِن لَظَى نارَيْن ضُمَّتْ عليْهما … أضَالِعُه نارَ الهَجِيرِ مع الهَجْرِ (١)

يُرَوِّى غَليلَ الأرْضِ من فَيْضِ دَمْعِهِ … وليس له جُهْدٌ إلى غُلَلِ الصَّدْرِ (٢)

إلى عارِضٍ من مُزْنَةٍ عَطَفَتْ بِهِ … نَسِيمُ صَبَا الأحْباب من حَيْثُ لا يدْرِى

بأبْرحَ مِن شَوقٍ لرُؤْيتِك التى … أعُدُّ لعمْرِى أنها لَذَّةُ العُمْرِ (٣)



---

(١) فى ب : « من الهجر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى ب : « إلى غلل الصدر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . وغلل الصدر : داخله وما توارى منه . (٣) فى خلاصة الأثر : « بأبرح من شوق لرؤياكم التى » .

٢٣

ولده أبو اللُّطف *

ماجِد تكوَّنَ عُنْصرهمن مَعْدِن اللُّطف ، وغازَلتْ عيونُ أشْعارِه الجفونَ الوُطْف رَبَا مُقْضِيَ الأرَب ، مُعانِق الحظْوة والطَّرب .

تزْهو به أرْبُعٌ وأدْواح ، وتُقْتَرُ على مُرادِه أُنْسٌ وأرْواح .

إلَّا أنه احْتُضِر وهو صغيرُ السِّنِّ فتِيُّه ، واهْتُصِرَ وهو رَطْبُ الغُصْنِ طَرِيُّهُ .

* * *

وله شِعْرٌ من ماءِ الشَّبابِ مُرْتَوِي ، إلا أنَّه كبَا كُورَةِ الثِّمـارِ ، منْها فَجٌّ ، ومنها مُسْتَوِي .

فمنه قوله[1] :

بِعَيْشِكُمُ أهْـــلَ الصَّبابةِ والصِّبَا ... أقَبْلَ رأيْتمْ مثْلَ قلْبِي مُعذَّبَا

فلم أرَ لى فى مِحْنَةِ الحبِّ مُنْجِــدًا ... ولم أستطِعْ من فَيْضِ دَمْعِي تَحَجُّبَا

وقد صِرْتُ من حَرِّ الفِراقِ بحيثُ لَوْ ... يُشاهِدُ حالِى كلُّ واشٍ تعجَّبَا[2]

فيالَيْتَ من أهْواهُ فى اللَّيْلِ زائِرِى ... فمِثْلِى مُعَنًّى صـــارَ فى حُبِّه هَبَا[3]

سألْتُ الذى قد قدَّرَ البُعْدَ بيننَا ... سيَجْمَعُنا يومًا يَـــكُونُ له نَبَا

(*) ترجم له المحبي أثناء ترجمته لأبيه ، فقال :

« وكان نبغ له ولد اسمه أبو اللطف ، وكان نبيل وفضل ، وله أدب وشعر .

وكان بينه وبين الأمير المنجكى مراجعة » .

ولم يفرد له المحبي ترجمة لأنه لم يقف على تاريخ وفاته . ولكنه قال : « وأحسب أنه تجاوز عشر الثلاثين » .

انظر خلاصة الأثر ٤/١٦٦ .

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٦٦ . (٢) فى خلاصة الأثر : « كل واش تحجبا » .

(٣) فى ب ، وخلاصة الأثر : « فيا ليت من أهواه فى الليل زارنى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله :

قلبٌ تقلّبَ فى قَلِيبِ محبّـةٍ ... حتى القَرارِ ولم يَقرّ وَجيبُهُ
مُتردِّدٌ بين المنيّـةِ والمُنَى ... مُتودِّد خِلًّا حَلَا تعذيبُه[1]
لم يَبْرَ من حُبٍّ بَرَى أعضاءَهُ ... إذ عَمَّ غَمٌّ هو الصَّبا وصَبيبُهُ
حاكَى مَعِينُ العينِ عَيْنًا إذ جرَى ... وعَقيبَ ذا وادِى العقيق يُجيبُهُ
بل رامَ أن لو رِيمُ رامةَ زارَهُ ... ضَيْفًا يَزُورُ الطَّيْفَ يطْفَ لهيبُهُ
وأصابَ لمّا أنْ صَبا الأوصابِ صَبْ ... تٌ فوْقَه ورمَى أصابَ مُصيبُهُ
أنفاسُه نِبْراسُهُ فى لَيْلِهِ ... أو هالُ هجْرٍ ماعَلاه مشيبُهُ[2]
قد شابَ فَوْدَاهُ وشبَّ فُؤادُهُ ... مُذْ طال حين شبابِهِ تَشبيبُهُ
مِن بعدِ بُعْدٍ يصْطَلِى فى نارِهِ ... لم يَسْلُ أصْلًا لو سَلاهُ حَبيبُهُ

***

وكتب إليه[3] محمد الحادِى[4] الصَّيداوِىّ[5]، يطلب منه شَدًّا[6] :

يأبا اللُّطفِ إنّ لُطفَكُمْ ... ليس يُحصَى بكَثْرةِ العَـدِّ[7]
شُدَّ وسْطِى بما ترَى كَرَمًا ... ولا تُماطِلْ فكَثْرةُ الشَّدِّ

فسيّر له ماطلب ، وكتب معه[8] :

مَقصِدُ ذَا العبْدِ من تفضُّلِكُمْ ... من غيْرِ منٍّ قَبولُ ذَا الشَّدِّ[9]
قد سُدْتَ فضْلًا وشِدْتَ كلَّ عُلًا ... وقد شَدَدْتَ القلوبَ بالوُدِّ[10]

---

(١) فى ب : « حلى تعذيبه » ، وفى ج : « خلى تعذيبه » ، والمثبت فى : ا .   (٢) الهجر : نصف النهار ، وشدة الحر .

(٣) فى ا : « إلى » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) فى ا ، ج : « الهادى » ، وهو خطأ صوابه فى : ب .   (٥) يعنى شمس الدين محمد بن محيي الدين عبد القادر ، الحادى ، الصيداوى ، الشافعى ، سيترجمه المؤلف فى هذا القسم ، وسيأتى برقم ٩٢ .   (٦) البيتان للصيداوى فى خلاصة الأثر ٤/١٣ .

(٧) فى خلاصة الأثر : « إن فضلكم » .   (٨) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٣ ، ١٤ .   (٩) فى خلاصة الأثر : « من دون من قبول ذا الشد » .   (١٠) فى ب : « قد سدت فضلا وسدت كل علا » ، وفى ج : « قد شدت فضلا وشدت كل علا » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . وفى ا : « وقد شددت القلوب بالشد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

٢٣

تاج الدين بن أحمد المَحَاسِنيّ*

هو لِمَفْرِق الرِّياسة تاج ، ولِراية السَّماحة عَقيلةٌ بِتاج .

رحَل مِراراً إلى القاهرة مُهاجِراً ، واعْتمدَها في طلب العلْم تاجِراً .

ليجتهِد في جَمْعِه وكَسْبِه اجْتِهاد مُغْتَرِب ، ويَملأ من بضائِعه ونفائِسِه وِعاء غَيْرَ سَرِب[1] .

فما رجع حتى خوَّله اللهُ كَمالَ محاسنه ومحاسِنَ كَماله ، وأمدَّ جمالَ رَوْنقِه ورَوْنَق جمالِه .

فأقام وله الذِّكْرُ المُسْتطاب ، والثَّناء الذي ملأ الوِطاب[2] .

وهو في الأدب وأنْواعِه ، جامعٌ لإبْداعه وإيداعِه .

وله كلِماتٌ تُدْهِش الزَّخارِف ، وتَتعلَّم منها التَّقُّدَ الصَّيارِف .

وقد أوردتُ من شِعْرِه ، ما يُغالَى في سِعْرِه .

* * *

فمنه ما كتبَه في صدر رِسالةٍ من مصر إلى ابْنه محمد[3] :

(*) تاج الدين بن أحمد ، المعروف بابن محاسن ، الدمشقي .

ولد سنة تسعين وتسعمائة .

وكان من أعيان التجار ميسورا ، وكان مع ثروته لا ينفك عن المذاكرة .

حصل كثيرا ، ورحل إلى مصر والحجاز للتجارة .

وذكر المحبي أنه وجد في بعض المجاميع أن نسبة بني محاسن في الأصل ، لبني فرعون .

واستشهد صاحب المجموع على ذلك بأبيات نظمها أبو المعالي درويش محمد الطالوي ، في زواج صاحب الترجمة .

توفي المحاسني سنة ستين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ١/٤٥٦ .

(١) وعاء سرب : لا يمسك الماء . (٢) الوطاب : جمع الوطب ، وهو سقاء اللبن .

(٣) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٥٦ ، ٤٥٧ .

أبداً إليكَ تشوّقي يتزايدُ ... ولديكَ من صدقِ المحبّةِ شاهدُ
وأَلِيّةً إنّ البعادَ لمتلفي ... إنْ دامَ مايُبدى النّوَى وأُكابِدُ(١)
كم ذا أُعلّلُ حرَّ قلبِي بالمُنَى ... فيُعيدُه من طُولِ تأبّكَ عائِدُ
جارَ الزّمانُ عليَّ في أحكامِهِ ... ولطالما شكَتِ الزّمانَ أساوِدُ

* * *

فيه نقد ، إذ الأساوِد جمع أسْود ، وهو العظيمُ من الحيّات ، وليست من عِظَم القدر بمثابة أن يُلتفَت إلى شكايتها من الزّمان ، وكأنه ظَنّ أن الأساوِد جمعُ أسَد ، وليس كذلك .

* * *

والدهرُ حاولَ أن يُصدّعَ شملَنا ... فامتدَّ منـهُ للتفرّقِ ساعِدُ
ياليتَ شِعْري هل يرقُّ وطالما ... ألفيْتُه لأُلِي الكمالِ يُعانِدُ
أشكوكَ للمولَى الذى ألطافُه ... تَزْرِي الخطوبَ إذا أتتْ وتُساعِدُ(٢)

* * *

وله(٣) :

ياأحبّـايَ والمُحِبُّ ذَكُورٌ ... هلْ لأيّامِ وَصْلِنا من رُجُوعِ
وترَى العينُ منكمُ جَمْعَ شَمْلٍ ... مِثْلَما كانَ حالةَ التّوديعِ

* * *

وأهدى(٤) إلى بعض(٤) العلماء سجّادة ، وكتب معها(٥) :

مَوْلاي قد أهديتُ سجّادةً ... هديّةً مِن بَعْضِ إنعامِكُم(٦)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وأليته إن البعاد » . (٢) فى خلاصة الأثر : « تزوى الخطوب » .
(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٥٦ . (٤) فى ب : « لبعض » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٥٧ . (٦) فى خلاصة الأثر : « قد أرسلت سجادة » .

فَلْتَقْبَلُوهَا إذْ مُرَادِى بِأَنْ   تَنُوبَ فى تَقْبِيلِ أَقْدامِكُمْ

* * *

مثله للشهاب ، وقد أهْدَى مِنْدِيلا :

بعثْتُ إليكَ يا أَقْصَى الأمانِي   بِمِنْدِيلٍ فإنْ يُقْبَلْ لَدَيْكَا[1]

فليس بِضَاعةً تُهْدَى ولكنْ   بعثْتُ به يُقَبِّلُ لى يَدَيْكَا

* * *

ولابن نُبَاتة[2] ، وقد أهْدَى سجّادة :

إنّ سَجّادتِى الحقيقةَ قَدْراً   لم يَفُتْها فى بابِكَ التَّعْظِيمُ[3]

شَرُفَتْ إذْ سَعَتْ إليكَ وأَمْسَتْ   وعليهـا الصَّلاةُ والتَّسْلِيمُ

* * *

وقال بمصر ، يتشَوّق إلى دمشق[4] :

منذُ فارَقْتُ جِلّقًا ورُبَاهَا   لم يَذُقْ مُقْلَتِى لَذِيذَ كَرَاهَا[5]

وبِسُكّانِها الأحِبّةِ عندِى   فَرْطُ شوقٍ يَكادُ لا يَتَنَاهَى

فَسَقَى اللهُ رَبْعَهَا كُلَّ غَيْثٍ   وحَمَى اللهُ أَهْلَهَا وحَماهَا

* * *

ولهذا الرئيس أبناء كأسنانِ المُشْط فى التَّساوِى ، إذا عُدّت محاسنُ غيرهم فهى بالنِّسْبة إليهم مَساوِى .

ذكرتُ منهم كوكبَيْنِ لاحَا فى سمائِه ، وبلَّغهم اللهُ شَهْرَ الكمالِ ، مُعَوَّذَيْنِ[6] بأسمائِه :

*

(١) فى ا ، ب ، ج : « بعثت إليكم » ، والصواب ما أثبته . (٢) لم أجد هذين البيتين لابن نباتة المصرى فى ديوانه ، ولا فيما أورده الثعالبى فى اليتيمة من شعر لابن نباتة السعدى . (٣) فى ا : « إن سجادة الحقيقة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٥٦ . (٥) فى ب : « لم يذق مقلتى » ، وفى خلاصة الأثر : « لم تذق مقلتى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ا : « معودين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٢٤

ولده عبد الرحيم*

هو من أولاده الكبير، الفائح ثناه بالعنبر والعبير.

نشأ في حِجْره، وشَدَا[1] بين سِحْر القوْلِ وفَجْره.

فهو شابٌ تدفّق شؤبوبُ براعته، وتفتّق عن زَهْر الرّبيع رَوْضُ يَراعته.

فأمْطر وما استَبْرق، وأثْمر وما استَوْرق.

فلِلّه، ما أتَمّ شمائلَه، وأنمّ بأنوار المحاسن خمائلَه.

بحظٍّ من الكمال وافِر، ووجْهٍ من الجمال سافِر.

إلى هِمّةٍ أنارتْ مَطالعَه، وضَمّت على الشّغَف بالأدب أضْلاعَه.

لكنّه لم يَلْمَحْه[2] النّاظِر، حتى قُصِف قَصْفَة[3] الغصن النّاضِر.

* * *

وقد رأيتُ له شِعْرا سطّر في صحُف الإحسان وثَبَت، وبلَغني أنه أطلَعه ونَبت، ووجْهه قد همّ أن يَنْبُتَ أو نَبَت.

(*) عبد الرحيم بن تاج الدين بن أحمد بن محاسن، الدمشقي، الحنفي.

ولد بدمشق، سنة عشر بعد الألف، ونشأ بها.

ورحل به أبوه إلى القاهرة، فأخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر النوري، والشيخ محمد المحبي الحنفي.

وكان يحفظ كتبا عدة، منها «تاريخ ابن خلكان»، وكان يكتب الخط الحسن، ويرمي بالسهام رميا جيدا، ويعوم، وله معرفة باللغة الفارسية.

وبالجملة، فقد كان فاضلا، أديبا، ذكيا، قوي الحافظة.

توفي بالقاهرة، مطعونا، سنة سبع وعشرين وألف.

تراجم الأعيان ٢ / ٣٧٥، خلاصة الأثر ٢ / ٤٠٧.

(١) في ا: «وشدّ»، والمثبت في: ب، ج. (٢) في ب زيادة: «الخاطر»، والمثبت في: ا، ج. (٣) في ب: «قصف»، والمثبت في: ا، ج.

فأثبتُ(١) منه ما اسْتَحْسَنْتُه استِحْسان خَطِّ العِذار ، وتَسْتَطيبُه اسْتِطابة مُناجاة مُحِبَّيْن بعَتْبٍ واعْتِذار .

فمنه قوله فى الغزَل(٢) :

مَلَّتِ العُذّالُ عن عَـــذلِي وما مَلَّ جَفْنــاكِ من الفَتْكِ بقَلْبِي (٣)
لو رآكِ النّاسُ بالعَيْنِ التى أنا رائيك بهـــا ما ازْداد كَرْبِي
واسْتراحَ القلْبُ من عَـذْلِهِمُ إنَّ طُولَ العَـذْلِ داءُ المُحِبِّ
بَلْ ولو كان بِهِمْ مثـلُ الذى بفُؤادِي لم يَمُتْ شَخْصٌ بنَحْبِ

* * *

ويُسْتَحْسَن له قوله(٤) :

تطَاوَلتِ الخمْرُ اخْتِبــاراً لِعَقْلِنَا فقالَتْ لنا إنِّى كجَفْنَيْهِ أُسْكِرُ (٥)
فبادَرها الإنْكارُ منَّا لِقَوْلِهــا عَلَى أنَّنَا واللهِ بالحَقِّ نُنْكِرُ (٦)
فرَقَّتْ لنَعْفُو واسْتَحَتْ فلأجل ذا نَرَى وجْهَها يَبْدُو لَنــا وهْو أحْمَرُ

* * *

على ذِكْر اسْتِحياء الخمر ، تذكَّرت(٧) لَطيفة ، وهى(٨) : أن بعض الظُّرفاء كان (٩يشْرب الخمر٩) سِرًّا ، وكان والدُه يمنعُه ، وما زال أبوه يترصَّدُه إلى أن لَقِيَه يوماً ، ومعه زُجاجة خمر ، فقال : ماهذا ؟

قال : لبَن .

---

(١) فى ب : « فأثبت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٨ .
(٣) فى ب : « عن عذلى فما » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٨ . (٥) فى خلاصة الأثر : « إنى كجفنيه أكسر » . (٦) فى ب : « والله للحق » ، وفى ج : « بالحق نشكر » ، وفى خلاصة الأثر : « على أننا بالحق والله تنكر » ، والمثبت فى : ا .
(٧) فى ب : « نذكر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) هذه القصة فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٨ أيضا .
(٩) فى خلاصة الأثر : « يستعمل الشراب » .

قال : اللّبنُ أبيض ، وهذا أحمر !

قال : صدقْتَ ، لما رآكَ خَجِل واحْمرّ [1] ، وقَبّح اللهُ من لا يَسْتحيِ .

فخجِل ، وانصرف ، وخَلّاه .

* * *

وقوله [2] :

أسِيرٌ وقلْبِي عندكُمْ لستُ عالِماً   بما فيه هاتِيكَ اللّواحِظُ تَصْنعُ

ومازِلْتُ مُشتاقًا لِطيْفِ خَيالِكُمْ   وإنِّي من الدُّنيا بذلكَ أقْنعُ

* * *

وقوله [3] :

قال العَذُولُ دَع الذى فى حُبِّـــه   عيْناكَ قد سَمحتْ بدمْعٍ هامِـعِ

فأجَبْته إن كنتَ لستَ بناظرٍ   هذا الغزالَ فلسْتُ منكَ بسامِـعِ

* * *

وقوله [4] :

لى فؤادٌ على المـــودّةِ باقِ   لم يَزِغْ عن تَذَكُّرِ الميثاقِ

غيرَ أن البِعادَ جارَ عليْـــه   فبَراهُ ولم يَدعْ منه باقِى [5]

وجُفونٌ جفَتْ لَذيذ كَراهَا   واستفاضَتْ بمدْمَعٍ غَيْداقِ [6]

كلما طـالَ عهدُها طـالَ منْهـا   مَدْمَعٌ يرْتقِى وليس براقِ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) هذان البيتان ساقطان من ب ، وهما فى ا ، ج . والبيتان فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٨ .

(٣) البيتـان فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٩ .   (٤) الأبيـات فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٨ .

(٥) عدل عن نصب « باقى » لضرورة القافيـة .   (٦) مدمع غيـداق : كثير الدموع منصبها .

إنَّ دُرًّا أودَعتمُوهُ بأُذْني ... دَرَّ مُذْ بِنْتُم مِنَ الآماقِ[1]

وهذا معنًى مشهور .

***

وله :

يامَن نَأى مُتجـبِّرًا بإجابي ... صَيَّرْتني مُتحيِّرًا في شَاني[2]

هَلاَّ وقدْ أبْعَدْتَني وقَلَيْتَني ... أرسَلْتَ طَيفَكَ في الكَرى يَلقَاني

أمطَرْتَ مِنّي عَـبْرةً هيَ عِـبْرَةٌ ... فَضَحَتْ هَوًى مُتَستِّرًا بِجَنَاني

***

هذه الأبيات فيها التوشيح .

قال ابن الأثير في « المثل السائر »[3] : « وهو أن يَبْنِيَ الشاعرُ أبياتَه على بَحْرَيْن مختلفَيْن ، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعْراً مستقيماً ، من بحر آخر[4] ، على عروض[5] ، وصار مايُضاف إلى القافية الأولى للْبَيْت كالوِشَاح .

وكذلك يَجْرِي الأمرُ في الفِقْرتين من الكلام المنْثور ، فإن كلَّ[6] فِقْرة منها تُصاغ من سَجْعَتَيْن ، وهذا لايكاد يُستعمَل إلا قليلا ، وليس من الحُسْن في شيء ، واستعمالُه في الشعر[7] أحسنُ[8] منه في الكلام[9] المنثور » انتهى .

وتسميته له بالتوشيح مخالف[9] لِما عليه أصحابُ البَديعيَّات؛ فإنهم يُسمُّونه التَّشْريع، إلا ابن أبي الإصْبَع ؛ فإنَّه سَمَّاه الالْتِزام[10]، وأراد بذلك مُطابقَةَ التَّوْرِية للمُسَمَّى .

والاصْطِلاح لامُشاحَّةَ فيه .

---

(١) في ا : « رد مذ بنتم » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) في ج : « يا من رأى متحيرا » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) صفحة ٤٦٥ ، ٤٦٦ . (٤) ليس في المثل السائر . (٥) بعد هذا في المثل السائر : « وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر ، على عروض » . (٦) في ب : « كان » ، والمثبت في : ا ، ج ، والمثل السائر . (٧) في ب : « الكلام » ، والمثبت في : ا ، ج ، والمثل السائر . (٨) في ا : « من الكلام » ، وفي ب : « من » فقط ، والمثبت في : ج ، والمثل السائر . (٩) في ب ، ج : « مخالفة » ، والمثبت في : ا . (١٠) انظر تحرير التحبير ٥١٧ .

٢٥

ولده محمد الخطيب*

لَوْذَعِيٌّ فضائلُه لا تتناهَى ، ومحاسنِه تتجمَّل الأوقاتُ وتتَباهَى .

إذا قام على مِنْبر المسجد الجامِع ، تمنَّت الجوارحُ أن تكون كلُّها مَسامِع .

وهو لكلِّ عينٍ تراه حبيب ، ولسانُ الدَّهرِ بمحاسِنه خطِيب .

تُنْشَر فى كلِّ وَادٍ مدائحُه ، كما تُشْكَر فِى كلِّ نادٍ مَنائحُه .

وتَهْتَزُّ أعْوادُ المنابرِ باسْمِه … فهل ذكرتْ أيَّامَها وهْىَ أغْصانُ[(١)]

فضائلُ الدُّنْيا فى ذَاتِه محْصُورَة ، وأسْبابُ العَلْيا على جَنابِه مقْصُورة .

وله آثارُ أقْلامٍ كأنَّها فى مَحاريب رَقِّهِ[(٢)] المنْشور[(٣)] ، قنَادِيلُ لَيْلٍ قُيِّدَتْ بسَلاسِلِ السُّطور .

أدْرَكْتُهُ وسُوَرُ محاسِنِه تُتْلَى ، وصُوَرُ فضائِله فى مَرايا المحامِد تُجْلَى .

ثم أدْرَكَهُ الأجَل ، فوُضِع على الأعْواد ، ووُدِّع من القلْبِ بالسُّوَيْداء ومنه النَّاظِرُ بالسَّواد .

(*) محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسنى ، الدمشقى ، الحنفى ، الخطيب بجامع دمشق .

كان فاضلا ، كاملا ، أديبا ، لبيبا ، لطيف الشكل ، حسن الصوت .

قرأ على جماعة من علماء عصره ، منهم : الشرف الدمشقى ، وعبد اللطيف الجالق ، والعمادى المفتى ، وغيرهم .

وسافر إلى الروم فى صحبة والده ، ثم رجع إلى دمشق ، واشتغل بالخطابة فى الجامع الأموى ، وجامع السلطان سليم بصالحية دمشق ، وجامع دمشق ، وبالتدريس فى المدرسة الجوهرية .

وأقرأ « صحيح مسلم » ، وله عليه تعليقات .

توفى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٣/٤٠٨ .

(١) البيت فى ريحانة الألبا ١/٤٠٠ ، ٤٤٠ . (٢) فى ا : « رقة » ، وفى ب : « رقه » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ا : « المنثور » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فاستَوْحَش الجامعُ لِبُعْدِه ، وتبدَّلت مَعالمُه مِن بَعْدِه .

حتى اشْتعلَتْ مَصابيحُه بِنارِ مُصابِه ، وتقوَّس لِفُرْقة ذاكَ الصَّدْرِ ظَهرُ مِحْرابِه .

* * *

وقد ذكرتُ من شِعْره مايَنْفَحُ عن زَهْر مَعانِيه ، [1] ويَنْبَعِثُ فى حُسْن الأسْلوب عن غَرَض [2] معانيه [1] .

فمن ذلك قوله من [3] نَبَوِيَّةٍ ، مطلعُها :

تَذَكَّرَ مِن أسْماءَ رَبْعاً ومَعْهدَا ... فَعَنَّ له وَجْدٌ أقامَ وأقْعدَا

وأطْلَقَ مِن عَيْنَيْه سُحْبَ مَدامِعٍ ... حكَتْ فَوْق خَدَّيْه الجُمانَ المُنَضَّدَا

بَعيدٌ عن الأحْبابِ دانٍ بقَلْبِه ... يَهِيمُ إذا ماساَجعُ الدَّوْحِ غَرَّدَا

متَى وعدتْ آمالُه الوَصْلَ مَرَّةً ... ألَمَّ بها داعِى المِطَالِ فَفَنَّدا [4]

أمَا وهَوًى بَين الجوارِحِ كامِنٍ ... به الصَّبُّ مَجْدُودٌ وإنْ كان ذَا جَدَا

لِئن زارَنى طَيْفُ الأحِبَّةِ مَرَّةً ... وأوْطأْتُه خَدًّا ووسَّدْتُه يَدَا [5]

غفَرْتُ ذُنوبَ الدَّهرِ من بَعْدِ مَاسَطَا ... وسالَمْتُ صِلَّ الدَّهْرِ من بَعدِ ماعدَا

وعدْتُ إلى رُشْدِي بمَدْحِي محمَّداً ... نَبِيَّ الهُدَى والعَوْدُ مازَالَ أحْمَدا [6]

* * *

وقوله [7] :

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) فى ب بعد هذا زيادة : «زهى» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : «فى» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ب : «لأن زارنى» ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا : «وأوسدته يدا» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٧) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٠٩ .

وتنفُّسِي الصُّعَداءَ لَيْسَ شِكايةً ... مِمَّا قَضَتْهُ سوابِقُ الأفْكارِ (١)
لَكِنْ بقَلْبي جُمْلَةٌ تَفْصِيلُها ... صَعْبٌ لَدَى العُقلاءِ والأحْرارِ
فجعلْتُ مَوْضِعَ كلِّ ذاكَ أنَّهُ ... ضَمِنتْ مُرادِي مِن عطاءِ البارِي

* * *

ومن ملحه مُوشَّحه الذي عارض به مُوشَّح بنت العرَنْدَس (٢) الشِّيعي (٣)، ومطلعه (٤):

أهْواهُ مُهَفْهَفاً من الوِلْدانِ ... ساجِي الحَدقِ
قد فَرَّ من الجِنانِ من رِضْوانِ ... تحت الغَسَقِ

* * *

من رِيقته سكرتُ لا من راحِي (٥)
كم جدَّدَ لي رَحيقُها أفراحي
كم أسكرني بخمرِها ياصاحِ

* * *

(٦ كم أرَّقني بطَرْفِه الوَسْنانِ ... حتى الفَلَقِ
لو عامَلَه بعدلِه ذا الجانِي ... أطفَا حُرَقِي ٦)

* * *

من باهرِ حُسْنِه يَغارُ القمرُ
في روضِ جمالِه يَحارُ النظرُ
قد عزَّ ندىً إن بدا المُصْطَبَرُ

---

(١) في ا: «سوائق الأفكار»، وفي خلاصة الأثر: «سوابق الأقدار»، والمثبت في: ب، ج.

(٢) في القاموس (ع ر ن د س): «العرندس، كسفرجل: من الإبل الشديد... والسيل الكثير، والأسد». (٣) في ب: «الشعبي»، والمثبت في: ا، ج.

(٤) ساقط من: ج، وهو في: ا، ب.

وموشح محمد الخطيب في خلاصة الأثر ٣/٤٠٩، ٤١٠.

(٥) في ا: «من ريقته سكرت لأنه راحي»، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر.

(٦) تكملة من خلاصة الأثر.

ما اهتزَّ يميل ميلةَ الأغصانِ للمعتنق
إلّا وأتاح لمُحبِّه العاني كلَّ القلقِ (١)

* * *

ياوَيحَ مُحِبِّه إذا ماخَطَرا
كالبدرِ يلوحُ فى الدَّياجى سَحَرا
إن أقضِ ولم يقضِ لقلبى وَطَرا

* * *

فالويلُ إذا لمُغرَمٍ وَأهانٍ فى الحبِّ شَقِى
قد حُمِّل فى العشقِ من الهِجْرانِ مالم يُطِقِ

* * *

القدُّ رشيقٌ مثلَ خُوطِ البانِ (٢)
واللَّحْظُ كسيفِ الهندِ فى الأجفانِ
والخالُ شقيقُ المسك فى الألوانِ

* * *

والخدُّ مُورَّدٌ أسيلٌ قانى شِبْهُ الشَّفَقِ (٣)
والعارِضُ قد سُلسِل كالرَّيحانِ للوردِ يقِى

* * *

ياعاذلُ لو أبصرتَ مَن أهواهُ
ناديتَ تبارك الذى سوَّاهُ
قد أحسن خَلقَهُ وقد تمَّمَهُ

* * *

(١) فى ب : « إلا وأباح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) الخوط : الغصن الناعم . (٣) فى ا : « مثل الشفق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

إذْ كمّـــله وخَصّ بالنُّقْصانِ بدرَ الأُفُقِ
قد أفْرغه فى قالَبِ الإحسانِ زَاكِى الخُلُقِ

* * *

الصبرُ على لُقْياهُ مثــلُ الصَّبْرِ (١)
والقلبُ غــدا من هَجْرِه فى جَمْرِ
ما ألطفَــه فى وَصْــلِهِ والهَجْرِ

* * *

لم أَلْقَ له فى حُسْنِه من ثانِى حُلْوِ المَلَقِ (٢)
ما واصَلَ بَعْدَ بُعْدِه أجفانى غــيرُ الأرَقِ

* * *

ومطلع المُوَشَّح الذى عارضه (٣) ، هو هذا (٤) :

ما رَنَّحَتِ الصَّبا غُصونَ البانِ بــين الوَرَقِ
إلا وشجَا الهوى فؤادِىَ العانِى نارَ الحرَقِ (٥)

* * *

ماهَبَّ صَبــا	لتحوكَ القلبُ صَبَا	لاَقَى وَصَبــا
يابدرَ سمــا	سَمَا على بدرِ سَمَــا	للناسِ سَبــا
صِلْنِى فعسَى	تنــالُ منِّى ذَهَبــا	عقْلِى ذَهَبــا

* * *

(١) الصبر الثانية بكسر الباء ، ومن تسكن فى الضرورة، وهو عصارة شجر مر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « فى وصله من ثانى » . (٣) فى ب بعد هذا زيادة : « به » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) مطلع موشح بنت العرندس فى خلاصة الأثر ٣ / ١٠ ، ١١ ، ٤ . (٥) فى خلاصة الأثر : « لقلبى العانى » .

والقلبُ منّى مُوقَدُ النيرانِ — نامى القَلَقِ (١)
والناظرُ قد أسال من أجفانى — مـــاءَ الغَدَقِ

* * *

والمَحاسِنى من قصيدة :

أيا مَرْبَعًا عَهْدِى به وهْو آهِــلُ — سَقاكَ مِن الغَيْثِ المُلِثِّ هَواطِلُ (٢)
لكَ اللهُ من رَبْعٍ تَفَيَّأتُ ظِـلَّه — وَواصَلَنِى فيــه الحِسانُ العَواطِلُ
أَلِفْتُ به نَشْوانَ مِن خَمْرةِ الصِّبـا — تَفُوق الصَّبا فى اللُّطْفِ منه الشَّمائلُ
إذا ما تَثَنَّى فَهْوَ غُصْنٌ وإنْ بَدا — له تَسْجُدُ الأقمارُ وهْى كَوامِلُ
أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ يَرْنُو فأنْثَنِى — وفى القَلْبِ من تلك اللِّحاظِ ذَوابِلُ
أقام بقَلْبِى منــــه حُبٌّ مُبَرِّحٌ — وما القَلْبُ إلاّ للغرامِ مَنـــازِلُ
وخُضْتُ بحارَ العشق حَيْرانَ تائِبًا — وما لبِحارِ العشْقِ وَيْلاه ساحِلُ (٣)
وما كنتُ أدْرِى يا ابْنَةَ القَومِ ما الهوى — وهــل يَعْرِفُ الإنْسانُ ما لا يُنازِلُ
رَضِيتُ بأن أقْضِى قَتِيلَ يَدِ الهوى — إذا كان يُرْضِى الحِبَّ ما أنا فاعِلُ
رعَى اللهُ أيّامــــًا تَقَضَّتْ بحاجِرٍ — إذِ العيشُ غَضٌّ والحبيبُ مُواصِلُ (٤)
زمـــانٌ به غُصْنُ الشَّبِيبةِ يانِعٌ — يَرِفُّ وطَرْفُ الدَّهْرِ وَسْنانُ غافِلُ
وحَيِّى على رَغْمِ الوُشاةِ لَيالِيــًا — أطَعْتُ الهوى لمّا عَصَانِى العواذِلُ (٥)
لَيالِىَ لا رَيْحانَةُ العِشْقِ صَوَّحَتْ — ولا رَنَّقَتْ عن وارِدِيه المَناهِلُ (٦)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « موقد النيران » . (٢) لث المطر : دام أياما . (٣) فى ب : « بحار الحب » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ب : « والله ساحل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) حاجر : موضع قبل معدن النقرة . مراصد الاطلاع ٣٧٠ . (٥) فى ج : « وحى على رغم الوشاة » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ب : « ولا رنقت عن واديه » ، والمثبت فى : ا ، ج . ورنق المنهل : تكدر ماؤه.

أيا برقُ سَلْ عن زَفْرَتِي ساكِنَ الغضَا ... ويا غَيْثُ سَلْ عن مَدْمَعِي وهْوَ سائلُ
ويا بانَةَ الْوَادِي تشفَّعتُ بالصَّبَا ... لديْكِ هل الرَّكْبُ اليمانيُّ قافلُ(١)
ويا ظَبيَاتِ الْقـــاعِ لَوْلاكِ لم أبِتْ ... وفى القلْبِ مِن هُجْرِ الوُشاةِ شَواغِلُ
ويا نَسْمَةَ الأحْبابِ هل فيكِ نَفْحَةٌ ... يُحَيِّي بهــا صَبٌّ شجَتْه بَلابِلُ
تُرَى يَسْمَحُ الدَّهْرُ الخَؤُونُ بأوْبَةٍ ... وأُمْنيَّتِي منْـــهُ غُرُورٌ وباطِلُ
فما كان منْهُ صــادِقاً كان كاذِباً ... وما كان منْــهُ مُخْصِباً فهْوَ ماحِلُ
لَحَى اللهُ دَهْراً أثقَلَتْني صروفُهُ ... يُذِيبُ الرَّواسِي بَعْضُ ما أنا حامِلُ
فيَا دَهْرُ قــد بَرَّحْتَنِي وتَرَكْتَنِي ... تَرامَيْنَ بِي مِنْكَ الضُّحَى والأصائِلُ
وأشْمَتَّ بِي الأعْداءَ حتّى تيقَّنوا ... بــأنِّيَ لا عَوْنٌ لَدَيَّ يُحــاوِلُ
وهل أخْتَشِي دَهراً وبَدْرُ مآربِي ... بدَا وهْو مُذ يَمَّمْتُ أحمدَ كاملُ(٢)

وله :

قسَماً بالعَفــافِ فى الحُبِّ عمَّا ... يُغضِبُ اللهَ مِن كلا الطَّرَفَيْنِ
لم يُغَيِّرْ ما بيْنَنَا البُعْــدُ إلَّا ... أنَّ طِيبَ الرُّقادِ فارقَ عَيْــنِي

---

(١) فى ب : « تسعفت بالصبا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ج : « وبدؤ مآربى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٣٦

أحمد بن محمد ، المعروف بابن المِنْقار *

هو من عُرِف بِكَرَم الشِّيمة ، من منذ تنصَّل من المَشِيمة .

فجاء كما شاءت الظُّنون ، مُتحقِّقًا بجميع الفنون .

وأعاد رَسْمًا من بَيْتِه دَثَر ، ونظَم شَمْلاً كان قد انتَثَر .

وما استعار مَجْدًا ، ولا أضاف إلى جَدِّه جَدًّا .

ثم دخل الروم ، فحَظِيَ من الأمانيِّ بما يَرُوم .

مُتفَيِّئًا من النَّشْوة [(١)] وارِفَها ، ومُلْتحِفًا من الصَّبْوة مَطارِفَها [(٢)] .

فأذْهلَتْه لَذَّةُ لَدَدِه [(٣)] ، عمَّن كان بِصَدَدِه .

وعبَثَتْ به السَّوْداء من عيونِ ظِباها ، والضُّعفاء من الجفون التي سُقِيَتْ بماء السِّحْر ظُباها .

فآل أمرُه إلى جُنون أضرَّ عقلَه ، واقتَضَى إلى وَطنِه الأصْلِيِّ نَقْلَه .

(*) أحمد بن محمد ، المعروف بابن المنقار ، الحلبي الأصل ، الدمشقي المولد والوفاة .
كان ذكيا ، بارعا ، فطنا ، فاضلا .
أخذ العربية والمعاني والبيان وغيرها عن الملا أسد الدين بن معين الدين التبريزي .
وألف قبل أن يبلغ العشرين رسالة مقبولة في مباحث الاستعارة .
ودرس بالمدرسة الفارسية .
سافر إلى قسطنطينية ، واشتهر صيته بها ، ثم استعمل بعض المكيفات ، فغلبت عليه السوداء ، واختلط عقله ، وازداد جنونه ، فأرسل مقيدا إلى دمشق ، وبقي على هذه الحال إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثين وألف .
تراجم الأعيان ١/١٦٣ ، خلاصة الأثر ١/٢٩٦ .

(١) في ا : « النشأة » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « بطارفها » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) اللدد : الخصومة .

فَحَاله وجِيدُه مُطوّق بِطَوْق ، وهو محمولٌ على أدْهمٍ لا يُجْهِدُه سَوْقٌ ولا شَوْق .

وبَقِى على تلك الحالة ، وقد غيَّر الدَّهرُ سَمْته وأحالَه .

إلى أن فارق دُنْياه، وخَلُص من قَيْد الحياة .

وقرأت بخط البُورِينِيّ (١) ، أنه زارَه ، وحَيّا بفَم الوَجْد مَزَاره .

وهو فى تلك (٢) السِّلْسِلَة ، وأحاديثُ حَالِهِ (٣) عنه مُسَلْسَلَة .

وهو يظُنّ أن ماء رَوِيّتِه جَمُد ، وشَرَرَ ذَكائِه بالكُلِّيَّة خَمَد .

فلمَّا لَمَحه ، لم يَدعْ مُلحِه .

قال : فأومأ إلى حالَتِه ، وأوْدَعنى بَيْتَى الوَدَاعِى (٤) ، ثم خَلاَّنِى أجِيبُ سائل دمعى (٥) وأنا الدَّاعِى .

والبيتان هما (٦) :

إذَا رأيْتَ عارِضاً مُسَلْسَلا فى وَجْنَــــةٍ كجَنَّةٍ ياعَاذِلِى

---

(١) القصة فى تراجم الأعيان ١/١٦٤ ، وفى خلاصة الأثر ، نقلا عن البوريني ١/٢٩٧ . (٢) فى ب : « بتلك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « خالد » ، وفى ب : « خاله » ، والمثبت فى : ج .

(٤) على بن المظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى ، علاء الدين ، ابن عرفة .

شاعر ، له علم بالحديث ، وعلوم القرآن .

توفى سنة ست عشرة وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٣/٢٠٤ ، فوات الوفيات ٢/١٧٣ ، النجوم الزاهرة ٩/٢٣٥ .

(٥) فى ب : « دموعى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب بعد هذا زيادة : « قوله » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبيتا الوداعى فى تراجم الأعيان ١/١٦٤ ، خلاصة الأثر ١/٢٩٧ ، الدرر الكامنة ٣/٢٠٦ .

قال المحبى ، فى خلاصة الأثر : « قلت : البيتان للوداعى ، وأصلها الحديث : عجب ربك من أقوام يقادون إلى الجنة بالسلاسل .

قيل : هم الأسرى يقادون إلى الإسلام مكرهين ، فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة ، ليس أن ثمة سلسلة ، ويدخل فيه كل من حمل على عمل من أعمال الخير .

ولا يخفى لطف موقع البيت لما فيه من دعوى أنه من أسرى المحبة » .

فاعْلَمْ يَقِيناً أننا من أمَّــــةٍ تُقادُ للجَنَّـــةِ بالسَّلاسِلِ (١)

***

وهذه نُبْذَة من شعْره أيّام إفَاقَتِهِ ، وهو يَتَّخِذُ شُهُبَ السَّماء من رُفاقتِهِ (٢) .

فمن ذلك قوله من قصيدة (٣) :

أتَى يَنْثَنِي كالغُصْنِ بل قَدُّهُ أسْمَى غَزَالٌ بِفِعْلِ الجَفْنِ يُلْهِيكَ عَنْ أسْمَا

فريدُ جمالٍ جامعُ اللُّطْفِ جُؤْذَرٌ أمينُ كمالٍ أهْيَفٌ أحْوَرٌ ألْمَى (٤)

إذا مابدَا أو ماسَ تِيهاً وَإن رَنَا تَرَى البدْرَ منه والمُثقَّفَ والسَّهْمَا (٥)

له مُقْـــلَةٌ سَيَّافَةٌ غِمْدُها الحشَا ونَبَّالَةٌ قَلْبِي لأسْهُمِهَا مَرْمَى

تَجَسَّم من لُطْفٍ وظَرْفٍ أما تَرَى تَغَيُّره لَمَّـــا تَخَيَّلْتَـه وَهْما (٦)

***

هذا من قول بعضهم :

نَظَرْتُ إليْــــهِ نظْرَةً فتحيَّرتْ بَدائِعُ فِكْرِى فى بَدِيعِ صِفاتِهِ

فأوحَى إليْـــه الطَّرْفُ أنِّى أحِبُّهُ فأثَّرَ ذاكَ الوَهْمُ فِى وَجَناتِهِ

---

(١) فى ا ، ب : « أننا فى أمة » ، وفى الدرر الكامنة : « أنى من أمة » ، والمثبت فى : ج ، وتراجم الأعيان ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « رفقائه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والرفقة : جماعة المرافقين . (٣) الأبيات فى تراجم الأعيان ١ / ١٧٤ ، خلاصة الأثر ١ / ٢٩٦ . (٤) فى تراجم الأعيان : « فريد كمال » ، وما فى النفحة يوافق ما فى نسخة منه . وفى ا : « جامع الحسن » ، وفى نسخة من تراجم الأعيان : « جامع الظرف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، ونسخة من تراجم الأعيان . وفى ب : « أمين جمال » ، وفى تراجم الأعيان : « أمير جمال » ، وفى خلاصة الأثر : « أمير كمال » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

تَرَى وجهَه فى شعره السَّبْطِ مُشْرِقاً ومن عَجَبٍ شمسٌ بداجيَةٍ ظَلْمَا

(٦) فى ج : « ألا ترى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وتراجم الأعيان ، وخلاصة الأثر . وفى تراجم الأعيان : « تأمله لما تخيلته وهما » .

وبعد هذا البيت بيت واحد فى خلاصة الأثر ، وتمام القصيدة ــ وهى طويلة ــ فى تراجم الأعيان ١ / ١٧٤ ــ ١٧٧ .

وأبلغ منه قول النَّظَّام (١) :

تَوَهَّمه طَرْفِي فَآلَمَ خَدَّهُ ... فصارَ مَكانَ الوَهْمِ مِن نَظَرِى أثْرُ (٢)

ومَرَّ بِفِكْرِى خاطِراً فَجَرَحْتُهُ ... ولَمْ أرَ خَلْقاً قطُّ يَجْرَحُه الفِكْرُ (٣)

ولخالد الكاتب (٤) :

لَوْ لَحَظَتْهُ العيونُ مُدْمِنَةً ... لَذَابَ مِن رِقَّةٍ فلم يَجِدِ

* * *

وللمِنْقَارِىّ (٥ من قصيدة ، مطلعها ٥) :

قَلْبِي بِنِيرَانِ المَحبَّةِ مُصْطَلِمْ ... خوفَ الفِراقِ لِمَن به حالى عَلِمْ (٦)

منها (٧) :

يا وَيْحَهُ مِن جَوْرِ ظَبْيٍ أهْيَفٍ ... سُلْطانِ حُسْنٍ منه صَبٌّ ما سَلِمْ

قد حَجَبَتْهُ من الأسِنَّةِ مُقْلَةٌ ... غَزَلَتْ فحاكَتْ لِلْوَرَى ثَوْبَ السَّقَمْ

جِيدُ الغَزالةِ مِنْهُ إلاّ أنَّها ... لم تَحْكِهِ نُوراً إذا هُوَ قد بَسَمْ

* * *

---

(١) يعنى أبا إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام ، إمام النظامية من المعتزلة ، متقدم فى العلوم ، شديد الغوص على المعانى . توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

أمالى المرتضى ١٨٧/١ ، تاريخ بغداد ٩٧/٦ ، سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ٢٢٦ ، وفيه طائفة من شعره .

والبيتان له ضمن أبيات فى أمالى المرتضى ١٨٨/١ .

(٢) فى ب : « تأمله طرفى » ، وهو يوافق ما فى بعض نسخ الأمالى ، والمثبت فى : ا ، ج ، والأمالى .

(٣) فى أمالى المرتضى : « ومر بقلبى » ، وفى ا ، ج : « ومر بفكرى خاطر » ، والمثبت فى : ب ، والأمالى ، وفى ا : « ولم أرفط خافقا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والأمالى .

(٤) يعنى أبا الهيثم خالدبن يزيد البغدادى ، عرف بتهاجيه مع أبى تمام ، وهو كاتب ، شاعر جيد الغزل ، عمر طويلا ، وتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين .

تاريخ بغداد ٣٠٨/٨ ، سمط اللآلى ٣١١/١ ، فوات الوفيات ٢٩٦/١ ، مختار الأغانى ٤٣٢/٣ ، معجم الأدباء ٤٧/١١ .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٦) عجز هذا البيت ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب ، وفى هامش ج : « هكذا فى الأصل وجدناه » .

(٧) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

فيه اسْتِخْدام ، وقد يقع كثيرا فى لفظ « الغزالة » بهذين المَعْنَيَيْن .

وانْتُقِدَ بما قاله الصَّفَدِيّ فى « شرح لاميَّة العجَم » : إنه لم يُسْمَع إلا بمعنى الشَّمس فى أول النَّهار إلى الارْتفاع ، وأما فى مُؤنَّث الغزال [1] فلا يقال غزال ، بل ظَبية .

وقد غلَّطوا الحريريّ فى قوله : « فلما ذَرَّ قَرْنُ الغزالة [1] طَمَرطُمورَ الغزالة » [2] .

وقالوا : لم تَقُل العربُ الغزالة إلَّا للشَّمس ، فإذا أرادُوا تأْنيث الغزال [3] ، قالوا : الظَّبْية .

وقد ردَّ هذا الدَّمامِينِيّ [4] فى « حاشيته » ، وأورد له شواهِدَ .

واعْتمده الشِّهاب الخفاجِيّ فى « شفاء الغليل » [5] ، حيث قال : غزالة [6] مؤنث الغزال ، واسمٌ للشمس مطلقا ، أو فى وقت شُروقِها .

قال التِّبْرِيزِيّ [7] : سُمِّيَت بذلك لأنَّها تطلُع فى غَزالةِ النَّهار ، أى أوَّله .

وقال المَعَرّىّ [7] سُمِّيتْ بها ؛ لأنها تَمُدُّ من الشُّعاع ما هو كالغَزْل ، فهى مُشدَّدة فى الأصْل ، خُفِّفَتْ [8] .

وقال فيه [9] :

الرَّدْنُ والغَزْلُ للغَوانِى ... خُلْقــانِ عُدَّا من الجزالَهْ [10]
والشَّمْسُ غَزَّالَةٌ ولٰـكنْ ... خُفِّفَتِ الزَّاىُ فى الغزالَهْ

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ج . (٢) طمرطمور الغزالة : وثب وثوبها . وفى هامش ج بالحمرة : « شمس نور » مكان « طمرطمور » . (٣) فى ا ، ج : « الغزالة » والمثبت فى : ب .

(٤) بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر المخزومى ، الدماميني ، عالم مصرى أديب ، توفى سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

وكتابه الذى انتقد فيه الصلاح الصفدى فى شرحه على لامية العجم وجعله حاشية له يسمى « نزول الغيث » بغية الوعاة ١/٦٦ ، الضوء اللامع ٧/١٨٤ .

(٥) صفحة ١٦٦ . (٦) فى ا بعد هذا زيادة : « فى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وشفاء الغليل .

(٧) قول التبريزى والمعرى فى شفاء الغليل أيضا . (٨) فى شفاء الغليل : « وخففت » .

(٩) البيتان فى شفاء الغليل أيضا . (١٠) الردن : نقض المتاع . القاموس (ردن) .

٢٧

عبد اللطيف الجَابِى *

هذا الأديب تَميَّز بنفْسِه ، وتَخَيَّر من جِنْسِه .

فزاحَم الكواكِب بالمناكِب ، وقد نسجَتْ دهْراً على أسْمِه العناكِب .

وظهر كاسِياً من مَطْمورة الخَفا ، وما كان خَلاَّه فى القبْر إلاَّ الحَفا .

وعزم(١) لا يتخلَّى(٢) ولا يسْتريح ، ولا يسكن إلى راحَةٍ بل يقابِل كل ريح .

فاتِحاً عيْنيه إلى كلِّ مَطْلب بأقْدام هائِمٍ مُسْتَبِق ، كأنه صُورةٌ مُمثَّلةٌ ناظِرُها الدَّهرَ غيرُ مُنْطبِق .

فهو من القوم الذين أنفَقوا أعمارَهم تَمَلُّقاً وتجمُّلا ، واصْطَلحوا على أن سَمَّوا تَجَرُّعَ السَّمِّ تَحَمُّلاً .

* * *

(*) عبد اللطيف بن عبد المنعم بن زين الدين ، العجلونى الأصل ، الدمشقى المولد ، المعروف بابن الجابى ، الفقيه ، القاضى ، الشافعى .

نشأ بدمشق ، وقرأ ودأب ، فأخذ عن البدر الغزى ، والعلاء بن عماد الدين ، والشهاب العلوجى ، والشهاب أحمد بن أحمد الطيبى ، وتلقى عنه القراءات ، والعربية ، والفقه .

واشتغل بالوعظ فى الجامع الأموى ، وبالتدريس فى الشامية البرانية ، وبالخطابة فى التوريزية .

وتقلد قضاء الشافعية بالباب .

سافر إلى الروم .

وكان سيء السيرة ، يأكل البرش ــ وهو مادة صمغية تأتى من الهند ، وتستخدم كعطر وكعلاج للذين أصيبوا بالبنج ، انظر : ريحانة الألبا ٢/١٢٩ ، Dozy 1: 71 ــ وكان ثقيلا جدا ، حتى لقب بشباط .

توفى سنة ست وعشرين وألف .

خلاصة الأثر ٣/١٧ .

(١) فى ج : « وعزم أن لا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ا ، ب : « يتحلى » ، والمثبت فى : ج .

وكان له فى النَّظْم أوفرُ نَصيب ، إلا أنَّهُ يُخْطِىء تارةً وتارةً يُصِيب .

وقد رأيتُ أشعارَه فى سفِينةٍ عامَ فى بَحْرِها وهام ، وأوْدَعَها من خَطِّ الملائكة ما لا يُفْهَم إلا بَمَلَكِ الإلْهام .

فلم يقع اخْتِيارى إلا على أبْياتٍ تأنَّقْتُ فى اسْتِخْراجِها، وهاهِى كما نُظِمت اللآلى(1) فى أدْراجِها(2) :

ماكان يخطُر قطُّ فى أوْهامى أن الأُسُـودَ مَصائِدُ الآرامِ

***

ممَّا ينْبغِى أن يُنَبَّه عليه ما ذكره المُبَرِّد فى « كامله » أن الآرامَ مهموزٌ ما بعد الرَّاء واحدُها رِئْم ، مثل بِئْر وآبار ، فإذا لم تُهْمَز فهى الأعْلام ، واحدُها أرم ، وهى العَلامات فى الطَّريق .

***

قِفْ حيثُ فَوَّقَتِ اللِّحاظُ سِهامَها وانْظُر لِمَرْمَىً هُنالِكَ ورَامِ
وسَلِ الأمانَ فكم خَلِيٍّ فارغٍ أمْسَى قَتِيلَ مَحبَّةٍ وغَرامِ(3)
للهِ ما بالْقلْبِ والأحْشـاءِ مِنْ حُزْنٍ وما بالجِسْمِ من أسْقَامِ(4)
ومَدامعٌ تَهْمِى فَيَحْرِقُ لَذْعُها خَدِّى ومَن يَقْوَى لِلَذْعِ هَوَامِ(5)
وبِمُهْجَتِى البدرُ الَّذِى وَجَناتُه وعِـذارُه كالوَرْدِ والنَّمَّامِ
القاتلُ الآلافَ من عُشَّاقِهِ عَمْداً بلا حرج ولا آثامِ(6)

---

(١) فى ب : « كآلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/١٨ . (٣) فى ا : « وسلوا الأمانى كم خلى فارغ » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « حرق وما بالجسم من أسقام » . (٥) فى ب : « فيحرق دمعها » ، وفى خلاصة الأثر : « فيحرق لدغها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ب ، وخلاصة الأثر : « للدغ هوام » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى خلاصة الأثر : « بلا جرح ولا آثام »

إنْ لم يَكُنْ بمُحَدَّدٍ ومُثَقَّلٍ   فبسحْرِ أَلفاظٍ وسِحْرِ كَلامِ [١]

باللَّحْظِ منه غَنِيتُ عن زَهْرٍ وعن   خَمْرٍ فمنهُ نَرْجِسِى ومُدامِى [٢]

فى خَــدِّه لامٌ تجُرُّ إلى الهوَى   فالقلبُ مَجْرُورٌ بتلْكَ اللّامِ

ظَبْىٌ مِن الأتْراكِ مَرْعاهُ الحَشا   والمَورِدُ العَذْبُ العزِيزُ الهَامى

عرَفَ المُرادَ مِن الدُّموعِ فلم يزَلْ   يرْنُو لعاشِقِهِ بطَرْفٍ ظامِى [٣]

❊



---

(١) فى ب : « إن لم يكن بمجدد » ، وفى خلاصة الأثر : « إن لم يكن بمثقل ومحدد » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى خلاصة الأثر : « فبسحر ألحاظ » . (٢) فى ا : « غنيت عن سحر وعن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : « فمنه نرجسى ومدام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) تمام القصيدة فى خلاصة الأثر ١٨/٣ .

٢٨

محمود المجتهد*

مُجْتَهِدُ المذهب الكلاميّ ، يُقوِّم منه ما اختلّ ، ويُصحِّح من تراكيبه التى داخلها الجهلُ المركَّب ما اعتلّ .

بلسان يتَّقى الكُلَف ، إلا أنه كَلِف بتلك الكُلَف .

وهو فى تقييده وضَبْطه ، وحلّه (١ لتشبُّك الغرض ١) وربْطه .

فى حَدّ لا يأتى عليه تحديد ، ولا يُعبِّر (٢) عنه لسانٌ (٣) حديد .

وله حديثٌ يُزْرِى عُذُوبةَ بالرُّضاب ، وتحمّلٌ يستخفُّ راسيةَ الهِضاب .

فإذا هو بطِيب العِشْرة مَذْكُور ، وبألسنة الظُّرفاء محمودٌ ومشكور .

والرَّغباتُ إليه نازِعَة ، وعلى (٤) معاشرته مُتنازِعَة .

تستدعى إيثاره وإدناه ، وتملأُ بُناء التعظيم إناه .

وهو لا يُؤْثِر الرَّجْعَة ، إلا إذا استمرعَ النُّجْعَة .

وإذا حضَر ارتمى قبل الاقتداح شرارُه ، وفرَى قبل الانتضاء غِرارُه .

(*) محمود بن أبى بكر ، الشهير بالمجتهد ، الشافعى ، الدمشقى .

كان فاضلا ، كثير الاطلاع ، حلو النكتة ، لطيف المحاضرة .

قرأ بدمشق ، وحصل حتى برع فى الفنون العربية ، خصوصا النحو ، فإنه كان فيه وحيدا ، وألف فيه « حاشية » على « شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك » .

توفى سنة سبع وستين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٣١٧ .

(١) فى ب : « لسباك القريض » ، وفى ج : « لتشبك العرض » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ا : « يعبر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ج : « بلسان » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ا : « وإلى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ولا يقْرَعُ مُنادِمُه على فِراقِه سِنَّ النَّـدمِ ، حتى يمتلِئَ طرَباً من القَرْقِ إلى القَدَم .

* * *

وقد رأيتُ له أشْعاراً ، أكثرُهـا فى ذَمِّ الزَّمانِ ، وقد رَماه فى مَطالبه بِسِهام الحِرْمان .

فمنه قوله :

أَلِفَ الزَّمانُ مَساءَتِى وبِعادِى ... ورَمَى بِسَهْمِ البَيْنِ عَيْنَ فُؤادِى
فألِفْتُ ما ألِفَ الزَّمانُ وما أرَى ... إلَّا تَنَغُّصَ عِيشَتِى وكَسادِى
والذُّلُّ فى أبْوابِ مَن لا يَرْعَوِى ... حالَ الفَقِيرِ وسُؤْدُدَ الأوْغادِ

* * *

وقوله معارضاً أبْيات الحريرىّ ، فى المَقامة الثَّامنة والأرْبعين ، وهى (١) :

عِشْ بالخِـداعِ فأنْتَ فى ... دَهْرٍ بَنُوهُ كأُسْدِ بِيشَهْ (٢)
وأدِرْ قَنـاةَ المَكْرِ حَتَّى ... تَسْتدِيرَ رَحَى المَعِيشَهْ
وصِـدِ النُّسُورَ فإنْ تَعذَّ ... رَ صَيْـدُها فاقْنَعْ بِرِيشَهْ
وَاجْنِ الثِّمارَ فإنْ تَفُتْ ... كَ فَرَضَّ نَفْسَكَ بالحَشِيشَهْ (٣)
وأرِحْ فُؤادَكَ إنْ نَبـا ... دَهْرٌ مِن الفِكَرِ المُطِيشَهْ
فَتَغايُرُ الأحْـداثِ يُؤْ ... ذِنُ باسْتِحالةِ كُلِّ عِيشَهْ

* * *

---

(١) المقامات الحريرية ٣٩٦ .   (٢) فى معجم البلدان ١/٧٩١ : « وبيشة : من عمل مكة ، مما يلى اليمن ، من مكة على خمسة مراحل ، وبها من النخل والفسيل شىء كثير ، وفى وادى بيشة موضع مشجر كثير الأسد » .   (٣) فى ب : « فأرض نفسك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمقامات .

وأبياتُه هي هذه :

قال الدِّمَشْقيُّ الذي كَرُّ النَّوائبِ حَصَّ رِيشَهْ [١]
كيفَ الخِداعُ ودَهْرُنا أَبْناهُ صَادُوا أُسْدَ بِيشَهْ
وقَناةُ مكري لا تَدُو رُ فَتَسْتَدِيرَ رَحى المَعِيشَهْ [٢]
والطَّيْرُ في أُفْقِ السَّما ءِ فكَيْفَ أَبْلُغُ منهُ رِيشَهْ
ورِياضُ آمالي جَفَاها الْ خِصْبُ حتَّى لا حَشِيشَهْ
ومَعِيشَتِي ضَنْكاً في بَلَدِي اسْتَحالَتْ كلُّ عِيشَهْ

***

وله :

ومن البَلِيَّةِ أن تَرَى مالاً يُرَى وتَرُومَ بَذْلَ المجْدِ من غَيْرِ المَلِي [٣]
وتَبِيعَ مَخْزُونَ العلومِ لجاهِلٍ وتَجُودَ بالمَنْيَاءِ عند الأَرْذَلِ
وتَزِينَ من دُرِّ الخطابِ فَرائِداً قد شِنْتَها بخطابِ مَن لم يَعْقِلِ
أَوَّاهُ مِن نَكَدِ الزَّمانِ وجَوْرِهِ وتَرَفُّعِ الأَنْذالِ والمُتَسَفِّلِ
ومِن الرَّزِيَّةِ لا تَرَى مِن مُنْصِفٍ أَوْ مُسْعِفٍ إلَّا وبالأَهْوَا مَلِي
وَالَهْفَ قلْبِي مِن زَمانٍ شَأْنُهُ رَمْيُ الأَفاضِلِ بالعَناءِ المُعْضِلِ

---

(١) في ب : «ذكر النوائب» ، والمثبت في : ا ، ج . وحص ريشه : نزعه . (٢) في ا : «وقناة مكرك» ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ب : «ومن البلية أن ترى من لا يرى» ، والمثبت في : ا ، ج .

وتَعزُّزِ الوَغْدِ اللَّئيمِ أخِي الأذَى ... وتَذَلُّلِ العِزِّ الكَريمِ المُأَمَّلِ
فاضَ اللِّئَامُ وغاضَ كُلُّ مُمَنَّعٍ ... وسَطَا بِسَطْوِ البَأْسِ كُلُّ مُجَهَّلِ
وتوزَّعت نُوَبُ النَّوائِب وانْثَنَى ... فِيها الكِرامُ بِذِلَّةٍ وتَمَلْمُلِ
وارْتاحَ مِنْها كلُّ خَبٍّ جاحِدٍ ... وبِها رَقَى العَلْيَاءَ كلُّ مُعَلِّلِ[1]

(١) الخب: الخداع. وفي ا: «كل خب جامد»، والمثبت في: ب، ج. والمعلل، كمحدث: دافع جابي الخراج بالعلل. القاموس (ع ل ل).

٣٩

محمد بن تقيّ الدين الزُّهَيْرِيّ (*)

زَهْرَةُ الأدب ونُزْهتُه ، وخُلاصَةُ الحظِّ ونُهزَتُه .

ومن تخمَّرَتْ طِينَتُه بماء اللَّباقة ، فأُفْرِغَتْ جِسْماً في قالَبِ اللَّياقة .

أدركْتُه وقَدُّه من الهَرَم يرْتَعِش ، لكن بمُنادَمتِه الرُّوح تَنْتَعِش .

وسمِعْتُهم يقولون : إنه في رَيْعان غَضارَته ، كان مَحْسُودَ الغُصْن الفَيْنان في نَضارَتِه .

ثم محا سِنُّه مَحاسِنَه ، ولكن يعِزُّ على ذي لَسَنٍ أن يُلاسِنَه .

وعهِدْتُ أبي بوَّأه الله دارَ رِضْوانِه ، يُميِّزُه بالفضْل على أخْدانِه وإخْوانِه .

ويقول : هو تامٌّ في آلتِه ، لو أنَّ قلبَه مُتماسِكٌ مُتمالِكٌ ، كاملٌ في حالتِه ، إلّا أن مَدَد صَبْرِه مُتفانٍ مُتهالِك .

* * *

وقد رأيْتُ له شِعْراً قذَف به بَحْرُ طبْعِه ، فذكَرْتُ منه ما يدُلُّ على فضلِه دَلالةَ الماء على صَفاء نَبْعِه .

(*) محمد بن أبي بكر ، المعروف بالزهيري ، الدمشقي ، الشافعي .

مات أبوه التقي وهو صغير ، ونشأ في كفالة عمه القاضي نجم الدين ، فألزمه الاشتغال على الشرف الدمشقي ، وعبد اللطيف الجالقي ، وأخذ أيضا عن النجم الغزي .

واشتغل بالتدريس والخطابة ، بالمدرسة الشامية البرانية ، وجامع العلائي .

ألف وصنف ، ومن تآليفه : « شرح لامية ابن الوردي » ، و « شرح ديوان ابن الفارض » .

وتغيرت أخلاقه آخر عمره بعد أن أصيب في ولد له ، فابتلى باستعمال الأفيون .

توفي سنة ست وستين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٣ / ٣٣٢ .

فمنه قوله :

إذا زُرْتَ الصَّدِيقَ الشَّهرَ يَوْماً   يَرَى إكْرامَ مَثْواكَ الثَّوَابَا
وإن كرَّرْتَه يَوْماً فيوْماً   ولم تحْزِ السَّلامَ ولا الخِطابَا
فإنَّك أُبْتَ للطَّاغِى مآباً   جَزاء لا عَطاء ولا حِسابَا

***

وقوله :

صَدِيقُكَ إن تزُرْه بِصدْقِ وُدٍّ   فقَلِّلْ مِن زِيارتِك الزِّيارَهْ
فزُرْ غِبًّا إذاً تزْدادُ حُبًّا   وخَفِّفْ فالزِّيارةُ قيل غارَهْ

***

هذا الباب ، ممَّا حرَّض فيه أولو الألباب ، والحديث المذكور فيه دُسْتور العمل بين الأحباب .

وقد عقَده جمعٌ كثير ، في نَظْمٍ[1] لهم ونثير .

فمن ذلك :

إذا شئْتَ أن تُقْلَى فزُرْ متواتِراً   وإن شئت أن تَزْدادَ حُبًّا فزُرْ غِبًّا

***

ومنه :

الزِّيارَةُ زيادةٌ فى الصَّداقة ، وقِلتُها أمانٌ من الملالة ، وكثرتُها سببٌ للقطيعة ، وكلُّ كثير عدوُّ الطَّبيعة ، وما أحسَن ماقال صاحِبُ الشَّريعة : « زُرْغِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا »[2] .

***

(١) فى ا ، ب : « نظم » ، والمثبت فى : ج .   (٢) قال ابن الديبع : «رواه البزار والبيهقى وغيرهما، عن أبى هريرة مرفوعا ، به ، وقال البزار : ليس فيه حديث صحيح » . تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ١٠٤ .

ومن هذا الباب قولُ الآخر[١] :

علَيْك بإقْلالِ الزِّيارة إنَّها ... إذَا كثُرت كانَتْ إلى الهجرِ مَسْلَكَا
فإنِّي رأيْتُ القَطْر يُسْأَمُ دائماً ... ويُسْأَلُ بالأيْدِي إذا هُوَ أمسكَا

* * *

وقوله[٢] :

أقْلِل زِيارَتك الصَّديـ ... ـقَ تكون كالثَّوبِ استجدَّه[٣]
إنَّ الصديق يُمِلُّهُ ... أن لا يزال يراكَ عِنْدَهْ

* * *

وقول أبي تَمَّام[٤] :

وطُولُ مُقامِ المَرْءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِديباجَتَيْهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإنِّي رأيْتُ الشَّمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... على النَّاسِ إذْ لَيْسَتْ عليهِمْ بِسَرْمَدِ[٥]

* * *

وكان للبهاء السِّنْجارِيِّ[٦] صاحبٌ ، وكان بيْنهما مَوَدَّة أكيدة ، واجتماع كثير ، ثم جرى في بعض الأيَّام عتاب ، وانقطع ذلك الصَّاحب عنه ، فسَيَّر إليه يطلُبه؛ لانقطاعه،

---

(١) البيتان في : التمثيل والمحاضرة ٦٣ ؛ ، وكتاب أبي نصر المقدسي ٦٢ . (٢) البيتان في كتاب أبي نصر المقدسي ٦٢ . (٣) في كتاب أبي نصر المقدسي : «أقلل زيارتك الحبيب» . (٤) ديوانه ١٠٠ ، ١٠١ . (٥) في ج، والديوان: «إلى الناس» ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي ب ، والديوان : «أن ليست عليهم بسرمد» ، والمثبت في : ا ، ج .

(٦) بهاء الدين أسعد بن يحيى بن موسى السنجاري .

كان أولا فقيها شافعيا ، ثم غلب عليه قول الشعر ، فاشتهر به ، وقدم عند الملوك ، يقول ياقوت ، معاصره : « وكان جريا ، ثقة ، كيسا ، لطيفا ، فيه مزاح وخفة روح ، وله أشعار جيدة » .

توفي سنة اثنتين اثنتين وعشرين وستمائة .

طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/ ٥٠ ، معجم البلدان (سنجار) ٣/ ١٥٩ ، ١٦٠ ، وفيات الأعيان ١/ ١٩٣

والقصة في روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار صفحة ١٠٨ ، ووفيات الأعيان ١/ ١٩٥ .

فكتب إليه بيتى الحريرى، اللذين فى المقامة الخامسة عشرة[١] :

لاتزرْ مَن تُحِبُّ فى كلّ شهرٍ غيرَ يومٍ ولا تزِدْهُ عليهِ
فاجتلاءُ الهلالِ فى الشّهرِ يومٌ ثُمّ لاتنظرُ العيونُ إليهِ[٢]

فكتب إليه البهاء[٣] من نظمه :

إذا حقّقتَ مِن خِلٍّ وداداً فزُرْهُ ولا تخفْ منهُ ملالا
وكُن كالشّمسِ تطلعُ كلّ يومٍ ولا تكُ فى زيارتِهِ هِلالا

قال : هذا قليل ، والكثير يدعُو فى الزّيارة إلى التّقليل .

***

وللزُّهيرىّ :

ألا رُبّ مَن تحنُو عليه تلطُّفاً ويُعجِبُكَ القولُ الّذى منهُ صادرُ
وإن تختبرْ منه طويّتَهُ إذا وناشدتَها ساءتْكَ منه الضّمائرُ
فلا تغترِرْ فى لينِ قولٍ وتأمَنْ إذا لم تطِبْ منه لديكَ المخابرُ
فما الصِّلُّ إلا ليِّنُ اللّمسِ ظاهراً وباطنُه سمٌّ ومنهُ التّحاذُرُ

***

ألمّ فى هذه الأبيات بقول عبد الحقّ الحجازىّ[٤] :

(١) المقامات الحريرية ١٠٩ . (٢) فى ا ، ج ، وروض الأخبار : « فى الشهر يوما » ، والمثبت فى : ب ، والمقامات ، ووفيات الأعيان . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) عبد الحق بن محمد بن محمد الحمصى ، الدمشقى ، الحجازى ، الشافعى ، زين الدين .
ولد سنة اثنتين وستين وتسعمائة .
وخرج من شبيبة إلى حلب ، مغاضبا لوالده ، ثم رجع وسافر إلى الروم .
وقد ورث عن أبيه مكانه فى مدارس دمشق .
كان أديبا ، متمكنا من فنون كثيرة ، جيد الفكرة ، لطيف المعاشرة .
أقعد بالفالج سنتين ، ثم توفى سنة عشرين بعد الألف .
تراجم الأعيان ٢/٣٥٣ ، خبايا الزوايا لوحة ٦٣ ب ، خلاصة الأثر ٢/٣١٠ ، ريحانة الألبا ١/٢٦٢ .
والبيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٣١٤ .

أَلا رُبَّ مَن تَحْنُو عليه ولَوْ تَرَى   طَوِيَّتَهُ ساءَتْكَ منـــه الضَّمائِرُ[1]
فلا تَأْمَنَنْ خِـلًّا ولا تَغْتَرِرْ بِهِ   إذا لم تطِبْ منـهُ لَدَيْكَ المَخابِرُ

* * *

وقوله :

« فما الصِّلُّ إلَّا » من قول بعض البلغاء « الدُّنيا كالحيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّها، قاتلٌ سَمُّها » .

* * *

ومن فصول الصَّاحب : مَسُّ السَّيْفِ لَيِّن ، ولٰكنْ حَدُّه خَشِن ، ومَسُّ الحيَّـةِ لَيِّنٌ ونابُها أخْشَن .

* * *

ومن نوادِرِ ابن الجزَرِيّ[2] ، قوله من قصيدة[3] :

وَلَئِنْ خَبَرْتَ بَنِي الزَّمانِ وخِسَّةُ الْـ   آباءِ تُنْتِـجُ خِسَّـةَ الأَبْناءِ[4]
إِيَّاكَ تَرْكَنُ منهمُ لِمُـــماذِقٍ   يُبْدِي الوَفاءَ ولَاتَ حِـــينَ وَفاءِ
وتَجَنَّبَنْ مِن لِينِ مَلْمَسِ عِطْفِهِ   فالعَضْبُ يَصْدأُ مَتْنُهُ بالْماءِ[5]

* * *

(١) فى خلاصة الأثر : « ساءتك تلك الضمائر » . (٢) يعنى حسين ابن أحمد بن حسين الحلبى ، المعروف بابن الجزرى .
نشأ بحلب ، ورحل إلى الشام ، والعراق ، ودخل الروم .
وله مدائح فى بنى سيفا ، أمراء طرابلس ، وقد جمع من شعره « ديوانا » .
واختلف فى وفاته ؛ فذكر البديعى أنه توفى سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وعلى نسخة من ديوانه رآها المحبى أنه توفى سنة أربع وثلاثين ، وناقض أبو الوفاء العرضى ، فذكر أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين .
إعلام النبلاء ٦/٢١٤ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/٨١ ، ريحانة الألبا ١/١١٣ ، سلافة العصر ٣٩٣ .
وانظر مقدمة محمد راغب الطباخ للعقود الدرية فى الدواوين الحلبية ٢ ــ ٢٢ .
(٣) ديوان حسين الجزرى (العقود الدرية) ٧ ، ريحانة الألبا ١/١٢٤ . (٤) فى الديوان : « ولقد خبرت » ، والمثبت فى الأصول ، والريحانة . (٥) فى الديوان : « وتجنبن من لين ملبس عطفه » ، والمثبت فى الأصول ، والريحانة .

وللحُصْرِىّ[1] فى هذا المعنى[2] :

كم من خليلٍ كان عندِى شُهْدُهُ ... حتى بَلَوْتُ المُرَّ مِن أخلاقِهِ[3]
كالمِلْحِ يُحْسَبُ سُكَّرًا فى لَوْنِهِ ... ومَجَسِّهِ ويحُولُ عند مَذاقِهِ[4]

* * *

وللزُّهَيْرِىّ :

يامَن تلَبَّسَ فى الفَخـارِ بلُبْسِهِ ... والجهلُ منـه مُرَكَّبٌ مِن لُبْسِهِ
الفَضْـلُ عند المرْءِ يَكْسِيه سَنًا ... وسَناؤه يَكْسِيه رَوْنَقَ حُسنِهِ[5]
لا تَزْدَرِى برَثِيثِ خَلقـةِ ثَوْبِهِ ... عند التنفُّسِ فى الـكلامِ لنفسِهِ[6]
مَن كان مِن نَوْعِ الـكمالِ مُكَمَّلاً ... نالَ الغِنَى من فَضْـلِهِ معَ جِنْسِهِ

* * *

وله :

يامَنْ إلىَّ قـد وَشَى ... بمَقـالِ سُوءٍ وَلَغَا
مَـذَمَّتِى سَمِعْتُها ... مِن الّذِى قَدْ بَلَغَا

* * *

فى المثل : « مُبَلِّغُ السُّوءِ كَباغِيه » .

---

(١) أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى ، المقرى ، الحصرى .
شاعر ، عالم بالقراءات ، اتصل بالمعتمد بن عباد ومدحه .
توفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .
انظر كتاب « أبو الحسن الحصرى القيروانى » .

(٢) البيتان فى كتاب «أبوالحسن الحصرى القيروانى» ١٣٣ . (٣) فى كتاب «أبوالحسن الحصرى» : « كان عنـدى شهدة » ، والشهدة أخص من الشهد . (٤) فى كتاب « أبو الحسن الحصرى » : « أوجسه ويحول عند مذاقه » . (٥) فى ج : «وسناه يكسيه برونق حسنه» ، والمثبت فى : ا،ب، وفى ب : « رنق حسه » . (٦) فى ب : « برثيث رونق ثوبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ب : « للـكلام لنفسه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقيل أيضا : « ما غاظَكَ إلّا من [١] بلّغك » ، « وسَبَّكَ مَن بَلّغَكَ السَّبَّا » و « المُبَلِّغُ أحَدُ الشّاتِمَيْن » .

«وراوية [٢] الهجاء [٣] أحَدُ الهاجِين [٤] ، والسّامع لِلغِيبة أحَدُ المُغْتابِينَ » .

***

وله :

إنّما القاضِي لمُسْتَثْقَلٌ فى اللّفْظِ ياصاحِ مع المعْنَى [٥]

يظْهرُ فيه النّصْبُ مِن جرِّهِ وحظُّه فى الاسْمِ كالمعنَى [٦]

أورد هذين البيْتَيْن فى « شَرْحه على لاميّة ابن الوَرْدِيّ » ، عند قوله [٧] :

إنّ لِلنّقْصِ والاسْتِثْقالِ فى لَفْظةِ القاضِي لَوَعْظاً ومَثَلْ [٨]



(١) فى ب : « الذى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا ، ب : « ورواية » ، وفى ج : « ورؤية » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٣) فى ج : « الهجاء » بتشديد الجيم . (٤) فى ب ، ج : « الهاجيين » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ب : « إنما القاضى لثقل » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) فى ب : «وحظى فى الاسم» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ا : « كل المعنى » والمثبت فى : ب ، ج.
(٧) شرح لامية ابن الوردى (فتح الرحيم الرحمن) ١٤٨ .
(٨) فى ب : «إن للنقص والاشتغال فى » ، وفى ج : « إن للنقص فى الاستثقال فى » ، والمثبت فى : ا ،وشرح اللامية .

٣٠

أمين الدين بن هلال الصَّالِحِيّ *

أحدُ الشُّهود العُدُول ، لكنَّه عن الخيْر من المعدول [١] .

فهو إن لم يكن فى دِين الصَّابِي ، فقد نزَع بسَلْبِهِ الأعراضَ منْزَعَ المتصابِي .

فكم حُرٍّ مدَحَه ثم ثَلَبه ، وكم عِرْضٍ كساه ثم سَلَبه .

فهو شاعرٌ تنِمُّ أفكارُه عن أسْرار العيوب [٢] ، وكاتب يرْشَحُ بمِدادِ قلمِه ذَنُوبُ الذُّنُوب .

إلَّا أن [٣] كَلِمَهُ [٤] وقلمَه لم يُرْمَيا قطُّ بكَلال أو مَلال ، وإذا كتب أو أنشأ أراكَ يدَ ابنِ هِلال [٥] ، تنْقُل عن فَمِ ابن هِلال [٦] .

* * *

(*) محمد بن عثمان ، الملقب أمين الدين ، الدمشقى ، الصالحى ، الهلالى .

الأديب ، الشاعر ، الناظم ، الناثر .

ولد سنة خمسين وتسعمائة .

واشتغل بالعلم ؛ ثم تركه ، وتعاطى التوقيع للأحكام الشرعية ، بالمحكمة الكبرى ، كما برع فى الشعر ، وكان مغرما بالهجاء ، وثلب أعراض الناس .

توفى سنة أربع بعد الألف ، ودفن فى قبر والده فى تربة الفراديس .

تراجم الأعيان ٢/٨٢ ، خلاصة الأثر ٤/٣٤ .

(١) فى ج : « المعدول » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « العيوب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا زيادة : « كل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا : « كلمة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) يعنى أبا الحسن عليا بن هلال ، المعروف بابن البواب ، الخطاط .

جاء بعد ابن مقلة ، فهذب طريقته ، وزاد فى رونقها وجمالها .

توفى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

البداية والنهاية ١٢/١٤ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٨ .

(٦) يعنى أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى ، المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

فمن أهاجيه قوله في بعض الأدباء (١) :

يَخوضُ بِعِرْضِي مَن غَدَا عارَ دَهْرِهِ ... ومَن هو أدْنَى من سَجاحِ وأ كْذَبُ (٢)
ومَن أقْعدَتْه هِمّـــةُ المجْدِ والعُلاَ ... وطارَتْ به لِلخِزْيِ عَنقاءُ مُغْرِبُ
ومَن كان في عَهْـــدِ الحداثةِ نَاقَةً ... يُقادُ إلى أرْدَى الأنامِ ويُرْكَبُ (٣)
وقد كان قَصْـدِي أن أُبيِّنَ وصْفَهُ ... ولكن إهْمالُ القَبـائحِ أنْسَبُ (٤)

***

ومما يُنْسَب إليه من المجون الذى يُزْرِي بسُلاَفة الزَّرْجُون ، أنه دخَل على الرئيس أبي السُّعود بن الـكاتب (٥) ، فأنشده بَدِيهاً (٦) :

يامَنْ به رَقّ شِعْرِي ... وجالَ في الفِكْرِ وَصْفُـــهْ
قـد مزّقَ الدّهــرُ شاشِي ... والقصـــدُ شاشٌ أَلُفُّــهْ (٧)

***

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٣٥ ، ٣٦ . (٢) في خلاصة الأثر : « يخوض بعرضى » ، وهى رواية ألحق بالمعنى .

وسجاح ، هي أم صادر سجاح بنت الحارث التميمية .

ادعت النبوة بعـــد أن قبض رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وانضمت إلى مسيلمة فتزوجها ، ثم انصرفت راجعة عنه ، وحين بلغها خبرمقتل مسيلمة أسلمت وقفلت إلى البصرة ، فتوفيت بها نحوا من سنة خمس وخمسين .

البدء والتاريخ ٥/١٦٤ ، تاريخ الطبرى ٣/٢٦٧ ، شرح الشريشي على المقامات الحريرية ٢/١٦٣ .

(٣) في ب : « في عهد الحداثة تائه » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر ، وفي ب ، ج : « يقاد إلى أدنى الأنام » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر . (٤) في خلاصة الأثر : « ولـكن إجمال القبائح أنسب » .

(٥) يعني أبا السعود بن أحمد بن أبي السعود الدمشقى ، المعروف بابن الـكاتب .

نشأ في عز باهر ، ونعمة طائلة ، وقرأ ، ونبل .

وابتلى بمحبة غلام ، وأنفق عليه مالا كثيرا ، وكان الغلام كثير التجني عليه ، وأدى به هذا مع تعنيف أهله إلى أن قتل نفسه ، قيل : إنه أكل سبعة دراهم من الأفيون ، وعولج فلم يفد علاجه ، ومات من ليلته ، وهو الذى أحدث هذه البدعة السيئة في دمشق ، وكان الناس عنها غافلين .

وكانت وفاته سنة ست وخمسين وألف ، عن خمس وعشرين سنة ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ١/١١٨ .

(٦) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٣٦ . (٧) في ا : « قد مزق الدهر شاشاتى » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وجاء فيه بعد البيت : « فأعطاه شاشا » .

من هذا ، وهو (١) أحسن ماسمعتُ فى طلب حُلّةٍ قولُ الشّهاب :

حَالِي يسْتَنْجِزُ الأمانِي ويطْرُدُ الخُلْفَ من وُعُودِهْ
وحُلّتِي كلُّهــا عُيونٌ ترْنُو إلى مجْــدِه وجُــودِهْ

* * *

وكان بينه وبين عبد الحقّ الحِجَازِيّ (٢) عُهودٌ (٣) مُوثّقة ، ومَودة كأنّمهـا عن أذْكى من الزّهْر غِبّ القَطْر مُعَتّقة .

ثم انقطع أمينُ الدين ، فكتب إليه يستعطفُه (٤) :

طالَتِ الأشْواقُ وازْدادَ العَنَا وتمادَى الهجرُ فيما بَيْنَنَا (٥)
فامْنَحُوا القُرْبَ مُحِبًّا مُخْلصاً فلعلّ القُرْبَ يشْفِي مابِنَا (٦)
ليس فى هــذا عليكُمْ كُلْفَةٌ إنّمــا نطلبُ شيْئاً هيِّنَا

فراجعه بقوله :

أنَا فى البعــد وفى القُربِ أنا ليس فى الحالَيْن لى عنكُمْ غِنَى (٧)
أفْضلُ الأشْياءِ عنْــدِي حُبُّكُمْ وهْوَ فى وَسْطِ فُؤادِي مُـكّنَا (٨)
لـكنِ الأيامَ أشْكوها لَـكُمْ جَوْرُها قد أورثَ الجِسمَ الضّنَى (٩)

* * *

---

(١) فى ا : « أوهو » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) تقدم ذكر عبد الحق الحجازى ، فى صفحة ٢٧٥ (٣) فى ب زيادة : « ومواثيق » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) أبيات عبد الحق الحجازى ، مع أبيات المترجم ، فى خلاصة الأثر ٢/٣١٢ ، ٣١٣ ، فى ترجمة عبد الحق الحجازى .

(٥) فى خلاصة الأثر : « وتمادى البين فيما بيننـا » . (٦) هـذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٧) فى خلاصـة الأثر : « أنا فى القرب وفى البعد أنا » .

(٨) فى ا : « وهـو فى وسط فؤادى سكنـا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٩) أورد المحبى ، فى خلاصة الأثر ٢/٣١٣ بعد هذا أبياتا للحجازى يرد بها على المترجم .

وكان هو أحَدَ الشُّهودِ بالمحكمة الكبرى ، فنظر يوماً إلى قُضاتِها وشُهودِها[1] وهو منهم ، ثم قال[2] :

قالت لنا الكُبْرَى أمَا آنَ لكمْ ما تُوعدونْ
قُضاتُنا أرْبَعَةٌ لكنَّهم لا يَعْلَمُونْ
شُهودُنَا عِدَّتُهمْ تِسْعةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونْ
والكَتْخُدَا والتَّرْجُما نُ فى الجَحِيمِ خالدونْ[3]

* * *

وله يهجو محمَّد ولىَّ الدين[4] :

إذا رأيْتَ وَلِىَّ الدِّين مُفتكِراً مُنَكَّساً رأْسَه إنْسانُه ساهِى
فذاكَ من أجْلِ دُنْيا لا لِآخِرَةٍ خَوْفاً من الفَقْرِ لاخَوْفاً مِن اللهِ

---

(١) ساقط من: ب، وهو فى : ا ، ج . (٢) القصة و الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/ ٣٥ ، بتفصيل أكثر، وهى أيضا فى تراجم الأعيان ٢/ ٨٣ . (٣) هذا البيت ساقط من : تراجم الأعيان ، وفى ج : « فى جهنم خالدون » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

والكتخدا : كلمة فارسية معناها السيد ، تحولت إلى كلمة كيخيا بالتركية ، ومعناها القيم . المنجد فى الأدب والعلوم ٤٣٤ .

(٤) البيتان فى تراجم الأعيان ٢/ ٨٣ ، وخلاصة الأثر ٤/ ٣٥ ، وفيهما أنه ولى الدين البزورى .

وولى الدين البزورى هو :

محمد أبو البركات البزورى ، الدمشقى ، العارف بالله تعالى .

أخذ عن الشيخ محمد بن على بن عبد الرحيم بن عراق ، حين اجتمع به فى مكة ، وهو آخر من أخذ عنه وفاة .

توفى سنة ثلاث بعد الألف .

خلاصة الأثر ٤/ ٢٨٢ ، الكواكب السائرة ١/ ٦٥ .

٣١

عبد الكريم الطَّارَانِىّ *

كاتِبٌ قِسْمَة ، ومَن اتَّخذ المعيشَة من الموْتِ قِسْمَه .

وما بالُك بمَن يجُوب فِناء كلّ حىّ ، ويتمنّى فَناء كلّ حىّ .

فهُو طَيْرُ الشُّوم ، والتَّطيُّر به فَرْخُ التَّطيُّر بالبُوم .

وله نَزَعاتٌ فى الخُلق والخَلْق ، هى قَذًى فى العيْن ، وشَجًا فى الحلْق .

يَنْعجِن بطِينَةِ[1] الإساءة ، وتعمُّ فى العالَم منه المَساءة[2] .

فمُه ممْزُوجٌ بصَاب ، وقلمُه ساطورٌ فى يدِ قصَّاب .

فلهذا رُمِىَ برَفْضِه ، ومُقِتَ باعتزاله ونقْضِه[3] .

(*) عبد الكريم بن محمود بن أحمد ، المعروف بالطارانى ، الميقاتى ، البعلى ، الدمشقى ، كريم الدين .

كان كاتبا ، شاعرا ، مؤرخا ، وهو أحد كتاب محكمة القسام ، بدمشق .

تأدب بالشمس محمد الصالحى الهلالى ، وقرأ على القاضى محب الدين ، والحسن البورينى .

وكان مليح العبارة فى إنشاء الوثائق ، جيد الفكرة ، لطيف المحاورة .

وله تشيع .

والطارانى : نسبة إلى طارية ، وهى قرية من قرى بعلبك ، قدم منها والده إلى دمشق .

يقول المحبى : « ورأيته فى بعض مجاميعه ينتسب بالطيرانى ، بالياء ، ولعلها نسبة على غير قياس » .

وقد جاء اسمه فى ا ، ج : « عبد الكريم الطيرانى » ، وسيأتى أيضا كذلك خلال الترجمة ، فلعله تصحف عن « الطيرانى » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

توفى الطارانى سنة إحدى وأربعين وألف ، ودفن بمقابر الشيعة ، فى باب الصغير .

خلاصة الأثر ٣ / ١٠ .

(١) فى ب : « بطينته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « الإساءة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا ، ج : « ونقضه » ، والمثبت فى : ب .

وهو شيخٌ من بقَايَا أوّلِ[١] الزّمان ، يُعَدُّ فَرْخاً عنده نَسْرُ لُقْمان[٢] .
أكل الدّهرُ عليه[٣] وشَرِب ، لكنَّ وِعاه من الآداب غَيرُ سَرِب[٤] .

***

وله شِعرٌ ليس له[٥] فى الكَثْرة مُنْتَهى ، إلا أنه أبْرَدُ مِن أمْرَدٍ لا يُشْتَهى .
فما وصلنى من مَرْغُوبه ، قوله :

أشْكُو إلى اللهِ مِن زَمانٍ   قد مات فيه ذَوُو الصّلاتِ[٦]
وكلُّ مَن كان ذا وَفاءٍ   مضَى إلى اللهِ بالوفاةِ

***

وقوله ، فى تَضْمِينِ مثل مشهور :

هذه الدُّنْيا بَلاءٌ وعَنَا   وهُمومٌ تُسْقِمُ الجِسْمَ الصّحِيحْ
أىُّ شَىْءٍ يَبْتَغِى مِنْها الفتَى   وهْىَ دارٌ ماعليها مُسْتَرِيحْ

***

ومثلُه لبعضهم :

كُلّما أشْكُو صَبَابَاتِ الهوَى   لم أُصادِفْ غَيْرَ ذى قَلْبٍ جَرِيحْ
يَشْتَكِى لى مِثْلَ ما أشْكُو لَهُ   يا لعَمْرِى ما عليها مُسْتَرِيحْ

***

---

(١) فى ب : « أولى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ثمار القلوب ٣٧٦ : « العرب تضرب المثل بطول عمر النسر ، وتزعم أنه يعيش خمسمائة سنة ، وأن لقمان بن عاد خير ، فاختار عمر سبعة أنسر ، فأوتى سؤله ، فكان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله فى خربة من الجبل ، الذى هو فى أصله ، فإذا استوفى عمره أخذ فرخا آخر ، فوضعه مكان الآخر ، إلى آخر النسور ، وأطولها عمرا لبد ، الذى يقال له : نسر لقمان » . (٣) فى ب : « عنده » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) وعاء سرب : لا يمسك الماء . (٥) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب .
(٦) فى ب : « ذوو الصلاة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

قلت : طلبُ الرَّاحــة فى الدُّنيا مُحَال ، وتلك دَعْوَى دليلها على جميعِ الورَى مِحال[١] .

وقد أعْيى على الأخْبَارِيِّينَ والنَّقَلة ، أن يجـدُوا مُسْتريحاً إلَّا مَن لا عقْلَ له .

قال رشيد الدِّين الوَطْواط[٢] ، فى أمْثالِه :

« أنا أقول : من لا عقْلَ له فى المُسْتَراح موضع النَّجاسة »

ونظَمه الشِّهاب فى قوله :

ما يَبْتَغِى مِن دَهْرِه عاقِلٌ   وما يُرَجِّى منهُ أهْلُ الصَّلاحْ
ورِزْقُ دُنْيــانا لُجهَّالِها   وجَنَّةُ الخُلْدِ لبُــلْهٍ مِرَاحْ
مَن لا لَهُ عَقْلٌ ولا فِطْنَةٌ   فى المَثَلِ المَشْهورِ قالُوا استَرَاحْ
وإنما الدنيـــا لهم منْزِلٌ   من لا له عقــلٌ به مُسْتَرَاحْ

❊❊❊

وقوله : « وجنَّة الخُلْد لبُلْهٍ مِراحْ » إشارة إلى الحديث : « أكْثَرُ أهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ[٣] » . يُرِيد : الأكْياسَ فى أمْر[٤] الآخِرةِ ، البُلْه فى أمْر الدُّنْيا .

---

(١) المِحَال : الكيد ، وروم الأمر بالحيل .   (٢) رشيد الدين محمد بن محمد العمرى ، الوطواط . كاتب من الأدباء له شعر دون نثره ، توفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .
بغية الوعاة ١/٢٢٦ ، معاهد التنصيص ١/٢٤٤ ، معجم الأدباء ١٩/٢٩ ـ ٣٦ .

(٣) قال ابن الديبع : « حديث : أكثر أهل الجنة البله . أخرجه البيهقى فى « الشعب » ، والبزار فى « مسنده » وغيرهما ، وفى سنده لين .
قال سهل بن عبدالله : هم الذين ولهت عقولهم ، وشغلت بالله عز وجل .
وعن أبى عثمان : هو الأبله فى دنياه ، الفقيه فى دينه » .
تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ٣٢ .

(٤) فى ج : « من » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ويقولون فى[1] بَقَر الجَنّة : البُلْه ؛ لأنَّهـا لا ترْمح ولا تَنْطَح ، ولِضِدّه : بَقَر سَقَر .

***

وللطيرانىّ[2] ، ويخرُج منه اسم عمر بطريق التَّعْمِيَة :

أفْدِى غَــزالاً بِقَلْبِى ... ما زالَ يَرْشُقُ نَبْلاَ
وعنــه ما مالَ يَوْماً ... لِلْغَــيْرِ حاشَا وكَلاَّ
وعَزَّ صَــبْرِى لَمَّا ... بالعَيْنِ مَرَّ مُحَــلَّى[3]

***

وقعَد إلى جانبه غلامٌ[4] ، والقَمر فى (٥ ليــل التَّمَام ٥) ، فقال له : أُنظر البدْرَ أمامَك .

فقال له : أمامى[6] على أىِّ حالة .

فخجل لمـا قاله .

فأنْشَده بَدِيهاً :

وذِى قَوامٍ رَشِيــقٍ ... دَنَا لِبَدْرِ الــتَّمامِ
فقَــال والثَّغْرُ منْهُ ... حَالٍ بِحُسْنِ ابْتِسَــامِ
غدَا أمامَــكَ بَدْرٌ ... فقلتُ بَدْرِى أمَامِى

***

---

(١) الـكلمة ساقطـة من : ج ، وفى ب : « إن » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى الأصـول : « وللطبرانى » ، وتقدم الحديث عن هذه النسبة فى صدر الترجمة . (٣) فى : ب « بالعين مر ومحلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) القصـة بتفصيل أكثر ، والشعر فى خلاصة الأثر ٣/ ١٣ . (٥) فى ا : « ليلة تمـام » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى خلاصة الأثر « البدر أمامى » .

وكتب إلى الإمام يوسف الفتحي(١) ، وقد وعده بعود(٢) :

مَوْلَايَ كَالَ بَهْجَةِ الأيَّامِ   قد أخْجَلَ جُودُكَ الرَّبابَ الهامى
أنْعِمْ لِمُحِبِّكَ الكَرِيمِ عَجِلاً   بالعُودِ تَقَرُّ بيتَ شُكْرِى النَّامِي(٣)

فبعث إليه بحصّة منه ، وراجعه بقوله :

يا جَوْهَرَةً يَتِيمَـــةً بالشَّام   سفَهْت بها مَقالَة النَّظَّامِ(٤)
قَسَّمْتُكَ فى بَقِيَّةِ العُودِ عَلَى   أن ليْس لكمْ فى الفَضْلِ مِن قَسَّامِ

* * *

وقوله :

لا تجْزَعَنَّ إذا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ   فسوْف تلْقَى قَرِيرَ العــين جَزْلانَا
فالبدْرُ بَعد مُحَاقِ الجِرْمِ تُبْصِرُهُ   قد اكْتَسَى النُّورَ بالتَّكْمِيلِ وازْدَانَا

* * *

وهو مأخُوذ من قول ابن السَّاعاتى(٥) :

لا تجْزَعَنَّ لأمْرٍ سوف تُدْرِكُهُ   فليس فى كلِّ حين ينْجَحُ الأمَلُ
والبَدْرُ فى كلِّ شهْرٍ لا لمَنْقَصَةٍ   به يصيرُ هِلالًا ثم يَكْتَمِلُ

---

(١) يوسف بن أبي الفتح بن منصور السقيق ، الدمشقى ، الحنفى ، تقدمت ترجمته ، فى صفحة ٦٨ ، برقم ٤ . (٢) فى ا : « بوعود » ، وفى ب : « بعوده » ، والمثبت فى : ج. (٣) فى ب : « تقر بيت شكر النامى » ، وفى ج : « تقر بيت شكوى النامى » ، والمثبت فى : ا ، والمترجم يلقب بكريم الدين ، ويعنى بالعود عود الند . (٤) تقدم ذكر النظام ، فى صفحة . . . .

(٥) بهاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن رستم ، ابن الساعاتى .

برع فى الشعر ، ومدح الملوك ، وتعانى الجندية ، وسكن مصر .

توفى بالقاهرة ، سنة أربع وستمائة .

وفيات الأعيان ٣/٧٣ . ، وانظر الأعلام ٥/١٥٠ .

والبيتان ليسا فى ديوانه المطبوع .

٣٢

محمد بن زين العابدين الجَوْهَرِىّ

هو من جَوْهرٍ مُنتقَى ، وله فوق مَرْقاتِه مُرْتَقَى .

وآباؤه بتجارة الجوهر مشهورون ، وبكلّ ثناء فى الألسنة مَذْكورون .

وهو لم يكن يَحْتَرِفُ بالصِّناعة ، (١ أو يَتَّجِر بهذه البِضاعة ١) .

بل كان مُسْتَغْنِياً عن جواهِر الأحْجار بجَواهر الكلام ، ومُكْتَفِياً عن جامِد العَسْجَد والنُّضَار بالذّائب من رَشَحات الدُّوِىّ والأقْلام .

* * *

وله أشْعار نَثَر فى أرض الذَّهَب جُمانَها ، وأطْلَع من سِلْك السُّطور ياقُوتَها وبَهْرَمانَها(٢) .

فمِمّا يُنْسَب مِن « صِحاحِها » للجَوْهَرِىّ ، ويُرْوَى مِن « تَهْذيب » مُفْرداتِها عن الأزْهَرِىّ قوله :

بَاكِرْ رِياضَ النَّيْرَبَيْن ومَاسِهـا ... وانْظُرْ إلى الأزْهارِ فى أجْناسِها(٣)

ما بَين زَنْبَقِهـا الأنيق ووَرْدِهَا ... وبَديعِ نَرْجِسِها الغَضِيض وآسِهَا

وتَرَنُّمِ الأطْيارِ فوق غُصونِهـا ... تَرْوِى لطيفَ اللَّحْنِ عن عَبّاسِها(٤)

جمعَتْ مَعانِىَ اللُّطْفِ فى ألْحانِهـا ... وبَيانِ مَنْطِقِها وحُسْنِ جِناسِها(٥)

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) بهرمان : لون أحمر ، معرب . شفاء الغليل ٤٢ .

(٣) فى ب : « باكر لأرض النيربين » ، والمثبت فى : ا ج . وتقدم التعريف بالنيربين فى صفحة ٧٣ .

(٤) لعله يعنى العباس بن الأحنف ، شاعر غزل مشهور ، توفى سنة اثنتين وتسعين ومائة .
انظر الأغانى ٨/٣٥٢ ، وفيات الأعيان ٢/٢٢٩ .

(٥) فى ج : « جمعت معانى اللطف » ، والمثبت فى : ا ، ب .

تُغْنِيكَ عن صَوتِ المَثَانِى عِنْدمَا ... تَشْدُو بِرَوْنَقِهَا على جُـــلاَّسِهَا
فَتَرى الغُصونَ لِمَا بِهـــا مِن نَشْوَةٍ ... تَهْوِى إليْكَ من السُّرُورِ بِرَاسِهَا (١)
طافَ الغَدِيرُ بِهـــا فأثْمرَ فَرْعُهَا ... وغَـــدَا يُخَبِّرُنَا بأصْلِ غِراسِهَا
وسَرَتْ بِهـــا رِيحُ الصَّبَا فتأرَّجَتْ ... جُلَساؤُهَا بالطِّيبِ مِن أنْفَاسِهَا
فانْهَضْ نَدِيمِى نَصْطَبِحْ فى ظِلِّهَا ... ودَعِ المَناصِبَ فى الزَّمانِ لِنَاسِهَا
وأجِـــلْ لِحاظَ العَيْنِ فى أرْجائِهَا ... وأجْلِ القُلوبَ الصُّدْىَ مِن وَسْواسِهَا (٢)
واسْتَخْـــلِ باللَّذاتِ بيْنَ رِياضِهَا ... واسْتَجْلِ بِـكْراً أُفْرِغَتْ فى كاسِهَا
عَـــذْراء واقَعَهَا المِزاجُ فأنتجَتْ ... أطْفالَ دُرٍّ لم تُشَنْ بِنِفَاسِهَا (٣)
شَمْسٌ تُرِيكَ سَنًا إذا ما أغْرِبَتْ ... فى فِيكَ أوْلَتْكَ القُوَى بِشِمَاسِهَا (٤)
تَذَرُ الذَّلِيلَ عَزِيزَ قَوْمٍ فى الوَرَى ... بِلَطِيفِ مَسْرَاهَا وشِـــدَّةِ بَاسِهَا
مِن كَفِّ مُعْتَـــدِلِ القَوامِ إذا مَشَى ... بيْنَ الغُصونِ قضَى على مَيَّاسِهَا
أوْ ماسَ فى أهْـــلِ البَهَا ضُرِبَتْ لَهُ ... أخْماسُهـــا بالقَهْرِ فى أسْداسِهَا
ما جِيدُ غِزْلانِ الصَّرِيمِ إذا انْثَنَى ... وإذَا رَنَا ما لَحْظُ رِيمِ كِنَاسِهَا
لِلْعَيْنِ فيـــه تَفَكُّهٌ لَـكِنْ إذَا ... بَصُرَتْ بِهِ غابَتْ جَميعُ حَوَاسِهَا
ذُو مُقْـــلَةٍ وَسْنَا إذا شَاهَـــدْتَهَا ... أهْدَتْكَ سُهْداً من فُتُورِ نُعاسِهَا (٥)
قُمْ يا حَبِيبِى لا بَرِحْتَ مُمَتَّعًا ... دَاوِ القُلوبَ مِنَ السَّقامِ وآسِهَا

---

(١) فى ا : « لما بها من نشأة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « واجلى لحاظ العين » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ا : « فى أرحابها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ا : « واحل قلوب الصدى » ، وفى ب : « واجل القلوب الصيد » ، والمثبت فى : ج ، والصدى : جمع الصدئ . (٣) فى ب : « عذراء واقعها » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « إذا ما أسفرت . . . أولتك القوى شماسها » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وَاسْمَــحْ وَآنِسْ بِاللِّقَا بِأُمْنِيَتِي   مَازَالَتِ الأَيَّامُ فِى إِينَاسِهــــا

* * *

وقوله[1] :

بِالَّذِى أَوْدَعَ لَحْظَيْ   ـكَ حَبِيبَ القَلْبِ حَتْفَا
وَسَقَانِى مِنْهُمَــــا   كَأْسًا سَرِيعَ السُّكْرِ صِرْفَا
وَحَبَا خَــدَّكَ وَرْدًا   وَحَبَــا شَكْلَكَ ظَرْفَا
جُــدْ على صَبٍّ كَئِيبٍ   ذِى أُوارٍ ليس يُطْفَــا

* * *

ولمحمد الحَرْفُوشِيِّ[2] من هذا الأسلوب :

بِالَّذِى أَنْشَاكَ فَرْدًا   وَكَسَا خَدَّيْكَ وَرْدًا[3]
وَالَّذِى أَعْطَاكَ حُسْنًا   فَاتَ أَهْلَ الْحُسْنِ حَدًّا
وَالَّذِى أَوْلَى فُؤَادِى   مِنْكَ إِعْرَاضًا وَصَدًّا
صِلْ مُعَنًّى فِيكَ يَقْضِى اللَّـ   ـيْلَ تَسْهِيدًا وَوَجْدًا

* * *

وهذا على أسلوب أبيات عبد المحسن الصُّورِيِّ[4] المشهورة ، وهى[5] :

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٦٤ . (٢) تقدمت ترجمة محمد بن على الحرفوشى ، فى صفحة ١٨٩ ، برقم ١١ . والأبيات فى سلك الدرر ٢ / ٢٦٤ . (٣) فى ا : « وكساخدك وردا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) عبد المحسن بن محمد بن أحمد الصورى ، أبو محمد ، ابن غلبون .

أحد المجيدين الأدباء ، بديع الشعر ، حسن المعانى ، رائق الكلام .

توفى سنة تسع عشرة وأربعمائة .

تتمة اليتيمة ١/٣٥ ، وفيات الأعيان ٢/٣٩٧ ، يتيمة الدهر ١/٣١٢ .

(٥) الأبيات فى يتيمة الدهر ١/٣١٣ ، ٣١٤ ، سلك الدرر ٢/٢٦٤ .

بِالَّذِى أَلْهَمَ تَعْذِيـ ـبِى ثَنَايَاكَ الْعَــذَابَا
وَالَّذِى أَلْبَسَ خَــدَّيْـ ـكَ مِنَ الْوَرْدِ نِقَــابَا(١)
وَالَّذِى صَيَّرَ حَظِّى مِنْكَ هَجْرًا وَاجْتِنَابَا(٢)
يَاغَزَالًا صَــادَ بِاللَّحْـ ـظِ فُؤَادِى فَأَصَــابَا(٣)
مَا الَّذِى قَالَتْهُ عَيْنَا كَ لِقَلْبِى فَأَجَابَا

❋



---

(١) فى سلك الدرر بعد هذا زيادة :

وَالَّذِى أَسْــكَنَ فِى فِيـ ـكَ مِنَ الشُّهْدِ رُضَابَا

(٢) فى : ب «والذى صير صبرى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر ، وسلك الدرر. (٣) مكان هذا البيت فى ج :

وَالَّذِى أَوْدَعَ فِى فِيـ ـكَ مِنَ الشُّهْدِ رُضَابَا

والمثبت فى : ا ، ب ، واليتيمة ، وسلك الدرر .

٣٣

محمد بن حسين ، المعروف بابن عين الملك ، وبالقاق*

لَعُوب بأطرافِ الكلام ، مُفَوِّقٌ لِسهام الأقْلام .

يستفيدُ مِن القَطَا فَضْلَ هِدايَة ، وهو فى اللُّوْمِ أَضَلُّ من ابن دَايَة (١) .

زِيُّه غريب ، وكلُّه أَسْوَد غِرْبِيب (٢) .

أَوْحَشُ حالًا من اللَّيل ، وأَكْثر انفِراداً من سُهَيْل .

طالما جابَ السَّباسب أرْدِية ، وخاض النَّوائِب أوْدِية .

مُتنقِّلا من بُقْعَة إلى بُقْعة ، وطائراً من رُقْعةٍ إلى رُقْعَة .

حتى حَصَّ (٣) جَناحَه الـكِبَر ، ووقفَ من سوءِ (٤) بَخْته (٥) على يَقين الخبَر .

هُنالك كَرَّ على وَكْر عشيرَته وحامِيَتِه ، ومُعَشِّش قاذِفته بهَجْرها ورامِيَته .

(*) محمد بن حسين بن محمد ، المعروف بابن عين الملك ، الدمشقى ، الصالحى ، الشهير بالقاق .

ولد سنة ست بعد الألف .

وكان شاعرا مجودا ، عارفا بأساليب الشعر واللغة ، خبيث اللسان ، كثير الهجاء والوقوع فى الناس .

جمع ديوانين من شعره ، أحدهما المدح ، والآخر للهجو ، وسمى الثانى : « بئس المصير » .

وسافر إلى الروم ، فأقام بها مدة .

كما ولى نيابات المحاكم ، وقضاء حمص ، ونيابة قضاء طرابلس .

توفى سنة ست وسبعين وألف ، ودفن بزاويتهم بسفح قاسيون .

خلاصة الأثر ٣/٤٥٦ .

والقاق : الطويل ، وقيل : القبيح الطول ، والقاق أيضا : طائر مائى طويل العنق . اللسان (ق و ق) ١٠/٣٢٤ .

(١) ابن داية : الغراب . (٢) الغربيب : الحالك السواد . (٣) فى ب : « حط » ، وفى ج : « قص » ، والمثبت فى : ا . وحص الـكبر جناحه : أسقط ريشه . (٤) فى ب : « سر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ج : « نحبه » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وقد رأيْتُهُ وشَعْره شَاب ، لٰـكنَّ شِعْرَه ما[1] شَاب ، وهو فى الشِّعْر نُصَيب[2] الوَقْت ، وحالُه حالُه فى الإقْصاء والمَقْت .

ومنَاظِيمُهُ لا تخْلو من ألفاظِ عِذاب ، إلاَّ أهاجِيه فإنَّها سَوْطُ[3] عذاب .

وقد بلغنى أشْياء منها ، عارضَتْنى لـكثْرة فُحْشِها فأعرضتُ عنها .

وأمّا غيرُها مِن لَوامِعِهِ فما أوْرَدْتُه أوْرَدْتُه ، وإذا اسْتَهْجَنْتُ شيئاً إليه رَدَدْتُه .

فإنى كفَوّارةِ الماء ، لا أقْبلُ إلاَّ السَّيَّالَ الرَّقيق ، وغيرى كالمُنْخَل ، يُمْسِك النُّخالة ويُخْرِج الدَّقيق .

* * *

فمن شعره قوله فى دُولاب ماء[4] :

ودولابِ رَوْضٍ قد شجانا أنينُهُ ... وحَرَّكَ منَّا لَوْعةً ضِمْنَها حُبُّ[5]

ولٰـكنَّه فى بَحْرِ عشقٍ جهالةٍ ... يدُورُ على قلْبٍ وليس له قَلْبُ

* * *

(١) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب . (٢) أبو محجن نصيب بن رباح ، كان عبدا أسود ، اشتراه عبد العزيز بن مروان وأعتقه ، سئل عنه جرير فقال : هو أشعر أهل جلدته ، توفى سنة ثمان بعد المائة الأولى .

الأغانى ١/٣٢٤ ، معجم الأدباء ١٩/٢٢٨ .

وكان له بنات كسدن عليه ؛ لأنهن اكتسبن من سواده ودمامته ، ورغب بهن أبوهن عن التزوج من العجم ، ولم يرغب فيهن العرب . ولعل هذا هو ما يعنيه المؤلف بقوله : « وحاله حاله فى الإقصاء والمقت » . الآتى .

انظر ثمار القلوب ٢٢٢ .

وانظر ترجمة ياقوت لنصيب الأصغر ، مولى المهدى . معجم الأدباء ١٩/٢٣٤ .

(٣) فى ب : « صوت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٩ . (٥) فى ا ، ب : « قد شجانى أنينه » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : « ضمها حب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقوله ، من قصيدة مطلعها[1] :

سقَى الخُزامَى باللِّوَى والأقَاحْ ... مِن عارِضٍ أبلَجَ سَجْلِ النَّواحْ
حتَّى ثَراهَا وهْىَ مُخْضَلَّةٌ ... تَغَصُّ رِيًّا بالزُّلالِ القَراحْ
معاهدٌ للأُنْسِ كانَتْ وهَلْ ... لِى وَقْفَةٌ بيْن جُنُوبِ البِطاحْ[2]
أيَّامَ فى قَوْسِ الصِّبا مَنْزَعٌ ... ولِلْمَلاهِى غُدْوة لا رَواحْ[3]
والظَّبْيَةُ الأدْماء لِى مُنْيَةٌ ... وحبَّذا مَرْضَى العُيونِ الصِّحاحْ
لم أنْسَ يومَ الطَّلْحِ إذْ وَدَّعَتْ ... وأدْمَتِ القلْبَ بغَيْرِ الجِراحْ
يا وَقْفَةً لم يُبْقِ فيها النَّوَى ... إلَّا ظُنونًا ليس فيها نَجاحْ
ياقلبُ جِدْ بِى عَنْ طريقِ الهوَى ... فَفِى مُناجاةِ المَعالِى ارْتِياحْ[4]
فالرَّاحُ والرَّاحةُ ذُلُّ الفَتَى ... والعِزُّ فى شُرْبِ ضَرِيبِ اللِّقاحْ[5]

---

(١) خلاصة الأثر ٣/٤٥٩ . (٢) فى خلاصة الأثر : «معاهدا للأنس» . (٣) فى ب : «غدوة والرواح» ، وفى ج ، وخلاصة الأثر : «غدوة أو رواح» ، والمثبت فى : ا .

(٤) فى ب : «يا قلب حد لى» ، وفى ج : «يا قلب خذ لى» ، وفى خلاصة الأثر : «يا قلب خذ بى» ، والمثبت فى : ا . وفى ب : «عن طريق النوى» ، والمثبت فى : ا ، ج . وخلاصة الأثر .

(٥) فى ا ، ج : «فالراح والراحة ذل الغنى» ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

٣٤

القاضى إبراهيم الغَزَّالِىّ *

فَتًى مُداعَبةٍ ومُجُون ، طَبْعُه بالخلاعة مَعْجُون .

إذا تكلَّم بِبِنْتِ شَفَة، تُعَدُّ مِن غَيْرِه سَفَه .

لا يستَفِزُّه (١) قِيلٌ ولا قَال ، وكلُّ عَثْرةٍ منه تُقَال .

وله جامِعيَّةُ بَنانٍ وبَيان ، وهو فيها سفِينَةُ نُوحٍ أو جامع سُفْيان (٢) .

إلَّا أنَّه كان فى شِعْرِه مُتَخلِّفا ، وعن أهْل طبقتِه مُتَخالِفًا .

لأنَّه ينْبُو عن السَّهْل القريب ، ولا يستعمِل إلَّا المُنافِرَ (٣) الغَرِيب .

ورُبَّما نَدَرتْ (٤) له أبْياتٌ فى مَرام ، فكانتْ كَرَمْيةٍ من غَيْر رَام .

أستغفر الله ، نعم هو فى هِجائِه مُجِيدٌ ولو بازْدِراء (٥) حِجائِه ، لَعُوبٌ حتى بيَأْسه ورَجائِه .

(*) إبراهيم بن محمد بن على بن أبى بكر الصالحى ، المعروف بالغزالى ، الأديب ، الشاعر .
ولد سنة ثمان بعد الألف ، بصالحية دمشق .
وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد الوفائى ، وتأدب بالشيخ أيوب الخلوتى .
وتعانى كتابة الصكوك فى محكمة الصالحية ، ثم تركها وناب فى القضاء .
كان شاعرا ماجنا ، راوية ، صاحب نوادر .
توفى سنة ثمان وثمانين وألف ، ودفن بالسفح .
خلاصة الأثر ١/٤٦ .
وقد ذكره المحبى فى خلاصة الأثر فى صدر الترجمة باسم : «الغزال» ، وفى أثنائها باسم «الغزالى» .

(١) فى ب : « يستنفره » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) يشير بسفينة نوح وجامع سفيان إلى أنه جامع لكل شىء ، وجامع سفيان ، هو جامع سفيان الثورى فى الفقه . انظر ثمار القلوب ٣٩ ، ١٧٠ . (٣) فى ب : « السهل » ، وهو خطأ ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « ندرت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ج : « فى ازدراء » ، والمثبت فى : ا ، ب .

يُطْلِع هَزْلَه جِدًّا ، ويُرهِفُ حَديدَته حَدًّا .

***

فمّا استَخْرَجْتُه من حُلوِه وحامِضِه ، وصَرَّحْتُ فيه بأمْرِ واضِحِه وغامِضِه .

قوله (١) :

يامَن ملَكُوا جَوانِحِي مَعَ لُبّي — ما اعْتَدْتُ شِكايَةً فَحالي يُنْبِي
لازِلْتُ مُشاهِداً بِحالي تَلَفاً — إن كان سِوا كُم ثَوَى في قَلْبي (٢)

***

ومن أهاجِيه ، قوله في إسماعيل بن (٣) جمال الدين (٣) الجُرَشِيّ (٤) :

باللهِ قُلْ لِغَلِيظِ الطَّبعِ عَنِّيَ ما — أنْكَرْتَه مِن فُلانٍ كَيْ تَرَى عَجَبا (٥)
فلم تَجِدْ غَيْرَ أنّي لم أَنِكْهُ لِما — قد عِفْتُه منه قِدْماً كان ذا سَبَبا
ولو أُجَشِّمه أَيْرِي واستَبحتُه — إيّاهُ ماعَدَّلي ذَنْباً وما رَقَبا (٦)
لكنّني الآنَ أكْوِي فَرْجَ فَقحتِه — بنارِ أيْرِي وأَرْقَى عندَه الرُّتَبا
أُكَلِّفُ النَّفسَ تغيِيراً لِمَذْهبِها — قَبلي كثيرٌ لهذا الأمرِ قد ذَهَبا
لاسامَحَ اللهُ مأبُوناً يُكلِّفُني — لِغَيْرِ طَبْعِي وبِبْغِي غاسِقاً وَقَبا (٧)

***

(١) الرباعية في خلاصة الأثر ١/٤٧ . (٢) في ا : « بحالى قلقا » ، وفي ب : « لحالى تلفا » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر . (٣) ساقط من ب ، وخلاصة الأثر ، وهو في : ا ، ج .

(٤) انظر في هذه النسبة اللباب ١/٢٢١ .

والقصيدة في خلاصة الأثر ١/٤٧ .

(٥) في خلاصة الأثر : « مني ما » . (٦) هذا البيت والذى بعده ساقطان من : ج ، وفيها بياض بقدر البيتين ، ويبدو أن الناسخ تركهما للفحش . وهما في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

وفي ب : « ولم أجشمه أيرى » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٧) في خلاصة الأثر : « بغير طبعى » ، وفي هامش ب : « وفي القاموس : غاسق إذا وقب ، أير إذا قام » . انظر القاموس ٣/٢٦٤ .

وله في والد إسماعيل المذكور ، وكان مُؤذّنا يُؤذِي [1] الآذان [2] :

إنَّ الجمالَ الجرَشي مثلُ المغني القرشي
يوَدُّ مَن يسمَعُه لو ابتلي بالطَّرَش

***

المغنِّي القُرَشي معروف بقبح الصوت ، وفيه يقول المهلَّبي [3] :

إذا غنَّاني القرشي دعوتُ اللهَ بالطَّرَشِ
وإنْ أبصرتُ طَلْعَتَهُ فوَالهفي على العَمَشِ [4]

ولابن العميد فيه [5] :

إذا غنَّاني القرشيُّ يوماً وعنَّاني برؤيته وضربِهْ
وددتُ لوَ انَّ أذني مثلُ عيني هُناكَ وأنَّ عيني مثلُ قلبِهْ

***

الشيء بالشيء يُذكَر ، والمناسبة حقُّها لا يُنْكَر .

ذكرتُ هنا فصلا قلته في مُغَنٍّ بارد النَّغمة :

« جمعني وفلانًا المُغنِّيَ مجلسٌ فاستقريتُ [6] مُكْرَهًا ، وسمعت ورأيتُ مُكْرَهًا .

فقلتُ : قبَّحه اللهُ مِن مُغَنٍّ سماعُ صوتِه غَمٌّ ، كيف ولفظُ غَمٍّ في نغمه مُدْغَم ؟

فإذا أدَّى آذَى ، وإذا غنَّى عنَّى .

---

(١) في ج : « فيؤذي » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤٨ ، وذكر أنه قالها في إسماعيل المذكور ، وهو خطأ .

(٣) أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله المهلبي ، وزر لمعز الدولة البويهي ، وللخليفة المطيع ، فلقب بذي الوزارتين ، كان أديبا شاعرا ، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .

فوات الوفيات ١/٢٥٦ ، يتيمة الدهر ٢/٢٢٤ .

والبيتان له في : يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، خلاصة الأثر ١/٤٨ .

(٤) في خلاصة الأثر : « فيالهفي » . (٥) بيتا ابن العميد في يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، خلاصة الأثر ١/٤٨ . (٦) في ا : « فاستقرأت » ، والمثبت في : ب ، ج .

لا مَرْحباً بِمُغَنٍّ طَوَى المَسرَّةَ عَنَّا
قال النَّدامَى جميعاً لمَّا تغنَّى تَعَنَّى
ياليتَه ماتغَنَّى ياليتَه مات عنَّا

فما أحقَّه بقَوْلِ بعض الكُبَراء، وقد غنَّى مُغَنٍّ فقيل له: كيف تَرَى؟

ويَحْسَبُ النُّدْمانُ في حَلْقِهِ دَجاجَةً يَخْنُقُها ثَعْلَبُ

وقيل لآخر ماقيل لهذا، فقال:

وكأنَّ جُرذانَ المَحلَّةِ كُلَّها في حَلْقِه يَقْرِضْنَ خُبزاً يابِسَا

غير أنِّي اختبَرْتُه اختبارَ عارِفٍ أرِيب، فرأيْتُه في صَنْعةِ الضَّرب ماله ضَرِيب.
فضَرْبُه أوْقعُ مِن الضَّرِيبِ[1] والضَّرَبِ[2]، وإن كان غِناهُ كالضَّرْبِ على الرُّكَب

فبالجملة يستحِقُّ على ضَرْبه غِناه[3]، ويستوجِبُ ضَرْبَه على غِناه[4].
فمَن ابتُلِيَ به فلايدَعْه يفتَحُ فاه، إلَّا وهُوَ نازِلٌ بالصَّفْع على قَفاه».

***

وللغَزِّيِّ، والبيت الأخير مُضَمَّن[5]:

أضْحَى التَّصَبُّرُ حَبْلُه مَقْطُوعَا لَمَّا رأيْتُ مُعَذِّبِي مَمْنُوعَا
وحديثُ وَجْدِي مُسْنَداً ومُعَنْعَناً أمْسَى لَدَيه مُعَلَّلا مَوْضُوعَا[6]
وفَقَدْتُ قَلْبِي عِنده وأظُنُّه لِبَلِيَّتِي قد ساء فِيه صَنِيعَا
فغَدَوْتُ أنْشِدُ واللَّهِيبُ بِمُهْجَتِي والبَيْنُ جَرَّعَنِي الأسَى تَجْرِيعَا
باللهِ يا أهْلَ الهوَى وبِحَقِّه لا زالَ قَدْرُكُم به مَرْفُوعَا

(١) في ب: «الضرب»، والمثبت في: ا، ج. (٢) الضرب، بالتحريك: العسل.
(٣) من الغنى، بالقصر. (٤) من الغناء، بالمد وكسر العين. (٥) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٤٦، ٤٧. (٦) في خلاصة الأثر: «أضحى لديه معللا موضوعا».

قُولوا لِمَنْ سَلَبَ الْفُؤادَ مُصَحَّحًا ... يَمْنُنْ عَلَيَّ بِرَدِّهِ مَصْدُوعَا

***

وله من الرُّباعِيّات :

الْقَلْبُ إلى سِــــوَاكُمُ مَا مَالَا ... والدَّمْعُ لِغَيْرِ بُعْدِكُمْ مَا سَالَا

إنْ كانَ حَسُودُنَا أتَاكُمْ وَوَشَى ... بِاللهِ بِلُطْفِكُمْ دَعُوا مَاقَالَا

٣٥

القاضى عمر الدُّوَيْكى*

هو فى الفلك ، مُنَوَّر الحلك .

بمرْأى يَشِفُّ أحْسن الشُّفوف ، حِلْيَة لحيته كالقطْن المنْدُوف .

وقد أُلبِسَت⁽¹⁾ المهابَةُ إهَابَه ، فلو رآه الأسَدُ الوَارِدُ فى غابه لهَابَه⁽²⁾ .

وقد كَحَلتنِى الأيَّامُ بطَلْعتِه ، فوقَفْتُ على صِبْغَتِه وصِفَتِه .

ورأيتُ شخصاً مَرُوِّق الشِّيَم ، تنفح أخْلاقُه عن الزَّهْر بعد الدِّيَم .

* * *

وله أشعار نظَمها دَرارِىَّ فى أسْلاك ، وأطْلَع منها كوَاكبَ سابِحةً فى أفلاك .

فمنها قوله من قصيدةٍ ، مطلعها⁽³⁾ :

جازَتْ على تَهزُّ فى أرْدانِ ... هيْفاءُ رُمْحُ قَوامِها أرْدانِى
تُرْكيَّةُ الألحاظِ لَمَّا أن رَنَتْ ... تحْوِى بصارِمِ ناعِسٍ أصْمانى⁽⁴⁾
غَرْثَى الوِشاحِ ترنَّحتْ أعْطافُها ... مَن ذا الذى عن حُبِّها يَنْهانِى⁽⁵⁾
فى خَدِّها الوَرْدِىِّ نارٌ أُضْرِمَتْ ... فعجِبْتُ للجنَّاتِ فى النِّيرانِ⁽⁶⁾

(*) زين الدين عمر بن يحيى القاضى ، الشافعى ، المعروف بابن الدويك ، الدمشقى .
كان فاضلا ، أديبا ، عارفا بفنون كثيرة ، وله فى الرياضيات ، خصوصا الفلك ، مهارة تامة .
ولى القضاء بمحكمة قناة العونى ، ثم نقل إلى محكمة الباب .
توفى سنة ثلاث وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .
خلاصة الأثر ٣/٢٢٧ .

(١) فى ب : « وألبسته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا ، ب : «أهابه» ، والمثبت فى : ج .
(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٧، ٢٢٨ . (٤) فى خلاصة الأثر : « بطرف ناعس أصمانى » .
(٥) غرثى الوشاح : يعنى ضامرة الخصر . (٦) فى خلاصة الأثر : «فعجبت للروضات فى النيران» .

لمـا انْثَنَتْ تختالُ فى حُلَلِ البَهَا سَجَدتْ لِقامَتِها غُصونُ الْبانِ
جارَتْ على ضَعْفِى بِعادِلِ قَدِّهَا عَجَباً فهل ضِدَّانِ يجْتمِعانِ
لولا جَعِيدُ الشَّعْرِ مَعْ فَرْقٍ لهـا ما كان لِى لَيْلٌ وصُبْحٌ ثانِى
قَسَماً بطَلْعتِها ولَفْتةِ جِيدِهَا وبثَغْرِها وبقَدِّهـا الرَّيَّانِ
وَبِنُونِ حاجِبِها ورَوْضةِ خَدِّهَا وبلُطْفِها وبحُسْنِها الفَتَّانِ
لم أنْسَهـا لـمَّا أتتْ بِملَابِسٍ قد طُرِّزَتْ بمحاسِنِ الإحْسانِ
وافَتْ وثَوْبُ اللَّيْلِ أسبل سِتْرَهُ حتى غَدَا كالثَّوْبِ لِلعُرْيانِ(1)

هــذا التَّشبيه عارٍ من لُطْفِ المعنى ، وما أحقَّه أن يُشَبَّه بتَشْبيه الماء بالماء .

فضَمَمْتُها ورشَفْتُ بَرْدَ الثَّغْرِ كَىْ أُطْفِى بذلك حُرْقةَ الأشْجانِ
باتَتْ تُعاطِينِى كُؤوسَ حدِيثِها وتُشنِّفُ الأسْماعَ بالألحـانِ
بِتْنا على رَغْمِ الحسُودِ بغِبْطةٍ وبفَرْحةٍ ومَسَرَّةٍ وأمانِ
حتَّى دَنا الفجرُ المُنيرُ فَراعَنِى شَيْبٌ برأْسِ اللَّيْلِ يحْوِى دانِ

* * *

قلت : هذا شعر دعانى إلى إيرادِه صِدقُ العَهْد ، والعِنايةُ بالوُدِّ الذى هو خُلُقى من حين لفظَنى المهْد .

(1) فى خلاصة الأثر : « وثوب الليل أسدل ستره » .

٣٦

أبو بكر، المعروف بغُصَيْن البان

ما لُقِّب بالغُصَين إلا لنضرة نمائِه، ورِقَّة طَبْعه الذى يكاد يقطر من كَثْرة مائِه.

وهو المغنىُّ بِكَثْرة[1] المُوَشَّحات، التى يتغنَّى بها فى كلِّ حضرة، والمطلع منها ما يستغنى به مُشاهِدُ الشَّكْلِ الحسَن عن الماء والخضرة.

* * *

وليس يحضُرُنى من شِعْره إلا ما تراه، وتمايلُ به طرَباً كالغصن يتمايلُ للصَّبا عِنْد مَسْراه.

فمن ذلك قولُه، ويخرج منه اسم داود بطريق التَّعمية:

رَنَا فأثْبَتَ سَهْمَاً من لَواحِظِه ... فى مُهْجَتِى ذُو قَوامٍ يَافعٍ نَضِرِ[2]

وراحَ يَسْحَبُ ذَيْلَ العُجْبِ مُلْتفِتاً ... فى تِيهِه ومَضَى والقلبُ فى خَطَرِ

* * *

وقوله فى اسم رمضان:

وشَادِنٍ من بَنِى الأتْراكِ مُعْتَدِلٍ ... وافَى وفِى وجْهِه خَالٌ لِمَن رَمَقَا

له عِذَارٌ بنَارِ الخدِّ مُمْتَزِجٌ ... قد هِمْتُ فيه ولا عَارٌ لِمَن عَشِقَا

*

---

(١) فى ج: «بأكثر»، والمثبت فى: ا، ب.

(٢) فى ا، ب: «ذى قوام يافع نضر»، والمثبت فى: ج.

٣٧

عمر بن محمد ، المعروف بابن الصُّغَيِّر*

خليفةُ أبي بكر العُمَرِيّ وحَنِيفُه ، وزميلُه فى التَّعارُض بالقَرِيض وأَلِيفُه .

ومَن اغْترفَ مِن مَحَلِّ غَرْفِه ، وهَبَّ عاطِرَ الأنْفاسِ بعَرْفِه .

والنَّسِيم يطِيب إذا مَرَّ بِروضٍ أنْضَر(١) ، ومَن صحِب العَطَّـار لايخْلُو من أن يتَعطَّر .

وهو فى الشِّعر مُكْثِرٌ مُجيد ، ومُحلًّى نَحْرُ (٢للأدَبِ وجِيد٢) .

إلَّا أنَّه أعْربَتْ محاسنُه عن ناطقٍ مُعْرِب ، وطارت بأغْلب أشْعارِه عَنْقاءُ مُغْرِب .

* * *

فمَّما بلغنى من شِعْرِه .

قولُه مُعمِّياً باسم خالد(٣) :

مُذْ رَقَّ ماءٌ للْجمالِ بوجْنَـــةٍ كالوَرْدِ فى الأغْصانِ كَأنَّهُ النَّدَى(٤)

وتَمثَّلَتْ أهْـــدابُنا فيـــه فظَنُّـوهُ العِذارَ ولا عِـــذارَ بِهِ بَدَا

* * *

(*) عمر بن محمد ، المعروف بابن الصغير ـ بصيغة التصغير ـ الدمشقى .

كان شاعرا مطبوعا ، حسن التخيل ، وله مشاركة جيدة فى الأدب .

برع حتى صار قيم الأدب والعلم بعد شيخه أبى بكر بن منصور العمرى .

توفى فى حدود سنة خمس وستين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ .

(١) فى ب : «عطر» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : «الأدب وجيد» ، وفى ب : «الأدب مجيد» ، والمثبت فى : ج . (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ . (٤) فى ا : «مذ رق ماء للجمال بوجنته» ، وفى ب : «مذ رق ماء للجمال بخده» ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

وهذا المعنى مُتداوَل من قول بعضهم [١] :

أَعِدْ نَظَرًا فما في الخَدِّ نَبْتٌ ... حَمَاهُ اللهُ مِن رَيْبِ المَنُونِ
ولٰكنْ رَقَّ ماءُ الحُسْنِ حتّى ... أَرَاكَ خَيالَ أَهْدابِ الجُفُونِ

وزاد الأمير المَنْجَكِيّ ، وأحسن في قوله [٢] :

لَمَّا صَفَتْ مِرْآةُ وَجْهِكَ أيْقَنَتْ ... أَهْوَاىَ أَنِّى عُدْتُ فيه خَيالاَ [٣]
فحَسِبْتُ أَهْدابِي بِخَدِّكَ عارِضًا ... وظَنَنْتُ إنْسانِي بِخَدِّكَ خَالاَ [٤]

※ ※ ※

وللمُتَرْجَم ، ويخرج منه اسم [٥] علوان [٦] :

فَدَيْتُ حَبِيبًا زارَنِي بعد صَدِّه ... ومِن رِيقِه واللَّحْظِ حَيِّى بقَرْقَفِ [٧]
سَقَانِي ثَلاثًا يا خَلِيلِي وإنَّما ... شِفاءُ الذي سُقْمٍ ورَاحَةُ مُدْنَفِ

※ ※ ※

وله ، ويخرج منه اسم [٥] سليمان [٨] :

رأى عاذِلِي مُنْيَتِي زُرِّي في ... إزارٍ فحَيّد عن نَهْجِها [٩]
وقد لامَ في مِثْلِ عِشْقِي لَها ... وما شاهدَ الخالَ في وَجْهِها

※ ※ ※

---

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ .

(٢) ديوان الأمير منجك ١٢٥ . (٣) في الديوان : « . . . أيقنت عيناى أنى عدت فيك خيالا » .

(٤) في الديوان :

وظَننتُ أَهْدابِي بوجهِك عارِضًا ... وحسِبْتُ إنْسانِي بخَدِّك خَالَا

(٥) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٦) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٢٢٦ ، ٢٢٧ ، وقد نسبا خطأ إلى العمرى ، بعد سياق قصة ستأتى . (٧) في خلاصة الأثر : « ومن ريقه واللحظ مع كأس قرقف » .

والقرقف : الخمر .

(٨) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٢٢٧ . (٩) هكذا ورد البيت في الأصول التي بين يدى ، وفي خلاصة الأثر : « رأى عاذلى منيتى زار في » .

ومما نَسَبه البَدِيعيّ إليه ، وأظنُّه مغْصوباً (١ ضَمانُه عليه ١) ، قولُه (٢) :

أفْدِي الَّذِي دَخَلَ الحَمَّامَ مُتَّزِراً ... بأسْودٍ وبِلَيْلِ الشَّعْرِ مُلْتَحِفَا

دَقُّوا بِطَاساتِهِمْ لَمَّا رأَوْهُ بَدَا ... تَوَهُّماً أنَّ بَدْرَ التَّمِّ قد كُسِفَا

***

وهذا تَخَيُّلٌ حسَن ، أجاد فيه وأحْسَن .

وأصلُه (٣) ما اشْتُهِر في بلاد العجم أنَّ القمرَ إذا خَسَف يَضْرِبون على النُّحاس ، حتى يرتفِع الصَّوْتُ زاعِمين بذلك أنه يكون سبَباً لِجلاء الخسوف ، وظُهور الضَّوْء ، هكذا قاله بعضُ الأدباء .

***

والذي ثبَت في أصلِه (٤) ما نقله غيرُ واحدٍ ، أن هُلاكو ملكَ التَّتار ، لمّا قبَض على النَّصِير الطُّوسِيّ (٥) ، وأمر بقَتْله لإخْباره ببعض المُغَيَّبات .

فقال له النَّصير : في اللَّيلة الفلانيَّة في الوقت الفلانيّ يَخْسِف القمرُ .

فقال هُلاكو : احْبِسوه ، إن صَدَق أطْلقْناه وأحْسنَّا إليه ، وإن كذب قتَلْناه .

فحُبِس إلى اللَّيلة المذكورة ، فخَسَف القمرُ خُسوفاً بالغاً .

واتَّفق أن هُلاكو غلَب عليه السُّكْرُ تلك الليلة ، فنام ، ولم يَجْسُر (٦ أحد على إنْباهِه ٦) .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٢) البيتان في خلاصة الأثر ٣ / ٢٢٥ .

(٣) ذكر هذا أيضا المحبي في خلاصة الأثر ٣ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) القصة في خلاصة الأثر ٣ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ أيضاً .

(٥) أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ، نصير الدين .

ولد بطوس ، ونبغ في العلوم العقلية ، والفلسفة ، وكان علامة في الأرصاد ، والرياضيات .

خدم هولاكو ، وعلت منزلته عنده .

توفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

البداية والنهاية ١٣ / ٢٦٧ ، شذرات الذهب ٥ / ٣٣٩ ، الوافي بالوفيات ١ / ١٧٩ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٠٧ . (٦) في ب : « على انتباهه أحد » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

فقيل للنَّصِير ذلك .

فقال : إن لم يرَ القمرَ بعَينِه ، وإلَّا فأصبحَ مقتولاً لا محالة .

وفكر ساعةً ، ثم قال للمَغُل : دُقُّوا على الطَّاسات ، وإلا يذهبُ قمرُكم إلى يوم القيامَة .

فشَرع كلُّ واحدٍ يدقُّ على طاسَتِه ، فعظُمَت الغَوْغاء[1] ، فانتَبَه هُلاكو بهذه الحِيلة ، ورأى القمرَ قد خَسَفَ ، فصدَّقه ، وبقِيَ ذلك إلى يومنا[2] .

* * *

ومن اللَّطائف[3] أنَّ أديباً من العجَم ، وقد خفِيَ عنِّى اسْمُه واسْتَعْجَم .

كان صُحْبَتَه أميرٌ كبير ، فى رَوْضٍ يتفتَّق عن عَبِير .

وبه بِرْكَةُ ما ، أصفَى من رِيقة[4] ألمَى[5] .

يحُفُّها طائفةٌ من الغِلْمان ، هذِّبتْ باللُّطف طِباعُها ، وتركَتْ بحُكْمِ[6] صُورِها الجميلة فى الأجْسام الصَّقيلة انْطباعَها .

وفيهم فتًى زائدُ الاشتهار ، كالبدر إلَّا أنه يبْقَى على ضَوْءِ النَّهار .

فحيَّاهما بجامِه ، ووقَف يُثير شَجْوَها بِرِقَّتِه وانْسجامِه .

والبِرْكةُ قد انْعكَسَتْ فيها تلك الصُّوَرُ الظَّواهِر ، فتخالُها نُجوماً وهُو بينَهما القمرُ الزَّاهِر .

فخامَرتِ الأديبَ مِن خيالِه سَوْرَةٌ ، وتخَيَّل أن البدرَ يُهْدِيه نُورَه .

ففطِن الأميرُ للأمْر الذى وَضح ، وحرَّك الماء بقَضِيبٍ فانْمَحَى الخيالُ الذى فضَح .

---

(١) فى ب : « الغوغة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى ب بعد هذا زيادة : « هذا » . (٣) ذكر هذا أيضا المحبى فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٦ . (٤) فى ا : « ريق » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ج : « المى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ب : « تحكم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فدَقَّ ذلك الأديبُ على طاسٍ حتَّى روَى غُلَّة الصَّدْر ، فسأله الأميرُ عن سِرِّ ذلك ، فقال : هذه عادتُنا إذا خسَفَ البدر(١) .

***

وأبْدَعُ من ذلك وأطْرب ، ما حكاه العُمْرِىّ(٢) شيخُ الأدب(٣) .

أنه كان بدِمشْق فى بيت قَهْوَة ، مُقِيماً لرسْمِ حَظٍّ ونَشْوَة .

وإلى جانبِه أديبٌ يأنَسُ الفِكْر بآدابِه ، ويتعلَّق الطَّرْفُ بأهْدابه .

وبيْنهما حديثٌ يُفاوِحُ زَهْرَ الرُّبى ، ويُطارِحُ نغمَ حمامِ الأيْك مُطرِبا .

إذا ببَدْرِ حسَن فارقَ فلَكَه ، وسقَط لا يدْرِى أىَّ مَسْلكٍ سلَكَه .

حتى إذا دَنَا منهُما وقَف واسْتَوقف ، واخْتَلس الألْبابَ جَذْباً إليه وما توقَّف .

فطفِقا يُسَرِّحان فى محاسِنِه المعانِى ويُجيلان(٤) الألفاظ ، ويحُكِّمِ الهوَى يمُدَّانِ الأيْدِى ويُشيران بالألْحاظ .

فما ردَّا وَجْهاً ولا عِطْفا ، ولا جَنيا وَرْداً باللَّحْظِ ولا قَطْفا .

حتى غشِيَهُما شخْصٌ مَهُولُ المنظر(٥) فى ذاتِه ، إذا رأَى الطَّرفُ شَخْصَه ، أحالَ اللهُ بيْنه وبيْن لَذاَّتِه .

فحالَ بيْنهما وبين ذلك البدْرِ التَّام ، وحجَبَه عنهما كما يحجِبُ البَدْرَ الغَمام .

فقال ذلك النَّديمُ : هذا خُسوف عسَى اللهُ يُؤْذِن بزَوالِه ، ونسألُه أن يدْفَعَ عنَّا عُقْبَى مَصائِبه وأهْوالِه .

ثم نظَرا إلى(٦) ذلك الشَّخْصِ وقد كشَفَ رَأسَه ، فإذا هو أقْرَعُ كأنَّما(٧) رأسُه طاَسه .

---

(١) فى ب : « القمر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) يعنى أبا بكر العمرى ، الذى تقدمت ترجمته برقم ١ ، صفحة ٢٢ (٣) ذكر المحبى هذه القصة أيضا ، بطريق أوضح ، فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٦ .
(٤) فى ا : « ويحيلان » ، وفى ج : « ويخيلان » ، والمثبت فى : ب . (٥) فى ا : « الشكل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ب ، ج : « فى » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ب : « كأن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فقال العُمَرِيّ : الآن تَمّ التَّخْيِيلُ من كلّ جِهة .

ثم أخذَ القلمَ ، وكتب على البَدِيهة (١) :

حَجَبَ البـدرَ أَقْرَعٌ عن عُيوني ... فغَـدا الطَّرْفُ خاسِئًا مَطْـروفا (٢)
فتناوَلْتُ رأسَـهُ لِصِفَـاعٍ ... بنِعالِي ، وصُنْتُ عنه الـكُفوفا (٣)
قال لي اللائِمُونَ كُفَّ فنَـا ... دَيْتُ دَعُونِي وأَقْصِرُوا التَّعْنِيفا
عادَةُ البـدْرِ يَنْجَـلِي لَيْلَةَ الْـ ... خَسْفِ بدَقِّ النُّحاسِ دَقًّا عَنِيفا
وتراءَيْتُ طاسَـةً فجَعَلْتُ الصَّـ ... فْعَ دَقًّا فكان عُذْرًا لَطِيفا



(١) الأبيات أيضا في خلاصة الأثر ٣/٢٢٦ .   (٢) في خلاصة الأثر : « حجب البدر » .
(٣) هذا البيت ساقط من : خلاصة الأثر .

٣٨

أحمد بن محمد الصَّفَدِيّ ، إمام الدَّرْويشِيَّة *

صَفَد ، وإن كانت صَدَف هذه الدُّرَّة ، فقد طلعتْ في جهة دمشق منها غُرَّة ، وأحْسِنْ بها من غُرَّة .

وبالتنقُّل ترْتقي ذواتُ الأصْداف إلى الأعناق ، ويعْلو (١) ترابُ الأحجار إلى نُور الأحْداق .

وهذا الأديبُ ممن صحِبْتُه دهرًا ، واختبرتُ خلائقَه سرًّا وجهرًا .

فلم أرَ مثلَه رجلا مأمونَ الصُّحْبة ، ميمونَ النفس والمحبَّة .

حِلْمه هضبةٌ لا تستخفُّها الخُدَع ، وعقله علامةٌ لا تستفزُّها البِدَع .

إن هزَزْتَه لمكرُمة أرْيحيّته ، أو ذكّرته بخُلْق عهدٍ حنّ .

(*) أحمد بن محمد بن محمد الصفدي ، الدمشقي ، الشافعي ، ثم الحنفي .

ولد بصفد ، وقدم إلى دمشق وما جاوز العشرين بكثير ، فأقام بجامع المرادية ، مشتغلا بعلم القراءات ونسخ الكتب .

قرأ على جماعة منهم : الشيخ منصور السطوحي ، والشيخ عبد القادر الصفوري ، واستجازهما فأجازاه ، ثم حج فأخذ عن علماء الحرمين .

عمل شاهدا بالمحكمة الكبرى ، ومحكمة الباب ، واشتغل بالتدريس والإمامة والخطابة ، بالعمرية ، وجامع درويش باشا ، وجامع الأغا ، وكان يقيم أكثر أوقاته بالخلوة بجامع الدرويشية .

سافر إلى الروم مرات .

وألف « منظومة في العقائد » ، و « كتابا » جمع فيه ألف حديث ، رتبها على حروف المعجم .

يقول فيه المحبي : « وكان كثير الشعر ، ندى القلم ، وشعره عليه مسحة من الطلاوة » .

توفي سنة مائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، ولم يجاوز الستين بكثير .

خلاصة الأثر ١/٣٥٦ .

(١) في ب : « ويعلا » ، والمثبت في : ا ، ج .

فكنت أتوارَد معه على مُفاكَهة إذا جُلِيتْ فما الرّاح والتفاح ، وإذا ذُكِرتْ فما رَيْحان الأصداغ إذا فاح .

وهو من مُكْثِرِى شعراء العصر ومُجِيديهم ، وإن لم يكن من مُكثريهم بالعوائد ومُجتديهم .

ليس لأحدٍ منهم عُشْرُ شِعْره ، إلا أنه مُنْفِقٌ منه على قَدْر [١] سِعْره .

***

وقد أطْلعنى على « ديوانه » المنتخَب ، الذى ضمّنه نُخَب النُّخَب .

فجرّدْتُ منه مايعبَق عَبْقَةَ المِسْكِ الفَتِيت ، ويفُوه عن ثَغْرِ ألْمَى معسول الرُّضاب شَتِيت [٢] .

فمنه قوله ، فى الغزل :

راح يَثْنِى عِطْفَه مرِحَا ... أىُّ صَبٍّ مِن هَواه صحَا
مفرَدٌ فى الحسنِ ليس له ... من شَبِيهٍ فاق شمسَ ضُحَى [٣]
ينْجلى فى ليلِ طُرّتِه ... منه مسكُ الخال قد نفَحا
خدُّه وردٌ ومُقْلتُه ... نَرْجِسٌ يسْقِى النُّهى قدحا
مهجتى فى حبِّه تلِفتْ ... واصْطبارى فى الهوى نزَحا
مارأينا مثلَه قمراً ... بالبَها يختالُ مُتّشِحا
قام يسْقِى الراحَ من يدِه ... ضاحكاً مستبْشِراً فرِحا
لو له بدرُ السما لمَحا ... فى ليالى تِمِّه لَمَحا [٤]
كلما أشكو له ترَحاً ... فى هواه زادنى ترَحا

---

(١) فى ب : « قد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) الشتيت من الثغر : المفلج . القاموس (ش ت ت) . (٣) فى ب : « شمس الضحى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) لمحا الأولى : من المحو ، والثانية من اللمح .

هـــذه رُوحى به ذهبتْ صَبْوةً والدمعُ قــد سَفَحا (١)
وعيونِى النـــومُ حارَبَهـــا بعــد هِجْرانٍ وما اصْطلحا (٢)

***

واتّفق له بعد ما أسَنّ ، أنه خلَع الرَّسَن ، وأزاح عن جَفْنِه الوَسَن .
فعشِق غلاماً يُدْعَى برَباح هام به هَيمان الوليد (٣) ، وثبت ثباتَ الحجر الصَّلِيد .
فشاع فيه توَلُّهُه ، وما أقْصر (٤) حبُّه عن تنزُّهه .
وقد علِم أن الإذاعة ، أولُ طبقات الإضاعة .
ولما ثار عدوُّه ، ولم يصْفُ رَواحه وغُدُوُّه .
أقلع عن صَبْوته ، واحْتمى من التخلِّى بجَبْوته .
واتَّخذ الفَراغَ سميرا ، ولم يشْف للسَّلْوة ضميرا .
فما قاله فى أيام لهْوِه ، يتشاغَل به عن فَراغه وسَهْوه :

راق وقتُ الصَّبـــا نَعِمْتَ صباحاً فأدِرْ لى من خمرِ عيْنيك راحاً
عاطِنيهـــا سُلافةً من حــديثٍ تُطرِب السمعَ فى الرياض انْشراحاً
وأعِـــدْ لى حديثَ كلِّ حديثٍ ذاك لا شكَّ يُنْعش الأرواحاً
صاحِ طاب الزمانُ فاجْنِ جَنَى الور دِ من الشَّادِن الأغنّ مِزاحاً
واتْرُكِ الشغـــلَ واشتغلْ بحبيبٍ عَــلّ تلقى من الزمانِ رَباحاً (٥)

***

(١) فى ب : « هذه روحى به تلفت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « وعيون النوم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) لعله يعنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، من ملوك بنى أمية ، ولى الخلافة سنة خمس وعشرين ومائة ، وخلع منها سنة ست وعشرين ، وقتل لحبه للهو ، وانهماكه فى المجون .
الأغانى ٧/١ ، الكامل لابن الأثير ١٠٣/٥ .
(٤) فى ج . « قصر » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ب : « عل تلقى من الأوان رباحا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وكتبتُ إليه أيام ارْتباطه ، ونشاطِه بالصَّبْوة واغْتباطِه .

وقد شغلنى ماشغلَه ، ورأيتُ الرَّأْىَ فى أن أنْصاع له :

مولاى الأعلى ، وسَنَدِىَ الأغْلى .

قد رُميتُ بسهمٍ أنت به[1] مُصاب ، وشربتُ بكأسٍ أنت بها متجرِّعُ صاب .

ولم أدْرِ كيف فرَّطت ، ولا فى أى حَتْفٍ تورَّطت .

غير أن المقدورَ كائن ، والحَيْنَ لا شكَّ حائن .

وسببُ ذلك لَمْحة ، أعقبَتْ محنةً فى مِنْحة .

من قمرٍ بزَغ من فلك المُربَّع ، لم يزدْ على العشْر غير أرْبَع .

لو نظر الوجهَ منــه منهزِمٌ يتبعُه ألفُ فارسٍ وقفــا

شَدَّ[2] بَنْدَ نِطاقِه ، فحلَّ عزائمَ عُشّاقِه .

يحسُد القلبُ طرْفَه إذا لحه بناظرِه ، ويكاتِم سرَّه حتى ليَصونه[3] عن أن يمُرَّ بخاطرِه .

وإذا أهْدى السلامَ لِسَليمِه[4] ، وَلَّى بلُبِّه عن تسْليمه .

فعندما لحتُه ، استملحْتُه

وأنشدت :

ولم أنْسَ لا أُنْسِيتَ وقْفــةَ حائرٍ نَشَدْتُ بها ماضلَّ من شاردِ الحبِّ

رميْتُ بعينى رَمْيــةً سَمَحتْ به فلم أثْنِها إلا ومجْروحُهــا قلبى

سجيَّةُ[5] خاطِرٍ[6] ، فى التعرُّض مُخاطِر .

وبديهةُ وارد ، لرأْيه عنه شارد .

ولم أعرف له مكانا ، ولا ظنَنْتُ له إمْكانا .

---

(١) فى ب : « بها » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « قد مد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « يصونه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) السليم : الملدوغ . يعنى من أصابه هواه . (٥) فى ا : « سجيته » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى ب : « مخاطر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

حتى لقيتُه عندك مائلا ، ولبدر أُفقك مُماثلا .

فقلتُ ههنا تُسكَب العَبرات ، وتُنال على مايُرْضى الربَّ المبرّات .

ووعدْتَ باجتماع(١) ثانيا ، ولم أعْهَدْكَ فى أمرى وانيا .

فقلتُ عسى يلاحِظ سَعْد ، فيُستَنْجَز وَعْد .

ويعدِل زمان ، فيؤخَذ أمان .

وقد زادتْ العلّة ، ولم تَنْقَع الغُلّة .

فما بالكُ تُمطِل مع الغِنى ، وتُحوِج بعد المُنى إلى العَنا .

والمحلُّ مَحَلٌّ جامِع ، ومَطْمَع طامِع ، ومَرائِى راءٍ ، ومُستمَع سامِع .

أيحنُّ سيدى من فَرْطة لسان ، ومَذَمّة إنسان .

وهو المشهود بدِيانته ، المُحامِى على عِفّته وصِيانته .

وإن تورَّط مُتورِّط ، (٢ ورمى بنفسه مُفرِّط ٢) .

فيوشك أن ترميَه جهنمُ بشرارِها ، وأن ترجُمه الملائكةُ بأحجارِها .

وأمّا أنا فلى معك حالٌ ماحال ، وطُروقُ السُّلُوِّ إليه أمرٌ مُحال .

فأنا حافظ ولائِك ، الشاكرُ لِآلائِك .

فتجدنى حيث تَنْجِدنى ، وتعْهَدنى على أبرِّ(٣) ماتعتقدنى .

* * *

ومن غزلياته التى جرّدتُها من شعره ، قوله من قصيدة ، أولها .

تذكَّر للأحبابِ رَبْعًا ومعهدَا	أسيرُ غرامٍ قد أقام وأقعدَا
وأطلق سُحْبَ الدمع من مُقلةٍ غدتْ	قريحةَ جَفْنٍ دمعُها قد تنضّدَا(٤)

---

(١) فى ب : «فى اجتماع» ، والمثبت فى : ا،ج . (٢) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

(٣) فى ب : «أثر» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

أيرجو حياةً بعد بُعْدِ أحبّةٍ ... وأنَّى بها والهجرُ أورده الرَّدَى
يهيم اشتياقاً للحبيب فلا يرى ... سوى مَن أطال اللومَ فيه وفنّدا(١)
أما رحمةٌ للمُستهامِ من الذى ... عَذابى به عَذْبٌ وقتلى تعمّدا(٢)
غزالٌ غزا قلبى بنَبْلِ لحاظِه ... وأضرم أحشائى بهجْرٍ توقّدا
نأى والأمانى طامعاتٌ لقُرْبه ... ولم ألقَ يوماً الأمانىَّ مُنْجِدا
أطال سَقامى بالفؤادِ صُدودُه ... ومُقْلتُه ترمى الجريحَ مدَى المدَى
جميلُ المحيّا يُخجِل البدرَ وجهُه ... وبالحسنِ مابين الأنامِ تفرّدا
يُحجِّب عنى الطيفَ كيما يزورنى ... وكيف يزور الطّيْفُ شخصاً مُسهّدا
رعى اللهُ هاتيك اللطافةَ والبَها ... وحيّى محيّاً جيشَ صبْرِىَ شرّدا
رَشاً صاد بالأصْداغ قلبَ متيَّمٍ ... وأورده بحرَ الهوان وأجْهدا
فمن مُسْعِدى ممّن هواه تمرّجتى ... ألمّ وأبْدَى الفتْكَ فىّ إذا بدا
بديعُ صفاتِ الحسن أحْورُ طَرْفه ... يُرينا إذا ماصال سيفاً مُهنّدا
بروحىَ أفْدِى مَن أنا اليومَ عبدُه ... وأنَّى لروحى أن تكون له الفِدَا(٣)

* * *

وقوله من أخرى ، أولها :

أمِطِ اللثامَ عن الجبين الأزْهرِ ... واسْفِرْ عن الوجهِ الأغرّ الأقْمرِ
وامنَحْ عيونى نظرةً أحْيِى بها ... فلقد فقدتُ تجلُّدى وتصبُّرى
عجباً لقلبى كم يُقاسِى ذِلّةً ... والذلُّ لَذَّ له بغير تضجُّرِ
وعلامَ هذا الجسمُ يحمل للأذى ... وغدا نحيلاً لا يُرَى بالمنظرِ

(١) فى ا : « سوى من يرى اللوم فيه وفندا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « أما رحما المستهام » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ا : « أن تكون له فدا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

حسُنَتْ شمائلُكَ الجميلةُ كلُّها وبدا لعيني منك ما لم يُنْكَرِ
سرقتْ غصونُ البانِ منك تمايُلاً فلذاكَ قد قُطِعتْ وحُقَّ لمفترِى[1]
يافائق الحورِ الحسانِ بوجههِ وجمالِ غُرّتِه المَصونِ المُبْهِرِ
قسماً بوجهك وهْو شمسٌ أشرقتْ وبما بفيكَ من الرُّضابِ المُسْكِرِ
لا حُلْتُ عن مُرِّ الهوى مادمتَ فى قَيْدِ الحياةِ ولو بعثْتُ لمحْشرِ

* * *

وقوله من أخرى ، مستهلها :

صاد قلبى بلحظهِ قمرُ فى مُحيَّاه حارتِ الفِكَرُ
غصنُ بانٍ يَزِينه مَيَسٌ مالِذى اللُّبِّ عنه مُصْطَبَرُ
إن تثنَّى بلين قامتِهِ خِلْتَ منَّا القلوبَ تنفطِرُ
ذو دلالٍ يُرِيك مَنْطِقَه الدُّرَّ لكنَّ قلبَه حَجَرُ
يتهادَى بتيهِ مشيته رافلاً بالجمال يستتِرُ
بهْجةٌ تُدهِشُ المحبَّ عن التيهِ فيها ويُحجَبُ البصرُ
ظَبْىُ إنْسٍ لثغرِه أرَجٌ طيِّبُ النَّشْرِ عَرْفُه عَطِرُ
فَوَّق السهمَ من لواحظِه لفؤادى فأمْرُه خطِرُ
لاحياةٌ لعاشقيه ولا جبْرُ قلبٍ لديْه يُنتظَرُ
تنْقضِى مُدَّةُ الحياةِ ولا لمحبِّيه ينقضِى وَطَرُ
مِلكٌ جائرٌ بدولتِه قد سطا من جُفونه الحَذَرُ
سَمْهَرِىُّ القَوامِ ذو غَيَدٍ أدْعجُ اللحظِ زانه الحَوَرُ
فائقُ الحسنِ لانظيرَ له وردُ خدَّيْه باهرٌ نضِرُ

---

(١) فى ا : «سرقت غصون الروض منك تمايلا» ، والمثبت فى : ب ، ج .

ذو جمالٍ يجلُّ عن شِبَهٍ   في معانيه يرتع النظرُ
كلَّ وقتٍ أذوبُ فيه جوى   آهِ ذاك القضاءُ والقدرُ
ليت شِعْري أراه ينعشني   بلماءٍ ويَحْسُن السَّمَرُ(١)

* * *

وكتب إليَّ وأنا بالروم في صدر رسالة قوله :

مَن لصَبٍّ أوْدَى به الإحتراقُ   وبأحشائه أضرَّ الفراقُ
جعلته يدُ الغرامِ أسيراً   دمْعُه من عيونِه دفَّاقُ
يالقومي قد صاد قلبي غزالٌ   من بني التُّركِ بندُه خفَّاقُ
سمهريُّ القوامِ فاترُ لحظٍ   أيُّ قلبٍ إليه ليس يُساقُ
قام يسطو بمُقْلةٍ في البرايا   والبرايا لحسنِه عُشَّاقُ
حُبُّه حلَّ في الفؤاد كحبِّي   لكريمٍ نوالُه دفَّاقُ
سيدٌ ساد بالكمالِ قديماً   ليس تُحصي صفاتِه الأوراقُ
عالمٌ فاضلٌ إمامٌ همامٌ   بحرُ علمٍ جادت له الأخلاقُ
واحدُ الدهرِ في المعالي فريدٌ   ماجدٌ في مَقالِه مِصْداقُ
إن قلبي ومهجتي وفؤادي   وجميعي لذاتِه أشواقُ
دام في المجدِ راقياً لمعالٍ   ماتعالت شمسٌ لها إشراقُ

* * *

فكتبتُ إليه جوابا ، وصدَّرته بقولي :

كيف تُنبِي عن شوقيَ الأوراقُ   وهْي مثلي جميعها أشواقُ

---

(١) في ب : « ويحس السهر » ، والمثبت في : ا ، ج .

ضاق عن حَصْر ما تُلاقِي نِطاقُ الـ ... وُسْعِ فيمن فِراقُه لا يُطاقُ
روضُ فضلٍ ألفاظُه زاهراتٌ ... بعثتْ طِيبَ عَرْفِها الأخلاقُ
فسقى عهدَ وُدِّه الخصيبَ رَوْ ... رَاقُ الفؤادِي ودمعِيَ الدفَّاقُ[1]
حيث كنَّا وللزمانِ انعطافٌ ... وائتلافٌ ما بيننا واعتلاقُ
وبدورٍ كواملٍ ليس إلَّا ... في الخصُورِ الرِّقاقِ منها مُحاقُ[2]
أشرقَتْني بالدمعِ مذ غرَّبتْني ... لا لأمرٍ بل شأنُها الإشْراقُ
يارفيقي ولا أقول رفيقي ... لِسوَى مَن طِباعُه الإرْفاقُ[3]
كن نَصيرِي على البِعاد بخشي ... منه مالا تقْوَى له العُشاقُ
فلأنتَ المُعينُ إن عَنَّ خَطْبٌ ... وإليك الحديثُ منه يُساقُ[4]
وابقَ واسلمْ ماحَنَّ إلفٌ لإلفٍ ... ودنا نحوَ حِبِّه مشتاقُ

* * *

وكنتُ وأنا بالروم وردَها، فأنشدته قصيدة مدحت بها الشريف أحمد بن زيد[5]، مطلعها[6]:

يجوبُ الأرضَ مَن طلَب الكمالا ... ومن صحب القَنا بلغ السُّؤالا

---

(١) في ب: «فسقى عهد وده الخصب»، والمثبت في: ا، ج.

(٢) المحاق: آخر الشهر القمري، وفيه يضمر القمر، وهو يعني ضمور الخصور. (٣) في ب: «يا رفيق ولا أقل يا رفيق»، والمثبت في: ا، ج. (٤) في ا: «فلأنت للمعين إن عن خطب»، والمثبت في: ب، ج. (٥) الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن الحسن بن أبي نمي.

دفعه اضطراب الأمور في الحجاز إلى التنقل مع أسرته إلى الشام، ثم إلى الروم، وهناك التقى به المحبي، وكانت له به خصوصية زائدة، ومدحه بقصائد طوال.

ندبه السلطان إلى إصلاح الحجاز، وولاه أمره، فدخل مكة وحج بالناس، سنة خمس وتسعين وألف، واستمر شريفا إلى أن توفي سنة تسع وتسعين وألف.

خلاصة الأثر ١/١٩٠.

(٦) القصيدة كلها في خلاصة الأثر ١/١٩١ – ١٩٣.

فعارضها بقصيدة فى مدح الشريف المذكور ، وأنشدنيها ، فلم يعْلَق فى خاطرى منها (١) إلا قوله ، فى (٢) غزلها :

تسربَلَ من مَهابتِـــه جلالَا ... وأشرق وجهُه الباهى جمالَا (٣)
وأصبح رافــلًا فى لازوَرْدٍ ... يَتيه على مُحبِّيـــه دلالَا
وماس بقامـــة غصنًا رطيبًا ... وأرسل من لواحظـــهِ نبالَا
رقيقُ الخصر ذو طَرْفٍ كحيلٍ ... لَعَمْرُ أبيك يأبَى الإكْتحالَا
جَنِىُّ الوردِ فى خــدَّيْه أضحى ... وحارسُه النَّجاشِى صار خالَا (٤)
ترقْرق فيــه ماء الحسن حتى ... ترى ناسُوتَه ماءً زُلالَا (٥)

* * *

وأنشدنى قوله :

إذا عانقْتُ مَن أهــواه يومًا ... وكان القصدُ تقبيلًا بِفيــهِ
ملكتُ عِنانَ نفسى عن هواها ... وإن تلكُ كلَّ وقتٍ تشتهيهِ

* * *

ولمـا مات ، قلتُ أرثيه (٦) :

لهَفِى على الصَّفَدِىِّ فردُ الدهرِ مَن ... لعُلاه كَفُّ المَكرُماتِ تُشيرُ
طـودُ الفضائلِ دكَّه حـكمُ القضا ... فالأرضُ مِن أقصى التُّخوم تَمُورُ
فانظُرْ تجِـدْ عجبًا وقد ســاروا به ... جبلًا غـدا فوق الرجالِ يسيرُ

* * *

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٢) فى ا : « من » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) فى ا : « تسربل عن مهابته جلالا » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) يعنى بعجز البيت سواد خاله .
(٥) الناسوت : الطبيعة الإنسانية . المنجد (ن س ت) .   (٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٣٥٩.

هذا المعنى مما تداولته الشعراء ، ولكن لم يقصِدوا ماقصدتُه من الإشارة لعِظَم الجثّة فإنَّ قصدَهم ليس إلا التوصيف بالحِلم .

فمنهم المتنبّى فى قوله [(١)] :

ما كنتُ آمُل قبل نعشِكَ أن أرَى ... رَضْوَى على أيدى الرجال يَسيرُ [(٢)]

وابن المعتزّ فى قوله [(٣)] :

قد ذهب الناسُ ومات الكمالْ ... وصاح صَرْفُ الدهر أين الرِّجالْ [(٤)]

هذا أبو العبّاس فى نعشِه ... قوموا انْظروا كيف تسيرُ الجبالْ [(٥)]

وأصله قول النابغة الذُّبْيانِىّ [(٦)] :

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نفوسُهم ... فكيف بحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ

وقد أبدع الشِّهاب فى قوله [(٧)] :

قيامةٌ قامتْ بموتِ الذى ... بموتِه مات الندى والكمالْ

فإن شككتُم فانظُروا نعشَه ... وشاهدوا كيف تسير الجبالْ

---

(١) ديوان أبى الطيب ٦٤ ، وريحانة الألبا ٢/٤٢٤ ، وسلك الدرر ١/٢٤٥ . (٢) فى ب : «قبل موتك» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وفى سلك الدرر : «رضوى على ظهر الرجال يسير» .
ورضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٢/٧٩٠ .

(٣) ديوانه ٢/١٣٢ ، ورسالة الحاتمى نشرت فى آخر الإبانة عن سرقات المتنبى ٢٦٢ ، والصبح المنبى ١٣٥ ، ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ١٨/١٦٩ ، وريحانة الألبا ٢/٤٢٥ ، والمحبى ينقل عنها هذا الفصل .

(٤) فى الديوان ، والرسالة ، والصبح المنبى ، ومعجم الأدباء :

* قد استوى الناس ومات الكمالْ *

والمثبت فى أصول النفحة ، والريحانة ، وسلك الدرر .

(٥) فى الديوان ، والرسالة ، ومعجم الأدباء :

* هذا أبو القاسم فى نعشه *

والمثبت فى أصول النفحة ، والصبح المنبى ، والريحانة ، وسلك الدرر .

(٦) ديوانه (التوضيح والبيان) ٩٨ ، والرسالة ٢٦٢ ، والصبح المنبى ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ١٨/١٦٩ ، وريحانة الألبا ٢/٤٢٥ .

(٧) البيتان للشهاب الخفاجى فى سلك الدرر ١/٢٤٥ .

٣٩

زين الدين بن أحمد البُصْرَوِىّ *

هو لِذات الأدب زيْن ، وبه ينْجلى عن القلب كلُّ رَيْن

وكان صَحِيبى من منذ سِنِين ، ولا أعُدُّه فى العِشْرة إلّا من المحسنين .

مَثابتُه عندى مَثَابَةُ (١) الروضِ العاطِر ، ومحلُّه من وُدّى محلُّ القلب والخاطر .

أذكره فأرتاح ارتياحةَ (٢) القُضُب المُلْد ، وأتذكَّره فأشتاق إلى النعيم وجنّة الخُلْد .

وهو من لُطْف الذّات ، وشُفوف الخِصال المُسْتلَذّات .

ممَّن تتحاسَد (٣) عليه الأسماعُ والعيون ، ويُشتَرى يومُ وَصْلِه بنوم الجفون .

(*) زين الدين بن محمد بن أحمد البصروى ، الشافعى الدمشقى .

هكذا ذكر نسبه المرادى .

ولد سنة تسع وثلاثين بعد الألف .

وأخذ عن الشيخ عبد القادر الصفورى الدمشقى ، والشيخ خير الدين الرملى ، ورحل إلى الشيخ يحيى الشاوى المغربى المالكى ، ببلاد الروم ، فأجازه مع جماعة من الدمشقيين .

واشتغل بالتدريس فى المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف ، وإفتاء الشافعية بها .

واستقام بدار الخلافة من الروم مدة ، وصار إماما عند الوزير الأعظم مصطفى باشا ابن الكوبريلى ، وطالت صحبته له ، فكان يتردد إلى دمشق .

كان أديبا شاعرا ، وله يد طولى فى علم التاريخ ، وزاد أشياء فى « تاريخ الإمام جمال الدين محمد بن عزم المغربى » نزيل مكة .

توفى البصروى سنة اثنتين ومائة وألف ، فى منزلة بعزونة ، رابع مرحلة عن بلغراد ، راجعا إلى اسلامبول ، رفقة الوزير الأعظم مصطفى باشا الكوبريلى .

وقد أشار المرادى إلى ترجمة الخفاجى له فى النفحة ، ونقل صدر الترجمة ، وقدرا صالحا مما أورده من شعره .

سلك الدرر ٢/١٢٠ .

والبصروى : نسبة إلى بصرى الشام ، وهى قصبة كورة حوران ، من أعمال دمشق .

معجم البلدان ١/٦٥٤ ، سلك الدرر ٢/١٢٣ .

(١) فى سلك الدرر : « من مثابته » .   (٢) فى ا : « ارتياح » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .   (٣) فى ب ، ج : « تتاسد » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

فرعُ دَوْحِ العُلَى وأصلُ المعـــالى ... نجلُ شيخِ الورى الأجَلِّ الخِيارِى[1]
زُرْه تُبْصِرْ لديه كلَّ جليـــلٍ ... من علومٍ ورائقِ الأشعـــارِ
وحديثٍ ألذَّ من نظرةِ المُـ ... ـشوقِ وَافَى فى غَفْـــلةِ السُّمّارِ
وسَجايا كنَكْهةِ المِسْك والنَّدِّ ... م وورِدِ الرياض غِبَّ القِطارِ[2]

***

وكتب إليه أيضاً فى صدر كتاب[3] :

يُقَبِّلُ الأرضَ حِماها الذى ... ألْثَمها أفواهَ أهلِ العُـــلى
عبدٌ إذا كاتبْتَه ثانيا ... يزْداد رِقًّا لكم أَوْ وَلَا

***

هكذا نسبهما إليه الخِيارِىّ فى « رحلته » ، وهما للبدر الغَزِّىّ[4] ، تمثَّل بهما ، وقد

---

(١) فى ا : « فرع دور العلى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) تمام القصيدة بعد هذا البيت فى سلك الدرر :

دام فى رفعةٍ وأرْغَـــدِ عيشٍ ... ماتَغَنَّتْ بلابلُ الأسْحـــارِ

ثم بعد هذا قصيدة كتبها الخيارى جواباً عليه ، فى صدر كتاب .

(٣) البيتان فى : ريحانة الألبا ١/ ١٤٠ ، وسلك الدرر ٢/ ١٢١ . (٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ، أبو البركات ، بدر الدين بن القاضى رضى الدين ، الغزى ، العامرى ، القرشى .

الفقيه ، المفسر ، المحدث ، النحوى ، المقرئ ، الأصولى ، المناظر ، القانع ، الخاشع ، الأواه .

ولد سنة أربع وتسعمائة

وأخذ على مشايخ عصره ، ثم رحل مع والده إلى القاهرة ، وعاد فتصدر للتدريس والإفادة ، واشتغل بالتصنيف والعبادة .

وشعره قوى حسن ، أكثره فى الفوائد العلمية .

توفى سنة أربع وثمانين وتسعمائة .

تراجم الأعيان لوحة ١٧٢ ا ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب ، ريحانة الألبا ١/ ١٣٨ ، سلافة العصر ٣٨٨ ، شذرات الذهب ٨/ ٤٠٣ ، الكواكب السائرة ٣/ ٣ .

والبيتان له فى : ريحانة الألبا ١/ ١٤٠ ، وسلك الدرر ٢/ ١٢١ .

راجعه عنهما بقوله (١) :

يا أيهـــا المولى الذى ربُّهُ خوَّله من مَنّه الأفْضَلا
كاتبْتَ عبداً ذا وفاء لكمْ ما اخْتار تحريراً ولا أمّلا
أقرَّ بالرِّقِّ لكم أوَّلا والآن إذْ كاتبْته بالوَلا

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، ويخرج منه اسم سليم ، بطريق التَّعمية (٢) :

ولائمٍ لامَ على تركِى طِلًا كالعَنْدَمِ
فقلتُ حَسْبِى قهوةٌ لى فى الثَّنايا والفَمِ

***

وقد تعارَض مع بعض المتأخِّرين فى هذا العمل ، فى قوله (٣) :

إذا عدِمِ الساقى الشرابَ ولم يجدْ شراباً به قلبى يطيبُ ويطربُ
فبين ثناياه ومَبْسِمِهِ لى شرابٌ من القَطْرِ المُذابِ وأعْذَبُ (٤)

***

وخاطبته فى بعض قَدَماته من سفَرٍ (٥) :

قُدومُك زينَ الدين يا خيرَ قادمٍ به ابْتَهج النادِى وضاءتْ قِبابُهُ
فلا مَوْطِنٌ إلا احْتوتْه مَسَرّةٌ ولا كَمَدٌ إلا وأُغلِق بابُهُ (٦)

***

(١) أبيات الخيارى فى سلك الدرر ٢/١٢٢ .

(٢) البيتان فى سلك الدرر ٢/١٢٢ . (٣) نقل المرادى هذا أيضا ، فى سلك الدرر ٢/١٢٢ .

(٤) فى سلك الدرر : « شرابٌ من القطر المروق أعذب » . (٥) البيتان فى سلك الدرر ٢/١٢٢

(٦) فى ب : « إلا حوته مسرة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

وقد فقدتُه أوّلًا فَقْدَ غُربة ، ثم غيَّبتْه فى تلك الغُربة غَيْبة[١] تُرْبة .

فانقطعتْ عنِّى بموته إمْداداتُ الموادّ والمَوادّ ، وهيهات هيهات[٢] أن يُتدارَك ذلك الفَوات .

فرحم اللهُ تلك الروحَ اللطيفة ، ولا برحت سحائبُ الغفران بقَبْره مُطيفة .

***

فممَّا بلغنى من شِعْره ، ما كتبه إلى شيخنا المرحوم إبراهيم الخِيَارِىّ المدنىّ[٣] ، وقد أهدى إليه فُسْتقا[٤] :

لما تركتُ القلبَ عندكمُ ... وغدوتُ مشغوفًا بكم صَبّا
وخشيتُ أن تخْفَى مكانتهُ ... صيّرتْ ما يُهْدَى لكم قَلْبَا

فأجابه بقوله[٥] :

لـمـا علمتَ القلبَ عندكمُ ... أهديْتَ لى من لُطْفك القلبَا
أكرِمْ به من زائرٍ وافَى ... أطفَا اللهيبَ ونَحّ الصَّبّا

***

ومن نَزَع البُصْرَوِىّ ما كتبه جدّى العلامة القاضى مُحِبّ الدين[٦] ، إلى الأستاذ محمد البـكْرِىّ[٧] ، وقد أهداه شيئًا من قلب الفُسْتُق[٨] :

لـمـا تملَّك قلبى حبُّكم فغدا ... مُجرَّدًا منه قلبًا رقّ واستَعرَا

---

(١) فى ا : « عيبة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٣) إبراهيم بن عبد الرحمن بن على الخيارى المدنى الشافعى .
وسيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بالحجاز ، وسيأتى إن شاء الله برقم ٣١٦ .

(٤) البيتان فى سلك الدرر ٢/١٢٢ ، وفيه : « وأهدى إليه علبة مملوءة من قلب الفستق ، وكتب عليها » .

(٥) بيتا الخيارى أيضا فى سلك الدرر ٢/١٢٢ . (٦) محب الدين بن محمد بن أبى بكر ، جد المؤلف.
سيترجمه فى هذا القسم ، ويأتى برقم ٧٨ .

(٧) محمد بن زين العابدين البكرى .
سيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بمصر ، ويأتى برقم ٣٢٤ .

(٨) الأبيات فى سلك الدرر ٢/١٢٢ .

حرَّرْته فغدا طوعاً لخدمتكمْ ... مُحرَّرًا خادمًا وأفاك معتذرًا[1]
فعاملُوه بجَبْرٍ حيثُ جاءكمُ ... مجرَّدًا بمزيدِ الحبِّ منكسِرًا

يقبِّل اليدَ الشريفة ، ويلثِم الراحة اللطيفة .

ويُنهى إلى الحضرة عظَّم الله شأنها ، وصانَها عمَّا شانها .

أنه أهدىَ إليه مايناسب إهداؤه لأرباب القلوب ، ويلائم إرسالُه لأصحاب الغيوب .

فقدَّم العبدُ رجلاً وأخَّر أخرى ، فى أن يُهدىَ لجنابكم الشريف منه قَدْرا .

علْمًا بأنه شىء حقير ، لا يُوازِى مَقامَكم الخطير ، وقد توارَى بالحِجاب حيث وافاكم وهو حَسِير .

وما مَثَل من يُهْدِى مثلَه إلى ذلك الجَناب ، إلا كالبحر يُمْطِره السحاب .

ثم إنه تهجَّم بإهْداء هـذا القدر اليسير ، فإن وقع فى حيِّز القبول انْجبَر القلبُ الكسِير .

* * *

وكتب البُصْرَوِىّ إلى الخيارِىّ أيضاً[2] :

يا نسيماً من رَبْوةِ الشام سارِ ... عُجْ على طَيْبَةٍ أجلِّ الديارِ[3]
وتحمَّلْ منِّى سلامَ مَشوقٍ ... لحبيبِ المهيمنِ المختارِ
ولأصحابه الكرامِ أُولى الجْـ ... ـدِ خصوصاً أمينهِ فى الغارِ[4]
ولقومٍ قد خيَّموا فى ذَراهُ ... قد حَباهمُ مولاهمُ بالجِوارِ
سِيَّما الأروَعُ المهذَّب من حا ... زَ كمالًا ما إنْ له من مُجارِ

---

(١) فى ب ، ج : « مجردا خادما » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٢) قصيدة البصروى فى سلك الدرر ٢ / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) فى ب : « يانسيما من ربوة الشام سارا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . وفى ج : « أجل دیار » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٤) فى سلك الدرر : « خصوصا أنيسه فى الغار » .

٤٠

أحمد بن يحيى الأكْرَمىّ الصالحى*

شيخٌ هرِم ، يحدِّث عن سَيْل العَرِم .

مُناجاته[1] كلُّها سُكْرٌ وأرْى ، وفُكاهاتُه[2] مِلْؤُها[3] شِبَع ورِىّ .

وقد عبَثَتْ به يدُ اللَّأْواء ، فصيَّرتْه[4] طَوْعَ مُقتضَيات الأهواء .

فحالُه أضْيَق من فمِ الحبيب ، وأشدُّ غُصَّةً من يأْس الطبيب .

إلا أنه وإن أرْهقه الدهرُ بصَرْفه ، ونَبَا به كأنه سهادٌ فى طَرْفه .

فصفْحَتُه يُغشِى العيونَ ائْتلاقُها ، وشيمتُه ما غيرُ المكارم اعْتلاقُها .

***

وله شعر جاش به خاطرُه ، فجاء كزهر الرياض فاح عاطرُه .

(*) أحمد بن يحيى بن محمد ، الأكرمى ، الحنفى ، الصالحى ، الدمشقى

خادم مقام الشيخ محيى الدين بن عربى .

شيخ معمر ، أديب شاعر ، وكان مجموعة معارف

توفى سنة أربع ومائة وألف .

سلك الدرر ١ / ٢١٤ .

وقد نقل المرادى صدر ترجمته فى النفحة ، كما نقل شعره عن المحبى ، وزاد عليه .

(١) فى سلك الدرر : « مناغاته » . (٢) فى ج : « وتكاته » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٣) فى ا : « كلها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) فى ب : « وأقصرته » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

فمنه قوله(١) :

ثنيتُ عِنانى عن فتيةٍ يرَوْنَ من العار علمى وكُتْبى
وكانوا صِحابى على زَعْمهِمْ وكلُّهمُ قد تهيّا لحرْبى
فأعرضتُ عنهم لهم قاليا ولم آلُ جُهْداً بشتمٍ وسبّ
وإذْ ذاكَ لو هتفُوا بى هَلُمَّ لمَا كنتُ ياصاحِ ممَّن يُلبِّى

* * *

وقوله(٢) :

أقول لأهيَفٍ أضحى بقلبى مُقيماً باختيـــارٍ وانقيادِ
أيا حُلْوَ اللَّمَى واصِـــلْ مُحِبّاً ولا تقْصِـــد مُحِبَّك بالبِعادِ
وبَرِّدْ غُلّتى بالوصْـــلِ إنّى أخاف عليك من حَرِّ الفؤادِ

* * *

وقوله(٣) :

سَقْياً لموقفنا العشيَّةَ بالحِمَى نشكو الغرام ولفظُنا الألحاظُ
وعواذلى لمـا تشابَهَ أمرُنا هجَعوا أنّى لـكنّهم أيقاظُ
فـكأنّنا المعنى المُرادُ لطافةً وكأنّهم فى ضِمْنها ألفاظُ(٤)

* * *

وله من قصيدة ، مطلعها(٥) :

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ١/٢١٥ . (٢) سلك الدرر ١/٢١٥ . (٣) الأبيات فى سلك الدرر ١/٢١٥ . (٤) فى سلك الدرر : « وكأنهم فى ضمنه ألفاظ » . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ١/٢١٥ ، ٢١٦ .

لكَ لا لغيركَ فى البَرِيّةِ أعْشَقُ ... يا مَن به ثوبُ الحشا يتمزّقُ
يا مُخجِلَ القمرِ المنيرِ وفاضحَ الظَّـ ... ـبْيِ الغريرِ لكَ الجمالُ المُشْرِقُ
إنى أضعتُ جميعَ عمرى رغبةً ... فى أن يُرَى لى من ودادك مَوْثِقُ
يا مَن به أضحى فؤادى راتعاً ... فى روضـــةٍ بجمالهِ تتنمّقُ
وغدا لســـانى ناطقاً فى حبِّه ... بمدائحٍ تعلو ومدحٍ يشرِقُ[1]
ياعاذلى فى غـــير حبِّكَ مَطْمَعٌ ... كلاَّ ولا قلب يميلُ فيعشقُ[2]
أُمسِى وأُصبِحُ فى هواكَ بمُقلةٍ ... تَنْدَى وقلبٍ من جلالك يخفقُ
باللهِ يا فردَ الورى فى حسنِه ... ارحمْ فريدَ هواكَ فهْو الأليَقُ
وتلافَ قبل تلافِهِ فلقد غدا ... فى نَزْعِ ثوبِ الإصْطِبارِ يمزّقُ[3]
واسألْ مُضاجعةَ الضَّنَى ورفيقَه ... أعنى النحولَ ترى الهوى وتصدّقُ

* * *

ومن مقاطيعه قوله[4]:

وقالوا الذى تهْواه أصبح هاجراً ... وقد كان قِدْماً واهباً لنوالِهِ[5]
فقلتُ لهم ماذا يَضُرُّ لأننى ... شغلتُ به عن هجرِه ووِصالِهِ[6]

* * *

---

(١) فى سلك الدرر : « بمدائح تعلو ومجد يشرق » ، وهى الرواية الصواب . (٢) رواية البيت فى سلك الدرر :

ياعاذلى فى غـــير عذلك مطمع ... كلا فلا قلب يميـــل فيعشق

وهى رواية أسلم ، وأقرب للمعنى المراد .

(٣) فى ب : « بالله يافرد الجمال بحسنه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٤) سلك الدرر ٢١٦/١ . (٥) فى ا : « أصبح تاجرا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٦) فى ا : « ماذا يضير » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

قوله : « شغلت » مضمّن من قول بعضهم :

وقائــــلةٍ أنفقتَ عمــــرَكَ مسرفاً
على مسرفٍ فى تيهــــه ودلالِهِ
فقلتُ لهــــا كُفّى عن اللوم إننى
شُغِلتُ به عن هجرِه ووصــــالِهِ [1]





---

(١) فى ب : « كفى الملام لأنى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

﴿ فصــــل ﴾

ذكرتُ فيه طائفـةً تتلو تلك ، من الشعراء الذين كل منهم لزينة الحياة دُرَّةُ سِلْك .

قد جمعنى وإياهم الزمانُ والمكان ، وأراهم خلفوا مَن دخل فى خبر كان ، على أبدعِ ما فى الإمكان .

وهب الله لهم أعماراً بقــدْر ما يرضيهم ، ولا أعْدَمنِي التمتُّعَ بآدابهــم على تنائِي أراضيهم .

وكفانا ما نرجع إليه من تجازِى النِّيَّات ، إنه العــالم بالخفيَّات ، والمطّلع على ما تتــكافى به الطويَّات .

فمنهم :

٤١

عبد الرحمن بن إبراهيم المَوْصِلِى*

هو فى المَيْدان سابقٌ طَلْقٌ عِنانهُ ، وكأنما خُيِّر الصوابُ بين بيانِه وبَنانِه .

من ملأٍ رتعُوا بأنْضَر خَمِيلة ، وبذلوا ماشاء السماحُ من عارفةٍ جميلة .

مكانُه فى السَّراة ذِرْوةُ التَّمام (١) ، ولِيديه فى الجود آثارُ الغمام .

(٢ لا يَتبوَّأُ إلا ظلَّ ٢) الكرامة الأَنْدَى ، ولايبيتُ إلا حيث المُحَلَّقُ (٣) والنَّدَى .

(*) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الموصلى ، الشافعى ، الميدانى ، الدمشقى ، الصوفى .
ولد سنة إحدى وثلاثين وألف .
وطلب العلم ، ومهر ، وساد ، وأقبل على دواوين الشعر وكتب الأدب .
وكان أديبا فاضلا ، بارعا ، ناظما ، وكان معتقدا عند خاصة الناس وعامتهم ، شيخا للصوفية فى وقته .
توفى سنة ثمانى عشرة ومائة وألف ، ودفن بتربة مسجد التاريخ ، فى ميدان الحصار .
سلك الدرر ٢/٢٥٩ ـ ٢٦٦
هذا وقد نقل المرادى ترجمة المحبى له ، وزاد عليها .

(١) فى سلك الدرر : « التمام » وهى رواية حسنة . (٢) فى سلك الدرر : « لاينبىء إلا عن ظل » .

(٣) المحلق هو عبد العزى بن حنتم بن شداد الكلابى العامرى .
ومن خبره أنه كان مئناثا مملقا ، فلقى الأعشى ، وأخذ بخطام ناقته ، ونحر له ناقته ، وسقاه ، وأقبلت بناته يغمزنه ويمسحنه ، فسأل الأعشى عنهن ، فقال : بنات أخيك ، وهن ثمان شريدتهن قليلة .
ووافى الأعشى سوق عكاظ ، فأنشد الناس :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ كثيرة ... إلى ضوء نار باليَفــــاع تحرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانهـــــا ... وبات على النار النــدى والمحلَّقُ
رضيعَىْ لبـــانٍ ثدىِ أمٍّ تحالفا ... بأسحمَ داجٍ عَوْضُ لانتفرَّقُ

فسلم عليه المحلق ، فقال له : مرحبا ياسيدى بسيد قومه . ونادى : يامعشر العرب ، هل فيكم مذكار يزوج ابنه إلى الشريف الكريم !

=

وقد متّعنى الدهرُ بُرْهةً بحضرته ، فتقلبتُ معه فى بهجة العيش ونَضْرته .

وسمعتُ لفظًا غذاء الرُّوح ، (١ وشاهدتُ خُلقًا فيضَ الملائكة والرُّوح ١) .

إلى تثبُّتٍ يستخفُّ الجبالَ الرَّواسِى ، وانْعطافٍ يُلين القلوبَ القواسِى .

وأنا من ذلك العهد لا أفترُ عن تذكُّره بخاطرى[٢] ، وأتمثّل شخصَه فى ضميرى حتى كأنه حاضرِى .

وله أشعارٌ كلُّها نُكَت للمُتَمَلِّى[٣] ، ومُلَح للذيق[٤] المُسْتحْلِى .

وفيه نُخَبٌ للفتّاك ، وسُبَحٌ للنُّسّاك .

يقول ما يَشاء فَتَسْتَحْسِنُه ، وتُرِيد الطيرُ تحْكيه فلا تُحْسِنُه .

***

وقد أثبتُّ له[٥] ما يسترقص[٦] الجمادات طربًا ، ويترك فى كل قلبٍ مضطربًا[٧] .

فمنه قوله[٨] :

عجَز الرُّقاةُ عن الحجى ورُقائِه ... وكذا الأُساةُ عن الهوى ودوائِه[٩]

نَكِلتْهمْ الأعْشابُ وَيْحَ كُبادهمْ ... لم يعلموا ما حلَّ فى سَوْدائِه[١٠]

حُلوا المراكبَ والعزائمَ واتركوا ... كُلًّا يروح مُزَمَّلًا ببلائِه

أبنِى الصَّبابةِ والهوى مِن بعدنا ... إنِّى لكم هيهات من زَرْقائِه[١١]

= فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها .

الأغانى ٩/١١٣ ، وانظر ديوان الأعشى ٢١٦ ، ٢٢٥ .

وإنما سمى محلقا ؛ لأن حصانا له عضه فى وجنته ، فخلق حلقة . الأغانى ٩/١١٥ ، أو أصابه سهم فكوى بحلقة . القاموس (ح ل ق) .

وضبط ابن منظور (المحلق) بكسر اللام . انظر اللسان (ح ل ق) ١٠/٦٤ .

(١) تكملة من سلك الدررعلى مافى الأصول . (٢) فى ب : « فى خاطرى » ، والمثبت فى : ا ، ج.

(٣) فى سلك الدرر : « المستملى » . (٤) كذا بالأصول وسلك الدرر ، ولعلها : « للذائق » .

(٥) فى سلك الدرر : « منه » . (٦) فى ا : « يترقص » ،والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر.

(٧) فى سلك الدرر : « مطربا» . (٨) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٦٠ .

(٩) مصدر رق : رقيا ، ورقيا ، ورقية . وفى سلك الدرر : «عن الأسى ودوائه» . (١٠) فى الأصول : « ويح كبارهم » ، والمثبت فى سلك الدرر . (١١) لعله يعنى أنه سيبصرهم به ، كما كانت زرقاء اليمامة تبصر الشىء من مسيرة ثلاثة أيام ، فتبصر قومها .

ليس الهوى بسفاهةٍ من كالحٍ ... فدعوا الغرامَ ومُنتدَى علوائِهِ (١)
إن الصِّيانةَ واللّطافةَ والحيا ... علَمٌ عليه يدلُّ من أسمائِهِ
فهي الأمانةُ أنبأتْ عن فضلِ مَن ... فَتقَ العبيرَ وخصَّه بردائِهِ

* * *

وقوله من أبيات (٢) :

لئنْ كنتُ أسعى كلَّ حينٍ إليكمُ ... وتعكسُني الآمالُ عن حبِّكم غصْبَا (٣)
فلي أسوةٌ بالنجمِ للشرقِ سيرُه ... مدَى الدهرِ والأفلاكُ تنْحُو به الغرْبَا (٤)

* * *

هذا من قول الأرّجاني (٥) .

أنحُوكمُ ويردُّ وجهي القهقرَى ... عنكمْ فسيْرِي مثلُ سيْرِ الكوكبِ
فالقصدُ نحو المَقصدِ الأقصى لكمْ ... والسيرُ رأْيَ العينِ نحو المغْربِ (٦)

* * *

وقوله (٧) :

سلبُوا الغصونَ مَعاطفًا وقُدودَا ... وتقاسَموا وردَ الرياضِ خُدودَا
طعنُوا القلوبَ بما تلاشَى دونه ... طعْنُ الرماحِ وسدَّدُوا تسْديدَا

---

(١) فى سلك الدرر : « مدعوا الغرام » . (٢) البيتان فى سلك الدرر ٢ / ٢٦٠ .
(٣) فى سلك الدرر : « وتوكسنى الآمال عن حبكم غصبا » . (٤) فى سلك الدرر : « والأفلاك تهوى به الغربا » . (٥) أبو بكر ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين الأرجانى القاضى .
ولى القضاء بتستر ، وعسكر مكرم ، واشتغل بالتدريس ، فى نظامية أصبهان .
وهو شاعر جيد الشعر ، رقيقه .
توفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .
معاهد التنصيص ٢ / ٥ ، المنتظم ١٠ / ١٣٩ ، وفيات الأعيان ١ / ١٤٩ .
والبيتان فى ديوانه ٥٧ ، وسلك الدرر ٢ / ٢٦٠ .
(٦) فى الديوان : « فالقصد نحو المشرق الأقصى لكم » ، وفى سلك الدرر : « فالقصد نحو المقصد الأسنى لكم » . (٧) أى وقول المترجم ، والقصيدة فى سلك الدرر ٢ / ٢٦٠ ، ٢٦١ .

فتنُوا الورى بلواحظٍ وتجاوزوا ... بالفتكِ من نَهْبِ العقولِ حدودَا
وتقاسموا أن لا يُراعُوا ذِمَّةً ... لِمُتيَّمٍ أو يحفظون عهودا (١)
تركوا الُحلِيَّ شهامةً واستبْدلوا ... حُلَلَ المحاسنِ والبهاء وُرودَا (٢)
فغدَوْا بها مستعبِدِين أُلِي النُّهَى ... مما يَشِيقك طارفًا وتليدَا (٣)
نظمُوا الثنايا فى المباسمِ لُؤلُؤًا ... تحت الزُمُرُّدِ والعقيقِ عُقودَا
تخِذُوا البَنَفْسج فى الشَّقيق عوارضًا ... والياسمين مَعاصمًا وزُنودَا
بدَلوا الخصُورَ من الخناصرِ رِقَّةً ... واستَبْدلوا حُقَقَ اللُّجيْن نُهودَا
فهمُ الملوكُ الصائلون على الورَى ... وهمُ الظِّباء القائدون أُسودَا
نظروا إلى الجوْزاء دون محلِّهمْ ... فغدَوْا على هامِ السِّماكِ قُعودَا (٤)
من كلِّ من جعَل الدجى فرعًا له ... والبدرَ وجهًا والصباحَ الجِيدَا
ريَّان من ماء النعيم إذا بدَا ... خرّتْ له زُهْرُ النجومِ سجودَا
كالماء جسمًا غيرَ أن فؤادَه ... أضحى على أهلِ الهوى جُلْمودَا
تزْدادُ من فَرْط الحياء خدودُه ... عنــد استماع تأوُّهِي توْريدَا
لو أبصر النُّصاحُ فائقَ وجهِه ... عذلوا العذولَ وحاربوا التَّفْنِيدَا (٥)
أو لو رآه راهبٌ من بِيعةٍ ... ألْقَى الصليبَ ولازم التَّوحيدَا
كم ذا تذكِّرنى العقيقَ خدودُه ... والطَّرْفُ حاجِرَ والعِذارُ زَرُودَا (٦)

---

(١) هــذا البيت ساقط من : ب ، ج ، وسلك الدرر ، و « يحفظون » كذا بالأصل ، ولا يستقيم الوزن إلا به . (٢) فى سلك الدرر : « حلل المحاسن والبهاء برودا » . (٣) شاقه : شــده وأوثقه . القاموس (ش و ق) . (٤) فى سلك الدرر : « فغدوا على هام السماك قعودا » .

(٥) فى سلك الدرر : « وجانبوا التفنيدا » . (٦) العقيق : اسم لمواضع عدة . انظر معجم البلدان ٣/٦٦٩ ، والشاعر يلحظ الجوهر أيضا المسمى بالعقيق ، وهو حجر كريم .

وحاجر : موضع قبل معدن النقرة . معجم البلدان ٢/١٨٢ .

وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الــكوفة . معجم البلدان ٢/٩٢٨ .

وهذه المواضع الثلاثة مما يكثر ذكره فى الشعر ، ولا يراد به المــكان بعينه .

وإذا بدا مُتلفِّتاً من عُجْبِــــه ... بالجيد أذكرنى طَلاه الغِيدَا[١]
ماالظَّبْيُ أحسنَ لَفْتةً من جيدِهِ ... عند النِّفارِ وإن أقام شهــودَا
يحْمِى اللَّمَى والخدَّ عقربُ صُدْغِه ... عن واردٍ أو من يروم وُرودَا
قد رقَّ منه الخصْر حتى خِلْتُه ... عند اهْتزازِ قوامِــــه مفْقودَا
ما خَلْقُه إلا النسيمُ إذا سرى ... بين الرياضِ وإن أطال صُـدودَا

***

قلت[٢] : لولا أن قصْدِى اسْتجلابُ الثناء لهذا الأديب ، لَضنَنْتُ بهـذه الأبيات خوفاً من أن لا يُراعَى حقها عند أهل التأْديب .

ولوَدَدتُ لو عُلِّقت فى جبهـة الأسـد الـكاسِر ، أو ضُمَّت للنَّيِّرات[٣] فى الفلَك العاشر .

وقد عارض بها الأبيات المشهورة ، المنسوبة إلى محمد الشهير بعبد الله ، وهى هذه :

غصبُوا الصباحَ فقسَّموه خدودَا ... وتناهبوا قُضُبَ الأراكِ قدودَا
وتظافروا بظفائرٍ أبْدتْ لنا ... ضوءَ النهار بليلهـا معقودا[٤]
صاغوا الثغورَ من الأقاحِ وبينها ... ماءُ الحياةِ قد اغْتدى مورودَا
ورَأَوْا حصى الياقوتِ دون نحورِهم ... فتقـلَّدوا شُهُبَ النجوم عُقودَا
واستودعوا حَدَقَ المها أجفانَهمْ ... فسَموْا بهِنَّ ضَراغماً وأُســودَا
لم يكفِهم حدُّ الأسنَّة والقنـا ... حتى استعاروا أعيُناً ونُهودَا[٥]

***

---

(١) فى ا : « أذكرنى طلا والغيدا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) نقل المرادى هـذا القول أيضا ، فى سلك الدرر ٢/٢٦١ . (٣) فى ا : « للنيران » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) كذا فى الأصول ، وسلك الدرر : « وتظافروا بظفائر » ، ولعلها : « وتضافروا بضفائر » إذ هو المناسب للمعنى ، فلعل النساخ كتبوا الضاد ظاء كما ينطقها بعض الناس ، ومن معنى التظافر التضافر . (٥) فى سلك الدرر : « لم يكفهم خد الأسنة والقنا » .

رُوِى مُسنَداً إلى أبى عمر[١] [٢]بن شامل[٢] المَالَقِىّ[٣] قال : لقيتُ يوماً الشيخ الخطير أبا محمد بن على[٤] المَالَقِىّ ، وكان رجلا صالحا مُجاب الدعوة فقال لى : أنشدنى .

فأنشدته الأبيات المنسوبات إلى محمد الشهير بعبيد الله ، وهى هذه المذكورة .

قال : فلما أتْمَمْتُها[٥] صاح الشيخ ، وأُغمِىَ عليه ، وتصبّب عرقا ، ثم أفاق بعد ساعة ، وقال : يابنى ، اعذرنى . فشيئان يقْهرانى ، ولا أتملَّكُ عندهما نفسِى : النظرُ إلى الوجه الحسن والشعر المطبوع .

* * *

وبيت النهود مما يكثر السؤال عنه ، وقد رأيت فى شعر ابن عمّار الأندَلسىّ[٦] بما هو مثله .



وهو[٧] :

كُفَّ هذا النَّهْدُ عنّى فبقلبى منه جُرْحُ
وهو فى صدرِكَ نَهْدٌ وهْو فى صدرى رُمْحُ

---

(١) فى سلك الدرر : « أبو عمرو » . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٣) نسبة إلى مالقة : مدينة بالأندلس عامرة ، من أعمال رية ، سورها على شاطىء البحر ، بين الجزيرة الخضراء والمرية . معجم البلدان ٤/٣٩٧ .

(٤) ساقط من سلك الدرر . (٥) فى ا ، ج : « أتمتها » ، وفى ب : « أتيتها » ، والمثبت فى سلك الدرر . (٦) أبو بكر محمد بن عمار الأندلسى ، ذو الوزارتين

وزر للمعتمد بن عباد ، وخلع عليه المعتمد خاتم الملك ، ولقبه بالإمارة ، واستنابه على مرسية ، فعصى بها وتملكها ، ثم تمكن منه المعتمد وقتله سنة سبع وسبعين وأربعمائة

شذرات الذهب ٣/٣٥٦ ، قلائد العقيان ٨٣ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٦٩ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ١٦٩ ، المغرب فى حلى المغرب ١/٣٠٩ .

(٧) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦١ .

وأنا لم أدركْ وجهَه ، ثم رأيتُ في شعر ابن خلوف(١) ما بيَّنه بعضَ البيان ، في قوله(٢) :

وقُدودٍ كأنهنَّ رِماحٌ ... قد علَتْها أسِنَّةٌ من نُهودِ

* * *

وأنشدني المَوْصِليّ لنفسه قولَه(٣) :

هم يحسَبون دموعَ العينِ مذ عطَفوا ... هي الدموعُ التي يوم النَّدى تَرِدُ

وإنما هي نَصْلٌ حَلَّ في كبِدي ... من نَبْلِ جَفْنٍ ولم يشعُر به أحَدُ

فانحلَّ ماءً وقد أمسَى يُقطِّره ... من اللهيبِ دموعاً ذلك الكَبِدُ

* * *

ومن غَزليَّاته الرقيقة ، التي هي السحرُ في الحقيقة ، قوله :

أما وبياضِ الدرِّ من ذلك الثغرِ ... وما فيه من خمرٍ وناهيكَ من خمرِ

أمانًا وما بالطرفِ من كلِّ صارمٍ ... يجول بأجْفانٍ مُلِئْنَ من السحرِ

يصول به في الناسِ ألطفُ شادنٍ ... بقلبٍ على العشاقِ أقسى من الصَّخْرِ

أسال عِذارًا فوق خدٍّ كأنه ... سلاسلُ مسكٍ في صِحافٍ من التِّبْرِ

وإلَّا فنَمْلٌ دبَّ فوق شقائقٍ ... مُبلَّلُ أطرافِ الأناملِ بالحِبْرِ

بعيدُ مَناطِ القُرْطِ أشهى لمُعسِرٍ ... إذا ماس تِيهًا بالدلالِ من اليُسْرِ

وأحْلى من الماءِ الزُّلالِ على الظَّما ... وأوْقعُ معنًى في النفوس من النصرِ

يكاد من القُمصانِ لولا وِشاحُه ... إذا فُكَّتِ الأزْرارُ من لطفِه يجري

فكم ثَمَّ دون الجِيدِ منه مآربٌ ... من الخَصرِ تدعو العاشقين إلى النَّحْرِ

---

(١) في ا : « ابن خلاف » ، والمثبت في : ب ، ج وسلك الدرر ، ولعله شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الخلوف ، بفتح الخاء واللام المشددة المضمومة .

شاعر تونسي ، اتصل بالسلطان عثمان الحفصي ومدحه .

وتوفي بتونس ، سنة تسع وتسعين وثمانمائة .

الضوء اللامع ٢/١٢٣ ، وانظر الأعلام ١/٢٢١ .

(٢) البيت في سلك الدرر ٢/٢٦٢ . (٣) الأبيات في سلك الدرر ٢/٢٦٢ .

فمذ خبّرونى أن كوكبَ خدِّهِ ... يُقارنه المرّيخُ أحسستُ بالشرِّ (١)
ركبتُ هواه بُكْرَةَ العمرِ راكباً ... مطايا شبابى وارْتياحى مع الفجرِ (٢)
فأشفقتُ منه فى الظهيرة راجلاً ... يُرينِى نجومَ الأُفْقِ فى ظُلمةِ الهَجْرِ (٣)
متى قلت هذا الصُّدْغُ أبْدى عقارباً ... وإن رمتُ أجْنِى الوردَ أحماه بالجمرِ (٤)

***

« أحماه » مثل حَمَاه ، إلّا أنه يُقال فيما امتنع وتُنُوْدِر ، كما هنا .

***

وإن مِلْتُ نحو الثغرِ قالتْ عيونُه ... يَزِيدك هذا الخمرُ سكراً على سُكْرِ
قريبُ مَرام النفس لطفاً وإنه ... لأعلى مَنالًا فى الأنامِ من البدرِ
تَرقَّى به شعرِى فعزَّ منالُه ... وأمْسَى كعِقدِ الدُّرِّ يزهُو على الصدرِ
لئن جادتِ الأيامُ يوماً بوصله ... يميناً فإنى قد صفحتُ عن الدهرِ

***

قوله : « وإلا فنَمْلٌ » إلخ ، من قول الوزير المغربىّ (٥) :

أوحَى لوجْنتِه العِذارُ فما ... أبقَى على وَرَعى ولا نُسُكِى

---

(١) فى سلك الدرر :

ومذ خبّرونى أن كوكبَ خدِّه ... يقارنه المريخُ أيقنتُ بالشرِّ

(٢) فى سلك الدرر : « وارتياحى مع الهجر » . (٣) فى سلك الدرر : « فى ظلمة الفجر » .

(٤) فى ب : « أهدى عقاربا . . . أحماه بالخصر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٥) أبو القاسم الحسين بن على المغربى الوزير .

ولد بمصر ، وهرب إلى الشام بعد أن قتل الحاكم الفاطمى أباه ، ثم دخل بغداد ، ومنها إلى الموصل؛ حيث كتب لقرواش بن المقلد ، واستوزره مشرف الدولة البويهى ببغداد ، ثم ترك الوزارة واضطربت أحواله ، إلى أن توفى بميافارقين سنة ثمانى عشرة وأربعمائة .

تتمة اليتيمة ١/ ٢٤ ، دمية القصر ١/ ٩٤ ، شذرات الذهب ٣/ ٢١٠ ، لسان الميزان ٢/ ٣٠١ ، معجم الأدباء ١٠/ ٧٩ ، المنتظم ٨/ ٣٢ .

والبيتان فى سلك الدرر ٢/ ٢٦٢ .

وكأن نَمْلًا قد دَبَبْنَ بها ... غُمِسَتْ أكارِعُهنّ في مِسْكِ[١]

ثم رأيتُ ماهو عينُ الأخذ ، في قول العزّ[٢] البغداديّ :

كأن عِذارَيْه اللّذَيْن تراسلا ... هلالان من مسْكٍ وبينهما بدرُ

مُنَمنَمةٌ فوق الخدودِ كأنها ... مشَى فوقها نملٌ بأرجلِه حِبْرُ[٣]

* * *

وقد ضمّن[٤] هذا المصراعَ بعينه ، في[٥] أبياته المشهورة ، حيث قال[٦] :

أنَبْتُ عِذارٍ أم شقائقُ روضـةٍ ... مشَى فوقها نَمْلٌ بأرجـلِه حِبْرُ

أم العنبرُ المفْتوتُ من فوق وَجْنةٍ ... أسالته نارُ الخـدِّ فانْبَهم الأمرُ

فحيّي عِـذاراً أذهل الصبَّ مُذْ بدا ... وإن ضلّ فيه العَقْلُ واخْتَلط الفكرُ[٧]

يَتيهُ به لَدْنُ القَـوامِ مُهفْهَفٌ ... له في اخْتلاسِ العقل من حُسْنِه غَدْرُ[٨]

هلالٌ إذا ما قلت أمسى جَبِينُـه ... صدقْتَ ولٰكن دون طلعتِه البدرُ

تعـلَّم منه الظبيُ لَفْتةَ جِيدِه ... ومن طرفِه الوَسْنانِ يُستَنْبَط السحرُ

متى صافحتْ سمْعِي رقائقُ لفظِه ... ترى كلّ عضوٍ فيَّ داخَلَه السكْرُ[٩]

يُمازِج ألفاظَ البلاغـةِ صوتُه ... فيبْدو لنا دُرًّا وفي ضِمْنه خمْرُ[١٠]

---

(١) في ب : «لو كان نملا» ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) في سلك الدرر ٢/٢٦٢ : « المعز » . والبيتان فيه . (٣) في سلك الدرر : « منمنمة فوق الخدود كأنما » .

(٤) في ا ، ج : « تضمن » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر . (٥) في ب : « من » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٦) القصيدة في سلك الدرر ٢/٢٦٣ . (٧) في ب : « أدهش الصب » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٨) في ا : « يميس به لدن القوام » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وفي ا ، وسلك الدرر : «له في اختلاس العقل من حسنه غدر» ، والمثبت في : ب ، ج .

(٩) في ب : « متى صافحت سمعي رقائق ريقه » ، وفي ج : « متى صافحت سمعي مذاقة لفظه » ، وفي سلك الدرر : « متى صافحت سمعي مدامة لفظه » ، والمثبت في : ا ، وفي ب : « أرى كل عضو » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (١٠) في ب : «فيبدو لنا در» على الرفع ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

وتشكو ارْتجاجَ القُرطِ صفحةُ جِيدِهِ   كما بات يشكو من غدائرِهِ الخَصْرُ(١)
يُخَبِّرُ عن كأسِ المَنونِ بصَدِّهِ   ويقْتلني منه إذا هجَرَ الهجرُ
به غَزَلِى أضْحى وفيه مدائحى   ومنِّى لمعنى حسنِه النظمُ والنثرُ

* * *

وقوله : « يكاد من القُمصان لولا وشاحه » ، من قول بعضهم(٢) :

أخْشى التَّماسَ يديْه من تَرَفٍ به   وأظنُّه لولا الغلائلَ سالا(٣)

خالد الكاتب(٤) :

قد صاد قلبى وصار يملكه   فكيف أسلُو وكيف أترُكُه
رطيبُ جسمٍ كالماء تحسَبه   يسلُكُ فى القلبِ منه مَسْلَكُهُ
يكاد يجرى من القميصِ من النَّعمةِ لولا القميصُ يُمْسِكُهُ

* * *

وقوله : « فأشفقت منه » إلخ ، العرب تصف اليوم الشديد بظهور النجم فيه :

قال أبو صَخْر الهُذَلِىّ(٥) :

إنِّى أرَى والطرف فى سَيْرِى   وَضَحَ النهارِ وعالِيَ النَّجْمِ(٦)

---

(١) فى ب : « صفحة خده » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٢) البيت فى سلك الدرر ٢/٢٦٣ . (٣) فى ب : « أخشى التماس يديه من ترفه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وفى ا : « وأظنه لولا الغلائل سائل » ، وفى ب : « وأظنه لولا الغلائل سائلا » ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر . (٤) تقدم التعريف به ، صفحة ٣٦٣ . (٥) البيت لأبى صخر الهذلى ، فى شرح أشعار الهذليين ٢/٩٧٣ ، وصدره مختلف عما ورد فى النفحة ، والبيت هناك مرتبط بسابقه ، وهما :

ويقَرُّ عينى وهْى نازحةٌ   مالا يقرُّ بعينِ ذى الحِلْمِ
أنِّى أرَى الذى قد أظُنُّ أنتَ ترى   وَضَحَ النهارِ وعالِيَ النَّجْمِ

(٦) فى ج : « إنى أرى والطير فى سيرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر .

وقد تصرَّف فيه المتأخِّرون وتظرَّفوا ، كابن لُؤْلُؤ[1] فى قوله :

أمولاىَ أشكو إليك الُخمارْ وما فعلتْ بى كؤوسُ العُقارْ
وجَوْرَ السُّقاةِ التى لم تزلْ يُرِينى الكواكبَ وَسْطَ النهارْ

ولُمجِير الدين بن تَمِيم[2] :

بأبى أهْيَف تبدَّى وحَيَّى بابْتسامٍ عدِمتُ منه اصْطبارِى
فأرانى بوجْهِه ومُحيَّا هُ نجُوماً أُطْلِعْنَ وَسْط النهارِ

ولقد أبدع وأغْرَب الشهاب الخفاجِيّ ، فى قوله من قصيدة نبويَّة[3] :

أتى يومَ بدرٍ وهْو بدرٌ تَحُفُّه نجومُ سماءٍ أطْلعتْها كتائبُهْ
فمذ برزوا فى النَّقْع شاهدتِ العدى بهم يومَ بُؤْسٍ لا تغيبُ كواكبُهْ

* * *

والمترجَم معارِضاً أبيات الشاب الظَّرِيف[4] ، فى قوله[5] :

يا أحكمَ الناسِ أسيافاً بأسْيُفهمْ فى مُهْجةِ الصبِّ فتكاً دونه الأجَلُ
وأنورَ الوجهِ فى الدَّيْجورِ من قمرٍ تحت الأكاليلِ مَسْبُولٌ ومُنْسَدِلُ

---

(١) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى ، كان شاعرا ماهرا ، توفى بدمشق ، سنة ثمانين وستمائة .
شذرات الذهب ٥/٣٦٩ ، النجوم الزاهرة ٧/٣٥١ .
والبيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦٣ .

(٢) محمد بن يعقوب بن على الإسعردى ، مجير الدين بن تميم .
كان جنديا محتشما ، شجاعا ، مطبوعا كريم الأخلاق ، بديع النظم ، رقيقه ، لطيف التخيل .
سكن حماة ، وخدم الملك المنصور .
وتوفى بها ، سنة أربع وثمانين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٥٣٨ .
والبيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦٣ .

(٣) فى ب : « هائية » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، والبيتان فيه ٢/٢٦٤ .

(٤) تقدم التعريف به فى صفحة ٣٨ . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٦٥ .

مَا السحرُ أَلعبَ فى الألبابِ من حَدَقٍ ... دار الشَّمول به من طَرْفِك الكَحِلِ[1]
كلا ولا البرقُ للأبصار أخْطفُ من ... شقائقِ الخدّ إن وافى بك الخجلُ
من نَظْمِ ثَغْرِكَ وهْو الدرُّ مبتسِمٌ ... خمرٌ يَزِيدك فيـــه الشَّهْدُ والعسلُ
فى فَتْرةِ الحسنِ من لَحَظَيْكَ هل فتكتْ ... بواترُ الطرفِ أم من قدِّك الأَسَلُ[2]
ومُذْ تمادتْ بنا الآجالُ واختلفتْ ... عقائدُ القوم مَن للحبِّ قد جهِـــلُوا
جاءتْ تُجَـــدِّد أحكامًا لدولتِهِ ... فى مِلَّةِ العشقِ من أَصْداغِك الرُّسُلُ
لم يدْرِ ما الصحْوُ مُذ بانتْ ركائبُكمْ ... صَرِيعُ جَفْنٍ لأرباب الهوى ثَمِلُ
أَسْتودِعُ الله قلبًا ســـار مُرْتَحِلًا ... بالخُرَّدِ الغِيدِ ماذا السهلُ والجبلُ

* * *

وأبيات الظَّريف هى هذه[3] :

يا أقتلَ الناسِ أَلحاظًا وأعـــذَبَهم ... رِيقًا متى كان فيك الصَّابُ والعَسَلُ
فى صَحْنِ خَدِّكَ وهْى الشمسُ طالعةٌ ... وَرْدٌ يَزِيدك فيه الرَّاحُ والخجلُ[4]
إيمانُ حبِّك فى قلبى تُجـــدِّده ... من خدِّك الكُتْبُ أو من لَحْظِك الرُّسُلُ
إن كنتَ تُنكِر أنِّى عبدُ دولتكمْ ... مُرْنِى بمـــا شئْتَ آتِيهِ وأَمْتَثِلُ
لو اطَّلعتَ على قلبى وجدْتَ به ... من فعْلِ عينيك جرحًا ليس يندمِلُ[5]

* * *

---

(١) فى هذا البيت إقواء ، كما ترى . (٢) فى سلك الدرر : « قد فتكت » .
(٣) ليست هذه الأبيات ضمن ديوانه المطبوع ، وفيه قصيدة بهذا الوزن ، يبدوا أن ناشر الديوان اختار منها وترك فى اختياره هذه الأبيات .
والأبيات فى سلك الدرر ٢ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
(٤) البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وفيه : « وهى الشمس مشرقة » .
(٥) فى ب : « من جرح عينيك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

وله[١] :

أُسامِرُ عِشْقاً من خلائقِـــه القتْلُ ... وحيداً ولا عهدٌ هناكَ ولا مطْلُ[٢]

وأُصْبِـحُ ظمْآنا وقد عقَر الظّما ... فؤادى ولا وَبْلٌ هناكَ ولا طَلُّ[٣]

وكم أخْصبَتْ سُحْبَ الأمانى مطامعى ... مجَـازاً ويرْميها من الوابلِ المَحْلُ[٤]

ورُبَّ عذولٍ فيـــه أشْقَى مسامعى ... بعذْلٍ فيالله ما صنَـــع العَذْلُ

أقول له والطرفُ يقـــذِف مهجتى ... دموعاً لها من كلِّ ناحيةٍ هطْلُ

وبى من غرامٍ لو تجسّم بعضُـــه ... ومرَّ بأهل الأرضِ لافْتتَن الـكُلُّ

ترَقَّ إلى قلبى بــكلِّ دقيقـــةٍ ... جميعُ هوَى العشّاق وانقطع الحبلُ



(١) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٦٦ .

(٢) فى ب : « فلا عهد هناك » ، وفى سلك الدرر : « فلا وعد هناك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى سلك الدرر : « ولا وبل يبل ولا طل » .

(٤) فى سلك الدرر : « ويوميها من الوابل المحل » .

٤٢

السيد محمد الحصري (*)

نسيبٌ تناسَبَ فيه المدحُ والنّسيب ، وحسيبٌ ما مثلُه في كرم الطباع حسيب .

له همّةٌ سابغة المطارف ، وسيادةٌ موصولةُ التّالد بالطّارف .

مُرَوّق الأخلاق صافيها ، مَشْمول الشمائل ضافيها .

تكاد ترى وجهك في خصايله ، ولا تُغبَن إذا اشتريت[1] بِنوْم العيون يومَ وِصالِه .

وله أدبٌ يطّرِد اطّراد الغدير حَفّتْ به خُضْرُ الوشائع[2] ، وحديثٌ كأنه جَنَى النحلِ ممزوجا[3] بماء الوقائع .

وبيني وبينه ودٌّ صَمِيم ، طيِّبِ العَرْف والنّسيم .

أستدْعي الأمل لِلُقْياه ولو في الأحلام ، [4]وأمّا اجتماعاتي معه فأكثرها تحيةُ الرؤيةِ والسلام[4] .

* * *

وقد وقفتُ له على شعرٍ قليل ، فأثبتُّ منه ماهو لرأسِ المجد إكْليل .

(*) محمد بن عمر بن أبي بكر المعروف بالحصري الدمشقي ، سبط البكري الحسيني .
كان من خلاصة الأدباء النبهاء ، فاضلا ، لوذعيا ، ماهرا .
ذكر المرادي أنه لم يدر وفاته في أي سنة كانت ، غير أنه في سنة إحدى عشرة ومائة وألف كان موجودا .
سلك الدرر ٤/٧٤ ـ ٨١ .
وقد نقل المرادي صدرا من ترجمة المحبي له ، وذكر له شعرا كثيرا ، اختاره من ديوانه .
وفي كتاب « أبو الحسن الحصري » ١/١٥١ تلقيبه بشمس الدين .

(١) في سلك الدرر : « شريت » . (٢) الوشيع : ما جعل حول الحديقة من الشجر والشوك منعا للداخلين . القاموس (و ش ع) . (٣) في الأصول : « ممزوج » . (٤) ساقط من سلك الدرر .

فمنه قوله من قصيدة عارض بها قصيدة أبى الحسن على الحُصْرِىّ[1] ، التى مطلعها[2] :

يا ليلُ الصبُّ متى غَـدُهُ　　أقيامُ الساعةِ موعِـدُهُ[3]

ومطلع قصيدته[4] :

صَبٌّ بالهجرِ تُهَـدِّدُهُ　　قد ذاب جوًى مَنْ يُنجِدُهُ[5]

والسُّقْمُ بَراهُ وأَنْحلَه　　فلِذَا مَلَّتْهُ عُوَّدُهُ

سهرانُ الطرفِ له رقَتْ　　فى الليل نجومٌ تُسهِدُهُ[6]

وغدا يشدو من فَرْطِ جوًى　　يا ليلُ الصبُّ متى غَـدُهُ

حتى مَ بِزَورٍ تُوعِـده　　أقيامُ الساعةِ موعِـدُهُ[7]

يهواه الصبُّ فيشغله　　أسَفٌ للبين يردِّدُهُ

قمرٌ فى القلبِ منازِلُه　　فعجيبٌ منه تباعدُهُ[8]

رَيْحانُ العارضِ فيه حوًى　　خطًّا ياقوتٌ مجوِّدُهُ[9]

فى الحسنِ فريدٌ بين ملك　　فتعالَى الخالقُ مُوجِدُهُ

طَفْلٌ لحديث السحرِ غـدا　　عن بابلَ طرفٍ يُسنِدُهُ[10]

---

(١) تقدم التعريف به فى صفحة ٣٧٧ . (٢) القصيدة فى كتاب «أبو الحسن الحصرى» ١٤٣ـ١٤٩ .

(٣) انظر وجوه إعراب : « يا ليل الصب » ، فى كتاب « أبو الحسن الحصرى » ١٤١ ، ١٤٢ .

(٤) الأبيات فى سلك الدرر ٤/٧٩ ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » ١٥١ ، ١٥٢ . (٥) فى سلك الدرر : « من يسعده » . (٦) فى سلك الدرر : « فى الليل نجوم تشهده » وهى رواية حسنة .

(٧) سقط هذا البيت من سلك الدرر ، وفى كتاب «أبو الحسن الحصرى» : «حتّامَ بزُورٍ توعِدُه» .

(٨) فى سلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » : « فعجيب عنه تباعده » . (٩) فى ب : « خطا ياقوت يجوده » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » .

وهو يعنى جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمى .

عرف بحسن الخط ، وأخذ عنه هذا الفن كثيرون ، وهو كاتب ، شاعر .

توفى سنة تسع وثمانين وستمائة .

البداية والنهاية ١٤/٦ ، النجوم الزاهرة ٨/١٨٧ .

(١٠) الطفل : الرخص الناعم .

رَشَــأٌ اللَّيثُ بُمقلتِـــــه　　يسطو للغــاب يُقيِّدُهُ(١)

يرنُو بالحظِ فيحسَبـــــه　　للقتـــــل دعاهُ مُهنَّدُهُ(٢)

باللهِ أُعيذُكَ يأمــــلِي　　من قتل شجٍ تتعمَّدُهُ

وارْفُقْ بالقلبِ فإنَّ به　　جمراً قـــد زاد توقُّدُهُ

واسْمَحْ بالغمْضِ لعل بأنْ　　فى النوم خيالُك يُسعِدُهُ

فى قيْدِك قد أمسَى دَنِفاً　　هلَّا فى ذاكَ تُخلِّدُهُ(٣)

* * *

وله من قصيدة مطلعها :

خفقتْ على قلبِي بنودُهْ　　رَشأٌ يعذِّبنى صُــــدودُهْ

ساجِى اللواحظِ أغْيَدٌ　　كالبدر يسْبِى الظَّبْيَ جِيدُهْ

غُصْنُ النقَـــــا لما رآ　　هُ هوَى فكان لذا سجودُهْ

إن ماس فى حُلَل البهـــا　　تزْهو لطلعتـــــه برُودُهْ

لا غرْوَ أن فاقَ المــلا　　حَ فإنهــا طرًّا جنودُهْ

فاللَّحْظُ يُطمِـعُ بالوعو　　دِ ولفظُه يبدو وعيدُهْ

نصبت حبــــائلُ أدمعى　　شركاً له فعسى يَصيدُهْ

فاصْطاد رُوحى بعد مَا　　قد أوثقت قلبِي قيودُهْ

---

(١) فى ب ، ج : « رشأ لليث بمقلته » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » . (٢) فى سلك الدرر : « يرنو باللحظ فيحسبه » ، وفى كتاب « أبو الحسن الحصرى » : « يرنو للقتل فيحسبه » . (٣) فى ب : « أهل فى ذاك تخلده » ، وفى ج : « هل فى أراك تخلده » وفى سلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » : « وأنا فى ذاك تخلده » ، والمثبت فى : ا .

وبعد هذا البيت فى سلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » زيادة :

لم ألقَ خلاصا منـــــه سوى　　مَن سَامَ ذَراهُ وتحتـــدهِ

وفى كتاب « أبو الحسن الحصرى » : «من سامى ذراه محتده » .

كيف النجاةُ وسهمُ نا ظرِه بأحشائى نفوذُهْ
يافاتكاً بعيونهِ فى مُهجتى وأنا شهيدُهْ
رفقاً بحالِ مُتيَّمٍ للنجمِ ناظرُه رصودُهْ
واسمحْ له فى غمضةٍ فلعلَّ لو طيفٌ يعودُهْ
ماضرَّ لو ناديتَ مَن فى الحبِّ لا تُنْسى عهودُهْ
فاللومُ ليس مُنقِّصاً وجداً تحكَّم بل يزيدُهْ

* * *

وله من أخرى ، مستهلُّها :

فؤادٌ من الهِجْران فيكَ مُروَّعُ وقلبٌ من الأشواق والصدِّ مُوجَعُ
ومقلةُ عينٍ كُحِّلت بنجيعِها وفاضت على الخدَّيْن منهن أدمعُ (١)
فمَن لى بكِتْمان المحبّةِ بعدما أذاعتْ دموعى سرَّ ما كنتُ أُودِعُ
أبيتُ وفى قلبى من الشوقِ لاعجٌ وأغدو وقَدْحُ الشوقِ فى الصدرِ يلمعُ
فلا الوجدُ إن بَان الأحبّةُ مُقلِعٌ ولا الصبرُ إن دام التفرّقُ ينفعُ
ففتِّشْ خليلى عن فؤادِىَ أوّلاً أهلْ فيه للوجدِ المبرِّح موضعُ (٢)
لكَ اللهُ هل يُرْجَى شفائى من الهوى وهل بعد هذا للتواصُلِ مَطْمعُ (٣)

* * *

ومن أخرى مستهلُّها :

يا أخا البدرِ طَلْعةً وجَبِيناَ ونظيرَ الغصون قدًّا ولِيناَ
مَن لنا أن تمُنَّ بالوصلِ يامَن قد جعلتَ الصدودَ فى الحب دِيناَ

---

(١) فى ج : « كحلت من نجيعها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « ففتش فؤادى يا خليلى أولا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « وهل بعد هذا للتوصل مطمع » ، والمثبت فى : ا ، ج .

قد ضَلَلْنا بليـــلِ فَرْعِك حتى ضاء صبحُ الجبين منه هُدِينا (١)

نحن مِن مُؤْمِنيك فى الحبِّ صِرْنا فاغْمِد السيفَ عن قتالِك فينا

ليس نخشى حَدَّ الظُّبا من أُسودٍ بل ونخشى من الظِّباء العيونا

وكفانا يامُنيـــةَ القلبِ أنَّا من سَقامٍ ومن نحولٍ خَفِينا

لو لقيتُ الحِمامَ ما كان يُدْعَى بعظيمٍ ممَّا به قـــد لقِينا

فالأمانَ الأمانَ من طولِ إعْرا ضِك عمَّن فى الحبِّ أمسى رَهِينا

والمحالُ المحالُ أَنِّى أَسْـــلو ك وأُذْنى تُصْغِى إلى العاذلينا

كيف أسْلُو والوجدُ عندى عظيمٌ والهوى فى الضُّلوعِ أمسى دَفِينا



(١) فى الأصول : « ضاء صبح الجبين من هدينا » ، ولعل الصواب ما أثبته .

٤٣

عبد الرحمن التاجي الخطيب البعلي*

أديبٌ سامي القدْر ، متوقِّدٌ كالقمر ليلةَ البدر .

حسن المحاضرة بالأشيا(١) ، وارِف الظِّلال والأفْيا .

يجرى على طرف لسانه ، ما ينطق الدهرُ باستحسانه .

وهو أخٌ لك فيه(٢) الغرض ، (٣)جوهر أخلاقه لا يشوبه عرَض(٣) .

وفيه لَوْذَعِيَّة تُحَبِّبه ، وبَشاشة(٤) تُزْلِفه وتقرِّبه .

وبيني وبينه صحبة ألْحَمَتْها الآداب وسدَّتْها(٥) ، ومودّة ربطَتْها موافقةُ القلبيْن وشدَّتْها .

وهو اليوم طلّق الشِّعر ثلاثا ، ونقض غزْلَه أنْكاثا(٦) .

(*) عبد الرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبي بكر بن موسى بن عبده التاجي ، الحنفي ، البعلي .

ولد في بعلبك ، سنة ست وأربعين وألف .

وقرأ الكثير على الشيخ عبدالباقي ، وعلى السيد محمد البرزنجي ، كما أخذ عن الشيخ إبراهيم الكوراني المدني ، والشيخ محمد بن سليمان المغربي ، والشيخ حسن العجيمي المكي .

اشتغل بالتدريس والخطابة ، وكانت له معرفة بالموسيقى ، مع ثروة ودنيا .

توجه آخر عمره إلى القسطنطينية ، ثم توفي ببعلبك في توجهه إلى دمشق ، سنة ست عشرة ومائة وألف .

سلك الدرر ٢/٢٨٥ ـ ٢٩١ . وقد نقل المرادي صدر ترجمة المحبي له ، والشعر الذي أورده ، وأضاف إليه كثيرا .

(١) في سلك الدرر : « بالإنشاء » .

(٢) في سلك الدرر : « في » . (٣) في ج : « جواهر أخلاقه لا يشوبها عرض » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٤) في ب : « وكباشة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٥) سدى الثوب : أقام سداه ، والسداة من الثوب : خلاف اللحمة ، وهو ما مد من خيوطه .

(٦) في ا ، ج : « أثلاثا » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

وتخلَّص لعلمٍ ينفعه فى الحال والمآل ، ويجدِّد له فى الله كلَّ آنٍ[١] ما تعوَّده من أمانِيّ وآمال .

* * *

وقد أثبتُّ له من[٢] أوائل شعره كلَّ بديع الوصف ، زارٍ[٣] على الجوهر فى الشفافية[٤] والرَّصْف .

فمن ذلك قوله من قصيدة ، مطلعها[٥] :

تذكرتُ أيام الصبابةِ والصِّبا ... وعيشاً مضى ما كان أحْلَى وأطْيبا[٦]
زماناً به كانت يدُ الدهرِ بُرْهةً ... تُقمِّصنى ثوبَ السعادةِ مُذْهَبا
سقى الله ذاك الشِّعبَ غَيْثَ مَدامعِى ... إذا الغيثُ يوماً عن مَغانيه قَطَّبا
مَغانٍ بها كان ائتلافُ مَسرَّتى ... وإقبالُ عيشى بالمسرةِ أخْصبا[٧]
منازلُ فيها للبدورِ مطالعٌ ... على أن فيها للسحائبِ مَسْحَبا
أقمتُ بها بين البشاشةِ والقِرَى ... وإن شئتَ قُل بين الأحبَّة والحِبا[٨]
وكم سِيق من نُعْمَى إلىَّ ونعمةٍ ... وكم قيل لى أهلاً وسهلاً ومرحبا
أبيتُ أجُرُّ الذيلَ تِيهاً ورفعةً ... ولا أرْتضى غير السِّماكيْن مَضْرِبا

(١) ساقط من سلك الدرر . (٢) فى ب ، ج : « فى » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .
(٣) فى ب ، وسلك الدرر : « زاد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « الشفافة » ، وفى ج : « الشفاف فيه » ، والمثبت فى ا ، وسلك الدرر . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٨٦ ، ٢٨٧ ، وذكر المرادى أنه مما كتبه للشيخ عبد الغنى النابلسى . (٦) فى سلك الدرر : « ما كان أهنى وأطيبا » . (٧) فى سلك الدرر : « وإقبال عيشى بالأمانى أخصبا » . (٨) فى ب : « بين المسرة والقرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

منها :

وليـــلةِ سعدٍ ما سعِدتُ بمثلها ... مدى الدهرِ فى تلك المَعاطِرِ والرُّبَى [1]
أعانقُ للآمـــالِ قدًّا مُهفْهفًا ... وألـــثِمُ ثغراً للأمانىّ أشنَبا [2]
فذاكَ زمانٌ كلُّ عيشٍ به رِضىً ... وكلُّ نسيمٍ هبَّ من صَبْوتى صَبَا
وكنتُ أرى أن الزمانَ مُساعدى ... فشِمْتُ به برقَ الأمانىّ خُلَّبا
فبيْنا توانى باسمَ الثغرِ ضاحكا ... إذا بى أعَضُّ الرَّاحتيْن تلهُّبا

* * *

وأنشدنى لنفسه قولَه من قصيدة ، أولها [3] :

بأبى أهيفٌ كظبىٍ غرِيرٍ ... صال فينا بسيفِ لحـــظٍ شَهيرِ
ألِف الصَّـــدَّ والنِّفارَ ولالا ... ما عهِـــدناه بالألُوفِ النَّفورِ
أسرتْنى لِحاظُه النُّجْلُ عَمْـــداً ... بالنَّـــارِ المُتيَّمِ المهجورِ [4]
أى ذنبٍ جنيْتُ فى الحب حتى ... صرتُ فى العاشقين دون نَصيرِ
عاذِلى ترْكُك الملامةَ أحْرَى ... لو تحرَّيتَ كنتَ فيه عَذيرِى
لو تَراه وقد أدار عِـــذاراً ... مثلَ وَشْىِ الطِّرازِ فوق الحريرِ
لعلمتَ الغرامَ إن كنتَ خِلْواً ... وعذَرتَ العميد عُذْرَ بصيرِ [5]
أو رشفْتَ الزُّلالَ من رِيقِ فِيهِ ... رُحْتَ منه بسَـــكْرةِ المخمورِ
زار فى غفْـــلةِ الرَّقيبِ فأحْيَى ... ميْتَ هجرٍ بسَعيه المَشْـــكورِ
أوضح الفَرْقَ واستكنَّ بفَرْعٍ ... فأرانا الصَّبـــاحَ فى الدَّيْجُورِ
بات سُكْرِى منه بكأسِ حديثٍ ... طِيبُ أنفاسِه لها كالعبيـــرِ

---

(١) فى سلك الدرر : « فى تلك المعاهد والربى » . (٢) ثغر أشنب : أبيض الأسنان ، حسنها .
(٣) القصيدة فى سلك الدرر ٢ / ٢٩٠ ، ٢٩١ . (٤) فى سلك الدرر : « ألحاظه النجل . . . المتيم المأسور » . (٥) العميد : الذى أضر به العشق .

ريقُه العذبُ لى مُدامٌ ونَقْلِى ... لَثْمُ خـــدٍّ بوجهه المستنيرِ
ثم وسَّدْتُه اليمين وبتْنــــا ... فى نَعِيمَىْ مَسرَّةٍ وحُبـــورِ
ليلةٌ بالعفاف مُرَّ بهـا الدهْـ ... ـرُ فكانت كغُرَّةٍ فى الدُّهورِ
بدرُها رام أن يَنِمَّ فأرجعْـ ... ـناه منَّا بنَفْثةِ المصـــدورِ

* * *

هذه نفثة مصدور، تصدَّت لتَصْدِية مرايا[(١)] البدور.

* * *

ونجــومُ السماء منظومةُ السِّمْـ ... ـطِ كنَظْمِ الْجمان فوق النحورِ
وسُهَيْلٌ يلُوح طَوْراً فطـــوراً ... يتحامَى كخائفٍ مذعورِ[(٢)]
والثريَّا قد آذنتْ بانقضاء الْـ ... ـلَيل تُومى لنا بكفِّ مُشيرِ

---

(١) فى ب : « فيهـا مزايا » ، والمثبت فى ا ، ج . (٢) سهيل : نجم ، عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضى القيظ . القاموس (س ه ل) .

٤٤

شاهين بن فتح الله

إنسان طَرْف الفضل ومُقْلة مَآقِيه ، وفارع هضَبة البيان وراق مَراقِيه .

زُرَّتْ على الفضل أطْواقُه ، وما اهْتاجت إلا للكمال أشواقُه .

وهو من لطفِ الطبعِ أرَقُّ من الصهباء فى رَوْق الصِّبا ، ومن سلامةِ الناحية أطوعُ من قدودِ القُضْب لراحةِ الصَّبا .

وإلى ما حَواه من فكاهة يتسلَّى بها المهموم ، ومحادثةٍ يجعلها النديم[١] عوضَ المشروبِ والمشموم .

وشعرٍ كحَلْي الخوْد حواشيه تأتلف ، ونثرٍ كوَشْيِ الروض رقومه تختلف .

ولمّا حلَلْتُ القاهرة ، أتحفتنى الأيام بطلعته الزاهرة .

فنعتنِي بِرّه عفواً ، وسقانى كأسَ ودادِه صَفْواً .

فقرَّتْ برؤيته عيناى ، وأغنانى بودّه عن أهلى ومَغْناى .

فأنا وإيّاه بصِدْق العِشْرة نتّسِم ، وبقَدْر الحب وحقِّ هواه نقتسِم .

* * *

وقد أهدى إلى قصيدة أتغنى بها ، وهى قوله :

خليلىَّ ماأحْلى الوصـــالَ بلا هجرِ ... وما منـــه أشْهى للمحبين بالحصْرِ

نعِمتُ به دهرًا بريْعانِ نشْـــأتى ... وذلك من أحْظَى الحُبَى ليــد الدهرِ

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وبى أغيدٌ حُلْوُ الشمائلِ وجهُه ... يُرِى البدرَ حُسْناً وهْوفى صورةِ البدرِ
أحاديثُه كالشُّهدِ تحلو فكاهةً ... إذا مااحْتساها السمعُ أغنتْ عن الخمرِ
يُشَعْشِع فَحْواها لىَ الكأسُ لذَّةً ... بنَكْهةٍ أزكى مايكون من العطرِ
كأن نسيمَ الروض بات يُمِلُّه ... فأهدى لنا من طِيبِه طَيِّبَ النشرِ
فكرَّر بذكْرِ الكأسِ لى دَرّ دَرُّه ... تعِلَّةَ قلبٍ من جَوى الحب فى جمرِ
وإن يَحْكِ ريحَ الحب لطفاً فعاطِنى ... وإن لم يُسوِّغْه الغناء على السكرِ (١)
فيا بأبِى منه الدلالُ مُعشَّقاً ... ويا حسنَ ذاك المعطفِ اللَّيِّن الهَصْرِ
رنا بقَوامٍ كالقضيبِ ومُقْلةٍ ... يجُول بهُدْبيْها غِرارٌ من السحرِ
وماس وقد حار الوِشاحُ بخَصْرِه ... رَشاً لم يُطِق حملَ الوشاحِ على الخَصْرِ
إليه تَوالانى هواه فمُذْ رأى ... وُلوعِى به غَطَّى التَّعارفَ بالنُّكْرِ
وأغْفَى وقد ولَّى الغرامَ مَقاتِلى ... وولَّى ولم يعبأْ بلَوْمٍ ولا عُذْرِ
فقلتُ وقد ضاقتْ علىَّ وسائلى ... أُراجِعُه الطُّولَى بِفكِّ عَنا أسْرِى (٢)
حَنانَيْك لاتسمعْ مَقالا لكاشحٍ ... بتنْمِيقِه يُغْوِى لمن بالجفا يُغْرِى (٣)
على أننى رُحْماك لاأحملُ الجفا ... وقد نفِدت منى الذخائرُ من صبرِى
وجسمِىَ مَنْهوكٌ ولُبِّىَ ذاهلٌ ... وقلبِى أسيرٌ آهِ فى قبضة الهجرِ
وعنِّى نأى زَهْوُ الشبابِ ولَيْتَه ... يعود ويُدْنِى لى الأعنَّةَ بالبشرِ
وهَبْ أننى أثْنِى إلى الودِّ عَزْمةً ... فأين زمانُ اليسرِ من زمَن العسرِ (٤)
فيا سائلى أين الزمانُ وطِيبُه ... ألا فاسألِ الأيامَ تُنْبِيك بالخبرِ

---

(١) فى ب : « وإن يحك ريح الحب عطرا فعاطنى » ، وفى ج : « لطفا فعاطنى » ، والمثبت فى : ا .
(٢) فى ب : « يفك عنا أسرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والطولى : الحالة الرفيعة . القاموس (طول) .
(٣) فى ب : « بتنميقه يقوى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « وهب أننى ألوى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لقد عوّضتني الشيبَ عنــــه وإنه ... يُقال وقارٌ لو يقـــــال بلا وَقْرِ (١)

فمِن بعدِه لم يَصْفُ عيشي ولم أمِلْ ... إلى لذةٍ هيهات تَهتِفُ في الفكرِ

وجانبتُ أنحاء القريضِ وسُوحَه ... بحيث أرى في سُوقِه النّضَّ كالغَرِّ (٢)

وحتى استماعي للقريضِ سئمتُهُ ... كأن سيمَ سِعْرُ الشعرِ في الوزن بالشَّعْرِ (٣)

وأوحشت الآداب عني فخِلْتُها ... كمغنًى لمغنًى لاح كالآلِ في قَفْرِ (٤)

فحرّك طبعي بعد ما كان جامدًا ... على ما امتطاه من كَلالٍ ومن فَتْرِ (٥)

وآنس من طَوْرِ المعـــالى مُخاطبًا ... تجلَّى بأنواع المعاني على فكري (٦)

مُشيرًا إلى مولًى سَجـــايا كماله ... تَهُلُّ سحابًا بالفضائل والبرِّ (٧)

ويُدْعى بحقٍّ بالأمين واسمـــه ... محمدٌ من نسلِ الكرام بلا نُكْرِ (٨)

ألا وهو مولانا الحســـيّ إنه ... رقيقُ حواشي الطبعِ ضَخْمُ ذُرَى الفخرِ (٩)

ومن فتيةٍ سادوا وشادوا إلى العلى ... دعائمَ مجدٍ نوّرت عمل الفجرِ (١٠)

وهم في سماءِ السُّؤددِ الشامخِ الذُّرى ... سَراةٌ سَرَوْا حَدًّا هو النجمُ لا يسري (١١)

وإنك يامولايَ جاوزتَ حَدَّهم ... إلى مَفْخرٍ فوق السِّماكَيْنِ والنَّسْرِ (١٢)

---

(١) في ب : « لا يقال بلا وقر » ، والمثبت في : ا ، ج . والوقر : ثقل في الأذن . القاموس (و ق ر) . (٢) في ب : « في سوقه البص كالعر » ، والمثبت في : ا ، ج . والنض : الدرهم والدينار . القاموس (ن ض ض) . وغره ، غرا : خدعه . انظر اللسان (غ ر ر) ٥/١١ (٣) في ب : « وحيث استماعي » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « في القفر » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ا : « من كلال ومن فتر » ، والمثبت في : ب ، ج ، والفتر ، بالتحريك : الضعف ، وسكن للوزن . (٦) في ب : « تجلى بأنواع المعالي » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٧) هل المطر : انصب . (٨) سقط هذا البيت من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وبينه والذي يليه تقديم وتأخير في : ج . (٩) في ا : « رقيق حواشي الطبع تخم ذوى الفخر » ، والمثبت في : ب ، ج . (١٠) في ا : « ومن فتية شادوا وشادوا » ، والمثبت في : ب ، ج . (١١) في ب ، ج : « سراة سروا جدا » ، وهي رواية حسنة أيضا ، والمثبت في : ا . (١٢) السماكان : الأعزل والرامح : نجمان نيران . القاموس (س م ك) .

والنسر : كوكبان ؛ الواقع ، والطائر . القاموس (ن س ر) .

وحُزْتَ مجالا فى المعارفِ واسعا ... وعلماً غزيراً جلَّ مَعْ سَعَةِ الصدرِ
وتهذيبَ أخلاقٍ وحَسْبُكَ نِسْبَةً ... إلى الشرفِ المُدْلِى إلى المصطفى الطُّهْرِ
فإن تَبْدُ شمسُ الأُفْقِ قُلْتُ بأنها ... مُحَيَّاكَ لاأغلو وأنت بها تُزْرِى (١)
وشِعرُكَ أحلى فى النفوس من المُنَى ... وأفعلُ فى الألبابِ من قَرْقَفٍ بِكْرِ
وقد نِلْتَ يامولاى أسْنَى مآثرٍ ... تجِلُّ عن التَّعدادِ فى الفضل بالحصْرِ
فمنها التآليفُ الحِسانُ التى غدتْ ... بما قد حوتْ كالدرِّ فى لَبَّةِ الدهرِ
وناهيك بالتاريخ فضْلا فإنه ... حَرِىٌّ بكَتْبِ التِّبْرِ فضْلاعن الحِبْرِ (٢)
لما قد حوى أبحاثَ علمٍ أنيقةً ... تُميطُ شحوبَ الشكِّ كاليُسْرِ للعسرِ (٣)
وتقريرَ أفهامٍ بديعٍ بيانُها ... معانيه أسرارَ البلاغة تَسْتَقْرِى (٤)
وتحريرَ منقولٍ وضَبْطَ وقائعٍ ... يُحقِّق منها ماأسْتُرِيبَ من الأمرِ
كتابٌ لأهل الفضل زُخْرُفُ روضةٍ ... يُسِيمون منها فى مَعانٍ كما الزَّهرِ (٥)
نَهجتَ به فى الفضلِ أبهجَ منهجٍ ... تدوم به حيًّا إلى الحشر والنشرِ
به ذِكْرُ مَن يستوجبُ الذِّكْرَ فى الورى ... وإحياءُ موتَى للفضائلِ بالذِّكْرِ
به يُهتدَى للغابرين ومَن مضَى ... كما يهتدِى السَّارون بالأنجُمِ الزُّهْرِ
كأنَّ مزايا ذِكْرِهم فى طُروسِه ... متى تُتْلَ جناتٌ جداولُها تجرى
لك الفضلُ فيما صُغْتَ من دُرِّ لفظِه ... نَسيقَ معانٍ خِلْتَ ضَرْبًا من السحرِ
فجازاكَ ربُّ العالَمين بفضلِه ... جزاءً يُنيلُ الأجرَ مَعْ رِفعةِ القَدْرِ (٦)

---

(١) فى ا : « قبلت بأنها » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى ا : « لاأغلوا وأنت » ، وفى ب : « لاغلو وأنت » ، والمثبت فى : ج .

(٢) يشير إلى كتاب المحبى «خلاصة الأثر» . (٣) فى ب : « كاليسر والعسر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) يشير إلى كتاب « أسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجانى .

(٥) فى ا : « يسمون منه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ب : « جزاء بنيل الأجر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وأنتَ وأيْمُ اللهِ مُفْرَدُ عصرِنا ... وحامى حِمَى الآداب فى النظمِ والنثرِ
تتيه بكَ الأيامُ قلّدتَ عُطْلَهــــا ... وقلّدْتَ منها الجيدَ من فضلِكَ الوَفْرِ
ومنكَ جَلاها من سَنا البرقِ شارقٌ ... وصَاكَ بِها من عَرْفِكَ العنبرُ الشِّحْرِى (١)
وهاكَ أيا مولاى منّى مدائحــاً ... سهِرتُ بها والنجمُ يسبرُ من فكرى
وما هى إلّا الروضُ حيّاكَ عَرْفُه ... وقد بادَرتْه نَوْءُ فضلِكَ بالقَطْرِ (٢)
ومَعْ ذاكَ لم أقدُرْكَ حقّكَ بِمْدحــةٍ ... ولـكنه جُهْــدُ الأناشيدِ من شعرى
وإن يكُ قد حازَ انْطباعـاً فإنه ... لَمُكتسِبَنْه من خــلائقِكَ الغُرِّ (٣)
أُقِرُّ بعجزى ليس شعرى مُكافِياً ... فَصاحتَكَ العظمى ولو صِيغَ من تِبْرِ
على أنه ما اسْطعْتُــه وأعوذ مِن ... مَــلامةِ تقصيرى بعفوِكَ عن وِزْرى

* * *

فكتبتُ إليه عنها جوابا، لا يزال سمعى يرشف من راح أدبه أكوابا :

ألا ليت شعرى والمُنى لَذّةُ العمرِ ... متى يرجع الطيرُ القديم إلى الوَكْرِ
نَعَمْ فى مِطالِ الدهرِ لى وَعْــدُ أوْبةٍ ... فمَن لى بقلبٍ فيه يقْوَى على الصــبرِ
أهُمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعــه ... وحــكمِ القضا فيما يناقِضُه يجْرى (٤)
وما حيــلةُ الظمْآنِ والماءُ دونه ... حِجابٌ من البيضِ الصّوارمِ والسُّمْرِ
وفى ذمّــةِ الأيامِ ما صنَع النّوى ... بجسمى وما تُبْدِى المدامعُ من أمرى

---

(١) صاكَ به العنبر أو الزعفران : لصق به . القاموس (ص و ك)
والعنبر الشحرى ، منسوب إلى الشحر ، وهو صقع على ساحل بحر الهند ، من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان .
معجم البلدان ٣/٢٦٣ .

(٢) من أول هذا البيت إلى نهاية قوله : « كمهدى الضيا للبــدر والدر للبحر » الآتى فى قصيدة المحبى ساقط من : ب ، وهو فى ا ، ج ، وفى ا : « وقد بادرته نوء فضلك بالقطر » ، والمثبت فى : ج .

(٣) فى ا . « لمكتسبيه من خلائقك الغر » ، والمثبت فى : ج مضبوطا .

(٤) فى ج : « وحكم القضا فينا تناقضه يجرى » ، والمثبت فى : ا .

وعيشٍ كأخلاقِ الكرامِ قطعتُه ... وصَحْبي بسفحِ الصَّالحيَّةِ والجسْرِ [1]
يشفُّ ضُحاه عن طُلاً من مُجرَّدٍ ... نقيٍّ وتفترُّ العشيَّةُ عن ثَغْرِ [2]
وللطَّيرِ تَهْدارٌ بأيْكةِ روضةٍ ... إذا سكَت الشُّحْرورِ جاوَبه القُمْرِي
به من لُجَيْنِ الماءِ ينْسابُ جدولٌ ... ترقْرَقَ فى آصالِهِ ذائِبُ التِّبْرِ
يُهيِّمُنا فى جنةِ الخلدِ وصْفُهُ ... ويُملى علينا ما جهلْنا من السِّرِّ [3]
ودارتْ بكاساتِ المُدامِ سُقاتُنا ... كما دارتِ الأفلاكُ بالأنْجُمِ الزُّهْرِ
وما أسكرتْنا بعد صَحْوٍ وإنما ... أعادتْ لنا فى الحبِّ سكرًا على سُكْرِ
وأغْيَدَ إمَّا قابَلَ البدرَ وجهُه ... أرتْك به مرآتُه صورةَ البدرِ
إذا قرأوا والليلِ فى وصفِ فَرْعِه ... قرأتُ لهم فى مَعْرِضِ الفَرْقِ والفجرِ [4]
تجمَّعَ حسنُ الخَلْقِ فيه بأسْرِه ... ففَرَّقَ ما للعاشقِين من الصبرِ
بمُنْعطِفٍ لولا العيونُ تحوطُه ... لضلَّ به الهِمْيانُ عن دَوْرةِ الخصْرِ
يكاد وشاحاه يطيرانِ خِفَّةً ... ولولاهما من رِقَّةٍ كاد أن يجرى
وحُقِّ عقيقٍ من فمٍ شِبْهِ خاتَمٍ ... به ختمَ اللهُ الشِّفاهَ على دُرِّ
يصولُ بلحْظِ المنايا مُجرَّدٍ ... رهيبِ الشَّبا يختالُ فى طلبِ الثَّأرِ
ترى مَن غدا فى السِّحْرِ أُستاذَ طَرْفِهِ ... فهاروتُ لم يقْدِرْ على ذلك السحرِ
يضيقُ وعاءُ الدهرِ عنه جَلالةً ... ومن عجبٍ يحْويه مع ضِيقِهِ صدرِي

---

(١) فى ج : « صبحي بسفح الصالحية » ، والمثبت فى : ا .

والصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع ، فى لحف جبل قاسيون ، من غوطة دمشق ، وفيها قبور جماعة من الصالحين ، ويسكنها أيضا جماعة من الصالحين ، لا تكاد تخلو منهم .

معجم البلدان ٣/٣٦٣ .

وانظر فى الجسر معجم البلدان ٢/٨١ ، ٨٢ .

(٢) فى ج : « من مجره * تقى وتفتر . . . » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ج : « فى جنة الخلد صفوه » ، والمثبت فى : ا . (٤) يشير إلى سورتى : الليل ، والفجر ، من القرآن الكريم .

وما اخترتُ حتى اخترتُ حُبَّيه مذهبي ... ومدحُ ابن فتح الله فَرْدِ الورى ذُخْرِى (١)

فتًى قد حمِـــدتُ العيشَ منذ صحبْتُه ... وسافهتُ حظِّى من خلائقه الغُرِّ (٢)

أُحيِّي إذا حيَّيْتُه الروضَ ناضرا ... وأشْتَمُّ عَرْفَ النَّشْقِ من زهرة النهرِ

رطيبُ مَهَزِّ الجودِ مُورقُ عُـــودِه ... وأبلجُ وجهِ العَرْفِ مُستوضَحُ البِشْرِ (٣)

إذا ما سقى غصنَ اليراعـــةِ نِقْسُه ... جَنَيْنا ثمارَ الفضل في الورقِ النَّضْرِ (٤)

له الشِّيَمُ الشُّمُّ التي لا ينالُهـــا ... فتًى علَّق الأذيالَ بالأنْجُمِ الزُّهرِ

تُبارِينَ أحداثَ الزمانِ فتنـــبرِى ... كما انتفض العصفورُ من صَوْلة الصقرِ (٥)

فتًى يتسامى بالتَّواضعِ جاهِـــداً ... ويعْجَب من أهل المَخِيلة والكِبرِ

عليه من المجد المُؤثَّل خِـــلْعَةٌ ... تجرُّ ذيول الأرْيَحيَّة والفخْرِ

وفيه خصالٌ قصَّر الحمـــدُ دونها ... وأبلغُ شــكرٍ يُستفاد لها شُــكْرِى

وإن أياديه ثنَتْ وجـــهَ همَّتِى ... إلى الخُلُقِ الفَضْفاضِ والنَّائلِ الغَمْرِ

ولى فيه من صـــدق العناية لحظةٌ ... تُرِينى ابْتسامَ الحظِّ عن شَنَبِ الثَّغْرِ

فشــكراً لدهرٍ جاد لى بلقائه ... فنوَّلنى من حيث أدرى ولا أدرى

وسقْياً لأرضٍ ألَّفتْنا وحضرةٍ ... بها ضمَّنا كالعِقْدِ أستاذُنا البكرى (٦)

علوْنا على النَّسْرين تحت جناحِه ... فنحن إلى ما فوق أُفْقيْهما نَسْرِى (٧)

وما زال يــكسُونا شمائل غَضَّةً ... يَفُقْنَ مقامَ النَّوْرِ في المنبتِ النضرِ

نُفَدِّيه بالخمسِ الحواسِّ وإنمـــا ... لَنعقِد إن عدَّت عُـــلاه على العشرِ

---

(١) فى ا : « وما اخترت إلا اخترت » ، والمثبت فى : ج . (٢) سافهه : لازمه ، أو أسرف فيه . انظر القاموس (س ف ه) . (٣) فى ا : «وطيب مهز الجود» ، والمثبت فى : ج . (٤) النقس: الحبر . (٥) كتب الناسخ فى ج عجز البيت هكذا : « كما انتفض العصفور بلله القطر » ، ثم ضرب عليه ، ولم يذكر رواية ا ، وكأنه سبق قلمه إلى البيت المشهور ، فكتب عجزه ، ثم ضرب عليه ، ونسى تقييد عجز بيت المحبى . (٦) يعنى الأستاذ زين العابدين البكرى ، وسيترجمه المؤلف فى قسم مصر ، ويأتى برقم ٣٢٥ ، وانظر ما تقدم فى صفحة ١٥ . (٧) انظر ما تقدم فى صفحة ٤٥٤ هامش رقم ١٢

فحَيّي على رغمِ الكواكب غُرَّةٌ ... يُرِينا سَناها كيف شَعْشعةُ البدرِ

عليها من النُّورِ الإلهى مِسْحةٌ ... بها تنجلى الجُلَّى ويُمْحى دُجَى الإصْرِ

أمولاىَ يا شاهينُ لا زلتَ دائما ... مُجِدًّا إلى قَنْصِ المفاخرِ بالبِرِّ

فكم لك من صَيْداتِ فضلٍ وسُؤْدُدٍ ... يُرَى دونها وَقْعُ المُهنَّدةِ البُتْرِ

عرفتُك من بين الأنامِ فلم أكُنْ ... لغيرك أطْوِى الصدرَ إلا على نُكْرِ

بعثْتَ إلىَّ الرَّوحَ فى لذَّةِ المُنَى ... وطِيبَ التَّهانى فى بُلَهْنِيةِ العمرِ(١)

فرائد آدابٍ نظمْتَ عقودَها ... مُفصَّلةً تمتاز فى الطِّرس كالشَّذْرِ

قَوافٍ كأنفاسِ الخزامَى صَقِيلةٌ ... بريحِ النُّعامى تمتري عَنْبر الشَّحْرِ(٢)

فلا زلت تُهدِى مثلَها من قصائدٍ ... بها الشعرُ يبقى دهرَه نافِقَ السِّعرِ

ودُونَكها عذراءَ لا عذرَ عندها ... لمن ليس يصْبو والهوى عنده عُذْرِى(٣)

تمازَجَ معناها ورائقُ لفظِها ... كما مزَجوا ماءَ الغمامة والخمرِ

فإلَّا تكُنْه أو تكُنْها فإنه ... وإيَّاها سِيَّانِ فى سُرعة السُّكرِ(٤)

وسامحْ بخطبُ الدهر مَنْ لم يدعْ ... مُعِينا على خَطْبٍ لقيتُ ولا فكرِى(٥)

ومثلىَ إذ أهداك نظماً يُجيدهِ ... كمُهدى الضِّيا للبدرِ والدُّرِّ للبحرِ(٦)

فأنت إذا صُغْت القوافى أرَيْتَ من ... يُجاريك فيها صنعةَ أنْجُمَ الظُّهرِ(٧)

---

(١) فى ج : « فى زمن المنى » ، والمثبت فى : ا . (٢) النعامى : ريح الجنوب . القاموس (ن ع م) .
وانظر فى العنبر الشحرى ، ما تقدم فى صفحة ٤٥٦ ، حاشية رقم ١ .

(٣) فى ج : « والهوى عندها عذرى » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ج ورد صدر البيت هكذا :

* فإلَّا تكُنْها أو تكُنْه فإنها *

والمثبت فى : ا

(٥) فى ج : « معينا على ما قد لقيت ولا فكرى » ، والمثبت فى : ا . (٦) إلى هنا انتهى الساقط
من : ب ، الذى أشرت إلى بدايته فى صفحة ٤٥٦ السابقة .

(٧) فى ب : «رأيت من» ، والمثبت فى : ا ، ج .

بَقِيت على الأيام خيرَ مُؤَمَّلٍ   برأيك أستعدى على نُوَبِ الدهرِ [(١)]
ولى فيك مدحٌ ليس يهرَم نظمهُ   ولو صارت الأهرامُ كالعِهْنِ فى مصرِ [(٢)]

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، من قصيدة ، مطلعها [(٣)] :

أما والتفاتِ الجيدِ من مُشْبِهِ الدُّمَى   وثغرٍ حوَى دُرًّا بديعا منظَّمَا
وأوْطفِ أجفانٍ من السحر كُحِّلتْ   تغادر من قد غازلته مُتَيَّمَا
تسوق المُعَنَّى للصبابةِ والهوى   وكم من وَلوعٍ فات فيهنّ مُغرَمَا
حليفَ جَوًى طوعَ الغرامِ تنوده   دواعى التَّصابى ناحلَ الجسمِ مُسْقَمَا
مُبَلْبَل بالٍ فى محبةِ أغيدٍ   بديعِ جمالٍ كلَّ جَورٍ تعلَّمَا
يطُلُّ دمَ العشاق جَوْرًا لأجل أن   يضرِّج منه أبيضَ الخدِّ بالدَّمَا
رنا كالطَّلا والغصنِ قدًّا وناظرا   يسدِّد سهما والرُّدَيْنِيَّ قوَّمَا
وحاوَلَ أن يرمى فؤادى وما درى   بأنّ فؤادى لايُبالى بما رَمَى
لأنِّىَ عن طُرْق الهوى مِلْت جانبا   وجانَبْتُ لهواً للتَّصابى مُيمِّمَا
وهل بعد مالاح الصباحُ بلِمَّتى   وفى ليل غَيِّى فجرُ رشدى تبسَّمَا
بروق بأنِّى يزدهينى تعشُّقٌ   وملْتُ لحبٍّ والشبابُ تصرَّمَا
فآهاً لأيام الشَّبابِ ولم أزَلْ   على فقْدِه ذا حُرقةٍ متألِّمَا

---

(١) فى ب : « بقيت على الأيام لى خير مؤمل » ، والمثبت فى : ا ، ج

(٢) العهن : الصوف ، وهو يعنى العهن المنفوش ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ . سورة القارعة ٥ .

(٣) هذه المقدمة ساقطة من : ج ، وهى فى : ا ، ب .

تبدَّلتُ عن طِيب اغتنامى لصحتى ... وعن لذتى فيها من السُّقْم مَغْرما(١)
وقاسيتُ ممَّا بى أَلَمَّ من الضَّنى ... ومن فادح الخطب الذى جلَّ صِلْدِما(٢)
وأحمَد ربِّى حيث أبرأنى الضَّنى ... وبى من أليم الكَرْب نجىّ وسلَّما(٣)
فما ظَبْيةٌ قد عاقَها عن شُوَيْدنٍ ... لها شَرَكٌ من صائدٍ فوقها ارْتمى
وأقبل مسرورًا إليها ورام أن ... يَشُدَّ وَثاقَيْها فأبصَر أرْقما
يحاوله كالليث من كلّ وجهةٍ ... يُصاوله أيَّانَ سار ويمَّما(٤)
فأُذْعِر منه حيث أرْعِد خيفةً ... وأفلتها من خَشْية الصِّلِّ مُرْغَما
فراحتْ كريحٍ فى الفَلا نحو سِرْبِها ... تُزْيل غبارَ الموت عنها وعَنْدما
أتتْ خِشْفَها أحنتْ عليه بكلها ... وقد أرضعتْهُ بعد أن شَفَّه الظَّما(٥)
بأفرحَ منى يوم بُرْئِى من الضَّنى ... وجئتُ إلى مولاى فيه مُسلِّما
ومُتِّعتُ بعد اليأس منه بنظرةٍ ... له ظَلْتُ فيها بالسرور مُنعَّما

***

ولى معه مجالس نمتحن فيها الأفكار، ونزفُّ عرائس الأدب الأبْكار.

من محاضرات(٦) تُوصِّل الأُنس إلى سَواد(٧) القلب وصَمِيمه، ومحاورات تُميط الهمَّ عن النفس وقد ألحَّ فى تصْميمه.

---

(١) فى ا : « من السقم خرما » وفى ب : « من السقم حرما » ، والمثبت فى : ج .
(٢) فى ب : « الذى حل صلدما » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والصلدم ، كزبرج : الأسد والصلب والشديد . القاموس (ص ل د م) .
(٣) فى ا ، ب ، ج : « وبى من أليم نجى وسلما » والمثبت فى : د .
وفى ا : « حيث أبرأنى الضنى » ، وفى ب : « حيث أبرأنى الهوى » ، والمثبت فى : ج .
(٤) فى ا : « أيان صار وعما » والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) فى ب : « بعد ما شفه الظما » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) فى ب : « محاضرة » ، والمثبت فى ا ، ج . (٧) فى ب : « عواد » والمثبت فى : ا ، ج .

وأغلبها تجرى فى مجلس الأستاذ زين العابدين[1] ، مُنْتَدَى روائع[2] الطرائف ، ومُنتَهى[3] بدائع الظرائف .

ومقصِد الأمانى والأطْماع ، وصَيْقَل النَّواظر والأسْماع .

حيث شَمِل الفضلَ فى انْتِظام ، والحسنُ كُلُّه مجتمعٌ جَمْعَ نِظام .

وهو ـ أبقى الله مُهجتَه ، وحرس على الأيام بَهْجَتَه ـ يُقَيِّد خُطَى الأبصار بالاقتصار عليه ، ويأخذ بأزِمَّة القلوب بالانحياز إليه .

ونحن نرى لقاءه فائدةً نكتسبها ، ومحبَّته قُربةً عند الله نحتسبها .

فنَفِيض[4] بإقباله فَيْضَ الأنهار ، ويفوح ثناؤُنا فى ناديه فَوْحَة الأزهار .

* * *

فلما دار بيننا ذكرُ التَّصحيف فتعرَّفْنا[5] مزاياه ، ثم انتهت بنا النَّوْبةُ إلى نوعٍ قريب منه يُعْرَف بالمُعاياة .

فقال المترجَم شاهين : المتنبى

فقلت له : تريد [6]تُنْبِئنا هنيأ[6] لمن يَذُب[7] .

ثم قلت له : أتْنِينا نتباهى بكلامك .

وأردت : أنت[8] ياشاهين [9]كلُّ أمل[9] .

فقال الأستاذ وقد أحضِر عنب[10] : العنب ثقيلٌ أكلُه .

---

(١) تقدم ذكره قريباً ، فى صفحة ٤٥٨ . (٢) فى ا : « ودائع » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « ومنتقى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « فتفيض » ، وفى ج : « فيفيض » .
والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : « فعرفنا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ج : « بتناهينا » ،
والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ب : « تابه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) ساقط من : ا ،
وهو فى : ب ، ج . (٩) فى ج : « كامل » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(١٠) فى ب : « عنبا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

يريد : العشق بلاء كلُّه .

فقلت له : العين تقتل إن عدَت .

وأردت : العشق بلاء يعذِّب .

وخاطبته بقولى : أبداً أبث ثناى ندىّ أغلا نثر ينفث .

وأردت : يبقى[1] زينُ العابدين أستاذنا .

وفيه مع التصحيف القلب ، وهذا أصعب من الأول .

وذكروا منه : خيل مهلل[2] أدهشتنا .

وتصحيفه مع قلبه ، يؤدى إلى قولنا : [3] أنت شهد اللهُ مليح [3] .

***

والتصحيف كما ذكروا أن تصحِّف كلَّ حرفٍ[4] بما يماثله[4] ، والثلاث السِّنات[5] التى فى السين والشين تُصحَّف بثلاث حروف مماثلتها[6] ، كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وتُصحَّف الكاف باللام .

والأحرُف التى لا تُصحَّف أربعة : الألف ، والميم ، والهاء ، والواو .

***

وأول من صحَّف[7] على رضى الله عنه ، فى قوله :

كلُّ عِنَبِ الكَرْمُ يُعْطِيه ... إلَّا عِنبَ الذِّئْبِ[8]

كل عَيْبِ الكَرَمُ يُغطِّيه ... إلا عَيْبَ الذنبِ[9]

---

(١) فى ا : « به » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « مهلهل » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « انت والله مليح » ، وفى ب : « شهد الله أنت مليح » ، والمثبت فى : ج ، وهو ما يصح فى تصحيف وقلب المثال السابق . (٤) فى ب : « بماثله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « السينات » ، وفى ب : « سينات » ، والمثبت فى : ج . (٦) فى ا : « مما يماثلها » ، وفى ب : « مماثلها » ، والمثبت فى : ج . (٧) فى ب زيادة : « الإمام » . (٨) فى ا : « الكرم نعطيه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٩) فى ج : « الكرم يعطيه * إلا عنب الذئب » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ذكره ابن هشام فى « مُوقِد الأذهان ، ومُوقظ الوسنان »[1] .

* * *

ومن التصاحيف الحسَنة :

نصَحت نخَنتى : تصحيف حسن .

السمسم سرّقه علىّ وحياتك : الشمس مشرقة على وَجَناتك .

المحتسِب طرح سبايك : المحِبّ ينتظر حسناتِك .

* * *

ومما وقع منه بَديهة[2] ، أن المعتمِد بن عبّاد ساير ابن عمّار وزيرَه ، فى بعض أرجاء إشْبيلِيَّة ، فلقيتْهما امرأة ذات حسن مُفْرِط ، فكشفتْ عن وجهها وتكلّمت بكلام لا يقْتضيه الحياء ، وكان ذلك بموضع الجبّاسين الذين يصنعون الجبس، والجيّارين الذين يصنعون الجير[3] .

فالتفت المعتمِد إلى موضع الجيّارين[4] ، وقال : يابن عمار ، الجيّارين .

ففهم مراده ، وقال فى الحال : يامولانا ، والجبّاسين .

فلم يفهم الحاضرون المراد ، وتحيّروا .

فقال له المعتمِد : لا تبِعْها منهم إلّا غالية .

وتفسيرها أن ابن عباد صحّف « الحيَا زَيْن » بقوله : « الجيّارين » ، إشارة إلى أن[5] تلك المرأة لو كان لها حياء ، لازْدانت .

---

(١) فى الأصول : « وموقظ الإنسان » والكتاب مطبوع ، ولكنى لم أتمكن من الاطلاع عليه ، فى المخطوطة لوحة ١٣٦ ا : « كلّ عنب الكرْم تعطيه . يريد : كلّ عيب الكرَم يغطيه » فقط .

(٢) الخبر فى نفح الطيب ٥/٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٣) فى ب : « الجيار » والمثبت فى : ا ، ج ، وانظر حاشية نفح الطيب ٥/٣٩٢ . (٤) بعد هذا فى ب زيادة : « الذين يصنعونه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ونفح الطيب . (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، ونفح الطيب .

فقال له : « والجبَّاسين » . [١] وتصحيفه : « والحَنا شَيْن » [١] . أى : وهى وإن كانت جميلة [١] بديعة الحسن [١] ، [٢] لكن الحَنا شَيْن [٢] .

وهذا شاذ [٣] لا يُلْحَق .

***

وذكر فى « اليتيمة » [٤] أن قَسْوَرة بن محمد كان من أوْلَع الناس بالتَّصْحيفات [٥] ، فقال له أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب : إن أخرجتَ مُصحَّفاً أسألك عنه ، وصلْتُك بمائة دينار .

فقال له : أرجو أن لا أقصِّر عن إخراجه .

فقال أبو أحمد :

[٦] فى تنور هيثم حمد [٦] .

فوقف حمار قَسْوَرة ، وتبلَّد طبعه [٧] .

فقال له : إن رأى الشيخ أن يمهلنى يوماً فعَل .

فقال : أمهلْتُك سنة

فحال الحَوْل [٨] ولم يُخْرِجْه [٨] .

فقال له أبو أحمد : هو اسمك ، قسورة بن محمد . فازْداد خجلَه وأسَفُه . انتهى .

فانظُر تبلُّد طبعِه العراقىّ مع توقُّد ذلك الطبع الأندلسىّ ، فمثل هذا ممَّا يقْضى لأهل الأندلس بكمال الفِطنة ، والتيقُّظ .

***

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، ونفح الطيب . (٢) فى نفح الطيب : « لكن الحنا شانها » . (٣) فى نفح الطيب : « شأو » . (٤) يتيمة الدهر ٤/٦٦ . (٥) فى ب : « فى التصحيفات » ، والمثبت فى ا ، ج ، واليتيمة . (٦) فى اليتيمة : « فى تنور هيثم جمد » .

(٧) بعد هذا فى اليتيمة : « وتقشر قلسه » . (٨) فى اليتيمة : « ولم يقطع شعره » .

والمعجز الباهر لهم ، ما حكاه بعضهم ، أن ملكاً من ملوكهم طلب من وزيره أن يُملّكه ابْنته ، وكانت جميلة ، فأبى ، فحبسه ثم أطلقه بعد مدة ، واسْتَدْناه إليه ، وسأله عن حاله .

فقال : أندلسى .

يعنى : أن ذُلِّيَ بَيِّن .

فقال له : أندلسى .

يعنى : أبْذُل شىء .

فقال : أندلسى .

يعنى : (١ أبذُل بنْتِى .

فقال له الملك : أندلسى .

يعنى : أنْذَلُ شىء .

فقال له : أندلسى .

يعنى ١) : أبذُل بِنتى .

فقال الملك : أندلسى .

يعنى : أبْدِل نِيَّتِى .

فقال : أندلسى .

يعنى : (٢ ايدك ينبى ٢) .

* * *

ومثله فى سرعة البَدِيهة قول بَلَنْسِيّ من أهل الأندلس ، وقد سئل عن بلده ،

---

(١) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا . (٢) كذا فى : ا ، د ، وفى ب : «ايدل سى» ، وفى ج : «ايدك بنى» ، ولم أعرف وجهه .

فقال : أربعة أشهر . يريد : ثلث سنة ، وهو تصحيف بَلَنْسِية . انتهى .

***

وأمّا المُعاياة ، فقد ذكرت منهـا قولى : حسبُك حُسْنُك عِزّاً غرّاً قلوبَنا فلَوَيْنا الأعِنّة إلّا عَنْه .

وقد ذكروا منها ماوقّع به بعض الخلفاء إلى صاحب له ، شكا الرعيةُ من ظلمه : غَرّكَ عِزُّكَ فصار قُصار ذلك ذُلّك فاخْشَ فاحِش فِعلك فَعَلَّك تَهْدا بهذا .

ومنـه : وقد وفَد [1] وصِيف وصنَّف [2] رجالَه رَجّالة [3] [4] يُريد يزيدَ ، الخائنَ الخائن ، الجائر الحائر فالتقوا فالْتَفّوا فَيـالَ [5] قِتـالِ قَوْم قَوَم [6] حزْبهم [7] خِزْيهم [8] .

ومنه . يا بُنَيّ نابني أمرٌ أمَرّ مُجْدود مَحْذُور ، عليه علّته تفرع تُفْزِع قلبي فلُبِّي وَالِهٌ وإلهُ أحمدَ أحْمَدُ [9] .

---

(١) فى ج : « وقد » بتشديد الدال . (٢) فى ج : « وضيف » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ب : « رجاله » ، وفى ج : « رحاله » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ج : « يريد يزيد » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) كذا فى الأصول .

(٦) فى ج : « قوم » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) بعد هذا فى ب زيادة : « حربهم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ب : « خزبهم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٩) فى ج : « أحد » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٤٥

أخوه مصطفى*

طلع بدرُه تمَاما ، وانْسجَم لفظُه غماما .

فأضاءت معاليه وأشرقتْ وأغصّت[1] حاسديه وأشرقت .

ولقد[2] لقيتُه بمكّة جِوارَ الرُّكن والحَطيم ، وهو مُفْحِم قُسٍّ وقَيْس بن الخطيم[3] .

وأنفاسه ثَمّةَ طَيّبةُ النَّفْح ، يذكرهُ المعنى من العَقيق والسَّفح .

يُراح إليه ويُغْدَى ، وهو يتوسَّع ترفُها وعيْشا رَغْدا .

فكنت له مالكا ، وكان هو لى عَقيلا[4] ، أرتاد له مَعرِسا فيهيِّئ[5] لى مَقيلا .

وكانت عِشْرتى معه فُرُشُها المحامد ، وخدَمُها[6] الشاكر والحاسد .

شكراً يملأ سامعتى[7] الفوزَ والنَّجْد ، وحمداً يهُزُّ عِطْفَى السُّؤدد والمجد .

وذكر لى من حديث فراقه لمحلّه ، وتنكُّبه[8] لشَدِّ[9] مطيَّته ورحلِه .

أنه كان فى حِجْر خاله وهو دون التَّمييز ، وقدّر الله له[10] المهاجرة فأصحبه فى كَنَفِه الحريز .

(*) فى ج زيادة : « بن فتح الله » .

(١) فى ب : « وأغضت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ب ، ج : « الحطيم » ، والمثبت فى : ا ، وانظر الحاشية رقم ٢ فى مقدمة ديوان قيس بن الخطيم ، صفحة ٧ .

وهو أبو يزيد قيس بن الخطيم الأوسى .

شاعر جاهلى ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتل قبل الهجرة .

مقدمة ديوان قيس بن الخطيم ٧ .

(٤) تقدم ذكر مالك وعقيل ، فى صفحة ٣٣٠ . (٥) فى ا : « فيهيأ » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى ب ، ج : « وخدمتها » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ا : « سامعة » ، وفى ب : « سامعين » ، والمثبت فى : ج . (٨) فى ا : « وتنكبه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٩) فى ب : « لشدة » ، وفى ج : « لسد » ، والمثبت فى : ا . (١٠) زيادة من : ب على ما فى : ا ، ج .

ثم رحل فى شبابه واغْترب ، ونقَّب فى الحجاز واليمن للتَّحصيل واضطرب[١] .

حتى اسْتقر بالحرَم المكِّى فامتزج[٢] بقُطَّانه ، واشتغل بذخائر فضائلهم عن أهلِهِ وأوطانه .

وله عندهم منزلة[٣] به تَليق ، ومَرتَبة هو بها خَليق .

وقد جمع « تاريخاً » سال فيه من طبعِهِ مَعينُه ، وطامتْ فى قصور طروسِهِ أبْكارُه وعِينُه .

وكنت سمعتُ به ولم أظْفَر منه[٤] بالعَيان ، فلمّا رأيتُه اتَّضح لى فى حِينه[٥] صِدقُ البيان .

ورأيت جَمعاً يجمع من دَبَّ ودَرَج ، حتى يقول مَن رآه : حدِّث عن البحر ولا حَرَج .

ما شِيت من ترتيب غريب ، وتطريب من بَنان أريب .

إلى جزالة مُشْرَبة بحلاوة ، وسهولة مُتدفِّقة بطلاوة .

إذا قال لم يتْرك مَقالًا لقائل ، ونَفَسُه فيه طويل إلَّا أنه لايخلو من طائل .

وهو بسبب سَعَة اطِّلاعه ، وشدَّة قيامه بالطريقة واضْطلاعه .

لايقتصر على ماينْبغى ، ولا يَمنع من الذِّكْر المبْتغِى .

وبالجملة ،فشكَر الله عليه سَعْيَه ،وتولَّى بعضَ عناية حراسته ورَعْيه .

* * *

---

(١) فى ب : « والطرب » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « فامتن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) فى ب ، ج : « حسنه » ، والمثبت فى : ا .

وكان أوقفني على مجاميع بخطّه ، فاقتطفتُ منها ماحلا وطاب ، وملأْت من بدائع ذخائرِها النَّفيسة الوِطاب[1] .

فمما تناولتُه من شعره .

قوله :

حدِّثا عن صَبابتي واصْطباري ... وارْوِيا لَوْعتي بِخالي العِـــذارِ
وخُـــذا عنِّيَ الهوى فحديثي ... صحّ فيه وسُلْسِلتْ أخْبـــارِي
يارفيقيّ من زمانِ التّصـــابي ... والتصابِي مَظِنَّةُ الادّكارِ[2]
علِّلاني بالخَنْــدرِيس لَعلِّي ... أرشُق القلبَ بارْتشافِ العُقارِ
واسْقِيــاني وروِّحاني بروْحٍ ... كالعقيقِ المُذابِ وَسْطَ النُّضارِ[3]
من يَدَيْ شادنٍ بنفسي أُفدِّيـ ... ـه مليحاً خلعتُ فيه عِذارِي
مائسِ القدِّ أحمرِ الخدِّ أحْوَى ... كاملِ الحسنِ أهْيَفٍ مِعْطارِ
إن تبدَّى فى ظلمة الليل أبْدَى ... من سَناه لنــا ضياءَ النهارِ[4]
وإذا مارنا بطرفٍ خَـــفِيٍّ ... سلبتْ مُقْلتــــاه منّى قرارِي
وإذا زارنى على غيرِ وعــــدٍ ... عَبقتْ ريحُــــه إلى كلِّ دارِ
كم أُدارِى العذولَ والوجدُ قاضٍ ... بافتضاحِي فى حُبّه واشْتِهارِي[5]
ساحِرِي باللَّحاظ ماذا عليـه ... لو يُوافِي مُضْناه فى الأسْحـــارِ

* * *

(١) الوطاب : جمع الوطب ، وهو سقاء اللبن . القاموس (و ط ب) . (٢) فى ب : « والتصابى مطية الإذكار » . والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « وسط النهار » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٤) فى ب : «من سناه لنا ضيا الأقمار» ، والمثبت فى: ا ، ج . (٥) فى ا : « كم أدارى العذال» .
والمثبت فى : ب ، ج .

وكتبتُ إليه وقد توجَّه إلى الطائف، وتخلفت أنا بمكة :

ليس عندى ما أرتجى من زمانى ... غيرَ لُقْياك يا أجلَّ الأمانى
فعلى كل حالةٍ أنت قصْدِى ... ومُناىَ وأنت نورُ عَيانى
لا أرى العمرَ بعد بُعْدِك إلا ... حَسَرات قد أردفتْ أحزانى
غيرَ أنّى أُعلِّل القلبَ والفكْرَ بذِكْرى ثَناك فى كلِّ آنِ
لا لأنى أنساك أُكثِرُ ذكْرا ... كَ ولكن بذاك يجرى لسانى

***

ثم دعانى الشوقُ إلى ذلك الوادى البَهِيج ، والمُتنزَّه[1] الذى يأخذ على البصر بمَنْظره الرَّهيج[2] .

فشمَّرت لقصْده عن ساقِ الهمَّة ، وجعلت رؤيتَه عندى من الأمور المهمَّة .

فخرجتُ من مكة وطرفى من الدمع[3] بالقَذَى ملآن ، إلا أنى أذكر مياه ذلك[4] الوادى فلا أبيتُ إلا بغُلَّة[5] ظمآن .

وكان عرَض لى فى الطريق نَفْرَة[6] من لصٍّ طائف ، فكدت[7] أن أصير أتْيَهَ من فَقِيد ثَقِيف بالطائف[8] .

---

(١) فى ا ، ب ، ج ، د : « المتنزه » . (٢) فى ا ، ج : « الرهيج » ، والمثبت فى ب . ولم أهتد إلى المعنى المقصود ، فالرهج : الغبار أو الشغب . (٣) فى ب : « المدمع » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا . (٥) فى ا : « بفعله » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) النفرة : القوم ينفرون معك . القاموس (ن ف ر) . (٧) فى ب : « فكرهت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فقيد ثقيف : رجل عشق امرأة أخيه ، وضنى ، وكان أخوه فى سفر ، فلما عاد ، وعرف أمره طلقها ليتزوجها أخوه ، فحرم على نفسه زواجها ، وفارق الطائف وهام فى البر ، فما رؤى بعد ذلك .

انظر خبره فى مجمع الأمثال ١ / ٩٩ .

ثم سلَّم الله فحللتُ بطنَ وَجّ(١) ، ونزلت بوادٍ تزوره السَّرَّاء من كل فجّ .

وكان مُناخي بالسَّلامة(٢) أجملِ مواضعه وأبهاها ، وأحبِّها إلى النفوس وأشهاها .

لإحلاله محلَّ النور من الإنسان ، وإشرافِه على فضاء يُبعِد(٣) فيه النَّظر إذا وقف للاستحسان .

ما بين غُصون مُلتفَّة ، ومياهٍ بجُدْرانه مُحْتفَّة .

ونادٍ يفوح أَرَجُه ، ووادٍ يلوح مُنْعرَجُه .

أتيْتُه من بعد ما كاد الرَّدَى ... يُورِدنى موْرِدَ النَّدامَــــهْ

فالحمدُ لله على رُؤْيتِــــهِ ... والحمدُ لله على السَّلامَـــــهْ

ولقِيت به المترجَم وقد وطَّأَ(٤) فيه(٥) للرفاهيـة مضجَعا ، ومهَّد للعيش النَّضْر مهجَعا .

وثَمَّة(٦) جماعة من الأوِدَّاء(٧) أكسبهم اللهُ محبَّة كلِّ فؤاد ، وزرع لهم المودةَ فى ملأٍ به ألفُ واد .

فانحزْت فى غِمارهم ، وتمتَّعت حيناً بتَحَف أسمارهم .

وأذكر يوماً مرَّ لى(٨) معهم فى روض اُخْضرَّت أشجـارُه ، وتنفَّست عن المِسْك أسمارُه .

---

(١) وج : هى الطائف ، وهى بلاد ثقيف ، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا .
معجم البلدان ٣/٤٩٥ ، ٤/٩٠٤ .

(٢) السلامة : قرية من قرى الطائف ، يقول ياقوت : بها مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى جانبه قبة فيها قبر ابن عباس ، وجماعة من أولاده ، ومشهد للصحابة ، رضى الله عنهم .
معجم البلدان ٣/١١٣ .

(٣) فى ا : « يسير » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « وطئ » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٦) فى ج : « وثم » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ب : « الأولاد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٨) فى ب : « بى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

مَهَزّةٌ نَبْتِه رَيّانة ، وصَبَوات سُحْبِه حَنّانة .

ماؤه يَبُوح صفاؤه بأسرارِه ، وتلوح حَصْباه فى قَرارِه .

ونحن ننفُض أعطافَنا أرْيحِيّةً ، وتهادَى رياحينَه تحيّةً .

وبيننا حديث مُستعذَب ، يَهُزُّ العِطفَ اهْتِزازَ العَذْب[1] .

فقلت أصفه[2] :

للهِ يومُ الطائفِ البَهِجِ الذى ... نِلْنا به أسنَى مُنًى وأمانِى[3]

مع فتيةٍ غُرِّ الوجوه حديثُهم ... مُسترقِصٌ لمعاطِفِ الأغصانِ

رأتِ انْتِظامَ كلامِهم أزهارُه ... فتَناثَرَتْ فى ساحة البستانِ

وكذا الدَّرارِى لم يرُقْها نظمُها ... فرمتْ بأنفسِها إلى الغُدرانِ

ولما فارقتهم وجئت إلى مكة على طريق[4] كَرَى ، وهو الذى يقول فيه شاعرهم[5] :

عُجْ عن كَرَى فهو مُزِيجُ الكَرَى ... والنفسُ منه نفَساً تخرُجُ

وفى الهَدَى ضِدّ الهُدَى مسلكٌ ... يوشِك من يسلُكه يَحْرَجُ[6]

كتبتُ إلى المترجَم :

حالى بعد فِراق أخى حالُ من فقد الرُّوح ، وأضحى مُنازَع الجسمِ[7] المطْروح .

وشوقى شوقُ الظمآن ، لماء الغُدْران .

---

(١) العذب أيضا : شجر . انظر القاموس (ع ذ ب) . (٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

(٣) من أول هذا البيت ، إلى آخر قوله : « مابقى بها سواد » فى أثناء افتتاحية ترجمة إبراهيم بن محمد السفرجلانى الآتية ، ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٤) زيادة من : ب ، على ما فى : ا .

(٥) فى ب : « الشاعر » ، والمثبت فى : ا . (٦) هدى ، بالفتح : موضع فى نواحى الطائف . معجم البلدان ٤/٩٥٥ .

وفى ب : « يوشك من يسلكه يحرج » ، والمثبت فى : ا .

(٧) فى ب مكان هذه الكلمة : « الجسد البالى » ، والمثبت فى : ا .

والسارى فى الظلام ، لتبلّج البدر التّمام .

وأمّا حديثُ سَفْرتى التى أنـكَت ، وأذْكت حرَّ هجيرها فأبْـكت[1] .

فمن حين وَدَّعت ، أوْدَعت[2] القلبَ ما أوْدَعت .

لم تغلَط بى رَاحة[3] إلا إلى الهَدى ، ومنها بان عنى الرشدُ وأخوه الهُدَى .

فعلوت ذِروةً أرتْنى نجومَ السماء مُظهِرة[4] ، وهبطتُ نَجْوةً[5] كشفتْ لى نُجومَ الأرض مُظْهَرة[6] .

فترجَلْتُ[7] هَيْبة وذعرًا ، وسلـكتُ مسالـكا ما رأيت مثلَه وَعْرًا .

والرُّفقةُ (8 كلٌّ منهم 8) فى واد ، وبرُؤيتهم[9] قُرَناء احتاجوا إلى قُوَّاد .

لـكنَّ منهم من تاه وضلَّ ، وأدركه الإعياء فسئِم الحياة وملَّ .

ومنهم من أخذته الحيرة ، وستولتْ عليه من أحلامِه فى كَراه الظَّهيرة .

ومنهم[10] ، وهم الـكثير ، مُؤتمون[11] موجوعون ، زُمرتُهم[12] : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[13] .

وأمّا أنا ، فلو رأيتنى وعصاى القُوسُ[14] فذى وَتَر ، وقد جِئْتُ[15] من كل نهْزة للتهلُـكة على قَدَر .

---

(١) فى ب : « وأبـكت » ، والمثبت فى : ا .   (٢) فى ب : « وأودعت » ، والمثبت فى : ا .

(٣) الراحة : موضع فى أوائل أرض اليمن ، قال ياقوت : أظنها قرية . ولعله يعنى راحة فروع : موضع فى بلاد خزاعة ، لبنى المصطلق منهم ، كان فيه وقعة لهم مع هذيل .

معجم البلدان ٢/٧٢٩ .

(٤) فى ب : « مظهرا » ، والمثبت فى : ا ، ومظهرة : أى فى الظهيرة .   (٥) فى ب : « نجوة » ، والمثبت فى : ا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض .   (٦) فى ب : « مظهرا » ، والمثبت فى : ا .

(٧) فى ب : « فترحلت » ، والمثبت فى : ا .   (٨) فى ب : « كلهم » ، والمثبت فى : ا .

(٩) فى ب : « وبرأيهم » ، وفى د : « وبرأيتهم » والمثبت فى : ا .   (١٠) بعد هذا فى : ب ، زيادة : « من » ، على ما فى : ا .   (١١) فى ب : « مؤلمون » ، والمثبت فى : ا .   (١٢) فى ا : «رفوتهم» ، والمثبت فى : ب .   (١٣) سورة البقرة ١٥٦ .   (١٤) فى ا : « القوس » ، وفى ب : « بقوس » ، والمثبت فى : د .   (١٥) فى ا : « جبت » ، والمثبت فى : ب .

وأيِسْتُ من السلامة ، وعُدْت على نفْسِي بالمَلامة .

رأيتَ شيْخا وقف على ثَنِيَّة الوَداع ، وسلم نفسَه للحَتْف إمَّا بالطُّمَأنينة أو بالخِداع .

ولم يبْقَ منى إلا نفَسٌ خافِت ، وجسم من النَّصَب هافِت .

فما تخطَّت فى التخطِّى لى[1] قدم ، إلا وأخطأتْ خطاً كلُّه ندَم ، وعثْرت عَثْرةً[2] غَصَّانةً بدَم .

حتى لطَفَ اللهُ تعالى بلُطْفه ، وأوْلانى فريدَ رأْفته وعطفه .

فرأيت المَحطَّة وأحسبنى بها حالما ، وما تحقَّقْت البقاء ، علِم الله ، حتى وصلتُها سالما .

فقعدت أنفُض غبارَ[3] الموت ، وأتفقَّد قُواىَ فأرى قد فات فيها الفَوْت .

سوى بقيَّة لم أعدَم بها فضلَ الأقوات ، وأُحسَب لأجلها من أحياء الأموات .

فلم يستقرَّ قرارُنا حتى شدُّوا من ذلك المكان ، فانحلّ من عَقْد عزمى ما كان فى حَيِّز الإمكان .

ثم رَحَّلَنا العِيس ، على ذلك الرَّأْى التَّعيس .

وسرْنا إلى أن وصلنا إلى شداد ، ونحن نطالب من الله تعالى أن يمدَّنا منه بأمداد .

فَما نزَلْنا حتى ركبْنا والحالُ باقٍ وفيه شِدَّة[4]

فوقفتُ مُمْتَثِلا ، وأنشدت قولى متمثِّلا[5] :

شَدُّوا فحلُّوا فؤادِى وكثرةُ الشدِّ تُرْخِى[6]

(١) فى ب : « إلى » ، والمثبت فى : ا . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب . (٣) فى ب : « غبرات » ، والمثبت فى : ا . (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا . (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا . (٦) فى ا : « والكثرة الشد » ، والمثبت فى : ب .

فنزلنا بعد رُبْعِ الليلِ عرَفة ، ورأى كلٌّ منا صاحبَه وعرَفه .

فوقفنْا ، وما توقّفنْا .

إلى أن هيَّأوا لنا مَراحا ، وما تقيّدوا به إلا وهم يبغون سَراحا .

فجلسنا بعضُنا شاكٍ فقد أحْبابَه ، والبعض الآخر شاكٍ من الحجارة وما أصابه .

وأنا بينهم ساكتٌ ألفا ، وناطقٌ خَلفا[1] .

كيف وقد خلّفتُ ما يُورثُ الهَذَيان ، وتأْبَى مواقِعُه أن يحُوم[2] حولها[3] النّسْيان .

ثم انكفأْنا [4] انكفاء الحَيا [4] ، ولسان الحال يقول : لا سَقْياً ليومنا ولا رَعْياً .

فما راعَنا إلا المُكارِي وحزبه ينادون : هيَّا فاركبوا ، طلَع الفجر .

فأبعَدُوا المَدَى ، وأزعجوا الصَّدَى .

فنهضت من مرْقَدى نهضةَ عجْلة ، وما أحسَبنى[5] تنبّهت من غفْلة .

وركبت الليلَ البهيم ، والشوقُ إلى الرُّقاد شوقُ الهِيم .

وما برِحْنا فى برحٍ وعَنَا ، حتى وصلْنا مع الشروق إلى مِنَى .

فقلت لرفيقٍ لى انتخبْتُه[6] ، ولمثْلِ هذا الأمر انتجبْتُه :

هلمَّ فلْنَسْترِحْ ونُرِح ، ونَقِيل فى هذا المكان المنشرِح .

فقِلت وقال ، [7] وأقلتُ عثْرةَ الدهر وأقال [7] .

---

(١) الخلف : الردئ من القول . القاموس (خ ل ف) . وانظر مجمع الأمثال ١/٢٢٣ .

(٢) فى ب : « يحول » ، والمثبت فى : ا . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب .

(٤) فى ب : « انكفاءة اعيا » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ب : «أحسبأنى» ، والمثبت فى : ا .

(٦) فى ا : « انتحيته » ، والمثبت فى : ب . (٧) ساقط من : ب ، وهو فى : ا .

واطمأنَّ بنا الجلوس حِصَّة ، وأرحْنا بها مضَّة[١] وأزحْنا غُصَّة .

وأخذْنا جانباً من النوم ، إلى أن نصَّفْنا ذلك اليوم .

ثم ركبْنا الطريق ، وفى القلب إلى [٢] الخَرِيق[٣] أشدُّ [٢] الحريق .

فلم تكُن إلا هُنَيْئَةٌ[٤] وصانا فيها الحَرَم الآمن ، وبثَثْنا[٥] ما فى الضمائر[٦] من الشوق الكامِن .

وفارقتُ رفيقى وأنا على عهـدِه الأمين ، وذهبَ ذاتَ الشِّمال وذهبتُ ذاتَ اليمين .

وآليت لا تحرَّيت كَرَى[٧] ثانيا ، ولاألْوِيْتُ عِنان عزْمى لثَنِيَّتِهِ ثانيا .

ولو جُعِلت الجبالُ دَكًّا ، وأُعْطِيت أرضَ الحجاز مُلْكاً .

وأنشدت :

إن كَرَى خَصْمُ حيـاتى فلا ... رأيتُه أُخْرى ولو فى كَرَى[٨]

فراحتى من يومه أصبحتْ ... كواصـلٍ لما رأتنى كَرَى

وإنَّ من أقطـعِ رَوْعاتِهِ ... لجُّ المُكارِى فى كِراما كَرَى[٩]

* * *

وكتبتُ إليه من دمشق :

---

(١) المضة : المرة من المض ، وهو الألم .

(٢) فى ب : « الخبر تواشد » ، والمثبت فى : ا .

(٣) الخريق : واد عند الجار ، متصل بينبع .
معجم البلدان ٢/٤٣١ .

(٤) فى ب : « هنيهة » ، والمثبت فى : ا .

(٥) فى الأصول : « وبثينـا » ، وهذه عادة المؤلف فى الفك ، فى الكتاب كله .

(٦) فى ب : «ضمائرنا» ، والمثبت فى:ا .

(٧) اسم المكان الذى تقدم ، فى صفحة ٤٧٣

(٨) فى ب : « ولو فى كرى » ، والمثبت فى : ا ، وكرى الأولى : اسم مكان ، والثانية : النوم .

(٩) الكراء : الأجرة .

أهدى من طيِّب التَّحايا ، عددَ فضائل سيدى الساميَة ، ومن التحيَّات المقْرونة بنشْر المزايا ، قَدْرَ أياديه الفائضة النامية .

وأمّا تشوُّقِى للقائه ، وتشوُّفى لتلقِّى الأخبار من تِلْقائِه .

فكما قلت :

شَوْقِى لتلك اللُّقْيَا   شوقُ الرُّبى للسُّقْيَا
وحَقِّ من مَيَّزَه   بين الورى للعَلْيَا
ما اعتضْتُ عنه بديلاً   بكلِّ مَن فى الدنيَا

وقلبُ سيدى شاهدٌ بوُدٍّ منى مُرسَل متصِل ، وحديث دعاء مرفوع إلى القبول غيرِ مقْطوع ولا منْفصِل .

وغايةُ المسْئول ، ونهاية المأمول ، أن يُيَسِّر الله تعالى حالةً يعودُ بها الأنس إلى أحسن نَضْرته ، ويُعيد لنا تلك الأوقاتَ السعيدةَ المسعودة بحضْرته .

٤٦

إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلانى*

أحسنُ المحاسن العصريّة ، وآدابُه أذْكى الرياحين الطَّرِيّة .

نَبَغ نَبْغة الغصنِ النَّضير ، فجاء بحمْدِ الله عديمَ النَّظير .

فطَلاقته لو خُلِعت على الدهر ماريعَ به فؤاد ، وغُرَّته لو سالت بلَيْل السَّليم[1] ما بَقِيَ بها سَواد[2] .

صُقِل نَوْرُه قبل انشقاق الكمائم ، وتطوَّق العَلْياء قبل أن يتطوَّق التمائم .

ومع ذلك فلا تُلْفَى الدَّنِيَّة لَدَيْه ، ولا تَألَف الفحشاء بُرْدَيْه .

وهو يهتزُّ لكلِّ لُبانَة[3] ، كأنه عِطْفُ[4] بانَة .

ويترنَّح غصناً رطيبا ، ويهبُّ عَرْفاً عِطراً وطيبا .

(*) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفرجلانى ، الشافعى ، الدمشقى .
ولد بدمشق ، سنة خمس وخمسين وألف .
وبها نشأ ، وقرأ على علماء عصره ، منهم : الشيخ نجم الدين الفرضى ، والشيخ إبراهيم الفتال ، والشيخ محمد بن سليمان المغربى ، والشيخ عبد الباقى بن أحمد السمان الدمشقى .
وبرع فى الرياضيات ، وأعمال الأوفاق ، والاستخدام ، ونبغ فى الأدب ، وله « ديوان » مشهور .
توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف ، ودفن بباب الصغير .
سلك الدرر ١/ ١٥ ، وذكر أن المحبى ترجمه فى « النفحة » ، ونقل عنه ، كما ذكر صداقتهما ، وذكر أنه لا يدرى إلى أى شىء نسبة السفرجلانى هذه .
وانظر الأعلام ١/ ٦٥ .

(١) فى ا : « التسليم » ، والمثبت فى : ب . والسليم : الملدوغ . من الأضداد . (٢) إلى هنا ينتهى الساقط من : ج ، والذى بدأ فى صفحة ٤٧٣ (٣) اللبانة : الحاجة من غير فاقة ، بل من همة . القاموس (ل ب ن) . (٤) فى ب ، ج : « غصن » ، والمثبت فى : ا .

وهو حليفى(١) الذى ارتبطت معه على وُدٍّ مُؤَثَّل ، وأليفى(٢) الذى شخصُه نأى أودنا فى عينى مُمَثَّل .

مازلت فى حبِّه متَّصلَ العلائق ، وكلانا على المودَّة مُصفَّى الخلائق .

وأنا أوْصَف لبدائعه ، من الزُّجاجِ(٣) لودائعه .

وأكْلف ببَنات فكرِه ، من سَمَر الكرام بذِكْره .

ولى فى بقائه أملٌ أرجو من الله أن(٤) لا أُبَنِّيَته(٥) ، وهذا دعاء بظَهْر الغَيْب لوسكَتُّ كُفِيته .

* * *

وقد تناولت من أشعاره مايطيب استعْذابه ، وأثبتُّ منه مايستدعى القلبَ إليه نِزاعُه وانْجذابُه

فمن ذلك قوله(٦) :

جُؤْذُرٌ عَنَّ من ظِباء تيماء(٧) ذو جفونٍ تصيد بالإيماء

لَيِّنُ العِطْف كالقضيب ولكن قلبه مثل صخرةٍ صمَّاء

عَرَبِىُّ النِّجار إن نسبوه نسبوه إلى ابنِ ماء السماء(٨)

---

(١) فى ب : « خليلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « وإلى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « الزجاجة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب .

(٥) الوارد : فات يفوت . (٦) هذه الأبيات ساقطة من : ا ، وهى فى : ب ، ج ، د ، وجاء مكانها البيتان : « لما غدت .. » وسبق ذلك : « فمن ذلك قوله مضمنا » .

(٧) تيماء : فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى ، على طريق حاج الشام . معجم البلدان ١ / ٩٠٧ .

(٨) ابن ماء السماء : هو المنذر بن امرئ القيس الثالث اللخمى .
ثالث المناذرة ملوك الحيرة ، ومن أعاظمهم وأشدهم بأسا .
قتل يوم حليمة ، قبل الهجرة بنحو ستين سنة .
انظر تحرير الأستاذ خير الدين الزركلى له ، فى الأعلام ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

مُولَعٌ بالجيادِ يختـــار منها ما يُجـــارِى سِرْبَ القَطا للماءِ
عَمُّوه بشَمْـــلةٍ فاجتلينـــا منه بدراً يضىء فى الظلماءِ[1]
سَلَّ صَمْصامَ لحظِه وتصدَّى فى طريق الهوى لسفْكِ الدماءِ

* * *

وقوله مضمِّنا[2]:

لما غـــدتْ وجَناتُه مرقومةً بعِذارِه وازْداد وَجْـــدُ مُحبِّهِ
نادى الشَّقيقُ بها زَبَرْجَدَ صُدغِه ياصاحِبِى هذا العقيقُ فقِفْ بهِ

* * *

وكتب إلىّ، ويخرج منه اسم محمد بطريق التعمية:

مولاى هل تحظَى بقربك مهجةٌ أطَلْتَ بنيرانِ البِعاد عذابَها
وهل لأُوامِ القلب يُوجَد مُحْمِدٌ لمحَبَّته حَرُّ الفؤاد أذابهـــا

فأنشدته قولى، ويخرج منه اسم إبراهيم:

إذا أعْوَزَ الرِّىُّ الُمجِدَّ بِهِمَّةٍ ونازلَه كربٌ مُلِحٌّ وتبْريحُ
فذ كرُكَ ماءٌ للسبيلِ ارْتوَى به صَداه وفيه الرَّاحُ للقلبِ والروحُ

وعمله كله فارسىّ، وإليه الإشارة بالرّىّ[3] البلدة المشهورة فى العجم، والماء: آب، والسبيل: راه، وره، كما يقولون للقمر: ماه، ومه.

وفيه صنعة باعتبار أن إبراهيم يُكتَب بألف وبدونها، فلك الخيار فيه.

---

(١) فى ج: «عمموه بشملة فاجتلينا»، والمثبت فى: ب، د. (٢) البيتان فى سلك الدرر ١/١٦.

(٣) الرى: مدينة مشهورة، قصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا.

معجم البلدان ٢/٨٩٢.

والراح مى ، وقلبها يم .

* * *

وسمع (١) قولى ، من أبيات :

إذا فوّقتْ سهمَ المنون جفونُه لقلبِ سوى قلبى تمنَّيتُه قلبى

فجاءنى يوماً وقد نظم هذا المعنى ، وتصرف فيه تصرُّفات شتَّى .

فمنها ما أنشدنيه ، وهو قوله :

وراشقٍ لم يطِشْ سهمٌ لمقلتِه ولم أكُنْ عن هواه قطُّ منصرِفا

فكلما فوّقتْ نَبْلًا عرضْتُ له كيلا يكونَ سوى قلبى له هدفا

* * *

ومنها قوله :

رِيمٌ تصدَّى للرمايةِ لحظُه يُصْمِى القلوبَ ولا جُناحَ عليْهِ

فإذا رمَتْ سهما إلىّ جفونُه جاراه قلبى فى المسيرِ إليْهِ

* * *

ومنها ما قاله مضمناً :

ومُثبِّتٍ سهمَ نجلاوَيْه فى كبدى كأنه الرِّيمُ يعْطُو نحو مرْتعِهِ

يقول قلبى لسهمٍ قد رماه به أهلًا لما لم أكُنْ أهلًا لموقِعِهِ

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه :

يالؤلؤاً أصْداقُه الياقوتُ قلبى عليك صَبابةً مفْتوتُ

لقد ابتسمتَ فلاح منك لناظرى سِمْطٌ بكل ملاحَةٍ منْعوتُ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

أحْبِبْ به سِمْطاً تنـاسَق دُرُّه ... فأتى بديعَ النظمِ وهْو شَتِيتُ (١)
يستوقفُ الأبصارَ باهـرُ حسنِه ... فالطَّرفُ فى لَألائِه مبْهوتُ
عَجباً له دُرًّا على مافيـه من ... صِغَرٍ له بين الجواهرِ صِيتُ (٢)
عَزَّ الوصولُ إليه ياقابى فمُتْ ... كَمَداً فحارسُ كنزِه هاروتُ (٣)

***

قلت : هذا شعرٌ هاروتُ تلميذُ إفادته ، وشاعرُه فتحُ خزائنِ الجـواهر فى كفِّ إرادته .

***

وأنشدنى قوله :

خَلِّ الذنوبَ ولاتَهُمَّ بفعلِهـــا ... فأخو الذنوبِ طـويلةٌ حَسَراتُهُ
واجْنَحْ إلى التقوى فطُوبى لامرئٍ ... غلبتْ على آحادِه عشَراتُهُ

***

وقوله :

حاذِرْ إذا وافيتَ جَرْعاءَ الحمى ... رِيماً هناك من الصِّبا فى شَرْخِهِ (٤)
لايَخْدعنَّك تحت عَطفةِ صُـدْغِه ... خالٌ فذاك الخـالُ حَبّةُ فَخِّـهِ

تصيَّده من قول بعضهم :

لاغَرْوَ أنْ صاد الفؤادَ بنظرةٍ ... رِيمُ المهَا فله بذاك أشايرُ (٥)
فى خـدِّه فخٌّ لعطْفةِ صُـدغِه ... الخالُ حبَّتُـــه وقلبى الطائرُ

***

---

(١) فى ب . « تناسب دره » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والشتيت : المفرق ، وهو يعنى الثغر الأفلج .
(٢) فى ب : « عجبا له دارا » ، وفى ج : « عجبا له در » ، والمثبت فى : ا ، وفيهـا : « له بين الجواهر قوت » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٤) شرخ الصبا : أوله .
(٥) أشاير : لعله جمع الشارة .

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، ماهو منه فى صيّاد :

أفْدِيه صيّاداً تعوّد فى الهوى ... أخْذَ القلوب بمكْرِه وبكيدِه(1)
كم صاد قلباً طار نحو جمالِه ... والخالُ تحت الصُّدغِ آلةُ صَيْدِه

* * *

وأنشدنى قوله :

أرْسلَ فوق الجبين طُرّتَه ... وفوّق اللحظَ سهمَه النافِذْ
فياجريحَ الفؤاد زِدْ سهراً ... فليلُه من نهارِه آخِذْ

* * *

وأنشدنى قوله ، معمّياً فى اسم حَيْدر :

رأى زيدٌ وعمرٌو وجهَ من قد ... أقام عِذارُهُ فى الحبّ عُذْرِى
فنكّسَ رأسَه زيدٌ حياءً ... وولّى وهْو يسحب ذيلَ عمرِو

* * *

أراد بتنكيس رأس زيد عدده الهندى ، وذيل عمرو ، هو الراء هنا ؛ لأن القافية هنا دالّة على الفرق بينه وبين عمر ، وهم ذكروا أن الواو لا تثبتُ إلّا للفرق .

* * *

وأنشدنى قوله أيضاً :

ذكرتُ له يوماً بمجلسِ أُنْسِه ... أبا الدُّرّ ياقوتاً وأطْنبتُ فى الذِّكْرِ
فقال فَذا وصفٌ يقوم بمُسْمِى ... فمَبْسِمِىَ الياقوتُ وهْو أبو الدُّرِّ

* * *

---

(1) فى ب : « بمكره ومكيده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله منه أيضاً :

يقول لى جِيدُه الفِضِّىُّ حين زَهَا ... بِمِسْكِ خالٍ على ذاك البياضِ نقَطْ
كَنَوْا أبا المِسْكِ كافورَ القدغلطوا ... أنا أبو المسكِ كافورٌ بغير غَلَطْ

* * *

وأنشدنى قوله ، وهو معنى أبرزه ولم يُسْبَق إليه ، فاستحقّ به التَّبْريز ، وجاء به أنفس من الإبْرِيز[1] :

كُفُّوا المَلامَ ولا تَعِيبُوا زهرةً ... فى وجْنَتَيْه تلوحُ كالتَّطريزِ
فالحسنُ لمَّا خَطَّ سطر عِذَارِه ... ألْقَى عليـــه قُراضةَ الإبْرِيزِ

* * *

وأنشدنى هـذه السِّينِيَّة السَّنِيَّة[2] التى هى أشهى من الأُمْنِيَّـة ، تفَلَّتتْ من المَنِيَّة[3] :

خَلِّ طَىَّ الفلا لحـادى العِيسِ ... وانْفِ همِّى بالقهوةِ الخَنْدرِيسِ
طُفْ بها كى ترى النواظرُ فيهـــا ... عسجداً ذاب فى لُجَيْنِ الـكئُوسِ[4]
ولْتُرنِّحْ عِطْفِى بِرِقَّةِ لفظٍ ... منه عُوِّدتُ لَقْطَ دُرٍّ نفيسِ[5]
فى رياضٍ كأنما لبِسَتْ من ... حَوْكِ صَنْعاءَ أفْخرَ المَلْبوسِ
قد تحلَّتْ من طَلِّها بعقودٍ ... وتجلَّتْ فى حُـلَّةِ الطاووسِ[6]

(١) البيتان ومقدمتهما فى سلك الدرر ١/١٦ نقلا عن « النفحة » ، وقد علق مصحح سلك الدرر على قوله : « ولم يسبق إليـه » بقوله : هو قول مجروح . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ١/١٦ فى نقل المرادى عن المحبى . (٣) القصيدة فى سلك الدرر ١/١٦ ، ١٧ .
(٤) فى سلك الدرر :

طُفْ بها كى ترى النواظرُ منها ... عسجداً ذاب فى لُجَيْنِ الـكئوسِ

(٥) فى سلك الدرر « وترنح عطفى » . (٦) فى ب ، ج : « قد تحلت من ظلها » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

وزكا عَرْفُ طِيبِها فحسِبْنا   نَفْحةً قد سرتْ من الفردوسِ

وتغنَّى مُبْهَرَمُ الكفِّ فيها   بغناء يشُوق شَجْوَ النفوسِ (١)

قد أتيْنــــا مسلّمين فردّتْ   هِيفُ باناتِها بخفضِ الرؤوسِ

قُمْ نُجدِّدْ عهــودنا يا ابن أُنْسٍ   فى رُباها فأنت خــيرُ أنيسِ (٢)

فأنا فى هـــواكَ محزونُ قلبٍ   بين شوق مُقلّبٍ ورَسِيسِ (٣)

وامْنَحِ العينَ أن ترى منك يوماً   حُسْنَ وجهٍ يُخْفِى ضياءَ الشموسِ

وسطوراً كالمِسكِ فوق طروسٍ   من شَقِيقٍ أحْبِبْ بهامن طُروسِ (٤)

وأمِطْ لى عن سِين تلك الثّنايَا   فعساها تــكون للتّنْفيسِ

* * *

وأنشدنى قوله :

حتى مَ يا ظَـــبْىَ الـكناسِ   أحْنُو عليــك وأنت قاسِ

أغريْتَ بى سُقْمَ الجفـــو   نِ فملَّ مــنى كلُّ آسِ (٥)

ونسيتَ عهـــداً لم أكنْ   أبداً له وأبيــك ناسِ (٦)

مولاىَ لا تَمْتـــدَّ فى   هجْرى فقــد عزَّ الْمواسِى

مُرْنِى فأمْــرُكَ بالذى   تهْوَى على عيْــنِى وراسِى

هذى الرياضُ قد انْجلتْ   فى حُلّتَىْ وردٍ وآسِ

فاُجْـــلُ الْمُدامَ أبا الْحسَيْـ   ـنِ وحيِّنِى منها بــكاسِ

---

(١) فى ب : « وتغنى مهيم الـكف » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٢) فى سلك الدرر : « يا ابن أنس » . (٣) رسيس الحب : أوله ، وبقيته وأثره .

(٤) فى ج : « وسطور كالمسك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٥) الآسى : المعالج ، والطبيب . (٦) اضطر إلى ترك النصب فى : « ناسى » للقافية .

وأُستنْطِــقِ الوتَرَ الرَّخيـ ـمَ عن الفــؤادِ وما يُقاسِي

* * *

وأنشدنى قوله :

يا صـاحبِي عُجْ بالمَطِيِّ على الحمى ... فعسى تلوح لنـــاظرَىَّ شموسُهُ

فهناك يستملِى ابنُ مُقْلَةَ قصةً ... منِّى فيكتب والخدودُ طروسُهُ(١)

وأُرِيك شوقًا لا يُقاس بغــيره ... بتوقُّدِ الجمراتِ كنتَ تقيسهُ

بان الخليطُ فلا تَسَلْ عن حالتى ... ما حالُ من قد بان عنه أنيسُهُ(٢)

ودَّعتُه ورجعتُ عنـــه كأننى ... ذو نَشْوةٍ دارتْ عليه كؤوسُهُ(٣)

لم أنْسَ إذ غنَّى له الحادى ضُحًى ... وتراقصتْ تحتَ الهوادجِ عِيسُهُ(٤)

ورمى ابنُ عمِّ الظَّبْىِ لى بإشارةٍ ... أخذ الفؤادَ بها فهاج رَسِيسُهُ

لا غرْوَ أن جذبَ الفؤادَ بنظرةٍ ... فرَنُوُّ تجلاوَيْهِ مِغناطِيسُهُ

* * *

وأنشدنى لنفسه قوله(٥) :

رشق الفــؤادَ بأسهُمٍ لم تُخْطِهِ ... رِيمٌ يشُوق الرِّيمَ مَهْوَى قُرطِهِ

مَن ذا عَذِيرى فى هوى مُتلاعِبٍ ... قد راح يمزُجُ لى رِضاهُ بسُخْطِهِ

---

(٧) فى ا : « فهناك يشتمل بن تلعة » ، والمثبت فى ب ، ج .
وابن مقلة هو أبو على محمد بن على بن الحسن .
يضرب بخطه المثل فى الحسن والإتقان ، وزر للمقتدر ، والقاهر ، والراضى ، وكان شاعرا مجيدا .
توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، بعد بلاء شديد فى سجنه .
ثمار القلوب ٢١٠ ، وفيات الأعيان ٤/١٩٨ .

(٢) فى ب : « فلا تسل عن حاجتى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « دارت على كؤوسه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « لم أنس مذغنى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ١/١٨ .

أعطيتُه قلـــبي وقلتُ يصُونه ... فأضاعـــه ياليتني لم أُعْطِهِ (١)
وثنَاهُ عن مَحْضِ المودَّة رَهْطُه ... فعَنَاهُ قلبي في الهوى من رهطِهِ
وقد اشترطْنا أن نَدومَ على الوفَا ... ما كنت أحسَبه يُخِلُّ بشرطِهِ
كيف الخلاصُ ركبتُ بحراً من هوىً ... شوقاً إليـه فشَطَّ بي عن شَطِّهِ (٢)
عُلِّقْتُه رَيَّانَ من ماء الصِّبا ... كالروضِ أخضَله الغمامُ بنَقْطِهِ
غَضَّ الشبابِ وهـــذه وَجَناتُه ... قد كاد يقطرُ ماؤها من قَرْطِهِ (٣)
يجْلُو عليـــك صحائفاً وَرْديّةً ... رقَمَ الجمـــالُ بهـــا بدائعَ خطِّهِ
وتُرِيك هاتيك المعـــاطفُ بانَةً ... تهْتزُّ لِينـــاً في مُنَمْنَمِ مِرْطِـــهِ
وتُخامِرُ الألبـــابَ منه فـــكاهةٌ ... تُلْهِي حليفَ الكأسِ عن إسْفَنْطِهِ (٤)
لو بتَّ تستمْلى لطـــائفه التي ... ضاهتْ برَونقِها جواهرَ سِمْطِهِ (٥)
لدَهِشْت إعجاباً بلُؤلُؤ لفظِه ... ومددْت كفَّك طامعـــا في لَقْطِهِ

* * *

قلت : هـــذا الشعر من الأشعار الباسقة ، ما مُدّت الأيدي لالتقـاطِ مثل(٦) دُرَرِه المتناسِقة .

* * *

وأنشدني قوله :

يا زَوْرةً سمَح الخيـــا ... لُ بهـــا وبات مُعانِقي

---

(١) في ب : « فأضاعني » ، والمثبت في : ا ، ج وسلك الدرر . (٢) في سلك الدرر : « شوقي إليه » .
(٣) في سلك الدرر : « فهذه وجناته » ، وفي ب : « قد كان يقطر » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٤) في ب : « وتخاصر الألباب فيه فكاهة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .
والإسفنط من أسماء الخمر .
انظر حلبة الكميت ٧ .
(٥) في سلك الدرر : « لو بت تستجلى » ، وفي ا : « ضاهت برونقها لجوهر سمطه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٦) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

خاض الدُّجُنَّـــةَ طارقًا أَكرِمْ به من طارقِ
وأَتَمَّ ســـاحةَ عاشقٍ في جُنْحِ ليــلٍ غاسقِ[1]
وأتى يجــدِّد بالصَّبَا بَةِ عهدَ صَبٍّ وامقِ
فجرتْ لطائفُ بيْن مُعْ شوقٍ هنـــاك وعاشقِ
وخِلالَهـــا قُبَلٌ تلَذُّ ورَشْـــفُ رِيقٍ رائقِ
وسألتُ ذاكَ الرِّيمَ عن سببِ الصدودِ السابقِ
فانْهَلَّ منــــه ما يُرِ يكَ الطَّلَّ فوق شقائقِ
وافـــترَّ لى ياقوتُهُ عن لُؤلؤٍ متناسقِ
وصفا هنــالك مَورِدٌ بين العُذَيبِ وبارقِ

* * *

وأنشدنى قوله :

أقول لقلبي وهْو عند اضْطرابه وقاتلُه لم يَمْضِ لم تُحْسِنِ العشْقَا
فقال اضْطرابى خَشْيةٌ من فِراقه وفى حياةٌ ليس يحسُن أن تبقَى

* * *

وقوله معمِّيًا باسم دلاور[2] :

قد أبرزها من باطن الإبْريقِ صهبا تُحاكِى وَجْنــةَ المعشوقِ
ما ضَرَّ شُوَيْدِنًا جلَا أكْؤسَها لو دار بها ممزوجةً بالرِّيق[3]

* * *

(١) فى ب: « وأتم ساحة عاشق » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : «دولار» ، والمثبت فى : ب، ج ، وسلك الدرر، والبيتان فيه ١٩/١ .

(٣) فى سلك الدرر : « ماضر شويدنا جلاء كؤوسها » .

وقوله :

إن غَضَّ عن تلك العوارضِ عاذلى ... طَرْفاً فقد أصبحتُ من عُشَّاقِها
وتجنُّبُ الأفعى الزُّمُرُّدَ إنمــا ... هو غَيْرةٌ منه على أحْداقِها (١)

***

من خاصِّيَّة الزمرد أن الحيّات إذا نظرتْ إليه سالت أعيُنها .

ومثله ماذكروه فى خواصِّ العَقِيق ، أن التختُّمَ به يُبطِل السِّحر .

وللصَّفِىِّ الحِلِّىِّ (٢) :

قِيل إن العقيقَ قــد يبطل السِّحْـ ... ـرَ بتختيمِــه لسِرٍّ حقيقِ (٣)
وأرى مُقْلتيْك تنفُثُ سِحْـ ... ـراً وعلى فِيكَ خاتَمٌ من عقيقِ (٤)

***

ومن الخواص المذكورة للرَّبق ، أنه يقتل العقرب .

قال أبو الصَّلْتَ الإشْبِيلِىّ (٥) :

(١) فى ا : « هو خيفة منه على أحداقها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن على الحلى .
شاعر العراق فى عصره ، كانت له الرحلة إلى مصر والشام للتجارة ، ومدح ملوك عصره ، فأجزلوا له العطاء .
توفى سنة خمسين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ٢/٤٧٩ ، النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٨ ، فوات الوفيات ١/٥٧٩ .
والبيتان فى ديوانه ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وفوات الوفيات ١/٥٨٨ .

(٣) فى ب : « لسر العقيق » وفى ج : « على التحقيق » ، وفى فوات الوفيات : « لسحر حقيق » ، والمثبت فى : ا ، والديوان ، وفى فوات الوفيات : « قد يبطل السحر » . (٤) فى ب : « وعلى فيك خاتما » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وفوات الوفيات .

(٥) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى الإشبيلى .
أديب ، حكيم ، رحل إلى المشرق ، وأقام بالإسكندرية .
وتوفى بالمهدية ، فى المغرب ، سنة تسع وعشرين وخمسمائة .
خريدة القصر ، القسم الرابع ١/٢٢٣ ، معجم الأدباء ٧/٥٢ ، نفح الطيب ٢/٣٠٧ ، وفيات الأعيان ١/٢٥١ ، ترجمة رقم ١٠١ .
والبيتان فى : خريدة القصر ، القسم الرابع ١/٢٣٧ ، نفح الطيب ٢/٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/٢٥٢ .

دبَّ العِــذارُ بخدِّه ثم انثنى عن لثم مبسمه البَرُودِ الأشْنَبِ
لا غَرْوَ أن خَشِيَ الرَّدَى فى لثْمِه فالريقُ سمٌّ قاتلٌ للعقْرَبِ (١)

* * *

وأنشدنى لنفسه قطعتين ، ما أظنهما إلّا من رياض الجنان مُقتطَعتين .

فالأُولى هذه :

قد نَضَى طَرْفُه الكحيلُ حُسامَهْ فاسْأَلِ اللهَ يافؤادى السّلامَهْ
قاتِلٌ قــد سطَا بألحاظِ رِيمٍ بلَّغَتْــه من القلوبِ مَرامَهْ
ناقضٌ للعهود ليس يُراعِى ذِمّةً للذى يُراعِى ذِمامَهْ
قـــد تعشّقْتُه ربيعَ جمالٍ يملأ العيْنَ بهجةً ووَسامَهْ
شَطَّ عنّى فليس لى مُذ تناءى مُسْعِدٌ فى هــواه إلّا حَمامَهْ
ذكَّرتْنى عصراً رقيقَ الحواشِى بالحِمى ظَلْتُ ناهباً أيّامَهْ
ماتذكَّرتُ عيشَهُ الغضَّ إلّا هطَلَتْ أدمعى عليـــه نَدامَهْ
يانسيماً من عنْبرِ الشِّحْرِ أهْدَى طِيبَ أنفاسِه لنا شَمّامَهْ (٢)
إن تيمّمتَ ساحةَ الحىِّ وشّى ساحةَ الحىِّ دُرَّ دَرِّ الغمامَهْ (٣)
حَىِّ عنّى أقاحِ تلك الرَّوابى ثم قبِّل ثُغورَه البسّامَهْ (٤)
وَالْوِ عِطْفَ القضيبِ نحو أخيه لِيُطِيـــلَ اعْتناقَه والْتزامَهْ
واقتطفْ من حدائق الحسنِ ورداً نقَّطتْ فوقه من المسكِ شامَهْ (٥)
وارتشفْ من خِلالِ تلك الرَّوابى قاطِرَ الشُّهْدِ خالطَتْه مُدامَهْ (٦)

---

(١) فى ا : « أن أخشى الردى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والمراجع السابقة .
(٢) تقدم ذكر الشحر ، فى صفحة ٤٥٦ (٣) فى ب : « در دمع الغمامه » ، وفى ج : « دَرَّ در غمامه » ، والمثبت فى : ا . (٤) حذفت ياء المنقوص من « أقاحى » للوزن ، رغم نصبه .
(٥) فى ب ، ج : « من حديقة الحسن » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ا : « عاطر الشهد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

واعتنِقْ فى مُنَمْنَمِ البُرْدِ خُوطًا　　رَنَّحتْ خمرةُ الشَّبابِ قَوامَهْ (١)

ولْتُلاعِبْ له ذُؤَابَةَ شَعْرٍ　　قد تدلَّتْ فقبَّلتْ أقْدامَهْ (٢)

* * *

وهذه (٣) الثانية :

ياوردةً من فوق بانَهْ　　سِحْرُ المحبّةِ مَن أبانَهْ

أخْفَيْتُه عهـــدِى وقد　　غَلْغَلتُ فى قلبى مكانَهْ (٤)

وكتمتُ أمْرَ صَبابتى　　وسدَلْتُ أستارَ الصِّيانَهْ

ما كنت أحسَب أن يكو　　ن الدمعُ يوماً ترْجُمانَهْ

لولا وُضوحُ الأمرِ ما　　أغْرَى بنا الواشِى لسانَهْ

ولَوَى عِنانَكَ عن شَجٍ　　شَوْقاً إليك لَوَى عِنانَهْ

ياظَبْيةَ البانِ التى　　عند القلوبِ لهـــا مكانَهْ

كُفِّى الصـــدودَ فَلَيْتَنى　　من طولِ صَدِّى أرْوَنانَهْ

يوم أرْوَنان ، وليلة أرْوَنانَة : من الحرِّ والغمِّ (٥) .

وقال القَيْسِىّ (٦) : الأَرْوَنان ، الصوت .

* * *

قـــد أسْكرتْنى مُقْلتا　　كِ كأن فى الأجفانِ حانَهْ

وكَرَعْتِ فى ماءِ الصِّبـــا　　فَفَضحْتِ لِينَ الخَيْزُرانَهْ

---

(١) الخوط : الغصن الناعم .　　(٢) فى ب : « وتلاعب له » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب بعد هذا زيادة : « القصيدة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « غلغلت فى قلبى مكانه » ، والمثبت فى : ا ، ج .　　(٥) انظر اللسان (ر و ن) ١٣/١٩١ .

(٦) فى ج : « القسى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

أَجْرَيْتُ ذِكْرَكَ بالحمى　　وقد اجْتلى طَرْفِى جِنانَهْ

فلوى القضيبُ مَعاطِفاً　　نظم النَّدَى فيها جُمانَهْ

واحمرَّ خـــدُّ شَقِيقِها　　وافترَّ ثَغْرُ الأُقْحُوانَهْ

* * *

وأنشدنى قوله :

أَفْدِي مليحاً يفوق البـــدرَ مُستتِرًا　　تحت القِناعِ اسْتِتارَ العينِ بالغَيْنِ

العينُ : الشمس . والغين : لغة فى الغيم .

أنشاه مُبدِعُه كالبـــدرِ مكتمِلاً　　حُسناً ووَقَّاه شَرَّ العينِ والغَيْنِ

العين : النَّظرة . والغين : حجابٌ على القلب .

مُمِعتُ من ثَغْره عَيْنِ الحياةِ وكم　　قد رُدَّ قاصِــدُ هٰذِى العينِ بالغَيْنِ

العين : عين الحياة ، والغين : العطش .

ورَاعَ قلبي فمُذ حاولتُ منـــه وفاً　　أتى بتَصْحيف تلك العَيْنِ بالغَيْنِ (١)

الحرفان المعلومان .

* * *

وأنشدنى قوله :

قال صِفْ فَرْعِي الذى قـــد تدلَّى　　فوق خَدِّى إن كنتَ من واصِفِيهِ

قلت ماذا أقول فى وصْفِ رَوْضٍ　　قـــد تدلَّتْ عَرِيشَةُ الحُسْنِ فيهِ

* * *

وذكر لى فى بعض محاضراته أنه رأى قولَ بعض الأندلسيِّين (٢) :

---

(١) فى ا : « تلك العين والغين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) ليس هذا من قول بعض الأندلسيين ، وإنما هو من قول تميم بن معد الفاطمى ، صاحب مصر .
والبيتان فى : دمية القصر ١/٩٣ ، ٩٤ ، ويتيمة الدهر ١/٣٠٨ .

واللهِ لولا أنْ يُقالَ تغيَّرا ... وصَبا وإن كان التَّصابى أجْدَرَا
لأعدْتُ تُفّاحَ الخـدودِ بنَفْسجاً ... لَثْماً وكافورَ التَّرائبِ عَنْبرَا [1]

وقولَ أبى جعفر محمد المُخْتار من شعراء « الدُّمية » [2] .

قلتُ هَبِى منكِ لنا قُبْلةً ... يامُنْيةَ النفسِ ويا قُوتَها [3]
فأغْمضْتَ من عينِها مُؤْخِراً ... ورصَّعتْ بالدُّرِّ ياقوتَها [4]

وقولَ الأمير مَنْجَك [5] :

لقد زارنى من بعـد حَوْلٍ مُودِّعا ... وطَوْقُ الدجى قدصارفى قبضةِالفجرِ [6]
فأخْجلْتُه بالعَتْبِ حتى رأيْتـه ... يُرِيح الثُّريَّا بالهلالِ عن البـدرِ

فنظَم هذين البيتين يُلمِّح إلى هذه المقاطِـع :

نظَر البَنفْسَجُ فى الشَّقيق مؤثِّراً ... فارْتاعَ حتى انْهلّ ماءُ جمالِهِ
فغَدا يرصِّـعُ دُرَّه ياقوتَه ... ويُرِيح أنْجُمَ بدرِه بهلالِهِ

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه :

لا تكنْ وَيْكَ طامعاً فى سُلُوِّى ... فالهوى قـد نَمَا أشَدَّ نُمُوِّ

---

(١) فى ب : « وجعلت كافور الترائب عنبرا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ودمية القصر ، ويتيمة الدهر.
(٢) البيتان له فى دمية القصر ٢٨٤ ، واسمه أبو جعفر محمد بن أحمد المختار .
(٣) فى دمية القصر :

قلت لهـا لا تمنعى قُبلةً ... تشْفِى سقامَ النفسِ يا قوتَها

(٤) فى دمية القصر : « فغمضت من عينها مؤخرا » . (٥) ديوانه ٦٨ .
(٦) فى الديوان :

* أتى زائرى من بعد حَوْلٍ مودِّعا *

وفى ا : « قد صار فى راحةالفجر » ، والمثبت فى: ب ، ج ، وديوان منجك .

شَفَّنِى ذلكَ الشُّوَيْدِنُ حُبًّا   ورمانِى بسهمِ ذاكَ الرُّنُوِّ (١)

قمرٌ فى ابْتِدائِهِ تَمَّ حُسْنًا   وسمَا فى الكمالِ أىَّ سُمُوِّ

وقضيبٌ غضٌّ النَّبَاتِ رطيبٌ   عُلَّ من خمرة الشبابِ ورُوِّى (٢)

حُبُّـــه خطَّ فى فؤادىَ سطراً   أمَدَ الدهرِ ليس بالمَمْحُوِّ

يمزُجُ الصَّدَّ بالوِصالِ دَلالاً   فترى منه قسوةً فى صُفُوِّ

وهَـواه مازال يُورِى لهيباً   بين جَنْبَىَّ ماله من خُبُوِّ (٣)

ياسقى اللهُ عهـــدَنَا بليالٍ   قد جَنَيْنا بهـا ثمارَ الدُّنُوِّ (٤)

جمعتْ شَمْلَنَا بـــكأسِ سُلافٍ   هى أصفَى من دمعةِ المَجْفُوِّ (٥)

كلما قلتُ يا ابن وُدِّىَ خُـــذْها   قال لى هاتِ يا عَدُوَّ عدُوِّى



(١) فى ا : « بسهم ذاك الدنو » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « غض الشباب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « ما زال يروى لهيبا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « يا سق الله عهدنا فى ليال » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : « من دمعة المحنو » ، والمثبت فى : ا ، ج .

٤٧

السيد عبد الباقي بن مُغَيْزِل*

من الزُّمرة الأولى من أخِلَّائى ، ومن به أشرق فى إبَّان رونقه وجهُ اجْتِلائى .
فاستهلَّيْتُ(١) أنا وإيّاه العيشَ بَدْرِيًّا ، وهزَزْتُ أغصُنَ اللَّذات غصناً(٢) طرِيًّا .
فى زمانٍ عيونُ سُعوده رَوانٍ ، والآمالُ فيه دَوانٍ ، ما بين بِكْرٍ وعَوانٍ .
لم تبعدُ فيه أرضى عن أرضه ، ولم نَأْلُ فيه من القيام بنَفْل الوُدِّ وفرضه .
ولم يتنسَّم أحدُنا أخا ، إلّا هَبَّ الآخَر معه رَخا .

وهو ممن خَلُصت ذاتُه خلوص الذهبِ عن(٣) اللهب ، وتميَّزت بما أحرزَتْ من نسبٍ شريف وحَسَب ، ونشَب تليد ومُكتسَب .
شمَّر فى الطلب عن ساق ، وأبْدَى بدائعَ ذاتَ حُسْنٍ واتِّساق .
وله براعةٌ تُعرِب عن لسان ذَلِيق ، وذهنٌ متوقِّدٌ يَزِينه وجهٌ طَلِيق .

* * *

(*) السيد عبد الباقي بن عبد الرحمن بن محمد ، الشافعي ، الدمشقي ، المعروف بابن مغيزل .
وهو شريف من جهة أمه ، وهى بنت السيد موسى الصمادى .
ولد فى حدود الستين بعد الألف .
واشتغل بطلب العلم ؛ فأخذ الفقه عن الشيخ محمد العيثى ، والشيخ على الكاملى ، والحديث عن الشيخ أبى المواهب ، والنحو عن الشيخ نجم الدين الفرضى ، والمعانى والبيان عن الشيخ إبراهيم الفتال ، وأصول الدين عن الشيخ يحيى الشاوى المغربى .
واشتغل بالتدريس فى الجامع الأموى ، وكان مجلسه مليئا بالإفادة ، غاصا بالتلامذة .
توفى سنة تسع وثلاثين ومائة وألف .
سلك الدرر ٢/٢٣١ .
وذكر المرادى أن المحبى ترجمه فى النفحة ، ونقل عنه .

(١) كذا على عادة المؤلف فى الفك .
(٢) فى ا ، وسلك الدرر ٢/٢٣٢ : « غصنا » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى سلك الدرر : « على » وهو المعهود .

وفضلٌ يستغنى عن المَدْح ، وشِعرٌ يعلِّم الحمامةَ الصَّدْح (١) .

قد استخرجتُ له ماهو كالروض المِمْطار ، تضحك ثغورُ نُوّارِه عن بُكاء الأمطار

فمنه قوله ، وأنشدنيه من لفظه (٢) :

أَوّاه من ذلك الخِشْف الذى سنَحا · مَن أكسبَ المستَهام المُبتَلى بُرَحَا
لم أنسَ إذ مرَّ مُختالا بقُرْطَقِــهِ · من دونه ذلك القَدُّ الذى رَجَحَا (٣)
يزُور لَحْظاً بطرفٍ زانَه حَوَرٌ · فكم طريحٍ على فرشِ الضَّنى طَـرحَا
وكم دواعِى الهوى من كلِّ جارحةٍ · تستخبِر القلبَ عنّا أيَّةً جَنَحَا

* * *

وبعث إلىّ بهذه الأبيات ، وكان وافانى يوماً ولم يجدنى فى بيتى (٤) :

ياما جــداً حاز السِّيادة يافِعا · وغدا بأثواب البراعة يرتدِى (٥)
من مُذْكِرى عهدَ الشَّبيبة والصِّبا · والعيشَ معْ وَصْل الحسانِ الخرَّدِ
كم مرّةٍ قد جئتُ نحـوَ حِماكُم · كى أن أفوزَ برؤيةِ الوجهِ النَّدِى
فلِسُوء حظِّى لم تجِـدْكم مُقلتِى · فرجعتُ من ذاك الحمى صِفْرَ اليَدِ

* * *

فكتبتُ إليه (٦) :

مولاى من دون الأنام وسيِّدى · بلَّغتنى بالسَّعْى أسنَى سُؤْددِ

---

(١) علق المرادى على هذا بقوله : « ومن لطائف الأمين تنكيته عليه بقوله : وشعر يعلم الحمامة الصدح . وقد أشار إلى نكتة ، وهى أن والد المترجم كان يلبس الثياب البيض ، فكان يلقب بالحمامة ، فأشار الأمين بذكر الحمامة إلى هذا اللقب » .

سلك الدرر ٢/٢٣٢ .

(٢) الأبيات فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٢ .

(٣) القرطق : قباء . اللسان (ق ر ط ق) ١٠ / ٣٢٣ ، وفى ا : « ذلك القدر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٤) الأبيات فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٢ .

(٥) فى ب : « وغدا بأثواب السعادة يرتدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٦) جواب المحبى فى سلك الدرر ٢/٢٣٢ .

قد جئتنى والبيتُ منى مُقفِرٌ … من سوءِ حظى فى الزّمانِ الأنْكدِ (١)
هى عادةُ الأيامِ أرجو صاحِباً … فيصدُّه قدَرٌ علىَّ بمَرْصَدِ
وإذا أبيْتُ فتًى وعِفْتَ دُنُوَّه … أَلْفَيْتَه نفْسِى يرُوحُ ويغْتدى

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه (٢) :

كلما رُمتُ خلاصاً من هوَى … ظَبْىِ إنْسٍ حبَّةَ القلبِ ملَكْ (٣)
قال لى حُسْنُ هَواه كم له … من شَجٍ مثلِكَ مُلْقًى فى الفلَكْ

***

وأنشدنى قوله (٤) :

قلتُ إذا جاء صاحِبى … يشتكى حُرْقةَ النّوَى
كيف شَكْواكَ إنما … كلُّنا فى الهوى سوَا (٥)

وهذا المِصْراع قد أكثر الناس من تضمينه ، وأشهر تَضامينه قولُ بعضهم (٦) :

قُلْ لمن جاء يشْتكِى … باهتمامٍ من الهوَى
لاتفُهْ بالذى جرَى … كلُّنا فى الهوى سوَا

***

وأنشدنى قولَه فى أرْمَد (٧) :

لاتحسَبوا حُمْرةً فى مُقْلتِى رمداً … قد مسَّها بل لأمرٍ زادَ فى سَقَمِى (٨)

---

(١) فى ا ، وسلك الدرر : « وافيتنى والبيت منى مقفر » والمثبت فى : ب ، ج . وفى ب : « بالزمان الأكمد » وفى سلك الدرر : « والزمان الأنكد » والمثبت فى : ا ، ج ، وفى الأصول : « الأكمد » ، والمثبت فى سلك الدرر . (٢) البيتان فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٣ . (٣) فى ا : « كلما رمت خلاصى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) هذه المقدمة والبيتان بعدها فى ج قبل النقل عن المقريزى ، الآتى ، وبعد قوله : « ولا بد للصياد من صحبة الكلب » الآتى . والبيتان فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٣ .

(٥) « كيف شكواك » ، كذا فى الأصول وسلك الدرر ، ولعلها : « كف شكواك » .

(٦) هذه المقدمة والبيتان بعدها مما سقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ٢ / ٢٣٣ .

(٧) من أول هذه المقدمة إلى قوله : « إيضاح معنى شاهد عن أصله » الآتى فى صفحة ٥٠١ ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٨) فى ج : « زاد بى سقمى » ، والمثبت فى : ب .

فإنها نَظَرتْ شَـزْراً لوجْنـةِ مَن   هواه حلَّ فؤادى فا كتَسَتْ بدَمِ [(١)]

* * *

منه قول يوسف العِمْرانىّ [(٢)] :

لاتنـكروا رَمَدِى وقد أبصرتُ مَن   أهْوى ومن هو شمسُ حسنٍ باهرِ

فالشمسُ مهما إن أطلْت لنحوها   نظـراً تؤثّر ضَعْفَ طرفِ النـاظرِ

ولقـد أطلتُ إلى احْمـرارِ خـدودِهِ   نظـرِى فعكسُ خيالِها فى ناظـرِى

* * *

وقوله [(٣)] :

رمدتْ جفونى عندما فارقتُ مَن   قد كان كُحْلا فى نواظِرِ عبْدِهِ

وسرقتُ حمـرةَ ناظـرى وسَقـامَه   عنـد النَّوَى من مُقْلتيْهِ وخـدِّهِ

* * *



وأنشدنى قوله :

أقول لفَتّاكِ اللّواحظِ أهْيَفٍ   يصيد لحبّاتِ القلوب من الهُدْبِ

وصُحْبتُه شخصٌ بذِىٍّ مُذَمَّمٌ   يَسوء بمرْآه العيونَ مع القلبِ

---

(١) فى ب : « فإنها نظرة شذرا » ، والمثبت فى : ج .

(٢) يوسف العمرانى ، هو يوسف بن عمران الحلبى .

كان يعمل أول أمره بالتجارة ، وكان صاحب مال ، ثم خالط الأدباء ونسج على منوالهم .

طاف بلاد الشام ، والقاهرة ، وعاصمة الخلافة ، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها .

وكان مغرما بابتكار المعانى ، ذا شعر جيد ، وقد جمع منه « ديوانا » .

توفى سنة أربع وسبعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٤ب ، وخلاصة الأثر ٤/٥٠٦ ، ريحانة الألبا ١/١٠٤ .
والأبيات فى ريحانة الألبا ١/١٠٦ ، وهى ليست للعمرانى ، وإنما هى أبيات الشهاب الخفاجى ، أنشدها العمرانى .

وانظر خلاصة الأثر ٤/٥٠٧ .

(٣) هذان البيتان ساقطان من : ج ، وهما فى ب . وقد نسبهما المحبى أيضا إلى العمرانى ، وهما للشهاب الخفاجى ، فى ريحانة الألبا ١/١٠٧ ، وانظر إعلام النبلاء ٦/٣٤١ .

حبيبي ماهذا القرينُ فقال لى ... ولا بُدَّ للصيادِ من صُحْبةِ الكلبِ

* * *

وكأنه(١) وقف على ما ذكره المَقْرِيزِيّ(٢) من أنه ثار بمصر فى بعض الأحايين ريحٌ شديدة ، سقط منها حجرٌ من بعض عضائد جامع الحاكم ، فقُلِب(٣) الحجر ، فوُجِد عليه هذه الأبيات ، وهو لغز عجيب(٤) ، رقيق لفظُه :

إنَّ الذى أسررتُ مَكْنونَ اسمِهِ ... وكتمتُه كيْما أفوزَ بوصْلِهِ

مالٌ له جَذرٌ تساوَى فى الهِجا ... طَرَفاه يُضرب بعضُه فى مثلِهِ(٥)

فيصير ذاكَ المالَ إلّا أنه ... فى النصفِ منه تُصاب أحْرُفُ كُلِّهِ

وإذا نطقتَ بِرُبْعِهِ من كل ما ... من بعد أوَّلِه نطقتَ بكُلِّهِ(٦)

لا نَقْطَ فيه إذا تكامَل عَدُّه ... فيصير منقوطا بجُمْلةِ شكْلِهِ(٧)

فحَلَّه(٨) بقوله :

قد كاد هذا اللغزُ يُصْدِى فكرتى ... لكنْ بحمدِ الله فُزْتُ بحَلِّهِ

تاللهِ نَظْمُ الذِّكْرِ يخرج منه ما ... عنه أشار مُبيِّنا لمحَلِّهِ

مالٌ أتى من ضَرْبِ سِتٍّ بعضُه ... فى سِتَّةٍ وهى المرادُ بمثلِهِ

فيصير منه النصفُ لكنْ مذ غدا ... مُتساوِىَ الطرفيْن عاد ككُلِّهِ

والنطقُ منه برُبْعِهِ أى ثالثٍ ... من بعد أوَّله وثانٍ يُجْلِهِ(٩)

---

(١) فى ج : « وقد كان » ، والمثبت فى : ب .

(٢) خطط المقريزى ٢/٢٧٩ ، ولم يذكر المقريزى للأبيات هذه المقدمة ، وإنما ذكر أن قطب الدين محمد الهرماس ، رأى بالجامع الحاكمى حجراً ظهر من مكان قد سقط ، منقوشا عليه هذه الأبيات الخمسة .

(٣) فى ج : « فطلب » ، والمثبت فى : ب .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ج .

(٥) فى ب : « جدر » ، وفى ج : « جد » ، والمثبت فى الخطط .

(٦) فى الخطط : « وإذا نطقت بربعه متكلما » .

(٧) علق المقريزى على هذه الأبيات بقوله : « قال : وهذه الأبيات لغز فى الحجر المكرم » .

(٨) فى ب : « فأجابه » ، والمثبت فى : ج .

(٩) فى ب ، ج : « يجله » ، والمثبت فى : د .

لانَقْطَ فى لفظِ الحروف وإنما عينُ المسمّى أنبأتْ عن شكلِهِ
فى عِقْدِ حاليَةِ العذارَى إن تَرُمْ إيضاحَ معنًى شاهدٍ عن أصلِهِ

***

وأنشدته يوماً قولى معمِّيا باسم مُوَفَّق [١] :

مِن وُلاةِ الجمالِ سلطانُ حسنٍ حكَّمتْه القلوبُ فازْدَادَ عُجْبُهْ
حـدّ للقلب مذ سمـا حـدّ سِرٍّ نازلٍ فى حَشـاهُ ماراق حِبُّـهْ

فَحلَّه وحلَّاه ، فقلت أخاطبه [٢] :

مولاى ياحـلَّالَ كلِّ مُشـكِلٍ بفَهْمِه ورأيِه السَّديدِ [٣]
أَفْدِيكَ مُذْ حلَّيْتَ ما عمَّيْتُهُ حلَّيتَ قلبى وفمِى وجِيدِى [٤]

فقال [٥] هذا يُشبه قول العَفِيف التِّلِمْسانىّ [٦] :

قد قُلتُ لمـــا أراد شَدًّا بخَصْرِه يامهفهفَ القدِّ [٧]
حَلَّيتَ قلبِى وعِقْد صبرِى وعاطلَ الخَصْرِ منك بالشَّدِّ

وطال ماجال فى خَلَدى [٨] ، من أىِّ نوعٍ هذا [٩] من أنواع البديع ، فقلت له :

---

(١) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ . (٢) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ .
(٣) فى سلك الدرر : « بفهمه ورأيه السديد » . (٤) هكذا « حليت » ، على طريقة المؤلف فى الفك . (٥) فى ج : « فقلت » ، وهو خطأ ، والصواب فى : ا ، ب .
(٦) ساقط من : ب ، وهو فى ا ، ج .
وهو عفيف الدين سليمان بن على بن عبدالله الكومى التلمسانى
شاعر ، يتكلم على طريقة المتصوفة ، وكان حسن المعاشرة ، كريم الأخلاق .
توفى سنة تسعين وستمائة .
شذرات الذهب ٥/٤١٢ ، فوات الوفيات ١/٣٦٣ ، النجوم الزاهرة ٨/٢٩ .
والبيتان فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ .
(٧) فى ب : « فى خصره » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٨) بعد هذا فى ج زيادة : « هذا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٩) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا ، وسلك الدرر .

قد ذكر البَدْرُ الدَّمامِينِي(١) ، في « حاشيته ، على شرح لاميَّة العَجم » : أنه (٢ من نوع ٢) الاستخدام .

وأنشد منه قول ابن نُباتَة(٣) :

رشَفْتُها في مـــكان خَلْوتِها وجِيِّد الحسنِ ثَمَّ قد جُمعا(٤)
حلَتْ مَذَاقًا ومشربًا وفمًا والجيدَ والشعرَ والصفاتِ معا(٥)

وفيه استعمالُ كلمةٍ واحدة على ستِّ مَعان .

وقدَّم أن(٦) مثل هذا لم ينُصُّوا عليه في الاستخدام . انتهى .

* * *

وكتبت إليه(٧) أستدعيه إلى مُنتزَه(٨) بالشَّرَف الأعْلَى(٩) ، في يوم شَرَف الشمس :

سيِّدى ، النفس خضراء والربيعُ أخضر ، وأنا شريف وأنت شريف ، فما علينا أن نهجر المَأْلَف والمَرْبَع ، ونجمع بين هذه الفصول الأربع .

---

(١) بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني المخزومي .
عالم مصري ، أديب .
توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .
بغية الوعاة ١/٦٦ ، الضوء اللامع ٧/١٨٤ .

(٢) في سلك الدرر ٢/٢٣٣ : « نوع من » .

(٣) جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد ، ابن نباتة المصري .
أديب ، شاعر كبير ، كاتب مترسل .
توفي سنة ثمان وستين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ٤/٣٤٧ ، طبقات الشافعية (الطبقة السابعة) ٦/٣١ ، النجوم الزاهرة ١١/٩٥ ، الوافي بالوفيات ١/٣١١ .
والبيتان ليسا في ديوانه المطبوع ، وهما في سلك الدرر ٢/٢٣٣ .

(٤) في ب ، ج : « لجيد الحسن » ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر . (٥) في ب : « ومشربا وحمى » ، وفي ج : « ومشربا ولمى » ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر . (٦) في ا ، ج زيادة : « في » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر . (٧) نقل المرادي هذا ، في سلك الدرر ٢/٢٣٣ ، ٢٣٤ .
(٨) كذا في الأصول ، والمعروف « متنزه » . (٩) تقدم التعريف بالشرف الأعلى ، في صفحة ١٦٥ .

فى زمنٍ تعتدل فيه الطِّباع ،وتقِف عليه الخواطرُ والأسماع .

فانْهَض لتكون إلْفَيْن ، ولك الأعلى من الشَّرَفَيْن .

فى يومٍ حلَّ به شَرَفُ الشمس ، واعتدلتْ الحواسُّ الخمس .

فهناك أُنشِدك باللسان ، مع موافقةِ الجوارح والجَنَان :

لِمَ لا أتيـــهُ فى العُلى على جميـــعِ السَّلَفِ
والسيدُ الشريفُ قــد شَرَّفــنى فى الشَّرَفِ

٭٭٭



٤٨

أحمد بن عبد الله العطّار ، المعروف بابن جَدْى *

سَمْحٌ سهل ، لكل ثناء أهْل .
كأنما بينه وبين القلوب نَسَب ، أو بينه وبين الحياة سَبَب .
بمُحاضرة أشْهى من رِيق المحبوب ، ومحاولة أصْفى من رَيِّق الشُّؤبُوب (١) .
وعلى الجملة فما هو إلا تحفة قادِم ، وأطْرُوفةُ مُنادِم .
وعَودة صحة لمريض ، واصْطِباح عيش فى رَوْضة أرِيض .
وبينى وبينه أخُوّة أواخيها مشْدودة ، وأبوابُ التَّمْويهات عنها مسدودة .
مازلنا فى خُلْسة للوُدِّ ونُهْزة ، وأُرْيَحيّة للحظّ وهِزّة .
من حين رضَعْنا للتّآلف ذلك الدَّر ، وجَريْنا فيه على حكم عالَم الذَّر .
والله يصونُنا فى بقيّةِ العمرِ عن الغِيَر ، كما صانَنا عن الشَّوائب (٢) فيما مضى وغَبَر .
فمن أريج عاطِره ، الذى نفح به رَوْض خاطِره .
قوله مضمِّناً (٣) :

وبَلِيَتِي ساجِي اللِّحاظِ قَوامُه ... غُصْنٌ على دِعْصٍ تُثَنِّيه الصَّبَا (٤)

(*) أحمد بن عبد الله بن بهاء الدين بن محفوظ بن رجب العطار ، الدمشق ، المعروف بابن جدى .
قال عنه المرادى : «الشيخ الفاضل ، الأديب الماهر ، الناظم .
كان رقيق الحاشية ، لطيف المذاكرة ، حسن الخط ، وله مشاركة جيدة فى كل فن » .
ثم نقل ترجمة المحبي له فى النفحة ، وذكر أن وفاته كانت سنة ست وعشرين ومائة وألف ، وأنه دفن بمرج الدحداح .
سلك الدرر ١/١٢٨ – ١٣١ .

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر . (٢) فى ب : « النوائب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .
(٣) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٢٩ .
(٤) فى سلك الدرر : « وبليتى ساجى اللحاظ . . . غصن على . . . » .
والدعص : كثيب الرمل المجتمع .

يهتزُّ لِيناً حين يخطُــر مائساً … جَذْلانَ من مَرَحِ الشَّبِيبة والصِّبَا

بدرٌ تَقمَّص بالَملاحــةِ والبَهَا … فغدا إلى كلِّ القلوبِ مُحبَّبَا [1]

سَلَّتْ لَواحِظُه علينا مُرْهَفاً … ما كانَ إلَّا فى القلوب مُجرِّبَا

يَخْشى على وردِ الخدود لِلافِحٍ … فغدا برَيْحان العِـذَارِ مُنقَّبَا [2]

ساوَمْتُه وَصْلا فحَدَّق لَحْظَهُ … مُتبرِّماً نحْوى وألْوَى مُغضَبَا

فـكأنَّ صفحة خَـدِّه وعِذارَه … تُفَّاحةٌ رُمِيَتْ لتَقْتُلَ عقربَا

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه [3] :

ولمَّا رأيتُ الفضلَ فى النـاسِ ضائعاً … وأكْثَرُ منـه ضَيْعةً فيهمُ الحُـرُّ

بخِلْتُ بِشعرى حيث لم أَرَ فى الورى … فتًى إن رأى شِعْـراً يحرِّكُه الشِّعْـرُ

ورُحت بنفسٍ لم يُرِقْ ماءَ وجهِها … سؤالٌ حَداه العسرُ واقْتـادَه اليُسْرُ

* * *

وأنشدنى أيضا [4] من لفظه لنفسه ، قولَه من قصيدة طويلة ، مطلعها [5] :

عَتْبِي على الدهرِ عَتْبٌ ليس يسمعُه … إذْ بالهوى والنَّوَى قلبي يُرَوِّعُه

بانُوا فأصبحتُ أشكو بعـد ما رحلوا … لِلبَـيْنِ مابى يـدُ التفْرِيق تجْمَعُـه

شَـكْوَى يـكاد لها صُمُّ الصَّفَا جزَعاً … كما تصدَّع قلبي منــــه يَصدعُهُ

* * *

منها [6] :

بى من رَسِيسِ الهوَى داء يُصارِعُنى … طولَ الزمان إلى مَا الحب يصنعُهُ

---

(١) فى ب ، ج : «وغدا» ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٢) فى ا : «للاقح» ، وفى ب : «للامح» ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر . (٣) هذه الأبيات ساقطة من : ا ، ولم ينقلها المرادى ، فى سلك الدرر ، وهى فى : ب ، ج . (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٥) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٢٩ . (٦) سلك الدرر ١/١٢٩ .

وأنثني من لظى الأشواق في حُرَقٍ إذا وَميضُ الدجى يبدو تَلمُّعُهُ (١)
لم ألقَ يومَ النوى إلَّا حشاً قَلِقاً ومَدْمعاً بأبيِّ الدمع يشفعُهُ (٢)
ياصاحِ أين لياليِنا التي سلفتْ مرّتْ سِراعاً وطِيبُ العيش أسرعُهُ
فاعجبْ لنارِ ضلوعي كلما خمدتْ أشبَّها من غُروبِ الجَفْنِ أدمعُهُ
وبات يُذْكِي ضِرامِي صادحٌ غَرِدٌ في النَّيِّرَيْنِ بترْنامٍ يُرجِّعُهُ (٣)
ياوُرْقُ مهلًا أذا التَّرجاعُ من فَرَحٍ بالرَّوْض أم فَقْدِ إلْفٍ عزَّ مرجعُهُ (٤)

***

وأنشدني من لفظه لنفسه، قولَه (٥) :

أفي كلِّ يومٍ بالنَّوَى تتروَّعُ ومن حادثاتِ الدهرِ يُشْجِيك موقِعُ
وتَشْقَى برسْمٍ قد ترسَّمه البِلَى وتَسقِي ثَراه كلُّ نَكْباء زَعْزَعُ (٦)
وتندُبُ أطلالًا تعفَّتْ رسومُها وتشكو لرَبْعٍ أعجَمٍ ليس يسمعُ
وتُسبِل تَهْتانَ المدامعِ هاطلًا على قَفْرةٍ من دِيمةٍ ليس تقلَعُ (٧)
وتُصبحُ هيماً بين قفْرٍ تجوسُه وتُمسِي وَلْهاناً وأنت مُروَّعُ (٨)
وترْمِي بطرفيْك الهِضابَ عشيَّةً أفي كلِّ هَضْبٍ للأحبَّة مطْلَعُ (٩)

---

(١) في سلك الدرر : « يبدو تلمعه » . (٢) في ا : « بأبي الدمع » ، وفي ج : « باقي الدمع » ، وفي سلك الدرر « بأبي الدمع » ، وهي رواية حسنة ، والمثبت في : ب .

(٣) تقدم التعريف بالنيرين ، في صفحة ٧٣ . (٤) في ب ، ج : « أذِ » ، والضبط من : ب ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر . (٥) القصيدة في سلك الدرر ١/١٣٠ . (٦) في ا ، وسلك الدرر : « وتسقى ثراه » ، والمثبت في : ب ، ج .

وريح زعزع : شديدة .

(٧) في ا : « ليس تقدع » ، والمثبت في : ب ، ج .

وهذا البيت ساقط من : سلك الدرر .

(٨) في ا : « وتسمع هيما » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . وفي ب : « وتمسى ولهان وأنت مروع » . وفي ج : « وتمسى ولهان الفؤاد مروع » ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر .

(٩) في سلك الدرر : « وفي كل هضب » .

وقائـلةٍ فيما الوقوفُ وقد خـلا ‏ ‏ من القـوم مُصْطافٌ يرُوق ومَرْبَعُ
فقلتُ لها أَدْرِى الدموعَ وهكذا ‏ ‏ أخو الشوقِ من فَرْطِ الصَّبابةِ يصنعُ
وما كنتُ أَدْرِى قبل وَشْك رحيلهم ‏ ‏ بأنّى إذا بَانُوا عن الجِزْعِ أَجْزَعُ
ولا أن أنفاسى يُصعِّدها الجوَى ‏ ‏ إذا لاح برقٌ فى الدُّجُنَّةِ يلمع (١)
فرُحْتُ ودمعُ العينِ تجرى غُرُوبُه ‏ ‏ على الخدِّ منِّى والحمائمُ تسجَعُ
تنُوح بشطِّ الوادِيَيْن ولِى حَشاً ‏ ‏ إذا ما أُنْبرَى تَرْنامُها يتصدَّعُ
فلا كَبِدى تهْدَا ولا الشوقُ مُقْصِرٌ ‏ ‏ ولا لَوْعتِى تخبُو ولا العينُ تهجَعُ (٢)
وقد رحَلُوا عن أَيْمُنِ الجِزْعِ غُدْوةً ‏ ‏ فلم يبْقَ فى قُربِ التَّزاوُرِ مَطْمَعُ

* * *

وأنشدنى أيضاً (٣ من لفظه ٣) لنفسه قولَه (٤) :

ومُعطَّفِ الأصْداغِ يختلِس النُّهى ‏ ‏ أبدَى التَّشاغُلَ عن مُحِبٍّ وَالِهِ
يُبْدِى تلفُّتَ شادِنٍ ويُدِيرُ لَحْـ ‏ ‏ ظَىْ جُؤْذُرٍ والبدرُ جزءُ جمالِهِ
تِمثالُ شكلِ الحسنِ لا بل إنّما ‏ ‏ الحسنُ مطبوعٌ على تِمْثالِهِ (٥)

* * *

وكنت أنشدته قولى (٦) :

ولمَّا أدار الشمسَ بدرٌ لأنجُمٍ ‏ ‏ بأُفْقِ الهنا بين الملالِئين فى الغَسَقْ (٧)
عجِبْتُ له يُبْدِى لنا البدرَ طالعاً ‏ ‏ وما غاب عنّا بعْدُ فى جيدِه الشَّفَقْ

---

(١) فى ا ، وسلك الدرر : « يصعدها الجوى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى الأصول ، وسلك الدرر : « فلا كبدى تهدى » . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٤) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٣٠ . (٥) فى سلك الدرر : « ذا الحسن مطبوع » . (٦) نقل هذا المرادى ، فى سلك الدرر ١/١٣٠ . (٧) فى ج : « ولما أدار الشمس بدرا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر .

فنظم هذا المعنى ، وأنشدنيه من لفظه [1] :

وساقٍ مَيُودِ القَدِّ أحْوَرَ أوْطفٍ   إذا لم يُمِتْ بالصدِّ يقتلُ بالحَدَقْ [2]
يُرِينا بأُفْقِ الكأسِ شمساً توسَّطتْ   هلالَيْن يمحو نورُها آيةَ الغسَقْ
ومذ همَّ يحْسُوها ترفَّع جِيدُه   فبَان لنا صبحٌ وما غَرب الشَّفَقْ

* * *

وكتبت إليه أستدْعيه إلى روض [3] :

طلع علينا [4] هذا اليوم [4] فى نَضارته ، يكاد صَحْوُه يمطر من غَضارته .

فلقينا [5] زهْرَه ، ونظمنا نَثْرَه [6] .

فى روضٍ وُشِّىَ بِخُسْرَوَانِىِّ [7] الدِّيباج ، وغُشِّىَ بما يرْبو على أصْناف الجواهر فى الابْتهاج

فمن نَوْرٍ مُدَرْهمُه بَهِج ، وزَهْرٍ مُدنَّره [8] زَهِج .

يُضاحِك دُرَّه مُرجانُه ، ويعبَق بصائك [9] المسك أرْدانُه .

وللنَّسيم فيه اعْتلالٌ [10] إشفاق ، إذا مار فيه المخمورُ فيه أفاق .

والروضُ رَطْبُ الثَّرى طيِّب [11] المَقيل ، وليس فيه غيرُ رِدْفِ الساقى ثَقيل .

ولم [12] نعدَم نَدامَى بألفاظٍ عِذاب ، كأنها قَنْدٌ [13] مُذاب .

---

(١) الأبيات أيضا فى سلك الدرر ١/١٣٠ . (٢) فى ب ، ج : « أوطف أحور » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٣) نقل هذا الفصل المرادى ، فى سلك الدرر ١/١٣١ .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٥) فى ب : « فألقينا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٦) فى ب ، ج : « نهره » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٧) الخسروانى : نوع من الثياب . انظر القاموس (خ س ر) .

(٨) فى ب ، ج : « مدثره » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٩) يعنى بصائك المسك ما هاج من ريحه ، وهو استعمال ردىء لأنه يقال : صئك الرجل ، إذا عرق فهاجت منه ريح منتنة .
انظر اللسان (ص أ ك) ١٠/٤٥٥ .

(١٠) فى ب : « إعلال » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (١١) فى ا : « رطيب » ، وفى سلك الدرر : « رطب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (١٢) فى ب ، ج : « ولن » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (١٣) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . القاموس (ق ن د) .

معرفتُهم بأغصان القُدود ، وتُفّاح الخدود .

لا بالنُّصول الحِداد ، والقِسِيِّ الشِّداد .

ولَديْهم من الفُكاهة ، ولُطْف البَداهة .

ما إذا جُلِيَ فما الرَّاح والتُّفاح ، وما رَيْحان الأصْداغ إذا فاح .

وإن شاءوا ألحقُوها بِحِكَمٍ مَتْلُوّة ، وأخبارٍ في صحف الإحسان مَجْلُوّة .

وعندنا لَحنٌ يُشِير الشَّجَن ، ويبعث من الشوقِ ما أجَنّ .

وحبيبٌ[(١)] قَرُب من عهد الصِّقال خَدُّه ، فلم يجفَّ رَيْحانُه ولم يَذْوِ[(٢)] وردُه .

يزِلُّ عن خدِّه الذَّرُّ فلا يَعْلَق ، ويمشي عليه النَّملُ فيَزْلَق .

وقد تمنَّيْنا فلم نَجِدْ غيرَكَ أُمنِيَّة ، ولا مثلَ آدابِك غَضَّة جَنِيَّة .

وعلمنا أنه ليس للأُنْس مع غَيْبِك[(٣)] بهجة ، ولا للعيش[(٤)] دون لِقاك[(٤)] مُهْجَة .

فبالله إلاّ ما أنْجَحْتَ الأوطار ، وفتحتَ بمُذاكرتك عن جَوْنة العطَّار[(٥)] .

ولك الثَّناء الذي يَتجمَّل به الدهر ، ويتفتَّق ريَّاه عن الروضِ فاح فيه أريجُ[(٦)] الزَّهْر .

* * *

---

(١) في الأصول : « وحبايب » ، والمثبت في سلك الدرر .

(٢) في ب ، وسلك الدرر : « يذبل » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في سلك الدرر : « غيبتك » .

(٤) في ب ، ج : « دونك » ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر .

(٥) في ا : « عطار » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وهو يشير إلى لقب المترجم .

(٦) في سلك الدرر : « أرج » .

٤٩

السيد سليمان، المعروف بالحَمَوِىّ الكاتب *

حِرفتُه الدَّواةُ والقلم، ولديْه فى البراعة تُلْقَى أعِنَّةُ السَّلَم.

وله طبع سبكتْ تِبْرَهُ الأيام، وصقلتْ حَدِيدَ ذِهْنِه من صَدإ الأوهام.

بوجهٍ فيه الفلاحُ يُتوسَّم، كأنه دُرٌّ يُوقِده ثغرٌ تبسَّم.

* * *

وقد أوقفني من شعره على مُلَحٍ غَضَّةِ الشُّفُوف، فجرَّدتُ منها كلَّ بيتٍ كأنَّ الحسنَ عليه موقوف.

فمن ذلك قوله فى الغزل [1]:

قُمْ يانديمى نُبَاكِرِ القَـــدحَا ... أما ترى الصبحَ زَنْدَه قَـدَحَا
وَالجوُّ صافى الأديم من كَدَرٍ ... صَفْوُ لهوىَ فى وِدادِه نَصَحَا
وقام من فوق أيْكَةٍ غَـــرِدٌ ... يُذْكِرُنا بالصَّبُوحِ إذ صَـدَحَا
وقد أهاجتْ لنـا الصَّبا شَجَنـاً ... بِنَشْرِها العَنْبرِىِّ إذ نَفَحَـا

(*) السيد سليمان بن نور الله بن عبد اللطيف الحموى، ثم الدمشقى، المعروف بالسوارى.

أديب ماهر، شاعر كاتب.

قدم إلى دمشق، فنزل بها عند نقيب الأشراف السيد محمد العجلانى، ثم عند أخيه السيد حمزة العجلانى النقيب من بعده، وعند ولده السيد حسن، وكان من أخصائهم ومداحيهم، وأكثر قصائده فى مدحهم، كما كان كاتبهم أيضا.

حظى عند هؤلاء الأشراف، فقاموا بلوازمه ومعاشه إلى أن توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.

سلك الدرر ٢/١٦٧ ــ ١٨٢، وقد اطلع المرادى على ديوانه، واختار منه شيئا كثيرا، كما نقل صدر ترجمة المحبى له عن النفحة.

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٢/١٧٢، ١٧٣.

فحركتْ ساكنَ الفؤاد وما أسْأرَه الوجدُ فيه والبُرَحا [1]
والدهرُ أبْدى الرِّضا وجادَ لنا بفرصة والرقيبُ قد نزَحا
فانهض لنقضي من الصِّبا وطَراً في غفلةِ اللائمين والنُّصحا
وعاطني قرقفاً معتّقة صهباءَ تنفي الهمومَ والتَّرحا [2]
من كفِّ ظبيٍ كأنما غفلتْ أعينُ رضوانَ عنه مذ سَرَحا
أحْورُ أحوَى أغنُّ ذو هَيَفٍ فداؤه كلُّ مَن عليه لحَى
قد أبدع اللهُ خلقَه فأتى مُتَّزِراً بالجمال مُتَّشِحا
رقّتْ حواشي طباعِه فحكتْ رقّةَ ألفاظ مَن حوى المُلَحا [3]

* * *

ومنه ما [4] بعث به [4] إلىّ في غرض له [5] :

أنْعِمْ صباحاً سيّدي ياذا المُعلى والسُّؤدُدِ
يابنَ الموالي الأكرمِيـ ـنَ فداك كلُّ مُسوَّدِ
يا ماجداً وطئ السُّها واحتلَّ فَرْق الفرقدِ [6]
بفضائلٍ ومآثرٍ ومفاخرٍ لم تُجحدِ
وشواردٍ كعقودِ دُرٍّ فُصِّلتْ بزبرجدِ
فاقتْ بروْنقِها نظا مَ البُحتريِّ وأحمدِ [7]
وبديعِ نثرٍ قد حكَى ديباجةَ الروضِ النَّدِي

---

(1) في ب : « فا * أساه الوجد » ، وفي سلك الدرر : « أسره الوجد » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي الأخيرة : « أساره الوجد » .
(2) في ا : «تنفي الهموم والبرحا» ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (3) سقط هذا البيت من : سلك الدرر . وفي ا : « رقة ألفاظه » ، والمثبت في : ب ، ج . (4) في ب ، ج : « بعثه » ، والمثبت في : ا . (5) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (6) في ب ، ج : « واحتل فوق الفرقد » ، والمثبت في : ا .
(7) يعني بأحمد أبا الطيب المتنبي .

نابَتْ له حَبُّ القُـــلو ... بِ عن المِـــدادِ الأسودِ

يا أيهـا المـولى الأمـــيـ ... ـنُ ونَجْلُ أكرمِ أمْجـدِ

أنت الذى يُرجَى لد ... فْعِ خُطوبِ دهرٍ مُعتـدِ

العبـــدُ قد عبثَتْ به ... أيْدِى الزمانِ الأنْكدِ (١)

وحـــوادثٌ ضَيَّقْنَ فى ... عينَيْه رَحْبَ الفَدْفَدِ (٢)

والصبرُ ليس بمُمْكنٍ ... والحـظُّ ليس بمُسْعِـدِ

مولاىَ هل من عَطْفَـةٍ ... مَمْزوجـــةٍ بتَـوَدُّدِ

أو نظـــرةٍ تُدْنِى الفقيـ ... ـرَ من الجَنـابِ الأسْعـدِ

تاللهِ لم أقصِـــدْ سِوا ... كَ وهل سِواكَ بمَقْصِـدِ

فَبِحُرمـــةِ الآدابِ كُنْ ... من جَوْرِ دهرى مُسْعِدِى

لازلتَ مقصـــوداً على ... رَغْمِ الحسودِ الأنْكدِ (٣)

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، قولَه :

يا أيها المَلِكُ البـاهى بطلْعتـــهِ ... ومن لعَهْدِ وِدادِى فى الهوى نَبذَا

أفسدتَ قلبىَ لمَّا أن نزلْتَ به ... فقال لِى هكذا إنَّ الملوكَ إذَا (٤)

وهذا فيه الاقتباس (٥) مع الاكتفاء (٦) .

---

(١) فى ا : « فالعبد قد عبثت به » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) الفدفد : الفلاة .

(٣) رواية عجز البيت فى : ب ، ج :

* رَغْمِ العِدَى والحُسَّدِ *

والمثبت فى : ا .

(٤) فى ب ، ج : « فقال لى هكذا دأب الملوك إذا » ، والمثبت فى : ا .   (٥) يعنى أنه أخذه من قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ . سورة النمل ٣٤ .

(٦) انظر بحثا عن الاكتفاء ، فى الأصل ، أعنى ريحانة الألبا ٢/١٠٧ – ١١٣ .

ولبعض المتقدِّمين عن عصرنا :

مَلِيكةَ الحُسْنِ جُودِي باللِّقا كَرَماً   لمُغْرَمٍ قلبه قد ذاب فيكِ إذَا

أفسدتِ قلبي فقالتْ تلك عادتُنا   قد قال سبحانه إنَّ الملوكَ إذَا

***

وأنشدني من لفظه لنفسه ، قولَه من قصيدة ، مطلعها (١) :

قد نبَّهتْنا صَوادِحُ القُمْرِى   لمَّا تراءتْ طلائعُ الفجرِ

وفاح من نَسْمة الصَّبا عَبِقٌ   يفُوق رَيَّاهُ عَنْبَرَ الشِّحْرِ (٢)

والروضُ يختال فى مُصَبَّغَةٍ   تجُرُّ أذْيالَها على النَّهْرِ (٣)

وسَرْوُه كالقِيانِ إذ خطَرتْ   لِرَقْصِها فى مآزِرٍ خُضْرِ

***

هذا مسبوق إليه فى قول ابن طاهر (٤) الخبّاز :

والسَّرْوُ فيها كعَذَارَى غدتْ   ترقُص فى أرْدِيةٍ خُضْرِ (٥)

***

والطَّلُّ فى أعيُنِ الزهورِ حكى   أدْمُعَ صَبٍّ أحَسَّ بالشرِّ

والجوُّ قد راق والُمدامةُ قد   رقَّتْ كطبعِ النديمِ أوشِعْرِى (٦)

ودار من فوق وجهِها حَبَبٌ   يُخجِل مَرْآه ناصِعَ الدُّرِّ (٧)

فانهَضْ فدَتْك النفوسُ مُبْتكِراً   وهاتِها قبلَ ضَيْعةِ العُمْرِ

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٢/١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) تقدم ذكر العنبر الشحرى ، فى صفحة ٤٥٦ .   (٣) فى سلك الدرر : « يجر أذيالها » .

(٤) فى سلك الدرر : « ابن ظاهر » .   (٥) فى ب ، ج : « للرقص فى أردية خضر » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر ، وقد ذكر المرادى معارضات لهذا البيت فى سلك الدرر ٢/١٧٦ .

(٦) فى سلك الدرر : « كطبع النديم والشعر » .   (٧) لم يذكر المرادى هذا البيت، فى سلك الدرر .

(نفحة الريحانة ٣٣/١)

صَهْبَاءَ تنفى همومَ ذى تَرَحٍ ... إن برزتْ كالعروسِ من خِدْرِ (١)
طيّبةَ النَّشْرِ فى الكؤوسِ وهل ... بعد عَرُوسٍ يكون من عِطْرِ
يُدِيرُها أهْيَفُ القَوامِ رَشًا ... مُخْتَصِر الخَصْرِ باسِمُ الثَّغْرِ (٢)
ساقٍ صَبِيحٌ أغَرُّ مُقْلَتُه ... قد عرّفتنا بدائعَ السِّحْرِ
يَسْقى قليلَ المُدامِ عن ثِقَةٍ ... منه بما فى الجفونِ من خَمْرِ (٣)

* * *

وأنشدته يوماً قولى :

بُروحِىَ مَن وجْهُه آيَةٌ ... تدلُّ على خَلْقِهِ المُتْقَنِ
أُحاوِلُ فى صُدْغِهِ لَحْظَةً ... فتمنعنى زَحْمَةُ الأعْيُنِ

فأنشدنى فى معارضته بديهاً :

كلّما رُمْتُ نَظْرَةً والْتَجاءً ... لِعذارٍ على الخدودِ أدارَهْ
لم يَجِدْ ناظِرِى إليه طريقاً ... لازْدِحامِ اللواحِظِ النَّظّارَهْ

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه (٤) :

لا تحسَبوا أنّ رَيْحانَ العِذارِ بدا ... بوجْنةٍ صاغَها الرحمنُ وابتدَعا (٥)

---

(١) فى ج : « إن أبرزت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . وفى ب : « كالعروس فى الخدر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٢) ورد هذا البيت فى سلك الدرر هكذا :

يديرها أهْيَفُ القَوامِ رَشًا ... فاقَ مُحَيّاه طَلْعَةَ

وجاء بعده :

أحْوَرُ أحْوَى مُهَفْهَفٌ تَرِفٌ ... مُخْتَصَرِ الخَصْرِ باسِمُ الثَّغْرِ

وانتهى بهذا ما أورده المرادى من القصيدة .

(٣) فى ب : « بما فى الجفون من سحر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) البيتان فى سلك الدرر ٢/١٧٨ . (٥) فى سلك الدرر : « لاتعجبوا أن . . . فى وجنة . . » .

وإنما طَوْقُه السَّمُّورُ قابَلَهــــا ... فشكْلُه فى حواشِيها قد انْطَبعَا [1]

مثله للشّهاب الخفاجىّ [2]:

وظبىٍ من السَّمُّورِ أُلبِس فَرْوةً ... ومال كما هزّت صَبًا سُحْرةً سَرْوَا

وإلا عيونُ الناسِ من دَهْشةٍ به ... تُخايلُ أهْدابًا فتحسَبُه فَرْوَا [3]

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه [4]:

نَبِّه الصَّحْبَ لارْتِشافِ سُلافِ ... وأدِرْها بين النَّدامَى الظِّرافِ

وامْسَحِ الطَّرْفَ من فُتورِ نُعاسٍ ... بذُيولِ الصَّبا الرِّقاقِ اللِّطافِ

يافَدَتْك النفوسُ داوِ بصِرْفِ الرَّ ... احِ رُوحًا تعرَّضتْ للتَّلافِ

واسْقِنيها من كفِّ ظبىٍ غَرِيرٍ ... لَيِّنِ المُلْتوَى قليلِ الخِــلافِ

مُخْطَفِ الخَصْرِ يختفِى البَنْدُ منه ... بين طَىِّ الأعْكانِ والأرْدافِ [5]

فى رياضٍ حُفَّتْ بسَرْوٍ نَضِيرٍ ... كجوارٍ مَيَّالةِ الأعْطافِ [6]

باكَرَتْها غُرُّ السحابِ بصَوْبٍ ... دائمِ السَّحِّ هاطلٍ مِدْرافِ [7]

---

(١) السمور : دابة يتخذ من جلدها فراء مثمنة . القاموس (س م ر) . (٢) البيتان فى ريحانة الألبا ١/٤١٨ ، سلافة العصر ٤٢٥ ، سلك الدرر ٢/١٧٨ . (٣) فى ريحانة الألبا « كأن عيون الناس » ، والمثبت فى الأصول ، وبعض نسخ الريحانة ، وسلافة العصر ، وسلك الدرر ، وفى ب : « قد دهشت به » ، والمثبت فى ا ، ج ، وريحانة الألبا ، وسلافة العصر ، وسلك الدرر . وفى ريحانة الألبا ، وسلافة العصر :

* تخالُ أهْدابًا فتحسَبُها فَرْوَا *

والمثبت فى الأصول ، وسلك الدرر .

(٤) القصيدة فى سلك الدرر ٢/١٧٥ ، ١٧٦ .

(٥) فى ا : « يختفى البند فيه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٦) فى سلك الدرر : « بسور لطيف » . (٧) فى ب : « دائم السفح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وبعد هذا البيت فى سلك الدرر :

فَغَدتْ ذاتَ بهجةٍ كجِنانٍ ... حاوياتٍ محاسنَ الأوصافِ

خدمتْ زُهْرُها النجومَ فأبْدَتْ   شكْلَها فى غديرِها الشفَّافِ (١)

***

وقرأتُ له يوماً الدِّيباجة التى عملتها لديوان شعرى ، ومنها قولى فى معرض غزَل :
كأنَّ خالَه بين الحاجبيْن (٢) ، هندىٌّ يلعب بسيفيْن ، أو جارِح يختطف الجوارح بجناحيْن .
فأعجبه ماقلتُه وراقه ، وألقَى عليه أرْواقَه (٣) ، وجاءنى بعد أيام وقد نظَم هـذا فى مقْطوع ، وأنشدنيه ، وهو :

كأنما الخالُ بين الحاجبيْن فتًى   يَرْمِى بقوسيْن أو يسْطُو بسيْفَيْنِ
أوطائرٍ جارِحٍ أهْوَى على شَرَفٍ   ليخطِفَ القلبَ مِنِّى بالجناحيْنِ (٤)

* * *

ونظمت (٥) وأنا بالقاهرة قصيدة ، وصفْتُ بها بِرْكةَ الأزْبَكِيَّةِ (٦) ، وتخلَّصت إلى مدح بِرْكةٍ خطَّها الأستاذ زين العابدين (٧) ، لا بَرِح المجدُ ينطِق بلسانِه ، والجود يشْكُر (٨) مواردَ إحْسانِه .

فلما وصلَتْ إلى دمشق ، وقف عليها المترجَم ، فكتب إلىَّ قصيدةً على وزْنها ورَوِيِّها ، وصدَّرها بإنشاءٍ من نَسْجِ (٩) قلمِه

---

(١) صدر هذا البيت فى سلك الدرر :

* ناظرتْ زهرها النجوم فأبْدَتْ *

(٢) فى ب : « حاجبيه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : «أوراقه» ، والمثبت فى : ا ، ج

(٤) فى ا : « أهوى على فرق » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) بعد هذا فى ب زيادة : «إليه» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) الأزبكيـة : نسبة إلى الأمير أزبك الخـازندار ، وقد أنشأ هذه البركة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة .

الخطط التوفيقية ٣/٦٦ ، ٦٧ .

وقد فصل على مبارك الحديث عنها ، نقلا عن المقريزى ، وابن إياس ، وخطط ابن أبى السرور البكرى ، ثم ذكر حالها فى أيام نظارته لديوان الأشغال ، فى عهد الخديوى إسماعيل .

وساق كل هذا ضمن حديثه عن شارع محمد على .

(٧) تقدم ذكره فى صفحة ١٥ ، وجاء فى ب قبل قوله : « لا برح » زيادة : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) ساقط من : ا ، وفى ج : «يسبك» ، والمثبت فى : ب .

(٩) فى ا : « نسيج » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فأمّا قصيدتى ، فهذه (١) :

يا حبّـــذا خُضْرُ الخمـــا ... ئلِ فى رياضِ الأزْبـكيّـهْ

وخُفُــوقُ أرْدِيةِ النّسيـ ... ـمِ سَرَى بِبُقْعتِهـا النَّدِيّهْ

أرضٌ تـكنفَها الحـــدا ... ئقُ والرياضُ الأرْيضِيّهْ

وتعطّـــرتْ أرجاؤها ... بالرائحاتِ المَنْدَلِيّـــهْ (٢)

فوّاحـــةٌ بشَـذا العَبيـ ... ـرِ وعابِقـــاتٌ عَنْبرِيّهْ

وترنّمتْ أطيـــارُها ... سَحَراً بأصواتٍ شجِيّـــهْ

وإذا تأمّلْتَ القُصـــو ... رَ بهاعَرفْتَ بها المَزِيّهْ (٣)

ومُنِحْتَ ما تَخْتـــارُ مِن ... طُرَفِ المُراداتِ البهيّهْ (٤)

ومُنِيتَ ماتهْواه مــــ ... ـن تلكَ الوجوهِ الأصْبَحِيّـــهْ

وتمـــايلتْ شوقاً لطلْـ ... ـعتك القـــدودُ السّمْهرِيّهْ

وقصرْتَ كلّ هوى على ... خَصْرِ الخصورِ الحاتميّـــهْ

وخلصتَ مِن سهمِ العيو ... نِ وأنت ياقلبى الرّميّـــهْ

مـــن كلّ مَرْهوبِ الشّبا ... فى لحظِه رُسْلُ المنيّـــهْ (٥)

وإذا أشـار مُلاطِفـــاً ... وَيْلاهُ من تلكَ البليّـــــهْ

يدعـو النفوس إلى التّـلا ... فِ وليس يدرى ماالقضيّهْ

وعلى تلفّتِ جِيـــدِهِ ... كم حار مُرْتادُ التّقيّـــهْ

ونَصيبُـــه فى الحسن حيْـ ... ـثُ الشمسُ غُرّتهُ المُضيّه (٦)

---

(١) نقل على مبارك فى الخطط التوفيقية ٣/١٢٥ البيت الأول والبيتين العشرين والحادى والعشرين ، عن رحلة لعبد الغنى النابلسى مجهولة العنوان .

(٢) المندل : العود أو أجوده . القاموس (ن د ل) . (٣) فى ب ، ج : « عرفت لها مزيه » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ب : «ما تختاره * طرف . . » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) سقط هذا البيت والذى يليه من : ب ، وهما فى : ا ، ج .

(٦) فى ب : « وتصيبه فى الحسن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فاخْتَرْ هنالكَ مَرْبَعاً ... تُكْفَى به كلَّ البليَّهْ
وتقيمُ مَوْفورَ المُنَى ... وتحفُّكَ المِنَنُ الخفيَّهْ
فى ظلِّ زين العابدِ ... ن الشَّهمِ أستاذِ البريَّهْ
مَوْلًى أناخ المجدُ فى ... أعْقابِهِ البيضِ النَّقيَّهْ (١)
وتشرَّفتْ بجنابِهِ ... شَرَفُ القُرومِ المَوْلَويَّهْ (٢)
فالفضلُ فضلُ فتًى له الْ ... إنعامُ والحسنَى سجيَّهْ (٣)
والفخرُ شِنْشِنَةٌ له ... ولقد أراها أخْزَميَّهْ (٤)
والحِلمُ وصفٌ قصَّرتْ ... عنه السَّجايا الأحْنَفيَّهْ
والجود كلُّ الجودِ فى ... شِيَمٍ غَذَتْه حاتميَّهْ
ضاهَى بمقْعدِهِ السُّها ... فغدتْ منازلُه العليَّهْ
وجرى القضاء بوَفْقِ ما ... يرجُوه من حُسْنِ الطَّويَّهْ
مولايَ حيَّى اللهُ وجْ ... هكَ بالتحياتِ الزَّكيَّهْ
ورعاكَ مادام الدوا ... مُ بعيشةِ العمرِ الهنيَّهْ
أنا من عرفْتَ بأنه ... منسوبُ سُدَّتِكَ السنيَّهْ
وإليكَ لى حقٌّ أتيـ ... ـتُ فأجْرِ حقَّ المالكيَّهْ (٥)
وأقِلْ عِثارِى إن سَقَطْ ... تُ لضَعْفِ حالِى فى الهَويَّهْ (٦)

---

(١) فى ا : « البيض البهية » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخطط التوفيقية ٣/ ١٢٥ . (٢) فى ب : « شرف القرون » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب ، ج : « والحسنى شجيه » ، والمثبت فى : ا .
(٤) يشير إلى قولهم فى المثل : « شنشنة أعرفها من أخزم » ، والشنشنة : الطبيعة والعادة ، وهو مثل يضرب فى قرب الشبه .
انظر مجمع الأمثال ١/ ٢٤٤ .
(٥) فى ا : « أوليك لى حق » ، وفى ب : « وإليك لى حق انتهى » ، والمثبت فى : ج .
(٦) الهوية : البئر البعيدة القعر .

فأنا الذى خطّيتْ رحْـ ... ـلِى فى حماك حِمَى الحَمِيَّه (١)
وأرحْتُ من تعبِ الحيا ... ةِ هناك جسمى والمطيَّه
مالى بَرَاحٌ ما برحْـ ... ـتُ وكان فى عمرى بقيَّه
ما الـكَدُّ فى دارِى لا ولا ... أرضِ القلاعِ الأعْجَمِيَّه
كلَّا ولا لى ماحَيِيـ ... ـتُ بجِلّقٍ والرومِ نِيَّه
إلا جوارُك مُنْيتى ... حيث الهِباتُ الأرْيَحِيَّه
حيث الأخلاء الكرا ... مُ ذَوُو الفكاهاتِ الجَنِيَّه (٢)
من كلِّ وضّاحِ الصَّبيـ ... ـحةِ وهو بسّامُ العَشِيَّه
لازلتَ تخدمك الأفا ... ضلُ والسَّراةُ اللَّوْذَعِيَّه
وإليكها مختارةً ... من جِلّقِ الشامِ الزَّهِيَّه
غَنّاء حالِيـــــــةَ الغلا ... دِ بالعقودِ الجوهريَّه
غُذِيَتْ أوانَ شبابِها ... بنَسِيمِ سَفْحِ الصَّالِحِيَّه (٣)
وتروَّحتْ بالشِّيحِ والـ ... قَيْصومِ من تربٍ زكيَّه (٤)
وكَسَا معاطِفَها الدّلا ... لُ حُلَى الجمالِ السُّنْدُسِيَّه (٥)
تُولِيكَ من طُرَفِ المقو ... لِ نفائسَ الدُّرِّ السَّنِيَّه
وتَبُثُّ مدْحَك فى الورى ... بصفاتِك الغُرِّ الرضيَّه
فاهْنَأْ بها وبمثلِهـــــــا ... من خالِصِ الطُّرَفِ الطَّرِيَّه

---

(١) «حطيت» هكذا على طريقة المؤلف فى اللغات . (٢) فى ب ، ج : «ذوو الفكاهات الخفية» ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ا : « بنسيم سفح الصالحية » ، والمثبت فى : ب ، ج .
وتقدم التعريف بالصالحية ، فى صفحة ٧٢ .
(٤) فى ب : « من ترب ذكيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والقيصوم : نبت . انظر القاموس (ق ص م) .
(٥) فى ب : « على الجمال السندسية » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وَبَقِيتَ ما بَقِيَ البَقا ءُ وأنت ميزانُ البريَّهْ
تَحْبُوكَ في أمرِ المُنى أَلْطافُ مولاكَ الخفيَّهْ [١]

* * *

وهذا ما كتبه إلىَّ من إنشائه ، ويتلوه قصيدته :

إن أشرفَ ما نمّقه قلم ، وأتحفَ ما نمنمه رقم .

وأبهجَ ما تزيَّن به طِرْس ، وأبدعَ ما جرى به نِقْس [٢] .

سلامٌ أضوعُ من شَمِيم الـكِبا [٣] ، وألطفُ من نسيم الصَّبا .

وأعطرُ من أَرَج أزهار الرياض ، وأسحر من تغازُل الأجفان المِراض .

وأثنيةٌ لا يُحْصَى عدُّها ، وأدْعيةٌ لا ينقطع مَدَدُها .

أُهدِي [٤] ذلك إلى جناب [٤] من لا أُسمِّيه ؛ لجلالته ، ولا أُكْنِيه ؛ وقدرُه المُعتـلِي عن ذلك يُغْنيه .

حرس الله ذاتَه العليَّة ، وجمَّل الوجودَ بصفاته السنيَّة .

وبعد ، فإنْ تفضَّل المولى بالسؤال ، عن كيفيَّة الحال .

فالعبد لله الحمد ذِي المِنَن الوافية ، في بَحْبُوحَة الصحة والعافية .

غير أن الشوق ، شَبَّ عَمْرُه عن الطَّوْق [٥] .

يسَّر الله الاجتماعَ بكم إنه وَلِيُّ التيسير ، ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [٦] .

والذى يعرضه هذا الدَّاعى ، أن المولى من [٧] حين أشرَق في فلَك مصر بدرُه

(١) في ا : «ألطاف مولانا الخفية» ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) النقس : المداد . (٣) الـكباء : عود البخور ، أو ضرب منه . القاموس (ك ب و) . (٤) في ب : « لجناب » ، وفي ج : « ذاك لجناب » ، والمثبت في : ا . (٥) أخذ هذا من قولهم : شب عمرو عن الطوق . وعمرو هو عمرو بن عدى ، والمثل يضرب في تزيين الـكبير بزينة الصغير .
انظر في تفسيره جمهرة الأمثال ٢ / ١٤ .

(٦) سورة الشورى ٢٩ . (٧) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

الـكامل ، وغاب عن أُفُق شامِنا (١) الذى هو لمحاسِن شامِل .

لم يزَل العبدُ لألَم البَيْن مُـكابِدَ القلق (٢) والضَّجَر ، مُتطلِّعا لأخبارِكم السارَّة حتى ظفِر منها بأبْلغ أثَر .

وذلك قصيدتـكم الرَّافلةُ فى الحُلَل البهيَّة ، المتضمِّنة لمدْح الأستاذ ووصف بِرْكة الأزبَـكيَّة .

التى سجد (٣) لبلاغةِ نِظامِها مَن هو أبلغُ من الوَليد (٤) ، والفَريدة التى كلُّ بيتٍ منها بألف قَصِيد .

لابرِحتْ جواهرُ ألفاظ مولانا قلائدَ لذَوِى (٥) التَّحقيق ، وعرائسُ (٦ أبـكار أفـكارِه ٦) مُحلَّاة بمدائح آلِ (٧) الصِّدِّيق .

فعند ذلك توسَّلتُ إلى الله تعالى بسيِّد الـكونَيْن ، أنه كما سرَّنى برؤيةِ الأثرِ أن يُقِرَّ الأعيُنَ (٨) بالعَيْن .

وتصدَّيْتُ لعَرْضِ أشواقى التى خرجتْ عن حَدِّ (٩) الحَصْر ، بأن أعارِضَها بقصيدة أُهْدِيها لأوْحدِ العصر .

لتـكون لأثَرِ الشوقِ قافِية ، فأشبهتْها ولـكن وَزْنا وقافية .

ومن يَقْوَى لمُعارضةِ البحرِ الـكامل ، وأين الثُّريَّا من يدِ المتناوِل .

وهاهى واصلةٌ إليك ، (١٠ وقادمةٌ عليك ١٠) .

وصَلَ اللهُ لك أسْبابَ نتائجِ الأمل ، مُتلفِّعة بأسمالِها ، تعثُر فى ذيْلها من الخجَل .

(١) فى ب : « شمائلنا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ا بعد هذا زيادة : « والصبر » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ب : « سجدت » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) يعنى البحترى ، الوليد بن عبادة . (٥) فى ب : « لأهل » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) فى ا : « أبكاره » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٨) فى ب : « العين » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٩) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(١٠) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

فتلقها بالبِشر والقَبول ، وأنزلها منك بأحسن منزول (١) .

وأسْبِل عليها من حُلَلِ إحسانك سِتْرا ، لأنك من أهلِ البيت وصاحبُ البيت أدْرَى .

والقصيدة هي (٢) هذه :

أسَقِيطُ طَلٍّ جال في ... زُهْرِ الرياضِ السُّنْدسيَّه

أم ثَغْرُ وَضَّاحِ المَبا ... سِمِ ذِي الثَّنايا اللُّؤلُؤيَّه

أم وَحْيُ حَوْراءِ الألوا ... حِظِ أم عقودٌ جوهريَّه

أم نَسْمةٌ شِحْريَّةٌ ... نفحت لِجاءتْ عنبريَّه (٣)

أم روضةٌ غَنَّاءُ يا ... نِعةٌ أزاهِرُها زَهِيَّه (٤)

أم ذاكَ نَفْثُ السِّحْرِ من ... مولايَ أرسلَه هديَّه

أعني الأمينَ أمينَ كنـ ... ـزِ الفضلِ بَسَّامَ العشيَّه

حاوي الفصاحةِ والبلا ... غةِ والصفاتِ الألمعيَّه

ســاد الورى بشمائلٍ ... عنوانُها النفسُ الزكيَّه

فرعٌ زكيٌّ أصلُه ... خيرُ الخلائق والبريَّه

يامُجْلِيًا بِكْرَ المعا ... ني الغُرِّ بالكَلِم الجليَّه

للهِ درُّ عقيلةٍ ... ألبستَها الحُلَلَ السنيَّه

وبعثتَها تَرْوِي أحا ... ديثَ الكرامِ الأرْيَحِيَّه (٥)

مَن ذا يُساجِلُك النِّظا ... مَ وأنت سَحّاحُ السجيَّه

---

(١) في ب : « نزول » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٣) في ج : « أم نسمة سحرية » ، والمثبت في : ا ، ب . وتقدم ذكر العنبر الشحري ، في صفحة ٤٥٦ ، وفي ا : « فكانت عنبرية » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ا : « أزاهرها طريه » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) في ا : «أحا * ديث الكرام الأزكية» ، والمثبت في: ب ، ج .

أدبٌ كأزهارِ الرُّبى   سُقِيَتْ بأخلاقٍ رَوِيَّه (١)
وشواردٌ سارتْ بها الرُّ   كبانُ للمدُنِ القصِيَّه
غُرَرٌ كأنَّ رَوِيَّها   دُرُّ الثُّغورِ الأَلْعَسِيَّه (٢)
كادتْ لرقّتِها تُنيـ   ـلُ فتىً تَوَى كَبِدٌ صَدِيَّه (٣)
ياسيِّداً كم راضَ لى   فى النَّظمِ قافيةً عَصِيَّه
ياأوحدَ العصرِ الذى   حازَ الهِباتِ الحاتِمِيَّه (٤)
أوَمَا كفى بفِراقِ طَلْـ   ـعتِكَ البهيَّةِ لى بَلِيَّه
حتّى نَسِيتَ عهودَ وُدْ   دِى بعدَ إخلاصِ الطَّوِيَّه
ثُمّ انثنيتَ فهِجْتَ لى   شَجَناً بذِكْرِ الأزبكيَّه
وسلَوْتَ عن وادى دِمشْـ   ـقَ وماحوى والصَّالحِيَّه (٥)
ذاتِ المَنارةِ والجَوْ   سَقِ والرِّياضِ الأرْيَضِيَّه (٦)
والنَّيْرَبَيْنِ الأُقحُوا   نِ بها وغُوطَتِها البهِيَّه (٧)
والسَّبْعةِ الأنهارِ تَجْـ   ـرِى فى البِقاعِ الأقدسيَّه (٨)
والوُرْقِ يُبدِى لحنُها   بالجُنْكِ أصواتاً شجِيَّه (٩)
وعليلِ مِسْكِىِّ الصَّبا   يهفو بأنفاسٍ نَدِيَّه (١٠)

---

(١) فى ب: «بأخلاق رضيه»، والمثبت فى: ا ، ج . (٢) الألعس، بالتحريك: سواد مستحسن فى الشفة.
(٣) صدية: من الصدى، وهو العطش.
(٤) فى ا: «يا واحد العصر الذى»، والمثبت فى: ب ، ج .
(٥) تقدم التعريف بالصالحية، فى صفحة ٧٢ . (٦) الجوسق: القصر. (٧) تقدم التعريف بالنيربين، فى صفحة ٧٣ ، كما تقدم ذكر الغوطة، فى صفحة ٧٣ .
(٨) الأنهار السبعة هى: يزيد، وثورا، وبردى، وبانياس، والقنوات، والقناية، والدارانى. انظر نزهة الأنام فى محاسن الشام ٩٢ ، ٩٣ .
(٩) الجنك: من آلات الطرب. (١٠) فى ا: «بأنفاس زكية»، والمثبت فى: ب ، ج .

وَالْمَرْجَــــةِ الْخَضراء إذْ   فُرِشَتْ بِبُسْطٍ عَبْقَرِيَّهْ (١)

ومســــارحِ الآرامِ فِى   أرجائِهــــا وَقْتَ العشيَّهْ

من كلِّ أغْيَدَ مُشرِقٍ   أبْهى من الشمسِ الْمُضِيَّهْ

يفْتَرُّ عــــن شَنَبٍ أغَرَّ   حوَى صِحاحَ الجوهريَّهْ (٢)

وَجَناتُه اليــــاقوتُ والا   خِيلانُ أضْحتْ عبقريَّهْ

ولِحاظُه فعلتْ بنـــا   أضعافَ فعلِ الْمَشْرَفيَّهْ

عن بابلٍ أخذتْ فنو   نَ السحرِ فهْى البابليَّهْ

يرْنو فيرمى أسهمًا   منها وحاجبُه الحَنيَّهْ (٣)

يُصْمِى ولا يدرى بأنَّ   فؤادَ مُضْناهُ الرَّمِيَّهْ

لَدْنُ المَعاطفِ قَدُّه   قَدُّ الرِّماحِ السَّمْهَرِيَّهْ

نشوانُ من خمرِ الدَّلا   لِ سُقِى بكاساتٍ رَوِيَّهْ

فكأنه مَلِكٌ وأَرْ   بابُ الأنامِ له رعيَّهْ (٤)

هٰذِى محاسِنُ جِلِّقٍ الْ   فَيْحاءِ تَفْديكَ البريَّهْ

أنْموذَجًا منها وصفْ   تُ وأنتَ أدْرَى بالبقيَّهْ (٥)

فبأىِّ عذرٍ مِلْتَ عن   رُؤْيا محاسنِها الشَّهيَّهْ

حيَّ الإلٰهُ جمالَ وَجْ   هِكَ بالرضا أسْنَى تحيَّهْ

---

(١) ذكر البدرى أن المرجة من محاسن الشام، وأنها ذات عيون وغدران ، وبعضهم يشبهها بصدر البازِ، كأنه شبهها به لأن الوادى ينضم من رأسها ويعلوه جبلان ، وشبه هذين الشرفين بالأجنحة . نزهة الأنام ٧٢ ـ ٧٥ .

(٢) يشير إلى الصحاح لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى .

(٣) الحنية : القوس .

(٤) ترتيب هذه البيت فى ا قبل البيتين السابقين ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٥) فى ب : « وأنت أدرى فى البقية » ، والمثبت فى : ا ، ج .

مولایَ هل من نَظْــرةٍ صِدْقُ الودادِ لهــا مزيَّهْ
فلواعِجُ الأشــواقِ فى الْ أحشاءِ جمرتُهــا ذَكيَّهْ
أنا عبدُكَ الخِــلُّ الوَفِيُّ وليس حالاتى خفيَّهْ
فاسلمْ فديتُكَ حيث كُنْ تَ ودُمْ بعيشتِكَ الرخيَّهْ
وإليكهــا رُعْبوبةً تُنبيكَ عن حُسْنِ الطَّوِيَّهْ[1]
حَمَــــوِيَّةٌ شــاميَّةٌ وافتْ بفاكهــةٍ جَنيَّــهْ
فاسْبِلْ عليهــا من جميــ لِ السَّــتْرِ أرديةً نقيَّهْ
لازلتَ ممدوحَ الصِّفــا تِ الغُرِّ محمودَ السجيَّهْ
ما غَرَّدَت وُرْقُ الحمــا ئمِ فى الرياضِ السندسيَّهْ

***

ولما وردت[2] عليّ وكنت مقيمًا ببولاق ، وأنا حليفُ أخلاقٍ أخلاق .
وذلك لفقْدِ الأنيس ، حتى اليعافيرُ[3] والعِيس .
لا أرى رَدِيفًا إلَّا من القافية ، ولا أطلب صديقًا إلا من العافية .
ولا ذُقتُ إلَّا ماءَ عيني مَشْرَبا ، ولا نِلت إلَّا لحمَ[4] كفِّي مَطْمَا .
وقد عرفتُ شأني وزماني ، وخلعتُ من عنقي رِبقَةَ الأماني .
لا تُزعجني المُهِمَّة ، إلى استعمال الهِمَّة ، وأنا ناظرٌ إلى نفسي بالذنب والتُّهْمَة .
فقد اجْتَرَمْتُ الخطايا ، وركبتُ الأجرامَ رواحِلَ ومَطايا.
وفارقتُ العيونَ الصِّحاح ، والألفاظَ الفِصاح .
والرياضَ النَّواسِم ، والثغورَ البواسِم .

(١) الرعبوبة : الناعمة .
(٢) فى ج : « وردا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) اليعفور : ظبي بلون التراب ، أو عام القاموس (ع ف ر) . (٤) فى ا : « طعم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومَواطنِ التى عرفتْ بافْتِراع الأحاسِنِ نَشْبَها ، وألقيْتُ بها أزِمَّةَ الآداب تَرَوُّق[1] أنواعَها وأجْناسَها .

فــكتبتُ إليه وضَرورتى مشْروحة ، ودَعْوَى التحامُل عن كتِفِى مَطْروحة .

وأستوْهِب الله رَحمة تجعل عِنانى فى يد التوفيق ، وتصرف عَيانى عن هذه الوَحْدة إلى الفريق الرَّفيق :

وصل كتابُك فانفَقتِ القلوب على تفضيله ، واختلفت الألسنةُ فى تمْثيله .

فمِن مدَّعٍ أنه رُقْيةُ الوصل ، وريقةُ النحل .

ومُنتحِلٍ أنه دُرَّةُ الفَخْر ، ولؤلؤةُ البحر .

وقائلٍ هو السُّكَّر المعقود ، وسُلافُ المنقود .

فأمَّا أنا فتركتُ التشبيه ، وقلت ماله مَثِيل ولا شَبِيه .

بَلَغتِ البلاغةُ سماء بَيانِه ، وحَشرِ الحُسنُ بين قَلَم مُنْشِيه وبَنانِه .

فعيْنُ الله على هذه الألفاظ الغُرِّ ، التى يحسدها على اتِّساقِها الياقوتُ والدُّرّ .

وقد عرَّفْتَنى من خَبَرِ سلامتك ما رجوتُ له الدوام ، ودعوتُ له بالحِفْظ من حوادث الأيّام .

وكان سُرَى خيالك فشوَّق ، واستطار برْقك فأرَّق .

فأجفانُ الإخلاص ناظرةٌ إليك ، ويَدُ القبول مُسلِّمةٌ عليك.

وأما القصيدة التى هى دُرَّةُ التقاصِير[2] ، ورَبيبةُ تلك المَقاصير[3] .

فقد وردتْ مُؤكِّدة لك المحبَّةَ فى القلوب ، والرغبةَ فى الوُدِّ المطلوب .

وفطنتْ بتلك النيَّة ، وما أظنُّها كانتْ عن رَوِيَّة .

---

(١) فى أ : « رونق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) التقاصير : جمع التقصارة، بكسر التاء ، وهى القلادة . القاموس (ق ص ر) .

(٣) المقصورة : أصغر من الدار ، ولا يدخلها إلا صاحبها . القاموس (ق ص ر) .

فهى (١ كدعوةِ السائل ١) ، إنّما تجزى لنا كيد الوسائل .

كيف ومَحَلُّها مُنْطَمِسٌ بغبار الأغيار ، وحُقَّ لمن رأى غُبارَ بُولاق أن يشكُوَ صَدَأَ (٢) الأكدار .

ولعل السيِّد نظر إلى بيْت العيون والرَّمِيّة ، فعلم أن النفْس من مُخالَسَتِها أبيّة .

فلو قاصِراتُ الطرفِ أقْبلْنَ كالمها وقَبَّلْنَ رأسِى ماقبلتُ مَزارَها (٣)

نعَم القلبُ بعيون الشام عَلِق ، إلى أن يصير إلى مامنه خُلِق .

فأمّا وحَدَقِها المِراض ، وسهامِها التى تتمنّاها الأغراض .

ودُنُوِّها ولو لحظةً فإن لها حقًّا ، وتَلَفُّتِها ولو غَلْطةً فإنّى عبدُها رِقًّا .

إنّى منذ ودّعتُ بها حلاوةَ الرِّضَا ، ودّعْتُ العيشَ المُرتَضَى ، وبِتُّ على جَمْر الغَضا ، وحدِّ السيف المُنتضَى (٤) .

وأنا الآن بحُكْمِ الزمان ، مُستوْدَعٌ دارَ الهَوان .

أضحك للبُوس ، وأبَشُّ للوَجْه العَبُوس .

وأتصفّح وجوهاً (٥ لا أرْجوها ٥) ، وأُرِيد أمدحُها (٦) والمروءةُ تهْجُوها .

أكثرُهم شيخٌ يتَفَتَّى ، ويبْرُزُ فى أطوارٍ شتّى .

يأكل ما تأكل الناس ، ويخالفهُم فى المَشْرَب (٧) واللِّباس .

له وَجْهٌ لايشِفّ ، وعَيْنٌ لا ترِفّ .

إذا تكلّم ، كَلَم ، و (٨ إذا بَشّ ، أدْهَش وأوْحَش ٨) .

---

(١) فى ا : « كدعوة الناس للسائل » ، وفى ج : « كدعوة للسائل » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ب : « صدى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) البيت من قصيدة لعبدالرحمن بن محمد العمادى الشامى ، وهى فى خلاصة الأثر ٣٨٧/٢ ، ريحانة الألبا ٢٢٤/١ .

ورواية البيت فيها : « فلوصائدات القلب أقبلن كالمها » .

(٤) فى ا : « فى المضا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٦) فى ا : « مدحها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) فى ب : « المشروب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٨) فى ا : « وإذا بش أو هش أوحش » ، والمثبت فى : ب ، ج .

كلامُه فى الرِّضا ، مثْلُ هزّات القَضا .

خلق اللهُ ذاتَه عِبْرةً للنَّوائب .

وثَمَّ من رِزْق [1] فَلْتَةً ، ورِمق بَغْتَةً .

عُمْرُ غِناه قصير ، وهو بطريق الأَوْم بَصير .

فإذا رأيتَ رَثاثةَ حالِه ونعمته لديه [2] ، يُوشِكُ أن تدَّعِيَ غضبَ اللهِ عليها وعليه .

وقد مَقَتُّ [3] بهم الأيامَ وتصاريفَها ، وسئِمْتُ الحياة وتكاليفَها .

ولو جهلت أن الحِذْق ، لا يزيد الرِّزْق .

لعذَرْتُ نفسي فى الرَّحْلِ أشدُّه ، والحَبْلِ أمُدُّه .

ولكنِّى أعلم هذا وأعمل ضِدَّه ، وأسير سيراً يُنْكِر المرء فيه جُهْدَه .

وإلَّا فمَن أخذنى بالمَطار ، فى هذه الأقطار .

حتى تركَنى أنازِلُ المِحَن ، وأُعْتِبُ هذا الزَّمن .

وأقول : قد بُليتُ فيه ، بأيامٍ كأيام رمضان وليالٍ كلياليه .

تلك [4] كظِلِّ الرُّمح ، وهذه تَهْوِيمةُ [5] الصُّبْح .

وكلاهما تارةً بنارِ الجحيم يلتهب ، وآونةً بفَيْحِه الحارِّ [6] العَزيزىِّ [7] ينتهب .

قد [8] أخَلَّا بالعادة ، وجاوزا المألوفَ بزيادة .

وحَشْوُهما ذُباب يبْرَح ويسْنَح ، وبعَدَم مُبالاةِ خَلَطائه لا يهِفُّ للبَراح ولا يجْنَح .

---

(١) فى ب : « رزقه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « عليه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « رمقت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « وتلك » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « تهويمة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٧) فى ج : « العزيزى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) فى ا : « وقد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وبُرْغُوثٌ كنقطةِ دَغَل ، أو سُوَيْداء دَخَل .

يُدرِكُ بطعنٍ مؤلِم ، ويستحلُّ دمَ كلِّ مسلِم .

وبَعُوضٌ يُطيل الألَم ، ولا يَفْنَى حتى يرْتوِى من شُرْب دم .

وبَقٌّ خارجٌ عما يُعْهَد ، يُلِحُّ فى الوصول إلى العَظْم ويَجْهَد .

ووراء ذلك ضَجِيج ، ولا ضَجِيجُ الحَجِيج[1] .

وزِحام يُبْلَى به الشخصُ من السَّحَر فى الطريق ، حتى يقول : ماهــذه القِيامةُ على الرِّيق .

وأمّا حديثُ قلّة الأدب فمِن هنا يُؤْثَر ، والأقلُّ منهم تابِعٌ للأكثر .

وكيف يُرْجَى منهم حِجاب ، ومكانُ الحياء منهم خَراب .

إلى غير ذلك من قبائح تركْتُها حَذَراً من تلويث الكتاب ، وفضائحَ لا يُلْبَس[2] عليها ثِياب .

هذا وأنا أحمَدُ الله الذى لا يُحْمَد على المكروه سواه ، ولا يَعْرِف قدرَ نعمتِه إلَّا مَن عالَج بَلْواه .

فلولا العِلّةُ لم تُحْمَد الصحة ، ولولا التَّرْحة لم تطلَب[3] الفَرحة[4] .

فأنا فارقتُ الجنــة تعْلمة[5] آدمَ أبى ، واستبدلتُ نقِيضَها بطَرْفٍ نافِرٍ وقلبٍ أبِى .

وخُضْتُ غِمارَ المهالك والرَّدَى ، ونظرتُ إلى الآخرة وأنا فى الدنيا .

وتعوّضتُ عن تلك الوجوه بهــذه الوجوه ، واختلفتْ حالِى فأنا متناقِض معهم فى كل ما أرْجُوه .

---

(١) فى ا : « الضجيج » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ا ، ج : « يلبث » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ج : « تطب » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٤) فى ا : « الفرجة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى القاموس (ع ل م) : « والتعلمة ، كزبرجة ، والتعلامة : العالم جدا ، والنسابة » .

فما أشبهنى [١] بكحلٍ فى عين [١] أعمى ، ومصباحٍ عند أكْمه ، ونَغْمةِ عُودٍ عند أصمّ ، وخاتمٍ فى أصبع أشلّ .

ودُرّةٍ [٢] فى رأس قَرَوِىّ ، وسُبْحةٍ فى يد بَدَوِىّ .

وسيفٍ فى قبضةِ جبان ، ومِصْراعٍ تضمين فى شِعر ابن غزْلان ، أو أبى الغزلان [٣] .

وإنّى إلى مواضع إيناسِى ، ومَراتِع غِزْلان صَرِيمِى وكِناسِى .

أحنُّ من حمامةٍ لفَرْخ ، وأوْرَى شوقًا من عَفَار [٤] ومَرْخ [٥] .

وأنا مُقْدِم على أدوات [٦] التوسُّل ، متوسّل بصاحب الشفاعةِ فى التوصُّل .

فعسى أُرَى وقتَ التَّلفُّت ، ولا عِلقتْ [٧] لى بعدها لحظةٌ بالتلفُّت .

وإن نبذُوا بعدى [٨] الحصاة [٩] ، فلا أبَ لهم إن لم يكْنِسوا العَرَصات .

فإن [١٠] عمَدوا [١١] إلى أن يُوقِدوا فى أثَرِى النّار ، فلْيُسْرعوا إلى أن يُثيرُوا فى قَفاىَ الغُبار .

وضَراعتى إلى السميعِ المُجيب ، أن يجعلَ ذلك أقربَ من كلّ قريب .

والسلام .

* * *

---

(١) فى ب : « فى كحل بعين » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب ، ج : « ووردة » ، والمثبت فى : ا . (٣) كذا « ابن غزلان ، أو أبى الغزلان » ، ولم أعرفه . (٤) العفار : شجر يتخذ منه الزناد . القاموس (ع ف ر) . (٥) المرخ : شجر سريع الورى . القاموس (م ر خ) .

(٦) فى ب : « درجات » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « عقلت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) فى ب : « بعد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٩) فى ب : « العصاة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (١٠) فى ا : « وإن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(١١) فى ا : « عمدوا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٥٠

محي الدين السلطي

شيخُ الصَّنْعةِ ووليدُها (١) ، والمتوفِّر له طريفُها من الفنون وتَليدُها (١) .

وابنُ بَجْدَتها في القَريض ، وأخو جُمْلتها في النَّفَس الطويل العريض ، وأبو عُذْرتها في التَّصريح بالأغراض والتَّعْريض .

رأس بالاستحقاق الآن ، وسهَّل طُرق الفنون وألآن .

وهو شاعر لايطمع في لَحاقِه مُجارِيه ، ولا يُحْثَى التُّراب إلا في وجهِ مُبارِيه .

وقد ناهز الثَّمانين ، وسَما على العَرانين .

فلو رآه ابن سَبْعين (٢) لما تجاوَز حَدَّه ، أو الثَّمانين لاستنجد (٣) بهِمَّةِ جِدِّه .

وهو أعْصفُ القوم رِيحا ، وأكثرُهم عن البيان تصريحا .

قلْبُه قَليبٌ واسع ، وغَوْرُه بعيدٌ شاسع .

لا يُقَرْطِسُ (٤) غرضا إلّا أصْماه ، ولا يُفوِّق سَهْما إلا أصاب مَرْماه .

وقد صحِبْتُه مدةً فتمتَّعْتُ بآدابِه ، ورأيتُ التحوُّل (٥) في كلِّ فنٍّ من دَابِه .

وتناولتُ من أشْعـارِه تُحفًا بادية الإعْراب (٦) ، وطُرَفا أترابُها في اتِّفـاقِ الصنعةِ تحت التراب .

* * *

(١) في ا : « والتوفر له من الفنون طريفها وتليدها » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) يشير إلى أبي محمـد عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي المرسي ، ابن سبعين .
فيلسوف زاهد تباينت أغراض الناس فيه ، بين مرهق مكفر ، ومقلد معظم موقر .
توفي سنة تسع وستين وستمائة بمكة .
البـداية والنهاية ١٣/٢٦١ ، شذرات الذهب ٥/٣٢٩ ، فوات الوفيـات ١/٥١٦ ، النجوم الزاهرة ٧/٢٣٢ ، نفح الطيب ٢/٣٩٥ ـ ٤٠٦ .

(٣) في ب ، ج : « لاستجد » ، والمثبت في : ا . (٤) قرطس : أصاب القرطاس ، وهو الغرض أو الهدف . (٥) في ب : « التحول » ، وفي ج : « التخول » ، والمثبت في : ا . (٦) في ب : « الإعراب » ، والمثبت في : ا ، ج .

فدونك منها مالا يحتاج حُسْنُه إلى إثبات ، كالدُّرِّ يكْفيه من حُسْنِه نُحورٌ ولَبّات.

فمن ذلك قوله من مقصورة ، مستهلّها :

قَوامُه والّلحْظُ منــــه يُقْتنَى ⁂ مُمنَّعٌ بين الرِّماح والظُّبَى (١)
مِــــن جَفْنِه كِسْرَى أُسْتُبيحَ اسمُه ⁂ وللنَّجاشِي الحكْمُ في الخالِ مَضَى (٢)
في حَرَكاتِ قَدِّه يُستحسَنُ الضَّــ ⁂ ـمُّ ومن أجفانِه الكَسْرُ ارْتوَى
وثغــرُه قالوا العُذَيْبُ قلتُ مِن ⁂ ذاك يُشامُ البرقُ منــه أوْمَضَا (٣)

منهــا :

مَن لم يَذُقْ حُلْوَ الهوى ومُــرَّهُ ⁂ لم يَدْرِ مابين الضلالِ والهُــدَى
ياصاحِ أعْنِي غيرَ صاحٍ مِـن هوًى ⁂ إن جُزْتَ سَلْعاً منهُ سَلْ عن ذِي نَبَا (٤)
أخَيَّمَ الأحْبـــابُ أم قد ظَعَنوا ⁂ فهـــاكَ آثارُ المَطِيِّ في طَوَى (٥)

***

وكنتُ طلبت منه شيئا من أشعاره ، لأُثبته في كتابي هذا ، فوعد وسَوَّف .

فكتبت إليه :

أمولاى مُحْيِي رسومَ الأدبْ ⁂ ومَن حاز فيــه أجَلَّ الرُّتَبْ
لك اللهُ من مُبدِعٍ في الصنيعِ ⁂ إذا فاه يَعْجَبُ منـــه العَجَبْ
فشِعْرُك تَطْرَب منــه المُدامُ ⁂ ونَثْرُك يَرْقُص منــه الحَبَبْ
وأنت الحيــاةُ لجسمِ العُلَى ⁂ وللفضــلِ رَوْنَقُهُ المكتسَبْ

---

(١) في ا : « قوامه واللحاظ » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) يشير إلى تكسر جفنه ، وسواد خاله . (٣) في ج : « ذاك البشام » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٤) سلع : جبل بسوق المدينة . معجم البلدان ٣/١١٧ .

وفي ا : « عن ذي نوى » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) طوى : أشهر واد بمكة . معجم البلدان ٣/٥٥٤ . وانظر قول الجوهري : « وذو طوى ، بالضم أيضا : موضع عند مكة » في الصحاح ٦/٢٤١٦ ، ومعجم البلدان ٣/٥٥٣ .

وفي ب : « أم هم ظعنوا » ، والمثبت في : ا ، ج .

ولولا وجـــودُك ماشاقَنِي كلامٌ يرُوق وذاتٌ تُحَبّ
وعدْتَ بإرْسال بعضِ القَرِيضِ فأنْجِزْ لأبْلُغَ منك الأرَبْ
فهــــذا الربيــعُ أتى قائــلا خذُوا طَرَبًا فى أوانِ الطــربْ

* * *

فأرسل إلىَّ قِطَعاً من شِعره ،وكتب معها :

مولاى، وصلتْ الغــادةُ التى بَسماعِها عَرْبدتِ الأفــكار ، وسكرتْ مذ شامَتْ أسْطُرَها ولا سُكر بمُصْطار [1] .

فيــالها من غِرِّيدة غرَّدتْ فصدَح من سَماعِها الحمام ، وحَمامةٍ وَرْقاء فعلتْ بنا كما تفعل الرُّوح بالأجسام [2] .

سجدتْ بين يديها البلغاء والفصحا، حتى سكر بخمرها المْعنوىَ مَن لا يشرب وبها صَحَا ، فهى الدواء للجُهَّال والدَّوا ، ومعناها المَرْوِىُّ والفخرُ لمن لها روَى .

داوَتْ بكلامها الــكُلُوم ، وسارتْ [3] فى مراتبها منازلُ النجوم .

أشرقتْ فى آفاق الأفــكار وضاءتْ ، وشرَّقت القاصدين عن الوصول بأدْمُعِها ففاضت .

برزتْ من [4] كِنِّ حاصِل [4] الــكمال جوهرةً فريدة ، فشهدت بنو الفَجْر منهــا وتنهَّدت [5] بُدرِّها عذارَى أبــكار الأفــكار فهى بها سعيدة .

بانَت فيها لُبانات الأغراض ، مَيَّادة يُؤَتَمّ بجوها [6] وتُلْغَى [7] الأغْراض .

بائية اكتسبَتْ بصائرُنا صحةَ الإيضاح فى المعانى ، ببديــع بيانهــا السَّامِى على من يُعــانِى .

---

(١) المصطار : الخمر . القاموس (ص ط ر) . (٢) فى ب : «فى الأجسام» ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ا : « وساوت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا : « كل حاصل » ، وفى ب : «كن فى حاصل» ، والمثبت فى : ج . (٥) فى ب : «وتهندت» ، وفى ج : « فتنهدت » ، والمثبت فى : ا .
(٦) لعل الصواب : « بجوهرها » . (٧) فى ا : « وتانى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

تتجلّى كأنها ذُكاء نوراً فتكفُّ عن إدراكها العيون ، فهى معلومةُ الذّات بالصفات [١] مجهولة الكُنْه كما قال الفاضلون .

خطفتْ بأشعّة أنوارها من ظَنَّ السَّرابَ [٢] شرابا ، وسلبتْ وكستْ فتلك عقولا وهذه أسْبابا .

فيالها من فاصلةٍ كبرى ، وخافضة [٣] عن عبدها لخدمتها وِزْرا [٤] .

هـذا وقد قلّدتْها عُنُق دهْرى فطال ، ووطئت مَمْشاها [٥] بالعيون [٦] وَطْأةَ إذْلال [٧] .

فقال كالُها ارفعْ رَاسا ، وتجلّى جمالا فأحْيِي أنفاسا .

فهى السائدةُ على سُؤْدد السيادة ، وكأنها لمرْسلها حُسْنَى وزيادة .

وقد ضاق وُسْع هـذا الدّاعى عن هذا المدى ، لـكنه لحثالة [٨] حاله وقلّة رأس مالِه ، قام منشدا :

صَدُوحةُ روضِ اللّهَى والطربْ ... ومَغْنَى الفِصاحِ وكِنُّ الأدبْ
غـــريدةُ بيتِ ولاء الولىّ ... نتيجة نَحْرِ لُغاتِ العـــربْ
عن الرّاح تُغنى بحَسْوِ العقــولِ ... فما الخمــرُ وصْفاً وبِنْتُ العِنَبْ
بدتْ فى خِمَـــار اللّهَى تَنْثنِى ... فَعرْبَدَ منهـــا الحِجَى واضْطربْ
ولمّا استقرّت بِرَاح الخَـــديم ... أراح مُنَاه وزيحَ النَّصَبْ [٩]
كأنّ أمينَ الوفا قـــد وفَا ... يُخاصِم دهـــراً حليفَ العَتَبْ

---

(١) فى ب : «فى الصفات» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : «السرب» ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « وحافظة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٥) فى ب : «عشا» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : «فى العيون» ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٧) فى ا ، ج : « إذلال » ، والمثبت فى : ب .
(٨) فى ب : «لحالة» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٩) فى ج : «ولما اشتعلت» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « أراح منها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فأبْرز حِلْماً وحُكْماً له فهل يُستطاعُ سِوى ما كَتَبْ[1]
أجَبْنَا نَجِيباً سمـــا عصرُه بمـــا قال أمراً وما قد طلبْ
فهاكَ رُوَى عاجزٍ عن مـــدَى وَفاكَ وعن شأْوِ أهلِ الحَسَبْ[2]

* * *

وهذا مابعث به :

فمن ذلك قوله من قصيدة : هذا المُفْرَدُ فى الغزَل[3] اسْتَجَدْتُه فأفردته[4] ، وهو :

وَجْــهٌ إذا قابَلَ شمس الضُّحى والبدرَ ليـلاً فات وقتُ الصَّلاهْ

* * *

وقوله :

ومُخْتَصَرٍ أرْثَتْه مِنّى ضمائرٌ على ظَنّها لم تَدْرِ فى أمرِها السَّبَبْ[5]
فـكان كما أرْوِيه حقّاً بلا مِـرَا إلى رحمةِ الله الرحيم هو الأدبْ

* * *

أرثيتُ لفـلان ، إذا رَقَقْتَ له . ورثَى الميّتَ بالشعر ، وربما قالوا أرْثأته بالشعر ، ويُعَدّ من غَلَط البصريّين .

وأما أرْثَيْتُه ، فلم أره .

* * *

ومن ذلك قوله :

بى غادةٌ تُمْلِى الجـــوَى من شَرْحِ أسْـــوا مِحْنتِى
ناظَرْتُها من خاطـــرِى فأنا الذى وهى التى

* * *

(١) فى ب : «سوى ما كتب» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) الروى : جمع الروى ، وهو حرف القافية .
(٣) فى ب : « القول » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : «فأوردته» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) فى ا : « ومختصر » ، وفى ج : « ومحتقر » ، والمثبت فى : ب .

فيه إيداع لبيت ابن لُؤْلُؤ [١] [٢] الذَّهبِيّ ، وهو [٢] :

فأنا الذى أُمْلِى الجوى من خاطـرِى ... وهى التى تُمْلِى من الأوْراقِ [٣]

* * *

ومن ذلك قوله ، من قصيدة ، مطلعها :

إنَّ أصْلَدَ الزِّنادَ فى الأيادِى ... ماأصْلدتْ قرائحُ الأكبادِ [٤]

أورَتْ زَنائدى فنـونًا قصَّرتْ ... عن نَعْتِها اللّهَى من الأمْجادِ

من كلِّ معنًى بالبديع شَأْوُه ... له رَقّ على بيـانِ الشادِى [٥]

مَعْنـاه فى لَطافةِ التركيب واڵ ... مَعْنَى كلُطْفِ الرُّوحِ فى الأجسادِ

بَرِعْتُ فيهـا فاليَراعُ خادِمى ... والطِّرْسُ مِنْكى والرُّوَى أجْنادِى [٦]

سامَرْتُ فيما فُهتُ رُوحِى فى الدجى ... فاسْتَنِى مثلَ صوتِ الحـادِى

لله ما تَجْنُ اليعاسِيبِ انْتَشَتْ ... من ألحداةِ فى رُوَى إنْشادِى [٧]

تَعِيفُ بالمَفازِ وِرْدَ المـاءِ مِن ... مَساغِ نَظْمِى مُرتل التَّحادِى [٨]

تَمِيلُ فى مَسْرَى سُراها جُفَّلا ... تَبْغِى الحداةَ لاحلى المزاد [٩]

---

(١) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى .
كان شاعرا ماهرا .
توفى بدمشق ، سنة ثمانين وستمائة .
شذرات الذهب ٥/٣٦٩ ، النجوم الزاهرة ٧/٣٥١ .

(٢) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .
والبيت فى ريحانة الألبا ٢/١٢٤ .

(٣) فى ريحانة الألبا : « وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى » . (٤) فى ا : « قريحة الأكباد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « فى البديع شأوه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) ما فى ج يقرأ : « والورى أجنادى » ، أو : « واردى أجنادى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٧) فى ا : « فى الروى إنشادى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) « مرتل التحادى » ، كذا بالأصول . (٩) فى ا : « لا حلى المراد » ، وفى ب : « لا حلا المزادى » ، والمثبت فى : ج ، والرسم فيه : « لا حلا المزاد » .

منها[1] :

يا بُرَحاً زادتْ بنـــا أنواؤه ... زَوْد الغدير عن رِوَى الصَّوادِي[2]

جرَّعتنِى بعـــد الأُصيْحاب الأسَى ... فذُقْتُ منـــه وَصْمَةَ النَّكادِ[3]

هلّا رحمت مُغْـــرَماً صَبّاً رقَتْ ... دموعُه مَراقِىَ الوِسادِ[4]

يسخَرُ منـــه كل خِلْوٍ من هوًى ... يُشْفِق فيـــه مُغْـــرَم الودادِ

فالخِلْوُ ممنوعُ الرِّضا وضِـــدُّه ... عـــن حالِه مُمَنَّعُ السَّدادِ

أَمْتُ ناساً لَقَباً وما هُمْ ... بأهـــلِ وُدٍّ يقصِدون بادِى[5]

فعُدْتُ عَوْدَ نادِمٍ وهـــكذا ... مـــن أَمَّ غيْرَ مِثْـــلِه فى نادِى

فـــلا رجعْتَ يا أخا الوُدِّ كما ... رجعتُ فى عَـــوْدِى وفى تَرْدادِى

سئِمتَ مِنّى فالورى أحقُّ مَـــن ... يُسْأَمُ منـــــه أبَدَ الآبادِ

* * *

ومن ذلك قوله ، من قصيدة ، مستهلُّها :

إذا مادعانى للهوى المحكَمِ العُذْرِى ... عِذارُ الذى أهْوَى فماذا ترى عُذْرِى

وهل غيرُ ربِّ الآسِ صُدْغاً ونَـــكْهةً ... لداءِ كُلُومٍ فى الحشاءِ إلى الحشْرِ

عدِمتُ شفا وَرْدِ المَراشِفِ حُـــلْوِه ... إذا لم أكُنْ أقْوَى الخلائقِ للصبرِ[6]

* * *

وقوله من أخرى :

طَيْفَ الكرى حُيِّيتَ من زائرِ ... منحْتَ بُرْءَ الداءِ من هاجرِى[7]

---

(١) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا . (٢) فى ب : «زادت بنا أنواره» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ج : « ذود الغـدير » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « عن روى الطوادى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) يقـال : أرضون نـكاد ، قليلة الخير . (٤) فى ب : « مراقى الأساد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : «أقت ناسا» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « عدمت شفا حلو المراشف ورده » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفيها : « حلوة » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٧) فى ا ، ج : «من هاجر» ، والمثبت فى : ب .

ما كان أحْلى سِنَـةَ الغَمْضِ فى لَيْـــلٍ سَطاَ فى ظُلْمِهِ كافِرِ
ليـــلٍ كأن الغَمْضَ فيه سرَى ضَلَّ الهُدى فانْقادَ كالحائرِ (١)

* * *

وقوله :

إن سُقْمَ الجفـون أسْقَمَ جَفْنِى وولّانى مِـــنَ السَّقامِ فُتورَا
ربِّ فاشْفِ السَّقامَ منهم بكَسْرٍ فهواهُمْ أضلَّ خلْقاً كثيرَا (٢)

* * *

وقوله :

دَعْ فؤادى عليك يذهب حَسْرَهْ أوْ فيَكْفيه منك فى العمرِ نَظْرَهْ (٣)
ما صَنِيعِى وفيك عادَ مآلِى عودةً كالسَّرابِ فى أرضِ قَفْرَهْ

* * *



---

(١) فى ب : « كأن ليل الغمض فيه سرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ب : « رب فاشف السقام منهم بجبر » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) عجز البيت فى ب : « أوفيك فيه منك فى العمر نظره » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فصـــل

عقدتُه لجماعة من العلماء الأجِلَّاء ، يهتَدِي بمصابيح علومهم الأضِلَّاء .

ممَّن [١] فضلُه واضِحٌ مُبَيَّن ، والتبرُّك بذكرِه فرضٌ متعيَّن .

وهم وإن كانت آثارُهم العليَّة [٢] غنيةً عن الوصف والإطالة [٢] ، فلقد أتَوْا بأشياء من الشعر هي فى الجملة خيرٌ من البَطالة .

فمنهم :

* * *



---

(١) فى ا : « من » ، وفى ب : « ثمن » ، والمثبت فى : ج .

(٢) فى ب ، ج : «غنية الوصف عن الإطالة» ، والمثبت فى : ا .

٥١

نجمُ الدّين الغَزّيّ *

النجمُ الأرْضِيّ ، وابنُ البدر المُضِيّ ، وجدُّه الرَّضِيُّ المَرْضِيّ .

ثلاثة فى نَسَق ، طلَعوا فأناروا الغَسَق .

وقدَمُهم [1] فى النَّباهة ، أعْلَى من قدمهم فى الوَجاهة .

فمَن يُسامِيهم ، وإلى الكواكب مَرامِيهم .

وهم فى القديم والحديث ، أئمةُ التفسير والحديث .

لم يبْرحِ المجدُ يسمُو ذاهباً بهمُ حتّى أزاحَ الثُّريّا وهْو ما قَنِعا [2]

(*) أبو المكارم وأبو السعود نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغزى ، العامرى ، الدمشقى ، الشافعى .

نجم الدين ، ابن بدر الدين ، ابن رضى الدين .

ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

وأخذ على والده فى حياته ، ثم كفلته أمه بعد وفاة والده ، فقرأ القرآن على الشيخين : عثمان اليمانى ، ويحيى العمارى ، وتردد على الشيخ زين الدين عمر بن سلطان ، ولزم شيخ الإسلام شهاب الدين العيثاوى ، وشيخ الإسلام أبا الفضل محمد محب الدين القاضى الحنفى ، وقرأ على السيد محمد بن محمد بن حسن السعودى .

وأجاز له شمس الدين الرملى ، وزين العابدين البكرى .

وهو صاحب « الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة » ، وذيله الذى سماه « لطف السمر وقطف الثمر ، من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر » .

وله مؤلفات كثيرة فى النحو ، منها : نظم الآجرومية المسمى « الحلة البهية » ، ومؤلفات فى التفسير ، والتصوف ، وغيرها .

درس فى الشامية البرانية والعمرية ، واشتغل بالوعظ والإمامة ، فى الجامع الأموى ، وتصدر للافتاء بعد شيخه العيثاوى .

توفى سنة إحدى وستين وألف ، ودفن فى مقبرة الشيخ أرسلان .

خلاصة الأثر ٤/١٨٩ – ٢٠٠ ، وقد نقل المحبى ترجمته عن كتابه « بلغة الواجد » فى ترجمة والده بدر الدين الغزى .

وانظر أيضا : ريحانة الألبا ١/١٣٨ ، ومقدمة كتابه الكواكب السائرة .

(١) فى ا : « وقدمهم » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ج : « لا يبرح » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والنَّجم انعقدتْ العشَرةُ عليه ، وسعتْ وفودُ العناية مُسرِعة إليه .

وَ ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [1] .

لَهُوَ الذي به يقْتدِي المقتدِي ، وبسَمْتِه يهتدِي المهتدِي .

هو النجم يَهْدِي جميعَ الورى ... فمِن دونه البدرُ والشمسُ دُونْ

وقد صار فى الفضلِ حيثُ انتهَوْا ... وحيث انتَحَوْا فِيهِ يقْتدونْ

إذا ظُلْمَــةُ الغَيِّ ألْوَتْ بهم ... أضاء فبالنجمِ همْ يهتَــدُونْ

وله دعاء مستجاب ؛ وخواطر ليس بينها وبين اللهِ حجاب .

فلو حُذِّر به المُنهمك [2] فى غَوايته لأمْسَك ، أو خُوطِب به المُتهالك فى عِصْيانه أناب وتنسَّك .

شغَل بالإفادة أيامه ولياليه ، ونظَم على جِيد الأيام فرائدَه ولآليه .

وتآليفاتُه كاثرتْ رملَ النَّقا ، وأرْبتْ على الجواهر فى الرَّوْنَق والنَّقا .

مع مالَه مِن كرمٍ يُخجِل الأجْواد ، وسخاء أضْحتْ عوارفُه كالأطْواق فى الأجْياد .

لم تُرْو [3] فى التَّواريخ كأحاديثه الحِسان ، ولم تُسطَّر كآثارِه فى صحائف الأزْمان بالحُسْن والإحْسان .

* * *

وله شِعر كقَدْره ثمين ، إلا أنه كالياسَمِين .

فيُكتَب لشَرفه ، لا لكثْرة طُرَفِه .

---

(١) سورة النجم ١ ، ٢ .

(٢) فى ب : « المنهك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى : ب « تر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمن ذلك هذه الزَّائيَّة ، عارض بها قُطبَ مكَّةَ [١] الذى عليه المَدار ، وقمرَ أُفقها الذى يأْبى غَيْرَ الإبْدار .

وقصيدته هى هذه :

سبحـــان مَن للوجودِ أبْرَزْ ... رَشًا بحُكْمِ الهـــوى تعزَّزْ
زاد على الرِّيم فى دَلالٍ ... وعـــن جميع المَهـــا تميَّزْ
أحْوَى وللظَّرْفِ ليس منـــه ... أحْوَى ولا لِلبَهاء أحْـوَزْ [٢]
لقد كساه الجمـــالُ ثوبًا ... بألطف اللطفِ قد تطـــرَّزْ
رنا بطَـــرْفٍ جآذِرِيٍّ ... كأنه للوصـــال ألْغَزْ
وَعْداً ولـكن بلا نهـــارٍ ... ياحبَّذا الوعـــدُ لو تنجَّزْ
بعثتُ باثْنينِ من خُضُوعِى ... وثالثٍ بعـــد ذَيْنِ عزَّزْ
أرجـــو وصالاً منـــه بِعِزٍّ ... مَن عزَّ من وَصْلِهِ فقـــد بزّ [٣]
فمـــا رثَى لى ولا وَفَا لى ... وقد قسَا قلبُـــه ولزَّزْ [٤]
وعَفَّ إلا عن قتْـــلِ مثْلِى ... فإنَّه عنـــه ما تحـــرَّزْ

* * *

(١) يعنى قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد ، النهروانى ، الهندى ، المكى ، الحنفى .
ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة .
وأخذ عن والده ، وعن عبد الحق السنباطى ، ومحمد التونسى ، وناصر اللقانى .
وكان بارعا متقنا ، فى الفقه ، والتفسير ، وعلوم العربية ، ونظم الشعر .
كتب « تاريخا لمكة المشرفة » ، وألف « طبقات الحنفية » ، وقد احترق فى جملة كتبه .
توفى سنة تسعين وتسعمائة .
خبايا الزوايا ، لوحة ١٨٧ ا ، ريحانة الألبا ١/٤٠٧ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٣٧ ، وهو فيه : « قطب الدين النهروالى » ، شذرات الذهب ٨/٤٢٠ .

(٢) فى ا : « ولا للبهاء أحرز » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ج : « من عز وصاله » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) لزز : اشتد فى قسوته .

قوله « من عَزَّ بَزَّ » . مثل ، معناه : مَن غلَب سَلَب .

قال المُفَضَّل [١] : أول مَن قال ذلك رجلٌ من طَيِّ ، يقال له : جابر بن رَأْلان [٢] ، أحد بنى ثُعَل .

وكان من حديثه أنه خرج ومعه صاحبان له ؛ حتى إذا كانوا بظهر الحيرة ، وكان للمُنْذر بن ماء السماء يومٌ يركب فيه ، فلا يلْقى أحداً إلا قتَله ، فلَقِيَ فى ذلك اليوم جابرا وصاحبيه ، فأخذتْهم الخيلُ بالثُّوَيَّة [٣] ، فأُتِيَ بهم المنذر ، فقال : اقْترعوا ، فأيُّكم قَرَع خلَّيتُ سبيله ، وقتلتُ الباقين [٤] .

فاقترعوا ، فقرَعَهم جابر بن رَأْلان .

فخلَّى سبيلَه ، وقتل صاحبيْه .

فلما رآهما يُقادان ليُقْتلا ، قال : مَن عَزَّ بَزَّ [٥] .

فأرسلها مثلا .



* * *

وقصيدة القطب مطلعها [٦] :

أقْبل كالغُصْنِ حين يهْتَزّ   فى حُلَلٍ دون لُطْفِهَا الخَزّ [٧]

وهى مذكورة فى « الريحانة » .

وذكر الشهاب معها قصيدةً له عارضها بها ، ومطلعها [٨] :

---

(١) الفاخر ٨٩ .   (٢) فى ب هنا وفيما يأتى : « زالان » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والفاخر ٩٠ .

(٣) الثوية ، بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ، ويقال : الثوية ، بلفظ التصغير : موضع قريب من الكوفة ، وقيل : بالكوفة ، وقيل : خريبة إلى جانب الحيرة ، على ساعة منها . معجم البلدان ٩٤٠/١ .

والقول الثالث هو المعنى هنا .

(٤) فى الفاخر ٩٠ : « الباقين » .   (٥) إلى هنا انتهى ما فى الفاخر .   (٦) قصيدة القطب المكى فى الريحانة ، كما سيأتى ، ٤٠٩/١ ، ٤١٠ ، شذرات الذهب ٤٢٠/٨ ، ٤٢١ .   (٧) فى ا : « دون وشيها الخز » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وريحانة الألبا ، وشذرات الذهب .

(٨) ريحانة الألبا ٤١٠/١ ، ٤١١ .

مَن علّمَ الغصنَ حين يهتزّ مَيْلَ قُدودٍ تَميلُ فى الخَزّ

***

وللنَّجم :

أخوكَ فى الإسلام يُجْدِيكَ فى علمٍ ورأيٍ منه أو أُنْسِ
كأنْ قد احتَجْتَ إلى نفسِه وإذْ به قد صار فى الرَّمْسِ
أصبحتَ أسّافاً على صاحبٍ قد كنتَ تأسَى منه بالأمْسِ (١)
ماأحْوجَ المرءَ إلى خِلّه وأحْوجَ الجنسَ إلى الجنسِ
وَيْلاه من عصرٍ رأيْناه به على افتقادِ الكُمّلِ الخُمْسِ
لسْنا نرَى مِمّن مضَى واحداً ولو بلغْنا مَطْلَعَ الشمسِ (٢)

***

هذا معنًى موجود فى الأثر ، وذلك ما أخرجه أبو نُعَيم فى « الحلية » (٣) ، عن سُليمان بن موسى الأشْدَق ، قال :

أخوكَ فى الإسلامِ إن استشرْتَهُ فى دينك وجدتَ عنده علما ، وإن استشرْتَه فى دنياك وجدتَ عنده رأياً ، مالكَ وله ، (٤) وإن فارقَكَ (٤) فلم تَجِدْ منه خَلَفا .

وسليمان هذا كان من أكابر السَّلَف .

قال الزُّهْرِىّ : إن مَكْحُولًا يأتينا ، وسليمانُ بن موسى - يعنى لسماع الحديث - (٥) وأَيْمُ اللهِ إن سليمان لأحفظُ الرجُلَيْن .

---

(١) فى ب : « قد كنت تنسى منه بالأمس » ، وفى ج : « قد كنت قاسى منه بالأمس » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ا : « فيمن مضى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) حلية الأولياء ٦/٨٧ .

(٤) فى ا : « ولن فارقك » وفى ج : « إن فارقك » ، وفى حلية الأولياء : « كان قد فارقك » ، ويشهد له ما فى البيت الثانى من المقطوعة السابقة . والمثبت فى : ب .

(٥) ليس هذا التفسير فى الحلية .

أخرجه فى « الحلية »[١] أيضا .

ومن هذا مانقله الشَّعْرَاوِىّ فى « طبقاته »[٢] عن أبى المواهِب الشَّاذِلِىّ[٣] ، أنه كان يقول[٤] : أهل الخصُوصيَّة مَزْهُود فيهم أيام حياتهم ، مُتأسَّف عليهم بعد مماتهم ، وهناك يعرِف النَّاسُ قدرَهم ، حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم .

وقد قيل فى المعنى :

ترى الفتى يُنْكِرُ فضلَ الفتى ... مادامَ حيًّا فإذا ماذَهَبْ
لَجَّ به الحرصُ على نُكْتةٍ ... يكتُبها عنه بماءِ الذَّهَبْ[٥]

* * *

ومن مقاطيعه قوله :

تواضَعْ تكُنْ كالنجمِ لاح لناظِرٍ ... على صفحاتِ الماءِ وهْو رفيعُ
ولاتَكُ كالدُّخَانِ يعلُو بنفسِهِ ... إلى طبقاتِ الجوِّ وهْو وَضيعُ

* * *

وقوله :

لا تَكْرَهنَّ حسوداً ... يُجْدِيك نَشْرَ الفضيلهْ
كم من حسودٍ مُفيدٍ ... ما لم تُفِدْهُ الفضيلَهْ

* * *

---

(١) حلية الأولياء ٦/٨٧ ، فى ترجمة سليمان بن موسى الأشدق .
(٢) الطبقات الكبرى ٢/٦٧ . (٣) واسمه محمد كما جاء فى طبقات الشعرانى . (٤) جاء قول أبى المواهب الشاذلى ، فى الطبقات هكذا : « العارف يندو حاله حال حياته ، ولا يشتهر إلا بعد مماته » .
(٥) فى ب ، ج : « يحمله الحرص على لفظة » ، والمثبت فى : ا .

ومثله لوالده البدر [١] :

الحمدُ للهِ على فَضْلِهِ … إذ صَيَّرَ الحاسدَ لي يخدِمُ

يجْهَدُ في رَفْعِ مَقامي وفي … نشرِ علومي وهْوَ لا يعلمُ

* * *

ومثله لابن الوَرْدِيّ [٢] :

سبحانَ مَن سخَّرَ لي حاسدِي … يُحْدِثُ لي في غَيْبتي ذِكْرَا

لا أكْرَهُ الغِيبةَ مِن حاسدٍ … يُفيدُني الشُّهْرةَ والأجْرَا

* * *

ولأبي حيَّان [٣] :

عِداتي لهم فضلٌ عليَّ ومِنَّةٌ … فلا أذْهَبَ الرحمن عنّي الأعادِيَا

همُ بَحَثُوا عن زَلّتي فاجتنبتُها … وهُمْ نافَسُوني فاكتسبْتُ المعالِيَا

* * *

---

(١) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد بن عبدالله الغزي ، العامري ، القرشي ، الفقيه ، المفسر ، المحدث ، النحوي ، المقرئ ، الأصولي ، الناظر ، الزاهد .

ولد سنة أربع وتسعمائة .

وأخذ على مشايخ عصره ، ثم رحل مع والده إلى القاهرة ، ثم عاد فتصدر للتدريس والإفادة ، واشتغل بالتصنيف والعبادة .

وشعره حسن قوي ، أكثره في الفوائد العلمية .

توفي سنة أربع وثمانين وتسعمائة .

تراجم الأعيان ، ترجمة رقم ٩٤ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب ، ريحانة الألبا ١/١٣٨ ، سلافة العصر ٣٨٨ ، شذرات الذهب ٨/٤٠٣ ، الكواكب السائرة ٣/٣ .

(٢) ديوانه ٢٥٥ . (٣) البيتان في كتاب « من شعر أبي حيان الأندلسي » ١٣٩ ، وانظر تخريجهما هناك .

٥٢

الشيخ أيُّوب الخَلْوَتِيّ *

الولىُّ العارف ، ذو المعارف والعوارف .

أحد الراسخين فى العلم الإلٰهى ، والكاشفين عن أسْرار الحقائق كما هِى .

حلّ من جَفْن الشكرِ فى سَوادِه ، وتَبَوَّأ من صَدْر الإحسان فى فؤاده .

فمَحامدُه تملأ المَجامعَ والمسامع ، ومناقِبُه تُنير المَطالع وتبعث المطامع .

وعِلْمه تُقبِّل [1] أمْواجُ البحر بين يديْه ، وحِلْمه يطِيشُ شيخُ الجبال أبو قُبَيْس [2] لديْه .

إلى ماحوَى من منظرٍ [3] صَبِيح ، يستنْطق الأفواهَ بالتَّسْبيح .

(*) أيوب بن أحمد بن أيوب الحنفى ، الخلوتى ، الصالحى .

ولد سنة أربع وتسعين وتسعمائة .

ونشأ بصالحية دمشق ، واشتغل فى أنواع العلوم على القاضى محب الدين ، والمنلا نظام والمنلا أبى بكر السنديين ، وعبد الحق الحجازى .

وأخذ الحديث عن إبراهيم الأحدب .

وصحب فى طريق الخلوتية العارف بالله أحمد العالى ، وأخذ عنه التصوف ، وصار شيخ وقته .

وولى الإمامة بجامع السلطان سليم بالصالحية .

وكان حسن الصوت والقراءة ، عارفا بالموسيقى .

حج مرتين ، وسافر إلى بيت المقدس ست مرات ، واستدعاه السلطان إبراهيم ، للاجتماع به ، فى سنة خمسين ، فتوجه إليه ، واجتمع به ، ودعا له ، وعاد .

وله تحريرات ورسائل ، منها : « ذخيرة الفتح » ، و « عقيلة التفريد وخيلة التوحيد » .

توفى سنة إحدى وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس ، المعروفة بتربة الغرباء .

خلاصة الأثر ١/٤٢٨ ــ ٤٣٣ .

(١) فى ا : « تقبل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) أبو قبيس : اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قيقعان ومكة ، بينهما أبو قبيس من شرقيها ، وقعيقعان من غربيها .

معجم البلدان ١/١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) فى ب بعد هذا زيادة : « بهيج » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وسخاء لو رُكِّب فى الطبائع لم يُوجَد شَحِيح فى نَوْع الإنسان ، وزهدٍ لو كان رُقْيةً للصَّبابة لم يَبْق جَرِيحٌ من حَدَق الِحسان .

وأما رقّةُ طبعه فـكلما ذُكِرتْ تنزّهتْ فى بَحْبُوحة النعيم الخواطر ، واُشْتُقّت [(١)] من أنفاس الهجير بين الروض والنهر بمَراوح النَّسيم العواطِر [(٢)] .

مع تلطُّفٍ [(٣)] بلَغ الغاية فى الـكمال ، وسلامةٍ لم يَبْق معها فتْنةٌ إلا فتْنةُ جمال .

فهو بالهداية مُحَلًّى ، وقد رفع اللهُ له فى العلياء مَحَلًّا .

وله من الأخبار ما يُمْلِى [(٤)] التواريخَ المُخلَّدة ، ومن الأشعار ما يملأ الـكتبَ المُجلَّدة .

***

فمن شِعْره قوله من قصيدة ، يذكر فيها ليلةً مضتْ فى روض عنْبَرِىّ النَّفْح ، ويَتشوّق إليها تشوّق الشريفِ لليلة السَّفْح :

ولَيْلتنـــا على قاسون لَمَّا ... خرجْنا من منازِلنـــا ذهابَا [(٥)]

وسِرْنا والغزالُ لنـــا دليلٌ ... ووجهُهُ غزالةِ الأفلاكِ غابَا [(٦)]

لِقصْرِ أبى البَقـا شرَف اعتْلاه ... وطـاب لنــــا منازلُه رحابَا

حطَطْنا فيـه أحْمالاً ثِقـــالاً ... عن الظهرِ الذى قد صـار قابَا

ومن فضْل المُدامِ لقـد حَظِينا ... بشَمّاسٍ يُدير لنـــا الشَّرابَا

بمِدْرَعةٍ تخــال سوادَ عَيْنى ... لِتمْثالٍ لهـــا حاكى قُنابَا [(٧)]

---

(١) فى ج : « واستقت » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « العاطر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « تعطف » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ج : « يملأ » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) يعنى بقاسون ، قاسيون ، وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق .
انظر معجم البلدان ٤ / ١٣ .

(٦) غزالة الأفلاك : الشمس .

(٧) القناب : وتر القوس ، وفى ب : « لتمثال بها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وغنّى والظلامُ لنـــا رضيعٌ　　وقمتُ وكان رأسُ الليـــلِ شاباً
ونادي بالأذانِ فقلتُ أهـــلاً　　بذاك وكنتُ أولَ مـــن أجابا
لأن الصُبْحَ أشْهرَ سَيْفَ حَرْبٍ　　وَجُنْحَ الليـــلِ كان له قِرَاباً

＊＊＊

وله :

انْظُر إلى السِّحْرِ يجرى فى لواحظِه　　وانظُرْ إلى دَعَجٍ فى طرْفِه السَّاجِى
وانْظُر إلى شَعَراتٍ فوق وَجْنَتِه　　كأنما هُنَّ نَمْلٌ دبَّ فى عاجِ

＊＊＊

أحسَنُ منه قولُ بعضهم :

كأن عارِضَه والشَّعرُ عارَضَه　　آثارُ نَمْلٍ بدتْ فى صفحة العاجِ
توحَّلتْ فى لَطيمِ المِسكِ أرْجُلُها　　فعُدْنَ راجعـــةً مِن غيْرِ مِنْهاجِ

＊＊＊

وله :

الهجْوُ أقبحُ ما يكون إذا بدا　　وإذا استجنَّ فى الفؤادِ قبيحُ
فلِذاك لا يرْضاه إلا جاهـــلٌ　　إن الجهولَ بمـــا يقول جَرِيحُ

＊＊＊

وله :

وليلةٍ بِتُّ فيها لا أرى غيـــراً　　مع شادِنٍ وجهُه قد أخْجل القمرا
نادمْته قال هاتِ الكأْسَ قلتُ له　　جَلَّ الذى لافتضاحِى فيك قد سترا
وقمتُ أرشُف من رِيقِ المدامِ ومِن　　مُدامِ رِيقٍ وأقْضِى فى الهوى وَطَرا
ولَفَّنا الشوقُ فى ثوْبَىْ تُقًى وهوًى　　وطـال بالوصْلِ لى والليلُ قد قصُرا

＊＊＊

وله :

وليلتنا بالأمس كانت عجيبـــــةً ... وفينا غزالٌ أدْعَجُ الطرْفِ أحْورُ (١)

سألتُ إلهى أن نَعُودَ لمثلِهـــــا ... بعَـــودِ التجلّى قِيلَ لا يتكرّرُ (٢)

* * *

وقوله :

وقد لامَنِي عاذلِي فى الحبِّ قلتُ له ... حُبِّى شِفَائِى كما أن النَّوى مَرَضِى (٣)

قد قال قبْــــلِىَ شخْصٌ لستُ أعرِفُه ... لـكنّه قد قضى من شِعْرِه غَرَضِى

لـكلِّ شىء إذا فارقْتَـــه عِوَضٌ ... وليس لله إن فارقْتَ مـــن عِوَضِ

فاصْبِر عليه تنَلْ بالصبرِ وُصْلتَـــه ... فالمرْءُ فيه حَلا والحكمُ فيـه قضِى (٤)

الحكمُ للهِ وهْـو العــدْلُ فارْضَ بِه ... مايغلبُ الدهرَ إلا مَن بذاك رَضِى (٥)

* * *

فى الأمثال : « فى اللهِ عِوَضٌ من (٦) كلِّ فائت » .

قائلُه عمرُ بن عبد العزيز .

ورأى أبو جعفر المَعْدَنِىّ (٧) مكتوبا على جدار :

لـكلِّ شىءٍ فقـــدْتَه عِوَضٌ ... وما لفَقْدِ الحبيبِ من عِوَضِ

فأجازه بقوله :

وليس فى الدهرِ من شدائدِه ... أشدُّ من فاقةٍ على مَرَضِ

* * *

(١) فى ا : « وليلتنــا بالوصل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « قلت لا يتـكرر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « حبى شفائى » ، وفى ج : « حبى شفاى » ، والمثبت فى : ب .

(٤) فى ب : «تنل فى الصبر» ، والمثبت فى : ا ج . (٥) فى ب : «فهو العدل» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ا : «عن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) واسمه محمد بن إبراهيم ، من معدن زوزن ، قرية من أعمال نيسابور .

اللباب ٣/١٥٨ ، معجم البلدان ٤/٥٧٣ .

وقوله : « مايغلب الدهر . . » إلخ ، منه :

لـكلِّ شيْءٍ مُدَّةٌ وتنقضِي ‏ ‏ ‏ ‏ ما غلَبَ الأيَّامَ إلا من رَضِي

* * *

ومما يُنْسب إليه :

قد لامَنِي الخلْقُ فى عِشْقِ الجمالِ ولم ‏ ‏ ‏ ‏ يدْرُوا مُرَادِيَ فيـــه آهٍ لو عرفُوا

وصلتُ منه إلى الإطْلاقِ ثم سَرَى ‏ ‏ ‏ ‏ سِرِّى إلى قَيْدِ حُسْنٍ عنده وقفُوا (١)

* * *

وله تخميس الأبيات المنسوبة إلى العارف بالله تعالى أحمد الرِّفَاعِيّ (٢) :

أفُوه إذا يشْدُوا الأنامُ بشُكرِكُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وأكْتمُ سِرِّى لا أبُوح بسِرِّكُمْ (٣)

أحِبَّتنا من طِيب نشْأةِ خمـــرِكُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ إذا جَنَّ لَيْلِى هام قلبى بذِكرِكُمْ (٤)

أنُوح كما ناح الحمامُ المُطَوَّقُ

عسى ولعـــلَّ الدهرَ يأتى بهم عسَى ‏ ‏ ‏ ‏ لأشْهَدَهم عند الصباحِ وفى المَسا (٥)

فقلبىَ من فَقْدِ الأحبَّةِ قــد قَسَا ‏ ‏ ‏ ‏ وفَوْقِى سحابٌ يُمطِر الهمَّ والأسَى

وتحْتِى بحارٌ فى الهوى تتدفَّقُ (٦)

إذا فاح مـــن نجْدٍ بقلبى عَبِيرُها ‏ ‏ ‏ ‏ فلا عجَبٌ إن قلتُ إنِّى سمِــيرُها

---

(١) فى ب : « وصلت فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ب ، ج : «إلى قيد حسن عنه قد وقفوا» ، والمثبت فى : ا .

وفى هامش ج : « هذا فيه رائحة من مذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود ، ففيه » .

(٢) أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن الرفاعى .

إمام وقته فى الزهد ، والصلاح ، والعلم ، والعبادة .

وكان يسكن أم عبيدة بالعراق .

توفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .

شذرات الأعيان ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦١ ، طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة الخامسة) ٤/ ٤٠ ، ٢٤٠ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٩٢ ، ٩٣ ، وفيات الأعيان ١/ ١٧٢ ـ ١٧٤ ، ترجمة رقم ٦٩ .

والأبيات فى: شذرات الذهب، والنجوم الزاهرة ، ووفيات الأعيان، وانظر حواشى النجوم الزاهرة.

(٣) فى ا : « وأكتم أمرى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ا : «هاج قلبى» ، والمثبت فى: ب ، ج ، والمصادر السابقة . (٥) فى ا : « وأشهدهم عند الصباح » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى المصادر السابقة : « وتحتى بحار بالأسى تتدفق » .

وإن خمدتْ نارى فوَجْدى يُثيرُها ... سَلُوا أمّ عَمْرٍو كيف باتَ أسيرُها

تُفكّ الأُسارَى دونه وهْو مُوثَقُ

وفى تلَفِ الأرْواحِ كم لى إباحَةٌ ... وفى منزلِ العشّاقِ كم لى سِياحةٌ

فياوَيْحَ صَبٍّ أثخنَتْه جِراحةٌ ... فلا هو مقْتولٌ ففى القتلِ راحةٌ

ولا هو مأسورٌ يُفَكُّ فيُطلَقُ [1]

* * *

[2] وشعره كثير ، ويكفى من الدَّلالة [3] ما أبان الطُّرُق ، ومن القِلادة ما أحاط بالعنُق [2] .

* * *

ومن فُصوله القِصار ، الجارية مَجْرَى [4] الأمثال و [4] الحكم ، قوله :

لا يتْرُك الوسائِط ، مَن لم يصِلْ من البَسائط .

من صدقتْ سَريرتُه ، انفتحت بصيرتُه .

طُرُقُ الله لا تُحْصَى للإكْثار ، وأقربُها إليه الذُّلُّ والانكِسار .

الُخمول يُذْهِب الحجْب ، والشهرةُ تُورِثُ العُجْب .

مَن لم يكْمل عقلُه ، لا يمكن نَقْلُه .

فى القَرْن العاشر ، احْذَر أن تُعاشِر .

فى القرن العاشر من القُرُون ، تُسِيء بالصالحين الظُّنون .

المحبّةُ تصْحيح النَّسَب ، وثمرةُ المُكْتسَب .

(١) فى شذرات الذهب ، ووفيات الأعيان : « ولا هو ممنون عليه فيطلق » ، وفى النجوم الزاهرة : « ولا هو ممنون عليه فيعتق » . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٣) فى ج بعد هذا زيادة : « لى » ، والمثبت فى : ب .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

الأخُ مَن يعرِف حالَ أخيه ، فى حياته (١) وبعد مايُواريه (١) .

إذا انفَسدت أحوالُ الشَّريعة ، فأشْراطُ الساعة سرِيعة .

***

وله فروع بسَقتْ فى دَوْحة بُستانِه ، وترَوَّتْ بصَيِّبِ الأنْواء من صَوْب هتّانِه .

أشْرق مجـدُهم إشْراق الشمس ، وقاموا لِذاتِ الفضْل مَقامَ الحواسِ الخمْس ؛

فمنهم :



(١) فى ا : « وبعد مماته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/٤٢٣ .

٥٣

محمد الكبير *

الذى لا يَفِى بوصْفه التَّعْبير .

قام بعد أبيه خليفَة ، واتَّخذ الزهدَ سَميرَه وحليفَه .

فكأنه لم يَمُتْ مَن خَلَفَه ، ولا غاب عن أهْلِه من اسْتخْلَفَه .

فهو البقيَّةُ الصالحة وقد ذهَب الكرام ، والذَّاتُ الفالحةُ اللائقة بالإكْرام .

إلاَّ أنه لم يطُلْ عمرُه ، ولا خلَص من الوَهْن نَهْيُه وأمْرُه .

فمات ودُفِن عند أبيه ومُرَبِّيه ، فلا زالت رحمةُ اللهِ تُحَيِّيه وتَحْبيه .

ومن المعلوم أن المَوْرِد واحد ، وسِيَّان فيه والدٌ ووالد .

وهو معدودٌ من رجال الطريقة ، ومُنْخرِطٌ فى سِلْك ذلك الفَرِيق [(١)] .

وله فضْلٌ ومَجْد ، وأخلاق تَحْكِى صَبَا نَجْد .

مع تَبَتُّلٍ ورُكون ، وإنابَةٍ إلى اللهِ فى حرَكةٍ وسُكون .

* * *

(*) محمد بن أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتى ، الحنفى ، الدمشقى .
ولد سنة ست عشرة بعد الألف .
وأخذ العلم عن والده ، وغيره من علماء عصره .
ولزم الشيخ أحمد بن على العسالى مع والده فى طريق الخلوتية .
كان من فضلاء وقته ، أديبا مطبوعا ، حسن المعاشرة ، خفيف الروح ، مع صلاح ، وتقوى ، وعبادة .
وكان مغرما بالجمال ، وله مجون مستعذب .
توفى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن عند والده ، بمقبرة باب الفراديس .
خلاصة الأثر ٣/٣٩٩ .

(١) فى ب : « الرفيق » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبالجملة فمقدارُه عظيم ، ولكنه يُقِلُّ من النَّثْرِ والنَّظِيم .

ولم يحضُرْني من شِعره ، إلا قوله [١] :

يا صاحِ إن الشَّعْر يُزْرِي بِذِي الْـ ... حُسْنِ وإن كان بَهِيَّ الجَمَالْ

أما ترى الأنْفُسَ من شَعْرةٍ ... تَعافُ للماءِ الفُراتِ الزُّلالْ

* * *

وهذا [٢] معنى تداوَلته [٢] الشعراء ، والسابق إليه أبو إسحاق الغَزِّيّ [٣] ، في قوله [٤] :

يقولون ماءُ الحُسْنِ تحت عِذارِه ... على الحالةِ الأُولَى وذاك غُرورُ [٥]

ألسْنَا نَعافُ الشُّرْبَ من أجْل شَعْرةٍ ... إذا وقعتْ في الماءِ وهْو نَمِيرُ

* * *



---

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٣ / ٣٩٩ .

(٢) في ا : « المعنى تداوله » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ٣ / ٤٠٠ .

(٣) تقدم التعريف به في صفحة ٢١٨ .

(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٣ / ٤٠٠ .

(٥) في ج : « على الحالة الأدنى » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . وفي ب : « فذاك غرور » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

ثم خلفه (١) :

٥٤

أبو السعود*

واسِطةُ عِقْدِهم المُقْتنَى، وغصنُ رَوْضتِهم (٢) المُجتَنَى.
وعَبيرُ ذِكرِهم المُردَّد، ولسانُ حالهم المُجدَّد.
يرُوقُك مُجْتلاه، ويَحلُّه يهْزأ بالبدْرِ مُعْتلاه.
كَرُم فَرْعاً وأصْلا، وشَرُف جِنْساً وفَصْلا.
وله فضلٌ أضْحَى تاجاً لرأس المَناقِب، وأدبٌ تتوقَّد به نُجومُ الليل الثَّواقِب.
وبيني وبينه مُوالاة مُحقَّقة، وعهود مُوثَّقة، وثناء كَمائِمه عن أذكى (٣) من الزَّهْر غِبَّ القَطْرِ مُفتَّقة.

* * *

ورأيتُ له أشْعاراً في الذِّرْوةِ من الانْطِباع ثاوِية، لها في كلِّ قلْبٍ بلُطْفِ مَوقِعِها خَلْوةٌ في زاوِية.

---

(١) في ا : « الخليفة »، والمثبت في : ب، ج.
(*) في ا بعد هذا زيادة : « ولده »، والمثبت في : ب، ج.
وهو أبو السعود بن أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي، الدمشقي.
ولد بدمشق، سنة اثنتين وأربعين بعد الألف.
ونشأ في كنف والده، فأخذ عنه طريق الخلوتية، كما أخذ من السيد محمد غزي الخابي الخلوتي.
وقد عهد إليه بأمر الخلوتية بعد أخيه الشيخ إبراهيم، فأقام عهدهم في الجامع الأموي.
كان أبو السعود شيخا مبجلا، عابدا، متنسكا، أديبا.
توفي سنة عشرة ومائة وألف، ودفن بمقبرتهم بمرج الدحداح، بالقرب من والده.
سلك الدرر ١/٦٣ – ٦٥. وقد نقل المرادي عن « النفحة » ترجمة المحبي له.
(٢) في ب، ج : « روضهم »، والمثبت في : ا، وسلك الدرر. (٣) في سلك الدرر : « أزكى ».

وقد أثبَتُّ منها قصيدةً شَطَّر بها سِينيَّةَ ابنِ الفارِض (١) ، فناصفَها شَطْر الحُسْن : كما تناصَفَ حُسْنُ الخدِّ بالعارِض .

وهى هذه (٢) :

قِفْ بالديارِ وحىِّ الأرْبُعَ الدُّرُسَا ... مخاطبـاً لرَسيسِ الشوقِ مُقْتبِسَا
واستَرجِـعِ القولَ ياذا الرَّأْىِ مُختبِراً ... ونادِها فعساها أن تُجيبَ عَسَى
وإن أجَنَّكَ ليـلٌ من تَوحُّشِها ... فلا تـكنْ آيِساً لا كان من أَيِسَا (٣)
خُذْ من زِنادِ الجَوَى ناراً مُشَعْشعةً ... فاشْعَلْ من الشوقِ فى ظَلْمائِها قَبَسَا
ياهل دَرَى النَّفَرُ الغادُونَ عن كَلِفٍ ... مُوَلَّهٍ هائمٍ كأسَ الغرامِ حَسَا (٤)
تَراهُ مُستَصْحِبَ الأفكارِ ذا حُرَقٍ ... يَبِيتُ جُنْحَ الليالى يرقُبُ الغَلَسَا (٥)
فإن بَكَى فى قِفـارٍ خِلْتَها لُجَجاً ... ماشامَها ناظرٌ إلّا هَمَى وجَسَا (٦)
وإن خَبَتْ نارُه هاجَ الغـرامُ بهِ ... وإن تنفَّس عادتْ كلُّهـا يَبَسَا
فذو المحاسنِ لا تُحْصَى محاسنُه ... إذا رآه عَذُولٌ حاسدٌ خَنَسَا (٧)

---

(١) أبو حفص ، وأبو القاسم شرف الدين عمر بن على بن مرشد ، ابن الفارض .
أشعر الصوفية ، وللناس اختلاف كبير فى أمره ، حتى اتهم بأنه شيخ الاتحادية .
كان جميلا ، نبيلا ، رقيق الطبع ، فصيح العبارة .
توفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .
شذرات الذهب ٥ / ١٤٩ ، لسان الميزان ٤ / ٣١٧ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٢١٤ ، وفيات الأعيان ٣/١٢٦ .
والسينية فى ديوان ابن الفارض (بشرح البورينى والنابلسى) ٢/١٣٢ — ١٣٨ .

(٢) سلك الدرر ١/٦٤ ، ٦٥ . (٣) فى ديوان ابن الفارض : « فإن أجنك ليل » وفى ا : « فاحذر تكن آيسا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٤) فى ب ، ج : « كاس الفراق حسا » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٥) فى ا : « مستصعب الأفكار » ، وفى ج : « مستعجب الأفكار ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . وفى ا : « يبيت جنح الدياجى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وديوان ابن الفارض ، وسلك الدرر . (٦) فى ا : « ما شامها ناظرا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . وفى ب : « إلا همى وحسا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٧) فى ا : « إذا رآه عذولى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

ومن أبيْتُ فلا فَقْـــد لوَحْشتِهِ   وبارعُ الأُنْسِ لم أعْـدَمْ بِهِ أُنُسَا (١)
قد زارني والدجى يرْبَدُّ من حَنَقٍ   وَحُسْنُ إشراقه بالشُّهْب قد حُرِسَا (٢)
فالزُّهْرُ تَرْمُقُـــه عُجْبًا برَوْنَقِه   والزَّهْرُ يبْسِمُ عن وجهِ الدُّجى عَبَسَا (٣)
وابْتزَّ قلبيَ قَسْرًا قلتُ مَظْلَمَـــةً   فحَسْبِيَ اللهُ ممَّن قد جَنَى وقَســـا
حيَّرْتَني فأنا المُخْتــــارُ وا أَسَفِي   ياحاكمَ الحبِّ هذا القلبُ لِمْ حُبِسَا (٤)
زرعْتُ باللَّحْظِ وَرْداً فوق وَجْنَتِه   فأثْمرتْ منه لي في ناظِرَيْهِ أسَى (٥)
إن رُمْتُ أقْطِفُ منه عِطْرَ رائحةٍ   حَقًّا لطَرْفيَ أن يَجْنِي الذي غَرَسَا
وإن أبَى فالأقاحِي منه لي عِوَضٌ   أوْرَدْتُه القلبَ حيث الحبُّ فيه رسَا (٦)
جعلتُه رأسَ مالي مُـــذْ ربحتُ به   مَن عُوِّضَ الثغْرَ عن دُرٍّ فما بُخِسَا (٧)
إنْ صال صِلُّ عِذارَيْه فلا حَرَجٌ   أن عاد منـــه صحيحُ الجسم مُنْتكِسَا
فهذه سُنَّةٌ للعشقِ واجبـــةٌ   أن تَجْنِ لَسْعًا وأنِّي أجْتَنِي لَعَسَا (٨)

---

(١) في ا ، وسلك الدرر : « وبارع الحسن » ، والمثبت في : ب ، ج ، وديوان ابن الفارض .
وفي شرح الديوان : « والأنس ، بضم الهمزة : خلاف الوحشة . . . وأنسا ، الواقع في آخر البيت بضم الهمزة والنون ، بمعنى الأنس الذي قبله ، ويجوز أن يقرأ بفتح الهمزة وكسر النون ، بمعنى الأنيس » .
(٢) في ا : « والدجى يرتد » ، وفي ب ، ج : « والدجى يزبد » ، وهي رواية في الديوان ، والمثبت في : سلك الدرر ، والديوان . وفي ا ، وسلك الدرر : «من خنس» ، والمثبت في : ب ، ج ، وديوان ابن الفارض ، وفيه : « كم زارني » . (٣) في الديوان : « والزهر تبسم عن وجه الذي عبسا » ، وفي شرح الديوان : « قوله : والزهر ، يروى بضم الزاي ، على أن المراد بها النجوم » . وانظر هامش سلك الدرر . (٤) في ب : « خيرتني فأنا المختار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .
(٥) في سلك الدرر: «في ناظري أسى» . (٦) في ديوان ابن الفارض: «فإن أبى فالأقاحي...» .
(٧) في ديوان ابن الفارض :

* مَن عُوِّضَ الدُّرَّ عن زَهْرٍ فما بُخِسَا *

(٨) في ج : « أن أجن لسعا » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر ، وديوان ابن الفارض ، وجاء في شرحه : « وأن في قوله : أن تجن ، مصدرية ، وإنما حذفت الياء لضرورة الشعر ، وأصله : أن يجني » . وفي ا ، وسلك الدرر : « وإما يجتني لعسا » ، وفي ب : « وأني يجتني لعسا » ، والمثبت في : ج ، وديوان ابن الفارض .
واللعس : سواد مستحسن في الشفة .

كم باتَ طَوْعَ يدى والوصلُ يجمعُنَا ... لم يخطُرِ السُّوءُ فى قلبى ولا هَجَسَا

وزادنى عِفَّـةً إذ كان ذا ثقـــةٍ ... فى بُرْدتيْه التُّقَى لايعرف الدَّنَسَا (١)

تلك الليالى التى أعْدَدْتُ من عُمُرى ... ياليْتها بقِيَتْ والدهــرُ مانُـكِسَا (٢)

ويا سقَى اللهُ أيَّاماً لنـــا سلَفَتْ ... مع الأحبَّةِ كانت كلُّهـــا عُرسَا

لم يَحْلُ للعين شَىْءٌ بعـــدَ فُرْقتِهم ... وما صَبَا دونَها صَبٌّ الجوى ونسَا (٣)

ولا شَمَمْتُ نسِيماً أسْتـــلِذُّ به ... والقلبُ مذ آنَسَ التَّذْكار ماأنِسَا

ياجنةً فارقتْهـــا النفسُ مُكرَهةً ... أبْقِى لعَيْبِك فى نَيْلِ المُنى نَفَســـا

وحَقِّ مُوثَقِ عهـــدٍ لا انفِكاكَ له ... لولا التَّأسِّى بدار الخُلْدِ مِتُّ أسَى

* * *



(١) فى ب : « لم يعرف الدنسا » ، وفى ج ، والديوان : « لا نعرف الدنسا » ، والمثبت فى : ا ، سلك الدرر . (٢) فى ب ، ج : « والدهر ما مكسا » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٣) فى ديوان ابن الفارض ، وسلك الدرر : « بعد بعدهم » .

ونسا الرجل : ترك عمله .

٥٥

أحمد بن محمد المهمنداريّ الحلبيّ المفتيّ *

اتَّخذ الثُّريَّا مَصْعَدا ، وورَد المَجرَّة مَقْعَدا .

ثم طلع شَنَباً فكان فى ثَغْر الشام ، وهبَّ نسيماً فحرَّك طرباً أغصانَ البَشام .

واستقرَّ برَوْضِها (١) الزاهر ، استقرارَ الغَمْض فى الجَفْن الساهر .

فقيَّد الأعيُنَ بصفاته ، كما عقَل (٢) الأفكار بَلحْظِه والْتِفاته .

وهو نسيجُ وَحْدِه استِيلا، على الفضل واشْتِمالا ، ووحيدُ نَسْجِه إبْداعا لتحائف المَقُول واعْتِمالا .

(*) أحمد بن محمد بن عبد الوهاب المهمندارى الحلبى ، المفتى ، الحنفى .

نزيل دمشق .

ولد سنة أربع وعشرين بعد الألف .

وطلب العلم على جماعة ، منهم : والده ، والشيخ محمد نجم الدين الحلفاوى وغيرهما .

وذكره الشيخ إبراهيم الخيارى المدنى فى « رحلته الرومية » ، وأثنى عليه ، وقال : إنه أسمعه بعض مباحث فى التفسير له .

قدم المهمندارى إلى دمشق الشام واستوطنها ، بعد أن استوى عوده ، واشتهر علمه ، وتصدر للإفادة والتدريس ، وتولى الإفتاء بدمشق ، سنة ست وسبعين بعد الألف ، كما تولى نيابة الباب بدمشق ، وتدريس السليمانية .

وكان من أفاضل الأجلاء ، عالما ماهرا متضلعا من علوم شتى ، حسن الخلق .

والمهمندارى : نسبة إلى جامع المهمندار بحلب ؛ لسكون جده كان إماما به .

توفى المهمندارى سنة خمس ومائة وألف ، ودفن بتربة الشيخ أرسلان .

سلك الدرر ١/١٨٦ ـ ١٩١ ، وقد نقل المرادى عن « النفحة » ترجمة المحبى له ، دون قصيدة المحبى الآتية فى مدحه ، وزاد عليها .

وقد ذكر المحبى المترجم ، فى خلاصة الأثر ٤/٣٣ ، فى ترجمة والده محمد بن عبد الوهاب ، فقال : « والد شيخنا العالم الفهامة أحمد مفتى الشام الآن . . » ، ونقل الطباخ ، فى إعلام النبلاء ٦/٢٩٩ هذه العبارة ، بل نقل ترجمة والده كلها دون أن يشير إلى مصدره ، وهو خلاصة الأثر ، مما يوهم أن أحمد المهمندارى شيخ الطباخ لا شيخ المحبى ، فليحرر .

(١) فى سلك الدرر : « روضها » .

(٢) فى ب : « عقد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

يتحلَّى بُخُلق لو كان للروض ماذَبُل فى الشتاء نَوْرُه ، وفِكرٍ لا يُدْرَكُ غَوْرُه .
وَحِلْمٍ ماشِيبَ بوَهْن ، وتَثَبُّتٍ لم يَخِفَّ له وَزْن [1] .
يصعُبُ إغضابُه ويسهُل استرْضاؤه [2] ، ويَفِيض إقباله ولا يُتوقَّع إغضاؤه .
ويقرب الزمن [3] فى عَطْفِه ، ولا يتراخَى المَدى إلى لُطْفِه .
وهناك أدبٌ بسَلْسَلِ الرِّقَّة يتدفَّق ، وطبعٍ عن زَهْر الرياض يتفتَّق .
فإذا تفوَّه بسطت الحجُور لالتقاط لآليه ، وإذا أمْلَى ترك [4] المَلأَ إملاء أماليه .
وهو أحدُ مَن حضرتُ عنده ، واقتدحْتُ فى الاستِفادة زَنْدَه .
وكان هو وأبِى عَقِيدَىْ صُحْبة ، وأليفَىْ مودَّة ومحبَّة .
وبينهما لُحمةٌ ليست سُدى ، واتفاق ليس إلا بُرْد [5] فضل ونَدَى .
وكان أبِى يقول فيه : لم أرَ مثله كَثْرةَ إناءة ، وتجنُّبَ بَذاءةٍ وإساءة .
وتناسُب ذاتٍ ونَعْت ، وتوافُق سجيَّة وسَمْت .
ترُوق أنوارُ خِلاله ، وأدبُه تتنفس الرياضُ فى خِلاله .

***

وقد أوردتُ له من شعره الرَّقيق ، ماهو أعذَب من رِيق النَّدَى فى ثُغور الشقيق .

فمن ذلك قوله من قصيدة مطلعها [6] :

دون رَشْفِ اللَّمَى وضَمِّ النُّهودِ ... طَعَناتُ المثقَّفِ الأُمْلُودِ [7]
واقتِحامُ المَنُونِ أجْدَرُ إنْ ... أعْقَبَ وصلاً بحالِ كل عَمِيدِ [8]

---

(١) فى ا : « قرن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) فى سلك الدرر : « إرضاؤه » .
(٣) فى ا : « الزمة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) فى ا : « تركب » ، وفى ب : « تدرك » ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر . (٥) فى سلك الدرر : « بر » .
(٦) سلك الدرر ١/١٨٧ ، ١٨٨ . (٧) الأملود : الناعم اللين . (٨) فى ا : « واقتحام المنون احذر إذا » ، وفى ب : « واقتحام المنون أجدر من أن » ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر .

مُهَجُ العاشقين منذ قديمٍ ... خُلِصتْ للبلاءِ والتنكيدِ
مَن لقلبي بأغيدٍ قصمِ القلْـ ... ـبَ بعَضْبٍ من اللحاظِ حديدِ (١)
ألِفَ النَّفْرةَ التي تَعقِلُ العقْـ ... ـلَ وتُذْرِي الدموعَ فوق الخدودِ

***

وكتب إلى والدى (٢) :

حيَّتْك فضلُ اللهِ دِيـ ... ـمةُ سُؤْدُدٍ نشأتْ بمجدِكْ (٣)
وعنَتْك أنوارُ السعا ... دةِ فاغتنِمْ إشراقَ سعدِكْ (٤)
وكذا الفضائلُ والفوا ... ضِلُ والمكارمُ حشْوُ بُرْدِكْ
أما القريضُ ونسْجُه ... فلأنتَ فيه نسيجُ وحدِكْ
بك جلَّقٌ فخرَتْ كما ... بأبيك قد فخرتْ وجدِّكْ (٥)
مولايَ فكرى قاصرٌ ... عن أن يحيطَ بكُنْهِ حدِّكْ (٦)
فاعذُرْ ودُمْ بمسرةٍ ... تبقى على الدنيا كوُدِّكْ (٧)

***

فراجعه بقوله (٨) :

هل زهرُ روضٍ أم زوا ... هرُ أنجُمٍ أو دُرُّ عِقْدِكْ (٩)
أم روضةٌ قد فاح من ... ريَّا رُباها عَرْفُ نَدِّكْ

---

(١) فى ا : « من لقلبي من أغيد قسم القا * ب » ، وفى سلك الدرر : « من لقلبي بأغيد قسم القا * ب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) سلك الدرر ١/١٨٨ . (٣) فى ب ، ج : « حيتك فضل الله » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٤) فى ج : « وعليك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر ، وفى ا : « أنواء السعادة » ، وفى سلك الدرر : « أنواع السعادة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٦) فى ا ، ج : « بكنه مدك » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٧) فى سلك الدرر : « تبقى على الدنيا بودك » . (٨) سلك الدرر ١/١٨٨ .

(٩) فى ب : « أم ورد عقدك » ، وفى سلك الدرر : « أم در عقدك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أم ذِى بدورٌ أشرقَتْ ... فى حَيِّنا من أُفْقِ سَعْدِكْ
يامُفْرَدَ العصرِ الذى ... لم تسمحِ الدُّنيا بِنِدِّكْ
أنت الذى افتخرتْ بفضْ ... لِكَ أهلُها من عَصْرِ مَهْدِكْ (١)
ولكَ المعارفُ والعوا ... رفُ واللطائفُ قَدْحُ زَنْدِكْ
أرسلْتَ نحوىَ غادةً ... ألفاظُها شَهِدَتْ بشُهْدِكْ (٢)
حيّتْ فأحْيتْ مُغْرَمًا ... قد كان منتظِرًا لوعْدِكْ
وإليكَ منّى روضةً ... بالوُدِّ ذاكيةً بحَمْدِكْ
وافتْ على ظَمَأٍ بها ... تَبْغِى الوُرودَ لِعَذْبِ وِرْدِكْ
فاقبلْ بفضلِكَ عُذْرَ من ... يَرْعَى الوفا بوَثيقِ عهدِكْ

* * *

ودعاه (٣) الخطيب المحاسنى (٤) إلى داره ، وقمر سعدِه إذ (٥) ذاك فى إبدارِه (٥) .

فلما طابَق خَبَرُ (٦) المجلسِ مَخبرَه ، وأطاق فيه عوده وعنبره .

أنشد بديها :

قد حللنـا بمنزلٍ فاق حُسْنًا ... وبهاءً وحازَ لُطْفًا عجيبا (٧)
ضاعَ مِسْكًا وكيف يُنْكَرُ هذا ... منذ ضَمَّ الخطيبَ ضُمِّخَ طِيبًا

* * *

(١) فى ب ، ج : « من حين مهدك » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٢) فى ب ، ج : « عذبت بشهدك » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٣) نقل المرادى ، فى سلك الدرر ١ / ١٨٨ ، هذا الخبر عن النفحة . (٤) هو محمد بن تاج الدين ابن أحمد المحاسنى ، تقدمت ترجمته برقم ٢٥ ، صفحة ٣٥٣ . (٥) فى ا : « ذاك بداره » ، وفى ب : « ذاك إبداره » ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر . (٦) فى ب ، وسلك الدرر : « خير » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى سلك الدرر : « راق حسنا » ، وفى ا : « وفاق لطفا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

وقد تناول هذا الجناس من قول بعضهم (١) :

مُلِئَ المنبرُ مسكاً ... مُذ به قمتَ خطيبا
أتُرى ضمّ خطيباً ... منك أم ضُمِّخَ طيباً (٢)

* * *

وأنشدني من لفظه لنفسه معنًى مازلت أُحَقِّق به فكرى ، وأتمنَّى لو كان لى بكلّ شعرى ، وهو هذا (٣) :

مذ رأى الوردُ على أغصانِهِ ... خَدَّ من أهواه فى الروضِ الأنيقْ
صار مُغْمًى فلَطِيفُ الطَّلِّ قدْ ... رُشَّ فى وَجْنتيه كى يستفيقْ

* * *

وقلت أمدحه :

يدُ ابنُ أحمدٍ وفضلُ أحمدٍ ... تُعلِّمُ الناس طريقَ الرَّشَدِ
لولاه أصبح الوجودُ عاطلاً ... ولم يبِنْ فى الدهرِ طيبُ المَحْتِدِ
مُفْتِى دمشقَ الحَبْرُ من صفاته ... ألذُّ من وَصْلِ الحسانِ الخُرَّدِ
مَن عنده اللَّذةُ إدراكُ المُنى ... وأنكرُ الأصواتِ صوتُ مَعْبَدِ (٤)
لا يعلمِ الهزْلَ ولا يحبُّه ... ولا يميلُ طبعُه إلى الدَّدِ (٥)

---

(١) فى ب زيادة : « هو العلامة فتح الدين الموفق » . ولم أعثر عليه .

(٢) عجز البيت فى ب ، وسلك الدرر : « أم ترى ضمخ طيبا » ، وفى ج : « أم ترو ضمح طيبا » والمثبت فى : ا . (٣) نقل المرادى هذا أيضا ، فى سلك الدرر ١/١٨٨ ، عن النفحة .

(٤) معبد بن وهب المدنى ، مولى بنى مخزوم .

بدأ حياته يرعى الغنم لمواليه بالمدينة . ثم ظهر نبوغه فى الغناء ، فأقبل الناس عليه ، ورحل إلى الشام فارتفع شأنه ، واتصل بالأمراء والكبراء .

توفى سنة ست وعشرين ومائة .

الأغانى ١/٣٦ .

(٥) فى ب : « ولا يميل طبعه إلى الرد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والدد : اللهو واللعب . القاموس (د د) .

تُسْهِرُهُ الأفــكارُ في مفاخرٍ يُبْدِعُها أو مَــكْرُماتٍ يَبْتَدِي (١)
يَنْظِمِ منْثورَاتِهــا فهْيَ على جِيــدِ العُلَى كاللُّؤلؤ المُنضَّدِ (٢)
مُذْ حــلَّ في بلدتِنــا رِكابُهُ هُدِيَ به من لم يكُنْ بالمُهْتَــدِي
وأصْلَحَ النــاسَ صــلاحُ سِرِّه فليس من حَسَدٍ بهــا أو قَوَدِ
ياجِلَّقَ الشامِ سَقَــاكِ عارِضٌ مِن فضْلِه يُمْطِرُ صَوْبَ المَسْجَدِ (٣)
ما أنتِ إلا في البِقاعِ مثــلُه في العُلَماءِ أوْحَــدٌ لأَوْحَــدِ
ماشرَّفَ الديارَ غــيرُ أهْلِها أحْلِيَةُ العيونِ غيرُ الإثْمِدِ
مامصرُ إلاَّ حيثُ حــلَّ يوسفٌ لانَسَبٌ بين امْــرِئٍ ومَعْهَــدِ
إنْ صدَقَ الظَّنُّ فقُرْبُ رُتْبــةٍ مِــن رُتْبةٍ كبَلدٍ من بلدِ (٤)
أنْجَبَ فينــا غُصنَ فضلٍ مُثْمِراً بالمعلواتِ والنَّــدَى والسُّؤْدَدِ (٥)
تشابَهَ الغُصنُ وروضُه وقــد يظهــر في الوالدِ سِرُّ الولدِ (٦)
حَــكاه في عِفَّتِه وفضــلِه والشِّبْلُ في المَخْبَرِ مثــلُ الأسدِ
لابَرِحاَ في عِزَّةٍ دائمةٍ لا تنقضي ما بَقِيَا للأبدِ (٧)
فإنَّ في بَقْيِاهما صَوْنَ العُلَى عن أن تُمَسَّ بيدٍ لأحَدِ

***

(١) في ب : « تسهده الأفكار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي ب ، ج : « ومكرمات يبتدى » ، والمثبت في : ا .
(٢) في ب : « ينظم منثوراتها في علا » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ب : « من صوبه يمطر » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٤) في ا : « وبلد من بلد » ، وفي ج : « كبلدة من بلد » ، والمثبت في : ب .
(٥) في ج : « بالعلوان والندى » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٦) في ب : « يظهر في الولد سر الوالد » ، والمثبت في : ا ، ج ، وهو الذي يستقيم به الوزن .
(٧) في ب : « لابرحا في عفة دائمة » ، والمثبت في : ا ، ج .

٥٦

إبراهيم بن منصور الفَتّال *

شيخ الشيوخ ومُعترَفُهم (١) وبحرُ العلماء ومُغترَفُهم .

أما العلمُ فمنه وإليه ، ومُعوَّل أرْبابِ فنونه (٢) عليه .

وأما الأدب فله فيه التَّبْرِيز ، وإذا كان غيرهُ فيه الشِّيَةُ (٣) فهو الذهبُ الإبْرِيز .

وله المَنطِق الذي يسحَر العقول ، والفكرُ الذي يصْدأ عنه الفِرِنْدُ المصْقول .

مع حديثٍ لا يُمَلّ ، ومَنْظرٍ يملأ عيْنَي من تأمَّل .

تتنافَس في مجالسِه دُرَرٌ لوامِع وحُلِيُّ جِياد ، فلا تُعلَّق فيه إلا أقْراطٌ بآذان وقلائدُ بأجْياد .

(*) إبراهيم بن منصور الفتال ، الدمشقي .

الشيخ ، العالم ، الماهر ، المحقق ، المدقق .

قرأ على علماء عصره ، منهم : الملا محمود الكردي ، وأخذ عن عبد الوهاب الفرفوري ، وأحمد بن محمد القلعي ، وحضر دروس النجم الغزي .

كان في أول أمره فقيرا ، ثم أثرى وكانت وظائفه قليلة جدا ؛ لهذا اقتصر على بعض تجارة .

تصدر للإقراء ، واشتهر بحسن التأدية والتفهيم ، وكان يعقد حلقة التدريس في الجامع الأموي ، ثم تحول إلى دار الحديث الأحمدية ، بالمشهد الشرقي ، ثم لزم داره .

يقول المحبي : « وأنا ممن تشرفت بالتلمذة له ، وقد لزمته من سنة ثلاث وسبعين وألف إلى أن انتقل إلى رحمة الله وغفرانه » .

وللفتال « حاشية على شرح القطر للفاكهي » .

توفي سنة ثمان وتسعين وألف ، وقد ناهز السبعين ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ١ / ٥١ ـ ٥٣ .

هذا ، وقد نقل المحبي ، في خلاصة الأثر ثناءه عليه في « النفحة » ، فقال : « هو كما قلته في وصفه : أستاذ الأساتذة ومعترفهم . . . » وفيما بين ما في الخلاصة وما في النفحة خلاف في الأسلوب .

(١) في ا : « ومعرفهم » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) في خلاصة الأثر : « الصنعة » .

(٣) الشية : العلامة . وأوشى المعدنُ : وُجد فيه يسير من ذهب . القاموس (و ش ى) .

وطبعه يُعِير سحره عيونَ الحُور ، ويفضح بعُقود آثارِه دُرَرَ البُحور .

تبتسِم الفضائلُ عن آثارِه ، وتتفتّح (١) ثُغورُها بلوامِع إيثاره .

وقد ألقى الله عليه مِنْهُ (٢) محبّة ، جلَبتْ إليه مَسْرَى القَبُول ومَهَبّه .

فلا تزال الأعينُ تُحدِّق إلى مُحيّاه ، والألسُن (٣) تدعو بانْفِساح مَحْياه .

وراحتُه مخدومةٌ بالقُبَل ، وعيشُه أنْضر من الربيع المُقْتَبَلَ .

تَودُّ كؤوس الراح فى أفراحها ، لو تعوّضتْ بلَحْظةِ أُنْسِه عن راحِها .

وإذا ذُكِر فالقلوب على ثنائِه ذاتُ اتّفاق ، وخبرُ فضلِه إذا تُلِيَ سَمَر (٤) القوادِم وحديثُ الرِّفاق .

(٥ وما أنا فى ٥) تَرنُّمِي بذِكْرِه ، وتعطُّرِى بحَمْده وشكرِه .

إلاّ (٦) النسيمُ نَمَّ على الحديقة بريّاه ، والصبحُ بشَّر بالشمسِ ضوءُ (٧) مُحيّاه .

ولى فيــه ما لم يقُلْ شاعرٌ ومالم يَسِرْ قَمرٌ حيث سارَا

وهُنَّ إذا سِرْنَ من مِقْوَلِي وَثَبْنَ الجبالَ وخُضْنَ البِحارَا (٨)

فإنه الذى ضربْتُ بحضْرته أطنابَ عمرِى ، وأنفقتُ على فائدتِه أيّامَ دهرِى .

وتروّيْتُ من المعــرفة بروائع كلامه ، وملأْتُ سمْعِيَ دُرَّ الأصْدافِ من آثار أقلامِه .

وكان يُنوِّه بى ويُشِيع (٩) أدبى ، وبالجملة فــكان لى مكانَ أبى .

فأنا من حين فقدْتُه فقدتُ كَنفا آوِى إليه ، وسَنَداً أُعوِّل فى المآرب عليه .

(١) فى ب ، ج : « وتنفتح » ، والمثبت فى : ا . (٢) ساقط من : ب ، وفى ج : « منا » والمثبت فى : ا .
(٣) فى ا : « والأنفس » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا : « سر » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) فى ب : « وأما أنا فى » ، وفى ج : « وماق » ، والمثبت فى : ا .
(٦) فى ب زيادة : « أن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « نور » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٨) فى ا : « ولجن الجبال » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/٥١ . (٩) فى ا : « ويسمع » والمثبت فى : ب ، ج .

فيحُقّ لفؤادى (١) أن يستعِرَ بوَقْدِه ، ولدمْعِى أن يسيلَ دماً على فَقْدِه .

وأسألُ اللهَ أن يُزْلِفَه من رحمتِه ويُدْنِيه ، ويُقْطِفَه زَهْرَ رِضْوانه (٢) ويُجْنِيه .

***

فما تناولتُه من نظْمِه ، قوله فى مديح صاحب الشَّفاعة ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (٣) :

كلُّنا سيِّدى إليك نَئُوبُ ... مالَنا لانَمِى الَّقا ونتُوبُ (٤)

إنَّ عمرَ الشبابِ ولَّى وأبْقَى ... ماجَنَاه فيـه وذاك الذُّنوبُ (٥)

فإلى كَم هذا التَّوانِى وقد جا ... ءَ نذيرُ الحِمام وهْو المَشِيبُ

***

ما أحسن قول ابن نُباتَة : جاء النَّذِيرُ العُرْيان وهو الشَّيْب ، وابيضَّ بُرْدُه فظهَر فيه دنَس العَيْب .

وآذَن صُبْحُه بالتَّفْريق ، ونُشِرتْ بين السَّواد صفحتُه فعلِم أنها ورقةُ طريق .

والنَّذِير العريان : زُنَيْر (٦) ، بالنون ، بن عَمْرو الخَثْعَمِىّ (٧) .

كان ناكحاً لامرأة من بنى زُبيد العريان (٨) . فأرادت زُبَيد أن تغْزُوَ خَثْعَم ، فحرسَه أربعةُ نفرٍ منهم ، وطرحوا عليه ثوباً ، فصادف غِرَّةً فحاضَرهم (٩) بعـد أن رمى ثيابَه ، وكان من أجْوَدَ الناس شَدّاً (١٠) .

---

(١) فى ا : « فؤادى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « روضانه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) القصيـدة فى خلاصة الأثر ١/٥٣ . (٤) فى ا : « مالنـا لونعى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى خلاصة الأثر : « وذاك ذنوب » .

(٦) فى ا : « زنبر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى المشتبه ٣٣٤ : « وبالضم والنون : زنير بن عمرو الخثعمى ــ أحد الشعراء » .

وقد نقل المحبى هذا الخبر بتمامه عن المؤتلف والمختلف ١٩٢ .

(٧) فى الأصول : « عمر » ، والمثبت فى المؤتلف والمختلف ، والمشتبه .

(٨) ليست هذه الكلمة فى المؤتلف والمختلف .

(٩) فى الأصول : « خاصرهم » ، والتصويب من المؤتلف والمختلف .

(١٠) فى الأصول : « بشرا » ، والتصويب من المؤتلف والمختلف .

وقال فى ذلك :

أنا المُنذِرُ العُرْيانُ يَنْبُذُ ثَوبَه ... لك الصدقَ لم يَنْبُذْ لك الثوبَ كاذِبُ (١)

***

نَدَّعِى الحبَّ فِرْيَةً إنما الْـ ... حُبُّ حَرِىٌّ بأن يُطاعَ الحبيبُ

ليس هـذا دأبُ المُحِبِّين لـكن ... قد نَحاه مُشتَّتٌ مَحْجوبُ

إن أعداءنا توالتْ علينا ... نَفْسُنا والهوى وعقلٌ مُرِيبُ

كيف يرجُو الخلاصَ منهم مُعَنًّى ... فى عَماه مُكَبَّلٌ مَجْبوبُ (٢)

مَن نُرجِّى لدفْعِ داءٍ عُضالٍ ... غيرَ خيرِ الورى وذاك الطبيبُ (٣)

سيِّدُ المرسلين خيرُ نبيٍّ ... شافعُ الخلقِ يومَ تُتْلَى العيوبُ

مَبْدأُ الكونِ خَتْمُ كلِّ نبيٍّ ... قد حَباه الحِبا قريبٌ مُجيبُ (٤)

عَلَّه أن يقول فى الحشرِ عنِّى ... إنَّ هـذا لجاهِنا منسوبُ (٥)

وله عندنا ودادٌ قديمٌ ... وعلينا يومَ النِّدا محسوبُ (٦)

مَن لهذا الحقيرِ غيرَ نصيرٍ ... أو شفيعٍ دعاؤه يستجيبُ (٧)

أنا عَوْنٌ له ويكْفيه عَوْناً ... مِن سِواى ولى فِناءٌ رَحِيبُ

---

(١) فى المؤتلف والمختلف بعد هذا : « وخبره مستقصى ، وشعره ، فى كتاب خثعم » .

وقد ذكر الزمخشرى ، فى الفائق ٢/١٣٣ ، والفيروزابادى ، فى القاموس (ن ذ ر) ، وابن منظور ، فى اللسان (ع ر ا) ١٥ /٤٨ ، أن النذير العريان رجل من خثعم ، حمل عليه يوم ذى الخلصة عوف ابن عامر ، فقطع يده ويد امرأته .

(٢) فى ا : « فى عماه مجبل محبوب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ا : « من ترجى » ، وفى خلاصة الأثر : « من يرجى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى خلاصة الأثر : « قد حباه الحيا » . (٥) فى ا : « إن هذا لجاهنا محسوب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى ب : « يوم الندى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (٧) فى ب : « من لهـذا الفقير » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر :

من لهذا الحقيرِ غيرى نصيرٌ ... أو شفيعٌ دعاءه يستجيبُ

يا نبيَّ الهـدى وغوثَ البَرايا ... ووحيداً وليس فى ذا عجيبُ (١)
خصَّك اللهُ بالمراحم جَمْعـاً ... مَن يَعِى ذاكَ عاقلٌ ولبيبُ (٢)
كُلُّ فضـلٍ مصباحُه أنت حقًّا ... إنَّ هـذا فى المَكْرُمات غريبُ
كلُّ من لم يرَ افتراضَ هواكُمْ ... فهْو فى النارِ حقُّـه التَّعذيبُ

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه (٣) :

مانِلْتُ شيئـاً إذا كنتُ انتصَرَف ... تحصيلِ أسْبابِ تَوْفيقى وإسْعـادِى
إلاَّ ضَياعَ نجـاتِى وهْى نافعتِى ... يارَبِّ هبْ لىَ يوم الحَشْرِ إنْجادِى (٤)

* * *

وله (٥) :

إن كان ذَنْـبِى فى الشدائدِ مُوقِعِى ... وبه لقد لاقيْتُ ما أنا فيـه (٦)
فالعفـوُ منك يُزِيلُ ذاكَ تكرُّماً ... كالشمسِ إن أتَتِ الدُّجَى تجْلِيه

* * *

ولما دُفِن فى تربته أنشدتُ :

ياتُرْبةً قد غاضَ بحـرُ النَّدى ... فيها وبدرُ التمِّ عنـد التَّمامْ
ماهىَ إلاَّ حُقّـةٌ أودِعتْ ... من طَيِّبِ العُنْصرِ مسْكَ الختامْ

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) فى خلاصة الأثر : « ويعى ذاك عاقل ولبيب » .
(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٣ . (٤) فى خلاصة الأثر : «يارب هل لى يوم الحشر إنجادى» .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٥٣ . (٦) فى ب : « بالشدائد موقعى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

٥٧

رمضان بن موسى العُطَيْفِيّ *

فاضلٌ حظُّه من المعرفة وافِر ، ووجهُ أمانيهِ طَلْقٌ سافِر .

مازال من الحال فى أعْذبِها شِرْعة ، ومن الحُظْوة فى أسْوغِها جَرْعة .

وكان مرفوعَ الحِجاب منْزوع رِداء الإعْجاب .

وله فى الخُلق والخَلق من الرِّضْوان رِضْوان ، وفى النَّثر والنظم من المُرْجان مَرْجان .

وأما عهدُه فهو بالصِّدق مُحلًّى ، ووُدُّه يَبْلى الجَديدان ولا يَبْلَى .

لا أقول إنه أصْفَى من الماء فقد يشْرَق به الإنسان ، ولا أضْوأُ من قمر السماء فقد يدرِكه النُّقصان .

وكنت وصِبائِي(١) عاطِرُ النَّفحة ، لَدْن الغصن ناضِرُ الصَّفحة .

حضرتُ دروسَه فى العربيَّة ، وأخذت عنه أشياء من الفنون الأدبيَّة .

(*) رمضان بن موسى بن محمد العطيفى ، الدمشقى ، الحنفى ، المعروف بابن عطيف .
ولد سنة تسع عشرة وألف .
وقرأ بدمشق على مشايخ أجلاء ، منهم : رمضان بن عبد الحق العطارى ، والعمادى المفتى ، ومصطفى ب الدين ، وغيرهم .
وأخذ الحديث عن النجم الغزى ، وغرس الدين الخليلى المدنى .
وقد ذكره الخيارى ، فى «رحلته » ، وذكر أنه كانت بينهما مكاتبات .
كان العطيفى لطيف الطبع ، راوية للشعر وأيام العرب ، فقيها نحويا ، أديبا .
توفى سنة خمس وتسعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، فى مسجد النارنج .
خلاصة الأثر ٢/١٦٨ - ١٧١ .

(١) فى ب : « فى صباى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ثم وقفتُ له على بدائعَ من آثارِه بهيّة الإلماع ، فأثبتُّ منها ماهو عَبَقُ الأفْواه وحَلْيُ الأسْماع .

***

فمن ذلك قوله من قطعة ، كتب بها لبعض الأدباء ، جوابا عن لغز ، كتبه إليه في قَرَنْفُل (١) :

يامن زيَّن سماء الدنيا بزُهْر النجوم ، وزيَّن الأرضَ بزَهْرها المنثور والمنظوم .

نحمَدُك على ما أبدعَتْ حكمتُك في هذه الأعْصار ، من زاهِي الأزْهار .

ونصلّي ونسلّم على نبّيك المختار ، وآله الأخْيار ، ما اختلفَ الليلُ والنهار ، عددَ تنوُّعِ البَهار (٢) .

أما بعد : فإن رقيقَ الكلام ، ورشيقَ النِّظام .

مما يسحَر الألباب ، ويَنْسِج (٣) مابين الأحباب .

ولا بِدْعَ فقد قال سيِّد الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام (٤) :

« إنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْراً ، وَإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً » .

هذا ، وقد أخذ رائقُ كلامِكم ، وفائقُ نِظامكم .

بهذا الصبِّ أخْذَ الأحْبابِ الأرْواح ، ولَعِب به ولا كالتعابِ (٥) الرّاح .

كيف لا ، وقد كُسِيَ حُلَلَ البهاء والجمال ، وانتظَم ولا كانْتظام اللآل .

رَقَّ فاسْترقَّ الأحرار ، وحَلِيَ فتحلَّى به أهلُ الشِّعار .

وراق معْناه ، فأشْرق مَغْناه .

---

(١) أورد المحبي هذا الفصل أيضا ، في خلاصة الأثر ٢ / ١٧٠ .

(٢) البهار : نبت طيب الريح . القاموس (ب هـ ر) . (٣) في ا : « وينسخ » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) انظر صفحتي ٢٣٣ ، ٢٣٤ فيما تقدم .

(٥) في خلاصة الأثر : « كتلعاب » .

وحُسْن مُساقه ، فحلا⁽¹⁾ مَذاقه .

وفاح أرَج القَرَنفُل من رياضه ، وهبّتْ نَسمات الجنان من غِياضه .

فلله دَرُّك ودَرُّ ما ألغزْت ، وما أحسَن ما بَعُدْتَ وقرُبت⁽²⁾ ، فقد⁽³⁾ أبدعتَ فأبْعَدت⁽³⁾ ، وأغربْتَ فأرْغَبت .

لُغز كالغزَل ، فى نَشْر طَيّه حُلل .

من طَوّل فى مدحه فقد قصّر ، وما عسى أن يُمْدَح البحرُ والجوهر .

ولكن نعتذِر إليكم من هذه الشَّقْشقات⁽⁴⁾ التى أوردناها على سبيل البَديه ، وكلٌّ يُنفِق مّما عنده ويُبْديه .

وحين مِلتُ طربًا من مَيْل تلك اللّامات ، قلتُ هذه الأبيات⁽⁵⁾ :

أتانى نِظامٌ منك يُزْرِى بحُسْنِه ... قِفا نَبْكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنْزِلِ⁽⁶⁾

وأشْمَمنى منه أريجًا كأنه ... نسيمُ الصَّبا جاءتْ بريّا القَرَنْفُلِ⁽⁷⁾

فيا واحدَ الدنيا وليس مُدافِعٌ ... ويامن غدا مَدْحِى له مَعْ تَغزُّلِى⁽⁸⁾

بعثْتَ لنا عِقْداً ثمينًا فلو رأى ... جواهِرَه النَّظّامُ ولّى بِمعْزِلِ⁽⁹⁾

---

(1) فى ا ، ج : « فحلى » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(2) فى ب : « قربت وبعدت » ، وفى خلاصة الأثر : « أبعدت وقربت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(3) فى ا : «أبرعت فأبعدت» ، والمثبت فى: ب ، ج، وخلاصة الأثر . (4) فى ا: «التعسفات» ، وفى ب : « التقشفات » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (5) القصيدة أيضا ، فى خلاصة الأثر ٢/ ١٧٠، ١٧١ . (6) عجز هذا البيت تضمين لصدر البيت الأول من معلقة امرىء القيس ، وعجزه :

* بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ *

ديوانه ٨ .

(7) عجز هذا البيت تضمين ، لعجز بيت لامرىء القيس ، من معلقته أيضا ، وصدره :

* إذا التفتتْ نحوى تضوَّع رِيحُها *

ديوانه ١٥ .

(8) هكذا جاء : « وليس مدافع » بالرفع فى الأصول ، وخلاصة الأثر ، وفى الخلاصة : «مع تغزل» .

(9) سقط هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقد تقدم ذكر النظام ، وهو من رؤوس المعتزلة .

ولو أن رآه امرؤُ القيسِ لم يقُـــلْ ألا أيُّها الليـلُ الطويلُ ألا انجلِي (١)
فمـــن يكُ نظَّاماً فذلك فليَـكُنْ فصـــاحة ألفاظٍ بمعْنًى مُكَمَّلِ
رقيقٌ لطيفٌ رائقٌ مُتحبِّبٌ إلى كل نفسٍ وهْو فى العيْنِ كالحلِي (٢)
يفوحُ عبيرُ المِسْكِ من طَيِّ نَشْرِه فَـكيف وقد ألغزْتَه فى القَرَنْفُلِ (٣)
فلا زلتَ تحبُونا بكلِّ فضيـــلةٍ ولا زلتَ تُحْيينا بِعلْمٍ مُفصَّلِ (٤)
ولا زلتَ للدنيـــا إماماً وسيِّداً وعِلْمك يُرْوَى كالحديث المُسَلْسَلِ (٥)

* * *

وله ، جواباً عن سؤالٍ دُفِع إليه ، فى تحقيق معنى البيْتين المشهورين .

وهما :

عيْناه قد شهِدتْ بأنِّى مُخطِئٌ وأتتْ بخطِّ عِذارِه تذْكارا (٦)
ياحاكِمَ الحبِّ اتَّئِدْ فى قَتْلتى فالخطُّ زُورٌ والشهودُ سُكارَى (٧)

: تأملتُ البيتين المشتملَيْن ، على خطِّ العِذار وشهادة المُقلتين .

فلم يظهرْ لى فى الخطأ صوابٌ ، وقد (٨) بذلتُ طاقتى فلم يُفتَح لىَ الباب .

ولم أسمعْ من الأشياخ الثِّقات الأحْبار (٩) ، ولا من الشُّبَّان و (١٠) الرُّواة للأخْبار .

---

(١) عجز هذا البيت تضمين لصدر بيت لامرئ القيس ، من معلقته أيضا ، ديوانه ١٨ ، وعجزه :

* بصُبحٍ وما الإصْباحُ فيك بأمْثَلِ *

ورواية ا البيت العطبى : « ولو رآه امرؤ القيس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب : « وهو فى العين كالجلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ا : « وكيف وقد ألغزته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ب : « ولا زلت تحيينا بعلم مفضل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر له بعد ذلك ثلاثة أبيات تكملة القصيدة .

(٦) فى ب : « عيناه قد شهدت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « يا قاضى الحب » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ب : « يا حاكم الحسن » . وفى ب ، ج : « الخط زور » ، والمثبت فى : ا .

(٨) ساقط من : ب ، ج ، والمثبت فى : ا . (٩) فى ج : « الأخيار » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(١٠) سقطت واو العطف من : ا ، وهى فى : ب ، ج .

مَن نَقَدَ هذا النَّقْد ، الذى هو أحْلَى من القَنْد (١) .

فتحقَّقْتُ أن مُبْدِيه مـن أُولِى الألبـاب ، القادرين (٢) على الإتيـان بكلِّ عَجَب عُجاب .

وأن فِـكْرتَه تَتَّقِد كالزُّهْر فى الدجى ، فتُوضِّح السُّبُلَ لأهْل الحِجا .

وأنه المتصرِّف فى الدقائق كيف شاء ، وذلك فضلُ الله يُؤْتيه من يشاء (٣) :

يامن كَسـاه اللهُ أرْدِيَةَ العُـــلَى ۞ وحَباه عِطْرَ ثنائِهـــا المُتَضَوِّعِ (٤)

وإذا نظرتُ إلى محاسنِ وجْهِــه الْ ۞ مَسْعودِ قلتُ لمُقْلتى فيهـــا ارْتَعِى

وإذا قَرَنْتَ الأُذْنَ تَشْهَدُ كلامه ۞ قلتُ اسْمعى وتَمَتَّعِى وارْعَىْ وعِى (٥)

وكأنَّمـــا يُوحَى إلى خَطَـراتِه ۞ فى مَطْلَعٍ أو مَخْلَصٍ أو مَقْطَـــعِ

لكَ فى المحاسنِ مُعْجِزاتٌ جَمَّـــةٌ ۞ أبداً لغَيْرِكَ فى الورَى لم تُجْمَعِ

بَحْرانِ بحرٌ فى البلاغةِ شـــانُهُ ۞ شعرُ الوَليدِ وحسنُ لفظِ الأصْمَعِى (٦)

شُكراً فكمْ مِـن فَقْرةٍ لكَ كالغِنَى ۞ وافَى الكريمَ بُعَيْدَ فقرٍ مُدْقِعِ (٧)

وإذا تفتَّق نَوْرُ شِعْـــرِكَ ناضِراً ۞ فالحُسْنُ بين مُرَصَّــعٍ ومُصَرَّعِ

أرْجَلْتَ فُرسانَ القريضِ ورُضْتَ فر ۞ سانَ البديعِ وأنت أفْرَسُ مُبْدِعِ (٨)

---

(١) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . القاموس (ق ن د) ، وانظر شفاء الغليل ١٧٩ .

(٢) فى ب : « القادر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) القصيدة التالية لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ، صاحب « يتيمة الدهر » ، المتوفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، يمدح بها الأمير أبا الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالى .

وهى فى يتيمة الدهر ٤ / ٣٥٥ .

(٤) فى ب : « أثواب العلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر .

(٥) فى يتيمة الدهر : « وإذا قربت الأذن » .

(٦) فى ب : « فى البلاغة شانه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر .

وبعد هذا البيت فى يتيمة الدهر :

وترسُّلُ الصَّابى يَزِينُ عُلُوَّه ۞ خطُّ ابن مُقْلةَ ذى المحلِّ الأرْفعِ

(٧) فى ب : « بعيد فقر ملقع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر .

(٨) فى يتيمة الدهر : « ورضت أفـ * راس البديع . . » .

ونقشتَ فى فَصِّ الزمانِ بدائعاً ... تُزْرِى بآثارِ الرَّبيعِ الْمُمْرِعِ

وحَوَيْتَ ما تُبكَنَى به طُرَّاً فلم ... تَتْرُكْ لغيرك فيه بعضَ المَطْمَعِ

غير أن هذا العبدَ بعد البُعْد عن المَقام ، أَلَمَّ به بعضَ إِلْمام .

وهو أن خَطَأً هذا المحبّ إذْ [1] قاد نفسه لحتْفِه فى هَوى هذا الحبيب البعيد المَنال [2] ، القريب الوَبال ، بحُسْن الدلال ، كما قال من قال ، وأحسن فى المَقال :

علمتُ أن العيونَ السُّودَ قاتلتى ... وأنَّ عاشقَها لازال مقتولاَ [3]

وقد تعشَّقْتها طفلاً على خطَاء ... لِيَقْضِىَ اللهُ أمراً كان مفعولاَ

فكأن هذا الحبيبَ طالب هذا المحبَّ لمجلس قاضِى الهوى ، وديوانِ أهْلِ الجوى .

وادَّعى عليه ، وأحضَر حُجَّته وشاهدَيْه .

وقرَّر فى دَعْواه ، بحضْرةِ هذا الصَّبِّ الذى يهْواه .

أنه قد وقع فى إقْدامه لمحبّتى على خطأٍ لا صواب ، كيف لا وهو لا يذوق الأَرْىَ [4] إلا بعد الشِّبَع من الصَّاب .

ولا يُمْكنه القُرْب إلا بعد البُعْد الطويل ، ولا الوصلُ إلا بعد فِراقِه لكلِّ خليل .

وهذا خطبٌ جليل ، صاحبه إن لم يَمُتْ فهو أبداً عَليل .

يُكابِد الأشْجان بالليل والنهار ، وبعد ذلك إمّا إلى جنّة وإمّا إلى نار .

وقلَّ مُحِبٌّ يحصُل على حبيبه إلا بعد هذه الأهْوال ، وإنْفاق الرُّوح فضْلاً عن الأمْوال .

---

(١) فى ب : « إذا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : « المثال » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ب ، ج : « ما زال مقتولا » ، والمثبت فى : ا .   (٤) الأرى : العسل .

فلا يكن العارفُ كالرَّافض ، لما قال ابنُ الفارض [1] :

هو الحبُّ فاسْلَمْ بالحَشا ما الهوى سَهلُ ... فما اختاره مُضْنًى به وله عَقْلُ

وعِشْ خالِياً فالحبُّ راحته عَناً ... فأوَّله سُقْمٌ وآخره قَتْلُ

هذا كلام سُلطان العُشَّاق ، المقطوع بمعرفته المَحبَّة على الإطْلاق .

فعند ذلك نظَر القاضِي لهذا العاشق ولاطَفَه خِطابا ، وسأل سُؤالَه فلم يُحِر جوابا .

فكان كما قِيل ، فى حَقّ العاشق الذليل :

وكم من حديثٍ قد خبَأْناه لِلّقا ... فلما التقَيْنا صِرْتُ أبْكَمَ أخْرسا

فلما أراد القاضى الحكمَ عليه ، بما أبْدَى لديه .

قال ربُّ الجمَال فى الحال ، الغَيْرِ حالّ :

وهاكَ أيها القاضى شاهديْن ، عَدْلَين .

مُبْعِديْن للرِّيَبْ ، مُقرِّبين للأَرَب .

وأبدى من سحرِ العيون ، مايهتِك السِّرَّ المَصُون :

عيونٌ عن السحرِ المُبين تُبِينُ ... لها عند تحْرِيكِ الجفونِ سكُونُ

إذا أبصرتْ قَلبًا خَلِيًّا عن الهوى ... تقولُ له كُنْ عاشقًا فيكونُ [2]

ثم قال : وهذا خَطُّ عِذارى ، يُوضِّح أعْذارى .

فقال القاضى : حكمتُ بهذه الحُجَج ، التى ليس لك منها فَرَج .

[3] فعند ذلك قال [3] المُحِب ، وقد اشتعل نارا :

أيها القاضى :

* الخط زُور والشهود سُكارَى *

---

(١) ديوان ابن الفارض (بشرح البورينى والنابلسى) ٢/٨٦ ، ٨٧ . (٢) فى ب ، ج : « خليا من الهوى » ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ب : « فقال » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فكان هذا الجَرْحُ عَيْنَ التَّعْدِيل ، وتَقْوِيَةً [١] للدَّلِيل .

إذا ثبَت هذا فلا شكَّ ولا رَيْب أن العاقل لايرْمِي بنفسه [٢] في هـذه المَهاوِي ، وإن رَمَى فهو قَطْعًا [٣] لاشك هاوِي .

وكيف يُخاصِم مَن بعضُه لبعْضِه شاهِد ، [٤] وبعضُه حُجَّـة [٤] تقْطع كلَّ خَصْم مُعانِد .

فهذا خطأٌ لاصواب ، عند أُولِي الألباب .

فإن قيل : كيف [٥] يصحُّ أن [٥] يشْهد البعضُ على [٦] البعض ؟ .

قلت [٧] : هذا له نظيرٌ بما سيقَع يومَ العَرْض .

كما أخبر ربُّ العالمين ، في كتابه المُبين .

وهو قوله تعالى [٨] ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ﴾ الآية .

إلاَّ أنه فرّق مابين الدّارَيْن ، لِعِظَم [٩] أحدِ الهوْلَيْن .

وهذا لايخْفَى على الفَطِن العارف [١٠] الحاذِق ، الذي هو لِطَعْم المعارفِ ذائِق .

وقد جاء ذلك كثيراً في أشْعارهم ، وقُرِّر في قِصصهم وأخْبارهم .

كما قال أبو حفص [١١] المُطَّوِّعي [١٢] من شعراء « اليتيمة » [١٣] :

---

(١) سقطت واو العطف من : ا ، وهي في : ب ، ج . (٢) في ب : « نفسه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٤) في ا : « وبعض حججه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٦) في ب : « من » ، والمثبت في : ا ، ج . (٧) في ب : « قلنا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٨) سورة النور ٢٤ .

(٩) في ا : « بعظم » ، والمثبت في : ب ، ج . (١٠) ساقط من : ب ، ج ، وهو في : ا .

(١١) في الأصول : « أبو جعفر » ، والتصويب من يتيمة الدهر ٤/٤٣٣ .

(١٢) هو أبو حفص عمر بن علي المطوعي .

من أعيان الأدباء والشعراء .

ذكر الثعالبي أنه اتصل بخدمة الأمير أبي الفضل الميكالي ، فتخرج بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره .

وله من الكتب « أجناس التجنيس » ، و « درج الغرر ودرج الدرر » ، و « حمد من اسمه أحمد » ، والأخيران في الأمير أبي الفضل الميكالي .

يتيمة الدهر ٤/٤٣٣ – ٤٣٧ .

(١٣) البيتان في يتيمة الدهر ٤/٤٣٥ .

أيا مُنْيةَ المُشتاقِ فيم تركْتَنِي كَئيباً بلا عقْلٍ قتيلاً بلا عَقْلِ (١)
فإن كنتَ أنكرْتَ الذى بى من الهوى أقمْتُ به من أدْمُعِي شاهدَىْ عَدْلِ

وقال الآخر :

وعندى شهودٌ للصبابةِ والأسى يزكُّون دَعْواىَ إذا جئتُ أدَّعِى (٢)
سَقامِى وتَسْهيدِى وشوقى وأنَّتِى ووَجْدى وأشْجانى وحُزْنى وأدْمُعِى

وقال آخر :

إن كنتَ تُنْكِر حالى فى الغرام وما ألْقَى وأنِّى فى دَعْواىَ مُتَّهَم (٣)
فالليلُ والوَيْلُ والتَّسْهيدُ يشهدُ لى والحزنُ والدمعُ والأشواقُ والسَّقَمُ

فإن قيل : لِمَ اختصَّ البعضَ بالعيْنَيْن ، ولم يأتِ باليديْن والرِّجْلين ؟

قلنا : خَصَّ العينين ؛ لما فيهما من الحُسْن الزائد ، وكثرة الفوائد .

لأن أحسنَ مافى الإنسان وجهُه الجامعُ لجميعِ (٤) المنافع ، وأحسنُ مافيه العينان من غيرِ مُنازِع . قال :

وأحسنُ مافى الوجوهِ العيونُ وأشْبَهُ شىءٍ بها النَّرْجِسُ

فكانا أليقَ بالمقام ، عند الخاصِّ والعام .

فإن قلتَ (٥) : لِمَ خَصَّ الحجَّة بالعِذار (٦) ، الشَّبيهِ بالليل الماحى لضِياء (٧) النهار ؟

والحجَّةُ يُطلَب فيها (٨) الإنارةُ والظهور ، لا الظلامُ (٩) ولا السُّتور (٩) .

قلت : لأمْرَيْن ؛ يظهران (١٠) كالعَيْن للعَيْن (١٠) .

---

(١) « عقل » الثانيـة ، بمعنى : الدية .
(٢) فى ب : « للصبابة والجوى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « إن كنت أنكرت » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٤) فى ب بعد هذا زيادة : « الفوائدو » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ج : « قيل » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ا : « بالعذاب » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٧) فى ا : « آية » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٨) فى ا : « منها » ، والمثبت فى : ب ، ج (٩) فى ا : « المستور » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(١٠) فى ا : « للعين كالعين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أحدهما عَقْلِيّ ، والآخر نَقْلِيّ .

أما العقليُّ ؛ فإن العِذار يُشْبِه حروفَ الخطِّ المكتوب ، فكان إتيانُه حُجَّةً أليَقَ[1] بالمطلوب .

وأما النَّقْلِيّ : فإن العِذار خاصٌّ بهذه الدار لأنه لا يُوجَد فى الأخرى ، فكان بهذه الخصيصة أحْرَى .

كما قال بعضُ الناس ، ناظِمًا ما قال أبو نُوَاس :

قال الإمامُ أبو نُواسٍ وهْـــو فى   شِعْـرِ الخلاعةِ والمجونِ يُقَـــلَّدُ
يا أمَّةً تَهْوَى العِـــذارَ تمتَّعوا   من لَذَّةٍ فى الخُلْدِ ليستْ تُوجَـــدُ

وقد طغَى القلم ، بما يُعقِب[2] السَّأَمَ .

والسلام[3] .



---

(١) فى ب : «أليق حجة» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : «يوجب» ، والمثبت فى : ب ، ج.
(٣) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

٥٨

القاضي حسين بن محمود العَدَوِيّ الصَّالِحِيّ *

هو للدهر حسنةٌ تكفِّر ماجَنَى ، وللزَّهْرِ خَمِيلةٌ فيها ظِلٌّ وجَنَى .

توقّد في الأدب (١) ذهنُه ، وشاخ ولم (٢) يعرِض فكره وَهْنُه .

وهو من أصْدقاء أبي الذين كان يُمَيِّزهم بالتقْريب ، ويستحسِن مايأْتون به من النادِر الغريب .

وقد لزِمْتُه في عهدِه (٣) أدَبِّجُ بتقْريراتِه مَهارِق (٤) الطُّروس ، وأُعطِّر بنفَحات تحْريراتِه رياضَ الأدب الرَّيانةِ الغُروس .

* * *

وتناولتُ من أشْعارِه مالو كان للروض ماذَوَتْ أوراقُه ، أو في البدر مافارَقَه إشْراقُه .

(*) حسين بن محمود بن محمد العدوي ، الزيكاري ، الصالحي .

القاضي ، الفقيه ، الأديب ، الشافعي .

ولد سنة ثماني عشرة بعد الألف .

وأخذ بدمشق ، على والده ، والشمس الميداني ، والنجم الغزي .

ثم رحل إلى القاهرة ، بعد الثلاثين ، وأخذ بها عن البرهان اللقاني ، وأبي العباس المقريّ ، والشيخ علي الحلبي ، صاحب « السيرة » ، والشمس البابلي ، والعلاء الأجهوري ، والشيخ محمد الحموي ، والشيخ عامر الشبراوي .

وحج ، وأخذ بالمدينة عن الشيخ غرس الدين الخليلي ، نزيل المدينة المنورة ، وبمكة عن الشيخ محمد بن علان الصديقي .

وتصدر للإقراء بدمشق ، وولي قضاء الشافعية ، بمحكمة الميدان ، والمحكمة الكبرى ، وأفتى على مذهبهم .

توفي سنة سبع وتسعين وألف ، ودفن بسفح قاسيون .

خلاصة الأثر ٢/١١٦ ــ ١١٨ .

(١) في ب : « بالآداب » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ب : « فلم » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا : « عهد » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) المهارق : جمع المهرق ، وهي الصحيفة . القاموس (هـ ر ق) .

فمن ذلك قوله [١] :

أرى كلَّ إنسانٍ يرى أن حينَه … من الخطْبِ خالٍ إن ذاك لمغرورْ
وكيف وأصل البِنْيةِ الماء والثَّرى … وسوف إلى تُرْبِ القبورِ يصيرُ [٢]
فلا تَغْبِطَنْ خِلًّا إذا جار أو جَفا … فأنتَ وربِّ العالمين كَدُورْ
فإن جنَحتْ منكَ الظنونُ لحادثٍ … فميْلُك للتوحيد ياصاحِ مبْرورُ
فإن بقاء العزِّ في وَحْدةِ الفتى … كما أن إكثار التردُّدِ محْذورْ
وما مذْهبي أنّي مَلولٌ لرُفقتي … ولكنَّ مسْلوب الكفاءةِ معْذُورْ

***

لقد أصاب في هذا لُبَّ الصواب ، وإن كان تناوله من قبله ابنُ الجَدِّ [٣] الأندلُسِيّ [٤] :

وإنّي لصَبٌّ للتلاقِي وإنما … يصُدُّ ركابي عن معاهدِك العُسْرُ [٥]
أذوبُ حياءً من زيارةِ صاحبٍ … إذا لم يساعِدْني على برِّه الوَفْرُ

ولي من قطعة :

وإني بحُكْم الزمان ، أستَحْيي من زيارة الإخْوان .
حذراً [٦] من التَّقصير ، وعدم ظُهور المَعاذير .

---

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٢ / ١١٦ ، ١١٧ . (٢) في ب : « نصير » ، وفي خلاصة الأثر : « تصير » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ا : « ابن جدا » ، والمثبت في : ب ، ج .
وهو أبو القاسم محمد بن عبدالله ، ابن الجد ، ولقبه عبد الواحد المراكشي بالأحدب .
الوزير ، الفقيه ، الكاتب ، كتب لأبي الحسين علي بن يوسف بن تاشفين .
وتوفي سنة خمس عشرة وخمسمائة .
قلائد العقيان ١٠٩ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٩٠ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٣٧ .
(٤) البيتان في نفح الطيب ٤ / ٢٠٧ . (٥) في ا : « عن معاهدي العسر » ، والمثبت في : ب ، ج ، ونفح الطيب .
(٦) في ا : « حذارا » ، والمثبت في : ب ، ج .

فالعينُ بصيرة ، واليدُ قصيرة .

ويا لَهفى على عُمْرِ الكرام ، يمضى بخَيْبة المَرام .

فلا يقدِر (١) لهم فى كلِّ وقتٍ إسْداءَ نعمة ، ولا اسْتدفاعَ نِقْمة .

ولا مُكافأةَ ذِى مِنّة ، ولا مُداواةَ أخِى مِحْنَة .

* * *

تتمّة الأبيات :

أجَلْ إن أبْناءَ الزمانِ تفاوتَتْ ... فمنهم خبيرٌ بالأمورِ ونِحْرِيرُ

وبالجملة التّحقيق فالأُنسُ مُوحِشٌ ... وعمّا سوى الخلاّقِ شُغْلُك مَدْحُورُ (٢)

فيارَبِّ جُدْ بالعَفْوِ والصفحِ والرِّضَا ... ففِعْلِيَ مذمومٌ وفعْلُك مشكورُ

* * *

وله (٣) :

وليلٍ أدَرْنا فضْلَ قاسون بيْننا ... فكادتْ قلوبُ السامعين تطيرُ (٤)

فلم تَدْرِ إلا الفجرَ صار دليلَنا ... إلى سفحه والسفحُ فيه نفيرُ

وفينا هُداةٌ للطَّريقِ وقادةٌ ... لهم كلُّ فضلٍ فى الورَى وصدُورُ

فسِرْنا فلا واللهِ لم تَدْرِ ما الذى ... قطعْناه بعد المَشْيِ كيف يصيرُ

فلمّا وصلْنا المُسْتغاثَ أغاثَنا ... به الغيْثُ حتى غوّثَنا لمطيرُ (٥)

فزُرْنا وكلٌّ نالَ ما كان ناوياً ... وفُزْنا بوقتٍ حسنُه لَشهيرُ

---

(١) فى ا : « يقدم » ، والمثبت فى : ب ، ج. (٢) صدر هذا البيت فى ا :

* وفى جملةِ التحقيق فالأُنس وحشةٌ *

والمثبت فى : ب ، ج وخلاصة الأثر . وفى ب : « شغلك محذور » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/١١٧ . (٤) يعنى بقاسون جبل قاسيون ، وقد تقدم . وفى ب : « فكادت قلوب العاشقين تطير » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى ا : « غيثنا لمطير » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

ومنه ركبْنا الجوَّ حتى كأنَّنـا ... نجـومٌ سماءٍ والسحابُ ثَبِيرُ [(١)]

إلى أن هبَطْنا قُبَّـةَ الفلَكِ التى ... تُسمَّى بنصرٍ مُذْ أعانَ نَصِـيرُ [(٢)]

رأيْنا بها عِقدَ الثُّرَيَّا مُعلَّقـاً ... وعينَ الدَّرارِي النَّيِّراتِ تُشِيرُ [(٣)]

فلم نرَ بُرْجاً قبْلَها حـلَّ منزِلاً ... يسيرُ إليه النـاسُ وهْو يسيرُ

وأعجبُ شيءٍ أن تراها مُقيمـةً ... وتَمْشِي كما يَمْشِي الفتى وتغُـورُ [(٤)]

وأعجبُ من هذا تراها عقيمةً ... تُربِّي بَناتِ النَّعْشِ وهْى سريرُ [(٥)]

وعُدْنا نُحيِّانا حَيَا فَضْلِ سُحْبِـا ... بريحٍ له وَقْـعُ الغمامِ خَرِيرُ [(٦)]

إلى أن رمتْنا بعـد عالى مكانِنـا ... على مُغْرٍ فيها المُقـامُ غُرورُ [(٧)]

وجئْنا حِمـانا مُطمئنِّين أنفُسـاً ... على أن مَـرْقَى المَكْرُماتِ عَسِيرُ

* * *

ودخل على شيخنا إبراهيم الخياري المدني [(٨)]، حين قدم الشام زائرا، أثر انقطاع ربما أوجب تهاجرا.

فقابله مُعتذِرا، وأنشده مَعْنًى مبتكرا.

وهو [(٩)]:

وما عاقَنى عن لَثْمِ أذيالِ فضلِكمْ ... سوى أنَّ عيْني منذ فارقتُكم رَمْدَا

---

(١) ثبير: من أعظم جبال مكة. معجم البلدان ١/٩١٧.

(٢) فى خلاصة الأثر: «قبة الملك التى». (٣) فى ب: «وعين الدرارى النيرات تسير»، والمثبت فى: ا، ج، وخلاصة الأثر. (٤) فى خلاصة الأثر: «كما يمشى الفتى ويفور». (٥) بنات نعش الكبرى: سبعة كواكب، أربعة منها نعش، وثلاث بنات، وكذا الصغرى.

القاموس (ن ع ش).

(٦) صدر البيت فى ا:

* وعدنا نحيى ناحيا سحب فضلها *

والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر.

(٧) فى ب: «إلى أن رمينا»، والمثبت فى: ا، ج، وخلاصة الأثر.

والمغر: جمع المغرة، بفتح الميم، وهو طين أحمر القاموس (م غ ر).

وهو موضع بالشام، فى ديار كلب. معجم البلدان ٤/٥٨٣.

(٨) تقدم ذكره، فى صفحة ٢١. (٩) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/١١٧.

فعاتبتُها حتى كأنِّى حبيبُها ... فأبدَتْ كلاماً كان قلبي له غِمْدَا
وقالتْ لقد كحّلْتُ طَرْفِي بطَرْفِه ... فأفتحُها سَهْواً وأُغْمِضها عَمْداً (١)

***

فخاطبه الخيارىّ بقوله (٢) :

أيا فاضلاً أبْدَى لنا فى نِظامِهِ ... لطيفَ اعتذارٍ سكَّن الشوقَ والوجْدَا (٣)
وأشْفَى بلُقْياه مريضَ بِعادِه ... وقد كان أشْفَى للبِعادِ وما أوْدَى (٤)
فصَان إلٰهُ العرشِ مُقْلتَه التى ... ترى كلَّ معنًى دقّ عن فَهمنا جِدًّا (٥)
لئِن كُحِلتْ بالطَّرْفِ قد أسْكَرتْ بما ... أدارتْه من مَقْلوب أحْداقِها شُهْدَا
فإن ترَنى أشتاقُ خمرةَ قَرْقَفٍ ... فأطلُبها سهْوًا وأترُكُها عَمْدَا

***



---

(١) فى ب : « لقد كحلت طرفى بطرفه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) أبيات الخيارى ، فى خلاصة الأثر ٢/١١٧ ، ١١٨ .
(٣) فى الأصول : « أيا فاضل » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .
(٤) فى ب : « مريض إعادة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٥) فى ا : « دق عن فهمهما جدا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

٥٩

عبدالقادر بن عبد الهادى العُمَرِىّ *

مِمَّن سابَق فى مَيدان البراعة حتى أحرزَ مَداها ، ودأب فى تحْصيل المعارف إلى أن وجَد على نارِ فِكْرته هُداها .

فإذا قدَح بالظَّنّ أثقَب ، وإذا والَد بالرجاء أنجَب .

يعرِف النَّقاية فينْتقيها ، ولا يَمُرّ بالنُّفاية التى يَنْتفيها .

ويطالع ماوراء العواقب ، بِمَزايا (١) من التجارب الثَّواقِب .

فلا تبيتُ فِكرتُه بهم مُرتبِطةً ، حتى تصبح بحَلّ عُقْدتِها (٢) مغتبِطة .

مع إحاطة بأنْواعٍ من الفنون ، لاتحُوم حولها الأوْهام والظُّنون .

وتآليفُه ألّفَتْ بين التَّناسُق والتَّوافق ، وجمعت حسنَ التَّطابُق والتَّوافُق .

* * *

(*) سقطت نسبة « العمرى » من : ب ، ج ، وهى فى : ا .

وهو عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان ، المعروف بابن عبد الهادى ، العمرى ، الدمشقى ، الشافعى.

كان من الغواصين على المباحث ، وحل غوامضها ، وتبيين مبهماتها ، وكان أغلب معلوماته فى أصول الدين والفقه .

أخذ عن المنلا محمود الكردى ، والمنلا محمود أمين اللارى ، وإبراهيم الفتال ، وحضر دروس السيد محمد نقيب الشام ، المعروف بابن حمزة .

وتصدر للاقراء ، فاشتغل عليه جمع كثير .

سافر إلى الروم ، ثم عاد إلى دمشق مدرسا بدار الحديث الأشرفية .

وله شرح على « مختصر المنتهى » لابن الحاجب ، فى الأصول ، واختصر « الهمع » للسيوطى ، فى النحو ، وشرحه شرحا نفيسا ، وله منظومات فى علوم متفرقة .

توفى سنة مائة وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٢/٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(١) فى ج : « بعزايا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ج : « عقدها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وله من الشِّعر ما يُنيل المطلوب، (١) ويمتزج لُطْفُه مع (١) أجزاء القلوب.

وهو أحدُ أشياخي الذين قلبي بوُدهم مُعْتلِق (٢)، ولسان ثنائي بفضلِهم مُنْطلِق.

ترَوَّيْتُ حيناً بمائه، واسْتَمْطرتُ الوَبْلَ من جانب سمائه.

* * *

وكان أنشدني كثيراً من أشعاره الحِسان، أُنْسِيتُها منذ زمان (٣)، وقبَّح الله النِّسْيان.

ثم ظفِرتُ له بأشياء اقتطفتُ أناسِيَّ عيونِها، وجِئْتُ بمحاسن أبكارِها وعُونِها (٤).

فمنها قوله من قصيدة:

خطَرتْ تميسُ كخُوطِ بَانٍ مُزْهِرِ ... لا الشمسُ منها والبدورُ بأنْورِ

عربيةُ الألفاظِ أعْربَ لفظُها ... عن سِحْرِ مورِدها وطِيبِ المَصْدرِ

هي كأسُ خمرٍ للعقولِ يُديرُها ... كفُّ البلاغةِ في خلالِ الأسْطرِ

وجرَتْ من الأسْماع جَرْيَ مُدامةٍ ... مُزِجت برائقِ رِيقِ ظَبْيٍ أحْوَرِ

وتكادُ من فرْطِ البلاغةِ قد تلتْ ... في سُورةِ الإخْلاصِ ذِكْرَ الكَوْثرِ

واللفظُ يُنْبِئُنا وحسنُ مَذاقِها ... بالمَوْردِ العذْبِ الهَنِيِّ السُّكَّرِي (٥)

عجباً لهاتيكَ الفصاحة إنها ... حَوَتِ الفصيحَ من الصِّحاح الجَوْهَري (٦)

نُظِمتْ قوافِيَ للعقولِ تخالُها ... نَظْمَ اللآلِي في نُحُورِ البُكَّرِ

---

(١) في ب: «ويمتزج من لطفه مع»، وفي ج: «ويمتزج للطفه مع»، والمثبت في: ا.

(٢) في ا: «متعلق»، والمثبت في: ب، ج.

(٣) في ب: «أزمان»، والمثبت في: ا، ج. (٤) في ا، ج: «وعيونها»، والمثبت في: ب.

(٥) في ب: «الشهي السكرى»، والمثبت في: ا، ج. (٦) يشير إلى «صحاح اللغة» لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

فكأنَّني وكأنَّها عند اللِّقا ... خِلّانِ قد جُمِعا بروضٍ مُزْهِرِ
أو زَوْرَةٌ مَنَّ الحبيبُ بهـا على ... معْشُوقِه أو تَمَّ بَدْرٍ مُسفِرِ

***

وقوله من أخرى ، أولها :

هـذا الغزالُ فإنّي منـه في شُغُلِ ... وصار وَجْدِي به ضَرْباً من المَثَـلِ
وغازَلَتْنِيَ منـه العينُ فانْبعثَتْ ... مِنّي مَعانِي صحيحِ الشَّوْقِ والغَزَلِ (١)
بَدْرٌ فما البـدرُ إلّا من تَكَوُّنِه ... لـكنّه فاقَه بالحَلْيِ والخَجَـلِ
وقَـدُّه خُوطُ بانٍ قد أمالَ به ... لُطْفُ النَّسيمِ إلى وَصْلِي فلم يَمِلِ (٢)
وطَرْفُه الغَنِجُ الوَسْنانُ أوْدَعَـهُ ... داعِي الهوَى حَوَراً لـكن مع الكَحَلِ (٣)
وآسُـهُ فوق وردِ الخدِّ تحسَبُه ... وَشْياً من النَّمْلِ أو نوعاً من الرَّمَلِ (٤)
والخـالُ يدعو إلى رَيْحانِ عارضِـه ... أهلَ الغرامِ على خَوْفٍ من المُقَلِ
وقُرْطُه خافقٌ كالقَلْبِ مـن قلقٍ ... مقبِلاً جِيدَه في زِيِّ مُشْتغِلِ
يفتَرُّ عن لؤلؤٍ في الثغرِ منتظِمٍ ... نظمَ الدَّراري بأجيادِ الدُّمى العُطُلِ
ورِيقُه الخمرُ عندي قد أبانَ بهِ ... نَصّاً فحَلَّ مُدامُ الثغرِ كالعسلِ

***

نَصُّ كلِّ شيءٍ مُنْتَهاه ، فنَصُّ الرِّيق : مُنْتهاه في اللَّطف . وبذلك تم التَّوْرية في النَّص .

***

وكأسُنا الثغرُ قد راقَ المُدامُ بهِ ... وعَلَّه مَنْهلاً منه على عَلَلِ

---

(١) في ب : « مني معاني صحيح الشوق والغزل » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) الخوط : الغصن الناعم . (٣) في ا : « داعي الهوى حور » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ا : « وشيا من الرمل » ، والمثبت في : ب ، ج .

تَجْنِي الحَبابَ فلا ندْرِي الجَنَى أبدا   بغير رشْفِ رُضابِ الثغرِ والقُبَلِ
فى كلِّ حينٍ أُلاقِي من مَضاربِهِ   سيْفاً من اللَّحْظِ أو طَعْناً من الأَسَلِ
ولى بُعوثُ هَوًى مازلتُ أُرْسِلُها   مِنِّي إليه ولم تظْفَرْ على أَمَلِ
ولم تنَلْ رُسْلِي إلاَّ مُباعَدةً   من المزارِ وإلا لَسْعةَ العَذَلِ
ياعَمْرَكَ اللهُ لا تسألْ وكُن فَطِناً   وعن مصارعِ أرْبابِ الهوى فَسَلِ



٦٠

ابن عمّه عبد الجليل بن محمد *

هو كابْن عمّه ، مُخْتَصٌّ من المدح بِأَعَمِّه .

اشْتهر من صِغَره نُبْلُه ، وأصاب الغرضَ مذ فُوِّق نَبْلَه .

ففيه ماشئْتَ من فضلٍ شَرُوق ، وأدبٍ يُصفِّق عارضُه ويرُوق .

ونفسٍ كريمة الشّمائل ، وفِكْرةٍ (١ تُوَشِّي بِحبَرِها ١) الخمائِل .

* * *

وله شِعْر إذا اسْتجْلَيْتَه استحْلَيْتَه ، وإذا لمحْتَه استمْلحْتَه .

يفيضُ فيه فَيْضاً ، وأراه يُحْسِن النثرَ أيضا .

إلا أنه لم يُمْهِلْه (٢ الدهـرُ حتى ٢) يبلغ المدى ، فاُعْتُبِط (٣) وشبـابُه يانعٌ بسَقِيط النّدى .

* * *

(*) عبد الجليل بن محمد بن أحمد ، المعروف بابن عبد الهادى ، العمرى ، الدمشقى ، الشافعى ، الصوفى .
كان من نبلاء وقته ، وله فى أنواع الفنون خبرة تامة .
ولد سنة خمس وخمسين وألف .
وأخذ العقائد والتصوف عن والده .
وقرأ فنون الأدب والمنطق على الشيخ إبراهيم الفتال ، وابن عمه عبد القادر بن بهاء الدين العمرى .
وأخذ العلوم الرياضية عن الشيخ رجب بن حسين بن علوان الحموى .
والحديث عن الشيخ محمد بن سليمان المغربى .
ورحل إلى القاهرة ، وأخذ بها عن النور الشبراملسى .
وعاد إلى دمشق ، فتصدر للاقراء ، بالجامع الأموى .
وله : « الدرة السنية فى شرح الجزرية » ، و « شرح رسالة الشيخ أرسلان » فى التصوف ، ومؤلفات كثيرة فى الفلك ، وعلم الرمل .
توفى سنة سبع وثمانين وألف ، بالمدينة المنورة ، ودفن بالبقيع .
خلاصة الأثر ٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(١) فى ج : « بحبرها توشى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « الذى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) اعتبط : مات شابا لاعلة به .

ولم يبلغنى من آثاره إلا قدرٌ قليل ، والقليلُ منه على الكثير دليل .

فمن ذلك قوله فى الخال (١) :

خالُ الحبيب بدا فى الخدِّ مبتهِجاً ... والقلبُ من شغفٍ للْخال قدجنَحا

قد عمَّه الحسنُ يامَن خالُه حسَنٌ ... والعمُّ فى خدمةٍ للْخالِ مابرِحا

* * *

وقوله فى العِذار (٢) :

نسج الفضلُ عليه ... حُلةً تنْمو وَقارَا

فى المُحيَّا حين حلَّتْ ... رقَم الحسنُ عِذارَا

* * *

وقوله ، وفيه اقْتباس ، وتَوْرِية ، واكْتفاء :

يالَقَوْمِى من غزالٍ ... خَنِثِ الأعْطافِ ألْمَى (٣)

إذ تلَى سُورةَ حُسْنٍ ... وجْهُه والحسنُ عمَّا

سألوا عن مُحْكمِ الأوْ ... صافِ فيه قال عمَّا

* * *

وقوله (٤) :

ياخالَه لمَّا بدا ... فى عَرْشِ خدٍّ واسْتوَى

أوْحَى لصُدْغٍ آيةً ... تدعو كراماً للهوَى

* * *

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٠١ .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٠١ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « خنس الأعطاف » .

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٠١ .

أصله للحَاجِرِىّ [١] :

لكَ خالٌ فـــوق عَرْ ... شِ عَقِيقٍ قد اسْتوَى [٢]

بَعثَ الصُّدْغَ مُرْسَـلاً ... يأمُر النــاسَ بالهوَى

ولبعضهم :

غـدا خالُه ربَّ الجمـــالِ لأنه ... على عرشِ خدٍّ فوق كُرْسِيِّه اسْتَوى

وأرسل بالألحـــاظِ رُسْلاً أعِزَّةً ... على فَتْرةٍ يدعو الأنامَ إلى الهـوَى

* * *

وله كلمات من فصول ، [٣] قال فيها [٣] :

لاتزالُ فى رِبْقَةِ الأمانى ، مادمت فى ساحةِ المبانى .

البقاء مرآةُ التَّجلِّى ، والفَناء مَنْهَل التَّخلِّى [٤] ، والجَمْعُ مَنصَّةُ التَّحلِّى .

والرُّكُون [٥] للغيْر ، قطيعةٌ فى السَّيْر [٦] .

الزهدُ فى الظَّاهر ، رغبةٌ فى الظَّاهر .

إتْقانُ الحواسّ ، وظيفةُ الأفْلاس .

ورُؤْيةُ الإيناس ، مَظِنَّةُ الوَسْواس .

---

(١) أبو يحيى ، وأبوالفضل ، حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلى ، الحاجرى
جندى من أولاد الأجناد ، له شعر تغلب عليه الرقة .
توفى سنةاثنتين وثلاثين وستمائة .
وفيات الأعيان ٣/١٦٩ ـ ١٧٣ .
والبيتان فيه ٣/١٦٩ .

(٢) فى وفيات الأعيان : « لك خال من فوق عر » .

(٣) فى ب : « قالها وهى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
وهذه الفصول مذكورة أيضا ، فى خلاصة الأثر ٢/٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٤) فى ب : « التحلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى خلاصة الأثر : « الركوب » ، وهى رواية ألصق بالمعنى .

(٦) فى ا : « للسير » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وحركةُ الشوق ، عصاَ السَّوْق .

***

وأبوه [١] فى الزهد قُدْوة ، عُرْوَةُ مُتمسَّك منه بعُرْوة .

وقد شمِلنى دُعاه وهو للقَبْضة [٢] مُناهِز ، وما بين دُعائه وحظيرةِ [٣] القُدْس حاجِز .

وقد مُلئتْ صحيفةُ حسناته ، واستْراح صاحبُ شِماله من كتابةِ سيَّآته .

وأسلافُهم مازالوا حِلىً [٤] فى جِيد الزمن العاطِل ، إلى أن ينتهُوا إلى جَدِّهم الفاروق بين الحقِّ والباطل .

رضِىَ اللهُ عنه وعن بقيَّةِ الأصْحاب ، وأعمل محبَّته ومحبَّتهم فى قلوبنا على الاسْتِصْحاب .



(١) محمد بن أحمد بن محمد ، المعروف بابن عبد الهادي العمرى ، الدمشقى ، الصوفى .
ولد سنة ست بعد الألف .
كان عالما بالعقائد ، والتصوف ، وكلام القوم ، حسن الفهم ، مداوما على الدرس والإفادة .
وكان صبورا على الفاقة ، متوكلا ، يستسقى به الغيث ، وللناس فيه اعتقاد عظيم .
توفى سنة ثمان وتسعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .
خلاصة الأثر ٣/٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) فى ج : « للقبض » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا ، ج : « وحضيرة » ، وفى ب : « وحضرة » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) فى ج : « حليا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٦١

عثمان بن محمود ، المعروف بالقَطَّان *

فتى الفضل وكَهْلُه ، وشيخُه الذى يُقال فيه هذا أهلُه .

أطْلَعَ اللهُ فى جَبِينه غُرَّ السَّنا ، فثَنَى إليه من البصائرِ أعِنَّةَ الثَّنا .

مأمون المَغِيب [1] والمَحْضَر ، مَيْمون النَّقِيبة والمَنْظَر .

فهو كالشمسِ فى حالَتَيْها يبدو نورُها ، فينفع ظهورُها .

وتحْتجِب [2] أرجاؤُها ، فيُتوقَّع ارتجاؤُها .

فعلى كلِّ حالٍ هو إنسان ، كلُّه إحْسان ، وكلُّ عُضْوٍ فى مدْحه لسان .

به الفُتُوَّة يسهُل صَعْبُها ، ويلْتئِم شَعْبُها .

وهو فى صِدْق وَفائِه ، ليس أحدٌ من أكْفائِه .

وقد اتَّحدْتُ به من [3] منذ ترعرع الأنداد ، فما رأيتُه مالَ عن طريق المودَّة ولاحَاد

(*) عثمان بن محمود بن حسن خطاب الكفرسوسى ، الشافعى ، المعروف بالقطان .

ولد سنة إحدى وأربعين وألف .

وقرأ على إبرهيم الفتال ، ومحمود الكردى ، نزيل دمشق ، ومصطفى بن سوار ، وإبراهيم الكورانى ، ومحمد البطنينى ، ومحمد البلبانى الصالحى ، ومنصور الفرضى المحلى ، ويحيى الشاوى المغربى .

واشتهر علمه وفضله بدمشق ، فدرس بالجامع الأموى ، وبالمدرسة العادلية الكبرى .

توفى عثمان القطان ، سنة خمس عشرة ومائة وألف ، ودفن قرب أويس رضى الله عنه ، فى التربة المقابلة للصابونية .

سلك الدرر ٣/١٦٧ ـ ١٧٠ .

وقد نقل المرادى ترجمة المحبى له عن « النفحة » .

وجاء اسمه فى ب : « عثمان بن محمد » ، والمثبت فى ا ، ج ، وسلك الدرر .

(١) فى ا ، ج : « الغيب » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٢) فى ا ، : « فتحتجب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٣) ساقط من : ا ، وسلك الدرر ، وهو فى : ب ، ج .

وله عليّ حقّ (١) مَشْيَخةٍ أنا من (٢) بحرها أغْترِف ، وبألطافها الدائمة أعْترِف .
وكثيرا ماأرِدُ وِرْدَه ، وأقتطِف رَيْحانَهُ ووَرْدَه .
فأنتشِق رائحةَ الجِنان ، وأتعشَّق (٣) راحةَ الجَنان .
بمُحاضرةٍ تهزُّ المَعاطِف اهْتِزاز الغصون ، ورَوْنقِ لفظٍ لم يدَعْ قيمةً للدُّرِّ المَصُون .
إذا شاهدَتْهُ العيونُ تقرّ ، وإذا ذُوكِرتْ به نُوَبُ الأيّام تفِرّ .
فى زمنٍ انْفَصَمتْ (٤) من أعلامه تلك العُقود ، ولم يَبْقَ فيه إلا هو آخرُ العنقود .
فإن شئْتَ قلْ : جعله اللهُ خلَفاً عن سلَف ، وإن (٥) أردْتَ قُل : أبْقاه اللهُ عِوَضا عن تلَف .

* * *

فما أخذتُه عنه (٦) من شِعره الذى قاله فى عُنْفُوانِه ، وجاء به كسَقِيط الطَّلِّ على وَرْدِ الروض (٧) وأُقْحُوانِه .
قوله من قصيدة (٨) :

بأبِى مَن مُهجتى جـــرَحَا ... وإليـــه الشوقُ مابَرِحَا
دأْبُه حَـــرْبِى وسفْكُ دمى ... ليْتَـــه بالسِّلْمِ لو سمَحَـا
غصنُ بانٍ مُثمِرٌ قمـــراً ... يتهـــادَى قدُّه مرِحَا (٩)
مــذ تثنّى غُصْنُ قامتِـــه ... عَنْدَليبُ الوَجْـدِ قد صدَحَا

---

(١) ساقط من سلك الدرر .
(٢) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٣) فى ا : « وأعشق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) فى ب : « انقصمت » ، وفى سلك الدرر : « انفصمت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا ، ج : « وإذا » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٧) فى سلك الدرر : « الرياض » . (٨) القصيدة فى سلك الدرر ٣/١٦٨ . (٩) فى ب : « مثمرا قمرا » ، والمثبت فى ا ، ج ، وسلك الدرر .

أيّ خمرٍ أدار ناظرُه ... ماسقى عقلاً فمنه صحا (١)

إن رآني باكياً حزناً ... ظلّ عجباً ضاحكاً فرحا

إن يكنْ حزني يسرُّ به ... فأنا أهوَى به البُرَحا (٢)

وعذولي جاء ينصحُني ... قلتُ يامن لامني ولحى

ضلّ عقلي والفؤادُ معا ... ليس لي وعيٌ أن انتصحا

جِد وَجْدِي عادمٌ جلدي ... غاضَ صبري والهوى طفحا

لم يزلْ طرْفي يسحُّ دماً ... إذْ به طيرُ الكرى ذبحا (٣)

***

هذا معنى متداوَل ، منه قول الشهاب الخفاجيّ (٤) :

ولو لم يكنْ ذابحاً للكرى ... لما سال من مقلتيّ النجيعُ

***

آهِ واشوقاهُ مِتُّ أسىً ... هل دنوٌّ للذى نزحا

إن شدتْ ورْقاء في فننٍ ... شدوُها زندَ الجوى قدحا

وإذا ماشامَ طرفُ الشام طرْفِي للدِّما سفحا

ياسقى وادي دِمشقَ حياً ... طاب مغتبقاً ومصطبحا

***

وكتبتُ إليه من مصر (٥) :

سيِّدي الذي له دعائي وثنائي ، وإلى نحوه انعطافي وانثنائي .

لا عدمتِ الآمالُ توجُّهها إليه ، وكما أتمّ اللهُ النعمة به فأتمّها عليه .

أُنهِي إليه دعاء يتباهى به يراع ومِهْرق ، وثناء يجْمُلُ طيبُه فوق سالفٍ ومَفْرق .

(١) في ا : « دار ناظره » وفي ب : « ذار ناظره » ، وفي سلك الدرر : « أي حين دار ناظره » ، والمثبت في : ج . (٢) في ب ، ج : « إن يكن حربي » ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر .

(٣) في سلك الدرر : « يشح دما » . (٤) ساقط من : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وهو في : ا . والبيت في سلك الدرر ٣/١٦٨ .

(٥) نقل المرادي هذا الفصل أيضا عن النفحة ، في سلك الدرر ٣/١٦٩ ، ١٧٠ .

متمسِّكاً من الوُدِّ بحبلٍ وثيق ، ومن العهدِ بما [1] يتعطَّر به [2] النَّشْرُ الفَتيق .

ومتذكِّراً عيْشاً استجْلَيْت [3] سَناه ، واستحْلَيْتُ [3] ثَناه .

وإنى أتلهَّب على طُولِ نَواه ، وَحرِّ جَواه .

وقد وَسَمْتَ بإقْبالِك أيَّامِيَ الغُفْل ، وفَتَحْتَ بمذاكرتك عن خزانةِ قلبيَ القُفْل .

إلى أن صرف الدهرُ بحِدْثانِه ، وحكمَ على ماهو شأنُه بعُدْوانِه .

وأعاد عليَّ [4] العَيْنَ أثَرا ، والخُبْرَ خَبَرا .

واللقاء توهُّما ، والمُناسَمةَ [5] توسُّما .

فتذكري لأيَّامك التى لم أنْسَ عهدَها ، تركَتْنى لا أنتفع بأيَّامِ الناس بعدَها .

وإنى لا أرْتاح إلاَّ بذكْرِ فضائلك ، ولا أستْأنِس [6] إلا بكَرَم شمائِلك [6] .

أمزُج بها الضَّحايا فتتبَسَّم ، وأسْتدعى بها صَبَا القَبول فتتنسَّم .

ولولا اشْتعالُ النارِ فى جَذْوةِ الغضا لما كان يَدْرِى المرْءُ ما نفحةُ النَّدّ

وأما الأشواقُ فإن القلبَ مُستقَرُّها ومُسْتَودَعُها ، ومَحَلُّها ومُجْتمَعُها .

وهو عند مولاى فلْيسْألْ به خبيرا ، وأما الأثنيةُ فإنها على ألْسنة الرُّكْبان فلينْشُر [7] بها حَبِيرا [8] .

وإلى مثلِك يُتقَرَّب بإخلاص الوِداد ، ومن فضلِك تُجْتَنَى ثمرةُ حسن الاعْتقاد .

فسَلامِى على هاتِيك الشمائِل ، سلامُ النَّدَى على وَرَقِ الخمائِل .

وتحِيَّتى لتلك الحَضْرة ، تحِيَّةُ النَّسِيم للماء والخُضْرة .

وأما دِمَشْقُ فشوقى إليها شوقُ البُلْبُل إلى الوَرْد ، وامْرُؤُ القيْس [9] إلى الأبْلَقِ الفَرْد [10] .

---

(١) فى ب ، ج ، وسلك الدرر : « ما » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى سلك الدرر : « يستعطر » .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٤) ساقط من : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وهو فى : ا . (٥) المناسمة: المقاربة والدنو . (٦) فى ب ، ج : « إلا بشمائلك » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٧) فى سلك الدرر : « فينشر » . (٨) الحبير : البرد الموشى .
(٩) فى سلك الدرر : « وامرئ القيس » على الخفض ، وهى أقرب إلى الصحة . (١٠) الأبلق الفرد : حصن السموأل بن عادياء اليهودى ، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب . معجم البلدان ١/٩٤ . =

وأنا مُهْدٍ تسليماتى إلى كل يابس من دَوْحِها وأخْضَر ، ومُتَبرِّج من ثَمَرَاتِها فى قِباء رُواء (١) أنْضَر .

وأشْتاق عهدَها والعمرُ ربيع نَضْر ، والروضُ جرَّ عليه ذيْلَه الخِضْرُ :

وما أنْسَ أيّامَها والصِّبا أرنُّ يجرُّ ذيولَ الجَذَلْ (٢)
ومَسَّ رقيقُ رداء النَّسيم على عاتقِ الرَّوْض بعضُ البَلَلْ
إذِ الدهرُ مَيْتُ النَّوَى واللِّحا ظُ عنَّا وأحْداثُه تُعتَقَلْ (٣)
وذنْبِيَ فيه أميرُ الذُّنوب ودولتُه فوق تلك الدُّوَلْ

وأرجع فأقول :

إن حُبِّى دِمَشْقَ إن عُدَّ ذَنْباً فذنُوبى أجلُّ من طاعاتِى (٤)

فَمدْحى لها لاينقطع إلى (٥) أن تنْقطع المدائح ، وأثْنِيَتى عليها لا تَملّ ولو مَلّت التغريدَ الحمائمُ الصَّوادِح .

وأنا مُؤمِّلٌ أوْبةً تَسُرّ ، فيمتّع (٦) الناظرُ بتلك الوجوهِ الغُرّ ، والمناظرِ الزُّهْر .

وأُنْشِد بلسان المَقال ، إذا استْقامت الحال :

إنَّ ذنوبَ الدهرِ مغفورةٌ إن كان لُقْياكِ لها عُذْرا

والسلام .

*

= وقصة وفاء السموأل ، حين أودعه امرؤ القيس بن حجر الكندى أدراعه ، عندما مر به فى طريقه إلى قيصر ، يستنجده على قتلة أبيه ، فبلغ الخبر الحارث بن ظالم ، فطلب الأدرع من السموأل ، فتحصن السموأل بالأبلق ، وذبح الحارث بن ظالم ابن السموأل ، ولم يخفر السموأل ذمته ، وفاء بعهده — هذه القصة تجدها فى مجمع الأمثال ٢٢١/٢ ، وفى معجم البلدان (الموضع السابق) ، وفى كثير من مراجع الأدب والتاريخ .

(١) فى ب : « رداء » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) فى ا ، ج ، وسلك الدرر : « ذيول الجدل » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « إذا الدهر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وفى ب : « تميت النوى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . وفى سلك الدرر : « عناه واحداثه تعتقل » . (٤) فى ب ، ج : « قد عد ذنبا » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٥) فى ا ، وسلك الدرر : « إلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى سلك الدرر : « فيتمتع » .

وهنا وقف الفِكرُ ، عن سَرْد من قصدتهُ من العلماء بالذِّكْر .

وأجْنحُ إلى قول ابن بَسّام (١) : إن شعرَ العلماء ليس فيه بارِقةٌ تُشام (٢) .

لأنها بَيِّنة التكلُّف ، ظاهرةُ النُّبُوّ (٣) عن الرِّقّة والتخلُّف .

قلتُ : وعِلّةُ ذلك اشتغال أفكارِهم بما يَعنِّي ، والشعر وإن سَمّوه تَرْويحَ الخاطر ، لكنّه مما لا يُثمِر فائدةً (٤) ولا يُغْنِي .

وشَتَّان بين مَن تعاطاه فى الشَّهرِ مرّةً ، وبين من أنفق فى تعاطِيه عمرَه .

وقد استثنى ابنُ بَسّام شعرَ خَلَف الأحمر ، وقُطْرُبا .

أما خَلَف فلقوله فى صِفة جواد :

وكأنّما جهِدتْ قوائمُـــهُ   أن لا تَمَسَّ الأرضَ أرْبعُهُ

وأما قُطْرُبا فلقوله :

إن كنتَ لستَ معى فالذِّكرُ منكَ معى   تَرْعاكَ عيْنِي وإن غُيِّبْتَ عن نظرى (٥)

فالعينُ تبصرُ مَن تهوَى وتفقِـدُه   وناظرُ القلبِ لا يخلُو من النَّظَـرِ (٦)

وأنا أستثْنى شيخَنا المِهمنداريَّ (٧) ، المقطوع (٨) الشَّقِيق ، الحَقِيق بغاية الإطْراء عند التَّحقيق .

---

(١) الذخيرة ، القسم الأول ٢/٣٢١ .

وقد صاغ المحبي فكرة ابن بسام ، ولم يوردها بلفظها ، فقد جاء فى الذخيرة : « على أن أشعار العلماء ، على قديم الدهر وحديثه ، بينة التكلف ، وشعرهم الذى روى لهم ضعيف ، حاشا طائفة ، منهم : خلف الأحمر ، فإن له ما يستندر ، وقطرب له أيضا ما يستغرب » .

وانظر خلاصة الأثر ٣/١٨٢ ، ١٨٣ ، وريحانة الألبا ٢/٥٥ .

(٢) فى ب ، ج : « تسام » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ب : « النبوة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « ويعنى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى الذخيرة : « وإن غبت عن بصرى » .

(٦) فى ا : « من تهوى وتبصره » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والذخيرة . (٧) تقدمت ترجمته برقم ، ٥٥ .

(٨) فى ب ، ج : « المقطوع » ، والمثبت فى : ا .

ورأيتُ الشِّهابَ (١) قد نَفَى الاستثْناء واسْتَنَد فيه إلى الإذْعان، وجعل حُسْنَ بعضِ أشعارِهم من قَبِيل دعوةِ البَخِيلِ وحَمْلةِ الجبان .

وأنا أقول : إنه عالِمٌ ، وكثيرٌ من أشعارِه (٢) عن الزَّيْف سالِمٌ .

فهو يناقِضُ نفسَه بنفْسِه ، إلاَّ أنْ يتمحَّض لوصْفِ (٣) الشاعرِيَّة بما تراءى له في حَدْسِه .

—•—•••—•—

آخر الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى ، وأوله :

بقية الباب الأول

في محـــاسن شعراء دمشق الشام ونواحيهـــا

---

(١) في الريحانة ٢/٥٥ ، وانظر تعقيب المحبي ، الذي أثبته في حاشية الصفحة . (٢) في ب ، ج : « أشعارهم » ، والمثبت في : ا . (٣) في ج : « له وصف » ، والمثبت في : ا ، ب .

فهرس

تراجم الجزء الأول

(١) ضبط المرادى ، فى سلك الدرر ٤/٣٤ « جدى » بفتح الجيم وتشديد الدال ، فى ترجمة محمد بن أحمد ابن عبدالله ، ابن جدى .